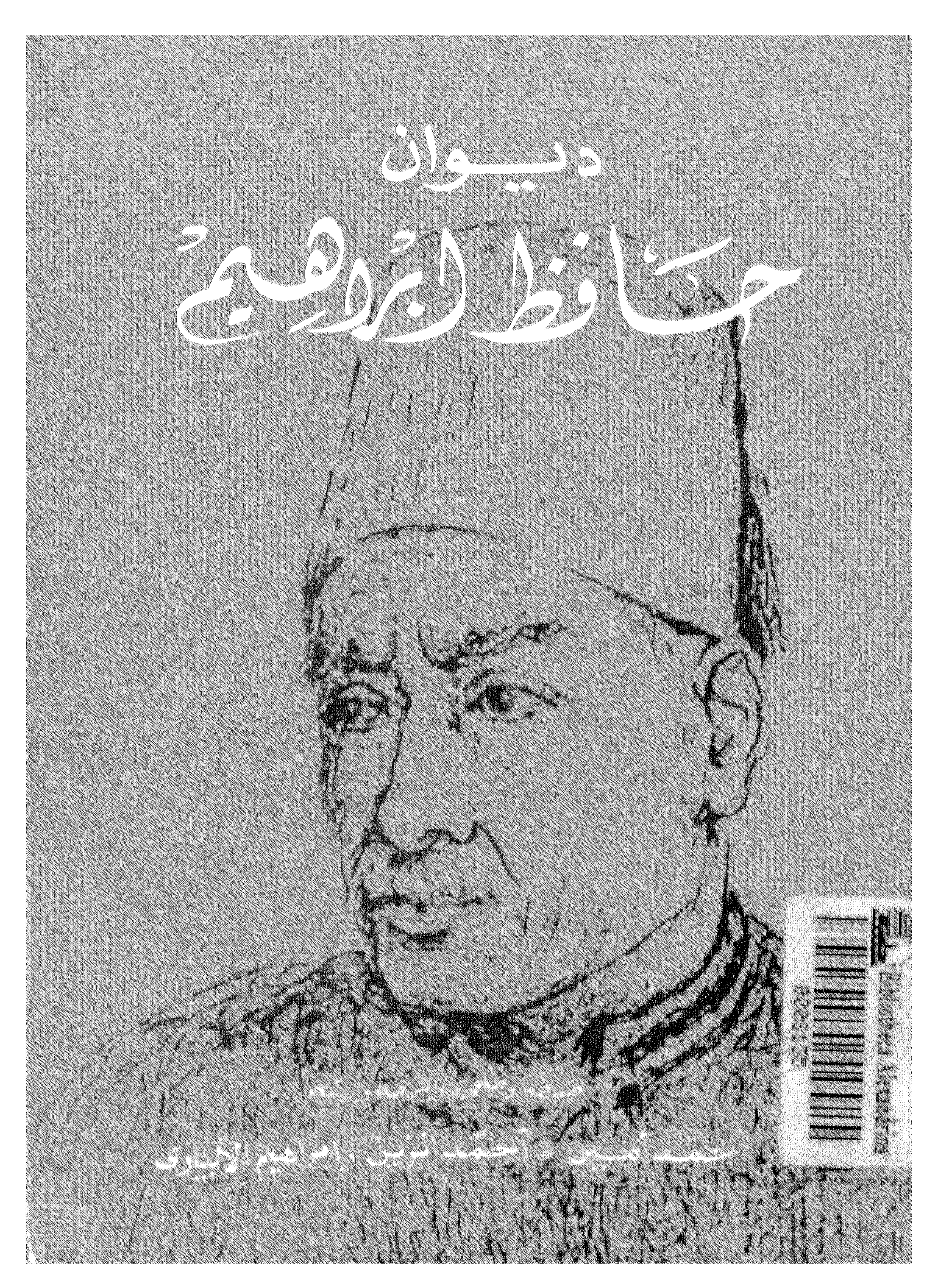

ديوان
حافظ ابراهيم
ضبطه وصححه وشرحه ورتبه
أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الأبيارى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ديــوان
حافظ ابراهيم



ديوان
حافظ إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين   أحمد الزين   ابراهيم الابيارى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

الطبعة الثالثة







المرحوم حافظ ابراهيم بك

نموذج من خط حافظ ابراهيم

شكرت جميل صنعكم بدمعي
ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرة قد ذاق جفني
على ما ذاقه دمع السرور
حافظ ابراهيم

وهما بيتان قالهما فى المجمع العلمى العربى بدمشق عند ما استقبل فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ديوان حافظ ابراهيم

بقلم محمد اسماعيل كانى



تمهيـــد :

جرت العادة بتقديم ديوان الشعر بمقدمة تتناول التعـريف بالشاعر ومنشأه وبيئته وعصره ، ثم تتحدث عن منهجه الشعرى ومميزاته وخصائصه ، ثم تنتهى المقدمة عادة بالحديث عن مكانته الشعرية ومرتبته بين الشعراء .

ولا شك فى أهمية هذه المقدمة للدارسين ، حيث تعطيهم فكرة عن الشاعر وشعره ، تمكنهم من تقديره وتقويمه .

وحافظ ابراهيم ، كان علما من أعلام الشعر فى العصر الحديث ، ووطنيـا مصريا وعربيا ضخما ، وقف حياته وشعره على النضال ضد قوى البغى والاستعمار التى أحاطت بالعالم العربى كله من أخريات القرن المـاضى إلى ما جاوز منتصف قرننا الحـالى .

فدراسة شعر حافظ ، فوق أنها دراسة للأدب العربى المتطور إلى أرق صور الجزالة والرصانة والأصالة العربيـة ، هى أيضا دراسة لتـاريخ مظلم طـويل ، وكفاح مضنٍ مرير ، لمصر وللعالم العـربى أجمع ، فى تلك الحقبة العسرة من التاريخ ... وهى على ما كانت عليه من ظلام وظلم ، فإنهـا تعتبر مفخرة من مفاخر الشعب المصرى ، وآية من آيات أصالته وصلابته وقـدرته على احتمال الشدائد وتخطيها . فمـا كان هناك شعب يتحمل ما تحمله الشعب المصرى فى تلك الحقبة الكـالحة من حياته دون أن يستسلم أو يتلاشى ، ولكن الشعب المصرى تحمل وصبر ، وعمل وكافح ، لم يهدأ ، ولم يلن ، ولم يستكن ، وظل ساهرا عاملا واعيا مترقبا ، حتى انتصر واستعاد وجوده وكيانه واستقلاله .

فى تلك الحقبة السقيمة التى أسـدلت ستورها السوداء على عالمنـا العربى ، ظهـر حافظ ابراهيم ، فكان بشعره ووطنيته وكفاحه السياسى العنيف ، نتـاجا شريفـا ، ونبتـا أصـيلا طيبا ، لبيئته وعصره ، ولمصريته وعروبته الخالصـة النقيـة .

لذلك اهـتز العالم العربى كله بوفاته سنة ١٩٣٢ ، وحزن لفقده أشد الحزن ، معتبرا وفاته نكبة وطنية أضافها إلى ما ابتـلى به من محن وكوارث .. واجتمعت العروبة بشعرائها وأدبائها وكبار قادتها ومفكريها فى دار الأوبرا المصرية ،وأقيمت حفلات التأبين ، وخرجت الصحف المصرية والعربية مجللة بالسواد ، وخصصت مجلاتها أعدادا كاملة فى رثائه وذكر فضله وعظيم بلائه فى خدمة الوطن والعـرب أجمعين .

وتنبهت وزارة المعارف العمومية فى مصر ، إلى أن شعر شاعرها الكبير لم يجمع فى ديوان ، بخشيت عليـه أن يندثر ويضيع ، فكون وزيرها الجليل المغفور له على زكى العـرابى باشا ، لجنـة من الأدباء ، رأسها الأسـتاذ الكبير المغفور له أحمد أمين ، عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد « جامعة القاهرة الآن » وعضوية الشاعر الكبير المرحوم أحمد الزين والأستاذ الأديب المحقق ابراهيم الابيارى ، وعهد اليها بجمع قصائد حافظ وشرحها فى ديوان تطبعه الوزارة ، وتوزعه على طلاب مدارسها ، تغـذية لهم بأنقى وأدسم لبان الوطنية ، فى أسمى الأساليب والصور الشعرية ، وتعـريفا لهم بأصالة أوطانهم العربية وكفاح آبائهـم الجاد الدائب فى سـبيل التحرر والاسـتقلال ، كفاحا قاسـيا مريرا لم يؤته إلا أولو العـزم من الرجال .

وقامت اللجنة الوزارية بجمع الديوان بمهامها، وكان مرجعها فى ذلك ما نشرته الصحف والمجلات من شعر الشاعر ، وشرحته شرحا طيبا ، كما وضع رئيسها الأستاذ الكبير المرحوم أحمـد أمين مقدمة الديوان ، بذل فيها من الجهد ما يليق بمثله ، وما يليق بالشاعر العظيم .

ولكن العجلة التى اكتنفت عمل اللجنة، فوق تعدد المصادر التى تعين الرجوع اليها ، وتناثرها واختفاء أكثرها لقـدم العهـد أو لاحتجاب كثير من الصحف والمجـلات ، أدى كل ذلك إلى عدم عثور اللجنـة على كثير وكثير جدا من شعر الشاعر الكبير، ولا زال الكثير منها مفقودا .

وقد اتصل بى بعض محبى الشاعر ومريديه ، يحملون إلى بعض القصائد التى سقطت من الديوان ، وقدم بعضهم قصاصات من الصحف نشرت فيها قصائد للشاعر خلا منها ديوانه . بجمعت هذا وذاك فى انتظار إصدار طبعة ثانية جديدة للديوان

وكما تنبـه المغفور له الأستاذ على زكى العرابى باشا عندما كان وزيرا للمعارف العمومية ، إلى وجوب المسارعة إلى جمع ديوان حافظ من الصحف والمجلات ، تنبه جميع وزراء الثقافة فى مصر فى عهد الثورة الوطنية ، إلى خلو المكتبة العربية من ديوان حافظ ، وإلى أن وزارة التعليم أوقفت طبعه من عهد طويل ، فضلا عن أنه لم يطبع من قبل لعامة الناس وخاصتهم، فعهدوا إلى الهيئة العامة للكتاب بطبع الديوان وإخراجه للأمة العربية، متضمنا ما عثر عليه أخيرا من شعر الشاعر بعد تحقيقه وشرحه .

وقد أبت الهيئة العامة للكتاب — كالعهد بها — إلا أن يخرج الديوان فى صورة كاملة متطورة، فلم تر الاكتفاء بالمقدمة التى وضعها المغفور له الأستاذ أحمد أمين لطبعة وزارة المعارف للديوان ، بل آثرت أن أضع بنفسى مقدمة طبعتها ، ففى تقديرها أننى ، وأنا من أسرة الشاعر ، أقدر على الحديث عنه ، وأكثر معرفة به من غيرى ، وقد أصحح بعض ما جاء فى المقدمة السابقة ، أو أجيب عن بعض ما ورد فيها من تساؤلات لم يجدوا لها وقت وضعها إجابات تشفى أو تعليلات مقبولة .

وكان لهيئة الكتاب ما أرادت ، وهأنذا أضع المقدمة ، فما كان لى أن أعتذر بأى عذر ازاء الهيئة التى حملت مسئولية الكتاب فى مصر ، وازاء حافظ وديوانه على وجه الخصوص

والواقع أن الحديث عن حافظ ، حديث لا يفرغ ولا يمل ، فقد كان أمة فى رجل .. كان ملء القلوب والأسماع والأبصار من رجال جيلنا الماضى فى كل أرجاء عالمنا العربى .. كان شخصية فذة متعددة الجوانب ، حمل لواء الشعر الوطنى والاجتماعى ماعاش، يلهب حماس الجماهير ويدفعهم دفعا إلى الثورة على الاستعمار والمستعمرين ، ويقرعهم بقوارص الكلم إذا وجد منهم استنامة أو استرخاء .. ويحيى دارس الآمال فيهم ، ويبعد عنهم أشباح اليأس وعوامل الاستسلام ، ويتناول عيوبهم الاجتماعية فيبصرهم بها فى غير هوادة ولا مداراة ، ويبين لهم سوء أثرها فى مجتمعهم ومآلهم ومآل بلادهم . كان أستاذا فى السياسة ، وأستاذا فى الاجتماع ، نصب نفسه وأوقف حياته من أجل رسالته التى ارتضاها لنفسه ، والتى دفعه إليها حبه المثالى لوطنه ولبنيه وللعروبة كافة . ولعل بأبى

السياسة والاجتماع أهم أبواب شعره، بل لانعدو الحقيقة اذا قلنا اننا إذا اسقطنا هـذين البابين من شـعره ، مضافا إليهما باب المراثى باعتباره امتـدادا لشعره السياسى،لا نجد أمامنا حافظا بما يتميز به عن سائر شعراء عصره وعن كثير قبلهم .

وحسب الشاعر أن يجيـد فى باب من الأبواب الشعرية العـديدة ، ليشتهر ويخلد ، فما بالنا وقد خلق حافظ أبوابا جديدة أضحت أهم أبوابه وأكثرها لفتا للناس،لخروج بالشعر من الكمالية إلى الضرورية،ومن الرفاهة الذهنية الى استخدامه سلاحا روحيا لايقاوم فى كفاح المستعمرين وفى تهيئة أذهان الشعب وحفزه على الكفاح الوطنى الكبير .

حافظ ابراهيم إذن هو نتـاج عصره ونتاج بيئته ونتاج مصريته وعروبتـه، كان بكل اختصار : « مصرَ تتحدث عن نفسها » .

ويقتضينا المنهـج العلمى فى البحث ، أن نبـدأ فى تقـديم الديوان ، بعصر الشاعر ، ثم بنشأته وبيئته لما لها من كبير الأثر فيه وفى شعره ، ثم نتناول طبيعة الشاعر كانسان وما يتميز به من خصائص ، ثم نتناول شعره بعـد ذلك بالتقويم والتمحيص لنصل إلى مرتبته وأثره ومكانتـه فى اللغـة والأدب وفى الشعر العربى خاصــة .

فاذا نحن سلكنا هذا المسلك فى وضع التقـديم ، نكون — على ما نرى — قد بلغنا القصد ، بإعطاء القارئ والباحث ما يرجوه من العـلم بالشاعر وشـعره كمدخل للديوان .

المبحث الأول ... فى عصر الشاعر

لم يعرف بالضبط تاريخ مولد الشاعر — ومن واقع الأوراق الرسمية فى ملف خدمته ، يتبين أنه عندما أحيل الى القومسيون الطبي لتحديد سـنه عندما أريد

تعيينـه فى دار الكتب ، وكان ذلك يوم ٤ من فبراير سـنة ١٩١١ ، قـدر القومسيون الطبي سنه يومئذ بتسع وثلاثين سنة . وتأسيسا على هـذا قرر أنه ولد يوم ٤ من فبراير سنة ١٨٧٢ . ولما كان قد توفى يوم ٢١ من يوليه سنة ١٩٣٢ فكأنه عاش ستين سـنة وبضعة أشهر ، حكم مصر خلالها من أسرة محمـد على ، الخديويون اسماعيل ومحمد توفيق وعباس حلمى الثانى ، ثم السلطان حسين كامل والملك أحمد فؤاد الأول من بعده .

وفى سنة ١٨٨٢ أى بعد مولد حافظ بعشر سنين ، احتل الإنجليز مصر بعـد إخفاق الثورة العرابية، التى قامت أولا للطالبة بحق الضباط المصريين فى التسوية بينهم وبين الضـباط الأتراك والجراكسة فى الجيش المصرى ثم امتـد هدفها إلى المطالبة بحق الشعب المصرى فى إدارة شـئونه . وظل احتلال الإنجليز لمصر حتى سنة ١٩٥٦ حين تم جلاؤهم عن البلاد فى شهر يونيو من تلك السنة .

وكانت مصر ولاية تابعة لسلطان تركيا وقت قيام دولة الخلافة ، فلما احتل الإنجليز مصر ، أصـبح يحكمها حاكمان : حاكم شرعى هو الخديوى أو السلطان أو الملك ، وهو فى حقيقته أجنبي بأصـله عن البلاد وان استمد شرعية حكمه من الفرمانات التى كان يصدرها سلطان تركيا بجعل الولاية فى مصر لكبير أسرة محمد على ، ثم تعدلت الى أكبر أبناء الخديو إسماعيل .

وحاكم فعلى ، وهو أجنبي أيضا عن البلاد والعباد، هو معتمد الدولة البريطانية التى احتلت مصر بجيوشها، وأصبح له كل الحول وكل السلطان الحقيق فى البلاد، يمارسه خفية باستخدام الحاكم الشرعى حينا ، ويمـارسه جهارا وعلانيـة بصفة مباشرة أحيانا كثيرة .

ولعل السبب فى ابقاء الحاكم الفعلى البريطانى على الحاكم الشرعى وهو الخديو، هو أن السند الذى استندت اليه بريطانيا فى غزو مصر واحتلالها هو الإبقاء على العرش الخديو وتثبيت دعائمه ضد الخارجين عليه من الشعب ، فاذا هى طردت الخديو ، وأزالت وجوده ، فقد قضت على سند بقائها فى مصر، ولم تكن السياسة البريطانية لتقع فى مثل هذا الخطأ، فأبقت على الخديو ، إبقاء على وجودها ، وان نزعت منه كل سلطة .

وهكذا قدر لمصر فى عصر حافظ أن يحكمها حاكمان أجنبيان عنها ، تنافسا على السلطان وعلى سلب خيراتها، كل بقدر ما استطاع وتمكن . . تآلفا فى الظاهر والعلن، وتباغضا أشد البغض فى السر والباطن ، فقد عز على الحاكم الشرعى أن يشاركه فى الحكم والسلطان من استعان به فى تثبيت حكمه وعرشه ضد شعبه ، بل لقد تجاوز هذا الشريك كل حد معقول فى المشاركة ، الى الانفراد الحقيق بالحكم والتوجيه، حتى وجد الحاكم الشرعى نفسه وليس له من الأمر شىء ، وإن ألبس ثوب السلطان ، وإن أسكن فى قصوره ، وإن دعوا له كولى أمر على المنابر.

أما عن الإنجليز ، فقد احتلوا مصر وغزوها بجيوشهم ، و بذلك أصبح لهم فيها حق الغزو والفتح ، ومن ثمت فلا محل لذلك السلطان المتداعى ، الأجنبى بأصله عن البلاد ،ولكن مقتضيات السياسة البريطانية وقتئذ وما سارت عليه فى حكم البلاد التى تحتلها،ألا تمس مظاهر الحكم فيها وما ألفه الناس،تهدئة ومهادنة للشعور العام ، حتى لا تثور عليهم تلك الشعوب فيكون مآ لهم الطرد وان طال الزمن . هذا ما أملى على الإنجليز الابقاء على الإسرة الحاكمة فى مصر، فمن طريقها يحكمون ، ومن طريقها ينسى الشعب وجودهم واحتلالهم ، ثم هى أسرة مكروهة من الشعب منعزلة عنه، فلا خشية منها على الإنجليز ولا خطر .

ومع هذا فيجب أن يعلم ذلك الحاكم الشرعى جيدا ، وألا ينسى ، أنه لم يعد فى الوضـع الذى كان عليـه من قبل ، وضع الحاكم المنفـرد المستقل بإرادته وبتصريف شئون الحكم فى البلاد ، فقد قام الى جانبه ، بل مقدما عليه حاكم إنجليزى كبير مسئول ، فاذا لان الخديو وخضع بقى فى مكانه ، و إلا فجيش الاحتلال موجود يستطيع أن يتناوله فى أية لحظة و يلقى به خارج البلاد ، و يأتى بخـديو جديد ، وما أكثر الطامعين فى المنصب من تلك الأسرة الحاكمة ، أسرة محمد على .

ولقد كان من آثار احتلال الانجليز لمصر أن ازداد نفوذ الأجانب وشوكتهم فى مصر ، وبخاصة رعايا الدول الممتازة التى أقر لهـا السلطان العثمانى بامتيازات لهـا ولرعاياها فى مصر . هؤلاء الأجانب جميعا وجدوا من الانجليز الناصر القوى الممكّن لهم فى مصر وثرواتها على حساب الشعب المصرى كله ، وفى سنوات قليلة استطاع هؤلاء الأجانب أن يستولوا على معظم أراضيها الزراعية وأن يسيطروا على أسواقها المـالية والتجارية سيطرة تكاد تكون مطلقة ، وأخذوا يمتصون خيرات البلاد وينقلونها نقل نازح البئر الى بلادهم ، لايتركون فيها من الفتات إلا أقل قدر يحيي أهلها فى ضنك ، و بالجرعة التى تسمح للحياة بأن تسـير فى شرايين البـلاد ضعيفة واهنة دون أن تقدر على ثو رة أو تمرد .

فاذا بحثت بعد ذلك عن الشعب ودوره فى ذلك الخضم الثائر الفائر من الخصوم الأقو ياء المتفقين عليـه ، وجدته شاردا ذاهلا من هول صدمة المفاجأة القاسية بهزيمة جيشه بقيادة أحمد عرابى ودخول الجيش الانجليزى القاهرة ، وسيطرته على البلاد كل مسيطر ، وما وقر فى نفسه بعد ذلك من شعور بالغ المرارة بالضياع ، وزاد من شعوره ذاك ، تلك الحملة الانتقامية المسعورة التى شنها الاحتلال على

الوطنيين من أهل البلاد ، فصادر من ثرواتهم ما صادر ، وحكم بالسجن أو بالنفى أو التشريد على من حكم عليه منهم ، ووقعت مصر كلها فى طوفان من الظلم والعسف والتنكيل دون جزيرة إلا الوطنية الخالصة ، وإلا رفض احتلال الأجنبي وقيده ... وفى مثل هذه الظروف القاسية المعربدة بكل القيم ، تصبح الوطنية أو كما كان يقال « الحديث فى السياسة » كبرى الجرائم ، تودى بصاحبها الى أسفل سافلين ، وما من منجد ولا من معين .

وإذا كان الشعب المصرى ، فى مبدأ عهد الاحتلال ، قد أخذ وفوجئ على غرة منه بما لم يكن فى حسبانه ولا توقعه ، فانهارت مقاومته فترة قصيرة من الزمان للاحتلال الغاشم المدجج بالسلاح ، وهو الشعب الأعزل المسالم، فقد كان ذلك بسبب وقوعه فى طبيعة بشريته ، فماذا كان يمكن لأعزل يحكمه أجانب أن يفعل شيئا إزاء طوفان هائج مدمر إلا أن يلم شعثه ، وإلا أن يصبر ويحسن الصبر ، حتى تنكشف الآزفة التى ليس لها من دون الله كاشفة .

وبدأت عراقة الشعب المصرى تعمل ، وأصالته تطفو وتظهر بعد قليل من تلك الكارثة الطاحنة التى فاجأته وفجعته ، وبدأ يسترد أنفاسه ويفيق من الصدمة ، ويبدأ العملاق يتحرك بطيئا و ينهض متثاقلا ، وينصب قامته ، ويسترد مواقعه موقعا فموقعا ، وظهرت زعاماته الوطنية ، مفتتحا عهودها جمال الدين الأفغانى ، بخاء الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل ومحمد فريد وحسين رشدى وعلى شعراوى وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى وغيرهم وغيرهم ... ولا ننسى فضل شبابنا الوطنى الذى بذل من روحه ودمه ما يسجل له فى سجل الخالدين . وظل الشعب بجميع طوائفه يكافح الاحتلال والاستعمار لا يهدأ ولا يلين ، وقامت

الثورات والجمعيات الوطنية حتى انتصر على أعدائه انتصارا نهائيا بثورة سنة ١٩٥٢ ، حينما أجبر قوات الاحتلال على الجلاء عن البلاد كلها فى يونيه سنة ١٩٥٦ .

وكان من حظ حافظ أن عاش أيام بؤس مصر كلها ، ذاق مرارتها ، وتجرع غصصها حتى الثمالة ، وشارك فى الجهاد الوطنى بأوفى نصيب ، حينما سخّر شعره وأوقفه على قضايا وطنه وقضايا العروبة والاسلام ، حتى لقى ربه راضيا مرضيا عنه فى فجر الحادى والعشرين من شهر الثورات ، شهر يوليه سنة ١٩٣٢ . فانطوت بوفاته صفحة من أنقى وأطهر الصفحات فى سجل جهادنا الحر الأمين .

المبحث الثانى . . فى نشأة الشاعر و بيئته وسيرة حياته

هو محمد حافظ ، ابن المهندس ابراهيم فهمى ، أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط ، رزق بابنه حافظ وهو يقيم فى « ذهبية » كانت راسية على شاطىء النيل سنة ١٨٧٢ على السند التاريخى الذى أوضحناه من قبل .

ويعلق المرحوم الأستاذ أحمد أمين على ولادة حافظ على صفحة النيل ، بأنه « كان ارهاصا لطيفا ، وايماء طريفا ، إذ شاء القدر إلا يولد شاعر النيل الا على صفحة النيل . . »

وكان أبوه ابراهيم فهمى مصريا صميما . أما أمه فهى السيدة « هانم بنت أحمد البورصه لى » من أسرة تركية محافظة عريقة تسكن حى المغربلين ، أحد الاحياء الشعبية القديمة بمدينة القاهرة ، تعرف باسم أسرة الصروان . وسبب تسمية الأسرة بهذا الاسم أن والد أم حافظ ، أى جده لأمه ، كان أمين الصرة فى الحج . فلقب

« الصروان » معناه القيم على الصرة ، وهى المــال الذى كانت تبعث به حكومة مصر سنويا فى موسم الحج للأقطار الحجازية ، معونة لساكنى الاراضى المقدســة وحكومتها ، بعضه هبة من حكومة مصر ، والبعض الآخر هو ريع الأعيان المصرية الموقوفة على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة .

وبذلك اجتمع فى حافظ دمان ، دم مصرى صميم مستمد من والده ، ودم تركى طاهر نقى من والدته . ومن مجموع خصائص كلا الدماءين وتفاعلها فى نفس وتكوين حافظ ، تكونت شخصية حافظ وبرزت خصائصه ومميزاته .

ولعل من أبرز الخصائص المصرية فى حافظ هى قوة احتماله للكروه والسخرية المرة منه ، وديمقراطيته الواضحة ، وتواضعه للناس جميعا وحبه لهم وأنســه بهم ، ولعل جرأته التى لا تعرف الحدود فى مواجهة السلطات دون أى تقدير للعواقب ، وتضحياته بلقمة العيش والأمن ، وترفعــه عن كل المغــريات ، وهُزءه بكل المحاولات التى بذلت لاستمالته إلى الحاكمين ، وصلابته فيما يراه حقــا وعدلا ، هى من الخصائص التركية فيه ، وإن شاركتها خصائصه المصرية أيضا .

ولقد تحدث المرحوم الأستاذ أحمــد أمين عن الدم التركى الذى كان يجــرى فى حافظ فقــال إنه « دم تركى ديمقراطى » وشــتان بين الدم التركى الديمقراطى والدم التركى الارستقراطى .

وأرى أن أقف هنــا وقفة قصيرة ، لأقول إن الدم يتأثر فعــلا بالديمقراطية أو الارستقراطية . فالارستقراطية فى الدم تدفع حاملها إلى الكبر والتعالى والشعور بالامتياز ، وما يتبــع ذلك من الشعور بالأثرة وحب النفس والبعد عن الناس ، ممــا يؤدى إلى كراهيتهم له وعدم اطمئنانهم إليه . أما الدم الديمقرطى فذو خصائص

واحدة فى جميع الشعوب والأجناس . ولعل أقوى دليل على ديمقراطية الدم التركى فى حافظ أن جده لامه ، التركى الأصيل اختار حى المغربلين لإقامته ، أى فى حى من صميم الأحياء الشعبية ، مجاورا ومخالطا ومندمجا فى الشعب المصرى ، فلولا ديمقراطيته الأصيلة لما أقام فى هذا الحى ، ولآثر حيا خاصا يضمه والسادة الأتراك من مواطنيه وقتئذ .

ورغم مركز هذا الجد ، كأمين للصرة المصرية وهو منصب كبير مرموق فى ذلك العصر حيث كان ينتقى له أكبر الشخصيات وأكثرهم أمانة وتقى ، فلم يترك لورثته شيئا يعيشون منه إلا ناتج عملهم وما يكسبونه بجهودهم . وفى ذلك ما فيه من دلالة على عفته وإبائه وترفعه عن كل ما يشين ، وإلا كان كغيره من السادة الأتراك الذين كانوا يسرقون وينهبون ويكنزون ما يجمعون من ثروات ضخام . ولعل أقوى دليل على ديمقراطية أسرة ذلك التركى العظيم أنها زوجت ابنتها لمهندس مصرى صميم فى مصريته هو والد حافظ ممن كان يأنف الأتراك والأرستقراطيون من جوارهم بله مصاهرتهم . وما لنا نتحدث عن ديمقراطية جد حافظ ، وحافظ نفسه أقوى دليل على هـذه الديمقراطية الأصيلة الموروثة إلى جانب عفتها وإبائها وترفعها ! .

والفـرع ينبى عن كريم أصوله * والشمس تبعث دفئها وشعاعا

وعاش حافظ فى كنف أبيه أربع سنوات ، مات بعدها الوالد فعادت به أمه من ديروط إلى بيت أسرتها . وتوفى جد حافظ قبل مولده ، فتولى أمره وأمر الأسرة الصغيرة ، خاله محمـد نيـازى الذى كان مهندسا بتنظيم القاهرة ، وبلـغ حافظ السن التى تبعث به إلى المدرسة فأدخله خاله أقرب مدرسة إلى منزله فى ذلك

الحين ، وكانت المدرسة الخيرية بالقلعة فتعلم فيها القراءة والكتابة وشيئا من العربية والحساب والدين ، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة القربية الابتدائية ، تحول بعدها إلى مدرسة المبتديان ثم المدرسة الخديوية وهما من المدارس الثانوية .

والتق حافظ وهو فى المدرسة الخيرية بالقلعة بالزعيم مصطفى كامل ، حيث تزاملا فى التعليم وحيث كانت بين أسرتيهما صلات قرابة ونسب ، فقـد كانت أم حافظ وأم مصطفى كامل بنتى خالة . ثم ما لبثت أن فـرقت بينهما الأحداث حتى التقيا ثانية فى شبابهما فى الجهاد الوطنى الذى خاضاه ضد الاستعمار .

ونقل خال حافظ الذى يرعاه ويتولى شئونه الى وظيفة مهندس تنظيم طنطا ، فكان لزاما أن ينتقل معه حافظ ، وخرج حافظ من القاهرة الى طنطا ، من عالمه الذى ألفه واطمأن اليه الى عالم جديد غريب عليه ، ليس له فيه إلا خاله . وهذا الخال مهما كان عطفـه وحدبه ، فهو رجل ، وإنه لرجل تركى جاد يسعى وراء لقمة العيش حيثما كانت وإينمـا كتبت له . ورجل بهـذه الحال هو أبعد ما يكون عن الملاينة أو تقدير الظروف التى يمر بها الغـلام ، والتى تحتاج الى مداواة النفس ممـا ألحقته بها الأحداث .

وألحقه خاله بمدرسة ثانوية بطنطا لاستكمال تعليمه، وانصرف خاله الى عمله الذى يستغرق كل وقته . ويتمرد الغلام ، ويصب تمرده على المدرسة ودروسها ، فكان يذهب يوما اليها ليغيب عنها عشرة، لا انصرافا عن التعليم، وإنما لأن الذى كان يتلقاه فيها من دروس لا يتفق وميوله الطبيعية التى وجدها فى الجامع الأحمدى بطنطا، فكان يجلس فى حلقات الدرس يتلقى عن الأئمة العلماء دروسا فى علوم اللغة والفقه والشريعة ،وتلقفته اللغة وآدابها، وينشد الشعر بموسيقاه ووقعه فى النفس كل

انتباهه ، ويملك عليه حواسه فيبدأ بدراسة الشعر ، و يطلع على دواوين الشعراء القدامى ويجـد نفسه قد حفظ كل ما تقع عليه عيناه من عيون الشعر والأدب ، دون جهد يبـذله أو تعمد للحفظ . ثم اذا به بعد قليل يقرض الشعر و ينظمه على نحو أثار إعجاب الكثيرين من شيوخ الأدباء وذواقى الأدب فى مدينة طنطا . ولم يستطع خال حافظ أن يقبل من ابن شقيقته هـذه الفوضى ولا هذا الانقلاب المضيع وهو المسئول الأول والأخير عنه ، فزاد من تأنيبه وتقريعه ، فيهتاج حافظ و يعزم على قطيعة خاله الذى يقف عقبة فى سبيل سلوكه طريق الأدب الذى رضيه لنفسه واختطه لحياته ، وسرعان ما تلقفه نقيب المحامين فى طنطـا وقتئذ ، فضمه الى مكتبـه مساعدا له فى القضايا بعد ما لمس فيه من فصاحه اللسان وقوة الحجة وغزارة البيان . ولم تكن المحاماة وقتئذ منظمة بقانون أو مشترطا فيها مؤهل ، وانما كانت مهنة مفتوحة يلجها و ينخرط فيها كل من آنس فى نفسه صلاحا لهـا . وأخذ حافظ ينتقل من مكتب الى مكتب ، فقد كان ملولا بطبعه ، لايستقر على حال ، ولعله داء القلق النفسى الذى لازمه طوال حياته نتيجة لمـا تعرض له من أزمات نفسية توالت عليه منذ طفولته .

فى هـذه الآونة كان هناك ضابط مصرى شاب اسمه محمـد كانى ، يعمل مهندس أركان حرب بالجيش المصرى وكان يجاور أسرة حافظ فى السكن فى حى المغـربلين .

ولمـا كان من شباب الجيش العرابى المرموقين ـــ كحاصل على أعلى شهادة فى هندسة أركان الحـرب على يد الجنرال ستون الأمريكى الذى كان من كبـار ضـباط الحروب الأهلية الأمريكية واستقدمه الخديو اسماعيل للنهوض بمستوى

الجيش المصرى وإعادة بنائه . ولما كان مهندسنا المصرى ذاك قد أبلى بلاء حسنا ضد الغزاة الانجليز باختياره مدينة كفر الدوار وتحصينها ونجاحه فى منع وصولهم الى مصر من الاسكندرية، فى مطلع غزو الانجليز للبلاد، فقد كان أول المفصولين من خدمة الجيش المصرى بعد الاحتلال وأمر بملازمة قريته التى جاء منها، وهى القرية المعروفة الى اليوم باسم « كفر قورص » من أعمال مركز أشمون محافظة المنوفيـة .

ثم لما رؤى بعد ذلك اعادة تكوين الجيش ، دعى ثانية الى الخدمة لحاجة الجيش الجديد الى مهندسين حربيين بتزكية من الجنرال ستون نفسه ، فعاد الى مسكنه القديم بالمغربلين . ولما أنس فى أسرة حافظ من عراقة الأصل والمحافظة تقدم اليها طالبا يد ابنتها عائشة شقيقة حافظ ، وتم القران ، وعاشت معه عمرا ليس بالطويل، أعقب منها خلالها أربعة أبناء، ثم توفيت. وتلقت أم حافظ بعد ذلك أبناء ابنتها الأربعة تربيهم وتقوم عليهم ، لغياب والدهم عنهم بسبب نقل الإنجليز له من الجيش الى وزارة الأشغال بعد ان ضاقوا به ذرعا كرجل وطنى غير مسالم لهم ، وألحق مهندسا للرى بأسيوط . وتلق حافظ بفقد شقيقته صدمة أخرى، بفقد شقيقته الحبيبة الأثيرة لديه وهى فى ميعة الصبا وزهرة العمر .

ولقد ساء صهر الاسرة محمد كانى الضابط بالجيش حال حافظ شقيق زوجته ، إذ رآه شابا صالحا قوى البنية متين البنيان وعلى ثقافة طيبة ، ولكنه مضطرب التفكير فى الطريق الذى يختطه لحياته العملية، كما ساءه أن أدركته « محنة الأدب » فقد كان الأدب وقتذاك يعتبر محنة من المحن حيث لم يكن امتهانه يغنى من جوع، فعرض عليه أن يلحقه بالمدرسة الحربيـة عندما كان لا يزال فى الجيش ، حيث لم يكن يشترط أكثر من الشهادة الابتدائية للالتحاق بها . فوافق حافظ مرحبا

حيث وجدها تكفل له وظيفـه تدر عليه راتبا شهريا يدرأ عنـه الحاجة ، وفى الوقت نفسه يستطيع أن يشبع هوايته الأدبية كما يشتهى .

ذكرت كل ذلك ردا على ما جاء فى مقدمة الأستاذ أحمد أمين لديوان حافظ عن قصة التحاقه بالمدرسة الحربيـة ، حيث يقول « فشل فى المحاماة ، ففكر فيما يعمـل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا إلى القـاهرة ويدخل المدرسة الحربيـة .. ويبدو هذا التفكير غريبا ، فأديب ناشىء ، ومحام فاشل ، يفكر فى أن يكون ضابطا ؛ لسنا ندرى الباعث على هـذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سـيرة البارودى الحربى الشاعر ، وقد يكون ما رأى فى نفسه من بسطة فى الجسم ، وقد تكون المصادفة البحتة هيأت له ذلك » .

وتخرج حافظ سنة ١٨٩١ فى المدرسة الحربية ضابطا فى الجيش ، ثم نقل إلى الشرطة التى كانت تستمد ضباطها من الجيش وقتئذ ، ثم أعيد إلى الجيش وخدم فى السودان ما يقرب من السنتين متنقـلا بين سواكن وطوكر وقبلى حلفا ، ثم أحيل إلى الاستيداع مرتين ثم طلب إحالته إلى المعاش سنة ١٩٠٣ .

يتبين ممـا سبق أن حياة حافظ منـذ نشأته حتى تركه خدمة الجيش ، حياة مضطربه لا تستقر على حال . فحيث أراد لنفسه الاستقرار بوظيفـة تضمن له العيش إذا بطبيعته الثائرة والقلق الذى يلازمه يأبيان عليه الهـدوء الذى ينشده والاستقرار الذى يبتغيه ، وإذا بوطنيته الثائرة تدفعه دفعا إلى أن يشعل ويشارك فى حركات صغار الضباط فى تمردهم على كبار ضباطهم الذين كانوا يضطرون إلى ممـالأة الإنجليز . وكثيرا ما قـدم هؤلاء الضباط الصغار إلى المحاكمات العسكرية فكانوا ينيبون حافظا للدفاع عنهم ، مستفيدا من أيام المحاماة ، حتى جاءت

سنة ١٨٩٩ فحدثت ثورة فى الجيش المصرى بالسودان ، فقد جاهرت فرقة من فرق الجيش السودانى بالعصيان، وأخمد الإنجليز تلك الثورة بعد ذلك وحاكموا عددا من زعمائها أمام المجالس العسكرية ، فأحيل منهم ثمانية عشر ضابطا إلى الاستيداع وأبعدوا عن السودان إلى مصر وكان منهم حافظ، وحكم على البعض الآخر بالسجن مددا مختلفة وأرسلوا إلى مصر ليقضوا مدّة السجن فيها .

وعاد حافظ الى مصر ولا مورد له ولا عمل يقتات منه بعد أن استقال من الجيش وهو فى الاستيداع يأسا من إمكان استمراره فى خدمة جيش فى قبضة عدو يضعه تحت المراقبة و ينظر إليه نظرة الريبة فيه والنقمة عليه .

ودخل حافظ فى طور جديد من حياته كان أهم ما مر به من أطوار .

كان حافظ قد بلغ من ذيوع الصيت والشهرة فى الأوساط الوطنية التى بدأت تتحرك ، مبلغا كبيرا ، فقد شد شعره الوطنى وسيرته كضابط حر جرىء جسور ، كل الأنظار والأسماع ، وكان يتردد على مجالس الزعماء الأحرار فى ذلك الوقت ، وعلى رأسهم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل باشا وسعد باشا زغلول ومحمود باشا سليمان وآل أباظة وآل عبد الرازق وغيرهم ، فأحبوه جميعا وقربوه اليهم ، وقد وجدوا فيه ذخيرة وطنية تستحق المراعاة ، كما وجدوا فى شعره سلاحا من أمضى الأسلحة التى يجب استخدامها فى الهاب الشعور الوطنى فى البلاد وتحريك مشاعر الجماهير تمهيدا للقيام بالحركة الوطنية .

وإذا كان الإنجليز قد طاردوه وأغلقوا فى وجهه كل أبواب الرزق ، فقد كان فى رعاية كبار زعماء البلاد له فى ذلك الحين خير عوض . إلا أن كرمه الزائد الذى فطر عليه، وعدم تقديره لعواقبه لم يمنعا عنه الشعور بالفاقة والحاجة الدائمة .

فقد كان يأتيه المـال غزيرا من هنا ومن هناك ، وكان أحرى به أن يحافظ عليه وأن ينفق منه بحساب، إلا أنه كان لايحتمل وجود المـال فى يده دون أن ينفقه أو أن يرى صاحب حاجة دون أن يمد إليه يده ببذخ وسرف ، ولا أن يقصده قاصد دون أن يعطيه ما فى جيبه كله بالغـا ما بلغ . وهكذا عاش حياته ، لايقيم للمـال وزنا ولا يضن به على قاصد ولا محتاج ، وبخاصه أدباء عصره .

وتفرغ حافظ للشعر ومنابره ، لا يترك أمرا من الأمور ولا مناسـبة وطنية إلا وضع فيهـا أقوى القصائد وأشدها حرارة واشتعالا . صاحب مصطفى كامل ومحمـد فريد ثم صاحب سـعدا وغيره من الزعماء فى جهادهم الوطنى الطويل . وعلى ما كان بين الزعماء فى ذلك الوقت من اختلاف كبير فى وجهات النظر أدى إلى خلاف أكبر بينهم ، فإن حافظا ظل على علاقته الطيبة بهم جميعا ، يرى فيهم جميعا أبناء أوفياء بررة بوطنهم وإن ساءته منهم تلك الخلافات الصغيرة التى ظل أتباع كل منهم ينفخ فيها بنفثات الشيطان حتى صارت كبيرة وحتى استدار كل منهم لمحاربة الآخر . وكان ذلك أقصى ما كان يحـلم به المستعمرون . وصارت فتنة فى البلاد بهبوط أسهم الحزب الوطنى بعد وفاة زعيمه مصطفى كامل وخروج محمـد فريد من مصر وظهور حزب الأمة وبدء ظهور سـعد زغلول وقـد كان من رجال ذلك الحـزب فألف حزب الوفد المصرى ، ثم صـارت فتنة ثانية فى البلاد حينما انشـق بعض رجال الوفد عليـه وألفوا حزب الأحرار الدستوريين ، وانقسـمت البـلاد قسمين . . قسم غالب مع الوفـد وقسم قليـل مع الأحرار الدستوريين ، ولم تقف القسمة عند حد الخـلاف فى الرأى ، بل أصبح الوفد وأنصاره حربا على خصومهم فى الرأى ، وكذلك كان الأحرار الدستوريين ، وإن كانت خصومة الأحرار قد ظلت ولم تتعد الخصومة الفـكرية . ثم شـاء الله خيرا

بمصر فائتلفت كلمتهم ، تلاقى سعد زغلول وعدلى وثروت إلا أن ذلك الائتلاف لم يدم طويلا ، فقد سارع الموت باختطاف سعد ، ثم لحقـه ثروت ، وعادت مصر إلى دوامة الخـلاف الداخلى . وظل حافظ فى مستواه الوطنى العـالى فوق الخصومات الحزبية ، لا يخضـع لهـا ولا يخضعونه لهـا ، فكان صديقا لسعد ولرجال الوفد جميعا كما كان صديقا لعدلى وثروت ورشدى ومحمد محمود ولطفى السيد وهيكل من أقطاب الأحرار فضلا عن رجال الحزب الوطنى، يزور هؤلاء وهؤلاء ويلقى قصائده فى محافل كل منهم ، والجميع حريصون على وده ومحبته وإيثاره ، ولعـله كان الوحيد من رجالات ذلك العهـد من كان له مثـل هذا الموقف الخاص ، العـام فى الوقت نفسه ، ومرجع ذلك ولا شـك أن حافظا كان من الرجال القلائل المشهود لهـم بالوطنية الخالصة ، وبالاستقلال فى الرأى ، وكانت له مكانته الوطنية الكبرى فى نفوس الشعب كله ، ولم يكن فى صـالح أى حزب من الأحزاب أن يتخـذ موقفا معاديا لحافظ ، بل على العكس كان كل حزب يشعر بحـق أن حافظا قوة وطنية يجب أن تكسب ، فكان أن قبل منه ما لم يقبله من غيره . قبل منه هذا الموقف الذى يساوى بينها ولا يفرق .

وإذا كان هـذا هو رأى رجالات مصر وأحزابها فى حافظ وموقفها منه ، فقد كان ذلك أيضا رأى القصر فيه وموقفه منه . فقد تقرب إليه الخديو عباس حلمى ثم السلطان حسين كامل وأخيرا الملك فؤاد ، رغم علم الجميـع بعدم إمكان أحد احتواءه . فلقـد عين رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب سنة ١٩١١ وأنعم عليه برتبة البيكوية سنة ١٩١٢ ثم بنيشان النيل حيث أطلق عليه بعد ذلك لقب شاعر النيل، وإن كان يفضل دائما أن يلقب بالشاعر الاجتماعى . فقد كان يرى

أن النيل جزء من العروبة والعروبة جزء من الشرق والإسلام . وهو شاعر العروبة والشرق والإسلام بالمضمونين الاجتماعى والوطنى .

ولم يكن الإنجليز أقل إدراكا لمكانة حافظ الشعبية فى مصر والشرق العربى، فأخذوا بدورهم يتقربون إليـه بعد أن وجدوا أن حربهم عليه لم تجدهم نفعا ، ولم تنل منه شيئا ، فتعرف إليه السكرتير الشرقى لدار المندوب السامى وقتئذ وكان اسمه السير ولتر سمارت ، وكان منصب السكرتير الشرقى من أكبر مناصب دار المندوب السامى ، إذ كان يلى المنـدوب السامى مباشرة ، فكان يزور حافظا فى بيته بين الحين والحين ويدعو نفسه إلى مائدته الشرقيـة التى اشتهر بها حافظ . وقد سأله حافظ ذات مرة عما دعاه إلى التعرف به ومصادقته وزيارته ، فكان رد المستر سمارت أنهم يقدرون كل وطنى مخلص لبلاده ولو كان من ألد أعدائهم، ويحترمون ويحنون الجباه لكل مجاهد نظيف ، وأنهم لذلك لا يغضبون منه ولا يحقدون عليه مهما قال فيهم ومهما أثار الشعب عليهم .

وعلى الرغم من زيارات أقطاب الحكام الإنجليز له فى بيته ، فلم يدخل حافظ دار المندوب السامى البريطانى طوال حياته . وظل حافظ على ولائه لبلاده ودعوته ضد الاحتلال رغم الصداقات الخاصة التى قامت بينه وبين بعض رجاله ، مثلما كانت تقوم بيننا ونحن طلبة بالمدارس الثانوية وبين أساتذتنا الإنجليز فى مدارسنا من صـداقات ، وكثيرا ما كانوا يدعوننا إلى حفلات شاى صغيرة يقيمونها لنا فى بيوتهم . ورغم وجودنا فى بيوتهم وجلوسنا إلى موائدهم لم يكن يحلو لنا الحديث إلا فى السياسة وإلا فى وجوب جلاء الإنجليز عن مصر واستقلالها التام بشؤنها . . وكثيرا ما كانوا يصححون لنا بعض التعابير عندما كنا نقول مثلا تسقط إنجلترا باللغة الإنجليزية .

والحق يقال . . إن الإنجليزى كفرد رجل ممتاز وصديق طيب، أما الإنجليز لحكومة وسياسة فالصورة معكوسة تمـاما، هى القبح كله والغدر كله والانتهازية كلهـا .

وما دمنا نتحدث عن صداقات حافظ ، فما أكثرها وما أكثر تنوعها . ولعل السبب فيها بساطة فى نفس الرجل ، وروح طيبة وديعة مرحة ، ونفس متفتحة متقبـلة للناس جميعا لا تعقيـد فيها ولا التواء . ولذلك كنت تجـد من أصفيائه وأحبائه أمراء البيت المـالك وشيوخ الأزهر والآباء الروحيين والوزراء والعظماء وأقطاب الأحزاب وأساتذة الجامعات والأطباء والمحامين والمهندسين ومن جميـع المهن ، حتى من لا مهنة له من عامة الشعب ... قلبه مفتوح للجميع وبيته مفتوح للجميع ويده مبسوطة للجميع .

ـ وبكل اختصار كان الرجل مثلا حيا لمصر . . بل لقد تجسدت مصر فيه كلها ، بترفعها ، بإبائها بشممها بطيبتها ببساطتها بصـدقها ، بعنادها ، بقوتها بصلابتها بصبرها على المكاره ، بأخلاقها بديمقراطيتها بإيمانها بالله الواحد الأحد .

بقى أن نسأل أنفسنا ، هل وطنية حافظ ومكانته كانتا السبب الوحيد فى إقبال تلك الجموع المتباينة عليه أم أن هناك سببا آخر . . الواقع أننـا نرى أن الوطنية وحدها لا يمكن أن تكون السبب الوحيد لذلك ، فقـد كان الرجل حلو المعشر ساحر الحديث ، حاضر البديهـة رائع النكتة راوية للشعـر والأدب ولطائف النوادر من الطـراز الأول ، ولنتصور ما كان يحـدث إذا اجتمع حافظ والشيخ عبد العـزيز البشرى والدكتـور محجوب ثابت فى مجلس ، ولكل منهم شخصيته الفكهة المرحة النادرة المثال والتى قل أن يجود بمثلها الزمان .

بقيت جزئية أخيرة فى سيرة حافظ تتعلق بشخصه ، فقـد تزوج حافظ بعد عودته من السودان ببضع سـنين من إحدى قريبات زوج خاله . ولكن لم تطق طبيعة حافظ المنطلقـة قيود الزوجية ، وانتهى الأمر بالفـرقة بين الزوجين ولما تنقض على الزواج بضعـة أشهر ولم يعد حافظ بعـد هذه التجربة إلى الزواج أو التفكير فيه .

وكان حافظ بارا بأهله ، يزورهم دائما فى بيوتهم ، ويدعوهم دائما إلى زيارته فى داره ، ويساعدهم بكل ما فى طوقه . كفل طفلة يتيمة اسمها جليلة ، ورباها فى داره حتى كبرت فزوجها وأثث لها بيتها وظل يواليها برعايته حتى لقى ربه . كما ربى طفـلة أخرى هى إحدى قريبات زوج خاله ، اسمها رفيعة حتى كبرت ولحقت بأهلها قبيل وفاته .

وهو لم ينس رعاية السيدة أمينة هانم زوج خاله المرحوم المهندس محمد نيازى له أثناء إقامته معهما فى مصر وطنطا على ما أسلفنا . فعنـدما مات خاله ولم تكن لزوجه أمينة هانم من يكفلها ضمها حافظ إليه معززة مكرمة وأصبحت سيدة داره والقيمة عليه . ولما توفيت قبل وفاة حافظ بحوالى ثلاث سنوات قام على خدمته خادمه حسن الذى أخلص له كل الإخلاص فعينـه حافظ وزيرا لماليتـه المضطربة ، يعطيه مرتبه كله لينفق على البيت ، ويسحب منه ما يحتاج إليه من مال ، فلم يكن حافظ يطمئن إلى نفسه وإلى سلامة تدبيره الذى كثيرا ما أوقعه فى أزمات .

*
* *

المبحث الثالث : فى طبيعة الشاعر كإنسان وما يتميز به من خصائص :

علمنـا مما سبق أن شاعرنا رجل من عامة الشعب ، نشأ وربى فى أحيائه الوطنية بين أترابه المصريين البسطاء . كما علمنا ما اكتنف حياته منذ نشأته وفى أدوار طفولته وشبابه من مآس بفقد أقرب الناس إليه بالوفاة ثم بانتقاله من بيت أبيه بعـد وفاته إلى بيت جده بالمغربلين إلى بيت خاله بحى الخليفه بمصر وطنطا وقيـام خاله برعايته والإنفاق عليه حيث لم يورثه أبوه مالا ، ولا شـك فيما تركه ذلك كله فى نفسه من جروح غائرة، فكان بادى الحزن والتجهم ما انفرد بنفسه، أما إذا خرج للناس فعكس ذلك تمـاما ، لا تشاهد منه إلا المـرح ، والفكاهة الحـلوة ، والنادرة المستملحة . وقصارى القـول إنه حيث كان يوجد حافـظ يوجد السرور وتعلو الضحكات والقهقهة التى تنبعث عالية حتى من أشد الرجال تزمتا ووقارا .

ما السر فى هذا . . هل ما يقال من أن شر البليـة ما يضحك ؟ وأن الشىء إذا زاد على الحـد انقلب إلى الضد ؟ كما تدمع عيوننا من شدة الضحك ؟ أو تجمد العيون عن الدمع عند إشتداد البلوى ؟

ومع ذلك فلا نكاد نرى لفكاهة الشاعر أثرا يذكر فى شعره، وإنمـا هو جاد كل الجد فيه ، رزين فيه كل الرزانة ، بل كثيرا ما تلمس فى شعـره من القوة والعنف والحزن الدفين والألم الممض ما لا يتصور فى قائلها أن يكون مرحا فكها بساما فى حياته الإجتماعية .

والذى أعتقده أن شـعر الشاعر كشاف لخبيئة نفسه ، ما صدق مع نفسه وصدق فى شعره ، أما الحياة أمام الناس وما يرتديه لها من ألبسة وأقنعة ، فكلها مظاهر خارجية قد تقتضيها الظروف وترغم بها .

فطبيعة شاعرنا إذن هى الطبيعة الجادة التى نطقت بها شاعريته المنبعثة من قرار مكين فى نفسه . أما المرح والدعابة والفكاهة التى اشتهر بها بين الناس، فقد تكون من باب إنسانية الشاعر ، فما ذنب الناس ليحملهم همومه ومتاعبه ، وماشأنهم فيما لاحقه به الدهر من مآس ونكبات، ألا يكفى الناس مايحملونه منها؟ أما يكفيهم ذل الأسر والإحتلال ونكبة الوطن ليزيدهم همه فوق همومهم .

إن المنكوبين المهمومين أحق الناس بالتسرية عنهم ، فلماذا لا يكون عاملا على ذلك وقد أحب وطنه ومواطنيه الحب كله ، ذلك الحب الذى ملأ عليه فؤاده ومشاعره ولم يجعل فيها مكانا لحب آخر .

وخلق الإنسان هو نتاج طبيعته الخاصة والمظهر الذى يبدو فيه للناس ، فإذا نحن تكلمنا عن خلق إنسان فإنما فى الواقع نتكلم عن طبيعته كما يكشف عنها خلقه .

وتأسيسا على هذا يمكن تلخيص طبيعة حافظ فى أنها طبيعة حزينة ، يلفها أمام الناس برداء كثيف من المرح والفكاهة لعل السبب فيها ما ذكرنا من الإشفاق على الناس، ولعلها الكبرياء الطبيعية فيه، فقد يرى فى الحزن ضعفا لا يليق بالرجال، ولعله أخيرا التنفيس الطبيعى عن النفس ، شأنه فى ذلك شأن المصريين جميعا ، حيث يقابلون كل مأساة أو نكبة بالنكتة اللاذعة والسخرية القارعة .

ومن المظاهر الواضحة فى طبيعة حافظ أيضا أنها طبيعة قلقة لا تستقر على حال ، كما أنها طبيعة جادة فى تناوله الشعر وتخير الأبواب الجادة منه ، فى بساطة نفس أدت إلى بساطة فى الأسلوب وبساطة فى العرض وبساطة فى التناول ، بغير عمق ولا تعسير ، كل ذلك فى رصانة وقوة أداء وقوة فى الإقناع . يعرف مواطن الحساسية فى النفس فيضرب عليها حتى يشد إليه الأسماع والأفئدة والمشاعر جميعها .

بقيت مسألة أخيرة تتعلق بطبيعـة الشاعر وما يتميز به من خصائص ، أود أن أتعرض لهـا ، استكمالا لهذا المبحث من المقدمة ، وردا على أسئلة كثيرة راودت نفوس الباحثين وأفكارهم فى شعره، ويمكن إيجازها أو تضمينها السؤالين التـاليين :

السؤال الأول — ما هـذه البساطة اللغوية الواضحة فى شعر حافظ ، إذا ما قورنت بشعر زميله ومعاصره أحمـد شوقى ؟ صحيح أن شـعر حافظ من نوع السهل الممتنـع ، وهذا إعجـاز فى حد ذاته، ولكن هل لهـذا سبب يرجع إلى حصيلة لغوية ضيقة أو محدودة ؟

السؤال الثانى — كيف يكون هـذا الشاعر الضخم بلا مكتبة خاصـة يرجع إلى كتبها عنـد الحاجة ؟ بل كيف تنتهى حياته وبيتـه خالٍ من قصائده حتى يُرجع إلى الصحف والمجلات العديدة فى جمعها ؟

وللاجابة عن هذين السؤالين وغيرهما من الأسئلة العديدة أقول :

إن حافظا كان عالمـا من علماء اللغة العربية، درسها فى الكتاب وفى المدارس الأميرية ، ثم درسها دراسة أزهرية مستفيضة فى الجامع الأحمدى بطنطا ، وبمـا كان يقرأه ويستوعبه من أمهـات الكتب العربيـة ، وعلى رأسها وفى مقدمتها القرآن الكريم الذى أصبح من قديم المرجع الثبْت الوحيد للغة العربية .

لا محل للشك مطلقا فى علو كعب حافظ فى اللغة وتعمقه فيها ، ثم لم يوجد كتاب فى اللغـة أو فى الأدب ، ولا ديوان للشعر ، لم يطلع عليـه حافظ أو لم يدرسه دراسة واعية مستفيضة . بهذه الحصيلة الوفيرة الغنيـة ، لم يكن متمكنا

من اللغة فحسب ، بل كان مرجعا موثوقا به فيها ، يرجع إليه كثير من الكتاب والأدباء والشعراء فيما قد يتشككون فى صحته . .

وكان لحافظ من اسمه أوفى نصيب . . كان قوى الحافظة بغير حدود . . لا يقرأ كتابا حتى يستطيع أن يعيد ما قرأه بألفاظه وأرقام صحائفه مهما طال به الزمن على قراءته . .

والأعجب من هذا ، أنه لم يكن يستعين بورقة وقلم فى نظم قصائده ، بل كان ينظم القصيدة من مطلعها إلى نهايتها فى ذهنه . . ينظمها ويهذبها ويرتب أبياتها ، ويقدم فيها ويؤخر ، كل ذلك يتم فى ذهنه ، ثم يقبل على الحفل ، ويلقى قصيدته من الذاكرة ، وكان رجال الصحافة يُعدُّون أنفسهم له لسرعة التدوين حتى لايفوتهم شيء منها .

فليس بصحيح إذن ، الظن بأن حصيلة حافظ اللغوية حصيلة ضحلة أو محدودة ، ولكن الصحيح أن حافظا اختط لنفسه أن يكون شاعر الشعب ، فكان عليه إذن وهو يخاطب الشعب أن يتخيّر من الألفاظ والعبارات والأساليب ما يسهل فهمه على الكافة ، وإلا انعزل عن الشعب لاختلاف لغة التفاهم بينه وبينهم . . ولاشك فى صعوبة مخاطبة الشعب بالعربية الفصحى ، وبالشعر أيضا ، وبالأسلوب وبالمعانى المؤثرة النافذة إلى صميم النفوس والوجدان ، وتلك قدرة وعبقرية انفرد بها حافظ ولا جدال . .

وقد بلغ من حرص حافظ الشديد على البساطة اللغوية مع الجزالة والمتانة الشعرية ، أنه تخيّر رجلا من عامة الشعب ، اعتبره المستوى العام لفهم « ابن البلد » المصرى ، وكان اسمه على محمود حسن الكرساتى ، فكان يعرض عليه أولا كل قصيدة يضعها ، بيتا بيتا ، فإذا وجد منه فهما للبيت أجازه ، وإلا غيّر وبدّل ،

بل وحذف أحيانا ، حتى يطمئن الى أن كل الشعب المصرى بمستوياته الثقافية المختلفة سيفهم وسيعى كل بيت فى القصيدة ، فإذا فهم الشعب المصرى فهمت بعده كل الشعوب العربية فى مختلف أرجائها ..

وكانت حافظة حافظ النادرة قد أغنته عن الرجوع إلى كتب اللغة وآدابها ، ثم كان فى عمله بدار الكتب المصرية كل الغنى عن الحاجة إليها أيضا ، وقليلا ما كان يرجع إلى بعض الكتب ويطلب صفحات معينة فيها للاستيثاق مما فى ذاكرته منها ، وأشهد ، ويشهد معاصروه وقد أصبحوا أقل من القليل ، أن ذاكرته لم تخنه فى يوم من الأيام ، لا فى الموضوع الذى أراده ، ولا فى صفحة نشره .

ولقد كانت حافظته السبب فى عدم اهتمامه بتدوين قصائده والاحتفاظ بها فى بيته ، فقد كان يستطيع أن يعيد على المسامع قصيدة قالها من عشرات السنين ويذكر مناسبتها ويوم القائها بل ومن حضروها من الشخصيات البارزة وقتها ..

فلما فاجأه الموت ، وقع المحظور ، وفقدنا بفقده كثيرا وكثيرا جدا من تراثه الغالى الثمين ..

أعتقد أن ما رددت به من ذلك على أسئلة السائلين قد أقنعهم ، وسد ثغرة كانوا يجدونها فى بحوثهم عن حافظ ، وقفوا إزاءها حائرين طويلا .

المبحث الرابع — فى شعر حافظ

الشعر فى حقيقته روح وإحساس وعاطفة . وقد جاء لفظ الشعر من الشعور . ويجب أن تكون الروح فى الشاعر صادقة مرهفة والإحساس لديه عميقا نافذا والعاطفة قوية جياشة حتى يمكن أن يطلع بشعره على الناس فكرا صائبا وعرضا

جميلا لما يهمهم وينفعهم . وليس لدى الناس كلهم الشعور الصادق المرهف ، ولا الإحساس العميق النافذ ، كما أنه ليس لدى كل الناس تلك النظرة الفاحصة المدققة اللاقطة لما يقع تحت بصرها من مرئيات ومشاهد ، يستبطنها ويستنبط منها ، ولكن هي ميزة لا تتوافر إلا فى الأديب والشاعر . ثم إن الشعراء والأدباء يتفاوتون فى ذلك أيما تفاوت ، ومن هنا يجىء شعراء المرتبة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة والرابعة وهكذا تبعا لما منحه الله للشاعر أو الأديب من وفرة فى الشعور والإحساس والعاطفة . ثم تأتى بعد ذلك القدرة على التعبير عن الشعور والأحاسيس ، وفى ذلك يتفاوت الشعراء والأدباء أيضا . وإذا كان صدق الشعور ورهافته ، وعمق الإحساس ونفاذه فى النفس ، هبتين من هبات الله للأديب أو الشاعر ، فكذلك القدرة على التعبير هى أيضا هبة من أجل الهبات ، ولكن بقدر : إذ على الإنسان أن يقوى من هذه القدرة و ينميها كملكة من أهم الملكات ، بالاطلاع والدرس واستيعاب جلائل ما أبدعته قرائح القدامى ، ليكوّن نفسه كأديب لا غنى له عن ذخيرة وفيرة تساعده وتثرى شعره بما تعطيه له من نماذج وتعبيرات وطرق فى تناول الموضوعات التى يطرقها . فالشاعر كالنحلة ، تسقط على ما يبهرها أو يجذبها من روائع الزهور ، فتمتص من رحيقها ما تمتص ، ثم تخرج ما امتصته بعد ذلك غذاء آخر شهيا نافعا للناس ، وكلما حسنت تغذية النحل . واختير لها من أنواع الزهور ، كان نتاجها . فمن النحل ما يعطيك عسلا برائحة الزهور ، أو برائحة البرتقال أو بلا رائحة ، ولا يتأتى لها هذا بطبيعة الحال إلا بالنوع الذى استمدت منه رحيقه ، ومع ذلك فليس كل ما يعطيه النحل عسل ، فمن النحل ما لا يصيبك منه إلا لسعاته ، وكذلك الشاعر .

اذن فالعناصر التى تكون الشاعر ثلاثة ...

العنصر الأول : هو الموهبة التى لا غنى عنها ولا محيص، وتلك من هبات الله جل شأنه ، يمنحها من يشاء من عباده ولا دخل للانسان فيها .

وهنا نجد الفارق واضحا وكبيرا بين الشاعر والناظم . فالناظم فاقد الموهبة وإن تعلم أوزان الشعر وبحوره ، فيضع نظمه بلا روح شعرية فيكون شعره أشبه بالزهور الصناعية ، لاروح فيها ولا شذى ولا تأثيرا جماليا لها تنفعل به النفس .

العنصر الثانى : هو القدرة على التعبير عما يحس به الشاعر ويحرك مشاعره . وعلى كل ذى موهبة شعرية أن ينمى من هذه القدرة بالقراءة والاطلاع والعلم بالأساليب وأصول اللغة وعلوم البلاغة وقواعد الشعر ، فهى أركان التعبير وأدواته ، وهى الجزء الذى يجب على الشاعر أن يستكمله فى نفسه بنفسه . وبمعنى آخر هى الجزء العلمى المكتسب فى أمر أساسه الموهبة .

والعنصر الثالث . والأخير هو ثقافة الشاعر ، فبقدر ما يثقف الشاعر نفسه بثقافات عصره المتنوعة يجىء شعره بقدرها ، بل عليه أن يزيد من حصيلته الثقافية حتى يسبق عصره أو يواكبه على الأقل بفكره فيما يقول . وكلما زادت ثقافة الشاعر زادت قيمة شعره وعلت مرتبته .

وفى شاعرنا حافظ نجد أن العنصرين الأول والثانى قد توافرا فيه إلى حد بعيد، فالموهبة الشعرية قد وضحت فيه كل الوضوح ، بل هى التى قادته فى مقتبل صباه إلى أن يتفرغ لها ، أما قدرته على التعبير فقد كان خبيرا بارعا متمكنا منه ، يسلس فى الصياغة ، ويحسن اختيار الكلمات ، ويضع اللفظ موضعه تماما .

بل إنه تفوّق فى ذلك تفوّقا واضحا فى صياغته للشعر ، ولا نعـدو الحقيقة إذا قلنا أنه أول من صاغ الشعر صياغة خطابية تتفق وطبيعة موضوعات شعره وتزيده جلالا وتأثيرا وانتشارا . أما عن العنصر الثالث وهو ثقافة الشاعر ، فقد تناولها المرحوم الأستاذ أحمد أمين بقوله :

« ولكنه أكمل ثقافته ، ووسـع معارفه من نواح متعددة ، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب وأطال النظر خاصة فى كتاب الأغانى ، فقد حدث أن قرأه مرات ، وتحـدث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر فى دواوين الشعراء ويتخير من أمثال شعر بشار بن برد ، ومسلم بن الوليـد وأبى نواس ، وأبى تمـام ، والبحترى ، والشريف الرضى ، وابن هانىء الأندلسى ، وابن المعـتز ، والعباس ابن الأحنف ، وأبى العلاء المعرى ، يدل على ذلك ما كان يحفظ من متنخل الأدب وعيون الشعر . فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك ، حتى لقد خيل إلىّ أنه لو دوّن ما يحفظه لفاق أبا تمـام فى اختياره « ديوان الحماسة » إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظة قوية تسعف ذوقه وتلبى اختياره . فما يختار جيدا من القول حتى يرتسم فى حافظته ، ويبقى فى ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك فى شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مستفيضة فى عمق ولم يرسم له خطة يلتزمها فى الدراسة ، بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة ومن تلك رشفة ، فهو يرضى ذوقه فى أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة ، فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اختزنه فى نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الراتبة المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ، عمل فى المحاماة فلم تعجبه ، واشتغل فى « البوليس » فمله ، وفى الجيش فسئمه ، ولولا أنه كان حرا طليقا — إلى حد كبير — فى دار الكتب لملها

أيضا ، ثم كانت هـذه الفوضى فى قراءته يتبعها إهمال فى حياته الأدبية ، فقلما يكتب قصيدته وقلما يحافظ على شعره ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعنى أن يكون فى بيته دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة ، كان لديه كتب تبعثر ، فيأتى زائر ويأخذ جزءا من الأغانى ، و جزءا من غيره ، حتى أنه لمـا مات — رحمه الله — لم يكن فى بيته من الكتب غير جزء من « تذكرة داود » وجزءا من تفسير الأحلام لابن سيرين ، فأما الأول فلأنه كان فى سنيه الأخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ، فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى « تذكرة داود » ليرجع إليها فيما يتخيل من ادواء ، وأما « تفسير الأحلام » فلأنه كان يعتقد فى الرؤى وأثرها فى حياة الإنسان ، وكان يرجع إليه فى التنادر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان فى ضيافة المرحوم سـعد زغلول باشا ، فى مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه يتنادرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد فى الأحلام وصحتها ، ويتفاءل بها فى آماله فى منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشيء آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهـو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الرأى فى الأمة ، فقد اتصل بالاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعدّ نفسه فتاه ، وكان يحضر بعض دروسه التى يلقيها على نخبة من الفضلاء فى منزله بعين شمس ، ويجلس فى مجالسه ، ويصحبه فى أسفاره ، ثم يغشى مجالس أمثال سعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم وكانت مجالسهم مدارس من أرقى المدارس ، تطرح فيهـا المسائل العلميـة ، والمعضلات السياسـية ، والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عولجت وما إلى ذلك — وحسبك بمدارس كان المعلم فيهـا أمثال محمد

عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل ، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التى صاغها فى شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء فى المقـاهى والمنتديات أمثال : خليـل مطران والبشرى ، وامام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيهـا الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيهـا الأدب وطرائفه ، فكان كل منهـم مفيدا عارضا سامعـا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسـية ، فمكنته من الاطلاع على شيء من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو ، وترجم بعض قطع لجـان جاك روسـو ، واشترك مع الأستاذ خليـل مطران فى ترجمـة كتاب « موجز الاقتصاد » وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزى ، كما ترى أثر ذلك فى ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافـرا من الأدب الغربى ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا فى شعره ، انمـا شعره — على الأكثر — نتـاج الأدب العربى ، والثقافة العربية والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقـد أتاح له بؤسه الامتزاج بغمار الناس ومجالستهم ومشاركتهم فى الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصـل بسـادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حماسة من حماستهم ، ويمتلىء وطنية من وطنيتهم » .

أما وقد اكتملت العناصر المكونة للشاعر فى شاعرنا فمـا هى الطبيعة التى تميز حافظا وشعره عن غيره من الشعراء ؟ . وما هى أبواب الشعر وفنـونه التى

طرقها وبرز فيهـا ؟ فليس من المفروض ولا من المعقول أن يبرز الشاعر، أى شاعر، فى كل نواحى الشعر وأغراضه، فحسبه أن يجيد فى باب أو بابين من أبواب الشعر اجادة تامة أو اجادة ملحوظة . والعبرة بالإجادة لا بالكثرة ولا بالتنوع . والعبرة ايضا بأن يعطى الشاعر ما تريده منه أمته وما يحتاج اليه شعبه وعصره . ولعـل ذلك ما يفسر لنـا تعريف البلاغة بأنهـا مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، كما يفسر لنا الحكمة العربية بأن لكل مقام مقالا .

فاذا كان ذلك كذلك ، فقد كان حافظ شاعر عصره ، وشاعر أمتـه وشاعر عروبته وشاعر شرقيته بل شاعر عالمه الاسلامى فى ذلك الحين .

حدث أن كنت أتناول الغداء على مائدة المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، وهو على ما نعلم كان أديب مصر والمؤرخ الكبير لقادة الإسلام ، والوطنى الوفى ، والسياسى العملاق البعيد النظر فى الأمور ، وكان يحلو له على مائدة الغداء أن نتحدث فى بعض المسائل الأدبية أو الفقهية أو السياسية ، فسألنى عن رأيى فى حافظ بعـد أن فرغت من حديثى عن بعض معجزات شوقى الشعرية . ولمـا كنت أعلم أنه كان صديقـا لكلا الشاعرين ومعجبا كل الإعجاب بكليهما ، ولمـا كنت أعلم أنه هو الذى وضع مقدمة ديوان شوقى، وأنه يعلم قرابتى لحافظ ، فقد صغت ردى على سؤاله صياغة ابتسم لهـا ، حيث قلت إن من دلائل عظمة حافظ ومكانته الشـعرية أنه استطاع أن يوجد له مكانا واسما الى جوار شوقى . وعجبت أيما عجب من تعقيبه على تلك الكلمة بقوله : ولم لا تقول إن من دلائل عظمة شوقى أنه استطاع أن يوجد له مكانا واسما الى جوار حافظ ، فقـد كان الوقت وقت حافظ ، والعصر عصر حافظ ، والمجال مجال حافظ !!! وسكت الأديب العالم الحصيف عند هـذا .. فاذا رجعنا الى ما سبق أن ذكرته عن ال

البلاد فى هـذه المقدمة ، أيقنا بأن البلاد وهى فى بالغ عسرتها الوطنية ، كانت أحوج ما تكون الى الشاعر الوطنى والى الشعر الوطنى ولا غير ، فالوصف والغزل والمديح وما أشبه لم تكن البلاد فى حاجة اليها ولا حاجة لشبابها و رجالها الى سماعها والالتفات اليها ، وفى مثل تلك الأبواب تحفل دواوين كبار شعراء العربية ممـا لا مزيد بعده لمستزيد .

إن البـلاد والشعب المكافح فى عسرته ، كانا أحوج ما يكونان الى الشاعر الذى يلهب حماسهم ويجمع صفوفهم ويبصرهم بأحوالهم ، ويذكرهم بأمجادهم ، ويضرب الأمثال لهـم ، ويعالج أدواءهم ويحيى دارس الآمال فيهم ، أما ما عدا ذلك فلا حاجة للبـلاد والناس اليـه ، فهى رفاهة وخيال ونعم ينكرها الشعب ، ويأباهـا القادة المصلحون لشعب عليه أن يكافح ويستميت فى كفاحه فى سبيل الحرية والاستقلال .

وكما قال أستاذنا الجليل المرحوم الأستاذ أحمـد أمين فى مقدمته : إن ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت فى شعره آمال أمته أولا ،وآمال الشعب العربى ثانيا . كانت الامة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشـكو من الاحتـلال ، وتشكو من تضييق الغرب على الشرق ، وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ، وكان حافظ بما له من حس مرهف ، وعاطفة حساسة يجمع كل ذلك فى نفسه ، فلما ثار على الشعر القـديم وحطمه ، بنى على أنقاضه شعره الجـديد فى الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ، وكان فى شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين وقادة الرأى الاجتماعيين ، يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم ، ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا

قويا ملتهبا، يفعل فى النفوس — وذلك شأن الشعر الحى — ما لا تفعله الخطب والمقالات ، فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره أحد فى ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ فى ذلك مواقف مختلفة، فتارة يقرع الامة تقريعا جارحا مؤلما على استنامتها واخلادها الى السكون واستسلامها للأجانب، وتارة تبدأ الأمة بحركة وتقف موقفا مشرفا فيحيي أمله ، و يبشر بعـد أن كان ينذر ، و يعاوده الأمل بعـد اليأس ، والرجاء بعد الخيبـة .. وهكذا يضطرب فى شـعره بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الأمة بين اليقظة النوم، والعمل والتواكل والاصابة والخطأ فهو صدى لها فى حركاتها ، وهو المدرس الحكيم الذى يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعـد ثورته على الشعر القـديم ، نظم فى موضوعاته ، ولكنه حتى فى هذه لاينسى مقامه ، ولا يجهل رسالته ، ولا يفوته غرضه ، فهو ينتهز فرصة تحية العام الجديد ، وتحية المليك ورثاء الفقيد ، وتهانى العيد ، ليبث فى ذلك كله عاطفته الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، وليبشر و ينذر ، و يرغب و يرهب ، فهو مجـدد من هذه الناحية ، فى موضوعاته الجـديدة وموضوعاته القديمة ، حتى فى وصفه لا يريد أن يخليه من غرضه الذى ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله أدبا صرفا فهو يشبه طول الليل بعهد الاحتلال الى كثير من أمثال ذلك. و يتغزل فى هـذا الطور من الحياة ، ولكن لا فى جارية ولا فى غلام، ويتغنى ولكن لا فى كأس أو مدام ، إنما يتغزل فى مصر ، ويتغنى بمصر ، و يأرق فى حب مصر .

لم يشأ حافظ أن يكون شـعره فى وطنياته طبـلا أجوف ، يقول قولا عاما لا يستند إلى مادة من حقائق ، و إنمـا اتخـذ ما يحـدث من أحداث اجتماعية

فى عصره أساسا لدعوته ، وسنادا لهجمته . فقــد كان يتربص كل حادث هام يعرض، فيخلق منه موضوعا لشعره، و يملؤه بما يجيش فى صدره . . كان فى شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه ، ويصوغ منها أدبا قيما يستحث الهمم و يدفع الى النهضــة ، ســواء أضحك فى شــعره أم بكى ، أمل أم يئس . ويتســع أفقه فى كثير من الأحايين ، فينظر الى الوحدة العربيــة ، والوحدة الإسلامية ، فكم قال فى علاقــة الشاميين والمصريين ، وفى الدعوة الى الإخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ، وكم قال فى علاقة مصر بالآستانة ، وتمنى نهضة الخلافة ورفع لوائها وعودة مكانتها ، وكم شعر فى وحدة الشرق وتعاونه وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقربا للقلوب داعيا الى ائتلاف الشعوب ، ينتهز لذلك كل فرصــة ، بل أحيانا يزيد اتساع أفقــه فينظر الى الانسانيــة كلهــا .

وقد أجاد حافظ كل الإجادة فى الرثاء واحسن كل الإحسان، وسبب ذلك أنه استطاع فى كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من حادثة فردية الى مأساة اجتماعية فموت الأســتاذ الإمام الشيخ محمــد عبده نكبة على مصر وعلى العالم الإسلامى ، وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة ، فهو يتسلل فى حذق ومهارة بعد تصوير الفقيد فى صورة كاملة الى المسائل العامة الاجتماعية، و بذلك يجلس حافظ على عرشه ، و يقول فى سهولة وجزالة ما برع فيه وفاق أقرانه » .

* * *

ولقد عاب البعض على حافظ أنه لايعتبر شاعرا من شــعراء الطبيعة ، كأن الطبيعــة هى كل شىء فى الحيــاة ، أو كأن من لا يصف الطبيعــة ليس شاعرا أو شاعرا محدود الشاعرية ، و ينسى أو يتناسى القائلون بهذا أن الإنسان هو أول وأكبر مظهر للطبيعة فى الوجود وهو أعقد مشكلاتها .

ولا نعدو الحقيقــة اذا قلنا إننا لا نجـد شاعرا أحسن فى وصــف الإنسان وحالاته وخلجات نفسه ما أحسن حافظ . واذا كان الإنسان مخلوقا معقدا بطبعه وطبيعته ، فإنه لا يتعرض لوصفه ووصف حالاته إلا ذو القدرة المكين .

ثم إن كل إنسان ، أديب أو شاعر، يستطيع ان يتعرض للطبيعة بالوصف، ولكن ليس أحد من هؤلاء يستطيع أن يتناول الإنسان بالوصف والتحليل وابراز المشاهد الإنسانية متناول حافظ لهـا ، ولنرجع الى قصائده فى الانقلاب العثمانى وفى حادث دنشواى ، وفى رحلتـه الى إيطاليا ، وفى زلزال مسينا وفى غيرها من قصائد له كثيرة ، تأكيدا لمـا نقول .

والشاعر بحق ، هو من ينقل أحاسيسه الصادقة بالطبيعة والحياة ، وشعوره بها، الى نفس ووجدان ومشاعر قارئه، ويترجمها له ترجمة دقيقــة واضحة المعالم اخاذة نفاذة . وهكذا كان حافظ وصافا للمرئيات والمحسوسات ، بعيدا عن مجرد الخيال المحض ، بما يعجز عنه أى معبر مهما بلغ من عمق ودقة وبلوغ قصد .

والطبيعة أيضا من المرئيات والمحسوسات،ولقد تناولهـا حافظ فيما تناول، ولكنه لم يتناولها إلا عبورا وبمناسبة تلفت اليها، فلم تكن فى غالبية شعره مقصدا من مقاصده ، ولا هدفا من أهدافه .

والعــبرة فيما يكتبـه الشاعر ، سواء كان وصفا أو غيره ، انه حيث يتناول موضوعا من الموضوعات أن يأتى فيه بجديد ، يتعمق فى الفكرة مع حسن العرض واكتماله . وكثيرا ما رأينا موضوعات نحسبها تافهــة أو رخيصــة ، فاذا تناولهـا الكاتب الكبير أو الشاعر الفحل ، تتغير فيها النظـرة ، ونعجب كيف كنا نصفها بهــذا الوصف . وعلى هذا يمكن أن نقول إن العــبرة بالمتناول وقدرته، لا بأهمية

الموضوع أو تفاهته، فالعظيم اذا تناول الحقير من الأمور أضحى الحقير بيده عظيما، وكذلك الصغير اذا تناول أجل الامور أضحى الجليل بيده مستصغرا تافها .

تحضرنى فى ذلك أبيات لشيخ المعرة، فى وليد توفى بعد ثلاثة أيام من مولده، فلننظر فى هـذا الموضوع اليسـير الذى لا غرابة فيه ، وكيف خرج من يد العظيم عظيما . قال أبو العلاء :

أعجبت بالطفـل الصغير بمهـده * لم يَخْطُ، كيف سرى بغير رواحل
قـد عاش يوميـه وعُمِّرَ ثالثـا * ثم استراح من المدى المتماحل
كم سار من سَـنَةٍ أبوه ، فيـاله * قطـع المسافةَ فى ثلاث مراحل
رُفِعَتْ له لُجَـجُ البحارِ فعامهـا * ونجـا ، وأصبح سالمـاً بالساحل

واذا كانت هـذه المقدمة قد طالت ، ولم يعـد فيها متسع للامثال من شعر حافظ على ما ذكرنا ، وهذا ديوانه كله بأيدينـا، إلا أننى لا أرى بأسا من إيراد وصفه لبعض المشاهد الإنسانية للدلالة على ما ذكرنا .

ففى زلزال مسينا الذى وقع فى إيطاليا وقضى على المدينة ومن فيها من الأحياء يصف هذا المشهد

رب طفل قد ساخ فى باطن الار * ض ينـادى أمى أبى أدركانى
وفتـاة هيفاء تشـوى على الجمـ * ـر تعـانى من حره ما تعـانى
وأب ذاهـل الى النـار يمشى * مستميتا ، تمتد منـه اليدان
باحثا عن بناته وبنيـه * مسرعَ الخطوِ، مستطيرَ الجنان
تأكل النـار منـه ، لا هو ناج * من لظاها ، ولا اللظى عنه وان

ثم هو يصل الى أعلى مراتب الإنسانية حين يدعو الى تبزع المصريين لغوث هؤلاء المنكوبين فيقول :

ذاك حق الإنسانِ عند بنى الانـــسانِ لم أَدْعُكُمْ إلى إحسانِ *

ويصف تنفيذ أحكام الأعدام والجلد فى أهالى دنشواى ، وزهو المستشار الإنجليزى فى ساحة الاعدام :

جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا * بحبال من شنقوا ولم يتهيبوا
شنقوا ولو منحو الخيار لأهّلوا * بلظى سياط الجالدين ورحبوا
يتحاسدون على الممات ،وكأسه * بين الشفاه، وطعمه لا يعذب
موتان ، هذا عاجلٌ متنمرٌ * يرنو ، وهذا آجلٌ يترقب
والمستشارُ مكاثرٌ برجاله * ومعاجزٌ ومناجزٌ ومحزب
يختال فى انحائها متبسما * والدمع حول ركابه يتصبب

ثم يختم القصيدة ببيتين سارا مسرى المثل مع ما فيهما من تقريع شديد للامة على استكانتها ، صاغها فى صورة نصيحة للعتمد البريطانى وقتئذ :

واذا سئلت عن الكنانة قل لهم * هى أمة تلهو ، وشعب يلعب
واستبق غفلتها ، ونم عنها تنم * فالناس أمثال الحوادث قلب

ومن المشاهد الإنسانية الدقيقة ما وصف به المرحوم الأستاذ حفنى ناصف كآب مفجوع فى ابنته التى فقدها فى قصيدته فى رثائها :

أنا لم أذق فقد البنين ولا البنات على الكبر *
لكننى لما رأيت فؤاده وقد انفطر *
ورأيته قد كاد يحرق زائريه اذا زفر *

وراَيتــه أنّى خطا * خطـوا تخبّـل أو عـثر

أيقنت معــنى الحــز * ن حزن الوالدين، فـا أمرّ

ولعـل أحدا من الشعراء والكتاب لم يبلغ ما بلغـه حافظ فى وصفه للرجل السياسى ، وهو ما جاء فى رثائه للمرحوم عبد الخالق ثروت باشا ، حيث قال :

لله سر فى بنـاية ثروت * سبحان بانى هذه الأعصاب

إنى سألت العارفين فـلم أفز * منهـم على عرفانه بجـواب

هو مسـتقيم مُلْتَوٍ، هو لينٌ * صلبٌ، هو الواعى هو المتغابى

هو حوّلٌ هو قُلَّبٌ، هو واضحٌ * هو غامضٌ، هو قاطعٌ هو نابى

ماجاء من باب لصيد دهائه * إلا نجـا بدهـائه من باب

والامثله على ذلك كثيرة ، لو استطردنا فيها لمـا انتهينا .

ومن ميزات حافظ الكبرى أنه كان يحسن إلقاء الشعر ، فكان يلقى قصائده بنفسه، ولا ينيب عنه أحدا فى إلقائها إلا ماندر لعذر قاهر يمنعه عن الحضور، كان جهير الصوت، قوى الاداء، إذا اعتلى المنبر اهتز تحته ، كأنها البراكين تتفجر، يعلو صوته كالرعد فى وطنياته ، وجموع الشعب تصغى فى اعجاب وانبهار وقد ملك عليها أفئدتها وأنفاسها وكل مشاعرها ، حتى إذا انتهى الى مقطع من مقاطع القصيد ، جاوبه الشعب بهدير وزمجرة تعبر عن شعورهم وتقديرهم ومكنون ضمائرهم . وإذا رثى لا يتمالك السامعون أنفسهم من البكاء والنحيب شعورا بمـا عبر عنه من فداحة المصاب فيمن يرثيه . . وهكذا كان رحمه الله ... كانت قوته أيضا فى إلقائه، حتى كان يؤثر عن المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد أنه قال : شعر حافظ لا يقرأ وإنمـا يسمع : ولو كانت فى عهده أجهزة تسجيل، لسجل شعره بدلا من طبعه .

والآن ، ما هى مكانة حافظ بين شـعراء عصره ؟ وما مكانته بين شـعراء العربيـــة .

عاصر حافظا شعراء كثيرون ، نذكر من كبارهم محمد عبد المطلب واحمد شوقى وخليل مطران وولى الدين يكن واسماعيل باشا صبرى ، ومن قبلهم محمود سامى باشا البارودى . إلا أن أكبر شاعر من هؤلاء المعاصرين كان بلا شك أحمد شوقى بك الملقب بأمير الشعراء والذى عاصر حافظا وزامله فى الشعر طول حياته : حتى لقد لقيا الله فى سنة واحدة هى سنة ١٩٣٢ ، حيث توفى حافظ فى ٢١ من يوليـه ، وقفاه شوقى فى ١٤ من أكتوبر من نفس السنة .

وقد انقسم الناس فى عهدهما فريقين : فريقا فضل حافظا وآثره عمن سواه ، وفريقا فضل شوقى كمعجزة شعرية مع حبه لحافظ واعجابه به ، وقليلا من وقف موقفا وسطا . كانت هـذه حال النـاس ، لا فى مصر وحدها ، بل فى مشارق الارض العربية ومغاربها .. ولكل وجهة هو موليها ..

ولقد تناول عميد الأدب العربى المرحوم الأستاذ الدكتور طه حسين فى كتابه « حافظ وشـوقى » فيما تناوله من دراسة الشاعرين ، اختـلاف الناس فيهما ، وتعرض للسؤال التقليدى الذى ثار بينهم حول من هو أشعر من صاحبه . ولعلنـا فى هذه العجالة نحسن اذا نحن أتينا بخاتمـة بحثه فى رده على هـذا السؤال .. حيث يقول الدكتور العميد :

« وصل شوقى فى شيخوخته الى ما وصل اليه حافظ فى شبابه ، لأن شوقى سكت حين كان حافظ ينطق ، ونطق حين اضطر حافظ الى الصمت . بالسوء الحظ ، ليت حافظا لم يوظف قط ، وليت شوقى لم يكن شاعر الأمير قط . ولكن

هل تنفع شيئا ليت ؟ لقد أسكت حافظ ثلث عمره ، وسجن شوقى « فى القصر » ربع قرن ، وخسرت مصر والأدب بسعادة هذين الشاعرين العظيمين شيئا كثيرا .

... كلا الشاعرين قـد رفع لمصر مجدا بعيدا فى السماء ، وكلا الشاعرين قد غذى قلب الشرق العربى نصف قرن أو ما يقرب من نصف قرن بأحسن الغذاء . وكلا الشاعرين قـد أحيا الشعر العربى ورد اليه نشاطه ونضرته ورواءه . وكلا الشاعرين قد مهد أحسن تمهيد للنهضة الشعرية المقبلة التى لابد من أن تقبل . هما أشعر أهل الشرق العربى منذ مات المتنبي وأبو العلاء ، هما ختام هـذه الحياة الأدبيـة الطويلة البـاهرة التى بدأت فى نجـد وانتهت فى القـاهرة وعاشت خمسة عشر قرنا والتى ستستحيل وتتطور وتستقبل لونا جديدا من ألوان الفن وضربا جديدا من ضروب المثل العليا فى الشعر . هما أشعر العرب فى عصرهما . . ولكن أيهما أشعر من صاحبه ؟

أفترى أن ليس من هذا الحكم بد ؟ أفترى أن تفضيل أحد الرجلين على صاحبه يغنى أو يفيد ؟ نعم ، ليس من هذا الحكم بد ، لأنه تقرير الحق الواقع ، وفى هذا الحكم نفع عظيم لأنه وضع للاشياء فى نصابها ، لأنه يبين للبتدئين فى الشعر من الشباب أين يكون المثل الأعلى .

أما أنا فلا أستطيع أن أقول إن أحد الشاعرين خير من صاحبه على الاطلاق . ولكن شوقى لم يبلغ ما بلغ حافظ من الرثاء ، ولم يحسن ما أحسن حافظ من تصوير نفس الشعب وآلامه وآماله ولم يتقن ما أتقن حافظ من إحساس الألم وتصوير هذا الإحساس وشكوى الزمان .

لم يبلغ شوقى من هذا ما بلغ حافظ . وهو بعد هذا أخصب من حافظ طبيعة ، وأغنى منه مادة وأنفذ منه بصيرة ، وأسبق منه إلى المعانى ، وأبرع منه فى تقليد

الشعراء المتقدمين ، لأن حافظا كان يقلد الالفاظ والصور ، وكان شوقى يقلد فيهما وفى المعانى أيضا ، ولشوقى فنون لم يحسنها حافظ وما كان يستطيع أن يحسنها .

شوقى شاعر الغناء غير مدافع ، وشوقى شاعر الوصف غير مدافع ، وشوقى منشىء الشعر التمثيلى فى اللغة العربية .

يلتقى الرجلان فى كثير ، ويفترق الرجلان فى كثير ، ولكنهما على كل حال أعظم المحدثين حظا فى إقامة مجدنا الحديث » .

بهذا انتهى الدكتور طه فى حكمه على كلا الشاعرين ، وليس بعد حكم الاستاذ العميد حكم ، وخلاصته أن حافظا وشوقى كانا أشعر أهل الشرق العربى منذ مات المتنبى وأبو العلاء ، وأنهما كانا ختام حياة أدبيـة طويلة باهرة بدأت فى نجـد وانتهت فى القاهرة ...

وأن ليس أحد الشاعرين خيرا من صاحبه ، فلكلا الشاعرين مجاله وميدانه . وأن كليهما قمة من قمم الشعر فى عصرنا الحديث .

وبهذا يكون رأينا فى مكانة شاعرنا حافظ وتحقيق مرتبته بين شـعراء عصره وبين شعراء العربية جميعا .

أما وقد انتهينا الى ما انتهينا اليـه ، فلم يعد أمامنا إلا أن نقدم الديوان بما حواه من ذخائر وقيم ، ودروس وعظات ، وتجديد للشعر فى موضوعاته ، قلما اجتمعت فى ديوان من دواوين الشعراء قديما وحديثا .

والله نسأل ، وهو نعم المسئول ، وخير مستعان ومأمول ، أن ينتفع به شباب مصر والعرب أجمعين ، وأن يكون لهم ضياء يستضيئون به ، ومثلا طيبا يحتذونه ، ودروسا فى الجهاد الخالص لوجه الله والوطن ، وتاريخا ولغة وأدبا يزيدهم ثقافة وعلما وبصرا بالحياة ؟

محمد اسماعيل كانى



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ديوان حافظ ابراهيم

للأستاذ أحمد أمين

معلومات رسمية عنه مستقاة من ملف خدمته المحفوظ الآن بإدارة المعاشات

(١) لم يعرف بالضبط تاريخ مولده، ولم يعرفه حافظ نفسه، كما أقر بذلك . وقد عُرض على القومسيون الطبي عند ما أريد تعيينه فى دار الكتب ، فقدّر سنه تسعا وثلاثين سنة . وكان الكشف الطبي عليه يوم ٤ فبراير سنة ١٩١١ ، برآسة الدكتور بتسى ؛ وهذا هو السبب الذى اعتمد عليه من قال : إنه ولد يوم ٤ فبراير سنة ١٨٧٢ م وهو سبب واهٍ كما ترى .

(٢) كتب حافظ بخطه ما يأتى : " ولدت فى ذهبية (أى حرّاقة) بالنيل، بالقرب من قناطر (ديروط) بالصعيد " .

(٣) كُتب الى (ديروط) للبحث فى الدفاتر عن تاريخ ميلاد حافظ، فأجابت بأنها بحثت من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٨٠ فلم تعثر عليه فى دفاترها .

(٤) كتب حافظ بخطه أن " أباه اسمه إبراهيم فهمى، واسم أمه الست هانم كريمة أحمد البورصه لى بك " .

(٥) الدبلومات والشهادات الحاصل عليها : " عريضة ملازم أول " .

(٦) وظـائفـــه :

	من	الى
فى وزارة الحربيـــة :		
ملازم ثان	١٨٩١/ ٢/١٣	١٨٩٣/ ٧/٣١
ملازم أول	١٨٩٣/ ٨/ ١	١٨٩٤/ ٥/ ٦
فى وزارة الداخليـــة :		
ملاحظ مركز بنى سويف ...	١٨٩٤/ ٥/ ٧	١٨٩٥/ ٣/٢٣
معاون بوليس مركز الإبراهيمية	١٨٩٥/ ٣/٢٤	١٨٩٥/١٠/١٥
فى وزارة الحربية ثانية :		
أحيل على الاستيداع	١٨٩٥/١٠/١٦	١٨٩٦/ ٣/١٧
ملازم أول بادارة التعيينات ...	١٨٩٦/ ٣/ ٨	١٩٠٠/ ٥/ ٢
أحيل على الاستيداع	١٩٠٠/ ٥/ ٣	١٩٠٣/١٠/٣١
أحيل على المعاش	١٩٠٣/١١/ ١	

(٧) كانت إحالته على المعاش بناء على طلبه، فقد كتب تظلما قال فيه "إنه مكث بخدمة الجيش ١٢ سنة، ولم يحصــل فيها على غير رتبة ملازم أول . ومضى عليه أربع سنوات وهو فى الاستيداع ، وأنه فقد الأقدمية ، ويلتمس إحالته على المعاش ليتمكن من وجود شـغل له يقوم بنفقته ونفقة عائلتـه الكبيرة التى لا يقوم مرتب الاستيداع بلوازمها" . "وبناء على ذلك تقرر إحالته على المعاش كالتماسه" .

(٨) كان مرتبه فى الاستيداع ٤ جنيهات .

(٩) فى أثنـاء خدمته بادارة التعيينات سافر الى السودان . وقد أمضى فيه مدة، منهـا :

يوم	شهر	
١٥	٩	فى سواكن .
٥	٢	« وطوكر .
—	١٠	قبلى حلفا .

(١٠) حينما أحيل إلى المعاش كتب وكيل الحربية ما نصه : "إن محمد حافظ إبراهيم الملازم أوّل المحال على المعاش سلم السيف والقايش (الذين كانوا فى عهدته)" .

(١١) عين رئيسا للقسم الأدبى بدار الكتب فى ١٩١١/٣/١٤ تحت الاختبار، بمرتب قدره ٣٠ جنيها . وفى ١٩١٢/٤/١ عين بصفة دائمة . وفى ١٩١٦/٢/٧ عين رئيسا للغيرين بدار الكتب أيضا .

(١٢) كتب وهو فى سنّ الخامسة والخمسين يطلب إحالته على المعاش ، وأن يعطى خمسين جنيها شهريا . لأنه خدم اللغة والأدب مدّة طويلة ، فلم يُجَب الى طلبه .

(١٣) ظل مرتبه فى دار الكتب يزيد الى أن بلغ ثمانين جنيها .

(١٤) أحيل الى المعاش من دار الكتب فى ١٩٣٢/٢/٤

(١٥) مجموع مدّة خدمته فى الحكومة : ٣٥ سنة و ٤ أشهر و ٢٩ يوما . وبيانها كالآتى :

يوم	شهر	سنة	
٨	٦	١٤	مدّة خدمته فى الحربية والداخلية .
٢١	١٠	٢٠	« بدار الكتب .

(١٦) ملف خدمته مملوء بطلب الإجازات الاعتيادية والمرضية . وفى سنة ١٩٢٣ طلب اجازة ثلاثة أشهر لقضائها خارج القطر ابتداء من ٣٠ غسطس .

حياته ـــ حوالى سنة ۱۸۷۲ م . كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة (ديروط) فى أعلى الصعيد، وكان يسكنها إبراهيم افندى فهمى أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط وزوجته الست هانم .

ففى يوم منها أو قريب منها ، ولد لهذه الأسرة فى هذه السفينة مولود سموه "محمد حافظ" وهو شاعرنا فيما بعد، فكان ذلك إرهاصا لطيفا، وإيماء طريفا، إذ شاء القدر ألا يولد "شاعر النيل" إلا على صفحة النيل .

كان أبوه "إبراهيم فهمى" مصريا صميما، وكانت أمه "هانم بنت أحمد البورصهلى" من أسرة تركية الأصل، تسكن "المغربلين" تعرف بأسرة الصروان، إذ كان والدها أمين الصرة فى الحج، فلقب بالصروان (القيّم على الصرة) ولقبت الأسرة به .

ومع أن الدم التركى كان يجرى فى عروقه كالدم المصرى، لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب، ولم يُشِدْ بذكر الأتراك إشادة (شوقى) بهم، لأن ما كان فى (شوقى) دم تركى أرستقراطى، وما فى حافظ دم تركى ديمقراطى؛ ولأن تركية شوقى غذتها بيئة القصور التى ولد ببابها، وعاش فى أكنافها، وتنفس فى جوها ؛ وتركية حافظ غلبتها حياته البائسة ، وعيشه فى أوساط الجماهير، واندماجه فى غمار الناس ، يعيش عيشتهم، ويحيا حياتهم، فماتت عصبيته التركية إلا نادرا ؛ فكان شوقى إذا شعر فى الترك وحروبهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتحدث عن قومه، يفخر بنصرهم ، ويعتز بعزهم، ويراعى العلاقة القوية بين عابدين ويلدز ، وبين الخديوى والخليفة؛ وإذا شعر حافظ فى ذلك لم تر عصبية جنسية، إنما هى عصبية دينية ووطنية، فهو يفخر بنصرة الترك، لأنها نصرة للإسلام، ويخشى على الخلافة لأن فى ضعفها ضعفا لدينه، وفى النيل منها نيلا من وطنه .

لم يعش أبو حافظ طويلا بعد ولادته، ولم يرزق ولدا غيره ؛ وقد توفى إبراهيم فى ديروط وحافظ فى الرابعة من عمره، فانتقلت به والدته إلى القاهرة، ونزلت عند أخيها، فتولى أمره، وقام بتربيته .

أدخله خاله مدرسة " تسمى المدرسة الخيرية " كان مقرها (القلعة) ، وكانت مكتبا تُعلَّم فيه القراءة والكتابة وشيء من العربية وشيء من الحساب .

ثم دخل مدرسة القِرَبية وهى مدرسة ابتدائية يُعلَّم فيها ما يُعلَّم فى المكتب على نمط أرقى .

ثم تحوّل إلى مدرسة المبتديان، ثم صار إلى المدرسة الخديوية ، ولكن لم يطل مقامه فيها ، فانتقل مع خاله " محمد افندى نيازى " إلى طنطا، وكان خاله هذا مهندس تنظيم بها .

وقد تعرّف به هناك الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وكان هذا طالبا بالمعهد الأحمدى، وذلك فى شعبان سنة ١٣٠٥ هـ — أبريل سنة ١٨٨٨م . وسنّ حافظ إذ ذاك نحو ستة عشر عاما . قال الأستاذ النجار : "عند ما عدت من القرشية إلى طنطا فى شعبان من تلك السنة ، رأيت إخوانى وأصدقائى يلوذون بفتى غض الإهاب، جديد الشباب، وقد أسرعوا بتقديمى إليه وتقديمه إلىّ، باسم الأديب الشاعر "محمد حافظ إبراهيم" ولم تمر إلا عشية أو ضحاها حتى أحسست من نفسى ميلا إليه بجاذب من الأدب الذى كان نهمة نفسى ، حتى آل ذلك إلى غرام بادبه وما يشتمل عليه من ظرف ولطف محاضرة، وبديهة مطاوعة، وسرعة خاطر، وحضور نادرة " .

" وقد قضينا رمضان هذه السنة نصلي المغرب والعشاء والتراويح معا، ثم نلبث في سمر ممتع، ومطارحة للشعر، ومذاكرة في نوادر الأدب، وما كان يطرفني به مما يقف عليه من جيد القريض، إلى أن يأتي وقت السحور، ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه إلى انبثاق الفجر. فنؤديه، ثم نخرج بغلس إلى خارج المدينة، ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع، فيذهب كل منا إلى بيته"(1).

فهو في سن السادسة عشرة يربي نفسه بالمطالعات، ويحفظ جيد الشعر، ويسمر به مع أصدقائه، ويقلده فيما يقوله هو من الشعر، لا عمل له ولا مدرسة إلا مدرسته التي أنشأها بنفسه لنفسه، وكان فيها وحده المعلم والمتعلم.

وحدثت حادثة طريفة تدل على شدة شعوره بجمال الطبيعة، وحسن ذوقه وجودة حسه؛ فقد رأى طائرا جميلا هو (اللَّقْلَق) أو كما يسمى في مصر «البَشَرُوش» في حديقة مدرسة الفرير بطنطا، فكان يفزعه بتحريك حلقة باب المدرسة ليرى جمال شكله وجمال حركته، واستمر على هذا حتى ضج رجال المدرسة، وأكمنوا له وقبضوا عليه، وأسلموه للضبطية، ثم عفوا عنه لما رأوا من سذاجته وطهارة الباعث على عمله(2).

طبيعي أن يمل خاله هذه الحال التي عليها ابن أخته، ولو كان أبوه حيا لملها منه؛ فشاب ليس في مدرسة، وليس له ثروة، ثم لا يتكسب، حالة توجب الملل؛ أشعره خاله بذلك، أو شعر هو به. فنظم له بيتين يدلان على ما في نفسه من ألم عميق، فهو يقول:

ثَقُلَتْ عَلَيْكَ مؤُونَتِي * إِنِّي أَرَاهَا وَاهِيَهْ
فَافْرَحْ فَإِنِّي ذَاهِبٌ * مُتَوَجِّهٌ في دَاهِيَهْ

(1) مقال للأستاذ النجار نشر في مجلة أبولو: يوليه سنة ١٩٣٣ (2) المصدر نفسه.

شعر ساذج فى سن الصبا ، ولكنه يكنّ عاطفة قوية حزينة . موقف أليم فى بيت خاله يذكّره دائما بيتمه وعدمه، ويصوّر له دائما بؤسه وشقاءه؛ وهذا يفسر لنا ما كان فى نفس حافظ من حزن عميق، وألم كامن، على الرغم مما يلوح على سطحها من ضحك وسرور .

يذكر لنا الأستاذ النجار أنه فى هذه الحالة، كان كثيرا ما يشكو الدهر ويندب سوء حظه، ويتبرم بأحداث الزمن . ويتمنى لو يوافيه حِمامه؛ فمن ذلك قوله :

عَجِبْتُ لِعُمْرِى كيف مُدَّ فَطالَا * وما أَثَّرَتْ فِيـه الهُمُومُ زَوالَا

ولِلمَوْتِ، ما لى قد أَراه مُباعِداً * وجُلُّ مُرادى أَنْ أُوَسَّـدَ حالا

فَللموتُ خيرٌ مِنْ حياةٍ أُرَى بِها * ذَلِيلًا وكنتُ السَّـيِّدَ المِفضالا

ماذا يصنع وقد ضاقت به السبل، وعضه الفقر، لقد أبى أن يأكل من بيت خاله، فمن أين يأكل ؟

كانت أمامه إحدى سبيلين : سلكهما قبله من كان على شاكلته ممن تعلموا علما لم يتبع نظاما، ولم يستند إلى «شهادة» وهى أن يكون معلما فى مكتب أو شبهه . كما فعل قبله (عبد الله نديم) وكثير غيره ، أو يكون محاميا، كلاهما إذ ذاك كان مهنة حرة يدخلها من شاء بلا قيد ولا شرط .

ولعل حافظا رأى أنه طلق اللسان، حسن التأتى الى ما يريد، مداور محاور، وأن المحاماة تدرّ على صاحبها إذا نجح ما لا يدرّ عليه التعليم إذا نجح . ففضّل أن يكون محاميا .

ولكنه لا يستطيع أن يفتح مكتبا، وينتظر شهرته " فذهب إلى أحد المحامين الشيخ محمد الشيمى المحامى بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده فى مكتبه ، وكان

يسافر إلى المحاكم الجزئية القرنية من طنطا، ويترافع فى القضايا ويكسبها؛ ثم اختلف معه وتركه" وترك له بيتين وهما :

جرابُ حظىَ قد أفرغتُه طمعا * ببابِ أستاذِنا الشِّيمى ولا عجبا

فعادَ لِى وهو مملوءٌ فقلتُ له * مِمّا؟ فقال: مِنَ الحسَراتِ وَاحَرَبَا

ثم انتقل بعد ذلك الى مكتب محمد أبى شادى بك بطنطا ، فمكث عنده مدّة كان فيها مغتبطا كل الاغتباط، وكان أبوشادى بك يرى نفسه قد عثر على كنز ثمين فكانا يتنادران بالأدب، ويتطارحان الشعر .

ثم خرج من مكتبه إلى مكتب عبد الكريم فهيم افندى المحامى ، فمكث فيه مدّة من الزمن يشتغل عنده"[1] .

* * *

لم تطمئن نفس حافظ إلى المحاماة، ولم ينجح فيها؛ ويرجع ذلك — فى نظرى — إلى أمور : فالمحاماة تتطلب عكوفا على درس القضايا وكتابة وقائعها ، ووضع مذكراتها ، وليس «حافظ» بالصبور على ذلك ، فهو يجيد الكلام ويجيد الدفاع بالخطرات تخطر له ، ولكنه لا يجيد البحث والكتابة؛ ثم كان فتى غرا، فهو فى السادسة عشرة، أو السابعة عشرة لم تحنكه التجارب، ولم تعلمه الأيام، إنما كان همه أن يستعرض ديوان شعر يقع منه على ما يرضى ذوقه، فيرتسم فى حافظته؛ أما العناية بكتب الفقه والقانون ومراجعتها، واستخراج الحكم منها، فعمل لم يألفه حافظ، ولم يدرسه، ولم يتذوقه، ثم هو ملول لا يشتغل فى مكتب واحد حتى يمله وهى خصلة لا تُنجح، كالتاجر يفتح كل يوم دكانا فى مكان ثم يغلقها ليفتح فى مكان

(١) المصدر نفسه .

آخر — وأخيرا — هو متلاف ، ينفق كل ما تصل اليه يده ، فلا يستطيع أن يقتصد ما يمكنه من فتح مكتب يعتمد فيه على نفسه .

فشل فى المحاماة ففكر فيما يعمل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا الى القاهرة ، ويدخل المدرسة الحربية .

يبدو هذا التفكير غريبا ، فأديب ناشئ ، ومحام فاشل ، يفكر فى أن يكون ضابطا !
لسنا ندرى الباعث على هذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودى الحربى الشاعر ، وقد يكون ما رأى فى نفسه من بسطة فى الجسم ، وقد تكون المصادفة البحتة هيأت له ذلك .

وأيا ما كان فقد دخل المدرسة الحربية واغتبط بدخولها ومنّى نفسه بمنصب حكومى يُضمن له فيه الرزق ، ثم يقول الشعر بعد ذلك ، يغنى به لنفسه ولإخوانه ، وظل فى المدرسة الى أن تخرج سنة ١٣٠٩ هـ — ١٨٩١ م ، فيكون عند تخرجه فى سنّ العشرين تقريبا .

وكانت المدرسة الحربية قد نظمت فى عهد الخديوى توفيق باشا عقب الثورة العرابية ، وأدخل عليها تعديلات جديدة ، وعين لها البكباشى هوليوت (Huleatt) الإنجليزى قومندانا ، وكان ناظرها اللواء لارمى باشا الفرنسى . وزادوا عدد تلاميذها الى بضع وتسعين ، وكان ذلك سنة ١٨٨٧ ؛ وجعلت الدراسة فيها نوعين : دروسا مشتركة لجميع التلاميذ ، ودروسا خاصة للأقسام ؛ فالمشتركة هى القوانين ، والتعليمات العسكرية ، والجغرافيا ، واللغة الأجنبية ، والطبيعة ، والكيمياء ، والرسم ؛ والخاصة هى الطبوغرافيا ، والاستحكامات ، والتمرينات فى الطوبجية والسوارى (والجنباز والشيش) . وعين المستر براين الإنجليزى أيضا فى وظيفة معلم أول بالمدرسة سنة ١٨٨٩ ، وأصدر السردار أمرا ببيان اختصاص القومندان والمعلم الأول

فكان اختصاص القومندان النظر فى كل شىء يتعلق بإدارة المدرسة، واختصاص المعلم الأول النظر فى البرامج؛ وبذلك سلب من الناظر الفرنسى كل شىء[1] .

هـذا هو عهد المدرسة أيام كان فيها حافظ، بدأت تتدخل فيها السلطات وتحدد برامجها، وتحـدّ من تعليمها . وكانت الثقافة فيها سطحية ضعيفة لم يستفد منها حافظ كثيرا من ناحية معارفه العامة، فما كان عنده من ذلك فهو ما استفاده من مطالعاته الشخصية .

عين فى الحربية بعد تخرجه وظل بها نحو ثلاث سنوات، ثم نقل إلى الداخلية ملاحظ بوليس فى بنى سويف، ثم الابراهيمية لأن مدرسة البوليس لم تكن أنشئت بعد فكان يؤخذ للبوليس من الحربية ، ثم أعيد للحربية . وسافر منها الى السودان فى الحملة الأخيرة التى كانت بقيادة اللورد كتشنر، وكانت منطقة عمله فى السودان الشرقى .

تبرم حافظ من عمله بالسودان ، وأكثر من الشكوى إلى أصدقائه، وعاوده داء الملل القديم، ولم يطق جوّ السودان، ولا جفاء العيشة فى السودان ، فتحسر على أصدقائه فى مصر، وليالى الأنس بها، وجوّها البديع، وعيشها الناعم، كما يدل على ذلك شعره فى هذه الفترة .

قال فى ذلك يصف حاله :

وما أعذرتُ حتّى كان نعلِي * دما ووِسادتى وجهَ التراب

وحتى صيّرتْنى الشمسُ عبدا * صَبيغا بعد ما دَبَغَتْ إهابى

وحتى قلَّمَ الإملاقُ ظُفرى * وحتى حَطَّم المِقدار نابى

متى أنا بالغٌ يا مصرُ أرضا * أشم بتربِها ريحَ الملاب

(١) انظر الجزء الثانى من حقائق الأخبار لاسماعيل سرهنك باشا .

وزاد حاله سوءا فى السودان كراهية كتشنر له ، إذ كان حافظ غير معنيّ بنظام ، ولا مراعيا حسن هندام ، وعبر عن ذلك بما كتب به إلى الأستاذ الإمام من السودان ، إذ يقول " وقعدت همة النجمين ، وقصرت يد الجديدين ، عن إزالة ما فى نفس ذلك الجبار العنيد ، فلقد نما ضب ضغنه علىّ ، وبدرت بوادر السوء منه إلىّ ، فأصبحت كما سر العدو ، وساء الحميم " الخ .

وكان رئيس فرقته رفعت بك يكرهه ، ويرفع التقارير السيئة عنه ، إذ كان حافظ يعمل الأراجيز فى ذمه يحدو بها هو وأصحابه ، فمنها قوله فيه :

تراه إذ ينفخ فى المزمارِ * تحسبه فى رتبة السردارِ
يجتنب العاقلَ والنبيها * ويعشق الجاهل والسفيها

* * *

وافادته أيام عمله فى المحاماة فاستغلها فى السودان ، فقد عرف بين إخوانه بقوة الحجة ، وحسن البيان ، فكان كثيرا ما ينيبه الضباط المتهمون فى الدفاع عنهم أمام المجالس العسكرية .

حتى إذا جاءت سنة ١٨٩٩ م حدثت ثورة فى السودان ، اتهم فيها ثمانية عشر ضابطا ، كان من بينهم حافظ ، فحوكموا وأحيلوا إلى الاستيداع .

وقد قال اللورد كرومر فى كتابه « عباس الثانى » عن هذا الحادث ما يأتى :

" عند ما شبت حرب جنوبى افريقيا ، عاد كثير — من أفضل الضباط البريطانيين ، الذين كانوا يقودون فرق الجيش السودانى — إلى فرقهم الأصلية فى الجيش البريطانى ، ونظرا لبعض الملابسات التى لا حاجة بى إلى ذكرها — والتى ما كانت تقع لو لم يضطر هؤلاء الضباط الخبيرون إلى السفر — حدث استياء فى الجيش

وجاهرت فرقة من فرق الجيش السودانى بالعصيان — وقد كثرت الإشاعة بأن الخديوى قد قال أقوالا تجعل الثائرين يعتقدون أنه راض عنهم عاطف عليهم . على أن الثورة أخمدت بدون إراقة دماء ، وحوكم عدد من الزعماء أمام المجالس العسكرية ، وحكم عليهم بالسجن مددا مختلفة ، وأرسلوا إلى مصر ليقضوها بها .

ولما حادثت الخديوى فى هذه المسألة ، رأيت من الحكمة أن أتجاهل ما كان يقال عن اشتراكه فى الثورة ، لأن ذلك لا سبيل إلى إثباته ، واقتصرت فى حديثى على وصف الحادثة والخيانة العظمى التى ارتكبها بعض جنده نحو سموه ، واقترحت عليه أن يرى المحكوم عليهم ، ويخاطبهم بكلمات اخترتها وعربتها له ، فوجد الخديوى نفسه فى مأزق حرج ، وموقف لا يدرى كيف يخرج منه ، لأنه إذا رفض يعرض نفسه للشبهة فى أنه حرض على الثورة فى جيشه ، كما فعل جده من قبله ، و إذا قبل يتضح للثائرين أن لا أمل لهم بمساعدته ، وبذلك يفقد كثيرا من احترامه ونفوذه فى الجيش ، على أنه — كما كنت أتوقع — اختار الأمر الأخير[1]" .

أثر هذا الحادث كثيرا فى نفس حافظ وملأه يأسا وخالط نفسه شىء ليس بقليل من الخوف ، فلم يقل فى ذلك شعرا ، أو قاله وكتمه ، وزاد فى خوفه و يأسه ، ما صار إليه أمر الثورة ، وأمر الأمير .

وخير ما يمثله فى هذا الموقف قوله :

إذا نطقتُ فَقاعُ السجنِ متكأٌ * وإن سكتُّ فانّ النفسَ لَم تطِبِ

ثم التمس إحالته إلى المعاش ، فأجيب إلى طلبه ، وكان قد أخذ يبحث عن عمل يعمله ، فعرض نفسه على جريدة الأهرام ليتولى عملا فيها ، و يظهر أن ذلك كان

(١) كتاب اللورد كرومر «عباس الثانى» .

بإيعاز الخديوى، لأنه شعر بتبعته نحو هؤلاء الضباط، وأنه هو السبب فيما آلت إليه حالهم، وأنه لا يستطيع توظيفهم فى الحكومة، فأخذ يسهل لهم الأعمال الحرة، يدل على ذلك أن الذى قدم حافظا لصاحب الأهرام هو شوقى بك . وصلته بالقصر معروفة. ولكن ذلك لم يتم، ولسنا ندرى السبب فى ذلك .

فظل بلا عمل يغشى مجلس الأستاذ الإمام ، وكان قد اتصل به أيام كان فى السودان ، فلما عاد زاد اتصاله به ، وعطف عليه الأستاذ ، وأنهله من علمه وفضله ، كما غشى مجالس الأدباء والعظماء، يسمع منهم ، ويغنى لهم بشعره وأدبه ، حتى كانت سنة ١٩١١ فساعده المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وعيّنه رئيسا للقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢، إذ أحيل إلى المعاش بعد أن ظل بها نحوا من عشرين سنة .

كما أعانه حشمت باشا، إذ طلب له رتبة البكوية من الدرجة الثانية، فأنعم عليه بها سنة ١٩١٢ م . ثم أنعم عليه بنشان النيل من الدرجة الرابعة .

فى سنة ١٩٠٦ بعد أن عاد حافظ من السودان، تزوّج من أسرة بحى عابدين ولكن لم يدم زواجه أكثر من أربعة أشهر، فافترق الزوجان، ولم يعقب منها ؛ ثم لم يعد بعد ذلك إلى الزواج .

وتوفيت والدته حول سنة ١٩٠٨ فظل يعيش مدة فى بيت خاله ، وبعد أن توفى خاله ، كان يعيش مع زوجة خاله نيازى بك الست عائشة هانم ؛ فكانت تدبر بيته، وتقوم بأمره ، وكانت لم ترزق بأولاد ، فكانت تتبنى بنتين وظلت تقوم بشؤونه الى أن توفيت قبل وفاة حافظ بنحو ثلاث سنين .

وفى بيت صغير بالزيتون من ضواحى القاهرة ، توفى حافظ فى الساعة الخامسة من صباح الخميس ٢١ يوليه سنة ١٩٣٢ ، أى بعد إحالته الى المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف .

دعا فى ليلة وفاته صديقين من أصدقائه لتناول الطعام معه ، ولكنه لم يستطع مشاركتهما لما أحس من تعب . فاقتصر على أن آنسهما بحديثه .

وبعد انصرافهما ازداد ألمه ، فأسرع خادمه إلى مخاطبة صديق له ليحضر ومعه طبيب ، فلما حضرا ، كان حافظ فى النزع الأخير ، وما لبث أن فاضت روحه ، رحمه الله .

أخلاقه — انتاب حافظا كثير من الشدائد منذ حداثته ، فقد مات والده صغيرا ، ولم يورثه ثروة . وكان بائسا فى بيت خاله ، ولم ينجح فى المحاماة ، وأصيب فى منصبه فأحيل إلى الاستيداع ، ثم إلى المعاش فى مقتبل عمره ، وكانت له إلى هذا نفس شاعرة ، وحس مرهف ، فأثر كل ذلك فى نفسه أثرا بليغا ، فهو ناقم على الدهر ، ناقم على قومه ، يكثر من شكوى الزمان وشكوى الناس .

ولكن أبت الطبيعة إلا أن تجد لثوران نفسه منفذا ، ولشقائه مسعدا ، فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة ، فضحك من البؤس ، ومن الشقاء ، ومن كل شىء ؛ وكان له ذوق بارع فى اختراع النكتة من كل ما يدور حوله ، فما يسمع حديثا ، أو يعرض أمامه شىء ، حتى يدرك موضع الفكاهة منه فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من أعماق صدورهم ، وقرارات قلوبهم ؛ فكان فى مجالسه موضع إعجابهم ، ومنبع سرورهم ، يرسل النكتة من بديهة حاضرة ، فتستخف الوقور ، وتستهوى الرزين ، فهو زينة المجلس ، وبهجة النادى .

ومن العجيب مع هذا أنك قلّما ترى للنوادر والنكات فى شعره مجالا ، فمن قرأ شعره وحده ، ولم يعرف شيئا من صفاته ، لا يشعر بأنه كان فكها مزّاحا ، وسبب ذلك أن الأديب فى كثير من الأحيان تكون له شخصيتان أو أكثر ؛ فله فى حياته العامة شخصية خاصة ، فاذا أراد أن يصوغ شعره أو نثره ، انصب فى قالب خاص ، وتقمص شخصية أخرى ؛ ولو قد أتيح له أن يُدخل كثيرا من فكاهته فى شعره ، لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير . وسبب آخر ، وهو أن الناس كانوا ينظرون إلى هذه النوادر ، كأنها من الأدب الشعبي الذى لا يصح أن يرتقى إلى الأدب الأرستقراطى ، ولذلك قلّ أن يدخلوا — حتى الآن — فكاهتهم ونوادرهم فى الأدب ، كما احتقروا القصة ، واحتقروا ألف ليلة وليلة ، وقصة عنترة ونحوها ، ولم يعرها الأدباء الراقون اهتماما إلا فى الأيام الأخيرة ؛ فكان حافظ إذا قال شعرا فى فكاهة أو مزح ، عدّه من سقط متاعه ، ولم ينظر إليه عند ما يتخير شعره للنشر أو التدوين .

* * *

ثم قد تعوّد فى حياته ألا يقيم للمال وزنا ، فهو كريم ، واسع العطاء ، ذاق طعم البؤس ، فعرف موقعه من الناس ، فسخت كفه ، ونديت راحته ، حتى لو ملك الدنيا كلها لفرّقها فى يوم واحد ؛ قد يعرض له الفقير البائس فيسمح له بما فى يده وهو أحوج ما يكون اليه لسدّ رمقه وتفريج همه .

وكما كان كريما على الناس فهو كريم على نفسه ، يمتعها بما تشتهى ما وجد الى ذلك سبيلا ، يأكل خير ما يؤكل ، وقد عرف إخوانه بيته بذلك ، ويدخن خير "سيجار" وأغلاه ، ويستمتع بكل ما تصبو اليه نفسه ، فاذا فرغ جيبه عرف كيف يصبر ؛ له يد صناع فى الكسب ، خرقاء فى الإنفاق ؛ خير أيامه وهو "موظف"

بضعة أيام فى أوّل الشهر، ثم لا شيء ، فاذا لم يكن "موظفا" فخير أيامه ما استفاد فيها مالا فحسب ، لو كان تاجرا لأضاع رأس ماله فى أوّل شهره ثم أعلن إفلاسه، ولو وضع ميزانية دولة لجعل الإنفاق كله فى أيامها الأولى ثم لا إنفاق . ومن طريف ملاحظاته فى ذلك أنه كان يقترح على الحكومة أن تعطى موظفها أكبر مرتب أوّل استخدامه، ثم تنقصه شيئا فشيئا كلما تقدّمت به السنّ، لا أن تعطيه مرتبا يزيد مع القدم؛ وكان يعلل ذلك بأنه يبدأ وظيفته وهو يبدأ شبابه ، وهذا هو زمن الإنفاق، فاذا هرم ثم شاخ فيكفيه القليل، وحسبه من غنى شبع وريّ .

ومع هذا فلم يكن سخيا بمنصبه سخاءه بماله ، فهو حريص على بقائه فى عمله بدار الكتب أشدّ الحرص ، ضنين به أشدّ الضنّ ؛ فهو لا يقول شعرا يغضب به أحدا من ذوى السلطان خشية أن يزحزحوه عن منصبه ، أو ينالوه بأذى فيه ؛ وإن قال شعرا سياسيا أخفاه ولم ينسبه إلى نفسه ، فقد قال قصيدته فى مظاهرة السيدات سنة ١٩١٩ ، ولكنها نشرت فى منشور من غير اسمه ، ولم تنشر فى الصحف إلا سنة ١٩٢٩ حين أمن عاقبة نشرها ؛ وكذلك قصيدته التى قالها حين خيف على الآستانة من احتلال الأجانب، لم تنشر إلا سنة ١٩٣٢، وهكذا؛ وما قاله من الشعر السياسى فى ذلك العصر — صراحةً — هادئ لين، أو فى ظروف تحميه؛ بل قد قال فى ذلك العهد أحيانا ما يخالف منهجه، ولا يجرى مع ما عرف من حماسته ، كقوله للمغفور له السلطان حسين يطلب اليه أن يوالى الانجليز ويمادهم حبال الود .

ووالِ القومَ إنهمُ كرامٌ * ميامينُ النقيبة أين حلّوا

وليس كقومهم فى الغرب قومٌ * من الأخلاق قد نهِلوا وعلّوا

وإن شاورتَهم والأمر جِدٌّ * ظفِرتَ لهم برأيٍ لا يَزِلُّ
فادِدْهم حِبالَ الوُدِّ وأنهض * بنا فقيادُنا للخير سَهْلُ

✣ ✣ ✣

ومن ثم كانت هذه الفترة فى حياته — وما أطولها — فترة نضوب فى شعره، وجمود فى قريحته إلا نادرا؛ فكان منصبه نعمة عليه، ونقمة على فنه، ومنفعة له، ومضرة على الناس — ولعل أيام بؤسه الأولى روّعته وأفزعته حتى قامت شبحا دائما أمام عينه تنذره بالويل والثبور، وعظائم الأمور، إن هو أصيب فى منصبه أو مسّ فى مرتبه .

ولعل ذلك الخوف لازمه بعد خروجه من وظيفته بإحالته إلى المعاش، إذ ألف حب الأمن واعتاده، وعقد عليه، حتى لقد أنشدنى قبيل وفاته قصيدته التى مطلعها :

قد مرّ عامٌ يا سعاد وعامُ * وآبن الكنانة فى حِماه يضامُ

وكانت نحو مائتى بيت ، يصف فيها وزارة إسماعيل صدقى باشا فأشرت عليه أن ينشر بعضها، أو يكتبها، أو يمليها، أو يحتفظ بها بأى شكل من الأشكال فقال : " إنى أخاف السجن، ولست أحتمله " .



ثم هو واسع الصدر فى نقدك شعره ، إذا كنت وهو على انفراد ، فاذا نشرت نقدك فى صحيفة أو على ملأ من الناس ، فهو غضوب أشدّ الغضب ، ناقم أشدّ النقمة : حريص على منزلته فى فنه أكثر من حرصه على شخصه ، حتى لأَحبّ إليه أن تهجوه من أن تهجو شعره .

*
* *

وثقافته الرسمية — إن جاز هذا التعبير — ثقافة محدودة، فهى لا تعدو دراسته فى مكتب أو مدرسة ابتدائية، ثم دراسة فنية وما تستلزمها فى المدرسة الحربية .

ولكنه أكمل ثقافتـه ، ووسع معارفه من نواح متعدّدة، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب،وأطال النظر خاصة فى كتاب الأغانى؛ فقد حدّث أنه قرأه مرات.

وتحدّث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر فى دواوين الشعراء ويتخير من شـعرهم ويحفظ ما يتخير من أمثـال شعر بشار بن برد ، ومسـلم بن الوليد ، وأبى نواس، وأبى تمـام ، والبحترى ، والشريف الرضىّ ، وابن هانئ الأندلسى ، وابن المعـتز والعباس بن الأحنف، وأبى العلاء المعـرّى . يدل على ذلك ما كان يحفـظ من متنخّل الأدب وعيون الشـعر ، فإذا جلست إليه أخذ يسـمعك من محفوظه ما يبهرك ، حتى لقـد خيـل إلىّ أنه لو دوّن ما يحفظه لفاق أبا تمـام فى اختياره "ديوان الحماسة" إذ كان حافظ يتخـير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظة قوية تسعف ذوقه، وتلبى اختياره ، فمـا يختار جيدا من القول حتى يرتسم فى حافظتـه ، ويبقى فى ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك فى شـعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة، ولم يقرأ قراءة مستفيضة فى عمق، ولم يرسم له خطة يلتزمها فى الدراسـة ؛ بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة، ومن تلك رشفة، فهو يرضى ذوقه فى أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة؛ فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اختزنه فى نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الراتبـة المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليـه تاريخ حياته ؛ عمـل فى المحاماة فلم تعجبه، واشتغل فى البوليس فملّه ، وفى الجيش

فسئمه ، ولولا أنه كان حرا طليقا — إلى حد كبير — فى دار الكتب لملّها أيضا .
ثم كانت هــذه الفوضى فى قراءته يتبعها إهمـــال فى حياته الأدبية ، فقلّمـــا يكتب قصيدته وقلمـــا يحافظ على شعره ؛ بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعنى أن يكون فى بيتـــه دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة . كان لديه كتب تبعثر ، فيأتى زائر ويأخذ جزءا من الأغانى ، وجزءا من غيره ، حتى إنه لمـــا مات — رحمه الله — لم يكن فى بيته من الكتب غير جزء من تذكرة داود ، وجزء من تفسير الأحلام لابن سيرين . فأما الأول فلأنه كان فى ســـنيه الأخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ؛ فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى تذكرة داود ليرجع إليها فيما يتخيل من أدواء ؛ وأما "تفسير الأحلام" فلأنه كان يعتقد فى الرؤى وأثرها فى حياة الانسان ؛ وكان يرجع إليه فى التنادر على بعض الأصدقاء ، فقد حُدّثنا أنه كان فى ضيافة المرحوم ســـعد زغلول باشا ، فى مســـجد وصيف ، وكان حافظ وصحبـــه يتنادرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد فى الأحلام وصحتها ، ويتفاءل بها فى آماله فى منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشىء آخر يعدّ مصـــدرا كبيرا من مصـــادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الرأى فى الأمة ، فقد اتصل بالأستاذ الإمام الشـــيخ محمد عبده ، وعدّ نفســـه فتاه ، وكان يحضر بعض دروسه التى يلقيها على نخبة من الفضلاء فى منزله بعين شمس ، ويجلس فى مجالسه ، وقد يصحبه فى أسفاره ؛ ثم يغشى مجالس أمثال سعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصـــطفى كامل ، ونحوهم ؛ وكانت مجالسهم مدارس من أرقى المدارس ، تطرح فيها المسائل العلمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عولجت

وما إلى ذلك — وحسبك بمدارس كان المعلّم فيها أمثال محمد عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل ، ولعل هـذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التى صاغها فى شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء فى المقاهى والمنتديات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وإمام العبد ؛ وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا مستفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فمكنته من الاطلاع على شيء من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو ، وترجم بعض قطع لجان جاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران فى ترجمة "كتاب موجز الاقتصاد" وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزى ، كما ترى أثر ذلك فى ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربى ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا فى شعره ، إنما شعره — على الأكثر — نتاج الأدب العربى ، والثقافة العربية ، والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقد أتاح له بؤسه الامتزاج بغمار الناس ومجالستهم ومشاركتهم فى الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر ، كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه ، وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حماسة من حماستهم ، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم .

شعره — منح حافظ عاطفة قوية ، ونفسا فنية سمت به عن أقرانه من نابتة العصر ، ومن طلبة المدرسة الحربية التى كان بها ، وإلا فما الذى جعله وسط صليل

السيوف، والتدريب العسكرى، وترويض الخيل، يتجه نحو الشعر يطالعه ويتذوقه، ويتخيره ويحفظه، ثم يحاول أن يقلده، وينظم على غراره؛ وكان له أسوة حسنة فى محمود سامى البارودى باشا، فقد تخرج فى المدرسة الحربية، وتعلم فنونها، وترقى فى رتب الجيش، وخاض معامع القتال، وكان ربَّ القلم، كما كان رب السيف، وكان مؤسس النهضة الحديثة فى الشعر، أعاد إليه بهجته الأولى ونضارته وقوته. فاتخذه حافظ مثله الأعلى يحذو حذوه، ويختط نهجه، ويأمل أن يبلغ فى الحياة مبلغه، فيكون ذا الرآستين، وحامل اللواءين، وقد عبر عن تقديره له للبارودى وإعجابه به فى قصيدة من قصائده يمدحه بها إذ يقول فيه:

أمير القوافى إنّ لى مستهامة * بمدح ومن لى فيه أن أبلغ المدى
أعرنى لمدحيك اليراع الذى به * تخط وأقرضنى القريض المسددا
ومن كل معنى فارسىّ بطاعتى * وكل نفور منه أن يتوددا
وهبنى من أنوار علمك لمعة * على ضوئها أسرى وأقفو من اهتدى
وأربو على ذاك الفخور بقوله * إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

ومدحه فى هذه القصيدة بالإجادة فى الحماسة والنسيب واللعب بالسيف والتفنن فى التشبيب، فكأنه فى مدحه البارودى يرسم لنفسه مثله، ويحدد مستقبله؛ وقد قلد البارودى أيضا فى ناحيتيه الأدبيتين، فقد عنى البارودى بالتخير من شعر الفحول، فاختار لثلاثين شاعرا من الشعراء المولدين، ثم أنشأ شعره، وجوّد نظمه، وكذلك فعل حافظ، فقد تخير وشعر، وحفظ ونظم. ولكن قعد بحافظ عن جمع مختاره ما عهد فيه من إهمال، ولولا نعمة الصحف والمجلات تنشر له بعض ما نظم لكان مصير شعره مصير مختاره.

ولكن شاء الله لحافظ أن يقارب شأو البارودى فى دولة القلم لا فى دولة السيف، فانتهى — على عجل — تاريخ حافظ الحربى بإحالته فى شبابه إلى المعاش، واستمر — طول حياته — تاريخُه الأدبى، فلم يحقق إلا شَطر رجاءَيْه، ولم يدرك من البارودى إلا إحدى دولتيه .

وكان حريا بحافظ أن يدرك أن ما ناله البارودى فى عهد الاستقلال، لا يمكن أن يناله حافظ فى عهد الاحتلال، إذ كيف يرضى الاحتلال أن يبلغ أحدٌ مبلغ العظمة فى الحروب، ومبلغ العظمة فى الآداب، والاحتلال هو هو الذى حطم سيف البارودى، بل وحطم قلمه القوى، وقدم له قلما آخر يشكو به الدهر، ويبكى على زمانه الغابر؛ ولكن أنى لشباب حافظ أن يدرك هذه الحقائق المرة، والشباب يهزأ بكل قوة .

على أنه يخيل لى أن حافظا لم يخلق رجلَ قتال؛ نعم كان منظره رجل حرب، فهو مستحكم الخلقة، وثيق التركيب، مفتول الساعدين، عريض المنكبين؛ ولكن لا أظن أن قلبه يشاكل جسمه، لقد ظل وهو فى السودان يشكو فى شعره حرَّه، ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة وترفها ونعيمها :

فمن لى أن أرى تلك المغانى * وما فيها من الحسن المقيم
وها أنا بين أنياب المنايا * وتحت براثن الخطب الجسيم
أتيتك والخطوب تزف رحلى * ولى حال أرق من السديم

وهكذا ظل فى السودان يبكى ويتوجع ويتشوق، ويستغيث بالأستاذ الإمام المرة بعد المرة أن يرده إلى مصر " ردّ الشمس قطرة المزن إلى أصلها، ورد الوفى الأمانات إلى أهلها" . وليست هذه بالنفس الحربية؛ ثم لما ثار الضباط

فى السودان وهو منهم، وطردوا وعادوا إلى مصر، وأحيلوا إلى المعاش ، لم ينطق بشكوى، ولم يثر على من ظلمه، ولم يهج من نكبه؛ ولكنه سكت واستسلم، وأخذ يسعى إلى وظيفة فى القصر، أو أن يكون شاعرا لخليفه أو أمير .

ولما عين فى دار الكتب سكت وأمعن فى السكوت ، إلا ما كان يقوله فى المواسم والحفلات ، أو ما تدعو إليه المناسبات .

كل هذا يرينا أنه كان مغاليا فى أمله — إن كان — أن يجمع فى يده بين السيف والقلم .

* * *

ولكن إن أخفق حافظ فى حربه فقد نجح فى شعره ، بدأ ينظمه فى أغراض اعتاد الناس أن ينظموا فيها، من مدح للخديوى والأغنياء، ومداعبة الإخوان ، والشكوى إليهم ، ونحو ذلك ؛ وقل أن تجد فى هذا النوع من الشعر معنى جديدا أو خيالا رائعا ، و إنما هو أسلوب من سبقه ومعانيهم وأغراضهم . ومع هذا فكان يرى فى نفسه أنه فى هذا العهد أكبر شاعر فى مصر لا يفضله إلا شوقى ؛ فيقول من قصيدته التى قالها سنة ١٩٠١ :

قل للألى جعلوا للشعر جائزة * فيم الخلاف ألم يرشدكم الله

إنى فتحت لها صدرا تليق به * إن لم تحلوه فالرحمن حلاه

لم أخش من أحد فى الشعر يسبقنى * إلا فتى ما له فى السبق إلاه

ذاك الذى حكمت فينا يراعته * وأكرم الله والعباس مثواه

وكان فى عصره من كبار الشعراء المصريين أمثال البارودى، و إسماعيل صبرى، وشوقى، ومحمد عبد المطلب .

ولكن يحق له هذا القول، لأن حظ مصر فى هذا العصر من الشعر، بل من الأدب عامة ، كان حظا ضعيفا ، فلم ير حافظ له ندا غير شوقى، لأن البارودى على إجادته وفتحه للناس باب الشعر الحى القوى بعد أن أغلق طويلا ، كان فى أخريات أيامه ، وقد برحت به الحوادث ، ودلف إلى القبر ، إذ أدركته وفاته سنة ١٩٠٤ .

وإسماعيل صبرى باشا كان أشعر من حافظ فى ناحية خاصة ، وهى مقطوعاته الصغيرة ، يعبر بها عن معان دقيقة، وعن شعور نفسى عميق — ولم يكن يحترف الشعر كما احترفه شوقى وحاول أن يحترفه حافظ — وكان منصبه الحكومى يسمو به عن ذلك .

لهذا جهر حافظ بأنه خير شاعر فى مصر إذا استثنى شوقى ، ولعله كان يرى فى أعماق نفسه أن "شوقى" لم يفضله بشاعريته، وإنما فضله بقربه الى القصر وأنه شاعر الأمير ، ولولا ذلك لما فضله ، ويشير إلى هذا المعنى من طرف خفى فى هذه القصيدة نفسها ، إذ يقول :

ذاك الذى حكمت فينا يراعته * وأكرم الله والعباس مثواه

* * *

قامت بعد ذلك حركة فى مصر من بعض الأدباء المثقفين ثقافة غربية وبعض قادة الرأى ، تعيب على الشعراء هذا الشعر التقليدى فى أسلوبه وفى أغراضه ، وفى أوزانه وقوافيه ، وتنقد شوقى وحافظا من النقد، لأنهما قديمان فى أفكارهما ، مقلدان فى أغراضهما، محافظان فى أوزانهما .

كان من آثار هذه الحركة فى حافظ أن ثار هو أيضا على الشعر القديم، فقال قصيدته المشهورة فى الشعر، التى مطلعها :

ضعت بين النهى و بين الخيال * يا حكيم النفوس يا ابن المعالى

عاب فيها على شعراء الشرق شعرهم فى الكاس والطاس ، والمدح والهجاء والرثاء، وحب سلمى وليلى، ومكان الآثار والأطلال، والرحال والجمال، ثم يقول:

آن يا شعر أن نفك قيودا * قيدتنا بها دعاة المحال

فارفعوا هذه الكمائم عنا * ودعونا نشم ريح الشمال

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم . فهل جدّد حافظ بعدُ فى شعره ؟

لم يجدّد فى بحوره وأوزانه . ولم يجدّد فى أسلوبه وبيانه، ولا تفكيره وخياله، إنما جدّد فى شيء هو فوق ذلك كله ، جدّد فى موضوعه وأغراضه ، فبدلا من أن ينظم فى موضوعات امرئ القيس وطرفة، أو جرير والفرزدق ، أو بشار وأبى نواس، نظم فى موضوعات عصره وأمانى قومه .

وساعده على هذا الاتجاه تربيته الحربية ، فإن فشل فى حرب السيف فليحارب بالقلم ، وإن تكسر سنّ رمحه فليشرع سنّ قلمه ، وإن أخطأ النجاح فى ثورة الضباط فى السودان، فليكتب له التوفيق فى إثارة الأمة على الاحتلال .

ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت فى شعره آمال أمته أولا ، وآمال الشعب العربى ثانيا .

كانت الأمة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ، وتشكو من تضييق الغرب على الشرق، وكان زعماء الوطنية يلهبون حماسته ، ويشعلون غيرته، وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ؛ — وكان حافظ — بما له من حس مرهف ، وعاطفة حساسة — يُجمّع كل ذلك فى نفسه ، فلما ثار على الشعر القديم وحطمه ،

بنى على أنقاضه شعره الجديد فى الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ؛ وكان فى شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين ، وقادة الرأى الاجتماعيين ؛ يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا قويا ملتهبا ، يفعل فى النفوس — وذلك شأن الشعر الحى — ما لا تفعله الخطب والمقالات ؛ فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره أحد فى ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ فى ذلك مواقف مختلفة ، فتارة يقرع الأمة تقريعا جارحا مؤلما على استنامتها وإخلادها إلى السكون ، واستسلامها للأجانب .

أمة قد فت فى ساعدها * بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب فى غير العلا * وتفدى بالنفوس الرتبا
وهى والاحداث تستهدفها * تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها * أم بها صرف الليالى لعبا

ويقول :

فما أنت يا مصر دار الأديب * ولا أنت بالبلد الطيب

* * *

وكم ذا بمصر من المضحكات * كما قال فيها أبو الطيب
أمور تمر وعيش يمر * ونحن من اللهو فى ملعب
وشعب يفر من الصالحات * فرار السليم من الأجرب

ويقول :

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم * هى أمة تلهو وشعب يلعب

ونحو ذلك كثير فى ديوانه .

وتبـدأ الأمة بحركة ، وتقف موقفا مشرفا يوما ؛ فيحيي أمله ، و يبشر بعـد أن كان ينـذر ، و يعاوده الأمل بعد اليأس ؛ والرجاء بعد الخيبة ، فيقول مخاطبا سـعدا :

قاوض نخلفك أمّة قد أقسمت * ألا تنـام وفى البـلاد دخيـل

عزل ولكن فى البـلاد ضراغم * لا الجيش يفزعها ولا الأسطول

و يقـول :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا * سـنريه كيف يصـيده زغلول

و يقـول :

أفقنـا بعـد نوم فـوق نوم * على نـوم كأصحـاب الرقـيم

إلى كـثير من أمثال ذلك .

وهكذا يضطرب فى شعره بين التفاؤل والتشاؤم ، اضطراب الأمّة بين اليقظة والنوم، والعمل والتواكل ، والإصابة والخطأ ، فهو صدى لها فى حركاتهـا، وهو المدرّس الحكيم الذى يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد هـذه الثورة على الشعر القديم ، نظم فى موضوعاته ، ولكنه حتى فى هذه لا ينسى مقامه، ولا يجهل رسالته ولا يفوته غرضه، فهو ينتهز فرصة تحية العام الجديد، وتحية المليك، ورثاء الفقيد، وتهانى العيد، ليبث فى ذلك كله عاطفته الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ، وليبشر وينـذر، و يرغب و يرهب ؛ فهو مجدّد من هذه الناحيـة فى موضوعاته الجديدة وموضوعاته القديمـة ، حتى فى وصفه لا يريد أن يخليه من غرضه الذى ملك عليه قلبـه، ولا يحاول أن يجعـله أدبا صرفا، فهو يشبه طول الليل بعهد الاحتلال، إلى كثير من أمثال ذلك .

ويتغزل فى هذا الطور من الحياة ، ولكن لا فى جارية ولا فى غلام ، ويتغنى ولكن لا فى كاس أو مدام ، إنما يتغزل فى مصر ، ويتغنى بمصر ، ويأرق فى حب مصر :

وما أنا والغرام وشاب رأسى * وغال شبابى الخطب الجسام
لعمرك ماأرقت لغير مصر * ومالى دونها أمل يرام
ذكرت جلالها أيام كانت * تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال * وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعى ما بات فيها * وباتت مصر فيه فهل ألام

لم يشأ حافظ أن يكون شعره فى وطنياته طبلا أجوف ، يقول القول عاما لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية فى عصره أساسا لدعوته ، وسنادا لهجمته .

فقد كان يتربص كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعا لشعره ، ويملؤه بما يجيش فى صدره .

تقوم حركة الجامعة ، ويحتدم الجدال بين أنصار الكتاتيب وأنصار الجامعة ، فيناصر الحركة الوطنية ، ويدعو إلى التبرع للجامعة ، ويبين مزاياها ، ويكتتب هو بالشعر — كما يقول — ليكتتب قومه بالمال .

وتحدث حادثة المؤيد ، وينقسم فيها الرأى العام فى مصر قسمين : قسم يطالب بحرية المرأة فى الزواج ، وقسم يطالب بالمحافظة على التقاليد ، فيتخذ ذلك وسيلة إلى تقريع المصريين باهتمامهم بصغائر الأمور ، وتركهم جسامها ، وتحزبهم فئات : منهم من يلوذ بالأمير ، ومن يلوذ بالعميد ، ومن يصيح مع الصائحين ، ثم يلذعهم لذعا

أليما فى حبهم للمجاملة ، وتركهم الصراحة، و إلا فما لهم يقرعون صاحب المؤيد على فعلته ، والوفود تتوافد على بيته .

وتحدث حادثة دنشواى فيشن الغارة على الانجليز فى تصرفهم ، وعلى بعض المصريين فى معاونتهم ، وعلى المصريين جميعا فى استكانتهم ، و يلهب الشعور ، و يشعل الحماسة ، و يستثير الدمع .

و يتحدث الناس فى اللغة العربية ، وهل هى أداة صالحة للعلوم الحديثة ، والأدب الحديث ، فيبين محاسنها ، و يظهر مزاياها ، و يدعو إلى إنهاضها ، و ينعى على من لم يأخذ بيدها ؛ وهكذا شعره فى رعاية الأطفال ، والجمعية الخيرية الاسلامية ، ومساعدة العميان ، وما إليها .

كان فى شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه و يصوغ منها أدبا قيما يستحث النفوس ، و يدفع إلى النهضة ، سواء أضحك فى شعره أم بكى ، وأمل أم يئس .

و يتسع أفقه فى كثير من الأحيان ، فينظر إلى الوحدة العربية ، والوحدة الاسلامية ، فكم قال فى علاقة الشاميين والمصريين ، وفى الدعوه إلى الإخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ؛ وكم قال فى علاقة مصر بالآستانة ، وتمنى نهضة الخلافة ، و رفع لوائها ، وعودة مكانتها ؛ وكم شعر فى وحدة الشرق وتعاونه وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره متقربا للقلوب ، داعيا إلى ائتلاف الشعوب ، ينتهز لذلك كل فرصة ، كافتتاح السكة الحديدية الحجازية ، وأعياد الدستور للأمة التركية ، وحفلات التكريم التى يشترك فيها أدباء الشرق ، ونحو ذلك ، بل أحيانا يزيد اتساع أفقه ، فينظر إلى الإنسانية كلها ، كالذى يقوله فى زلزال مسينا :

فسلام عليك يوم توليـ * ـت بما فيك من مغان حسان

وسلام على آمرئ جاد بالدمـ * ـع وثنى بالأصفر الرنان

ذاك حق الإنسان عند بنى الإ * نسان لم أدعكم إلى إحسان

ومما يتصل بناحية حافظ الاجتماعية أشدّ اتصال، شعره فى الرثاء، فقد أكثر منه، كما فى ديوانه، وقد قال فى ذلك عن نفسه :

إذا تصفحت ديوانى لتقرأنى * وجدت شعر المراثى نصف ديوانى

وقد أجاد فيه كل الإجادة، وأحسن كل الإحسان، وسبب ذلك، أنه استطاع فى كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من مسألة فردية إلى مسألة اجتماعية، فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر، وعلى العالم الإسلامى، وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة، فهو يتسلل فى حذق ومهارة بعد تصوير الفقيد صورة كاملة، إلى المسائل العامة الاجتماعية، وبذلك يجلس حافظ على عرشه، ويقول فى سهولة وجزالة ما برع فيه وفاق أقرانه .

وشيء آخر، وهو أن الموت كان عند حافظ وسيلة من وسائل شكوى الزمان والحنق عليه، والغيظ منه . فالزمان قد فعل بحافظ الأفاعيل، فرماه بالبؤس والفقر، ورمى أمته بالتفرق والتواكل، وبالاحتلال، ورمى العالم الاسلامى بالغرب يمتص دمه، ويسومه سوء العذاب . فما هو إلا أن يموت ميت من أصدقائه حتى يسعر جرحه وينفجر ألمه .

وثالث : هو أنه رحمه الله كان شديد الخوف من الموت، دعاه ذلك إلى أن ينعى نفسه، ويتألم كثيرا لشيخوخته، ويتوهم المرض فى كل عضو من أعضائه : فإذا مات قرين له أو صديق أو نديم راعه ذلك . لأن موته إنذار بموت حافظ، وما أشدّ وقع ذلك على نفسه .

فكان يصوغ من نبوغه فى الناحية الاجتماعية،ومن بغضه للدهر وحنقه عليه، ومن إشفاقه على نفسه، رثاء يقطع الأحشاء، ويذيب لفائف القلب؛ ولولا هذه مجتمعة ما بلغ فى الرثاء ما بلغ .

*
* *

قد يؤخذ عليه أنه لم يكن يتعمق فى دراسة المسائل الاجتماعية،ولم يكن يكوّن فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها ، ودرس حججها ، كموقفه فى مسألة الزوجية، لقد هرب من إبداء رأيه فيها، ولم يتحيز إلى أحد الفريقين، وترك المتنازعين يتنازعون فى حرية المرأة وتقييدها ، وحلق فى المسائل العامة التى أشرت إليها قبل؛ وكموقفه إزاء دعوة قاسم أمين، فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه، أنه لم يقرأ كتاب تحرير المرأة، وإن كان قال فيه شعرا، ولم يقطع بإصابة قاسم أو خطئه، ويظل على هذا حتى فى رثائه، فيقول :

إن رَأيْتَ رأيا فى الحجاب ولم * تعصم فتلك مراتب الرسُلِ

الحكم للأيام مرجعه * فيما رأيت فنم ولا تسل

فإذا أصبت فأنت خير فتى * وضع الدواء مواضع العلل؟

أو لا فحسبك ما شرفت به * وتركت فى دنياك من عمل؟

فتراه مضطربا لا يستطيع الجزم برأى ؛ أو هو لا يريد . وتراه فى بعض المواقف السياسية يكتفى بسرد آراء الفريقين وحججهم، كما فى قصيدته فى وداع اللورد كرومر، فقد حكى فيها آراء المادحين وآراء الناقدين، ثم قال :

تنهبنا أحاديث الناس والناس ألسن * إذا قال هذا صاح ذاك مفندا

ولو كنت من أهل السياسة بينهم * لسجلت لى رأيى وبلغت مقصدا

ولكننى فى معرض القول شاعر * أضاف إلى التاريخ قولا مخلدا

وهرب بذلك من إبداء رأى، وترجيح قول على قول .

ولكن قد يخفف من هـذا النقص أن هناك فرقا كبيرا ، بين الأديب والعالم، فالعالم يلاحظ الأشياء ليستكشف ظواهرها وقوانينها ، وعلاقتها بالأشياء الأخر ، وعلاقتها بالظروف التى تحيط بها، على حين أن الأديب يلاحظ الأشـياء من حيث علاقتها بعواطف الانسان وطبيعته الأخلاقية؛ فالعالم بالنبات مثلا يدرسه ليكشف كل الطبائع الخاصة ، وأوجه الشبه بينه و بين أمثاله من النباتات الأخر، ووظيفة كل جزء منه، والتغيرات التى تطرأ عليه كلما نما، حتى يصل به إلى الموت والفناء.

أما الأديب فلا يهمه كل ذلك، إنمـا النبات فى نظره قد خلق لجماله ، وليست شجرة الورد فى نظره إلا زهرته الجميلة وأريجها العطر .

فهذه الناحية الخاصة التى يعنى بهـا الأديب تغتفر لحافظ قلة عمقه فى البحث و إمعانه فى الدرس، وتخفف حدة نقدنا فى أنه كان ينظر إلى الأشياء نظرة عامة من ناحية اتصالها بعواطف الجمهور .

ومـا يتصل بهذا أن حافظا كان يؤثر فى الجمهور بإلقائه بالقدر الذى يؤثر فيهم بنفس شعره ، لقد كان فى نبرات صوته وحسن إجادته فى الإلقاء يلعب بعواطف السامعين كما يلعب بهـا بألفاظه ومعانيه ، ومن أجل هـذا ، يحسن ألا يقوم شعر حافظ ومقدار أثره فى الجمهور بمقدار ما يقيسه قارئ لديوانه، فهو بقراءته يفقد جزءا كبيرا من تأثيره السحرى الذى كان يتركه فى سامعه . ومن أجل هـذا كان يطيل الوقت فى تخير اللفظ الذى يحسن وقعه فى السمع، كما يتخير الانسجام فيتغنى بالبيت قبل أن يدخله فى عداد شعره ، وينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإيقاعه على أسماع الناس .

وعلى الجملة، كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصدها رجال مصر على اختلاف مناحيهم؛ فيصوغها الصحفيون الوطنيون مقالات حارة قوية؛ ويصوغها القادة وأولو الرأى أفكارا ينادون بهـا فى مجلس الشورى، أو الجمعيـة العمومية، أو أحاديث وحكما وأمثالا فى مجالسهم الخاصـة؛ ويصوغها حافظ شعرا قويا يغذى نفوس الشباب، ويلهب شعور من سمعه .

كان طلبة المدارس الثانوية والعاليـة يتحازون إلى معسكرين : قسم يتعصب لحافظ ويفضله على شوقى، وقسم يتعصب لشوقى ويفضله على حافظ؛ وكنا نلاحظ أن من فضل حافظا كان يفضله لأن شعره غذاء قلبه، وغذاء وطنيته، ومن فضل شوقى فضله لفنه وخياله . فشبيبة الوطنية إمامهم حافظ، وشبيبة الفن إمامهم شوقى.

*
* *

ظل حافظ يغنى بشعره التقليدى — أولا — والجـديد — ثانيـا — نحو خمسة عشر عاما تنتهى سنة ١٩١١، لمـا عرضت عليه «وظيفة» دار الكتب .

وطبيعى أن «الوظيفة» الحكومية لم تكن تتفق وشعر حافظ السياسى والاجتماعى فهو يدعو المصريين إلى الثورة، والانجليز إلى الجلاء، وحرام على الموظف وقتذاك أن يتكلم فى السياسة، وأن يتصل بالجرائد، فكيف يسمح بالشعر السياسى عامة، ولشعر حافظ خاصة .

كان حافظ يفهم كل هذا حق الفهم، فلما قبل الوظيفة كان معنى قبولها سكوته فى هـذا الباب، وقد بر بوعده، ووفى بشرطه غالبا؛ فلم يقل من الشعر إلا قليلا، وفى مناسبات ملحة، وبتحفظ تام وحذر شديد، أو أن تحميه الظروف .

عيره كثيرون بذلك وبقبوله الوظيفة، ولكـن لمـاذا نعيره وحده بالوظيفة ولا نعير من ألجأه، لمـاذا نطلب منه التضحية بقوته، ونؤنبه على سكوته، ولا نؤنب

الأمة وقتذاك تعجب به، ثم يتبخر هـذا الإعجاب، ولا يتحول إلى قليل من مال يتبلغ به — الحق أن الأمة فى تاريخها المـاضى أبدت جمودا عجيبا وشحا أليما فى حافظ وأمثاله؛ تصفق لهم طويلا، وتتركهم يألمون من الحاجة إلى ضروريات الحياة، وتعيبهم إذا ركنوا إلى الوظيفة، ولا تشجعهم بقليل مما فى أيديها، وتنعم وتغرق فى الترف، وتدعو المغنى أن يغنى لها، ثم تضن عليه بأجره، فإذا طالبها به غضبت منه .

إذًا — فليس من العـدل أن نسرف فى نقده على صمته، ونعيبه بكسر عوده وقيثارته، فلم يفعل غير ما فعله من قبله :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد * لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

إنمـا يصح أن يوجه إليه نقـد من نوع آخر، وهو أن حافظا لم يكن يستطيع — حقا — وقد قبل المنصب فى دار الكتب أن يقول الشعر فيما كان يقول فيه قبـل من اجتماعيات وسياسيات، ولكن لمـاذا سكت عن فنون الشعر الأخرى، والمجال أمامه فسيح؟ فليس كل شعر سياسة واجتماعا، فهناك شعر الطبيعة، وهناك شعر القصص، وهناك شـعر الوصف، وغيره من أنواع الشعر، ولم تكن وظيفته تمنعه من أن يقول فى كل ذلك، أو فى شىء من ذلك، وفى شوقى المثل لهذا، فقد كان مقيدا فى القصر بأشدّ من قيود دار الكتب، ومع هذا ظل يقول فى فنون مختلفة من الشعر لا تتنافى وتقاليد القصر .

ولكن ما ذنب حافظ، ونبوغه إنما كان فى ثورته، وإجادته فى فورته، وطبيعته وتعليمه ودربته تدعو إلى النبوغ فى سياسياته واجتماعياته، لا فى غزله وخمرياته، وما يعيب الموسيقى أن يكون ملِكَ العود، وليس ملك القـانون، أو ملك الكمان، وليس ملك الناى، فملكٌ فى إحداها خير عندى من سُوقةٍ فى جميعها .

* * *

و بعد، فما منزلة شعر حافظ فى الشعر، وما قيمته الأدبية ؟

الشعر الجيد — فى نظرى — فيضان من شعور قوى، سما به الخيال، وحلّاه اللفظ، ووقع على نغمات الأوزان . فهو لا بد أن تجمع فيه — ككل نوع من الأدب — عاطفة وخيال، وصياغة و جمال؛ و يمتاز الشعر بأن له لغة خاصة غير لغة النثر، وللشاعر ملكة لا يمكن توضيحها تمام الوضوح، يستطيع بها أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنها أبعث على إثارة المشاعر، وأفعل فى نفس السامع؛ ثم هو يضعها بعدُ فى أساليب خاصة يتخيرها من بين التراكيب اللغوية ، والأساليب الأدبية ، يرى أنها تؤدى غرضه؛ وتخدم مآربه؛ كما يمتاز بما له من موسيقى عبر عنها بالبحور والأوزان، ولهذه الأوزان فعل فى النفوس كفعل «رنات المثالث والمثانى» ، وللشاعر قدرة على أن يختار منها ما يناسب موضوعه، من رقة ولين فى شعر الغزل ، وقوة وجلبة فى شعر الحماسة . والقصيدة على قافية قد يكون لها من الأثر فى النفس ما ليس لقافية أخرى، وهكذا .

وأخيرا حاجة الشاعر إلى الخيال الخصب أقوى من حاجة الناثر! فلا بد له من اختراع صور، وتأليف مناظر، ومقارنة صورة بصورة، ومنظر بمنظر، حتى يثير المشاعر، و يحرك العواطف، و يفعل فى النفوس فعل السحر .

وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة ، قوة العاطفة، وحسن الصياغة ، و جمال الموسيقى . وأعوزه أمر منها وهو قوة الخيال .

فأما عاطفته فقوية فياضة ، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارئ : فما يسمع شعره سامع ولا يقرؤه قارئ إلا توثبت نفسه ، وهاجت مشاعره؛ وعواطفه صحيحة لا مريضة، والعاطفة الصحيحة هى التى تدعو لأن تكون حياتنا

أسعد وأقوى؛ فحافظ يريد منا أن نتبوأ مقعدنا بين الأمم، وأن يرفع عنا نير الاحتلال، وأن يعادل الشرق الغرب، وأن تكون حياتنا الاجتماعية خيرا مما هى، فلا تواكل ولا استنامة ولا خنوع . ويريد أن تكون لغتنا حية قوية ؛ وأن نجد فى الحياة حتى ننعم بطيباتها، ونحو ذلك من وجوه الإصلاح ، فهو يمتلئ شعورا بذلك، ثم يصوغه شعرا يسير فينا سير العافية؛ وأجمل ما فى هذه العاطفة أنها ليست من ذلك النوع المألوف الذى اعتدناه فى كثير من الأدب العربى من إفراط فى المديح؛ فان العاطفة التى يبعثها ضعيفة من ناحية ميلها إلى أمور شخصية ؛ والأدب الذى ينبعث من عاطفة عامة ويبعث عليها ، خير من الذى ينبعث عن عاطفة شخصية ويبعث عليها . كما أن عاطفته ليست من هذا النوع الذى يذوب رقة فى غزل ، أو هياما فى حب ؛ فان هذا النوع قد كثر حتى ملّ، وهو فى كثير من الأحيان أجوف؛ وهو فى كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة، فليس من الخير أن يبيع الإنسان عواطفه بهذه السهولة وهذا الرخص .

فمزية عاطفة (حافظ) فى شعره عمومها وقوتها، وإن شئت فقل : وجدّتها؛ فلم نعرف شاعرا عربيا قبله، ولا معاصرا له أفاض فى العاطفة الوطنية والاجتماعية إفاضته .

قد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصها التنوع — كما أشرنا إلى ذلك قبل — فلا تجد كثيرا من شعره فى جمال الطبيعة، بل لا تجد شعره فيها حيا قويا ، كما ترى فى قصيدته فى الشمس .

وسبب ذلك — على ما يظهر — أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجى . كان مظهره الخارجى ضحوكا مرحا، لا يراه الرائى حتى يضحك

من ضحكه ، ولا يكون فى مجلس حتى يملأه سرورا وضحكا، ولكنه فى أعماق نفسه حزين ، كالشمعة تضيء وهى تحترق ، أو كالممثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو فى نفسه يذوب حسرات .

وهذا ما يعلل أيضا ضعف الفكاهة فى شعره، وقوتها فى مجلسه؛ وهذا ما يعلل أنّ نصف شعره رثاء كما يقول هو .

هذا الطبع الحزين يبعث عواطف حزينة، ويحمل على الإجادة فيها، فتوافقَ طبعه وشكوى الزمان والرثاء والبكاء على الأمة وعلى الشرق، ونحو ذلك .

ومن أجل هذا أيضا أجاد حافظ فى أحد وجهى الوطنية، أكثر مما أجاد فى وجهها الآخر، ذلك أن الشعر فى الوطنيات والسياسيات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والتشاؤم، والتأميل وعدمه، والترغيب والترهيب، والمدح للتشجيع، والذم للتقريع، فأجاد حافظ فى التشاؤم وفى الترهيب وفى التقريع أكثر مما أجاد فى التفاؤل والترغيب والتشجيع . لأن الضرب الأول أنسب لحزنه، وأقرب إلى نفسه؛ والثانى يحتاج إلى مقدار كبير من الأمل ، والأمل يحتاج الى سرور ، وهو قليل فى نفسه . فخير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة؛ فاما فرح بالطبيعة، وفرح بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث من عاطفة السرور، فلم يكن له كبير مجال فى شعره .

هذه العاطفة القوية التى شرحنا ، بحثت لها عن الثوب الذى تلبسه حتى عثرت عليه، فكانت صيغتها قوية، وموسيقاها قوية . يفتش عن اللفظ حتى يجد أنسبه لنفسه، وأنسبه لمعناه، ويعرض للترادفات، يقلبها حتى يختار خيرها ، وينثر كنانته ليتخير أشدها عودا، وأصلبها مكسرا؛ ويعمد إلى الأساليب يتصفحها ليوائم بين المعنى واللفظ والأسلوب . وكان «حافظ» يسمى هذه «العملية» كلها «التذوق» ،

يمدح بعض الشعراء بأنه «ذوّاق» يريد بذلك أن له ذوقا مرهفا فى اختيار اللفظ واختيار الأسلوب. وقد بالغ فى ذلك حتى كان جهده فى اختيار الألفاظ والأساليب يفوق جهده فى ابتكار المعانى، فهو يذهب مذهب من يرى أن المعانى مطروحة فى الطريق، وإنما الإجادة فى الصياغة. وهو يستعين على ذلك بالموسيقى، موسيقى اللفظ، وموسيقى الأسلوب، وموسيقى الأوزان والقوافى .

قد كان يصنع البيت فيردّده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقعه على آذان الناس، ويتذوّق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوّقها الناس، فكان يراعى موسيقى الطول والقصر، وموسيقى الفخامة والرقة، وموسيقى اللين والشدّة، ويوائم بين ذلك وموضوعه، وبين ذلك ومعانيه وأغراضه، فيوفق فى ذلك توفيقا كبيرا .

أما خياله، فكان مع الأسف — خيالا قريبا — قلل حظه من الابتكار، وقلل حظه من التصوير، قصر خياله عن أن يغوص فى باطن الشىء فيصل إلى مكان الحياة منه، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر به ؛ وقصر عن أن يحلق فى السماء فيصوّر منظرا عاما يجذب النفوس إليه .

لقد حاول أن يخلق بخياله قصة، ولكنها خرجت قصة عرجاء، تخلج على الأرض، ولا تسبح فى السماء، قريبة المنال، مضحكة التصوير — إن شئت فاقرأ قصته فى مدح البارودى التى مطلعها * تعمدت قتلى فى الهوى وتعمدا * إذ يصف ذهابه إلى حبيبته خفية، فيقلد عمر بن أبى ربيعة فى رائيته المشهورة، ثم لا يحسن التقليد، ولا يأتى خياله بجديد، أو فاقرأ قصته الشعرية التى وضعها فى ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت، والتى مطلعها :

ليـلاى ما أنا حى * يرجى ولا أنا ميت

تر خيالا ساذجا وتصويرا مهلهلا .

ولكن من ذا الذى حاز الكمال أجمع ، ومن ذا الذى بلغ شأو الفن فى جميـع عناصره ، حسب الشاعر النابغـة أن تكتمل فيه صفات، ثم يستطيع أن يعوض ما نقص بالبراعة التامة فيما أتقن؛ لئن نقص حافظ فى الخيال فقد غطى عيبه شيوع الجمـال فى سائر نواحيه، وكفاه ذلك موهبة .

*
* *

وقد رأى حضرة صاحب المعالى على زكى العرابى باشا وزير المعارف العمومية حبـا منه فى الأدب ، وتقديرا لحق الوطن، أن يجمع شعر حافظ، وتقوم على طبعه وزارة المعارف .

وكان من حظى أن ندبنى معاليه للقيام بهذا العمل، فتفضل وطلب إلىّ جمع شعره وضبطه وشرحه، وتبو يبه وتقديمه، فاغتبطت للساهمة فى هذا العمل الجليل، لأن حافظا شاعر كبير، ومن واجبه الأدبى أن نخلد شعره، ونحفظ ذكره؛ وهو شاعر الوطنية فى عصرنا، غذى شعره الشعور الوطنى، وألهبه غيرة وحماسة، وكان داعيا للنهضة والمطالبة بالحركة حتى ننال استقلالنا .

فكان واجبا — وقد بدأنا — نجنى ثمار جهادنا، أن نؤرخ قادة حركتنا؛ وأول واجب نفعله فى تاريخ شاعر أن نجمع شعره، ونعنى بنشره، ونأخذ فى درسه.

ومن حسن الطالع أن يكون صـدور ديوانه ، معاصرا لنجاح دعوته ودعوة زملائه من القادة والزعماء والخطباء والأدباء الذين تعهدوا الحركة الوطنية، وسهروا عليها، وضحوا فى سبيلها، ولم يدركهم فى ذلك سأم ولا ملل؛ ولم يفت فى ساعدهم

تعذيب ولا اضطهاد، حتى تمت المعاهدة، وبدأنا ننعم بالاستقلال، نحمل عبئنا على ظهورنا، ونبذل جهدنا لنيل سعادتنا بأيدينا .

فإخراج ديوان حافظ أمانة فى عنقنا نؤديها، وواجب ننهض به .

*
* *

وكان من حظى أيضا أن شاركنى فى هذا العمل الأستاذان : (أحمد الزين)، (وإبراهيم الإبيارى) ؛ فقد لقيا من العناء فى الضبط والشرح والتصحيح والترتيب ما أترك تقديره للقارئ الكريم . وكان لهما من العمل وبذل الجهد فى ذلك فوق مالى . وإليهما يرجع أكثر الفضل فى إخراج الديوان على هذا الوضع .

كان حافظ رحمه الله غير منظم فى عمله، ولا حريص على تدوين شعره، فيكتبه فى ورقة حيثما اتفق، ويلقيها أيضا حيثما اتفق، فضاع كثير منه، ولولا فضل الصحف والمجلات فى نشره والاحتفاظ به، لما بقى من شعره إلا القليل .

وقد جمع فى حياته بعضا منه، معتمدا على ما نشر فى الصحف والمجلات، وعلى ما كان منه عند الأصدقاء، ولكن وقف فى ذلك عند أجزاء ثلاثة صغار؛ نشر الجزء الأول منها سنة ١٣١٩ هـ مع تعليقات قيمة بقلم محمد إبراهيم هلال بك، وقد استفدنا منها؛ ونشر الثانى سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م ، والثالث سنة ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م ؛ فأما شعره بعد ذلك فلم يجمع فى حياته .

فلما توفى حافظ جمع الأديب الدمشقى السيد أحمد عبيد طائفة من شعره لم تنشر فى ديوانه، ونشرها بدمشق سنة ١٣٥١ ، وكذلك فعل فى شوقى وجمع ما نشر فى رثائهما، وبعض ما كتب عنهما، وسمى كتابه " ذكرى الشاعرين " .

ثم نشرت مكتبة الهلال فى مصر سنة ١٣٥٣ ديوانه مجموعا فيه ما نشر من قبل فى الأجزاء الثلاثة، وما نشره السيد أحمد عبيد " فى ذكرى الشاعرين " .

ولكن ما ورد فى ذلك كله ليس وافيا ولا مستقصيا، فاضطررنا إلى أن نرجع إلى المجلات والصحف نتصفحها عددا عددا ، من يوم أن نشر له شعر ، إلى يوم وفاته ؛ ورجونا على صفحات الجرائد من القراء أن يبعثوا إلينا ما كان عندهم من شعره ، فتمت لنا بذلك مجموعة هى أقصى ما وصل إليه جهدنا .

ثم رتبناها حسب الموضوعات ، فذكرنا كل ما قاله فى المديح ، ثم ما قاله فى الهجاء ... الخ . وفى كل باب رتبنا ما جاء فيه حسب تاريخ قوله أو نشره ، ثم أتبعنا ذلك بما قاله ولم نقف على تاريخه بالضبط ، حتى ولو كانت القرائن تدل على زمنه ، ورأينا هذا الوضع أقرب إلى الإفادة ، وأدل على مناحى الشاعر . ووضعنا فهرسا مرتبة فيها القصائد حسب حروف الهجاء فى آخر الديوان ، ليسهل الرجوع إلى القصيدة لمن حفظ قافيتها .

وقد ضبطناه ضبطا كاملا لتسهل قراءته على الناشئ ، وشرحناه نوعين من الشرح : شرحا بذكر ظروف القصيدة وملابساتها وتاريخ نشرها أو قولها ، حتى يتمكن القارئ من معرفة إشاراتها وجوها ؛ إذ فى ذلك أكبر إعانة على فهمها وتقديرها ؛ وشرحا لغويا لمفرداتها وأساليبها ؛ وبيان المراد من عباراتها ، وذكر الحوادث التاريخية التى أشار إليها فى أبياتها ، وقد نكون بالغنا بعض الشيء فى كثرة الشرح والضبط ، وعذرنا أننا راعينا نابتة الأدب ، وناشئة الشعر ، أكثر مما راعينا الخاصة والمنتهين ؛ وقدرنا أن الديوان ستتناوله أيدى الطلبة فى المدارس الثانوية ومن فى مستواهم ؛ فقصدناهم بالشرح ، ونظرنا إليهم فى البسط . ونرجو أن نكون قد وفقنا فى تحقيق ما ندبنا له ، وأدينا شيئا من واجب الأمة والوزير والشاعر ، والله الموفق .

١٧ فبراير سنة ١٩٣٧ — أحمد أمين



ديوان حافظ ابراهيم



المحتويات





فَرِحَتْ أرضُ الحجازِ بكُمْ * فَرَحَها بالهاطِلِ الهَتِنِ (١)

وسَرَتْ بُشْرى القُدومِ لهُمْ * بكَ من مِصْرٍ إلى عدَنِ (٢)

تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (٣) بمنصب الإفتاء

(١٣١٧ هـ – ١٨٩٩ م)

بَلَغْتُكَ لَمْ أَنْسُبْ ولَمْ أَتَغَزَّلِ * ولَمَّا أَقِفْ بَيْنَ الهَوَى والتَّذَلُّلِ (٤)

ولَمَّا أَصِفْ كَأْسًا ولَمْ أَبْكِ مَنْزِلًا * ولَمْ أَنْتَحِلْ فَخْرًا ولَمْ أَتَنَبَّلِ (٥)

فَلَمْ يَبْقَ فى قلبى مَدِيحُكَ مَوْضِعًا * تَجُولُ به ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ (٦)

رأيتُكَ والأبصارُ حَوْلَكَ خُشَّعٌ * فقلتُ (أبو حَفْصٍ) بِبُرْدَيْكَ أم (عَلِى) (٧)

وخَفَّضْتُ مِنْ حُزْنِى على مَجْدِ أُمَّةٍ * تَدارَكْتَها والخَطْبُ للخَطْبِ يَعْتَلِى (٨)

---

(١) سكن الشاعر «الفرح» لضرورة الوزن . والهاطل : المطر المتتابع العظيم القطر . والهتن : المنصب . (٢) عدن : مدينة معروفة باليمن على ساحل بحر الهند . ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه، فأثبتناها على اقتضابها . (٣) الشيخ محمد عبده، هو ابن عبده بن حسن خير الله؛ ولد فى محلة نصر من إقليم البحيرة بمصر سنة ١٢٦٦ هـ . وتعلم العلم فى الجامعين الأحمدى والأزهر، وتولى عدة مناصب علمية وقضائية ودينية، وآخر منصب تولاه منصب الإفتاء، وظل فيه إلى أن توفى بالاسكندرية فى سنة ١٣٢٣ هـ – سنة ١٩٠٥ م، ودفن فى القاهرة . (٤) بلغتك، أى وصلت إلى مدحك . ولم أنسب : لم أشبب بالنساء . يريد أنه ابتدأ القصيدة بمدحه ولم يسلك طريق الشعراء فى تقديم التنزل والفخر وما إليهما على المدح فى أوائل القصائد . (٥) انتحل الشيء : ادعاه لنفسه وهو لغيره . وتنبل الرجل : تكلف النبل وتشبه بالنبلاء . (٦) يشير إلى بيت امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * ... ... الخ

(٧) أبو حفص : كنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهى فى الأصل كنية الأسد . وعلىّ : هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب . (٨) يريد بقوله «والخطب للخطب يعتلى» : تراكم الخطوب بعضها فوق بعض .

طَلَعتَ بها باليُمْنِ من خَيْرِ مَطْلَعٍ * وكنتَ لها فى الفَوْزِ قِدْحَ (ٱبنِ مُقْبِلِ) (١)

وجَرَّدتَ للفُتْيا حُسامَ عَزيمَةٍ * بِحَدَّيْهِ آياتُ الكِتابِ ٱلمُنَزَّلِ (٢)

مَحَوْتَ به فى ٱلدِّينِ كلَّ ضَلالَةٍ * وأَثْبَتَّ ما أَثْبَتَّ غَيْرَ مُضَلَّلِ

لئن ظَفِرَ ٱلإفتاءُ منكَ بفاضِلٍ * لقد ظَفِرَ الإسلامُ منكَ بأفْضَلِ

فما حَلَّ عَقْدَ ٱلمُشْكِلاتِ بِحِكْمَةٍ * سِواكَ ولا أَرْبَى على كلِّ حُوَّلِ (٣)

* * *

وقال يمدحه ويصف حضرته :

قالوا صَدَقْتَ فكانَ ٱلصِّدْقُ ما قالُوا * ما كُلُّ مُنْتَسِبٍ للقَوْلِ قَوّالُ (٤)

هٰذا قَرِيضى وهٰذا قَدْرُ مُمْتَدَحِى * هل بَعْدَ هٰذَيْنِ إِحْكامٌ وإِجْلالُ (٥)

إنِّى لأَبْصِرُ فى أَثْناءِ بُرْدَتِهِ * نُورًا به تَهْتَدِى لِلْحَقِّ ضُلّالُ

حَلَلْتُ دارًا بها تُتْلَى مَناقِبُهُ * ببابِها ٱزْدَحَمَتْ للنّاسِ آمالُ (٦)

---

(١) القدح (بكسر القاف) : واحد قداح الميسر، وهى سهامه . وقدح ابن مقبل، يضرب مثلا فى حسن الأثر والفوز . وابن مقبل : رجل من جاهلية العرب، واسمه : تميم بن أبىّ بن مقبل، شاعر مخضرم من المعمرين ، وكان كثير المقامرة ، فاز قدحه سبعين مرة متوالية ، فضرب به المثل فى الفوز . (٢) جرد الحسام : سله من غمده . (٣) أربى : زاد . والحوّل : البصير بالأمور وتحويلها ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى غيرها . (٤) القوال : حسن القول اللسن . أى قالوا صدقت فى مدح الإمام وهم صادقون فيما وصفونى به . (٥) القريض : الشعر . ومتدحى، أى ممدوحى . (٦) المناقب : المفاخر والأفعال الكريمة، الواحدة : منقبة .





تيمّمتُها والليلُ في غيرِ زِيّهِ * وحاسِدُها في الأفقِ يُغرِي بِيَ العِدَا (١)

سَرَيتُ ولم أحذرْ وكانوا بمَرصَدٍ * وهل حذِرَتْ قبلي الكواكبُ رُصَّدَا (٢)

فلمّا رأوني أبصروا الموتَ مُقبلًا * وما أبصروا إلّا قضاءً تجسّدا (٣)

فقال كبيرُ القومِ قد ساءَ فألُنا * فإنّا نرى حتفًا بحتفٍ تقلَّدا (٤)

فليس لنا إلّا اتّقاءُ سبيلِهِ * وإلّا أعلَّ السيفَ منّا وأوردا (٥)

فغطُّوا جميعًا في المنامِ ليَصرفوا * شَبَا صارمي عنهم وقد كان مُغمَدا (٦)

وخُضتُ بأحشاءِ الجميعِ كأنّهم * نيامٌ سقاهم فاجئُ الرُّعبِ مُرقِدا (٧)

ورُحتُ إلى حيثُ المُنَى تبعثُ المُنَى * وحيثُ حدا بي من هوى النفسِ ما حدا

---

(١) تيممتها : قصدت إليها . ويريد بقوله « في غير زيه » : أنه ليل مقمر ليس في هيئته المعهودة من السواد والظلمة . ويريد «بالحاسد» (هنا) : البدر، لشبهها به في الجمال . (٢) سرى يسرى : سار بالليل . والمرصد : المرقب . والرصد : الرقباء، جمع راصد . (٣) يريد بقوله : «تجسد» أنه قضاء محقق لاشك فيه، حتى كأنه جسد يلمس وينظر . (٤) يقال : ساء فأله، أى ساء ظنه . و « حتفا بحتف تقلد »، أى موتا تقلد موتا، يريد نفسه متقلدا سيفه . وقد خطأ بعضهم حافظا في تعدية " قلد " بالباء في هذا البيت، وقال : «إنه من الأفعال المتعدية بنفسها لا بالحرف» . وهو مردود بقول الزجاج في قوله تعالى : (ولا الهدى ولا القلائد) : إنهم كانوا يقلدون الإبل بلحاء شجر الحرم . (٥) أعل : من العلل (بالتحريك)، وهو السقية الثانية . أى إن لم نخل له سبيله سق السيف من دمائنا مرة بعد مرة . (٦) غط النائم غطا وغطيطا : نخر وتردد نفسه صاعدا الى حلقه حتى يسمعه من حوله . وشباة الصارم : حده، وجمعه : شبا . وقد يستعمل هذا الجمع في الشعر مكان المفرد كما في هذا البيت، قال الشاعر :

أما شبا السيف مسلولا على القمم * فقد حددنا ولم نذم شبا القلم

(٧) خضت بأحشاء الجميع : مررت وسطهم وعبرت عليهم . والمرقد : الشراب الذى يجلب الرقاد .

وحيثُ فتاةُ الخِدْرِ ترقُبُ زَوْرتى * وتسألُ عنّى كلَّ طيرٍ تغرَّدا (١)

وترجو رجاءَ اللِّصِّ لو أسبلَ الدُّجى * على البدرِ سِتْراً حالكَ اللونِ أسودا (٢)

ولو أنّهم قدُّوا غدائرَ فَرْعِها * لحاكُوا له منها نقاباً إذا بدا (٣)

فلما رأتنى مُشرقَ الوجهِ مُقبِلا * ولم تَثْنِنى عن موعدى خَشيةُ الرَّدى

تنادتْ وقد أعجبتُها كيفَ قُمتمُ * ولم تتخذْ إلّا الطريقَ المُعبَّدا (٤)

فقلتُ: سَلى أحشاءَهم كيف رُوِّعتْ * وأسيافَهم هل صافحتْ منهمُ يدا

فقالتْ: أخافُ القومَ والحِقدُ قد بَرَى * صُدورَهمُ أن يبلُغوا منكَ مَقصِدا (٥)

فلا تتخذْ عندَ الرَّواحِ طريقَهم * فقد يُقنَصُ البازى وإنْ كانَ أصيدا (٦)

فقلتُ: دَعى ما تحذرينَ فإنّنى * أُصاحبُ قلباً بينَ جَنبىَّ أيِّدا (٧)

فمالتْ لتُغرِينى ومالأَها الهَوى * فحدَّثتُ نفسى والضميرُ تردّدا (٨)

أَهُمُّ كما همّتْ فأذكُرُ أنّنى * فتاكَ فيدعونى هُداكَ إلى الهُدى (٩)

---

(١) تغرد الطائر، كغرّد: رفع صوته وطرّب به. (٢) أسبل: أرخى. والحالك: الشديد السواد. (٣) قدّوا: قطعوا. والغدائر: الضفائر. والفرع من المرأة: شعرها، جمعه فروع. وحاكوا: نسجوا. والنقاب: البرقع. ويريد بهذا البيت والذى قبله أن محبوبته ترجو كما يرجو اللص أن يشتد الظلام ويستتر البدر، أو أن تجعل للبدر نقابا من غدائرها السود سترا لمحبوبها عن أعين الرقباء.

(٤) الطريق المعبد: الممهد المسلوك. (٥) برى الحقد صدورهم، أى أسقمها وأذابها.

(٦) يقنص: يصاد. والبازى: نوع من الصقور يتخذ للصيد. والأصيد (هنا): الأقدر على الصيد الأعرف به. (٧) الأيد (بتشديد الياء): القوىّ الشديد. (٨) مالأها: ساعدها وشايعها. (٩) يريد بهذا البيت والذى قبله أنها آنثنت لتغريه بنفسها وساعدها على ذلك هواها له وهواه لها، فهمت به وهمّ بها، ثم ذكر هدى الممدوح فاهتدى بهديه.





وأُنْشِدُ أَشْعارِي وإنْ قال حاسِدِي * نَعَـمْ شاعِرٌ لٰكِنّه غيرُ مِكْثارِ

فحَسْبِي مِن الأشْعارِ بيتٌ أَزِينُه * بذِكْرِكَ يا(عبّاسُ) في رَفْعِ مِقْدارِي

كذا فلْيَكُنْ مَدْحُ المُلوكِ وهٰكذا * يَسُوسُ القَوافِي شاعِرٌ غيرُ ثَرْثارِ (١)

ويَسْلُبُ أَصْـدافَ البِحارِ بَناتِها * بنَفْثَةِ سِحْـرٍ أو بخَطْرةِ أَفْكارِ (٢)

مَعانٍ وألفاظٌ كما شاءَ (أَحمَـدٌ) * طَوَتْ جَزْلَ (بَشّارٍ) ورِقّةَ مَهْيارِ (٣)

إذا نَظَرَتْ فيها العُيونُ حَسِبْنَها * لحُسْنِ انْسجامِ القَوْلِ كالجَدْوَلِ الجارِي (٤)

أَمَوْلايَ هٰـذا العيدُ وافاكَ فاحْبُه * بحُـلّةِ إقْبـالٍ ويُمْنٍ وإيثـارِ (٥)

ويَمِّنْـهُ وانْثُرْ مِنْ سُعودِكَ فَوْقَه * وتَوَجَّهْ بالبُشْرَى ومُرْهُ بإسْـفارِ (٦)

فلا زالت الأعْيادُ تَبْغِي سُعودَها * لَدَى مَلِكٍ يَسْرِي على عَدْلِه السّارِي (٧)

ولا زِلْتَ في دَسْتِ الجَلالِ مُؤَيَّدًا * ولا زالَ هٰذا المُلْكُ في هٰذه الدّارِ (٨)

---

(١) يسوس القوافي : يروضها ويذللها . والثرثار : المتشدق الذي يكثر الكلام تكلفا .

(٢) بنات الأصداف : اللآلئ التي تكون فيها . والنفث : النفخ، وأضافه الى السحر، لأن الساحر ينفث في العقد .

(٣) الظاهر أنه يريد «بأحمد» : أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي . ويقول : إن لشـعره من الجزالة والرقة ما يفوق جزالة بشار ورقة مهيار .

(٤) الجدول : النهر الصغير .

(٥) حباه يحبـوه : أعطاه بلا جزاء ولا منّ . وآثره إيثارا : خصـه بالإكرام .

(٦) يمنه ، أي أفض عليه من اليمن ، وهو البركة . والذي في القاموس وشرحه : « يمن عليه » بتعدية هذا الفعل بالحرف . والإسفار : الإضاءة والإشراق .

(٧) يسري على عدله الساري . أي أن عدله قد ظهر واشتهر حتى صار منارا يهتدى به .

(٨) الدست : صدر المجلس؛ فارسيّ معرّب .

*
* *

وقال أيضا يمدحه ويهنئه بعيد جلوسه فى ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

(١)
ما ذا ٱدَّخَرْتَ لهٰذا ٱلعيدِ مِنْ أَدَبِ * فقـد عَهِدْتُكَ رَبَّ السَّبْقِ وٱلغَلَبِ
(٢)
تَشْـدُو وتُرْهِفُ بالأشـعارِ مُرْتَجِلًا * وتُبْرِزُ ٱلقَوْلَ بين السِّـحْرِ وٱلعَجَبِ
(٣)
وتَصْـقُلُ ٱللَّفْظَ فى عَيْنِى فأَحسَبُنِى * أَرَى فِرِنْدَ سُيوفِ ٱلهِنْدِ فى الكُتُبِ

هٰـذا هو ٱلعيدُ قد لاحَتْ مَطالِعُهُ * وكُلُّنـا بيْنَ مُشْـتاقٍ ومُرْتَقِبِ
(٤)
فادْعُ ٱلبَيانَ لِيـومٍ لا تُطـاوِلُهُ * يَدُ البَـلاغةِ فى الأشـعارِ والخُطَبِ
(٥)
إنِّى دَعَوْتُ ٱلقَـوافِىَ حِينَ أَشْرَقَ لى * عِيـدُ الأَميرِ فلَبَّتْ غُرَّةَ الطَّلَبِ
(٦)
وأَقْبَلَتْ كأَيادِيه إذا ٱنسَجَمَتْ * على ٱلوَرَى وغَدَتْ مِنِّى على كَثَبِ
(٧)
فقُمْتُ أَخْتـارُ منهـا كُلَّ كاسِـيَةٍ * تاهَتْ بنَضْرَتِها فى ثَوْبِهـا ٱلقَشِبِ

وحارَ فيه بَيانى حِينَ صِحْتُ به : * بٱلعِـزِّ يَبْـدَأُ أَمْ بٱلمَجْـدِ وٱلحَسَبِ؟
(٨)
يا مَنْ تَنافَسُ فى أوصافِه كَلِمِى * تَنافُسَ ٱلعَرَبِ الأَمْجـادِ فى ٱلنَّسَبِ

---

(١) فى هذا البيت وما بعده يوجه الشاعر الخطاب الى نفسه . (٢) تشدو : تترنم . وأرهف بالشعر : قاله على البديهة ولم يهيئه قبـل إنشاده . (٣) تصقل اللفظ : تجلوه وتكسبه رونقا وطلاوة . وفرند السيف : ماؤه الذى يجرى فيـه ؛ معرّب . يشبه الشعر فى بهجته وبهـائه بالسيف فى لمعانه وروائه . (٤) لا تطـاوله : لا تبلغ مدى وصفه . (٥) غرة الطلب : أوله : يريد أن الشـعر أجابه أول ما طلبـه ولم يحوجه الى تكرار الطلب . (٦) الأيادى : المنن . وانسجمت : توالت وتتابعت . والكثب : القرب . (٧) الكاسـية : ذات الكسوة ؛ ويريد بها الألفاظ فى ثوب من الجمـال . والنضرة : الحسن . والقشب : الجديد .

(٨) تنافس : تتنافس وتتبارى .





سَلُوا الفَلَكَ الدَّوَّارَ هل لاحَ كَوْكَبٌ * على مِثْلِ هذا العَرْشِ أو راحَ كَوْكَبُ؟

وهَلْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ على مِثْلِ ساحَةٍ * إلى ذلكَ البَيْتِ (الحَمِيدِيِّ)(١) تُنْسَبُ؟

وهَـلْ قَرَّ في بُرْجِ السُّعُودِ مُتَوَّجٌ * كما قَـرَّ في (يِلْدِيزَ)(٢) ذاكَ المُعَصَّبُ؟

تَجَـلَّى على عَرْشِ الجَلالِ وتاجُه * يَهَشُّ وأَعْـوادُ السَّرِيرِ تُرَحِّبُ(٣)

سَمَـا فَوْقَه والشَّرْقُ جَذْلانُ شَيِّقٌ * لِطَلْعَتِه والغَرْبُ خَذْلانُ يَرْقُبُ(٤)

فقامَ بأَمْرِ اللهِ حَـتَّى تَرَعْرَعَتْ * به دَوْحَةُ(٥) الإسْلامِ والشِّرْكُ مُجْدِبُ

وقَرَّبَ بَيْنَ المَسْجِدَيْنِ(٦) تَقَـرُّباً * إلى المَلِكِ الأَعْلَى فنِعْـمَ المُقَـرِّبُ

وكَمْ حاوَلُوا في الأَرْضِ إطْفاءَ نُورِه * وإطْفاءُ نُورِ الشَّمْسِ مِنْ ذاكَ أَقْرَبُ

فَراعَهُـمُ(٧) منـه بجَيْشٍ مُـدَجَّجٍ * له في سَـبِيلِ اللهِ والحَـقِّ مَذْهَبُ

يُدانِي شُخُوصَ المَوْتِ حَتَّى كأنَّمـا * له بَيْنَ أَظْفارِ المَنِيَّـةِ مَطْلَبُ

---

(١) الحميدى: نسبة الى السلطان عبد الحميد. (٢) يلديز: كان قصر الخلافة بالآستانة. والمعصب: المتوج، وذلك لأن التاج يحيط بالرأس كالعصابة؛ قال عمرو بن كلثوم:

بكل معصب من آل سعد * بتاج الملك يحمى المحجرينا

(٣) تجلى: ظهر. ويهش: يرتاح. (٤) جذلان: من الجذل (بالتحريك)، وهو الفرح. والشيق: المشتاق. ويريد بالخذلان: المخذول. ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من مدونات اللغة؛ وإنما ذكرها الشاعر موافقة لقوله فى الشطر الأول: «جذلان».

(٥) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة الظل. (٦) يريد «بالمسجدين» (هنا): بيت المقدس ومسجد المدينة؛ ويشير بذلك الى الخط الحديدى الحجازى من دمشق الى المدينة، وقد بدئ العمل فيه فى مايو سنة ١٩٠٠ م، واحتفل بالفراغ منه وافتتاحه سنة ١٩٠٨ م.

(٧) راعهم: أفزعهم. والمدجج: المسلح.

إذا ثارَ فى يومِ الوَغَى مالَ مَنْكِبٌ * مِنَ الأرضِ والأطوادِ وانهالَ مَنْكِبُ (١)

له مِنْ رُءوسِ الشُّمِّ فى البَرِّ مَرْكَبٌ * ومِنْ ثائرِ الأمواجِ فى البَحْرِ مَرْكَبُ (٢)

فِدًى لك يا (عَبْدَ الحَمِيدِ) عِصابةٌ * عَصَتْ أمرَ بارِيها وحِزْبٌ مُذَبْذَبُ (٣)

مَلَكْتَ عليهم كُلَّ فَجٍّ وجُنَّةٍ * فليس لهم فى البَرِّ والبَحْرِ مَهْرَبُ

تقاذَفَهُمْ أيدى اللَّيالِى كأنَّهمْ * بها مَثَلٌ للنّاسِ فى القَوْمِ يُضْرَبُ (٤)

وكَمْ سَأَلُوها لَثْمَ أذيالِكَ التى * لها فوقَ أجْرامِ السَّمٰواتِ مَسْحَبُ (٥)

فما بَلَغُوا سُؤْلًا ولا بَلَغُوا مُنًى * كذلكَ يَشْقَى الخائنُ المُتَقَلِّبُ

فيا صاحِبَ العِيدَيْنِ لا زِلْتَ سالمًا * يُهَنِّيكَ بالعِيدَيْنِ شَرْقٌ ومَغْرِبُ (٦)

فَفِى كُلِّ رَوْضٍ مِنْكَ طِيبٌ ونَضْرةٌ * وفى كُلِّ أرضٍ منكَ عِيدٌ ومَوْكِبُ

أرَى مِصْرَ والأنوارَ : منها مُوَرَّدٌ، * ومنها لُجَيْنِىٌّ، ومنها مُذَهَّبُ (٧)

وأشكالُها شَتَّى فهٰذا مُنَظَّمٌ * وذلك مَنْثُورٌ وذاكَ مُقَبَّبُ (٨)

---

(١) الوغى : الحرب لما فيها من الأصوات والجلبة . ومنكب من الأرض ، أى ناحية منها . والأطواد : الجبال العظيمة ، الواحد طود (بفتح الطاء) . والمعنى أن الأرض تميد بهذا الجيش لكثرته وعدّته . (٢) الشم : الجبال العالية ، واحدها : أشم .

(٣) يشير الى حزب تركيا الفتاة الذى كان يعارض السلطان عبد الحميد فى سياسته .

(٤) تقاذفهم ، أى تتقاذفهم . وقد شبههم فى تشريدهم فى البلاد بالأمثال السائرة بين الناس من لسان الى لسان . (٥) سألوها ، أى سألوا الليالى . وأجرام السموات : أفلاكها . والمسحب : المكان الذى تسحب عليه الأذيال . (٦) يريد «بالعيدين» : عيد جلوس السلطان وعيد تأسيس الدولة العثمانية . (٧) اللجينى : نسبة الى اللجين ، وهو الفضة . (٨) المقبب : المصنوع على أشكال القباب .

وبعضٌ تَجلَّى فى مصابيحَ، زَيتُها * يُضىءُ ولا نارٌ وبعضٌ مُكَهْرَبُ (١)

وأَنظُرُ فى بُستانِها النَّجمَ مُشرِقًا * فهل أَنتَ يا بُستانُ أُفقٌ مُكَوكَبُ (٢)

وأَسمَعُ فى الدُّنيا دُعاءً بنصرِه * يُردِّدُه البيتُ العتيقُ ويثربُ (٣)

تهنئة جلالة ادوارد السابع بتتويجه (٤)

[نشرت فى ٩ أغسطس سنة ١٩٠٢ م]

لَحَتْ مِنْ مِصرَ ذاكَ التاجَ والقَمَرَا * فقُلتُ للشِّعرِ هذا يَومُ مَنْ شَعَرا (٥)

يادولةً فوقَ أَعلامٍ لها أَسَدٌ * تَخشَى بوادِرَه الدُّنيا إذا زَأَرا (٦)

بالأَمسِ كانتْ عليكِ الشمسُ ضاحيةً * واليومَ فَوقَ ذُراكِ البَدْرُ قد سَفَرا (٧)

يَؤولُ عَرشُكِ مِن شمسٍ الى قَمَرٍ * إنْ غابَتِ الشمسُ أَولَتْ تاجَها القَمَرا (٨)

مَنْ ذا يُناويكِ والأَقدارُ جاريةٌ * بما تَشائينَ ، والدنيا لِمَنْ قَهَرا (٩)

---

(١) يريد بقوله : « يضىء ولا نار » : أن هذا الزيت صاف براق . (٢) المكوكب : ذو الكواكب . (٣) البيت العتيق : الكعبة . ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) ولد ادوارد السابع فى سنة ١٨٤١ م ، وولى الملك فى يناير سنة ١٩٠١م ، وتوفى فى سنة ١٩١٠م .

(٥) يريد « بالقمر » : صاحب التاج . وشعر ، أى قال الشعر . (٦) الأسد : شعار الدولة الإنجليزية ، كما جعل النسر شعار الدولة الألمانية ، والهلال شعار الدولة العثمانية ، وغير ذلك . والبوادر : جمع بادرة ، وهى ما يبدر من الشر . أى يسبق منه عند الحدة والغضب . (٧) يريد «بالشمس» : الملكة فكتوريا ملكة الإنجليز . والذرا : جمع ذروة ، وهى ما ارتفع من المواضع . ويريد « بالبدر » : ابنها الملك ادوارد السابع . وسفر : ظهر وانكشف . (٨) أولت : أعطت .

(٩) المناوأة : المعاداة والمعارضة .

اذا ٱبتسمتِ لنا فالدهرُ مبتسمٌ * وإنْ كشرتِ لنا عن نابِهِ كشرا (١)

لا تعجبنَّ لِملكٍ عزَّ جانبُه * لولا التعاونُ لم تنظرْ له أثرا

ماثلَّ ربُّك عرشًا بات يحرسُه * عدلٌ ، ولا مدَّ فى سلطانِ مَنْ غدرا (٢)

خبرتُهم فرأيتُ القومَ قد سهروا * على مرافقِهم والمَلْكُ قد سهرا (٣)

تشاوروا فى أمورِ المُلْكِ مِنْ مَلِكٍ * الى وزيرٍ إلى مَنْ يغرسُ الشجرا (٤)

وكان فارسُهم فى الحربِ صاعقةً * وذو السياسةِ منهم طائرًا حذرا

بالبرِّ صافنةٌ داستْ سنابِكُها * مناجمَ التبرِ لمَّا عافتِ المَدَرا (٥)

وفى البحارِ أساطيلٌ إذا غضبتْ * ترى البراكينَ فيها تقذفُ الشررا (٦)

وهُنَّ فى السِّلْمِ والأيامُ باسمةٌ * عرائسٌ يكتسين الدَّلَّ والخفرا (٧)

حتى إذا نشبتْ حربٌ رأيتَ بها * أغوالَ قفرٍ ولكنْ تنهشُ الحجرا (٨)

---

(١) كشر عن نابه : كشف عنه وأبداه ؛ وهو مستعمل هنا فى معنى التنمر والغضب .

(٢) ثل الله عرشهم ، أى هدم ملكهم وأذهب عزهم .

(٣) المرافق : المنافع والمصالح . والملك (بتسكين اللام) : لغة فى الملك (بكسرها) .

(٤) من يغرس الشجر ، أى الفلاح .

(٥) الصافنة : الخيل . والصافن منها : ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة ، وهو من الصفات المحمودة فيها . والسنابك : أطراف الحوافر ، الواحد : سنبك (بضم السين والباء) . والمدر : التراب الملبد . يريد أن جيوشهم ملكت من الأرض أغناها وأكثرها ثروة حتى إن خيولهم تدوس ما تضمنت الأرض من ذهب ، لكثرة ما فى أيديهم من الأماكن الغنية ، وكرهت أن تدوس التراب .

(٦) شبه سفنهم فى الحرب ببراكين النار . (٧) الخفر (بالتحريك) : شدة الحياء .

(٨) الأغوال : جمع غول ، شبه بها ما ترميه السفن من القذائف .

اليومَ يُشرِقُ "إدوارُ" على أُمَمٍ * كأنَّها البحرُ بالآذِيِّ قد زَخَرا (١)

لو أمطرَ الغيثُ أرضًا تستظِلُّ بهم * عدَتْ رءوسَهمُ عن وجهِها المطَرا (٢)

اليومَ يَلثِمُ تاجَ العِزِّ مُحتشِمًا * رأسًا يُدبِّرُ مُلكًا يكلأُ البشَرا (٣)

يُصرِّفُ الأمرَ مِن مِصرٍ إلى عَدَنٍ * فالهندِ فالكابِ حتّى يَعبُرَ الجُزُرا (٤)

قد سالَمتْه الليالي حينَ أعجزَها * عَقدٌ لِما حَلَّ أو تقويمُ ما أطَرا (٥)

(إدوارُ) دُمتَ ودامَ المُلكُ في رَغَدٍ * ودامَ جُندُكَ في الآفاقِ مُنتصِرا

حقَنتَ بالصُّلحِ والرأيِ السديدِ دمًا * روّى الشِّعابَ وروّى الصارِمَ الذَّكَرا (٦)

هُمْ يذكُرونَكَ إنْ عَدُّوا عُدولَهمُ * ونحنُ نذكُرُ إنْ عَدُّوا لنا (عُمَرا)

كأنّما أنتَ تجري في طريقتِه * عدلًا وحِلمًا وإيقاعًا بمَن أشِرا (٧)

---

(١) آذى البحر : موجه ، وجمعه : أواذى (بتشديد الياء) . شبه به الأمم التى تحت سلطان التاج البريطانى فى كثرتها . (٢) «عدت رءوسهم» الخ . أى صرفت رءوسهم المطر عن وجه الأرض ، يصفهم بكثرة العدد ، حتى إنهم لكثرتهم يحجبون وجه الأرض برءوسهم فلا يمسه المطر .

(٣) محتشما ، أى مستحيا . ويكلأ : يحفظ ويحرس . (٤) يصرف الأمر : يدبره ويقلبه كما يشاء . (٥) أطره ، عوّجه وثناه . والمعنى أن الدهر قد صالحه وسالمه حين لم يقدر على مناوأته ومعارضته فيما أراد . (٦) يقال : حقن فلان دم فلان ، إذا حل به القتل فأنقذه . ويريد « بالشعاب » : الطرق ، الواحد : شعب (بكسر الشين) ، وهو فى الأصل : الطريق فى الجبل . والصارم الذكر : السيف الذى شفرته من الحديد الذكر ، ومتنه من الحديد الأنيث . والحديد الذكر : هو أيبس الحديد وأجوده . ويشير بهذا البيت الى الصلح فى الحرب التى كانت بين البوير والإنجليز ، وقد ابتدأت فى سنة ١٨٩٩م وانتهت فى سنة ١٩٠٢م وهى السنة التى قال فيها الشاعر قصيدته فى تتويج إدوارد السابع . (٧) أشر يأشر (من باب فرح يفرح) : بطر ، يريد العاصى المتمرد .

إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١)

قالها فى سفرله إلى بعض بلاد الوجه البحرى وكان مصاحبا له فى هذا السفر

صَدَفْتُ عن الأهواءِ والحرُّ يَصْدِفُ * وأنصفتُ من نفسي وذو اللبِّ يُنْصِفُ (٢)

صَحِبْتُ الهُدَى عشرينَ يوماً وليلةً * فقرَّ يقيني بعدَ ما كانَ يَرْجُفُ (٣)

فَرُحْتُ وفى نفسي من اليأسِ صارِمٌ * وعُدْتُ وفى صدرى من الحِلْمِ مُصْحَفُ

وكنتُ كما كانَ (ابنُ عِمْرانَ) ناشِئًا * وكانَ كَمَنْ فى (سورةِ الكهفِ) يُوصَفُ (٤)

كأنَّ فؤادى إبرةٌ قد تَمَغْطَسَتْ * بحُبِّكَ أنَّى حُرِّفَتْ عنكَ تَعْطِفُ (٥)

كأنَّ يَراعِى فى مَديحِكَ ساجدٌ * مَدامِعُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَذْرِفُ (٦)

كأنكَ والآمالُ حَوْلَكَ حُوَّمٌ * نَميرٌ على عِطْفَيْهِ طَيرٌ تَرَفْرَفُ (٧)

وأزهرَ فى طِرْسِي يَراعِى وأنْمُلِى * ولَفْظِي فباتَ الطِّرْسُ يَجْنِى ويقطفُ (٨)

---

(١) انظر التعريف بالأستاذ الإمام فى الحاشية رقم ٣ ص ٤ من هذا الجزء . (٢) صدفت : أعرضت وصددت . (٣) يرجف : يضطرب . ويشير بهذا البيت الى قصة سمعناها منه وهى أن حافظا كان يظن بالأستاذ الإمام أنه شاك فى عقيدته الدينية غير قائم بالشعائر الإسلامية من صلاة وصوم ونحوهما فلما صحبه فى هذا السفر واتصل به تلك المدة المذكورة كان يراه فى الليل يكثر الصلاة والتضرع لله تعالى مبالغا فى كتمان ذلك عمن حوله ؛ فأحسن الشاعر اعتقاده بالأستاذ الإمام وأيقن أنه كان على خطأ فى ظنه الأول به ؛ ثم اهتدى بهديه ، وبدل شكه يقينا . (٤) يشير الى قصة نبى الله موسى الكليم مع الخضر عليهما السلام ، وإكثار موسى على الخضر فى الأسئلة ؛ وقد ذكر الله تعالى ذلك فى سورة الكهف .

(٥) تعطف : ترجع . (٦) تذرف : تسيل . (٧) الحوم من الطيور : التى تدور حول الماء ، الواحد : حائم . والنمير : الماء الناجع فى الرى . والعطفان : الجانبان .

(٨) أزهر : أخرج الزهر . والطرس : الصحيفة التى يكتب فيها .

وجَمْعَ مِنْ أنْوارِ مَدْحِكَ طاقَةً (١) * يُطالِعُها طَرْفُ الرَّبِيعِ فيُطْرَفُ

تَهادَى بها الأرْواحُ في كلِّ سُحْرَةٍ (٢) * وتَمْشِي على وَجْهِ الرِّياضِ فتَعْرُفُ

إمامَ الهُدَى إنِّي أرَى القَوْمَ أبْدَعُوا (٣) * لهم بِدَعًا عنها الشَّرِيعَةُ تَعْزُفُ

رَأَوْا في قُبُورِ المَيِّتِينَ حَياتَهُمْ * فقامُوا إلى تِلْكَ القُبُورِ وطَوَّفُوا

وباتُوا عليها جاثِمِينَ كأنَّهُمْ (٤) * "على صَنَمٍ للجاهِلِيَّةِ عُكَّفُ"

فأَشْرِقْ على تِلْكَ النُّفُوسِ لعَلَّها * تَرِقُّ إذا أشْرَقْتَ فيها وتَلْطُفُ

فأنْتَ بِهِمْ كالشَّمْسِ بالبَحْرِ إنَّها (٥) * تَرُدُّ الأُجاجَ المِلْحَ عَذْبًا فيُرْشَفُ

كثيرُ الأيادِي، حاضِرُ الصَّفْحِ، مُنْصِفٌ (٦) * كثيرُ الأعادِي، غائِبُ الحِقْدِ، مُسْعِفُ

(١) الأنوار: جمع نور (بفتح النون)، وهو الزهر . والطاقة : الحزمة من الزهر . ويطالعها طرف الربيع، أي تنظر إليها عينه . فيطرف، أي يصاب بما يؤذيه ؛ يقال : طرف فلان عين فلان ، إذا أصابها بشيء فدمعت ؛ وقد طرفت عينه (مبنيا للجهول) فهي مطروفة . يريد أن مدحه للأستاذ الإمام يفوق أزهار الربيع حسنا، فاذا نظر اليه الربيع ارتدّ طرفه عنه حسيرا .

(٢) تهادى، أي تتهادى . والتهادى : المشي في لين وتثن ؛ ويجوز أن يكون التهادى (هنا) من الإهداء، أي أن الرياح تحمل طيب هذه الطاقة فيهدى بعضها بعضا به . والسحرة : أول وقت السحر . وتعرف (بضم الراء) ، أي تصير ذات عرف (بفتح العين وسكون الراء)، أي رائحة طيبة ؛ أي أن الرياح تمرّ على الرياض حاملة طيب هذه الطاقة فتتعطر الرياض به . (٣) أبدعوا : أحدثوا . وتعزف (بضم الزاى وكسرها) : تنصرف وتعرض . (٤) جاثمون : ملازمون لها لم يبرحوها ؛ وفعله من باب (نصر وضرب) . وقوله : «على صنم» الخ : عجز بيت من قصيدة للفرزدق، وقبله :

لقد علم الجيران أن قدورنا ... جوامع للأرزاق والريح زفزف

ترى حولهن المقترين كأنهم ... على صنم ... ... الخ

والعكف : العاكفون، من عكف على الشيء، إذا لزمه وحبس نفسه عليه .

(٥) بهم، أى فيهم . ويشير الى ما هو معروف من تبخر ماء البحر بحرارة الشمس وصيرورة هذا البخار سحابا، ثم مطرا . والأجاج من الماء : الشديد الملوحة . ويرشف، أى يشرب . وأصل الرشف : مص الماء بالشفتين . (٦) الأيادى : النعم . وغائب الحقد : لا يحقد على أحد .

لهُ كلَّ يومٍ فى رِضَى اللهِ مَوْقِفٌ * وفى ساحَةِ الإحْسانِ والبِرِّ مَوْقِفُ

تَجلَّى (جَمالُ الدِّينِ) فى نُورِ وَجْهِهِ * وأَشْرَقَ فى أَثْناءِ بُرْدَيْهِ (أَحْنَفُ) (١)

رأَيْتُكَ فى الإفْتاءِ لا تَغْضِبُ الحِجا * كأَنَّكَ فى الإفْتاءِ والعِلْمِ (يُوسُفُ) (٢)

فأنتَ لها إنْ قامَ فى الشَّرْقِ مُرْجِفٌ * وأنتَ لها إنْ قامَ فى الغَرْبِ مُرْجِفُ (٣)

كَمُلْتَ كَمالًا لو تَناوَلَ كُفْرَه * لأَصْبَحَ إيمانًا بهِ يُتَحَنَّفُ (٤)

* * *

وقال يهنئه بعودته من سياحته فى بلاد الجزائر :

[نشرت فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٠٣ م]

بَكِّرا صاحِبَىَّ يومَ الإيابِ * وقِفا بِى (بعَيْنِ شَمْسٍ) قِفا بِى

إنّنِي والّذى يَرَى ما بِنَفْسِي * لَمَشُوقٌ لِظِلِّ تلكَ الرِّحابِ (٥)

---

(١) يشير الى أستاذ الممدوح الشيخ جمال الدين الأفغانى العالم الفيلسوف المعروف ، ورد مصر فى زمن إسماعيل باشا ، وتلقى عليه العلم أذكياء الطلاب بالأزهر ، ومنهم الأستاذ الممدوح ، فكانوا دعاة النهضة الحديثة وهداتها . و يريد بالأحنف : الأحنف بن قيس التميمى ، وكان من سادات التابعين ، مشهورا بالحلم ؛ وأسلم فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ؛ وشهد بعض الفتوحات ، وتوفى حوالى سنة سبع وستين .

(٢) الحجا : العقل . يريد أن الأستاذ الإمام وفق بين الدين والعقل فى فتاويه . و يوسف ، هو نبي الله يوسف الصدّيق عليه السلام ؛ ويشير الى قوله تعالى فى سورة يوسف : (ولما بلغ أشدّه آتيناه حكما وعلما) الآية .

(٣) لها ، أى لملة الإسلام . والمرجف : الذى يخوض فى الأخبار السيئة على أن يوقع فى الناس الاضطراب من غير أن يصح عنده شىء منها .

(٤) يتحنف به : يتعبد به . يشير الى ما هو مأثور فى كلام الفرس من قولهم : كل شىء يتناوله العليل يتحوّل الى علة ، وكذلك العكس ، فكل شىء يتناوله الصحيح يتحوّل الى صحة ، والكامل لما يتناول الكفر صار إيمانا . وكان الأستاذ الإمام كثيرا ما يردّد هذه العبارة . و يريد الشاعر أن كمال الأستاذ الإمام لو تناول كفر هذا المرجف لصيره إيمانا .

(٥) الذى يرى ما بنفسه هو الله تعالى .

يا أمينًا على الحقيقـــة والإفْ * ـتاءِ والشَّرْعِ والهُـدَى والكتابِ

أنتَ نِعْمَ الإمامُ فى مَوْطِنِ الرَّأْ * يِ ونِعْمَ الإمامُ فى المحــرابِ

خَشَعَ البَحْرُ إذْ رَكِبْتَ جَوارِيـ (١) * ـهِ خُشوعَ القُلوبِ يومَ الحسابِ

وبـــدا ماؤُه كخـاطِرِكَ المَصْـ (٢) * ـقُولِ أو كالفِرِنْدِ أو كالسَّرابِ

يَتَجَــلَّى كأنّه صُحُـفُ الأَبْـ (٣) * ـرارِ مَنْشُـــورةً بيــومِ المَـآبِ

عَلِمَتْ مَنْ تُقِلُّ فانبَعَثَتْ لِلْـ (٤) * ـقَصْـدِ مِثْـلَ انبعاثِه للثَّوابِ

فهى تَسْرى كأنّهـا دَعْـوَةُ المُضْـ (٥) * ـطَرِّ فى مَسْــبَحِ الدُّعاءِ المُجـابِ

وضِــياءُ (الإمامِ) يُوضِحُ للرُّبّـــ (٦) * ـانِ سُبْلَ النَّجاةِ فَوْقَ العُبـابِ

باتَ يُغْنيه عن مُكافَحَةِ البَحْـ (٧) * ـرِ ورُقْبَى النُّجــومِ والأقْطابِ

وسَـــرَى البَرْقُ للجــزائِرِ بالبُشْـ (٨) * ـرَى بقُــرْبِ المُطَهَّــرِ الأوّابِ

فسَـعَى أهْلُهـا إلى شاطِئِ البَحْـ * ـرِ وُفودًا بالبِشْـــرِ والتَّرْحابِ

أدْرَكوا قَـدْرَ ضَــيْفِهِمْ فأقامُوا (٩) * يَرْقُبونَ (الإمامَ) فَوقَ السَّـحابِ

---

(١) الجوارى : السفن . (٢) المصقول : المجلو . وفرند السيف : ماؤه الذى يترقرق فيه ؛ وهو فارسى معرّب . والسراب : ما يرى على البعـد فى نهاية الأفق كأنه المـاء وليس به . شبه الشاعر به ماء البحر فى الصفاء . (٣) المآب : المرجع ، ويوم المآب ، أى يوم القيامة . شـبه ماء البحر بصحف الأبرار فى النصوع والنقاء . (٤) علمت ، أى السفينة . وتقل : تحمل .

(٥) مسبح الدعاء ، أى طريقه . (٦) عباب البحر : موجه . (٧) الرقبى : المراقبة .

(٨) الأوّاب : الكثير الرجوع إلى الله ؛ (٩) يشـير بهذا الكلام الى ما ذهب إليه بعض الشيعة من أن محمد بن الحنفية سيرجع إليهم فى ظلل من الغمام ؛ فشبه الأستاذ الإمام به .

لَيتَ مِصرًا كَغيرِها تَعرِفُ الفَضـ * ـلَ لِذِى الفَضلِ مِن ذَوِى الأَلْبابِ
إنهـا لو دَرَتْ مكانَكَ فى المجْـ * ـدِ ومَرْماكَ فى صُدُورِ الصِّعابِ
وتَفانيكَ فى سَبيلِ (أبى حَفْـ * ـصٍ) (١) ومَسْعاكَ عند دَفعِ المُصابِ
لأَظَلَّتكَ بالقُلوبِ مِنَ الشَّمْـ * ـسِ ووارَتْ عِداكَ تحتَ التُّرابِ
أنتَ عَلَّمْتَنا الرُّجُـوعَ الى الحَـ * ـقِّ وردَّ الأُمُـورِ للأَسْـبابِ
ثم أشرَقْتَ فى (المَنـارِ) (٢) علَيْنـا * بيْنَ نُورِ الهُـدَى ونُورِ الصَّوابِ
فقَـرأْنا على ضِـيائِكَ فيـه (٣) * كلِمـاتِ المُهَيمِنِ الوَهّـابِ
وسَكَنّا (٤) إلى الّذى أنْزَلَ اللّـ * ـهُ وكُنّا مِنْ قبْـلِه فى ٱرْتِيابِ
أيُّهـذا الإمامُ أكْثَرتَ حُسّـا * دِى فباتَتْ نُفوسُهُم فى الْتِهـابِ
أبْصَـرُوا مَوْقِفِى فعَزَّ عليهـمْ * منـكَ قُرْبِى ومِنْ عُلاكَ ٱنْتِسابِى
أجْمَعُـوا أمْرَهُمْ عِشـاءً (٥) وباتُوا * يُسْـمِعُون الوَرَى طَنِينَ الذُّبابِ
ونَسُـوا رَبَّهُـمْ وقالوا ضَمِنّا * بُعْدَه عن رِحابِ ذاكَ الجَنـابِ (٦)

---

(١) « وتفانيك فى سبيل أبى حفص » ، أى ٱستماتتك فى نصرة الحق ، وهو سبيل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

(٢) يريد (مجلة المنار) المعروفة ، التى كان يحررها المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الأستاذ الإمام ، وقد أنشئت هذه المجلة فى سنة ١٣١٥ ﻫ (سنة ١٨٩٨ م) .

(٣) يشير بذلك الى ما كان ينشر فى (مجلة المنار) من تفسير الأستاذ الإمام لبعض آيات القرآن الكريم .

(٤) سكن الى الأمر : اطمأن اليه ووثق به .

(٥) أجمعوا أمرهم عشاء ، أى بيتوا النية على الكيد لى والوشاية بى .

(٦) يريد جناب الأستاذ الإمام .

قُلْ لِجَمْعِ المُنافقينَ ومِنْهُمْ * خُصَّ بالقَوْلِ عَبْدَ أُمِّ الحَبابِ (١)

عَبْدَ تلكَ الّتى يُحَرِّمُها اللّـ * ـهُ إزاءَ الأزْلامِ والأنْصابِ (٢)

إنّ نَفْسَ الإمامِ فوقَ مُناهُمْ * ما تَمَنَّوْا وإنّنى غيرُ صابِى (٣)

شابَ فيهِمْ وَلاؤُهُمْ حِينَ شابُوا * ووَلائِى فى عُنْفُوانِ الشَّبابِ

* * *

وقال فيه عند عودته من بعض أسفاره :

لو ينْظِمُونَ اللآلِى مِثْلَ مانُظِمَتْ * مُذْ غِبْتَ عنّا عُيونُ الفَضْلِ والأَدَبِ (٤)

لَافْتَقَرَ الجِيدُ مِنْ دُرٍّ يُحِيطُ به * والثَّغْرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ والكأسُ مِنْ حَبَبِ (٥)

* *

وقال مدافعا عنه أيضا ضدّ من حمل عليه من أعدائه فى الصحف ورسموا له صورا تزرى بقدره :

إنْ صَوَّرُوكَ فإنّما قد صَوَّرُوا * تاجَ الفَخارِ ومَطْلَعَ الأَنْوارِ

---

(١) أم الحباب : كناية عن الخمر . والحباب : الفقاقيع التى تعلو الشراب فى الكأس . ويريد « بعبد أم الحباب » : أحد الساعين فى التفريق بينه وبين الأستاذ الإمام ، وكان مدمنا للخمر .

(٢) إزاء الأزلام ، أى معها . والأزلام : سهام الميسر ، الواحد زلم (بالتحريك) . والأنصاب : ما ينصب من الأوثان ليعبد من دون الله ؛ الواحد نصب (وزان عنق وقفل) . ويشير بهذا الى قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) الآية . (٣) صابى ، أى صابئ (بالهمز) ، وهو الخارج من دين الى دين ؛ واستعمله هنا فى المتحوّل عن مودته . (٤) يريد «بعيون الفضل والأدب» : ما كان يحبره الأستاذ الإمام فى غيبته من مقالات وخطب . (٥) الجيد : العنق . وحبب الكأس : الفقاقيع التى تعلو سطح الشراب . والمراد بهذا البيت والذى قبله أن الناس لو أرادوا أن ينظموا مثل ما نظمت فى خطبك ورسائلك لم يجدوا غير در النحور ولآلئ الثغور وحبب الكؤوس شبيها بما قلت ، ولاستنفد نظمهم كل ذلك .

أو نَقَّصُوكَ فإنّما قد نقّصوا * دينَ النبيِّ محمّدِ المختارِ

سَخِرُوا مِن الفَضْلِ الذى أُوتِيتَه * واللهُ يَسْخَرُ منهمُ فى النارِ

لا تَجْزَعَنَّ فلستَ أوّلَ ماجِدٍ * كَذَبَتْ عليه صحائفُ الفُجّارِ

(١) رَسَمُوا بذاتِكَ للنواظِرِ جَنّةً * محفوفةً بمكارهِ الأشعارِ

(٢) وتَقَوَّلوا عنكَ القبيحَ وهكذا * يُمْنَى الكريمُ بغارةِ الأشرارِ

(٣) لَن يَحجُبُوكَ عن الورى أو يَحجُبُوا * فَلَقَ الصباحِ ومَشرِقَ الأقمارِ

(٤) أو يَبلُغُوا عَلْيَاكَ حتّى يَبلُغوا * بينَ الزّواهِرِ صورةَ الجبّارِ

(٥) ما أنتَ ذيّاكَ البغيضُ تَنَشّقِى * مُتَسَرْبِلًا بالعارِ فوقَ العارِ

(٦) لَعِبُوا به فى صورةٍ قد أَسْفَرَتْ * عن عَزْلِه فأقامَ حِلْسَ الدارِ

---

(١) يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم : «حفت الجنة بالمكاره» . شبه صورة الإمام فى صحف أعدائه وما كتبوه حولها من مستكره الهجو بالجنة التى حفت بالمكاره . (٢) يقال : تقوّل عليه الخبر، اذا افتراه . ويمنى : يبتلى و يصاب : (٣) أو يحجبوا، أى حتى يحجبوا . وفلق الصباح : ضوءه أول ما يبدو . (٤) الزواهر : النجوم . والجبار : اسم الجوزاء؛ يقال : «طلع الجبار» وذلك لأنها على صورة ملك متوج على كرسى . (٥) المتسربل : اللابس . (٦) حلس الدار : الذى يلزمها ولا يبرحها . ويشير الى أنهم كانوا قد رسموه على صورة تشعر أنه قد عزل من منصب الإفتاء وأقام فى داره . واستعماله «أسفرت» بمعنى «سفرت» ، أى كشفت وأظهرت ، لم يرد فى كتب اللغة التى بين أيدينا؛ وهو استعمال شائع بين كتاب العصر . والذى فى كتب اللغة أن «أسفر» بمعنى أضاء وأشرق؛ وليس مرادا هنا .

تهنئة الخديوى عباس الثانى بعيد الأضحى سنة ١٣٢١ هـ

[نشرت فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٤ م]

طُف بالأريكة ذات العزّ والشانِ * واقضِ المناسكَ عن قاصٍ وعن دانِى (١)

يا عيدُ ليتَ الذى أولاكَ نعمتَهُ * بقُربِ صاحبِ مصرٍ كان أولانى (٢)

صُغتُ القريضَ فما غادرتُ لؤلؤةً * فى تاجِ (كسرى) ولا فى عقدِ (بُوران) (٣)

أغريتُ بالغوصِ أقلامى فما تركتْ * فى لجّة البحرِ من درٍّ ومرجانِ (٤)

شكا (عُمانُ) وضجّ الغائصون به * على اللآلِى وضجّ الحاسدُ الشّانى (٥)

كم رامَ شأوِى فلم يُدرِكْ سوى صدَفٍ * سامحتُ فيه لنظّامٍ ووزّانِ (٦)

عابوا سُكوتى ولولاه لما نطقوا * ولا جرتْ خيلُهم شوطًا بميدانِ

واليومَ أنشدُهم شعرًا يُعيدُ لهم * عهدَ (النُّواسىّ) أو أيامَ (حسّانِ) (٧)

---

(١) الأريكة : سرير الملك . وقد شبه فى هـذا البيت ما يؤديه المخلصون للخديوى من شعائر الولاء بالذين يؤدون مناسك الحج . ومناسك الحج : أموره وشؤونه ؛ أو المواضع التى تذبح فيها ذبائحه .

(٢) أولاك : أعطاك . (٣) كسرى : لقب ملك الفرس . وبوران ، هى بوران دخت بنت كسرى ؛ أو هى بوران بنت الحسن بن سهل . شبه شعره باللآلئ التى فى هـذا التاج وذاك العقد .

(٤) أغراه به : حضه عليه . (٥) عمان ، كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند يجلب منها اللؤلؤ . يقول : إن مناص اللؤلؤ بهذا الموضع ومن يغوصون به قد شكوا وتغيظوا من كثرة ما أناله من اللآلئ الغالية التى أرصع بها شعرى وأحول بينهم وبينها ؛ وهى مبالغة فى تشبيه شعره بالنفاسة . والشانئ بالهمز (وسهل للشعر) : المبغض السيئ الخلق . (٦) الشأو : الغاية . ويريد «بالنظام والوزان» : الذين يقولون الشعر خاليا من المعانى ذات القيمة . (٧) يريد «بالنواسىّ» : أبا نواس الشاعر المعروف . وحسان ، هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين هجرية .

أزُفُّ فيه إلى (العبّاس) غانيـةً * عَفيفـةَ الخِدْرِ منْ آياتِ عدْنانِ (١)

مِنَ الأوانِسِ حَلّاهـا يَراعُ فتًى * صافى القَريحةِ صاحٍ غيرِ نَشْوانِ

ما ضاقَ أصْغرُه عنْ مَدْحِ سيِّده * ولا استعانَ بمَدْحِ الرّاحِ والبانِ (٢)

ولا استهَلَّ بذِكْرِ الغِيدِ مِدْحَتَه * فى مَوْطِنٍ بجَلالِ المُلْكِ ريّانِ (٣)

أغْلَيْتَ بالعَدْلِ مُلْكًا أنتَ حارِسُه * فأصبَحَتْ أرضُه تُشْرَى بميزانِ

جَرَى بها الخِصْبُ حتّى أنْبَتَتْ ذَهَبًا * فلَيْتَ لى فى ثَراها نصفَ فَدّانِ

نَظَرْتَ للنِّيلِ فاهتزَّتْ جوانِبُه * وَفاضَ بالخيرِ فى سَهْلٍ ووِدْيانِ

يَجْرِى على قَدَرٍ فى كلِّ مُنْحَدَرٍ * لَمْ يَجْفُ أرضًا ولَمْ يَعْمِدْ لطُغْيانِ (٤)

كأنّه ورِجالُ الرِّيِّ تَحرُسُه * مُمَلَّكٌ سارَ فى جُنْدٍ وأعْوانِ

قد كانَ يَشْكُو ضَياعًا مُذْ جَرَى طُلُقًا * حتّى أقَمْتَ له خَزّانَ أسْوانِ (٥)

كَمْ مِنْ يَدٍ لكَ فى القُطْرَيْنِ صالحةٍ * فاضَتْ علينا بجُودٍ منكَ هَتّانِ (٦)

---

(١) شبه قصيدته فى حسنها وجمالها بالغانية ، وهى الفتاة التى غنيت بجمالها عن الحلى . ويريد بقوله : « عفيفة الخدر » : اختصاص مدحته بالخديوى تشبيها لها بالغانية التى لم يطرق خدرها غير حليلها . «ومن آيات عدنان» أى أنها عربية صميمة . (٢) أصغره ، أى لسانه . والراح : الخمر . ويريد بقوله : « ولا استعان » الخ . أنه لم يجر على طريقة الشعراء فى ابتداء قصائد المدح بوصف الخمر وما اليها . (٣) استهل : ابتدأ . والغيد من النساء : النواعم اللينات منهن ، الواحدة غادة .

(٤) على قدر ، أى على حساب ومقدار . ويريد بقوله : «ولم يعمد لطغيان » : أنه لم يغرق البلاد بكثرة فيضانه . ويشير بهذا البيت الى ما يقوم به المهندسون فى تدبير ماء النيل .

(٥) طلقا (بضم الطاء واللام) ، أى منطلقا بلا قيد ولا حبس . (٦) يريد « بالقطرين » : مصر والسودان . وهتان ، أى منصب .

رَدَدْتَ ما سَلَبَتْ أيدى الزّمان لنا * وما تقلّص[1] من ظِلّ وسُلْطانِ

وما قَعَدْتَ عن السّودانِ إذ قعدوا * لكنْ أمَرْتَ فلبّى الأمرَ جيْشانِ[2]

هذا مِنَ الغربِ قد سالَتْ مَراكِبُهُ * وذا مِنَ الشّرقِ قد أوْفَى بطُوفانِ[3]

وَلّاكَ رَبُّكَ مُلْكًا فى رِعايَتِه * ومَدَّهُ لكَ فى خِصْبٍ وعُمْرانِ

مِنْ كُرْدُفانَ[4] إلى مِصْرٍ إلى جَبَلٍ * عليه كَلّمَهُ (موسى بنُ عِمْرانِ)

فكُنْ بمُلْكِكَ بَنّاءَ الرّجالِ ولا[5] * تَجْعَلْ بِناءَكَ إلّا كلَّ مِعْوانِ

وانظرْ إلى أمّةٍ لولاكَ ما طَلَبَتْ * حَقًّا ولا شَعَرَتْ حُبًّا لأوْطانِ

لاذَتْ بسُدّتِكَ[6] العَلْياءِ واعتَصَمَتْ * وأخْلَصَتْ لكَ فى سِرٍّ وإعلانِ

حَسْبُ الأريكةِ أنّ اللهَ شرّفَها * فأصبحتْ بكَ تَسْمُو فوقَ كَيْوانِ[7]

تاهَتْ بعَهْدِ مَليكٍ فوقَ مَفْرِقِهِ[8] * لمُلْكِ مِصْرٍ وللسّودانِ تاجانِ

هذا هُوَ المُلْكُ فليَهْنِئْ مَمْلَكَه * وذا هُوَ الشِّعْرُ فلتُنْشِدْه أزْماني

---

(١) تقلص، أى تقبض وتقاصر . (٢) يشير بهذا البيت الى إعادة فتح السودان الذى تم سنة ١٨٩٨ م . ويريد «بالجيشين» : الجيش المصرى والجيش الانجليزى .

(٣) أوفى بطوفان، أى جاء بعدد كثير كطوفان الماء . (٤) كردفان : إقليم من السودان معروف . ويريد «بالجبل» : جبل الطور الذى كلم الله نبيه موسى بن عمران عليه السلام فوقه .

(٥) يقول : هيئ لشعبك رجالا تعتدّ بهم عند الشدائد ، ولا تعتمد إلا على كل عظيم المعونة منهم .

(٦) سدتك، أى بابك . (٧) كيوان : اسم زحل بالفارسية؛ وهو ممنوع من الصرف وإنما أورده الشاعر هنا مجرورا بالكسر لضرورة القافية . (٨) المفرق (بفتح الراء وكسرها) : وسط الرأس، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر .

*
* *

وقال أيضا يهنئ سموه بالعام الهجرى :

[نشرت فى ١٩ مارس سنة ١٩٠٤]

قَصَرْتُ عَلَيْكَ العُمْرَ وهو قَصيرُ (١) * وغالَبْتُ فيكَ الشَّوْقَ وهو قَديرُ

وأنْشَأْتُ فى صَدْرى لِحُسْنِكَ دَوْلَةً * لها الحُبُّ جُنْدٌ والوَلاءُ سَفيرُ (٢)

فؤادى لها عَرْشٌ وأنتَ مَليكُهُ * ودُونَكَ مِنْ تلكَ الضُّلوعِ سُتُورُ

وما انتَقَضَتْ يوما عليكَ جَوانحِى (٣) * ولا حَلَّ فى قَلْبِى سِواكَ أميرُ

كَتَمْتُ فقالوا: شاعِرٌ يُنْكِرُ الهَوَى * وهل غيرُ صَدْرِى بالغرامِ خَبيرُ

ولو شِئْتُ أَذْهَلْتُ النجومَ عن السُّرَى (٤) * وعَطَّلْتُ أفلاكا بِهِنَّ تَدُورُ

وأشْعَلْتُ جِلْدَ اللَّيْلِ مِنِّى بِزَفْرَةٍ * غَرامِيَّةٍ منها الشَّرارُ يَطيرُ

ولٰكنَّنى أَخْفَيْتُ ما بِى وإنَّما * لكُلِّ غَرامٍ عاذِلٌ وعَذيرُ (٥)

أرى الحُبَّ ذُلًّا والشَّكايَةَ ذِلَّةً * وإنِّى بِسَتْرِ الذِّلَّتَيْنِ جَديرُ

ولِى فى الهَوَى شِعْرانِ : شِعْرٌ أُذيعُهُ * وآخَرُ فى طَىِّ الفُؤادِ سَتيرُ (٦)

ولولا لَجَاجُ الحاسِدِينَ (٧) لَمَا بَدَا * لِمَكْنُونِ سِرِّى فى الغَرامِ ضَميرُ

---

(١) قصرت عليك العمر، أى حبسته على حبك . (٢) الولاء (بفتح الواو) : الإخلاص .

(٣) انتقضت، أى فسدت، كما تنتقض الإمارات على أمرائها، أى تخرج عليهم وتشق عصا الطاعة .

(٤) السرى : السير بالليل . يقول : إنى لو شئت بثثت من اللوعة وحرارة الوجد ما يذهل النجوم عن مسيرها، ويعطل الأفلاك عن دورانها، فتصغى لبثى، وترثى لوجدى . (٥) العذير : العاذر والنصير أيضا . (٦) ستير، أى مستور، فعيل بمعنى مفعول . (٧) اللجاج : التمادى فى العناد والخصومة . يقول : لولا عناد ذوى الحسد والبغضاء لما بدا مما أكتمه من غرامى وشوقى ما يشعر الناس بهما .

ولا شَرَعتْ هذا اليَراعَ أنامِلي * لشَكْوَى ولكنّ اللَّجاجَ يُثِيرُ (١)

على أنني لا أركَبُ اليأسَ مَرْكَبًا * ولا أُكْبِرُ البأساءَ حين تُغِيرُ (٢)

فكَمْ حادثٍ عَنّى الحَيْنُ والسَّيفُ مُصْلَتٌ * وهانَ علىّ الأمرُ وهو عسيرُ (٣)

وكم لَمْحةٍ فى غفلةِ الدّهرِ نَفّسَتْ * هُمومًا لها بينَ الضُّلوعِ سَعِيرُ

فقد يَشْتَفِي الصّبُّ السّقيمُ بزَوْرةٍ * ويَنْجُو بلَفْظٍ عاثرٌ وأسيرُ

عَسَى ذلكَ العامُ الجديدُ يَسُرُّنى * ببُشْرى وهل للبائسين بَشيرُ؟

ويَنظُرُ لى ربُّ الأريكةِ نَظْرةً * بها يَنْجلى لَيْلُ الأسَى ويُنيرُ (٤)

مَليكٌ إذا غَنّى اليَراعُ بمَدْحِهِ * سَرَتْ بالمَعالي هِزّةٌ وسُرورُ (٥)

أمَوْلاىَ إنّ الشَّرقَ قد لاحَ نَجْمُه * وآنَ له بعدَ المَماتِ نُشورُ (٦)

تَفاءَلَ خيرًا إذ رآكَ مُمَلَّكًا * وفوقَكَ مِنْ نُورِ المُهَيْمِنِ نُورُ (٧)

مَضَى زَمَنٌ والغَرْبُ يَسْطُو بحَوْلِهِ * علىّ ومالي فى الأنامِ ظَهيرُ (٨)

---

(١) يقال : شرع الرمح، اذا سدّده وصوّبه . شبه القلم بالرمح فى ذلك . ويثير : يهيج .

(٢) «لا أكبر البأساء» الخ، أى لا أستعظم الشدة إذا نزلت بى، بل أستهين بها وأصبر على مضضها .

(٣) الحين (بفتح الحاء) : الهلاك . والسيف المصلت : المجرّد من غمده . (٤) رب الأريكة هو خديوى مصر . والأريكة : العرش ؛ وأصل معناها السرير المنجد المزين فى قبة أو بيت .

(٥) الهزة (بكسر الهاء) : الأريحية والخفة . (٦) النشور : البعث . (٧) التفاؤل : من الفأل (بسكون الهمزة)، وهو ضد التطير، فهو فيما يستحب، أما التطير، فهو فيما يسوء .

(٨) هذا البيت والذى بعده على لسان الشرق المتقدّم ذكره . ويسطو : يعدو . والحول : القوة . والظهير : المعين والنصير .

إلى أنْ أتاحَ اللهُ للصَّقرِ نَهْضَةً * فقلّتْ غِرارَ الخَطْبِ وهو طَرِيرُ (١)

جرَتْ أمّةُ اليابانِ شَوْطًا إلى العُلا * ومِصْرُ على آثارِها ستَسِيرُ

ولا يُمْنَعُ المِصْرِىُّ إدراكَ شأوِها * وأنتَ لطُلّابِ العَلاءِ نَصِيرُ (٢)

فقِفْ موْقِفَ (الفارُوقِ) وانظُرْ لأُمّةٍ * إليكَ بحبّاتِ القُلوبِ تُشيرُ (٣)

ولا تَسْتَشِرْ غيرَ العَزِيمَةِ فى العُلا * فليس سِواها ناصِحٌ ومُشِيرُ (٤)

فعَرْشُكَ محْرُوسٌ وربُّكَ حارِسٌ * وأنتَ على مُلْكِ القُلوبِ أمِيرُ

تهنئة الى رفعت بك بوكالته لمصلحة السجون

أُهَنِّيكَ أمْ أشْكُو فِراقَكَ قائلًا * أيَا ليْتنى كُنْتُ السَّجِينَ المُصَفَّدا (٥)

فلو كنتَ فى عهدِ (ابنِ يعقُوبَ) لم يَقُلْ * لصاحِبِه : اذْكُرْنى ولا تَنْسَنِى غَدَا (٦)

---

(١) كنى « بالصقر » عن الشرق . وفل السيف : ثلم حده . والغرار : الحد . والطرير : المحدّد . يقال : طر السيف ونحوه يطره (من باب نصر) طرا وطرورا ، أى حدّده .

(٢) الضمير فى « شأوها » لأمة اليابان السابق ذكرها . والشأو : الغاية .

(٣) الفاروق : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

(٤) يقول : اذا حاولت أمرا تكون غايته المجد والعلا فافعله ، ولا تستشر غير عزمك الوثاب ، وهمتك البعيدة الغاية .

(٥) المصفد : المقيد .

(٦) يريد بهذا البيت : أن السجناء يمنون بقاءهم فى السجن لحسن أخلاقه وجميل عشرته ، فلو تولى السجن فى عهد يوسف عليه السلام لآثر البقاء بجانبه فى السجن ولم يقل لصاحبه الذى نجا : (اذكرنى عند ربك) كما حكى الله تعالى ذلك فى القرآن فى سورة يوسف .

مدحة كتب بها الى محمد بك هلال [١]

هَجَعْتَ يا طَيْرُ ولَمْ أَهْجَعِ * ما أنتَ إلّا عاشِقٌ مُدَّعِي [٢]

لو كنتَ مِمَّنْ يَعرِفُونَ الجَوَى * قَضَيْتَ هذا اللَّيْلَ سُهْدًا مَعِي [٣]

يا مَنْ تَحامَيْتُمْ سَبِيلَ الهَوَى * أُعِيذُكُمْ مِنْ قَلَقِ المَضْجَعِ [٤]

وحَسْرَةٍ فى النَّفْسِ لو قُسِّمَتْ * على ذَواتِ الطَّوْقِ لَمْ تَسْجَعِ [٥]

ويا بَنِي الشَّوْقِ وأَهْلَ الأَسَى * ومَن قَضَوْا فى هذه الأَرْبُعِ

عليكُمُ مِنْ واجِدٍ مُغْرَمٍ * تَحِيَّةُ المُوجَعِ لِلْمُوجَعِ [٦]

لِلّهِ ما أقسَى فُؤادَ الدُّجَى * على فُؤادِ العاشِقِ المُولَعِ

هذا غليظٌ لَمْ يَرُضْهُ الهَوَى * ما بَيْنَ جَنْبَيْ أَسْوَدٍ أَسْفَعِ [٧]

وذاكَ فى جَنْبَيْ فَتًى مُدْنَفٍ * على سِوَى الرِّقَّةِ لَمْ يُطْبَعِ [٨]

---

(١) هو ابن ابراهيم بك هلال؛ وكان — رحمه الله — شاعرا مجيدا وكاتبا فاضلا، قد اشتغل بالصحافة زمنا غير قصير، وكانت له صحيفة اسمها «التواب»، كما كان واسع العلم بأخبار ما حدث فى البلاد فى نصف القرن الأخير . وتوفى رحمه الله فى ليلة الأحد ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الهجوع : النوم بالليل . (٣) الجوى : الحرقة وشدّة الوجد من عشق أو حزن .

(٤) تحامى الشيء : تجنبه وبعد عنه . (٥) ذوات الطوق : الحمائم؛ والطوق، هو البياض المحيط بأعناقها . وتسجع : تهدر وتردّد أصواتها . (٦) الواجد : ذو الوجد .

(٧) يشير بقوله : «هذا» إلى «فؤاد الدجى» السابق ذكره . وراضه يروضه : ذلله . والأسفع : الشديد السواد؛ يريد الليل . (٨) يشير بقوله : «ذاك» الى فؤاد العاشق «السابق ذكره» . والمدنف : الذى أثقله المرض المشرف على الموت .

وأغيد أسكنته فى الحشا * وقلت : يا نفس به فاقنعى (١)

نفاره أسرع من خاطرى * وصده أقرب من مدمعى

وخده لا تنطفى ناره * كأنما يقبس من أضلعى (٢)

تساءلت عنى نجوم الدجى * لما رأتنى دانى المضجع

قالت : نرى فى الأرض ذا لوعة * قد بات بين اليأس والمطمع

يئن كالمفئود أو كالذى * أصابه سهم ولم ينزع (٣)

إن كان فى بدر الدجى هائما * أما لهذا البدر من مطلع؟

أو كان فى ظبى الحمى مغرما * أما لهذا الظبى من مرتع؟

هيهات يا أنجم أن تعلمى * مثير أشجانى أو تطمعى (٤)

إنى لضنان بذكر اسمه * ضنى بود الكاتب الألمعى (٥)

الضارب الجزية منذ انتشى * على يراع الشاعر المبدع (٦)

---

(١) الأغيد : المائل العنق ، اللين الأعطاف ، المتثنى لينا ؛ والأنثى : غيداء .

(٢) قبس النار واقتبسها : أخذ منها قبسا (بالتحريك) ، أى شعلة .

(٣) المفئود : المصاب بفؤاده .

(٤) أو تطمعى ، أى تطمعى فى علم ذلك .

(٥) الضنان : الشديد الضن ، وهو البخل . والألمعى : الذكى المتوقد ذكاء .

(٦) الجزية : ما يفرض من الضرائب على الرءوس . ومعنى البيت أن هذا الممدوح قد فرض منذ نشأته على المبدعين من الشعراء أن يؤدوا إليه من المدح والثناء جزاء بما أسدى إليهم من النعم والآلاء . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة « انتشى » بمعنى نشأ ، كما هو المراد فى هذا البيت .

(١)
والحامِلِ الأَقْلامِ مَشْرُوعَةً * كأنَّها بَعْضُ القَنا الشُّرَّعِ
(٢)
اذا دَعا القَوْلُ أتى طائعًا * وإنْ دَعاهُ العِيُّ لم يَسْمَعِ
(٣)
صَحِبْتُه دَهْرًا فأَلْفَيْتُهُ * فَتًى كَرِيمَ الأَصْلِ والمَنْزِعِ
(٤)
مَوَدَّةٌ كالخَمْرِ إنْ عُتِّقَتْ * جادَتْ وفَضْلٌ باسِمُ المَشْرَعِ
(٥)
وعَزْمَةٌ لو قُسِّمَتْ فى الوَرَى * باتُوا مِنَ الشِّعْرَى على مَسْمَعِ

تهنئة (على حيدر بك) بعيد الأضحى

وكان مديرا لبنى سويف إذ ذاك

لِلّهِ عِيدٌ كَبِيرٌ * يَزْهُو بنُورِ جَبِينِكْ
(٦)
لَمْ تَقْتَبِلْهُ البَرَايَا * إلّا لِلَثْمِ يَمِينِكْ

---

(١) المشروعة : المسددة نحو الغرض . والقنا : الرماح، الواحدة قناة . والشرع، بمعنى المشروعة .

(٢) العى (بالكسر) : الحصر والعجز عن البيان . (٣) المنزع : الأصل الذى ينزع إليه أى يجذب ويميل ؛ ويقال : «نزع فلان الى عرق كريم» ، «ونزع الى أبيه» ، أى مال إليه وأشبهه .

(٤) الخمر المعتقة (بتشديد التاء) : القديمة . والمشرع : المورد الذى يستق منه . (٥) الشعرى : كوكب نير يطلع بعد الجوزاء . ومعنى البيت : أن عزمته لو وزعت على الناس لسموا الى منزلة الشعرى . ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على نقصها .

(٦) اقتبل الأمر : استقبله .

تهنئـــة سليمان أباظة باشا (١)

بإبلاله من مرض ألم به ، وبعرس نجله (على بك)

تَرَاءَى لكَ الإقبالُ حتّى شَهِدْناه (٢) * ودانَ لكَ المِقْـدارُ حتّى أَمِنّاه

(سُلَيْمانُ) ذَكَّرتَ الزمانَ وأهلَه (٣) * بعِزِّ (سُلَيْمانٍ) وإقبالِ دُنْياه

إذا سِرتَ يومًا حَذَّرَ النَّمْلُ بعضَه (٤) * مَخافةَ جيشٍ من مَوالِيكَ يَغْشاه

وإنْ كنتَ فى رَوْضٍ تَغَنَّتْ طُيورُه (٥) * وصاحَتْ على الأفنانِ : يَحْرُسُكَ اللهُ

وكان (ابنُ داوُدٍ) له الرِّيحُ خادِمٌ * وتَخْدُمُكَ الأيّامُ والسَّعْدُ والجاهُ

تَحُلُّ بحيثُ المَجْـدُ ألقَى رِحالَه (٦) * "فطاهِرَةٌ" والبيتُ والقُدْسُ أشباهُ

لَبِستَ الشِّفا ثوبًا جديدًا مُبارَكًا * فألْبَسْتَنا ثوبًا مِنَ العِزِّ نَرْضاه

وكان عليكَ الدَّهرُ يَخْفِقُ قَلْبُه * فلمّا شَفاكَ اللهُ أَهْدَأْتَ أَحْشاه

وهَنَّا جَدِيدَاهُ الزَّمانَ وأَصْبَحَتْ (٧) * تَسُوقُ لنا الأيّامُ ما نَتَمَنّاه

---

(١) سليمان أباظة باشا ، هو ابن حسن أباظة ؛ وكان مولده فى نحو سنة ١٨٣٤ م ، وتولى عدّة مناصب فى الحكومة المصرية ؛ وآخر منصب تولاه نظارة المعارف فى عهد المغفور له توفيق باشا الخديوى عقب الثورة العرابية ؛ وكانت وفاته فى سنة ١٨٩٧ م . (٢) تراءى لك : تصدّى لك لتراه . «ودان» : خضع . والمقدار : القدر بالتحريك . بالغ فى تصوير الإقبال حتى جعله شيئا يرى . (٣) يريد بسليمان الثانى نبي الله سليمان بن داود ، عليهما السلام . (٤) يشير بهذا البيت الى ما حكاه الله تعالى عن النمل حين رأى نبي الله سليمان مقبلا بجنوده ، إذ قال تعالى فى سورة النمل : (حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) . والموالى العبيد ، الواحد مولى . (٥) الأفنان : الأغصان ، الواحد فنن (بالتحريك) . (٦) ألقى رحاله : أقام . وطاهرة : بلد بإقليم الشرقية من أعمال مركز الزقازيق ، وهو بلد الممدوح . ويريد «بالبيت» : الكعبة . (٧) الجديدان : الليل والنهار . ولا يفردان ، فلا يقال : الجديد لواحد منهما .

وباتَ بَنُوكَ الغُرُّ ما بينَ رافِلٍ * بحُلَّةِ يُمْنٍ أو شَكُورٍ لِمَوْلاهُ (١)

(سُلَيْمانُ) دُمْ مادامتِ الشُّهْبُ فى الدجى * وما دامَ يَسْرِى ذلكَ البَدْرُ مَسْراهُ

وكُنْ (لِعَلِيٍّ) بَهْجَةَ العُرْسِ إنّه * بعِزِّكَ فى الأفراحِ تَمَّتْ مَزاياهُ

ولا تَنْسَ مَنْ أَمْسَى يُقَلِّبُ طَرْفَهُ * فلَمْ تَرَ إلّا أنتَ فى النّاسِ عَيْناهُ

فكتور هوغو (٢)

[نشرت سنة ١٩٠٧ م]

أَعْجَمِيٌّ كادَ يَعْلُو نَجْمُهُ * فى سَماءِ الشِّعْرِ نَجْمَ العَرَبِي

صافَحَ العَلْياءَ فيها والتَقَى * "بالمَعَرِّى" فوقَ هامِ الشُّهُبِ (٣)

ما ثُغُورُ الزَّهْرِ فى أَكْمامِها * ضاحِكاتٍ مِنْ بُكاءِ السُّحُبِ (٤)

نَظَمَ الوَسْمِيُّ فيها لُؤْلُؤًا * كَثَنايا الغِيدِ أو كالحَبَبِ (٥)

---

(١) الغر : جمع أغر ، وهو السيد الشريف الكريم الأفعال . ورفل فى ثوبه : جر ذيله وتبختر . واليمن : البركة .

(٢) هو الشاعر الفرنسى المعروف ؛ ولد سنة ١٨٠٢ م ، وكانت وفاته بباريس سنة ١٨٨٥ م . ومن كتبه : كتاب البؤساء الذى نقله الى العربية المرحوم حافظ بك . وفى هذه القصيدة يشير حافظ الى نفى فكتور بأمر لويس بونابرت فى سنة ١٨٥١ م والى خصوبة قريحته فى منفاه ، وكثرة ما وضع من المؤلفات .

(٣) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة . وقد قارنه بأبى العلاء المعرى لأن كليهما شاعر فيلسوف .

(٤) الأكمام : جمع كم ، وهو غطاء الزهر ؛ وكنى بضحك الأزهار عن تفتحها . ويريد « ببكاء السحب » : مطرها .

(٥) الوسمى : المطر أول الربيع . والثنايا : الأسنان الواحدة ثنية (بفتح الثاء وتشديد الياء) . والغيد : جمع غيداء ، وهى المرأة المتثنية لينا .

عند مَنْ يَقضِى بأبهى مَنظَرًا (١) * مِن مَعانِيه الّتى تلعَبُ بِى

بَسمَتْ للذِّهنِ فاستهوتْ نُهَى * مُغرَمِ الفَضلِ وصَبِّ الأدَبِ

وجَلَتْها حِكْمةً بالغةً * أعْجَزتْ أطْواقَ أهلِ المَغرِبِ (٢)

سائلُوا الطَّيرَ اذا ما هاجَكُمْ * شَدْوُها بين الهَوى والطَّرَبِ (٣)

هل تَغنَّتْ أو أرنَّتْ بِسوَى * (شِعرِ هُوغُو) بعدَ عهدِ العرَبِ (٤)

كان مُرَّ النَّفسِ أوْ تَرضَى العُلا * تَظْمأ الأفلاكُ إنْ لم يَشْرَبِ (٥)

عافَ فى مَنْفاهُ أنْ يَدنُو به * عَفْوُ ذاكَ القاهرِ المُغتصِبِ (٦)

بَشَّرُوه بالتَّدانِى ونَسُوا * أنه ذاكَ العِصامىُّ الأبِى (٧)

كَتَبَ المَنْفِىُّ سَطْرًا للّذى * جاءه بالعَفوِ فاقْرأْ واعْجَبِ (٨)

أبرِىءٌ عنه يَعفُو مُذْنِبٌ ؟ * كيفَ تُسْدِى العَفْوَ كَفُّ المُذْنِبِ؟

جاءَ والأحْلامُ فى أصْفادِها * مالَها فى سِجْنِها مِنْ مَذْهَبِ (٩)

---

(١) يقضى : يحكم . وأبهى منظرا : خبر «لما» فى قوله السابق : «ما ثغور» الخ .

(٢) جلتها : صقلتها . والأطواق : جمع طوق ، وهو الطاقة والجهد . (٣) شدوها : تغريدها وترنمها . (٤) أرن : صاح . (٥) مر النفس : شديد المراس .

(٦) يشير الى نفى فكتور سنة ١٨٥١ الى بروكسل حين اشترك فى الحرب ضد لويس بونابرت ، وقد بقى بعيدا عن وطنه ثمانى عشرة سنة ، وقد أقسم ألا يعود الى أرض فرنسا ما دام الامبراطور على العرش ، ولقد بر بقسمه ، فلم يعد اليها إلا بعد سقوط الامبراطور سنة ١٨٧٠ م . ويريد «بالقاهر المغتصب» : لويس بونابرت السابق ذكره . (٧) العصامى : الذى ساد بنفسه ، نسبة الى عصام المذكور فى قول الشاعر :

* نفس عصام سودت عصاما *

(٨) المنفى : فكتور هوجو . (٩) الأحلام : العقول ، الواحد حلم (بالكسر) . والأصفاد : القيود ، الواحد صفد (بالتحريك) .

طَبَعَ الظُّلْمُ على أقفالِها (١) * بِلَظاهُ خاتَمًا مِنْ رَهَبِ
أَمْعَنَ التَّقليدُ فيها فغَدَتْ (٢) * لا تَرى إلّا بعَينِ الكُتُبِ
أَمَرَ التقليدُ فيها ونَهى * بجُيوشٍ مِنْ ظَلامِ الحُجُبِ
جاءَها (هُوجُو) بعَزْمٍ دونَه * عِزّةُ التاجِ وزَهْوُ المَوْكِبِ (٣)
وانْبَرى يَصْدَعُ مِنْ أغلالِها (٤) * باليَراعِ الحُرِّ لا بالقُضُبِ
هالَهُ ألّا يَراها حُرّةً * تَمْتَطِي في البَحْثِ مَتْنَ الكَوْكَبِ (٥)
ساءَه ألّا يَرى في قَومِه * سِيرةَ الإسلامِ في عَهْدِ النَّبي
قُلْتَ عن نفسِكَ قَوْلًا صادِقًا * لَمْ تَشُبْهُ شائباتُ الكَذِبِ : (٦)
أنا كالمَنْجَمِ تِبْرٌ وثَرى * فاطرَحوا تُرْبِي وصُونوا ذَهَبِي

تهنئة سموّ الخديوى عباس الثانى (٧) بعيد الأضحى

(١٣٢٥ هـ — ١٩٠٨ م)

سَكَنَ الظّلامُ وباتَ قَلْبُكَ يَخْفِقُ * وسَطا على جَنْبَيْكَ هَمٌّ مُقْلِقُ
حارَ الفِراشُ وحِرْتَ فيه (٨) فأنتُما * تَحتَ الظّلامِ مُعَذَّبٌ ومُؤَرَّقُ

---

(١) اللظى : النار . (٢) أمعن : بالغ . (٣) الزهو : الاختيال . (٤) يصدع : يكسر ويحطم . والأغلال : السلاسل ، الواحد غل (بضم الغين وتشديد اللام) . والقضب : السيوف ، الواحد قضيب . (٥) المتن : الظهر . (٦) لم تشبه : لم تخالطه . (٧) فى هذه القصيدة يشكر سمو الخديوى على عفوه عن مسجونى دنشواى . وهو يجارى بهذه القصيدة قصيدة إسماعيل صبرى باشا التى مطلعها :

لو أن أطلال المنازل تنطق * ما ارتدّ حران الجوانح شيق

(٨) المؤرّق : المسهد الذى ذهب عنه النوم .

دَرَجَ الزَّمانُ وأنتَ مَفْتونُ المُنَى (١) * ومَضَى الشَّبابُ وأنتَ ساهٍ مُطرِقُ

عَجَبًا يلَذُّ لكَ السُّكوتُ مع الهوَى * وسِواكَ يبْعَثُه الغَرامُ فينْطِقُ

خُلِقَ الغرامُ لأصْغَرَيْكَ وطالما (٢) * ظَنُّوا الظُّنونَ بأصْغَرَيْكَ وأغْرَقُوا

ورَمَوْكَ بالسُّلْوَى ولو شَهِدُوا الّذى * تَطْويهِ فى تلكَ الضُّلوعِ لأشْفَقُوا

أَخْفَيْتَ أسرارَ الفُؤادِ وإنّما (٣) * سِرُّ الفؤادِ مِن النَّواظِرِ يُسْرَقُ

نَفِّسْ برَبِّكَ عنْ فُؤادِكَ كُرْبَةً (٤) * وارْحَمْ حَشاكَ فإنَّها تتَمزَّقُ

واذكُرْ لنا عَهْدَ الّذين بِنَأْيِهِمْ * جَمَعُوا عليكَ هُمومَهُمْ وتفرَّقُوا

ما لِلقَوافِى أنْكَرَتْكَ ولَمْ تكُنْ * لكسادِها فى غَيْرِ سُوقِكَ تَنْفُقُ (٥)

ما لِلبَيانِ بغَيْرِ بابِكَ واقِفًا * يَبْكِى ويُعْجِلُه البُكاءُ فيَشْرَقُ (٦)

إنِّى كَهَمِّكَ فى الصَّبابةِ لَمْ أزَلْ (٧) * ألْهُو وأرْتَجِلُ القَرِيضَ وأعْشَقُ

نَفْسِى برَغْمِ الحادِثاتِ فَتِيَّةٌ * عُودِى على رَغْمِ الكَوارِثِ مُورِقُ

إنّ الّذى أغْرَى السُّهادَ بمُقْلَتِى (٨) * مُتَعَنِّتٌ قَلْبِى بهِ مُتَعَلِّقُ

واثَقْتُهُ ألّا أبُوحَ وإنّما (٩) * يومَ الحِسابِ يُحَلُّ ذاكَ المَوْثِقُ

---

(١) درج : ذهب ومضى ، ومفتون المنى ، أى طامع فيما لا ينال . (٢) الأصغران : القلب واللسان . وأغرقوا : بالغوا وأفرطوا . (٣) يقول : إن ما يكتمه الفؤاد تبديه العين .
(٤) نفس : فرج وخفف . (٥) تنفق : تروج . (٦) يشرق : يغص .
(٧) الهم : العزم والقصد . (٨) أغراه به : أولعه به وحضه عليه .
(٩) واثقه : عاهده . يريد أن سر حبه سيظل مكتوما الى يوم القيامة .

وشَقِيتُ منــه بقُرْبِه وبِعـادِه * وأخُـو الشَّقاءِ إلى الشَّقاءِ مُوَفَّقُ

صاحَبْتُ أسْبابَ الرِّضا لِرُكُوبِه * مَتْنَ الخِلافِ لِمَا به أتَخَلَّقُ (١)

وصَبَرْتُ مِنْـهُ على الّذِى يَعْيَا به * حِلْمُ الحَلِيمِ ويَتّقِيـهِ الأحْمَـقُ (٢)

أصْبَحْتُ كالدَّهْرِىِّ أعْبُدُ شَـعْرَه * وجَبِينَـه وأنَا الشَّرِيفُ المُعْـرِقُ (٣)

وغَدَوْتُ أنْظِمُ مِنْ ثَنـايَا ثَغْرِه * دُرَرًا أقَـلِّدُها المَهَـا وأُطَوِّقُ (٤)

(صَبْرِى) اُسْتَثَرْتَ دفائِنِى وهَزَزْتَنِى * وأرَيْتَنِى الإبْداعَ كَيْفَ يُنَسَّقُ (٥)

فأبَحْتَ لِى شَكْوَى الهَوَى وسَبَقْتَنِى * فى مَدْحِ (عَبّاسٍ) ومِثْلُكَ يَسْـبِقُ

قال الرَّئيسُ فمـا لِقَـوْلٍ بَعْـدَهُ * باعٌ تَطُـولُ ولا لِمَـدْحٍ رَوْنَقُ (٦)

(شَوْقِى) نَسَبْتَ فما مَلَكْتُ مَدامِعِى * مِنْ أنْ يَسِيلَ بها النَّسِيبُ الشَّيِّقُ (٧)

---

(١) المتن : الظهر . وركوبه متن الخلاف : كناية عن المغاضبة والشقاق . يقول : إنى وإياه لمختلفان ، أنا ملازم فعل مايرضيه ، وهو دائب على أن يخالف مافى طبعى وأخلاق . (٢) يعيا به : يعجز عنه . (٣) الدهرى : الملحد الذى ينكر الإله وينسب الفعل الى الدهر . وخص الشاعر الشعر والجبين بالذكر لما فى الأول من سواد يشبه ظلمة الليـل ، ومافى الثانى من تألق يشبه بياض النهار ؛ وليس الدهر إلا الليل والنهار . وهو فى البيت يعجب من جمعه بين شبه متباينين : إلحاد فى العقيدة ، وشرف فى النسب . والمعرق (بفتح الراء وكسرها) : الذى له أصل فى الكرم . (٤) المها : البقر الوحشى ، يريد النساء التى تشبهها فى جمال العيون ، الواحدة مهاة . (٥) استثار : هيج . ويريد «بالدفائن» : مايضمره القلب من الشجون ، الواحدة دفينة . ويشير بذلك الى قصيدة صبرى التى أوردنا مطلعها فيما سبق .

(٦) يريد « بالرئيس » : اسماعيل صـبرى باشا . وطول الباع : كناية عن اتساع المقـدرة وقوة الاستطاعة . (٧) يريد أحمد شوقى بك الشاعر . والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن . ويريد «بالشيق» : الشائق ؛ والذى وجدناه فى كتب اللغة أن «الشيق» بمعنى المشتاق ؛ وليس مرادا هنا . ويشير بهذا البيت الى قصيدة شوقى فى هذا العيد ، والتى جارى فيها صبرى ، ومطلعها :

أما العتـاب فبالأحبـة أخلق * والحب يصلح بالعتاب ويصدق

أَعْجَزْتَ أَطْوَاقَ الأَنَامِ بِمِدْحَةٍ (١) * سَجَدَ البَيَانُ لِرَبِّهَا والمَنْطِقُ

لم تَتْرُكَا لِي فى المَدَائِحِ فَضْلَةً * يَجْرِى بها قَلَمِى الضَّعِيفُ ويَلْحَقُ

نَفْسِى على شَوْقٍ لِمَدْحِ أَميرِها * وبَرَاعَتِى (٢) بين الأَنَامِلِ أَشْوَقُ

ما ذا أَقُولُ وأَنْتُمَا فى مَدْحِهِ * بَحْرَانِ باتَ كِلاهُمَا يَتَدَفَّقُ

العَجْزُ أَقْعَدَنِى وإنَّ عَزَائِمِى * لَوْلاَ كُمَا فَوقَ السِّمَاكِ (٣) تُحَلِّقُ

فَلْيَهْنِئِ العَبَّاسَ أَنَّ بكَفِّهِ * عَلَمَيْنِ (٤) هَزَّهُمَا الوَلاءُ المُطْلَقُ

ولْيَبْقَ ذُخْرًا لِلْبِلادِ وأَهْلِها * يَعْفُو ويَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ويُعْتِقُ

(عَبَّاسُ) والعِيدُ الكَبِيرُ كِلاهُمَا * مُتَأَلِّقٌ بإزائِهِ مُتَأَلِّقُ

هٰذا له تَجْرِى الدِّمَاءُ وذَا لَهُ (٥) * تَجْرِى القَرَائِحُ بالمَدِيحِ وتُعْنِقُ

صَدَقَ الَّذِى قد قال فيه وحَسْبُهُ * أَنَّ الزَّمانَ لِمَا يَقُولُ مُصَدِّقُ:

(لكَ مِصْرُ ماضِيها وحاضِرُها معًا * ولكَ الغَدُ المُتَحَتِّمُ المُتَحَقِّقُ) (٦)

---

(١) الأطواق : جمع طوق ، وهو الوسع والطاقة . (٢) البراعة : القلم .

(٣) السماك : أحد نجمين نيرين يقال لأحدهما : السماك الرامح ، وللآخر : السماك الأعزل .

(٤) يريد « بالعلمين » : صبرى وشوقى السابق ذكرهما .

(٥) هذا ، أى العيد الكبير . ويشير بقوله « تجرى الدماء » : الى دماء الأضاحى . وذا ، أى العباس . وتعنق : تسرع .

(٦) هذا البيت من قصيدة صبرى فى هذا العيد ، والتى أشرنا الى مطلعها فيما سبق .

تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه (١)

[نشرت فى أوّل سبتمبر سنة ١٩٠٨ م]

أَثنى الحَجيجُ عليكَ والحَرَمانِ * وأَجلَّ عيدَ جُلُوسِكَ الثّقلانِ (٢)

أَرضَيتَ رَبّكَ إذ جَعلتَ طَريقَهُ * أَمنًا وفُزتَ بنِعمَةِ الرِّضوانِ

وجَمعتَ بالدُّستُورِ حَولَكَ أُمّةً * شَتّى المَذاهِبِ جَمّةَ الأَضْغانِ

فغَدَوتَ تَسكُنُ فى القُلوبِ وتَرتَعى * حَبّاتِها وتَحُلُّ فى الوِجْدانِ (٣)

راعيتَهُم حتّى عَلِمتَ بأَنّهم * بَلَغُوا أَشُدَّهُمُ على الأَزْمانِ

فجَعلتَ أَمرَ النّاسِ شُورَى بينَهُم * وأَقمتَ شَرْعَ الواحِدِ الدّيّانِ

لو أَنّهم وَزَنُوا الجُيُوشَ بمَشْهَدٍ * رَجَحَتْ بجَيشِكَ كِفّةُ المِيزانِ

لو شاءَ زَلزَلَها على أَعدائِهِ * أو شاءَ أَذْهَلَها عن الدَّوَرانِ (٤)

يَمشُونَ فى حَلَقِ الحَديدِ إلى العِدا * وكأَنّهم سَدٌّ مِن الإنسانِ (٥)

وكأَنَّ مَقدَمَهُم إذا لَمَعَ الضُّحَى * سَيلٌ مِن الهِنْدِىِّ والمُرّانِ (٦)

يَتَواقَعُونَ على الرَّدَى وصُفُوفُهُم * رَغْمَ الوُثُوبِ كَثابِتِ البُنْيانِ (٧)

---

(١) انظر التعريف بالسلطان عبد الحميد فى الحاشية رقم ٤ ص ١٥ من هذا الجزء . (٢) الحجيج : جمع حاج . والثقلان : الإنس والجن . (٣) حبات القلوب : سويداواتها . وترتعى حباتها : الارتعاء : الرعى ؛ وهو مبالغة فى تعلق القلوب به . (٤) زلزلها وأذهلها ، أى الأرض . يصف جيشه بالقوة والكثرة ، حتى إنه لو شاء أمال الأرض بأعدائه ، أو جعلها تقف ذاهلة لما ترى من بأسه وقوته . (٥) حلق الحديد : الدروع . (٦) الهندىّ : السيف . والمرّان : الرماح القوية اللدنة ، الواحدة : مرانة . (٧) الردى : الهلاك .

فإذا المَدافِعُ فى النِّزالِ تَجاوَبَتْ * بزئيرها وتَلاحَمَ الجَيْشانِ

وإذا القَنابِلُ دَمْدَمَتْ وتَفَجَّرتْ * تحتَ الغُبارِ تَفَجُّرَ البُرْكانِ (١)

وإذا البَنادِقُ أرسَلَتْ نيرانَها * طُلُقاً وأسبابُ الهَلاكِ دَوانِى (٢)

أبصرتَ جِنًّا فى مَسالِخِ فِتْيَةٍ * وشَهِدْتَ أفئدةً من الصَّوّانِ (٣)

مَرُّهُمْ يخوضوا الزّاخِراتِ وينسِفوا * شُمَّ الجِبالِ بِقُوَّةِ الإيمانِ (٤)

ثَلِجَتْ صُدورُهمُ وقَرَّ قَرارُهُمْ * لمّا حَلَفْتَ بأوثَقِ الأيمانِ (٥)

تاللهِ ما شَكُّوا بِصِدْقِكَ دُونَها * هُمْ يَعرِفونَ شَمائِلَ السُّلطانِ (٦)

لكنّهم دَرَجوا على سَنَنٍ به * لوِقايةِ الدُّستورِ خَيرُ ضَمانِ (٧)

يأيُّها الشَّعبُ الكريمُ تَماسَكوا * وخُذوا أمورَكُمُ بغيرِ تَوانِى

مالى أُذَكِّرُكُمْ وتلكَ رُبُوعُكُمْ * مَرعَى النُّهَى ومَنابِتُ الشُّجعانِ

أدرَكْتُمُ الدُّستورَ غيرَ مُلَوَّثٍ * بدَمٍ ولا مُتَلَطِّخًا بِهَوانِ (٨)

---

(١) استعمال «القنابل» بمعنى قذائف المدافع، استعمال شائع فى لغة العصر، ولم ترد به لغة العرب. ودمدمت عليهم، أى أرجفت الأرض بهم وأطبقت عليهم العذاب. (٢) طلقا (بضم الطاء واللام)، أى انطلاقا بلا احتباس ولا تقييد. (٣) المسالخ والمساليخ: الجلود، الواحد: مسلاخ. يقول: إنهم جن فى صور الإنس. (٤) الزاخرات: البحار. وشم الجبال: أعاليها. (٥) ثلج صدره بالشىء: برد واطمأن وسكن قلبه إليه. ويريد «بأوثق الأيمان»: اليمين التى حلفها السلطان على احترام الدستور. (٦) دونها، أى دون اليمين. (٧) درجوا: ساروا. والسنن (بالتحريك): الطريق. يقول: إنهم ساروا على الطريقة الدستورية المتبعة فى جميع الممالك وهى أن يحلف الملك اليمين على احترام الدستور، وإن كان الملك مقطوعا بصدقه عند رعيته، ولكن ليكون ذلك الحلف ضمانا للدستور. (٨) الهوان: الذل.

وفَعَلْتُمُ فِعْلَ الرجالِ وكنتمُ * يومَ الفَخَارِ كأُمَّةِ اليابانِ

فتَفَيَّئُوا ظِلَّ الهِلالِ فإنّه (١) * جَمُّ المَبَرَّةِ واسِعُ الإحْسانِ

يَرْعَى لِمُوسَى والمَسِيحِ وأحمدٍ * حَقَّ الوَلاءِ وحُرْمَةَ الأَدْيانِ

نَفِّذُوا المَواثِقَ والعُهودَ على هُدَى الـ * ـتَّوراةِ والإنجيلِ والفُرْقانِ

وتَذَوَّقُوا مَعْنَى الحَياةِ فإنّها * في مِصْرَ ألفاظٌ بغَيْرِ مَعانِي

ودَعُوا التَّقاطُعَ في المَذاهِبِ بينكمْ * إنَّ التَّقاطُعَ آيَةُ الخِذْلانِ

وتَسابَقُوا للباقياتِ وأَظْهِرُوا (٢) * للعالَمِينَ دَفائِنَ الأَذْهانِ

وَلَّى زَمانُ المُعْتَدِينَ كما انْطَوَتْ (٣) * حِيَلُ الشُّيوخِ وإمْرَةُ الخِصْيانِ

لا الشَّكُّ يَذْهَبُ باليَقِينِ ولا الرُّؤَى (٤) * تُجْدِي المُسِيءَ ولا رُقَى الشَّيْطانِ

وُضِعَ الكِتابُ وسِيقَ جَمْعُهُمُ إلى (٥) * يومِ الحِسابِ ومَوْقِفِ الإذْعانِ

---

(١) تفيئوا ظل الهلال ، أى التجئوا إليه واستظلوا به ؛ يقال : تفيأ الشجرة ، اذا دخل فى أفيائها ، أى ظلالها ، واستظل بها . (٢) الباقيات : المآثر الخالدة بعد زوال أصحابها . ويريد «بدفائن الأذهان» : نتائج القرائح وثمرات العقول . (٣) يريد «بإمرة الخصيان» : السلطة التى كانت للأغاوات فى القصور . (٤) الرؤى : الأحلام ، الواحدة : رؤيا . والرق : جمع رقية ، وهى العوذة التى يرقى بها من به علة . ويشير «بالرؤى والرق» : الى أحوال أبى الهدى الصيادى فى زمن السلطان عبد الحميد ، وما كان يدخل به الى قلب السلطان من الحيل والأكاذيب بالرق والتمائم والأحلام وغير ذلك . (٥) يشير بقوله : «وضع الكتاب» : الى قوله تعالى إخبارا عما يكون فى البعث يوم الحساب : (ووضع الكتاب فترى المجرمين) الآية . والمراد بوضع الكتاب هنا : الاستعداد لحساب المجرمين من الشعب على ما قدمت أيديهم قبل الدستور . والكتاب ، هو السجل الذى أحصيت فيه أعمالهم . والإذعان : الخضوع والانقياد .

وتوسّموهم فى القيود فقائلٌ * هذا فلانٌ قد وشى بفلان (١)

ومُلبّب لغريمه ومُطالبٌ * بدم أريق بمسبح الحيتان (٢)

قد جاء يومهمُ هنا ، وأمامهم * بعد النشور هناك يومٌ ثانى (٣)

سبحان من دان القضاءُ بأمره * ليد الضعيف من القوىّ الجانى (٤)

يا يوم عاد النازحون لأرضهم * يتسابقون لرؤية الأوطان (٥)

لله كم أطفأت من نارٍ ذكت * دهراً وكم هدّأت من أشجان (٦)

هذا يطير إلى (فَروق) ومن بها * شوقاً وذاك إلى رُبى لُبنان (٧)

خلعوا الشباب على البشير وأخلقوا * باللثم عهد خليفة الرحمن (٨)

وتعانقوا بعد النوى كخمائلٍ * يحلو بهنّ تعانق الأغصان (٩)

فترى النساء مع الرجال سوافراً * لا يتّقين عوادى الأجفان

---

(١) توسموهم ، أى تفرسوا فى وجوههم وتعرّفوهم . (٢) يقال : لبب فلان فلانا ، اذا أخذ بتلبيبه ، أى جمع ثيابه عند صدره ونحره فى الخصومة ثم جرّه . ومسبح الحيتان : البحر . يشير الى من كان بأمر السلطان بإغراقهم فى مضيق البسفور . (٣) النشور : الإحياء بعد الموت ، أى يوم القيامة . (٤) « دان القضاء » الخ : أى اقتص للضعيف من القوىّ . (٥) النازحون : البعيدون ؛ ويريد رجال السياسة الذين كان قد نفاهم السلطان عبد الحميد عن بلادهم لمطالبتهم إياه بالدستور . (٦) ذكت النار : اشتد لهبها . (٧) فروق (بفتح الفاء) : اسم القسطنطينية . والربى : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض . (٨) خلعوا الشباب على البشير ، أى انهم كادوا من فرحهم ببشرى العودة الى بلادهم يخلعون على من بشرهم بذلك حلل شبابهم بدل ثيابهم . وأخلقوا باللثم الخ ، أى أكثروا من تقبيل عهد الخليفة الى أن صار كالثوب الخلق ، أى الرث البالى . ويريد «بعهد الخليفة» : الفرمان المكتوب بعهده إليهم ، وتأمين الخائفين منهم . (٩) الخمائل : جمع خميلة ، وهى الموضع الكثير الشجر .

عَجَبًا لهنّ وقد خُلِقْنَ أَوانِسًا * يَبْرُزْنَ في فَرَحٍ وفي أَحْزانِ

أَهْلًا بحاسِرَةِ اللِّثامِ ومَنْ إذا * سَفَرَتْ عَنَا لجمالها القَمَرانِ

خَطَرَتْ فعطَّرَت المَشارِقَ عِنْدَما * هَبَّتْ نَسائِمُها مِن البَلْقانِ

(٢)
ياليتها خَطَرَتْ بِمِصْرَ وأَشْرَقَتْ * في يومِ أَسْعُدِها على طُهْرانِ

(٣)
أَضْناهُمَا شَوْقٌ قد ٱبيَضَّتْ له * كَبِدَاهُمَا وتَصَدَّعَ القَلْبانِ

(٤)
عَرَفَ الوَرَى مِيقاتَها فترقَّبُوا * (تَمُّوزَ) مِثْلَ ترقُّبِ الظَّمْآنِ

(٥)
شَهْرٌ به بعثَ الرَّجاءُ وأَنْشَرَتْ * أُمَمٌ وبُدِّلَ خَوْفُها بأَمانِ

(٦)
فلَه على الدُّنيا الجديدَةِ نِعْمَةٌ * يَشْدُو بذِكرِ صَنِيعِها الفَتَيانِ

وعلى فرَنْسِيسِ الحَضارَةِ مِنَّةٌ * تُتْلَى أَناشِيدٌ لها وأَغاني

تَمُّوزُ، أَنتَ أَبو الشُّهورِ جَلالَةً * تَمُّوزُ، أَنتَ مُنَى الأَسيرِ العاني

هَلَّا جَعَلْتَ لنا نَصيبًا عَلَّنا * نَجْرِي مع الأَحْياءِ في مَيْدانِ

أَيَعُودُ مِنكَ الآمِلُونَ بِما رَجَوْا * ونَعُودُ نَحنُ بذلِكَ الحِرْمانِ

---

(١) حاسرة اللثام : كاشفته . ويريد بها الحرية . وعنا : نخضع . والقمران : الشمس والقمر .

(٢) طهران : مدينة بإيران معروفة ، وهى عاصمتها . يتمنى فى هذا البيت الدستور والحرية لمصر وإيران مثل تركيا .

(٣) أضناه الشوق : أسقمه . وٱبيضاض الكبد : كناية عن شدة الحزن .

(٤) ميقاتها : وقتها . وتموز : اسم شهر من السنة المسيحية ، يقابل شهر يوليو ، وهو الشهر الذى نالت فيه الأمة العثمانية دستورها ، كما نالت فيه فرنسا حريتها ، واستقلت فيه أمريكا ؛ ولهذا جعله الشاعر ميقات الحرية وإبانها .

(٥) أنشرت : من الإنشار ، وهو الإحياء بعد الموت .

(٦) الدنيا الجديدة : أمريكا . ويشدو : يترنم . والفتيان : الليل والنهار .

تَمُّوزُ، إنّ بنا اليكَ لحاجةً * فَمَتَى الأَوانُ وأنتَ خيرُ أوانِ

(١)

مِنِّى على دارِ السَّلامِ تحيةٌ * وعلى الخليفةِ من بنى عُثمانِ

(٢)

وعلى رجالِ الجيشِ مِنْ ماشٍ به * أو راكبٍ أو نازحٍ أو دانِى

(٣)

وعلى الألى سكنُوا الى الحُسْنَى سِوَى * ذاكَ الّذى يَدْعُو إلى العِصْيانِ

(٤)

والى الحجازِ الخارِجىِّ وما بِهِ * إلّا اقتناصُ الأصفرِ الرّنانِ

(٥)

ما للشّريفِ المُنْتَمِى حَسَبًا إلى * خيرِ البَرِيّةِ من بنى عَدْنانِ

(٦)

أمسَى يُمالِئُه وينْصُرُ غيَّه * وضَلالَه بحُثالَةِ العُرْبانِ

(٧)

تاللهِ لو جَنّدْتُما رَمْلَ النَّقا * ونزلْتُما بمواطنِ العِقْبانِ

(٨)

وغَرَسْتُما أرضَ الحجازِ أسِنّةً * وأسَلْتُما بحرًا من النِّيرانِ

(٩)

وأقَمْتُما فيها المعاقلَ مَنْعَةً * مِنْ أرضِ نجدَ إلى خليجِ عُمانِ

(١٠)

لَدَهاكُما ورَماكُما وذَراكُما * ماحِى الحُصونِ وماسِحُ البُلْدانِ

إنْ تأتِيا طَوْعًا وإلّا فأتِيا * كَرْهًا بلا حَوْلٍ ولا سُلْطانِ

---

(١) دار السلام : الآستانة . (٢) النازح : البعيد . (٣) سكنوا الى الحسنى : اطمأنوا إليها ولاذوا بها . (٤) الأصفر الرنان : الذهب . ويشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يضمره والى الحجاز والشريف من عصيان السلطان والانتقاض عليه إذ ذاك . (٥) الشريف : أمير مكة . والمنتمى : المنتسب . (٦) يمالئه : يشايعه . والحثالة : سفلة الناس . (٧) الضمير فى «جندتما» يعود إلى والى الحجاز وشريف مكة . والنقا : القطعة العظيمة من الرمل تنقاد محدودبة ، شبه بها الجنود فى كثرة العدد . ويريد «بمواطن العقبان» : رءوس الجبال ، إذ هى التى تسكنها . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من جوارح الطير ، وتسميه العرب بالكاسر . (٨) يريد «بالأسنة» : الرماح . (٩) المعاقل : الحصون ، الواحد معقل . (١٠) يقال : ذرت الريح التراب فى الهواء تذروه ذروا وتذريه ذريا ، إذا فرقته وأطارته . ويريد «بماحى الحصون» الخ : السلطان .

وإليكَ يا فرعَ الخلائفِ مِدحةً * عزّتْ شواردُها على (حسّانِ)(١)

مِنْ شاعرٍ تَثِبُ النُّهى لقريضهِ * وثْبَ النُّفوسِ لرنَّةِ العيدانِ(٢)

يُهْدى المديحَ الى المليكِ سبائكًا * تعنو لهنَّ سبائكُ العِقيانِ(٣)

إنّ الملوكَ إذا استوتْ ألبستَها * بالمدحِ تيجانًا على تيجانِ(٤)

الى أحمد شوقى بك(٥)

يهنئه حين أنعم عليه بالرتبة الأولى العلمية

انْ هنَّأوكَ بها فلستُ مُهنِّئًا * إنّى عهِدْتُكَ قبلَها محسودا

قد كان قدرُكَ لا يُحَدُّ نباهةً * وسعادةً فغدا بها محدودا

تهنئة الخديوى عباس الثانى بقدومه من الحج

[١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م]

مَنّى نِلْتَها يا لابِسَ المجدِ مُعْلَمًا * أَدينًا ودُنيا؟ زادكَ اللهُ أنعما(٦)

(١) الشوارد من الشعر: المعانى التى تشرد عن أذهان الشعراء، وتعزب عنها لغرابتها. وحسان هو ابن ثابت الأنصارى الشاعر المعروف. (٢) القريض: الشعر. (٣) تعنو: تخضع. والعقيان: الذهب الخالص. (٤) استوت، أى جلست على عروشها وتملكت.

(٥) ولد أحمد شوقى بك بالقاهرة حوالى سنة ١٨٦٨ م وبعد أن أتم علومه الابتدائية ثم الثانوية التحق بمدرسة الحقوق، وبعد تخرجه فيها اتصل بمعية أمير مصر، ثم سافر الى أوربا ليتمم دراسته، ثم عاد الى المعية ثانية، وبقى بها حتى خلع عباس الثانى، فاستقال. وتوفى رحمه الله فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ عن نحو أربعة وستين عاما، وله ديوان شعر مطبوع، جمع فيه أكثر شعره وغير ذلك من الكتب.

(٦) الثوب المعلم، هو الذى له علم من طراز وغيره؛ شبه به المجد فى وضوحه واشتهاره.

فلِلّهِ ما أبهاكَ فى مِصْرَ حالِيًا * ولله ما أتقاكَ فى البيتِ مُحْرِمَا

أقولُ وقد شاهدْتُ ركبَكَ مُشرِقًا * وقد يمّمَ البيتَ العتيقَ المُحرّما: (١)

مشتْ كعبةُ الدُّنيا إلى كعبةِ الهُدَى * يَفيضُ جلالُ المُلْكِ والدّينِ منهُما

فياليْتَنِي اسْطَعْتُ السّبيلَ وليْتَنِي * بلغتُ مُنَى الدّارَيْنِ رَحْبًا ومَغْنَما (٢)

وفى الرّكبِ شمسٌ أنجبتْ أنجبَ الورَى * فتى الشّرقِ مولانا الأميرَ المُعظّما (٣)

تسيرُ إلى شمسِ الهُدَى فى حَفاوةٍ * مِن العِزّ تحدُوها الزّواهِرُ أيْنَما (٤)

فلم أرَ أفقًا قبلَ ركبِكَ أطلعتْ * جوانِبُه بدرًا وشمسًا وأنجُما

ولو أنّنى خُيِّرتُ لاخترتُ أنْ أرَى * لِعيسِكَ وحْدِى حادِيًا مُترنّما (٥)

أسيرُ خِلالَ الرّكبِ نحوَ حظيرةٍ * على ربِّها صلّى الإلهُ وسلّما

إلى خيرِ خلقِ اللهِ مَنْ جاءَ ناطقًا * بآياته إنجيلُ عيسى بنِ مريَما

حللْتَ بأكنافِ الجزيرةِ عابرًا * فأنضرْتَ واديها وكنتَ لها سَمَا (٦)

وأشرقْتَ فى بطحاءِ مكّةَ زائرًا * فباتَ عليكَ النّيلُ يحسُدُ زمزما (٧)

---

(١) يمم : قصد . والبيت العتيق : الكعبة . (٢) اسطعت : استطعت ؛ ويريد قدرته على أداء فريضة الحج ؛ يشير الى قوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من آستطاع اليه سبيلا) .

(٣) يريد «بالشمس» : أم الخديوى ، وكانت قد حجت معه . (٤) يريد «بشمس الهدى» : رسول الله صلى الله عليه وسلم . والحفاوة : العناية والإكرام . والزواهر : النجوم ، والمراد وصيفاتها . وأينما ، أى أينما سارت . (٥) العيس : الإبل ؛ ويطلق فى الأصل على الإبل البيض يخالط بياضها شقرة ؛ ويقال : إنها كرام الإبل ، الواحد أعيس ، والأنثى عيساء . (٦) أكناف الجزيرة : جوانبها . وأنضرت واديها ، أى جعلته ناضرا حسنا بهيجا بن الخصب . ويريد بقوله : «وكنت لها سما» : أنه كان لها مطرا ؛ وقد هطل المطر فى جزيرة العرب أيام حجه .

(٧) البطحاء والأبطح : مسيل للماء واسع ، فيه دقاق الحصى . وبطحاء مكة : مسيل واديها .

(١)
وما ظَفِرَتْ مِنْ بَعْدِ (هارونَ) أَرْضُها * بِمِثْلِكَ مَيْمُونَ النَّقِيبَةِ مُنْعِما

ولا أَبْصَرَ الحُجَّاجُ مِنْ بَعْدِ شَخْصِهِ * على عَرَفاتٍ مِثْلَ شَخْصِكَ مُحْرِما

(٢)
رَمَيْتَ فَسَدَّدْتَ الجِمارَ فَلَمْ تَكُنْ * جِمارًا على إِبْلِيسَ بل كُنَّ أَسْهُما

(٣)
وإنَّ الذى تَرْمِيهِ وَقْفٌ على الرَّدَى * وإنْ لاذَ بالأَفْلاكِ يا خيرَ مَنْ رَمَى

وبين الصَّفا والمَرْوَةِ ازْدَدْتَ عِزَّةً * بِسَعْيِكَ يا (عَبّاسُ) لِلّهِ مُسْلِما

(٤)
تُهَرْوِلُ لِلْمَوْلَى الكَرِيمِ مُعَظِّمًا * وكَمْ هَرْوَلَ السّاعِى إليكَ وعَظَّما

(٥)
وطُفْتَ وكم طافَتْ بِسُدَّتِكَ المُنَى * وكَمْ أَمْسَكَ الراجى بها وتَحَرَّما

(٦)
ولَمّا اسْتَلَمْتَ الرُّكْنَ هاجَتْ شُجُونُهُ * فلو أنّه اسْطاعَ الكلامَ تَكَلَّما

(٧)
تَذَكَّرَ (زَيْنَ العابِدِينَ) وَجَدَّهُ * وما كانَ مِنْ قَوْلِ (الفَرَزْدَقِ) فِيهِما

---

(١) يريد هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف . وميمون النقيبة ، أى محمود المختبر (بفتح الباء) .

(٢) الجمار : الحصى الذى يرمى به الحجاج فى منى . (٣) الردى : الهلاك . يقول : إن الذى ترميه هالك لامحالة وإن تحصن منك بأفلاك السماء . (٤) الهرولة : الإسراع فى المشى . ويريد «بالساعى» : طالب المعروف . (٥) السدة : الباب . وتحرم بسدته : احتمى بها واستأمن من نوائب الدهر بالوقوف بها كما يستأمن الداخل فى الحرم من العدوان عليه . (٦) شجونه ، أى أشواقه . (٧) زين العابدين ، هو أبو الحسن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم ، أحد الأئمة ، وهو من سادات التابعين ، ولد فى سنة ثمان وثلاثين للهجرة . وتوفى سنة أربع وتسعين ؛ وقيل : اثنتين وتسعين . والفرزدق ، هو أبو فراس همام بن غالب التميمى أحد فحول الشعر فى العصر الأموى ؛ وكانت ولادته ونشأته بالبصرة ؛ وتوفى بها نحو سنة مائة وعشر هجرية . ويشير الشاعر فى هذا البيت الى قول الفرزدق فى قصيدته المشهورة فى مدح زين العابدين ، ومنها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم

هـذا ابن خير عباد الله كلهم * هـذا التقى النقى الطاهر العلم

فلو يستطيعُ الرُّكْنُ أمسكَ راحةً * مسحتَ بها يا أكرمَ الناسِ مُنتمى (١)

دعوتَ لنا حيثُ الدُّعاءُ إجابةٌ * وأنتَ بدعوى اللهِ أطهرُنا فما

أمانيُّكَ الكُبرى وهمُّكَ أنْ ترى * بأرجاءِ وادي النيلِ شعبًا منعَّما

وأنْ تبنيَ المجدَ الذي مالَ رُكْنُه * وأنْ تُرْهِفَ السَّيفَ الذي قد تثلَّما (٢)

دعوتَ لمصرٍ أنْ تسودَ وكم دعتْ * لكَ اللهَ مصرٌ أنْ تعيشَ وتسلَما

فليتَ مُلوكَ المسلمينَ تشبَّهوا * بِمَلْكٍ اذا ما أحجمَ الدهرُ أقدَما (٣)

سليلِ مُلوكٍ يشهدُ اللهُ أنهم * أقاموا عمودَ الدِّينِ لمَّا تهدَّما

لئن باتَ بالمجدِ المؤثَّلِ مغرمًا * لقد كانَ (إبراهيمُ) بالمجدِ مُغرَما (٤)

وإنْ تامَ حُبُّ المكرُماتِ فؤادَه * لقد كانَ (إسماعيلُ) فيها مُتيَّما (٥)

وإنْ سكنتْ تقوى المُهيمنِ قلبَه * فقد كان منها قلبُ (توفيقَ) مُفعَما (٦)

وإنْ باتَ نهّاضًا بمصرَ إلى الذُّرا * فمِنْ جدِّه الأعلى (عليٍّ) تعلَّما (٧)

---

(١) المنتمى : الأصل الذى ينتمى اليه الإنسان ، أى ينتسب . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول الفرزدق فى زين العابدين :

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

(٢) أرهف السيف : حدده . وتثلم : تكسر حده ، أى تعيد لمصر القوة التى تطرق اليها الضعف .

(٣) الملك (بسكون اللام) : لغة فى الملك (بكسرها) . وأحجم : تأخر . (٤) المجد المؤثل : المؤصل الثابت . وإبراهيم ، هو إبراهيم باشا ابن محمد على باشا الكبير ؛ ولد سنة ١٧٨٩ م ؛ وتولى عرش مصر فى حياة أبيه سنة ١٨٤٨ م وتوفى فى نفس السنة التى ولى فيها . (٥) تامه الحب والعشق تيما : استعبده . وإسماعيل ، هو إسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا ؛ ولد سنة ١٨٣٠ م ؛ وولى خديوية مصر فى ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ م ؛ وعزل عنها سنة ١٨٧٩ م وتوفى فى ٢ مارس سنة ١٨٩٥ م . (٦) توفيق ، هو محمد توفيق باشا ابن اسماعيل باشا ولد فى سنة ١٨٥٢ م ، وتولى الخديوية سنة ١٨٧٩ م وتوفى سنة ١٨٩٢ م . والمفعم : الممتلئ . (٧) على ، أى محمد على باشا جد الأسرة المالكة ؛ ولد بمدينة قوله عام ١٧٦٩ م ؛ وولى مصر عام ١٨٠٥ م ، وتوفى فى ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ م .

(١)
حَوَى ماحَوَى مِنْ مَجْدِهِمْ ونِجارِهِمْ * وزادَ فأَعْيا المادِحِين وأَفْحَما
(٢)
دَعَوْا بِكَ واسْتَسْقَوْا فلَبَّى دُعاءَهُم * مِنَ الأفْقِ هَتَّانٌ مِن المُزْنِ قد هَمَى
(٣)
أَلَحَّ على أَوْعارِهِمْ وسُهُولِهِمْ * وحَيَّا عَبُوسَ القَفْرِ حتّى تَبَسَّما
(٤)
ولمّا طَوَى بَطْحاءَ مَكَّةَ هَزَّهُ * إلى البَيْتِ شَوْقُ المُسْتَهامِ فيَمَّما
(٥)
أَطافَ به ثمّ انْثَنَى عن فِنائِه * ولَوْ عَبَّ منه (السّامِرِىُّ) لأَسْلَما
(٦)
طَلَعْتَ عليهم أَسْعَدَ الخَلْقِ مَطْلَعًا * وعُدْتَ إلينا أَيْمَنَ الخَلْقِ مَقْدَما
رَجَعْتَ وقد داوَيْتَ بالجُودِ فَقْرَهُمْ * وكُنتَ لهُمْ فى مَوْسِمِ الحَجِّ مَوْسِما
(٧)
وأَمَّنْتَ للبَيْتِ الحرامِ طَرِيقَهُ * وكانَ طَرِيقُ البَيْتِ مِنْ قَبْلِها دَما
(٨)
ويَسَّرْتَه حتى اسْتَطاعَ رُكُوبَه * أَخُو الفَقْرِ لايَطْوِيه جُوعٌ ولا ظَما

(١) النجار: الأصل . وأفحمه : أعجزه عن الكلام . (٢) استسقوا ، أى طلبوا السقيا . والضمير فى «دعوا» «واستسقوا» لأهل مكة . والهتان : المنصب . والمزن : السحاب ذو الماء . وهمى : سال لا يثنيه شىء . ويشير بهذا إلى مطر غزير نزل بمكة أيام حج الخديوى فأخصبت به الأرض وفاضت بالخير . (٣) ألح على أوعارهم : دام عليها . والأوعار : ما صعب من الأرض . وعبوس القفر : ما أجدب منه وقل نباته ، فصار كالوجه العابس الذى لا بشر فيه . وتبسم ، أى أخصب وكثر نباته ، فاستعار «التبسم» لخصب الأرض وظهور ألوان النبات فيها . (٤) طوى ، أى المزن السابق ذكره . وبطحاء مكة : مسيل واديها . وهزه : حركه . ويمم : قصد .

(٥) الفناء : الساحة . ويريد الشاعر بهذا البيت والذى قبله أن السحاب لما روى بطحاء مكة تشوق الى الكعبة فسار إليها ، ثم ارتد عنها إجلالا لها ولم يمطر عليها . وعب منه : شرب . ويريد بالسامرى : موسى السامرى الوارد ذكره فى القرآن فى قصة بنى إسرائيل ، إذ صنع لهم عجلا من الحلى وحضهم على عبادته ، وكان ذلك فى غيبة نبى الله موسى عليه السلام فى ميقات ربه ؛ قال تعالى فى سورة طه : (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى) الآيات . (٦) أيمن الخلق ، أى أبركهم . (٧) دما ، أى مملوءا بالقتل وسفك الدماء . (٨) لا يطويه ، أى لا يرده ولا يصرفه .

وجُدْتَ وجادَتْ رَبَّةُ الطُّهْرِ والتُّقَى * على العامِ حتَّى أَخْصَبَ العامُ مِنْكُما (١)

فَلَمْ تُبْقِيَا فَوْقَ الجَزيرةِ بائساً * ولَمْ تَتْرُكَا فى ساحةِ البيتِ مُعْدِما

فأَرْضَيْتُما الدَّيَّانَ والدِّينَ كُلَّهُ * لقـــد رَضِىَ الدَّيَّانُ والدِّينُ عنكُما

(تحية محمد سعيد باشا) (٢)

بمناسبة عودته من أوربا فى اليوم الحادى عشر من شهر شوال سنة ١٣٣٠ هـ وكان رئيسا للحكومة إذ ذاك

فيكِ السَّعيدانِ اللَّذانِ تَبارَيَا (٣) * يا مِصْرُ فى الخَيْراتِ والبَرَكاتِ

نِيلٌ يَفِيضُ على سُهُولِكِ رَحْمَةً * وفَتًى يَقِيــكِ غَوائِلَ العَثَراتِ

عادَ الرَّئِيسُ فرَحِّبِى بقُــدُومِه * وتَهَلَّلِى بمُفَـــرِّجِ الأَزَماتِ

(الى أمين واصف بك)

قال هذين البيتين ليكتبا فى لوحة مهداة إليه من مدرسة طوخ الصناعية ، إذ كان مديرا للقليوبية

[نشرا فى ٩ مايو سنة ١٩١٢]

لَمْ نَجِــدْ مَا يَفِى بقَدْرِكَ فى المَجْـ * ـدِ فيُهْدَى إلى حِمــاكَ الكَرِيمِ

فبَعَثْنا إليــكَ باسْمِكَ مَكْتُو * باً على صَفْحَةِ الوَلاءِ المُقِيمِ

---

(١) يريد «بربة الطهر» : والدة الخديوى . (٢) محمد سعيد باشا هو الوزير المعروف ولد فى سنة ١٨٦٣ م وبعد أن أتم علومه تولى عدّة مناصب قضائية وعدة وزارات ؛ ورأس الوزارة مرتين الأولى من سنة ١٩١٠ م الى سنة ١٩١٤ م والثانية سنة ١٩١٩ م وكان وزيرا للعارف فى الوزارة السعدية سنة ١٩٢٤ م ثم اعتزل السياسة إلى أن توفى فى ٢٠ يوليه سنة ١٩٢٨ م ؛ وكان معروفا بالعقل والدهاء فى الشئون السياسية . (٣) تباريا : تسابقا .

*
* *

وقال يودّعه :

أنشدها فى حفل أقامه كبار موظفى مديرية القليوبية إذ كان مديرا لمديريتهم ونقل .

[نشرت فى ٩ مايو سنة ١٩١٢]

إنى دُعيتُ إلى احتفالك بَغْتَةً * فأجبتُ رغمَ شواغِلى وسَقامى

ودعوتُ شعرى يا (أمينُ) فخانَنى * أدَبى ولم يرعَ القريضُ ذِمامى (١)

فأتيتُ صِفرَ الكفِّ لم أملِكْ سوى * أملى بصَفْحِكَ عن قُصُورِ كَلامى

واخجلتى أيكونُ هذا موقفى * فى حفلةِ التوديعِ والإكرامِ

وأنا الخليقُ بأنْ أرتّلَ للورى * آياتِ هذا المُصلِحِ المِقْدامِ

وأقومُ عن نفسى وعن غيرى بما * يقضى الولاءُ وواجبُ الإعظامِ

(بِنْها) لقد وُفّيتِ قسْطَكِ مِنْ مُنًى * وسعادةٍ ورِعايةٍ ونِظامِ (٢)

فَدَعى سِواكِ يفُزْ بقربِ مُوفَّقٍ * هو فى الحكومةِ نُخبةُ الحُكّامِ

لبسَ التواضعَ حُلّةً ومشى إلى * رُتَبِ الجلالِ مُسدَّدِ الأقدامِ

وغدا بأبراجِ العُلا مُتنقّلاً * كالبدرِ يُسْعِدُه السُّرى بتَمامِ

---

(١) الذمام : الحق والحرمة .

(٢) بنها : عاصمة مديرية القليوبية .

تهنئة محمود سامى بك (باشا) (١)

قالها فى حفل أقيم لتكريمه بفندق الكونتننتال لمناسبة ترقيته إلى منصب كبير فى نظارة الأشغال

[نشرت فى ١٢ يوليـــه سنة ١٩١٢ م]

رَبَّاكَ والِدُكَ الكَرِيمُ على التُّقَى * وعلى النَّزاهَةِ والضَّمِيرِ الطَّاهِرِ

فنَشَأْتَ بينَ رِعايَةٍ وعِنايةٍ * ودَرَجْتَ بين مَحامِدٍ ومَفاخِرِ

وسَمَوْتَ يا (سامِي) الى أَوْجِ العُلا * وبَرَعْتَ قَوْمَكَ بالذَّكاءِ النَّادِرِ

رَبَّى أَبُوكَ عُقُولَنا ونُفُوسَنا (٢) * فَاهْنَأْ بوالِدِكَ (الأَمِينِ) وفاخِرِ

واهْنَأْ بما أُوتِيتَهُ مِنْ نِعْمَةٍ * فى عَهْدِ مَوْلانا الأَمِيرِ الزَّاهِرِ (٣)

يا مالِئَ الكُرْسِيِّ منه مَهابَةً * وكِفايَةً يا مِلْءَ عَيْنِ النَّاظِرِ

إنَّ الَّتِي قُلِّدْتَها فى حاجَةٍ * لِعَزِيمَةٍ تَمْضِى ورَأْيٍ باتِرِ (٤)

فأَفِضْ ضِياءَكَ فى النِّظارَةِ كُلِّها * واقْبِضْ على الأَعْمالِ قَبْضَ القادِرِ

واخْدُمْ بِلادَكَ بِالَّذِى أُوتِيتَهُ * مِنْ فِطْنَةٍ وأَقِلْ عِثارَ العاثِرِ (٥)

هَنَأَتْ مِصْرَ ونِيلَها ورِجالَها * لَمَّا رَأَتْكَ فى ثِيابِ الآمِرِ

ورَأَتْ فى الدِّيوانِ قَدْرَكَ عالِيًا * والنَّاسُ تَهْتِفُ بالثَّناءِ العاطِرِ

---

(١) هو ابن صاحب السعادة الأستاذ أمين سامى باشا المربى المعروف . تولى رحمه الله عدة مناصب عالية فى الحكومة المصرية آخرها منصب الوزير المفوض لمصر فى أمريكا ، وتوفى فى يوليـه سنة ١٩٣٦

(٢) يشير بهذا البيت الى أن والد الممدوح من رجال التربيـة بوزارة المعارف ، وكان ناظرا لمدرسة دار العلوم مدة طويلة من الزمن ، وتخرج فى أيام نظارته لهـذه المدرسة كثيرون من الأساتذة الأجلاء .

(٣) العهد الزاهر : المضىء المشرق ، ويريد عهد الخديوى عباس الثانى . (٤) الباتر : القاطع .

(٥) يقال : أقال فلان عثار فلان وعثرته ، إذا صفح عن زلته ودفع عنه ما يتوقع بسببها من مكروه .

مَا بَيْنَ مُعْتَرِفٍ بِفَضْلِكَ مُعْلِنٍ * أَوْ ضَارِعٍ لَكَ بِالدُّعَاءِ وَشَاكِرِ

أَمُهَنْدِسَ النِّيلِ السَّعِيدِ تَحِيَّةً * مِنْ مِصْرَ تَحْدُوهَا تَحِيَّةُ شَاعِرِ

يَدْعُو إِلَهَكَ أَنْ يُكَثِّرَ بَيْنَنَا * أَمْثَالَ (سَامِي) فِي الزَّمَانِ الحَاضِرِ

إلى الدكتور على ابراهيم بك (باشا) الجراح المعروف

[نشرت فى ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٢]

هَلْ رَأَيْتُمْ مُوَفَّقًا (كَعَلِيٍّ) * فِي الأَطِبَّاءِ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ

أَوْدَعَ اللهُ صَدْرَهُ حِكْمَةَ العِلْـ * ـمِ وَأَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءَ

كَمْ نُفُوسٍ قَدْ سَلَّهَا[1] مِنْ يَدِ المَوْ * تِ بِلُطْفٍ مِنْهُ وَكَمْ سَلَّ دَاءَ

فَأَرَانَا (لُقْمَانَ)[2] فِي مِصْرَ حَيًّا * وَحَبَانَا لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءَ

حَفِظَ اللهُ مِبْضَعًا[3] فِي يَدَيْهِ * قَدْ أَمَاتَ الأَسَى وَأَحْيَا الرَّجَاءَ

تحية خليل مطران بك

أنشدها فى حفل أقيم بدار الجامعة المصرية لتكريمه بمناسبة الإنعام عليه بالنيشان المجيدى

يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣ م

جَازَ بِي عَرْفُهَا[4] فَهَاجَ الغَرَامَا * وَدَعَانِي فَزُرْتُهَا إِلْمَامَا

جَنَّةٌ تَبْعَثُ الحَيَاةَ وَتَجْلُو * صَدَأَ النَّفْسِ رَوْنَقًا وَنِظَامَا

(١) سلها : انتزعها وأخرجها . (٢) لقمان : حكيم معروف . وحبانا : أعطانا . (٣) المبضع : المشرط . والأسى : الحزن . (٤) العرف : الريح الطيبة . وإلماما ، أى زيارة قصيرة .

(١)
زُرتُها مَوْهِنًا وفى طَىِّ نَفْسِى * ذِلَّةُ الصَّبِّ وانكسارُ اليَتَامَى
(٢)
وتَنَقَّلتُ فى خَمائلِها الخُضْـ * ـرِ يَمِينًا ويَسْرَةً وأَمَاما
(٣)
فإذا رَوْضَتانِ فى ذلك الرَّوْ * ضِ تَمِيسانِ تحت رِيحِ الخُزَامَى
(٤)
جاءَتا تَخْطِرانِ والنجمُ ساهٍ * وعُيونُ الأزهارِ تَبْغِى المَنَاما
(٥)
جازَتا مَوْضِعِى فهَبَّ نَسِيمٌ * أذكى مِنِّى الأَسَى وهاجَ الهُيَاما
(٦)
فترسَّمْتُ منهما أَثَرَ الخَطْـ * ـوِ وخافَتُّ فى المَسِيرِ احتشاما
(٧)
وتَسمَّعتُ عَلَّنى أُطْفِئُ الشَّوْ * قَ وأُرْوِى من الفُؤادِ الأُوَاما
(٨)
فإذا لَهْجَتانِ مِن لَهَجاتِ الـ * ـشَّرقِ قد شاقتا فُؤادى فَهَاما
تلك سُورِيَّةٌ تَفِيضُ بَيَانًا * تلك مِصْرِيَّةٌ تَسِيلُ انسجاما
فِطْنَةٌ عند رِقَّةٍ عند ظَرْفٍ * عند رأْيٍ تَخَالُه إلْهَاما
(٩)
مالَتا نَحْوَ دَوْحةٍ تُرْسِلُ الأغْـ * ـصانَ واختارَتا لَدَيْها مُقَاما

(١) الموهن : نحو نصف الليل . (٢) الخمائل : المواضع الكثيرة الشجر، الواحدة خميلة .

(٣) تميسان : تتبختران . والخزامى : خيرى البر، وزهره من أطيب الأزهار نفحة .

(٤) كنى « بسهو النجم » و « نوم الزهر » عن سكون الليل وركود ظلامه .

(٥) يلاحظ أنه لا يستقيم الوزن الا بحذف حرف العلة من قوله «أذكى» ؛ وهو خطأ لا تجيزه اللغة ، ولعل فى لفظى «أذكى» «وهاج» فى هذا الشطر تقديما وتأخيرا ؛ والصواب «هاج» فى الأول و«أذكى» فى الثانى لسلم من ذلك العيب . والأسى : الحزن . والهيام : شدة الشوق .

(٦) خافت فى المسير، أى خفضت منه وخففت من وقع الخطو لئلا يسمع .

(٧) الأوام : شدة العطش . ويريد الاشتياق الى حديثهما .

(٨) المراد « باللهجة » هنا : طريقة النطق بالألفاظ وجرس الكلام .

(٩) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة .

ثم أَلْقَتْ قِناعَها بنتُ مِصْـرٍ (١) * وأَمَاطَتْ بنتُ الشَّآم اللِّثاما

فتوهَّمتُ أَنْ قد انفلقَ البَدْ * رُ وقد كُنْتُ أُنْكِرُ الأَوْهاما

فتَواريْتُ ثم علَّقتُ أَنفا (٢) * سِيَ ما اسْطَعتُ وارْتَدَيتُ الظَّلاما

ظَنَّتا ذلك المكانَ خَلاءً * لا رَقيبًا يُخْشَى ولا نَمَّاما

فجرَى فيه ما جَرى من حديثٍ * كان بَرْدًا على الحَشَا وسَلاما

حين قالتْ لأُخْتِها بنتُ مِصْرٍ: * إِنكمْ أُمَّةٌ أَبَتْ أَنْ تُضَاما

صَدَق الشاعرُ الذى قال فيكم (٣) * كَلِماتٍ نَبَّهْنَ منّا النِّياما:

رَكِبوا البحرَ جاوَزُوا القُطْبَ فاتُوا (٤) * مَوْقِعَ النَّيِّرَيْنِ خاضُوا الظَّلاما

يَمْتَطون الخُطوبَ فى طَلَبِ العَيْـ * ـشِ ويَبْرُون لِلنِّضالِ السِّهاما

فانبَرتْ ظَبْيَةُ الشآمِ وقالتْ: (٥) * بَعْضَ هذا فقد رَفَعْتِ الشآما

أنتمُ الأَسْبَقون فى كلِّ مَرْمًى * قد بلغتُم من كلِّ شيءٍ مَراما

إِنَّما الشآمُ والكِنانةُ صِنْوا (٦) * نِ رَغْمَ الخُطوبِ عاشا لِزاما

أُمُّكمْ أُمُّنا وقد أَرْضَعَتْنا (٧) * مِن هَواها ونحنُ نأبَى الفِطاما

قد نَزَلْنا جِوارَكم فحَمِدْنا (٨) * منكمُ الوُدَّ والنَّدَى والذِّماما

(١) أماطت اللثام: أبعدته ونحته. (٢) علقت أنفاسى، أى حبستها عن التردد فى صدرى لئلا تسمع فيعرف مكانى. (٣) الشاعر، هو حافظ، والبيتان اللذان بعد هذا البيت من قصيدة له ستأتى فى هذا الديوان. (٤) النيران: الشمس والقمر. يصف عزم الشآميين وكثرة ارتحالهم فى طلب الرزق. (٥) بعض هذا، أى قولى بعض هذا إذ لا نستحق كله. (٦) الصنو: الأخ الشقيق. (٧) يريد «بالأم»: اللغة العربية (٨) الذمام: الحرمة والذمة.

وحللنا فى أرضكم فأصبنا * منزلا مخصبا وأهلا كراما

وغشينا دياركم حيث شئنا * فلقينا طلاقة وابتساما

وشربنا من نيلكم فنسينا * ماء لبنان سلسلا والغماما (١)

وقبسنا من نوركم فكتبنا * وأجدنا نثارنا والنظاما

وتلونا آيات شوقى وصبرى * فرأينا ما يبهر الأفهاما

ملأ الشرق حكمة وأقاما * فى ثنايا النفوس أنى أقاما

غنيا المشرقين ما ترك الأف * لاك حيرى وأذهل الأجراما

وأعادا عهد الرشيد لعبا * س فكانا يراعه والحساما (٢)

فأشارت فتاة مصر وقالت : * قدك، لم تترك لمصر كلاما (٣)

أنتم الناس قدرة ومضاء * ونهوضا إلى العلا واعتزاما

أطلعت أرضكم على كل أفق * أنجما إثر أنجم تترامى (٤)

تركب الهول لا تفادى وتمشى * فوق هام الصعاب لا تتحامى (٥)

قد سمعنا "خليلكم" فسمعنا * شاعرا أقعد النهى وأقاما

وطمعنا فى شأوه فقعدنا * وكسرنا من عجزنا الأقلاما (٦)

---

(١) السلسل : العذب . (٢) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسى ، وكان عصره حافلا بالأدباء والشعراء . ويريد « بعباس » : الخديوى السابق عباس حلمى الثانى .

(٣) قدك : حسبك . (٤) يريد « بالأنجم » : رجال سوريا المتفرقين فى أنحاء العالم .

(٥) لاتفادى ، أى لا تتفادى . (٦) الشأو : الغاية .

نَظَمَ الشَّامَ والعِراقَ ومِصْرًا * سِلْكُ آياته فكان الإمَاما

فمشى النَّثْرُ خاضعًا ومشى الشِّعْرُ وألْقَى إلى الخليلِ الزِّماما

ورأى فيه رأيَنا صاحبُ النِّيـ * ـلِ فأَهْدَى إليه ذاكَ الوِسَاما (١)

شارةٌ زانتِ القَرِيضَ فكانت * شارةَ النَّصْرِ زانت الأعْلاما

فعقَدْنا له اللِّواءَ علَيْنا * واحْتفَلْنا نَزِيدُه إكْراما

ذاك ما دار من حَديثٍ شهىٍّ * يَسْتَفِزّ النُّهَى ويَشْجِى النَّدامى

قد تَسَقَّطْتُه وخالفتُ فيه * مَنْ يرى النقلَ سُبَّةً واجْتراما (٢)

فمِن النَّقلِ ما يكونُ حَلالًا * ومن النقلِ ما يكونُ حَراما

* * *

صَدَق الغادتان يا ليت قَوْمِيـ * ـنا كما قالتا هَوًى والْتِئاما

نحنُ فى حاجةٍ إلى كلِّ ما يُنْـ * ـمِى قُوانا ويَرْبِطُ الأَرْحاما

فاجعلُوا حَفْلَةَ الخليلِ صفاءً * بين مِصْرٍ وأختها وسَلاما

وآسألُوا اللهَ أنْ يُدِيمَ علَيْنا * مُلكَ "عباسَ" ناضرًا بسّامَا (٣)

هو آمالنا وحامِى حِمانا * أيَّد اللهُ مُلْكَه وأداما

---

(١) صاحب النيل، أى أمير مصر. وكان إذ ذاك عباس الثانى .

(٢) تسقط الأخبار : تتبعها وأخذها شيئا بعد شيء .

(٣) منع "عباسا" من الصرف لضرورة الوزن .

تهنئة له أيضا للإنعام عليه بالوسام السابق ذكره

[نشرت فى أوّل أبريل سنة ١٩١٣ م]

وَسِعَ الفضلَ كلَّه صَدْرُكَ الرَّحْـ * ـبُ فمَنْ شاءَ فليُهَنِّئْ وِسامَهْ (١)

لَمْ يَزِدْكَ الوِسامُ قَدْرًا ولٰكِنْ * زادَ قَدْرَ العُلا وقَدْرَ الكَرامَهْ

كَمْ وِسامٍ كَمْ حِلْيَةٍ كَمْ شِعارٍ * فيكَ كَمْ شارَةٍ وكَمْ مِنْ عَلامَهْ

لإِباءٍ وحِكْمَةٍ وإِخاءٍ * وصَفاءٍ وهِمَّةٍ وشَهامَهْ

تحية إلى واصف غالى بك (باشا)

أنشدها فى فندق شبرد فى ٤ يونية سنة ١٩١٤ عند ما نشر كتابه المعروف « بحديقة الأزهار » الذى ترجم فيه بعض الشعر العربى القديم إلى اللغة الفرنسية ، وكان يلقى محاضرات وخطب فى فرنسا ينوه فيها بالعرب ومصر والشرق

يا صاحِبَ الرَّوْضَةِ الغَنّاءِ هِجْتَ بِنا * ذِكْرَى الأوائِلِ مِنْ أَهْلٍ وجِيرانِ (٢)

نَشَرْتَ فَضْلَ كِرامٍ فى مَضاجِعِهِمْ * جَرَّ الزَّمانُ عليهِمْ ذَيْلَ نِسْيانِ

إنّى أُحَيِّيكَ عنهُمْ فى جَزِيرَتِهِمْ * وفى العِراقِ وفى مِصْرٍ ولُبْنانِ

جَلَوْتَ للغَرْبِ حُسْنَ الشرقِ فى حُلَلٍ * لا يُسْتَهانُ بها نَسّاجَ (هِرْنانِى) (٣)

---

(١) الضمير فى « وسامه » للصدر . (٢) الروضة الغناء : هى التى تمر الريح فيها غير صافية الصوت لكثافة نبتها والتفافه . (٣) نساج هرنانى . يريد تشبيه واصف غالى بفكتور هوجو الشاعر الفرنسى المعروف مؤلف رواية هرنانى ، وهى رواية تمثيلية معروفة تعدّ من عيون الأدب الفرنسى ، وقد ترجمت الى العربية .

ظَنُّوكَ مِنهمْ وقد أَنْشأتَ تَخْطُبُهمْ * بما عَنَا لكَ مِنْ سِحْرٍ وتِبْيانِ (١)

ما زِلْتَ تَبْهَرُنا طَوْرًا وتَبْهَرُهمْ * حتّى ٱدَّعاكَ وحَيّاكَ الفَرِيقانِ

لولا ٱسْمِرارُكَ فازُوا فى ٱدّعائِهِمُ * (بواصِفٍ) وخَسِرْنا أىَّ خُسْرانِ

غَرَسْتَ مِنْ زَهَراتِ الشرقِ طائِفَةً * فى أرضِ(هيجُو)فجاءَتْ طُرْفَةَ الجانى (٢)

حَدِيقةً لكَ لَمْ تَعْهَدْ لها شَبَهًا * بينَ الحَدائِقِ فى زَهْرٍ وأَفْنانِ

يُحْيِى شَذاها نُفُوسَ الوافِدِينَ وما * مَرُّوا بِوَرْدٍ ولا طافُوا بِرَيْحانِ (٣)

لكنَّها مِنْ أَزاهِيرِ النُّهَى جَمَعَتْ * ما لا تُنالِفُه أزهارُ بُسْتانِ (٤)

بالأمْسِ كانَ لها شَرْقٌ تَضُوعُ به * واليومَ صارَ لها بالغَرْبِ شَرْقانِ (٥)

أَسْمَعْتَهمْ مِنْ نَسِيبِ القَوْمِ فانْطَلَقَتْ * شُؤُونُ كُلِّ شَجِىِّ القَلْبِ وَلْهانِ (٦)

وزِدْتَهمْ مِنْ كلامِ (البُحْتُرِى) قِطَعًا * مِثْلَ الرِّياضِ كَسَتْها كَفُّ (نَيْسانِ) (٧)

سَلْ (ألْفَرِيدَ) و (لامَرْتِينَ) هَلْ جَرَيا * مع (الوَلِيدِ) أو (الطّائى) بِمَيْدانِ (٨)

---

(١) ظنوك منهم ، أى ظنك الفرنسويون فرنسيا منهم . وعنا : خضع وذل . (٢) يريد بالزهرات : المقطوعات الأدبية التى ترجمها . وهيجو ، هو فكتور هوجو الشاعر المعروف انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٨ من هذا الجزء . والطرفة : الغريب المستحسن المعجب . (٣) الشذا : قوة ذكاء الرائحة . (٤) تنالفه ، أى تباريه وتغالبه فى النفح ، أى الرائحة الطيبة . (٥) تضوع : تفوح وتنتشر . (٦) النسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . ويريد بالقوم شعراء العرب . والشؤون : مجارى الدموع . (٧) نيسان : شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، وهو يقابل أبريل . (٨) انظر التعريف بالفريد ديموسيه فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٢٦ من هذا الجزء . ولامارتين ، هو ألفونس دلامارتين الشاعر الفرنسى ؛ ولد سنة ١٧٩٠ وتوفى فى سنة ١٨٦٩ وهو معروف برقة الغزل حتى قيل له : شاعر الحب والجمال . والوليد ، هو أبو عبادة البحترى . والطائى ، هو أبو تمام حبيب بن أوس ؛ وكلاهما شاعر معروف .

وَهَلْ هُمَا فى سَماءِ الشِّعْرِ قد بَلَغَا * شَأْوَ (النُّواسِىِّ)[1] فى صَوْغٍ وإتقانِ

وَدًّا وقد شَهِدَا بالحَقِّ أنَّهما * فى بَيْتِ (احمَدَ)[2] لو يَرْضَى نَدِيمانِ

أَمْسَى كتابُكَ "كالسِّيما" يُعِيدُ لهمْ * مَرأَى الحَوادِثِ مَرَّتْ مُنْذُ أزْمانِ

قد شاهَدَا فيهِ تَحْتَ النَّقْعِ عَنْتَرَةً[3] * يُصارِعُ المَوْتَ عن عَبْسٍ وذُبْيانِ

وشاهَدُوا أَسَدًا يَمْشِى إلى أَسَدٍ * كِلاهُما غَيْرُ هَيَّابٍ ولا وانِى

هـذا مِنَ العُرْبِ لا يُلْوِى به فَزَعٌ * وذاكَ أَرْوَعُ مِنْ آسادِ خَفَّانِ[4]

لله دَرُّ يَراعٍ أنْتَ حامِلُهُ * لو كانَ فى أَنْمُلِى يوما لأَغْنانِى

وَقَفْتَ تَدْفَعُ عن آدابنا تُهَمًا * كادَتْ تَقُوضُ مِنها كُلَّ بُنْيانِ

فكنتَ أوّلَ مِصْرِىٍّ أَقامَ لهُمْ * على نَبالَةِ مِصْرٍ أَلْفَ بُرْهانِ

---

(١) وهل هما ، أى ألفريد ولامارتين . والنواسى ، هو أبو نواس الحسن بن هانىء الشاعر المعروف . والشأو : الغاية .

(٢) يريد أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر المعروف .

(٣) النقع : الغبار فى الحرب . وعنترة ، هو ابن شداد العبسى ، وهو من فحول شعراء الجاهلية ومن فرسانهم المعروفين بالشجاعة والبأس ، وهو صاحب المعلقة التى أولها :

هل غادر الشعراء من متردّم * أم هل عرفت الدار بعد توهم

وعبس وذبيان : قبيلتان من قبائل العرب معروفتان ، ويشير الى أن الممدوح قد ترجم بعض شعر عنترة فى كتابه .

(٤) «لا يلوى به فزع» ، أى لا يصرفه ولا يردّه خوف . والأروع : الشهم الشجاع . وخفان : موضع قرب الكوفة تأوى اليه الأسود . ويشير بهذا البيت والذى قبله الى قصيدة البديع الهمذانى التى قالها على لسان بشر بن عوانة ، وذكر فيها لقاءه للأسد ومواثبته إياه حتى قتله ، وهى من القصائد التى ترجمها الممدوح إلى اللغة الفرنسية فى كتابه السابق ذكره ، وأولها :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت * وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

ما زِلْتَ تُلْقِي على أَسْماعِهِم حُجَجًا * في كلِّ نادٍ وتأْتِيهِم بسُلْطانِ (١)

حتّى انْثَنَيْتَ وما للغَرْبِ مُجْتَرِئٌ * على البِناءِ ولا زارٍ على البانِي (٢)

مَحَوْتَ ما كَتَبُوا عنّا بقاطِعَةٍ * مِن البَراهِينِ فَلَّتْ قولَ (رِينانِ) (٣)

أَنْحَى على الأَدَبِ الشَّرقِيِّ مُفْتَرِيًا * عليه ما شاءَ مِن زُورٍ وبُهْتانِ (٤)

ظَنَّ الحقيقةَ في الأَشْعارِ تَنْقُصُنا * واللَّفْظَ والقَصْدَ والتَّصْوِيرَ في آنِ

وأَنّنا لم نَصِلْ فيها إلى مِئَةٍ * عَدًّا وذاكَ لِعِيٍّ أو لنُقْصانِ (٥)

ولو رأَى (ابنَ جُرَيْجٍ) في قصائِدِه * لقالَ آمَنْتُ في سِرّي وإعْلانِي (٦)

مالِي أُفاخِرُ بالمَوْتَى وبينَ يَدِي * مِن شِعْرِ أحيائِنا ما ليس بالفانِي

في شِعْرِ (شَوْقي) و(صَبْرِي) ما نَتِيهُ به * على نَوابِغِهِم دَعْ شِعْرَ (مُطْرانِ)

بُورِكْتَ يا بنَ الوَزِيرِ الحُرِّ مِن رَجُلٍ * لم يَخْتَلِفْ فيه أو في فَضْلِه اثْنانِ (٧)

بَلِّغْ إذا جِئْتَ (بارِيزًا) أَفاضِلَها * عنّا التَّحِيّاتِ واشْفَعْها بشُكْرانِ

---

(١) السلطان : الحجة والبرهان . (٢) الزارى : العائب . (٣) رينان هو الفيلسوف الفرنسي المعروف الذى ردّ عليه الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده فيما رمى الإسلام والمسلمين به من تهم ؛ وقد غمز الأدب الشرقى بعدّة مغامز سيذكرها الشاعر بعد . (٤) يقال : أنحى عليه بالشتم ، اذا أقبل عليه به . والمفترى : الكاذب المختلق . (٥) «وأننا» الخ ، أى ظن أن شعراء العرب لم يصلوا فى القصيدة الى مئة بيت ، ونسب ذلك إلى العجز فى المنطق ونقصان اللغة العربية وقصورها عن تأدية ما يريده الشاعر . (٦) يريد بابن جريج أبا الحسن على بن العباس بن جريج الرومى مولى بنى العباس ، الشاعر المكثر ، صاحب التوليد الغريب والمعانى المبتكرة ؛ ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ وتوفى سنة ٢٨٣ هـ وهو مشهور بالمطولات من القصائد . (٧) الوزير ، هو بطرس غالى باشا أبو الممدوح .

وخُصَّ كاتِبَهـم (زولا) بأطيبها (١) * كما يُقابَلُ إحسانٌ بإحسانِ

واجعلْ لِسِفْرِكَ ذَيْلاً فى شواعِرِنا (٢) * وقِفْ لهنّ هُناكَ الموْقِفَ الثانى

وانثُرْ على الغَرْبِ مِنْ تلكَ الحُلَى وأَشِدْ (٣) * بكلِّ حَسّانَةٍ فينا وحَسّانِ

وعُدْ إلى الشَّرْقِ عَوْدَ الفاتِحِين له (٤) * وخُذْ مَكانَكَ فيه فَوْقَ (كيوانِ)

واشكُرْ رِعايَةَ عَبّاسٍ ومِنَّتَهُ (٥) * واشْرَحْ وَلاءَكَ يا (غالِى) (لعُثْمانِ)

واضْرَعْ إلى اللهِ أنْ يَرْعَى أَرِيكَتَنا (٦) * مَرْفُوعَةَ الشانِ ما مَرَّ الجَدِيدانِ

تهنئة المغفور له السلطان حسين كامل بالسلطنة (٧)

[نشرت فى أوّل يناير سنة ١٩١٥م]

هَنِيئاً أَيُّها المَلِكُ الأجَلُّ * لكَ العَرْشُ الجَدِيدُ وما يُظِلُّ

تَسَنَّمْ عَرْشَ (اسماعيلَ) رَحْبا (٨) * فأنتَ لِصَوْلَجانِ المُلْكِ أَهْلُ

---

(١) هو اميل زولا الكاتب الفرنسى المعروف ؛ ولد فى باريس سنة ١٨٤٠م، وتوفى سنة ١٩٠٢م.

(٢) يرغب حافظ الى الممدوح أن يترجم الى اللغة الفرنسية كتابا آخر من شعر النساء العربيات يكون ذيلا لكتابه الأول.

(٣) أشاد بذكره، أى رفعه بالثناء عليه. وبكل حسانة وحسان، أى بكل مجيدة محسنة فى الشعر ومجيد محسن. ويجوز أن يقرأ هذان اللفظان بفتح الحاء، على معنى شاعرة وشاعر يشبهان حسان بن ثابت.

(٤) كيوان : اسم كوكب زحل بالفارسية.

(٥) يرغب الى ممدوحه أن يشرح لعثمان مرتضى باشا إخلاصه للخديوى ليبلغه إياه، وكان عثمان باشا فى سراى الخديوى عباس الثانى فى منزلة كبير الأمناء الآن.

(٦) الأريكة : سرير الملك. والجديدان : الليل والنهار.

(٧) ولد السلطان حسين كامل فى يوم (١٩ صفر سنة ١٢٧٠هـ) (٢١ نوفبر سنة ١٨٥٣م)، وفى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر؛ وتوفى رحمه الله فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧م.

(٨) تسنم العرش : علاه. والصولجان : العصا المعوجة من الطرف؛ وهو لفظ فارسى معرب؛ وكانت الملوك تتخذه شعارا للملك.

وحَصَّنه بإحسانٍ وعدلٍ * لحصنُ المُلْكِ إحسانٌ وعدلُ

وجَدَّدْ سيرةَ العُمَرَيْنِ فينا * فإنك بيننا للهِ ظلُّ (١)

لقد عزَّ السريرُ وتاهَ لمّا * تبوَّأهُ المليكُ المستقلُّ (٢)

وهَشَّ التاجُ حين علا جبينًا * عليه مهابةٌ وعليه نُبْلُ (٣)

تمنَّى لو يقرُّ على أبيٍّ * تذلُّ له الخطوبُ ولا يذلُّ

وقد نالَ المرامَ وطابَ نفسًا * فها هو ذا بلابسه يُدِلُّ (٤)

وما كنتَ الغريبَ عن المعالي * ولا التاجُ الذى بكَ باتَ يعلو (٥)

وإنكَ منذ كنتَ ولا أغالي * حسامٌ للأريكةِ لا يُفَلُّ (٦)

فكم نَهنَهْتَ من غَرْبِ العوادي * وكمْ لكَ فى رُبوعِ النيلِ فضلُ (٧)

وما مِنْ مجمعٍ للخيرِ إلّا * ومِنْ كفَّيكَ سَحَّ عليه وَبْلُ (٨)

فقد عرفَ الفقيرُ نداكَ قِدْمًا * وقد عرفَ الكبيرُ علاكَ قبلُ

لكَ العرشانِ: هذا عرشُ مصرٍ * وهذا فى القلوبِ له محلُّ

فألَّفَ ذاتَ بينهما برأيٍ * وعزمٍ لا يكلُّ ولا يملُّ

---

(١) العمران : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما . (٢) تاه : اختال . وتبوأه : جلس عليه .

(٣) هش للأمر : ارتاح اليه . (٤) يدل ، أى يفرط فى التيه والاختيال .

(٥) قوله : « ولا التاج الذى بك بات يعلو » أى ليس التاج الذى علا بهامك غريبا عن المعالى أيضا . (٦) لا أغالى ، أى لا أبالغ . ولا يفل ، أى لا يثلم حده . (٧) « نهنهت من غرب العوادى » ، أى كففت من النوائب وصرفتها عن مصر . وغرب السيف ونحوه : حدّه .

(٨) الوبل : المطر الكثير .

فَرْشٌ لا تَحُفُّ به قُلُوبٌ * تَحُفُّ به الخُطُوبُ وَيَضْمَحِلُّ (١)

(أبا الفلاح) كم لك من أيادٍ * على ما فيك من كَرَمٍ تَدُلُّ (٢)

وآلاءٍ وإنْ أطْنَبْتُ فيها * وفى أوصافها فأنا المُقِلُّ (٣)

عُنِيتَ بحالة الفلاح حتى * تَهَيَّبَ أنْ يَزُورَ الأرضَ مَحْلُ (٤)

وكيفَ يَزُورُ أرضًا سِرْتَ فيها * وأنتَ الغيثُ لم يُمْسِكْهُ بُخْلُ

وكم أحيَيْتَ مِنْ أرضٍ مَواتٍ * فأضحتْ تُسْتَرادُ وتُسْتَغَلُّ (٥)

وأخْصَبَ أهلُها من بعدِ جَدْبٍ * وفاضَ عليهمُ رَغَدٌ ونَفْلُ (٦)

وكم أسعفتَ فى مِصْرٍ جريحًا * عليه الموتُ مِنْ كَثَبٍ يُطِلُّ (٧)

وكنتَ لكلِّ مِسْكينٍ وِقاءً * وأهلاً حينَ لم تَنْفَعْهُ أهْلُ (٨)

وكنتَ فتًى بعهدِ أبيكَ نَدْبًا * له رأىٌ يُسَدِّدُهُ وفَضْلُ (٩)

لكلِّ عظيمةٍ تُدْعَى فتُبْلى * بلاءَ مُجَرَّبٍ يَحْمَدُوهُ عقلُ

تَوَلَّيْتَ الأمورَ فتًى وكَهْلاً * فلم يَبْلُغْ مَداكَ فتًى وكَهْلُ (١٠)

---

(١) يضمحل : يخل ويذهب . (٢) كان المغفور له السلطان حسين كامل يعنى كل العناية بخير الفلاح ورخائه؛ وكان رئيسا للجمعية الزراعية مدة من الزمن . (٣) الآلاء : النعم . والمقل : الموجز فى الكلام . (٤) المحل : الجدب . (٥) استراد المكان : طلبه وتخيره للنزول فيه . (٦) النفل : زيادة الخير . (٧) من كثب ، أى من قرب . (٨) الوقاء : الحفظ . (٩) الندب ، هو من اذا ندبت لحاجة أسرع فى قضائها ، والسريع الى الفضائل . (١٠) يشير بقوله : «توليت الأمور فتى وكهلا» ، الى المناصب التى تولاها فى عهد أبيه اسماعيل وأخيه توفيق وابن أخيه عباس الثانى .

وجَرَّبْتَ الحَوادِثَ مِنْ قَـديمٍ * ومِثْلُكَ مَنْ يُجَرِّبُها ويَبْلُو (١)

وكنتَ لمجْلِسِ الشُّورَى حَياةً * ونِبْراسًا اذا ما القومُ ضَلُّوا (٢)

فَلَمْ يُلْمِمْ بساحَتِه جُحُودٌ * ولم يَجْلِس به عُضْوٌ أَشَلُّ (٣)

وما غادَرْتَـه حتّى أَفاقُوا * ومِنْ أَمْراضِ عَيْشِهِمُ أَبَلُّوا (٤)

فعِشْ لِلنِّيلِ سُلْطانًا أَبِيًّا * له فى مُلْكِه عَقْدٌ وحَلُّ

ووَالِ القَوْمَ إنَّهُمُ كِرامٌ * مَيامِينُ النَّقيبةِ أَيْنَ حَلُّوا (٥)

لهم مُلْكٌ على التّاميزِ أَضْحَتْ * ذُراهُ على المَعالِى تَسْتَهِلُّ (٦)

وليس كقَوْمِهِمْ فى الغَرْبِ قَوْمٌ * مِنَ الأَخْلاقِ قد نَهِلُوا وعَلُّوا (٧)

فإنْ صادَقْتَهُمْ صَدَقُوكَ وُدًّا * وليس لهم اذا فَتَّشْتَ مِثْلُ

وإنْ شاوَرْتَهُمْ والأمْرُ جِدٌّ * ظَفِرْتَ لهم برأْيٍ لا يَزِلُّ (٨)

وإنْ نادَيْتَهُمْ لَبّاكَ مِنْهُمْ * أَساطِيلٌ وأَسْيافٌ تُسَلُّ

فمادِدْهُمْ حِبالَ الوُدِّ وانْهَضْ * بِنا فقِيادُنا للخَيْرِ سَهْلُ (٩)

---

(١) يبلو : يختبر . (٢) النبراس : المصباح . (٣) ألم بالمكان : زاره زيارة غير طويلة . (٤) أبل المريض : شفى .

(٥) يريد بالقوم : الانجليز . وميمون النقيبة : محمود المختبر .

(٦) التاميز : نهر بانجلترا معروف . والذرا : المرتفعات ، الواحدة ذروة . وتستهل : تظهر .

(٧) النهل (بالتحريك) : الشرب الأوّل . والعلل (بالتحريك أيضا) : الشرب الثانى . يريد أنه ليس فى أمم أوربا أمة مثل الانجليز قد ارتوت من منهل الأخلاق . (٨) يزل : يخطئ .

(٩) يقال : تمادّا حبال الود ، اذا توادّا .

وَخَفَّفَ مِنْ مُصابِ الشرقِ فِينا * فنحنُ على رِجالِ الغَربِ ثِقلُ (١)

اذا نَزَلَتْ هُناكَ بِهِمْ خُطُوبٌ * أَلَمَّ بِنا هُنا قَلَقٌ وشُغلُ

حَيارَى لا يَقَرُّ لنا قَرارٌ * تُنازِلُنا الخُطوبُ ونحنُ عُزْلُ (٢)

فأهلًا بالدَّليلِ الى المَعالِي * أَلا سِرْ بِنا (حُسَيْنُ) ونحنُ نَتْلُو

وأَسْعِدْنا بِعَهْدِكَ خَيْرَ عَهْدٍ * بهِ أيامُنا تَصْفُو وتَحْلُو

فأمرُكَ طاعَةٌ ورِضاكَ غُنْمٌ * وسَيْفُكَ قاطِعٌ ونَداكَ جَزْلُ (٣)

إلى الطبيبة (لونا)

قال هذين البيتين فيها بمناسبة طفلة رُزِقها صديقُه محمد بك بدر
وكانت (لونا) هى المولِّدة

[نشرت فى ١٥ فبراير سنة ١٩١٦ م]

(لِلُونَا) شُهْرَةٌ فى الطِّبِّ تاهَتْ * بها مِصْرُ وتاهَ بها مَدِيحِي

ومِنْ عَجَبٍ تَدِينُ بِدِينِ (مُوسَى) * وتَأْتِينا بِمُعْجِزَةِ (المَسِيحِ) (٤)

---

(١) يريد بالشطر الثانى من هذا البيت أن تأخرنا عن الغربيين جعلنا حملا ثقيلا على كواهلهم .

(٢) العزل : الذين لا سلاح لهم ، الواحد أعزل .

(٣) الجزل : الكثير .

(٤) يريد تشبيه هذه الطبيبة فى طبها بنبي الله عيسى عليه السلام ، إذ كانت معجزته إحياء الموتى .

ذكرى شكسبير (١)

قالها تلبية لدعوة المجمع العلمى بانجلترا الذى أقام احتفالا بذكرى شكسبير لمرور ثلثمائة عام على وفاته

[نشرت فى ١ مارس سنة ١٩١٦ م]

يُحَيِّيكَ مِنْ أَرْضِ الكِنانَةِ شاعِرٌ * شَغُوفٌ بِقَوْلِ العَبْقَرِيِّينَ مُغْرَمُ

ويُطْرِبُه فى يَوْمِ ذِكْراكَ أنْ مَشَتْ * إليكَ مُلُوكُ القَوْلِ عُرْبٌ وأَعْجَمُ (٢)

نَظَرْتَ بعَيْنِ الغَيْبِ فى كلِّ أُمَّةٍ * وفى كلِّ عَصْرٍ ثم أنْشَأْتَ تَحْكُمُ

فلم تُخْطِئِ المَرْمَى ولا غَرْوَ أنْ دَنَتْ * لكَ الغايَةُ القُصْوَى فإنَّكَ مُلْهَمُ (٣)

أَفِقْ ساعةً وانْظُرْ إلى الخَلْقِ نَظْرَةً * تَجِدْهُمْ وإنْ راقَ الطِّلاءُ هُمُ هُمُ (٤)

على ظَهْرِها مِنْ شَرِّ أطْماعِهِمْ دَمٌ * وفَوْقَ عُبابِ البَحْرِ مِنْ صُنْعِهِمْ دَمُ (٥)

تَفانَوْا على دُنْيا تَغُرُّ وباطِلٍ * يَزُولُ الى أنْ ضَجَّتِ الأرضُ مِنْهُمُ

فلَيْتَكَ تَحْيا يا أبا الشِّعْرِ ساعَةً * لِتَنْظُرَ ما يُصْمِي ويُدْمِي ويُؤْلِمُ (٦)

وقائِعَ حَرْبٍ أَجَّجَ العِلْمُ نارَها * فكادَ بها عَهْدُ الحَضارَةِ يُخْتَمُ (٧)

---

(١) وليم شكسبير، هو الشاعر الانجليزى المعروف؛ ولد سنة ١٥٦٤م، وكانت وفاته سنة ١٦١٦م.

(٢) الأعجم: وصف يطلق على الجمع كما هنا، وعلى المفرد؛ يقال: رجل أعجم، وقوم أعجم.

(٣) القصوى: البعيدة. (٤) راقنى طلاؤه: أعجبنى ظاهره. (٥) ظهرها، أى ظهر الأرض. (٦) أصماه السهم: قتله. (٧) أجج العلم نارها، أى أشعلها العلم بمخترعاته المهلكة.

وتعلم أن الطبع لا زال غالباً * سواء جهول القوم والمتعلم

فما بلغت منه الحضارة مأرباً * ولا نال منه العلم ما كان يزعم (١)

أهبت بهذا من قرون ثلاثة * وكنت على تلك الطبائع تنقم (٢)

وما هدم التجريب رأياً بنيته * ولا زالت الآراء تبنى وتهدم

ألا إن ذكرى شكسبير بدت لنا * بشير سلام ثغره يتبسم

فلو أنصفوا أبطالهم لتهادنوا * قليلا وحيوا شعره وترنموا (٣)

ولم يطلقوا فى يوم ذكراه مدفعاً * ولم يزهقوا نفساً ولم يتقحموا (٤)

له قلم ماضى الشباة كأنما * أقام بشقيه القضاء المحتم (٥)

طهور اذا ما دنست كف كاتب * وثوب اذا ما قر فى الطرس مرقم (٦)

ولوع بتصوير الطباع فلم يحز * بباطنة إلا حباه برسم

أرانى فى (ماكبث) لجقيد صورة * تكاد بها أحشاؤه تتضرم (٧)

ومثل فى (شيلوك) للبخل محنة * عليها غبار الهون والوجه أقتم (٨)

وأقعدنى عن وصف (هملت) حسنها * وفى مثلها تعيا البراعة والفم

---

(١) منه ، أى من الطبع . (٢) أهبت : دعوت .

(٣) تهادنوا قليلا ، أى كفوا عن الحرب . يشير الى ما كان إذ ذاك من توقد نار الحرب العظمى .

(٤) تقحم الحرب واقتحمها : دخل فيها وخالطها . (٥) شباة القلم : سنه .

(٦) المرقم : القلم . (٧) يشير بهذا البيت الى قصيدة شكسبير فى خنجر ماكبيث التى ترجمها حافظ ونشرت فى هذا الديوان . (٨) الهون : الذل . والأقتم : العابس المتجهم .

دَعِ السِّحْرَ فى (رُمْيُو) و(جُوليتَ) إنّما * يُحِسُّ بِما فيها الأديبُ المُتَيَّمُ

أتاهُمْ بشِعْرٍ عَبْقَرِيٍّ كأنّه * سُطُورٌ مِنَ الإنْجِيلِ تُتْلَى وتُكْرَمُ

نَدِيٌّ على الأيامِ يَزْدادُ نَضْرَةً (١) * ويَزْدادُ فيها جِدّةً وهو يَقْدُمُ

يُؤَتَّى الى قُرّائه أنّ نَسْجَه (٢) * لِيَوْمٍ وأنّ الحائكَ اليومَ فِيهِمُ

كتِلْكَ النُّقُوشِ الزّاهِياتِ بمَعْبَدٍ * لِفِرْعَوْنَ لا زالت على الدّهْرِ تَسْلَمُ

فلَمْ يَدْنُ مِنْ إحْسانِه مُتأخّرٌ * ولَمْ يَجْرِ فى مَيْدانِه مُتَقَدِّمُ

أطَلَّ عليهِمْ مِنْ سَماءِ خَيالِه * وحَلّقَ حَيْثُ الوَهْمُ لا يَتَجَشَّمُ (٣)

وجاءَ بِما فَوْقَ الطّبِيعَةِ وَقْعُه * فأكْبَرَ قَوْمٌ ما أتاهُ وأعْظَمُوا

وقالوا تَحَدّانا بِما يُعْجِزُ النُّهَى (٤) * فَلَسْنا إذَنْ آثارَه نَتَرَسَّمُ

ولَمْ يَتَحَدَّ النّاسَ لكنّه امْرُؤٌ * بِما كانَ فى مَقْدُورِه يَتَكَلَّمُ

لقَدْ جَهِلُوه حِقْبَةً (٥) ثُمّ رَدّهُمْ * اليه الهُدَى فاسْتَغْفَرُوا وتَرَحَّمُوا

كذاكَ رِجالُ الشّرْقِ لو يُنْصِفُونَهُمْ * لَقامَ لهم فى الشّرْقِ والغَرْبِ مَوْسِمُ

أضاءَ بِهِمْ بَطْنُ الثّرَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ * وأعْقابُهُمْ عَنْ نُورِ آياتِهِمْ عَمُوا

---

(١) يريد «بالندىّ» تشبيه شعره بالزهر المبتل بالندى؛ والذى وجدناه فى كتب اللغة بهذا المعنى (الندى) بتخفيف الياء مع كسر الدال لا بتشديدها .

(٢) يقول : إن شعره لجدّة معانيه ومسايرتها لكل عصر يخيل لقرائه أنه قد قيل فى هذا العهد الذى قرأوه فيه ، وأن قائله لا يزال حيا بينهم . (٣) لا يتجشم ، أى لا يتكلف .

(٤) تحدّانا : بارانا ونازعنا الغلبة . ونرسم آثاره : اقتدى بها وسار عليها .

(٥) الحقبة : المدة من الدهر .

فقُلْ لِبَنى التّاميزِ والجمعُ حافِلٌ * به يُنْـثَرُ الدُّرُّ الثّمينُ ويُنْظَـمُ

لئن كان فى ضَخْمِ الأساطِيلِ فَخْرُكُمْ * لَفَخْرُكُمُ بالشاعرِ الفَرْدِ أعْظَمُ

الى عظمة السلطان حسين كامل (١)

ألقاها بين يديه أثناء زيارته لمدينة طنطا فى السرادق الذى أقيم له هناك

[نشرت فى ٦ مايو سنة ١٩١٦ م]

فى ساحَةِ (البَدَوِىِّ) حَلّتْ ساحَةٌ * عِزُّ البِلادِ بِعِـزِّها مَوْصُولُ (٢)

وأتى (الحُسَيْنُ) يَزُورُ قُطْبَ زَمانِه * يَرْعَى ويَحْرُسُ رَكْبَهُ (جِبْرِيلُ)

زادَتْ مَواسِمُنا (بِطَنْطَا) مَوْسِمًا * لَمَلِيكِهِ التَّقْدِيسُ والتَّبْجِيلُ

بالساحَتَيْنِ لِكُلِّ راجٍ مَـوْئِلٌ * ولِكُلِّ عافٍ مَرْبَـعٌ ومَقِيلُ (٣)

قُلْ للفَقِيرِ إذا سَأَلْتَ فلا تَخَفْ * رَدًّا فما فى السّاحَتَيْنِ بَخِيلُ

بَرَكاتُ هـٰذى لا يَغِيضُ مَعِينُها * نَفَحاتُ تِلْكَ كَثِيرُها مَأْمُولُ (٤)

قد أخْصَبَ الإقْلِيمُ حِينَ حَلَلْتَه * والغَيْثُ لا يَبْقَى عَلَيْهِ مُحُولُ (٥)

---

(١) انظر التعريف بالمغفور له السلطان حسين كامل فى الحاشية رقم ٧ ص ٦٧ من هذا الجزء .

(٢) يريد « بالبدوى » : السيد احمد البدوى المعروف ضريحه ومسجده بطنطا . ويريد بالساحة الثانية : ساحة السلطان .

(٣) العافى : طالب المعروف . والمربع : المكان يقام فيه وقت الربيع . والمقيل : موضع الراحة نصف النهار .

(٤) «هذى» ، إشارة الى ساحة البدوى . ولا يغيض معينها ، أى لا يقل ولا ينقص موردها . والمعين فى الأصل : الماء الجارى . « وتلك » ، إشارة الى ساحة السلطان .

(٥) المحول : الجدب .

وبَدا يَمُوجُ بسَاكِنِيه وعِطْفُه * قد كادَ مِنْ طَرَبِ اللِّقاءِ يَمِيلُ (١)

ذَكَرُوا بمَقْدَمِكَ المُبارَكِ مَوْقِفًا * قد قامَ فِيه أبُوكَ (إسْماعِيلُ)

فِي مِثْلِ هٰذا اليَوْمِ خَلَّدَ ذِكْرَه * أثَرٌ له بَيْنَ العِبادِ جَلِيلُ

نَثَرَ السُّعُودَ على الوُفُودِ وحَوْلَه * يَتَجاوَبُ التَّكْبِيرُ والتَّهْلِيلُ

دامَتْ مآثِرُه ومَنْ يَكُ صُنْعُه * كأبِيكَ إسْماعِيلَ كَيْفَ يَزُولُ؟

فاهْنَأْ بمُلْكِكَ يا (حُسَيْنُ) فَعَهْدُه * عَهْدٌ بتَحْقِيقِ الرَّجاءِ كَفِيلُ

وانْهَضْ بشَعْبِكَ في الشُّعُوبِ فإنَّما * لكَ بَعْدَ رَبِّكَ أمْرُهُ مَوْكُولُ

ولْيَهْنِئِ البَدَوِيَّ أنَّ صَدِيقَه * عَنْ وُدِّه المَعْهُودِ ليسَ يَحُولُ

قد جاءَه يَسْعَى إليه وحَوْلَه * أعْلَى وأكْرَمُ مَنْ سَقاهُ النِّيلُ (٢)

---

(١) يموج : يضطرب . والعطف : الجانب .

(٢) يريد « بالأعلى » و« الأكرم » : من كان في ركب السلطان .

عمر بن الخطّاب (١)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لسماع هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف بدرب الجماميز

مساء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨ م

حَسْبُ القَوافِي وحَسْبِي حِينَ أُلْقِيها * أَنِّي الى ساحَةِ (الفَارُوقِ) أُهْدِيها (٢)

لاهُمَّ ، هَبْ لِي بَيَاناً أَسْتَعِينُ به * على قَضاءِ حُقُـوقٍ نامَ قاضِـيها (٣)

قد نازَعَتْنِي نَفْسِي أَنْ أُوَفِّيَهـا * وليسَ فى طَـوْقِ مِثـلِي أَنْ يُوَفِّيها (٤)

فَمُـرْ سَرِيَّ المَعَـانِي أَنْ يُوَاتِيَنِي * فيها فإنِّي ضَعِيفُ الحَـالِ واهِيها (٥)

(مقتـل عمـر)

مَوْلَى المُغِـيرَةِ، لا جادَتْكَ غادِيَةٌ * مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ما جادَتْ غَوادِيها (٦)

---

(١) ولد أبو حفص عمر بن الخطاب بمكة سنة ٣٧ قبل الهجرة ، وكان قبل إسلامه من أشدّ الناس عداوة للإسلام وأهله ، ثم أسلم رضى الله عنه بعد ست سنين من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها ؛ ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له اليد الطولى فى حسم الخلاف بين المسلمين على الخلافة ؛ ولما أحس أبو بكر بدنوّ أجله استخلف عمر . وتاريخ عمر حافل بالأمور الجسام ؛ وقتل رضى الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ .

(٢) الفاروق : اسم لعمر بن الخطاب ، سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه فرق بين الحق والباطل .

(٣) لاهم ، أى اللهم . (٤) الطوق : الجهد والطاقة . (٥) سرى المعانى : شريفها ورفيعها . ويواتيني : يطيعني ويمدّنى .

(٦) مولى المغيرة ، هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسى الأصل ، وكان قد شكا الى عمر ارتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة ، ورجاه فى تخفيفه ، فلم يجبه الى ما طلب ، فأسرها فى نفسه ، وتحين به الفرص حتى طعنه بخنجره وهو قائم يصلى . ويقال : إن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد أبى لؤلؤة عليه ، ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاملين فيها الهرمزان الفارسى ، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الغرض . والغادية : السحابة تنشأ غدوة والجمع الغوادى . وجادتك : أمطرتك ؛ يدعو عليه بانقطاع الخير والرحمة عنه .

مَزَّقْتَ منه أَدِيمًا حَشْوُه هِمَمٌ (١) * فى ذِمَّةِ اللهِ عالِيها وماضِيها

طَعَنَتْ خاصرةَ (الفارُوقِ) مُنتقِماً (٢) * مِنَ الحَنِيفَةِ فى أَعْلَى مَجالِيها

فأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الإِسْلامِ حائرةً (٣) * تَشْكُو الوَجِيعةَ لمّا ماتَ آسِيها

مَضَى وخَلَّفَها كالطَّوْدِ راسِخَةً (٤) * وَزَانَ بالعَدْلِ والتَّقْوَى مَغانِيها

تَنْبُو المَعاوِلُ عنها وهىَ قائمةٌ (٥) * والهادِمُونَ كثيرٌ فى نَواحِيها

حتَّى اذا ما تَوَلَّاها مُهَدِّمُها * صاحَ الزَّوالُ بها فاندَكَّ عالِيها

واهًا على دَوْلَةٍ بالأَمْسِ قد مَلأَتْ (٦) * جَوانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيادِيها

كَمْ ظَلَّلَتْها وحاطَتْها بأَجْنِحةٍ (٧) * عَنْ أَعْيُنِ الدَّهْرِ قد كانت تُوارِيها

مِنَ العِنايَةِ قد رِيشَتْ قَوادِمُها (٨) * ومِنْ صَمِيمِ التُّقَى رِيشَتْ خَوافِيها

واللهِ ما غالَها قِدْمًا وكادَ لها (٩) * واجْتَثَّ دَوْحَتَها إلّا مَوالِيها

لو أنّها فى صَمِيمِ العُرْبِ قد بَقِيَتْ * لمّا نَعاها على الأَيّامِ نَاعِيها

---

(١) الأديم : الجلد . وقوله : « عاليها وماضيها » يصف همة عمر بالرفعة والمضاء .

(٢) الخاصرة : الخصر . وفى أعلى مجاليها ، أى فى أوضح مظاهرها .

(٣) الآسى : الطبيب . (٤) الطود : الجبل العظيم . والمغانى : المنازل ، الواحد مغنى .

(٥) تنبو : تكل وترتد . (٦) الأيادى : النعم . (٧) كم ظللتها ، أى أن هذه الدولة ظللت بجوانب الشرق . (٨) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش الواحدة قادمة . والخوافى : صغار الريش ، وهى تحت القوادم . (٩) غالها : اغتالها وأهلكها . واجتث : استأصل . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل ، والجمع دوح . ويريد « بالموالى » : غير العرب . ويشير بهذا البيت الى نكبة الدول الاسلامية على أيديهم ، فهم الذين قتلوا عمر ، وكانوا سببا فى إسقاط الدولة الأموية وإضعاف الدولة العباسية حتى سقطت .

يالَيتهم سَمِعُوا ما قاله (عُمَرٌ) (١) * والرُّوحُ قد بلَغَتْ منه تَراقِيها:

لا تُكْثِرُوا مِنْ مَوالِيكُمْ فإنّ لهمْ * مَطامِعًا بَسَماتُ الضَّعْفِ تُخْفِيها

(إسـلام عمـر)

رأيتَ فى الدِّين آراءً مُوَفَّقَـةً * فأَنْـزَلَ اللهُ قـرآنًا يُزَكِّيها (٢)

وكنتَ أوّلَ مَنْ قَرّتْ بصُـحْبَتِه * عَيْنُ الحَنِيفَـةِ وٱجتازَتْ أَمانِيها

قد كنتَ أَعْدَى أعاديها فصِرْتَ لها * بنِعْمَةِ اللهِ حِصْـنًا من أَعادِيها (٣)

خَرَجْتَ تَبْغِى أذاها فى (مُحَمّدِها) * وللحَنِيفَـةِ جَبّارٌ يُـوالِيها (٤)

فـلَم تَكَدْ تَسمَعُ الآياتِ بالِغَـةً * حتى ٱنكَفَأْتَ تُناوِى مَنْ يُناوِيها (٥)

---

(١) يقال بلغت روحه التراقى، اذا شارف الموت . والتراقى : أعالى الصدر حيث يترقى النفس .

(٢) يزكيها : يعززها و يؤيدها . ويشير بهذا البيت الى ما كان من عمر — رضى الله تعالى عنه — حين كان يرى الرأى فينزل به القرآن ، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية ، منها آية التحريم فى الخمر لما قال : « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا » . ومنها آية الاستئذان فى الدخول، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائما ؛ فقال : « اللهم حرم الدخول » ؛ فنزلت آية الاستئذان الخ . (٣) يشير الشاعر بهذا البيت الى ما عرف عن عمر من شدّته على النبي والمسلمين قبل إسلامه ، ثم ما كان منه بعد ذلك من إعزاز الاسلام بدخوله فيه . (٤) يواليها : يناصرها ، وهو الله تعالى . ويشير الشاعر بهذا البيت والأبيات بعده الى السبب فى إسلام عمر، وذلك أنه كان خرج فى يوم من الأيام ليواصل أذاه للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلقيه نعيم بن عبد الله وأخبره بإسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد ؛ وغيره ذلك ، فرجع عمر اليهما غاضبا ، وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئهما إياها ؛ فلما دنا عمر من البيت سمعهم ، وأحسوا هم به ، فاختفى خباب ، ودخل عمر ، فعثر على الصحيفة وقرأ ما فيها ، فأعجب به وأطراه ، ومال قلبه الى الاسلام ، فقصد الى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه .

(٥) انكفأ : رجع . وتناوى : تناوئ ، أى تعادى .

(١)
سَمِعْتَ (سُورَةَ طَه) مِنْ مُرَتِّلِها * فَزَلْزَلَتْ نِيَّةً قد كنتَ تَنْوِيها
(٢)
وقُلْتَ فيها مَقالًا لا يُطاوِلُه * قَوْلُ المُحِبِّ الذى قد باتَ يُطْرِيها
(٣)
ويومَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الحَقُّ وارتفعَتْ * عن كاهِلِ الدِّينِ أَثْقالٌ يُعانِيها
(٤)
وَصاحَ فيه (بِلالٌ) صَيْحَةً خَشَعَتْ * لها القُلوبُ ولَبَّتْ أَمْرَ بارِيها
(٥)
فأنتَ فى زَمَنِ (المُخْتارِ) مُنْجِدُها * وأنتَ فى زَمَنِ (الصِّدِّيقِ) مُنْجِيها
(٦)
كَمِ اسْتَراكَ رَسُولُ اللهِ مُغْتَبِطًا * بِحِكْمَةٍ لكَ عِندَ الرَّأْيِ يُلْفِيها

(عمر وبيعة أبى بكر)

(٧)
ومَوْقِفٍ لكَ بَعْدَ (المُصْطَفَى) افْتَرَقَتْ * فيه الصَّحابَةُ لمَّا غابَ هادِيها
بايَعْتَ فيه (أبا بَكْرٍ) فبايَعَه * على الخِلافَةِ قاصِيها ودانِيها

---

(١) يريد «بالنية» : النية التى كان ينويها عمر قبل اسلامه من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) لا يطاوله : لا يغالبه . وأطراه يطريه : أحسن الثناء عليه و بالغ فى مدحه .

(٣) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق . (٤) بلال ، هو ابن رباح ، وكان مولى لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، اشتراه ثم أعتقه ، وكان له خازنا ، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا ، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية . ويشير الشاعر بهذا البيت الى اظهار المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعد ما كانوا يخفونه خوفا من المشركين ، وجهر بلال بالأذان .

(٥) يريد بالصديق : أبا بكر أوّل الخلفاء الراشدين ؛ ويشير بالشطر الثانى من هذا البيت الى الخلاف الذى سبق مبايعة أبى بكر ، وحسمه عمر يوم السقيفة ، ومناصرته لأبى بكر مدّة خلافته ، وسيشير الشاعر الى ذلك بعد . (٦) استراك : أصلها استرءاك ، أى طلب رأيك . (٧) يشير الى اختلاف المسلمين فى يوم السقيفة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، وما كاد يلحقهم من انقسام الكلمة فى اختيار خليفة لهم ، و إلى فضل عمر يومها بلمه شعثهم و إسراعه الى مبايعة أبى بكر بالخلافة .

وأُطفِئَتْ فِتنةٌ لولاكَ لاستَعَرتْ * بينَ القَبائلِ وانسابَتْ أفاعيها (١)

باتَ النبيُّ مُسَجَّى فى حَظِيرَتِه * وأنتَ مُسْتَعِرُ الأَحْشاءِ داميها (٢)

تَهيمُ بين عَجِيجِ الناسِ فى دَهَشٍ * مِنْ نَبأةٍ قد سَرَى فى الأرضِ سارِيها (٣)

تَصيحُ: مَنْ قالَ نَفْسُ المصطفى قُبِضَتْ * عَلَوْتُ هامَتَه بالسَّيفِ أَبْرِيها (٤)

أَنْسَاكَ حُبُّكَ طَه أنه بَشَرٌ * يَجْرِى عليه شُؤُونَ الكَوْنِ مُجْرِيها

وأنه وارِدٌ لا بُدَّ مَوْرِدَه * مِنَ المَنِيَّةِ لا يُعْفِيه ساقِيها

نَسِيتَ فى حَقِّ طَه آيةً نَزَلَتْ * وقد يُذَكِّرُ بالآياتِ ناسِيها

ذَهِلْتَ يوما فكانت فِتنةٌ عَمَمٌ * وثَابَ رُشْدُكَ فانجابَتْ دَياجِيها (٥)

فللسَّقِيفةِ يومٌ أنتَ صاحِبُه * فيه الخلافةُ قد شِيدَتْ أواسِيها (٦)

مَدَّتْ لها (الأَوْسُ) كَفًّا كَىْ تَناوَلَها * فمَدَّتِ (الخَزْرَجُ) الأَيْدِى تُبارِيها (٧)

---

(١) استعرت : اتقدت . (٢) سجى الميت : مدّ عليه ثوبه وغطاه به .

(٣) هام يهيم : ذهب على وجهه لا يدرى أين يذهب . والعجيج : الصياح ورفع الصوت . والنبأة : الصوت الخفى ، ويريد نبأ وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . ويشير بهذا البيت والأبيات الخمسة بعده الى ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى إن عمر وقف بينهم يهددهم بقطع رأس كل من يقول : " مات محمد " حتى جاءهم أبو بكر ، فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية ؛ فعادوا الى صوابهم . (٤) الهامة : الرأس .

(٥) عمم : عامة . وانجابت : انقشعت وزالت . والدياجى : الظلمات .

(٦) الأواسى : جمع آسية ، وهى العمود .

(٧) الضمير فى « لها » و « تناولها » للخلافة . والأوس والخزرج : قبيلتا الأنصار . وتباريها : تنازعها الغلبة على الخلافة .

وظَنّ كلُّ فريقٍ أنّ صاحِبَهُمْ (١) * أَوْلَى بها وأَتَى الشَّحْناءَ آتِيها

حتّى انبَرَيْتَ لهم فارتَدّ طامِعُهُمْ * عنها وآخَى (أبو بكرٍ) أَواخِيها (٢)

(عمـــر وعليّ)

وقَوْلَةٍ (لعليٍّ) قالها (عُمَرٌ) (٣) * أَكْرِمْ بسامِعِها أَعْظِمْ بمُلْقِيها!

حَرَّقْتُ دارَكَ لا أُبْقِي عليكَ بها * إنْ لم تُبايِعْ وبِنْتُ المصطفَى فيها

ما كانَ غيرُ (أبي حَفْصٍ) يَفُوهُ بها * أَمامَ فارسِ (عَدْنانٍ) وحامِيها

كِلاهُما في سبيلِ الحَقِّ عَزْمَتُه * لا تَنْثَنِي أو يكونَ الحَقُّ ثانِيها

فاذْكُرْهُما وتَرَحَّمْ كُلَّما ذَكَرُوا * أَعاظِمًا أُلِّهُوا في الكَوْنِ تأْلِيها

(عمر وجبلة بن الأيهم)

كَمْ خِفْتَ في اللهِ مَضْعُوفًا دَعاكَ به (٤) * وكَمْ أَخَفْتَ قَوِيًّا يَنْثَنِي تِيها

وفي حَدِيثِ فَتَى غَسّانَ مَوْعِظَةٌ (٥) * لكُلِّ ذي نَعْرَةٍ يأْبَى تَناسِيها

---

(١) صاحبهم ، أى الذى نصبوه للخلافة منهم . (٢) آخى أواخيها ، أى مكن لها ووثق صلاتها وقواها . والأواخى : العرا ، الواحدة آخية . (٣) يشير بهذه الأبيات الى امتناع على عن البيعة لأبى بكر يوم السقيفة ، وتهديد عمر إياه بتحريق بيته اذا استمر على امتناعه وكان فيه زوجة على فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم . (٤) المضعوف ، أى الضعيف ؛ والقياس مضعف ، كقولهم : أسعده الله فهو مسعود ؛ والقياس مسعد (بفتح العين) . وبه ، أى بالله . وتيها : كبرا . (٥) فتى غسان ، هو جبلة بن الأيهم أحد أبناء الغساسنة ملوك الشام ، كان قد اعتنق الإسلام ، وبينا هو يوما يطوف إذ وطئ أعرابى ثوبه ، فلطمه جبلة لطمة هشمت أنفه ، فشكاه الأعرابى الى عمر ، فأمر أن يقتص منه ، وأبى جبلة ذلك ، وهرب ، والتجأ الى القسطنطينية ، وتنصر . والنعرة (بتحريك العين) — وسكنت هنا للضرورة — : الخيلاء والكبر .

فـا القَـوِىُّ قَوِيًّا رَغْـمَ عِزَّتِه * عندَ الخُصومَةِ (والفارُوقُ) قاضِيها

وما الضّعيفُ ضعيفًا بعـدَ حُجَّتِه * وإنْ تخاصَمَ وَالِيها وَراعِيها

(عمر وأبو سفيـان)

وما أَقَلْتَ (أبا سُفْيانَ) حِينَ طَوَى * عَنـكَ الهَـدِيَّةَ مُعْـتَزًّا بمُهْدِيهـا (١)

لَمْ يُغْنِ عنه وقد حاسَبْتَه حَسَبٌ * ولا (مُعاوِيَةٌ) بالشـامِ يَجْبِيهـا

قَيَّدْتَ منـه جَلِيلًا شابَ مَفْرِقُه * فى عِزَّةٍ لَيسَ مِنْ عِزٍّ يُدانِيهـا (٢)

قد نَوَّهُوا بآسمِـــه فى جاهِلِيَّتِـــه * وزادَه سَـيِّدُ الكَوْنَيْنِ تَنْوِيهـا (٣)

فى فَتْـحِ مَكَّةَ كانت دارُه حَرَمًا * قد أَمَّنَ اللهُ بعـدَ البَيْتِ غاشِيها (٤)

---

(١) وما أقلت أباسفيان ، أى ماتركته ولا تغاضيت عنه . وبمهديها ، أى معاوية . ويشير الشاعر بهذه الأبيات الى ما يروى من أن معاوية — وهو على الشام — بعث مرة الى عمر بن الخطاب بمـال وأدهم وكتب الى أبيه أبى سفيان أن يدفع ذلك الى عمر ، فخرج الرسول حتى قدم على أبى سفيان بالمـال والأدهم ؛ فذهب أبوسفيان بالأدهم والكتاب الى عمر ، واحتبس المـال لنفسه ؛ فلما قرأ عمر الكتاب قال : فأين المـال يا أبا سفيان؟ قال : كان علينا دين ومعونة ، ولنا فى بيت المـال حق ، فاذا أخرجت لنا شيئا قاضيتنا به ؛ فقال عمر : اطرحوه فى الأدهم (أى القيد) حتى يأتى بالمـال ، فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمـال ، فأمر عمر باطلاقه من الأدهم ، فلما قدم الرسول على معاوية قال : أرأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم ، قال : نعم ، وطرح فيه أباك ؛ قال : ولم؟ قال : جاءه بالأدهم وحبس المـال ؛ قال : اى والله ، والخطاب لو كان لطرحه فيه .

(٢) يريد بقوله : ”جليلا“ وما بعده من الأوصاف : أبا سفيان . والمفرق : وسط الرأس .

(٣) نوه به . رفع ذكره ومدحه وعظمه . (٤) يشير بهذا البيت والذى قبله الى ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم أباسفيان يوم فتح مكة من جعل بيته أمنا لمن دخله واعتصم به من المشركين . وقوله : «بعد البيت» ، أى بعد الكعبة .

وكلُّ ذلك لم يَشفعْ لدَى (عُمَرٍ) * فى هَفْوَةٍ (لأبى سُفْيانَ) يأتيها

(١)
تاللهِ لو فعَلَ (الخطّابُ) فَعلَتَه * لمَا تَرَخّصَ فيها أو يُجازِيها

(٢)
فلا الحَسابةُ فى حَقٍّ يُجامِلُها * ولا القَرابةُ فى بُطْلٍ يُحابِيها

(٣)
وتِلْكَ قُوَّةُ نَفْسٍ لو أرادَ بها * شُمَّ الجِبالِ لمَا قَرّتْ رَواسِيها

(عمر وخالد بن الوليد) (٤)

(٥)
سَلْ قاهِرَ الفُرْسِ والرُّومانِ هل شَفَعَتْ * له الفُتوحُ وهل أغْنَى تَوالِيها

(٦)
غَزَى فأبْلَى وخَيْلُ اللهِ قد عُقِدتْ * باليُمْنِ والنَّصْرِ والبُشْرَى نَواصِيها

---

(١) ترخص فى الأمر : تساهل . يقول : لو فعل الخطاب ، وهو أبو عمر ، مثل هذا ، ما تساهل فى عقابه حتى يجازيه . (٢) الحسابة : الحسب . والبطل : الباطل . (٣) الشم : المرتفعة . والرواسى : الثابتة . (٤) بينما كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين فى فتح الشام ، إذ جاء البريد من المدينة ينعى أبا بكر ، ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ، ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد ، وإسناد إمارة الجيش العامة الى أبى عبيدة بن الجراح ، فكتم أبو عبيدة الأمر عن خالد ريثما تم النصر للسلمين ، وكان وصول البريد على أصح الروايات والمسلمون على حصار دمشق . ويقال : إن سبب عزل خالد أمران : أولهما ما كان فى نفس عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد منذ قتل خالد مالك بن نويرة ، وتزوجه امرأته فى حرب الردة ؛ وثانيهما إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد وحبهم له واستماتتهم بين يديه فى جميع حروبه فى العراق والشام ، وذلك ليمن طالعه فى الحروب وشجاعته . وقد علم عمر بذلك ، فخشى من افتتان الناس به ، لهذا بادر بعزله قبل أن يصل خبر توليه الخلافة الى المسلمين ؛ وخالد أمير على جيش عظيم منهم . ولم يكتم عمر عن خالد ما فى نفسه من جهته ، بل أظهره له ، فقال له بعد عزله : «وما عزلتك لريبة فيك ، ولكن افتتن الناس بك ، فخفت أن تفتتن بالناس» . وبقى خالد الى آخر حياته مطيعا لعمر ، وقبل موته أوصى عمر بأولاده ؛ وقد أشار الشاعر إلى ذلك . (٥) قاهر الفرس والرومان : خالد بن الوليد .

(٦) النواصى : جمع ناصية ، وهى مقدم الرأس . والمسموع فى مثل هذه العبارة إدخال الباء على «النواصى» لا على «اليمن» كما هنا ؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : «الخيل معقود بنواصيها الخير» فدخولها على اليمن على سبيل القلب ، والقلب فى اللغة سماعى .

(١)
يرمى الأعادى بآراءٍ مسـدَّدة * وبالفوارس قد سالت مذاكيها
(٢)
ما واقـع الروم إلا فرّ قارحها * ولا رمى الفرس إلا طاش راميها
(٣)
ولم يجـز بلدة إلا سمعت بها * الله أكبر تدوى فى نواحيها
(٤)
عشرون موقعـة مرّت محجَّلة * من بعد عشر بنان الفتح تحصيها
(٥)
و (خالد) فى سبيل الله موقـدها * و (خالد) فى سبيل الله صاليها
(٦)
أتاه أمر (أبى حفص) فقبَّـله * كما يقبّـل آى الله تاليها

واستقبل العزل فى إبّان سـطوته * ومجده مسـتريح النفس هاديها
(٧)
فاعجب لسـيد مخزوم وفارسها * يوم النزال اذا نادى مناديها
(٨)
يقـوده حبشىّ فى عمـامتـه * ولا تحـرك مخـزوم عواليها
(٩)
ألقى القيـاد إلى الجـراح ممتثـلا * وعزة النفس لم تجرح حواشيها

وانضمّ للجند يمشى تحت رايتـه * وبالحياة إذا مالت يفـدّيها

---

(١) المذاكى : الخيل التى تم سنها وكملت قوتها . وانسـيال المذاكى : كناية عن انتشارها وكثرتها تشـبيها بانسيال الماء . (٢) قارحها ، أى القوى المكتمل منهم . (٣) المسموع تدوّى (بتشديد الواو) ، أى يرتفع الصوت بها . (٤) محجلة ، أى واضحة مشرقة بالانتصار فيها . ومعنى البيت أن خالدا ظفر فى ثلاثين موقعة تسـجلها له يد الفتح . (٥) صاليها : أى يقـاسى حرها وشدتها . (٦) أمر أبى حفص ، أى أمر عمر بعزله . (٧) مخزوم : قبيلة خالد.
(٨) يريد «بالحبشى» بلال بن رباح ، وهو الذى نفذ أمر عمر فى خالد بأن يجـره بعمامته حين استحيا أبو عبيدة من تنفيذه ، فهد بلال عمامة خالد ووضعها فى رقبته ، ثم رجعها الى رأسه ثانية ، وقال : نطيع أمراءنا ونكرم سادتنا . والعوالى : الرماح . وتحريكها : كناية عن الثورة على عمر والانتصاف لخالد .
(٩) الضمير فى "ألقى" : يعود الى فارس مخزوم خالد بن الوليد . والجراح ، هو أبو عبيدة بن الجراح .

وما عَرَتْه شُكوكٌ فى خليفته * ولا ارتضى إِمْرَةَ الجَرّاحِ تَمْوِيها (١)

(لخالدٍ) كان يَدْرِى أنّ صاحِبَه * قد وجّهَ النَّفْسَ نحوَ الله تَوْجيها (٢)

فما يُعالِجُ مِنْ قَوْلٍ ولا عَمَلٍ * إلّا أرادَ به للنّاسِ تَرْفيها (٣)

لذاكَ أوْصَى بأولادٍ له (عُمَرًا) * لمّا دَعاهُ الى الفِرْدَوْسِ داعِيها

وما نَهَى (عُمَرٌ) فى يومِ مَصْرَعِه * نِساءَ مَخْزومَ أنْ تَبْكى بَواكِيها (٤)

وقيل: خالَفْتَ يا (فاروقُ) صاحِبَنا * فيه وقد كان أعْطَى القَوْسَ بارِيها (٥)

فقال: خِفْتُ ٱفتِتانَ المُسْلِمِين به * وفِتْنَةُ النَّفْسِ أعْيَتْ مَنْ يُداوِيها

هَبُوه أَخْطَأَ فى تأويلِ مَقْصِدِه * وأنّها سَقْطَةٌ فى عَيْنِ ناعِيها (٦)

فلَنْ تَعِيبَ حَصِيفَ الرأىِ زَلّتُه * حتّى يَعِيبَ سُيوفَ الهِندِ نابِيها (٧)

تاللهِ لَمْ يَتَّبِعْ فى (ابنِ الوَليدِ) هَوًى * ولا شَفَى غُلّةً فى الصَّدْرِ يَطْوِيها

لٰكِنّه قد رأَى رَأْيًا فأتْبَعَه * عَزِيمَةً منه لم تُثْلَمْ مَواضِيها (٨)

---

(١) التمويه: إظهار ما يخالف الباطن. (٢) صاحبه، أى عمر بن الخطاب. (٣) الترفيه: الرغد والنعيم. (٤) يشير الى ما يروى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بنى المغيرة اجتمعن فى دار يبكين على خالد بن الوليد، فقال: وما عليهن أن يبكين أبا سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة. (٥) صاحبنا، يريد أبا بكر، «وفيه»، أى فى خالد. وأعطى القوس باريها، أى استعان فى الحرب بمن له معرفة وحذق، وهو مثل يضرب فى تفويض الأمر الى من يحسنه ويجيده.

(٦) هبوه. أى هبوا عمر، وهو خطاب من الشاعر الى الناس. وفى عين ناعيها، أى فى عين من يعدّد سقطات عمر وزلاته. (٧) حصيف الرأى: جيده ومحكمه. و«نابيها»، أى ما ينبو من سيوف الهند ويكل ويرتد. يقول: من عرف بالحكمة فى الرأى لا تعيبه زلة، كما لا يحط من قدر سيوف الهند أن تنبو مرة. (٨) المواضى: السيوف الماضية. و«لم تثلم»، أى لم تكسر أشفارها.

لَمْ يَرْعَ فى طاعَةِ المولَى خُؤُولَتَـه (١) * ولا رَعَى غيرَها فيما يُنافِيها

وما أصابَ ٱبْنَهُ والسَّوْطُ يأخُذُه (٢) * لَدَيْه مِنْ رَأْفَةٍ فى الحَدِّ يُبْدِيها

إنّ الذى بَرَأَ (الفارُوقَ) نَزَّهَه (٣) * عن النَّقائِصِ والأَغْراضِ تَنْزِيها

فَذَاكَ خُلْقٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ طِينَتُه * اللهُ أَوْدَعَ فيها ما يُنَقِّيها

لا الكِبْرُ يَسْكُنُها، لا الظُّلْمُ يَصْحَبُها، * لا الحِقْدُ يَعْرِفُها، لا الحِرْصُ يُغْوِيها

(عمر وعمرو بن العاص) (٤)

شاطَرْتَ داهِيَةَ السُّوَّاسِ ثَرْوَتَه (٥) * ولَمْ تَخَفْه بِمِصْرٍ وهْوَ والِيها

وأنتَ تَعْرِفُ (عَمْرًا) فى حَواضِرِها * ولستَ تَجْهَلُ (عَمْرًا) فى بَوادِيها

لَمْ تُنْبِتِ الأرضُ كابنِ العاصِ داهِيَةً * يَرْمِى الخُطوبَ بِرَأْىٍ ليسَ يُخْطِيها

---

(١) خؤولته ، أى خؤولة قبيلة خالد لعمر : فأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وفيما ينافيها ، أى فى معصية المولى . (٢) يقول : إن ابنه لم ينل منه رأفة وهو يحدّ فى شرب الخمر ، والسياط تأخذ من جسمه . ويشير بذلك الى حدّه ولده عبد الرحمن فى الخمر وقد مرض بعد ذلك ومات . (٣) برأ الفاروق : خلقه .

(٤) كان شأن عمر رضى الله عنه مع عماله أن يصادرهم فى أنصاف أموالهم ؛ لأنه كان يرى أن ما يجمعونه من المال إنما هو حق للمسلمين ، فينبغى أن يؤخذ منهم ويردّ لبيت المال ، فعل هذا عمر مع من رأى لديهم ثروة لم يعلم مصادرها . وقد كتب الى عمرو بن العاص : إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر . فكتب اليه عمرو : إن ارضنا أرض مزدرع ومتجر ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج اليه لنفقتنا . فكتب اليه : إنى قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلىّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق ، وقد سؤت بك ظنا ؛ وقد وجهت اليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك ، فأطلعه عليه وأخرج اليه ما يطالبك به ، وأعفه من الغلظة عليك . فلم يسع عمرو بن العاص على دهائه وعلو مكانته وبعده عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به ، ومقاسمة ابن مسلمة ماله . وإلى هذه القصة يشير الشاعر . (٥) داهية السواس : عمرو بن العاص .

فَلَمْ يُرِغْ حِيلَةً فيما أَمَرْتَ به * وقامَ (عَمْرٌو) الى الأَجْمالِ يُزْجِيها (١)

ولَمْ تُقِلْ عامِلًا منها وقد كَثُرَتْ * أَمْوالُه وفَشَا فى الأَرْضِ فاشِيها (٢)

(عمر وولده عبد الله) (٣)

وما وَقَى ابنَكَ (عبدَ اللهِ) أَيْنُقَه * لمّا اطَّلَعْتَ عليها فى مَراعِيها (٤)

رأَيْتَها فى حِماهُ وهى سارِحةٌ * مِثْلَ القُصورِ قد اهتَزَّتْ أَعالِيها

فقلتَ: ما كان (عبدُ الله) يُشْبِعُها * لو لم يَكُنْ وَلَدِى أو كان يُرْوِيها

قد استعانَ بجاهِى فى تِجارَتِه * وباتَ باسمِ (أَبِى حَفْصٍ) يُنَمِّيها (٥)

رُدُّوا النِّياقَ لِبَيْتِ المالِ إنّ له * حَقَّ الزِّيادةِ فيها قَبْلَ شارِيها

وهذه خُطَّةٌ للهِ واضِعُها * رَدَّتْ حُقوقًا فأَغْنَتْ مُسْتَمِيحِيها (٦)

ما الاشتراكيّةُ المَنْشُودُ جانِبُها * بينَ الوَرَى غيرُ مَبْنًى مِن مَبانِيها (٧)

فإنْ نكنْ نحنُ أَهْلِيها ومَنْبِتَها * فإنّهمْ عَرَفُوها قَبْلَ أَهْلِيها (٨)

---

(١) أراغ يريغ : طلب . ويزجيها : يسوقها . (٢) ولم تقل عاملا منها ، أى لم تعف أحدا من عمالك من مشاطرة ماله . وفشا ، أى انتشر وكثر .

(٣) يشير الشاعر بهذه الأبيات الى ما يروى من أن عمر رأى يوما بنوق قد بدت عليها آثار النعمة فسأل عن صاحبها ، فقيل له : عبد الله ، فساقها الى بيت المال ظنا منه أن ثروة ابنه لا تفى لها ، وأنه لولا جاهه بين الناس ما قدر على إطعامها . (٤) الأينق : النياق .

(٥) ينميها : يزيدها . (٦) أغنت مستميحيها ، أى أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها والتماسها بذلة السؤال . (٧) المنشود : المطلوب . يريد أن المذهب الاشتراكى المعروف ما هو إلا فرع من هذه الخطة التى سار عليها عمر . (٨) فان نكن نحن ، أى العرب ، أهل هذه الخطة وفينا نبتت ، فان الغربيين قد عرفوها وعملوا بها قبلنا ونحن أحق بها وأهلها .

(عمـــر ونصر بن حجـاج)[1]

جَنَى الجمـالُ على (نَصْرٍ) فغَرَّبَه * عَنِ المَدِينـةِ تَبْكِيـه ويَبْكِيهـا

وكَمْ رَمَتْ قَسِماتُ الحُسْنِ صاحِبَها * وأَتْعَبَتْ قَصَباتُ السَّبْقِ حاوِيها[2]

وزَهْرَةُ الرَّوْضِ لولا حُسْنُ رَوْنَقِها * لمَّـا اسْتَطالَتْ عليها كَفُّ جانِيها

كانت له لِمَّـةٌ فَيْنـانَةٌ عَجَبٌ * على جَبِينٍ خَلِيقٍ أَنْ يُحَلِّيهـا[3]

وكانَ أَنَّى مَشَى مالَتْ عَقائِلُها * شَـوْقًا إليه وكادَ الحُسْنُ يَسْبِيها[4]

هَتَفْنَ تحتَ اللَّيالِي باسْمِه شَـغَفًا * ولِلْحِسـانِ تَمَنٍّ فى لَيـالِيهـا

جَـــزَزْتَ لِمَّتَـــه لمَّـا أُتِيتَ به * ففاقَ عاطِلُها فى الحُسْنِ حالِيهـا[5]

---

(١) يشير الشاعر بهذه الأبيات الى ماروى من أن عمر — رضى الله عنه — مر ليلة فى المدينة فسمع امرأة تقـــول :

هل من سبيل الى خمر فأشربهـا * أو من سبيل الى نصر بن حجـاج

فقالت لهـا امرأة معها : من نصر؟ قالت : رجل أود لو كان معى طول ليلة ليس معنا أحد . فدعا بها عمر ، فخفقها بالدرة ، ودعا بنصر فحلق لمتـه ، فعاد أحسن ممـا كان ؛ فقـال : لاتساكنى فى بلدة يتناك النساء بها ، وأخرجه الى البصرة . وحاول نصر أن يعود إلى المدينـة ، فأبى ذلك عليـه عمر وقال : أما ولى سلطان فلا . وكان نصر من أجمل الناس .

(٢) قسمات الحسن : مجاليه . وقصـبة السبق : ما ينصب فى ميدان السباق ، فمن سـبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق .

(٣) اللمة (بالكسر) : الشعر المجاور شحمة الأذن ، والجمع لمم . وفينانة : طويلة حسـنة .

(٤) عقائلها ، أى عقائل المدينـة . وعقائل النسـاء : كرائمهن ، الواحدة عقيـلة . ويسبيها : يأسرها .

(٥) عاطل اللمة : المجرد منها . وحاليها : المتزين بها .

فَصِحْتَ فيه تَحَوَّلْ عن مَدِينَتِهِمْ * فإنّها فِتْنَةٌ أَخْشَى تَمَادِيَها

وفِتْنَةُ الحُسْنِ إنْ هَبَّتْ نَوافِحُها (١) * كفِتْنَةِ الحَرْبِ إنْ هَبَّتْ سَوافِيها

(عمر ورسول كسرى) (٢)

وَراعَ صاحِبَ (كِسْرَى) أنْ رَأَى عُمَرًا * بَيْنَ الرَّعِيَّةِ عُطْلًا وهو راعِيها (٣)

وعَهْدُه بِمُلُوكِ الفُرْسِ أنّ لها * سُورًا مِنَ الجُنْدِ والأَحْراسِ يَحْمِيها

رآه مُسْتَغْرِقًا في نَوْمِه فَرأَى * فيه الجَلالَةَ في أَسْمَى مَعانِيها

فوقَ الثَّرَى تحتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلًا * بِبُرْدَةٍ كادَ طُولُ العَهْدِ يُبْلِيها (٤)

فهانَ في عَيْنِه ما كان يُكْبِرُه * مِنَ الأكاسِرِ والدُّنيا بأَيْدِيها

وقال قَوْلَةَ حَقٍّ أَصْبَحَتْ مَثَلًا * وأَصْبَحَ الجِيلُ بَعْدَ الجِيلِ يَرْوِيها:

أَمِنْتَ لمّا أَقَمْتَ العَدْلَ بَيْنَهُمُ * فنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ العَيْنِ هانِيها

---

(١) نوافحها: أي روائحها الطيبة، جمع نافحة. وسوافي الحرب، أي عواصفها. والأصل في السوافي: الريح تحمل الغبار. يقول: إن الحسن يفعل في النفوس بلطفه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدتها.

ويرويه بعض الأدباء نقلا عن حافظ «لوافحها» باللام مكان «نوافحها» بالنون، واللوافح: الرياح الحارة المحرقة، جمع لافحة؛ والمعنى عليه يستقيم أيضا كما هو ظاهر.

(٢) يشير بهذه الأبيات إلى ما يروى من أنه لما وصل رسول كسرى إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة جعل يستهدى الى قصره، فعلم أنه لا يسكن قصرا، وانتهى به الأمر الى أن وصل إلى بيت كبيوت أفقر العرب وهناك كان الخليفة العظيم راقدا على الرمل أمام البيت، جاعلا منه وسادة أسند إليها رأسه، ولم يكن حوله من مظاهر هذه الحياة ما يميزه من أصغر فرد في رعيته؛ فلما رأى الرسول ذلك دهش، ووقف أمامه خاشعا وقال عبارته المعروفة: عدلت يا عمر فأمنت فنمت. (٣) عطلا (بالضم)، أي متجردا من مظاهر الأبهة. (٤) الدوح: جمع دوحة، وهي الشجرة العظيمة المتسعة الظل. واشتمل الرجل بثوبه: تلفف به وأداره على جسده.

(عُمَــــر والشـــورى) (١)

يارافِعًـا رايةَ الشُّـــورَى وحارِسَها * جَزاكَ رَبُّكَ خيرًا عن مُحِبِّيها

لم يُلْهِكَ الـنَّزْعُ عن تأييـدِ دَوْلَتِها (٢) * وللمَنِيَّـــــــةِ آلامٌ تُعانيهـا

لم أنْسَ أمْرَكَ للمِقْـدادِ يَحْمِلُهُ * الى الجَماعةِ إنْـذارا وتَنْبِيهـا

إنْ ظَلَّ بعدَ ثلاثٍ رأْيُهـا شُعَبًا (٣) * فجَرِّدِ السَّيْفَ واضْرِبْ فى هَوادِيهـا

فاعْجَبْ لقـوةِ نَفْسٍ ليس يَصْرِفُهـا * طَعْـمُ المَنِيّـةِ مُرًّا عن مَرامِيهـا

دَرَى عَميـدُ بَنِي الشُّورَى بمَوْضِعِها * فعـاشَ ما عاشَ يَبْنِيهـا ويُعْلِيهـا

وما آسْـتَبَدَّ برأيٍ فى حُكومَتِـــه * إنّ الحُكومَةَ تُغْـرِى مُسْتَبِدِّيها

رأْىُ الجَماعةِ لا تَشْقَى البِـلادُ به * رَغْمَ الخِلافِ ورأْىُ الفَرْدِ يُشْقِيهـا

---

(١) كان عمر ممن يأخذون بالشورى فى أمورهم، وكان يقول: لا خير فى أمر أبرم من غير شورى. وهو أول من قرر قاعدة الشـــورى فى انتخاب الخليفة، فقد سئل عند ما طعن عمن يوصى به بعـــده، فقال للمقداد بن الأسود : اذا وضعتمونى فى حفرتى فأدخل عليا وعثمان والزبير وسـعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قدم، وأحضر عبد الله بن عمر، ولا شىء له من الأمر، وقم على رءوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف؛ وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما، فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم، فحكموا عبد الله بن عمر، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبـد الله فكونوا مع الذين فيهم عبـد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس. والى هذه القصة يشير الشاعر.

(٢) دولتها، أى دولة الشورى.

(٣) بعد ثلاث، أى بعد ثلاث ليال. والهوادى : الأعناق.

(مثالٌ مِن زُهدِه)

يا مَنْ صَدَفْتَ عن الدُّنيا وزِينَتِها (١) * فلَمْ يَغُرَّكَ مِنْ دُنْياكَ مُغْرِيها

ماذا رأيتَ بباب الشامِ حين رَأَوْا * أنْ يُلْبِسُوكَ مِن الأثوابِ زاهِيها

ويُرْكِبُوكَ على البِرْذَوْنِ تَقْدُمُه (٢) * خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحْلُو مَرائيها

مَشَى فَهَمْلَجَ مُخْتالًا براكِبِه (٣) * وفى البَراذِينِ ما تُزْهَى بِعالِيها

فَصِحْتَ : يا قومُ، كادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُنى * وداخَلَتْنِىَ حالٌ لستُ أَدْرِيها

وكادَ يَصْبُو الى دُنْياكُمُ (عُمَرٌ) (٤) * ويَرْتَضِى بَيْعَ باقِيهِ بفانِيها

رُدُّوا رِكابِى فلا أَبْغِى به بَدَلًا * رُدُّوا ثِيابِى فحَسْبِى اليومَ بالِيها

(مثالٌ مِن رَحْمَتِه) (٥)

ومَنْ رآه أمامَ القِدْرِ مُنْبَطِحًا (٦) * والنارُ تأخُذُ منه وهْوَ يُذْكِيها

وقد تَخَلَّلَ فى أَثْناءِ لِحْيَتِه (٧) * منها الدُّخانُ وفُوهُ غابَ فى فِيها

---

(١) صدف : أعرض وصدّ . (٢) البرذون : ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحمر . ويشير بهذا البيت وما بعده الى أن عمر لما شخص الى بيت المقدس رأى فرسه يتوجى ، فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه ، فهزه ، فنزل فضرب وجهه بردائه ثم قال : قبح الله من علمك ؛ هذا من الخيلاء ، ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياما فركبه ؛ ثم سار حتى انتهى الى بيت المقدس ، ولم يركب قبله ولا بعده برذونا .

(٣) المملجة : حسن السير فى تبختر . وأزهى (بالبناء للمجهول) : اختال . وعاليها : راكبها .

(٤) يصبو : يميل . (٥) يشير بالأبيات الآتية الى ما روى من أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يتعسس بالليل ، فرأى امرأة توقد النار على حصى وماء ، تشغل بذلك أولادها عن طلب الطعام حتى يناموا ، فحمل اليها عمر من بيت المال شيئا من الدقيق ، وجلس هو يشعل النار و ينضج الطعام ؛ ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا . (٦) انبطح : نام على وجهه ممتدا على الأرض . وأذكى النار : أوقدها . (٧) فوه غاب فى فيها ، أى فمه غاب فى فم النار وهو ينفخها .

رأى هُنـاكَ أميرَ المُؤمنينَ عَلَى * حالٍ تَرُوعُ ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ رائيهـا

يَسْتَقْبِلُ النـارَ خَوْفَ النـارِ فى غَدِهِ * والعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سالَتْ مَآقِيهـا (١)

(مثالٌ مِنْ تَقَشُّفه ووَرَعه) (٢)

إنْ جاعَ فى شِـدَّةٍ قَوْمٌ شَرِكْتَهُـمُ * فى الجُـوعِ أو تَنْجَلِى عنهمْ غَواشِـيها (٣)

جُوعُ الخَليفةِ ـ والدُّنيا بقَبْضَتِه ـ * فى الزُّهْـدِ مَنْزِلَةٌ سُبْحَانَ مُولِيهـا

فَمَنْ يُبارِى (أَبا حَفْصٍ) وسِـيرَتَه * أَوْ مَنْ يُحـاوِلُ (للفارُوقِ) تَشْبِيها

يومَ اشْتَهَتْ زَوْجُه الحَلْوَى فقالَ لها : * مِنْ أَيْنَ لى ثَمَنُ الحَلْوَى فأَشْرِيها

لا تَمْتَطِى شَـهَواتِ النَّفْسِ جامِحَـةً * فَكِسْرَةُ الخُبْزِ عَنْ حَلْواكِ تَجْزِيهـا (٤)

وهَـلْ يَفِى بَيْتُ مالِ المُسْلِمينَ بمـا * تُوحِى اليـكِ إذا طاوَعْتِ مُوحِيها

قالت : لكَ اللهُ إنِّى لَسْتُ أَرْزَؤُه * مالًا لحـاجَةِ نَفْسٍ كنتُ أَبْغِيهـا (٥)

لكِنْ أُجَنِّبُ شَيْئًا مِنْ وَظِيفَتِنا * فى كُلِّ يَوْمٍ على حالٍ أُسَـوِّيها (٦)

---

(١) المآقى : جمع مأق ومؤق ، وهو طرف العين مما يلى الأنف ، وهو مجرى الدمع .

(٢) يشير الشاعر بهذه الأبيات الآتية الى حادثتين من تقشف عمر : الأولى ، ما يحكى عنه من أنه كان اذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته ، و يأخذ طعامه و يشترك مع القوم الى أن تنتهى المجاعة ، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون . والثانية ، ما حكى عنه من أن امرأته اشتهت الحلواء ، فادّخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفى لصنعها ، فلما نمى هذا الى عمر ردّ ما ادّخرت الى بيت المال ونقص من نفقتها بقدر ما ادّخرت . (٣) «أو تنجلى» الخ ، أى حتى تنكشف عنهم غواشيها ، أى ما يغشاهم ويشملهم من الشدّة والقحط ، الواحدة غاشية . (٤) تجزيها ، أى تغنى عنها .

(٥) لست أرزؤه مالا ، أى لست أصيب من بيت المال شيئا .

(٦) وظيفتنا ، أى ما يجرى علينا من بيت المال .

حتّى إذا ما مَلَكْنا ما يُكافِئُها * شَرَيْتُها ثُمّ إنّي لا أُثنّيها (١)

قال: اذهبي واعلمي إنْ كنتِ جاهلةً * أنّ القناعةَ تُغني نفسَ كاسِيها (٢)

وأقبلَتْ بعد خمسٍ وهي حاملةٌ * دُرَيْهِماتٍ لِتقضي من تَشَهّيها

فقال: نُبِّهْتِ منّي غافلًا فدعي * هذي الدراهمَ إذ لا حقَّ لي فيها

ويلي على عُمَرٍ يرضى بمُوفِيَةٍ * على الكَفافِ وينهى مُستزيدِيها (٣)

ما زادَ عن قُوتِنا فالمسلمون به * أَوْلى فقُومي لبيتِ المالِ رُدّيها

كذاكَ أخلاقُه كانتْ وما عُهِدَتْ * بعد النُّبوّةِ أخلاقٌ تُحاكِيها

(مثال من هيبته)

في الجاهليّةِ والإسلامِ هَيْبَتُه * تَثْني الخُطوبَ فلا تَعْدُو عَوادِيها

في طَيِّ شِدّتِه أسرارُ مَرْحَمَةٍ * للعالَمينَ ولكنْ ليس يُفْشِيها

وبينَ جَنْبَيْه في أَوْفَى صَرامَتِه * فُؤادُ والدةٍ تَرْعَى ذَرارِيها (٤)

أغنَتْ عن الصّارِمِ المَصْقولِ دِرّتُه * فكَمْ أخافَتْ غَوِيَّ النّفسِ عاتِيها (٥)

كانت له كعَصَا (موسى) لِصاحِبِها * لا يَنْزِلُ البُطْلُ مُجتازًا بِوادِيها (٦)

---

(١) لا أثنيها، أى لا أعود الى طلب ذلك مرة ثانية . (٢) كاسيها، أى المتجمل بها .

(٣) بموفية على الكفاف، أى بما يزيد على الحاجة من الرزق . (٤) أوفى صرامته، أى فى أقصى شدّته . (٥) الصارم المصقول: السيف المجلو . والدِّرّة: العصا يضرب بها، ودرة عمر معروفة . والغوى: الضال . (٦) البطل (بالضم): الباطل . ويريد بالشطر الثانى أنه لا يضرب بها إلا فى حق .

أَخافَ حتّى الدَّرارِي في ملاعِبِها * ورَاعَ حتّى الغَوانِي في مَلَاهِيها (١)

أَرَيْتَ تِلْكَ الّتي لِلّهِ قد نَذَرتْ * أُنْشُودَةً لِرَسُولِ اللهِ تُهْدِيها (٢)

قالتْ : نَذَرْتُ لئن عادَ النَّبيُّ لَنا * مِنْ غَزْوَةٍ لَعَلَى دُفّي أُغَنّيها

ويَمَّمتْ حَضْرَةَ الهادِي وقد مَلَأَتْ * أَنْوارُ طَلْعَتِه أَرْجاءَ نادِيها

وآستأذَنَتْ ومَشَتْ بالدُّفّ واندَفَعتْ * تُشْجِي بأَلْحانِها ما شاءَ مُشْجِيها (٣)

(والمصطفى) (وأبو بَكْرٍ) بجانِبِه * لا يُنْكِرانِ عليها مِنْ أَغانِيها

حتى اذا لاحَ مِنْ بُعْدٍ لها (عُمَرٌ) * خارَتْ قُواهَا وكادَ الخَوْفُ يُرْدِيها (٤)

وخَبّأَتْ دُفَّها في ثَوْبِها فَرَقًا * مِنْهُ ووَدَّتْ لوَ آنّ الأَرْضَ تَطْوِيها (٥)

قد كانَ حِلْمُ رَسُولِ اللهِ يُؤْنِسُها * فجاءَ بَطْشُ (أَبِي حَفْص) يُخَشِّيها (٦)

فقالَ مَهْبِطُ وَحْيِ اللهِ مُبْتَسِمًا * وفي ابتِسامَتِه مَعْنًى يُواسِيها

قد فَرَّ شَيْطانُها ، لَمّا رَأَى عُمَرًا * إِنّ الشّياطينَ تَخْشَى بأسَ مُخْزِيها

---

(١) الغواني : النساء غنين بحسنهن وجمالهن عن الزينة ، الواحدة غانية .

(٢) أريت ، أي أرأيت : ويشير الشاعر بهذا البيت وما بعده الى ما يروى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا ، فنذرت جارية من قريش لئن رده الله تعالى أن تضرب بالدف وتغنى بين يديه ؛ فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية لتفى بنذرها ، وضربت على الدف وكان ابو بكر إلى جانب الرسول لا ينكران عليها ذلك ، فلما طلع عليها عمر أسقط فى يدها واضطربت خروج عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال متبسما : «لقد فر شيطانها» حين رأى عمر .

(٣) تشجى : تطرب .

(٤) خارت قواها : ضعفت . وأرداه : أهلكه .

(٥) الفرق : الخوف .

(٦) يخشيها : يخوفها .

(مثالٌ مِنْ رُجوعِه الى الحقّ)[1]

وفتيــةٍ وَلِعُــوا بالرّاحِ فانتبَــذُوا * لهُــمْ مَكانًا وجَــدُّوا فى تَعاطِيهــا[2]

ظَهَرْتَ حائِطَهُمْ لَمّـا عَلِمْتَ بِهِــمْ * واللّيــلُ مُعْتَكِرُ الأرْجاءِ ساجِيهــا[3]

حتّى تَبَيَّنْتَهُــمْ والخَمْـرُ قـد أخَذَتْ * تَعْــلُو ذُؤابَةَ ساقِيهــا وحاسِيهــا[4]

سَفَّهْتَ آراءَهُــمْ فيهـا فـما لَبِثُوا * أنْ أوْسَعُوكَ على ما جِئْتَ تَسْفِيهــا[5]

ورُمْتَ تَفْقِيهَهُــمْ فى دِينِهِــمْ فإذا * بالشَّرْبِ قد بَرَعُوا (الفارُوقَ) تَفْقِيها[6]

قالوا : مَكانَكَ قــد جِئْنا بواحِدَةٍ * وجِئْتَنــا بِثَــلاثٍ لا تُبالِيهــا

فَأْتِ البُيُوتَ مِنَ الأبْوابِ (يا عُمَرٌ) * فقــد يُزَنُّ مِنَ الحِيطانِ آتِيهــا[7]

وٱسْتأْذِنِ النّاسَ أنْ تَغْشَى بُيُوتَهُــمُ * ولا تُــلِمَّ بِــدارٍ أو تُحَيِّيهــا[8]

---

(١) يشير بهذا البيت وما بعده إلى ما روى من أن عمر تسوّر الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يباغتهم ، فأنكروا عليه أمورا ثلاثة أتاها ، وهى دخوله عليهم من غير الباب ، وعدم استئذانه ، وتجسسه عليهم ، وكل هذه نهى عنها الله ، فانثنى عنهم بعد أن لزمته حجتهم . (٢) الراح : الخمر .

(٣) ظهر الحائط : علاه . واعتكر الليل : اختلط ظلامه . والليل الساجى : الساكن الراكد الظلمة .

(٤) يريد بالذؤابة أعلى الرأس . والذؤابة فى الأصل : الضفيرة من الشعر . وحاسيها : شاربها .

(٥) فيها ، أى فى الخمر . (٦) الشرب : الشاربون . وبرعوا : فاقوا .

(٧) نون « عمر » هنا لضرورة الوزن . وفى كتب النحو أن المنادى المبنى على الضم اذا اضطر الشاعر الى تنوينه فله فيه وجهان : الضم والنصب ؛ فن الأول :

* سلامُ الله يا مطرٌ عليها *

ومن الثانى :

* يا عديًا لقد وقتك الأواقى *

ويزن : يتهم . (٨) أى لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها .

ولا تجسّس فهذى الآىُ قد نزلتْ * بالنّهى عنه فلم تذكُرْ نواهيها
فعُدْتَ عنهم وقد أكبرتَ حُجّتَهُمْ * لمّا رأيتَ كتابَ الله يُمْليها
وما أَنِفْتَ وإنْ كانوا على حَرَجٍ (١) * مِنْ أنْ يَحُجّكَ بالآياتِ عاصِيها

(عُمَرُ وشَجَرَةُ الرِّضْوانِ) (٢)

وسَرْحَةٍ (٣) فى سَماءِ السَّرْحِ قد رَفَعَتْ * بَيْعَةُ المُصْطَفَى مِنْ رأسِها تِيها
أَزَلْتَها حِينَ غالَوْا (٤) فى الطّوافِ بها * وكانَ تَطْوافُهُمْ للدِّينِ تَشْوِيها

(الخاتمة)

هٰذى مَناقِبُه فى عَهْدِ دَوْلَتِه * للشّاهِدِينَ وللأَعقابِ أَحْكيها
فى كُلِّ واحِدةٍ منهنّ نابِلَةٌ (٥) * مِنَ الطبائِعِ تَغْذُو نَفْسَ واعِيها
لَعَلَّ فى أُمّةِ الإسْلامِ نابِتَةً (٦) * تَجْلُو لحاضِرِها مِرْآةَ ماضِيها
حتّى تَرَى بَعْضَ ما شادَتْ أوائِلُها * مِنَ الصُّروحِ وما عاناهُ بانِيها
وحَسْبُها أَنْ تَرَى ما كانَ مِنْ (عُمَرٍ) * حتّى يُنَبِّهَ منها عَيْنَ غافِيها (٧)

---

(١) الحرج: الإثم. وحجه يحجه: غلبه بالحجة. (٢) شجرة الرضوان: هى الشجرة التى بايع النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها يوم الحديبية، وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها ويطوفون بها، فخاف أن ينصرف تكريمهم لها إلى معنى من معانى الوثنية، فأمر بقطعها، فقطعت؛ وإلى هذا يشير الشاعر بالأبيات الآتية. (٣) السرحة: الشجرة الطويلة؛ أو هى من الشجر ما لا شوك فيه. يقول: إن هذه الشجرة قد تعالت تيها وافتخارا على مثيلاتها من أعالى الأشجار بهذه البيعة. (٤) غالوا: بالغوا وأكثروا. (٥) نابلة، أى سجية شريفة من سجايا النبل. (٦) النابتة: الناشئون. (٧) الغافى: النائم.

تحية محمد عسران عبد الكريم

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتكريمه فى فندق شبرد فى ٧ يوليه سنة ١٩١٩ م حين استقال من الحكومة أول مرة ، وهى على لسان تجار الغلال

لقــد عاشَرْتنــا فلَبِثْتَ فِينَــا * مِثــالاً للنَّزاهَــةِ والكَمالِ
بحِــلْمٍ كان محْمُودَ المَــزايَا * وعَــدْلٍ كان ممْــدُودَ الظِّلالِ
فإنْ كُنْتَ اعتزَلْتَ إِباءَ ضَــيْمٍ * فمِثْــلُكَ بالوَظائِفِ لا يُبَــالِى
فحَبَّــاتُ القُــلوبِ تَسُوقُ شُــكْراً * إليــكَ بقَــدْرِ حَبَّــاتِ الغِلالِ (١)

تحية أحمد شوقى بك

وكان حافظ قد أعدّها ليستقبله بها عند قدومه الى مصر من منفاه بالأندلس ، ولكنه عجل بنشرها قبل قدومه مخافة أن يلحقه القــدر المحتوم ، كما قال فى رسالته الى الأهرام

[نشرت فى ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩ م]

وردَ الكِنانةَ عبقــرِىُّ زَمانِــهِ * فتَنَظَّرِى يامِصْــرُ سِحْــرَ بَيَــانِهِ (٢)
وأتَى الحُسانُ فهنِّئوا مُلْكَ النُّهَى * بقِيَــامِ دَوْلَتِــهِ وعَوْدِ حُســانِهِ (٣)
النِّيــلُ قــد ألْقَى إليــه بسَمْعِــهِ * والمــاءُ أَمْسَــكَ فيــهِ عن جَرَيانِهِ
والزَّهْرُ مُصْــغٍ والخَمائِلُ خُشَّــعٌ * والطَّــيرُ مُسْــتَمِعٌ على أفْنَــانِهِ (٤)

---

(١) حبات القلوب : سويداواتها . (٢) تنظرى : انتظرى .
(٣) الحسان من الرجال (بضم الحاء) والحسن (بالتحريك) : كلاهما بمعنى واحد
(٤) الخمائل : المواضع تكثر فيها الأشجار الواحدة خميلة .

والقطر فى شوقٍ لأندلسيةٍ * شوقيةٍ تشفيه من أشجانه (١)

يصغى لأحمد إن شدا مترنماً * إصغاء أمة أحمد لأذانه (٢)

فاصدح وغنِّ النيل واهزز عطفه (٣) * يكفيه ما عاناه من أحزانه

واذكر لنا الحمراء كيف رأيتها (٤) * والقصر ماذا كان من بنيانه

ماذا تحطم من ذراه وما الذى (٥) * أبقت صروف الدهر من أركانه

واهاً عليه وأهله وبناته * أيام كان النجم من سكانه

إذ ملك أندلس عريض جاهه * وشبابه المبكي فى ريعانه (٦)

الفتح والعمران آية عهده * وكتائب الأقدار من أعوانه

لبست به الدنيا لباس حضارة * قد كان يخلعه على جيرانه (٧)

زالت بشاشته وزال وأقفرت * من أنسه الدنيا ومن إنسانه (٨)

وطوى الثرى سر الزوال فيا ترى * هل ضاق صدر الأرض عن كتمانه (٩)

---

(١) أندلسية شوقية ، أى قصيدة من شعر شوقى فى وصف الأندلس .

(٢) يريد «بأحمد» الثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٣) صدح : رفع صوته بالغناء . والعطف : الجانب . (٤) الحمراء ، هو ذلك البناء الذى لا يزال على طول عهده فى غرناطة أجمل ما يرى فى البلاد الاسبانية ، وكان قلعة تضم بين جدرانها القصر السلطانى ، وفى هذا القصر كان يعيش سلاطين بنى الأحمر . (٥) تحطم : تهدم . وذراه : أعاليه . وصروف الزمان : حوادثه وتغيراته .

(٦) ريعان كل شىء : أوله . (٧) جيرانه ، أى ممالك الغرب المجاورة للأندلس .

(٨) إنسانه ، أى أهله . (٩) سر الزوال ، أى السبب فى زوال ملك العرب عن الأندلس يستفسر الشاعر فى هذا البيت والذى بعده : هل ضاق صدر الأرض عن حفظ ذلك السر فباح به لشوقى لما وقف على أطلال الحمراء ؟

فتكلّمتْ تلكَ الطُّلُولُ وأفصَحتْ * لمّا وَقفتَ مُسائِلًا عن شانِه

ولَعلَّ نَكْبتَه هُناكَ تَفرُّقٌ * وتَعدُّدٌ قد كان فى تِبيانِه

عِبَرٌ رأيْناها على أيّامِنا * قد هَوَّنتْ ما نابَه فى آنِه

وحوادِثٌ فى الكَوْنِ إثرَ حَوادِثٍ * جاءَتْ مُشمِّرةً لِهَدِّ كِيانِه

سُبْحانَ جبّارِ السَّمٰواتِ العُلا * ومُقلِّبِ الأكْوانِ فى أكْوانِه

أهلًا بِشَمْسِ المَشرِقَيْنِ ومَرْحَبًا * بالأبلَجِ المَرْجُوِّ مِنْ إخْوانِه (١)

أشْكُو إليكَ مِنَ الزّمانِ وزُمْرَةٍ * جَرحَتْ فُؤادَ الشِّعْرِ فى أعْيانِه (٢)

كم خارِجٍ عن أُفْقِه حَصَبَ الوَرَى * بقَريضِه والعُجْبُ مِلْءُ جَنانِه (٣)

يَخْتالُ بين النّاسِ مُتَّئِدَ الخُطا * رِيحُ الغُرُورِ تَهُبُّ مِنْ أردانِه (٤)

كم صَكَّ مَسْمَعَنا بِجَنْدَلِ لَفْظِه * وأطالَ مِحْنَتَنا بِطُولِ لِسانِه (٥)

ما زالَ يُعلِنُ بَيْنَنا عن نَفسِه * حتّى اسْتَغاثَ الصُّمُّ مِنْ إعْلانِه

نَصَحَ الهُداةُ لهم فزادَ غُرُورُهُمْ * واشْتَدَّ ذاكَ السَّيْلُ فى طُغْيانِه

أوَلَمْ تَرَ الفُرْقانَ وهو مُفَصَّلٌ * لم يَلفِتِ البُوذِىَّ عن أوثانِه

---

(١) الأبلج : الطلق الوجه . (٢) أعيانه ، أى رجال الشعر المبرزين فيه . «ويريد بالزمرة» ضعاف الشعراء ، وكان منهم فى رأى حافظ عبد الحليم المصرى الشاعر ، وهو المقصود بقوله بعد : «كم خارج» الخ وكانا قد تلاحيا قبل مقدم شوقى ثم احتكما اليه حين قدم . (٣) أصل الحصب : الرمى بالحصا ثم استعمل فى كل رمى . (٤) متئد : متمهل . وأردانه ، أى أثوابه . والأردان : جمع ردن بضم الراء ، وهو أصل الكم . (٥) الجندل : الصخر .

قُلْ للّذى قد قامَ يَشْأَو أحْمَدًا * خَلِّ القَرِيضَ فلَسْتَ مِنْ فُرْسانِه (١)

الشِّعرُ فى أوزانِه لو قِسْتَه * لَطَلَبْتَه بالدُّرِّ فى مِيزانِه (٢)

هَذا امْرُؤٌ قد جاءَ قَبْلَ أوانِهِ * إنْ لم يكُن قد جاء بَعْدَ أوانِه (٣)

إنْ قال شِعْرًا أو تَسَنَّمَ مِنْبَرًا * فتَعَوَّذًا باللهِ مِنْ شَيْطانِه (٤)

تَخِذَ الخَيالَ له بُراقًا فاعْتَلَى * فوقَ السُّها يَسْتَنُّ فى طَيَرانِه (٥)

ما كان يأمَنُ عَثْرَةً لو لم يَكُنْ * رُوحُ الحَقِيقةِ مُمْسِكًا بعِنانِه (٦)

فأتَى بما لَمْ يأْتِه مُتَقَدِّمٌ * أو تَطْمَعُ الأذهانُ فى إتيانِه

هَلْ للخَيالِ وللحَقِيقةِ مَنْهَلٌ * لم يَبْغِه الرُّوّادُ فى دِيوانِه (٧)

إنّا لَنَلْهُو إذْ نَجِدُّ وإنّه * لَيَجِدُّ إذْ يَلْهُو بنَظْمِ جُمانِه (٨)

أقلامُه لو شاءَ شَكَّ قَصِيرُها * هامَ الثُّرَيّا والسُّها بسِنانِه (٩)

يُمْلِي عليها عَقْلُه وجَنانُه * ما ليسَ يُنْكِرُه هَوَى وِجْدانِه

---

(١) يشأو أحمدا ، أى يبلغ غاية شوقى . (٢) فى أوزانه ، أى فى الأوزان التى ينظم منها شوقى . و « بالدر » : متعلق بقوله : « قسته » . (٣) يريد أن شوقيا قد جاء فى غير زمانه ، وزمانه الجدير به إما أن يكون زمن السابقين من الفحول الأقدمين ، أو من سيجود بهم الزمن بعد اكتمال الفن . (٤) تسنم الشىء : علاه . (٥) البراق ، هى الدابة التى يروى أن النبى صلى الله عليه وسلم ركبها ليلة المعراج . والسها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى . ويستن : يسرع .

(٦) العنان : سير اللجام الذى تمسك به الدابة . يقول إن الذى حمى شعره من الزلل والخطل ، وهو أنه جعل الحقيقة غرضه الذى يرمى إليه فى قصائده ، ولولا ذلك لم يأمن الزلل . (٧) المنهل : المورد ينهل منه الظامئون . والرواد : الطالبون . (٨) الجمان : اللؤلؤ .

(٩) الهام : الرءوس الواحدة هامة .

(١)
بَسْلٌ على شُعرائنا أن ينطقوا * قبلَ المثول لديه واستئذانه
(٢)
عافَ القديمَ وقد كسته يدُ البِلَى * خَلَقَ الأديم فهانَ في خُلقانه
(٣)
وأبَى الجديدَ وقد تأنّق أهلُهُ * في الرَّقش حتّى غرّ في ألوانه
(٤)
فجديدُه بعثُ القديمِ من البِلَى * وأعادَ سُؤدَدَه إلى إبّانه
(٥)
ورمى جديدَهُمُ نخر بناؤه * برُواءِ زُخرُفه وبرق دِهانه
(٦)
شعراءُ نفحِ الطيبِ أنشَرَ ذكرَهم * في أرضِ أندلسٍ أديبُ زمانه
(٧)
ودَّ (ابنُ هانئَ) (وابنُ عمّارٍ) بها * لو يظفران معًا بلثم بنانه
(٨)
ولو استطاعا فوقَ ذاكَ لأقبلا * رغمَ البِلَى والقبرِ يستبِقانه
(٩)
يا كرْمةَ (المطريّة) ابتهجي به * واستقبِلي الظمآنَ من أخدانه

مُدِّي الظِّلالَ على الوفودِ وجدِّدي * عهدًا طواهُ الدهرُ في بستانه

---

(١) بسل : حرام . (٢) عاف القديم : تجنب القديم من أغراض الشعر ومعانيه التي رثت وبليت . (٣) الرقش : النقش والتزيين . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . وإبان الشيء : زمانه . (٥) الرواء : حسن المنظر . (٦) نفح الطيب ، هو كتاب نفح الطيب تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقرى المغربي ، نزيل فاس ، ثم مصر ، المتوفى في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ . وصف في هذا الكتاب جزيرة الأندلس ورجالها من الكتاب والشعراء وغيرهم . ومعنى البيت أن شوقيا قد أحيا بحسن شعره ذكر الشعراء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب .

(٧) بها ، أي بالأندلس ، وابن هانئ هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأسدى الأندلسي الشاعر المعروف . ومنع «هانئا» من الصرف لضرورة الوزن . وابن عمار ، هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي الشاعر المشهور ، وقد مات بأشبيلية سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وكانت ولادته سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة . (٨) يستبقانه ، أي يمشيان أمامه تجلة واحتراما . (٩) المطرية : ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وفيها كان بيت المرحوم شوقي بك المعروف بكرمة ابن هانئ .

كم مجلس للهو فيه شهدته * فسكرت من ديوانه ودنانه (١)

غنى مغنيه فهاج غناؤه * شجو الحمام على ذوائب بانه (٢)

فترنحت أشجاره وتمايلت * أعوادها طربا على عيدانه (٣)

فكأن مجلسنا هناك قصيدة * من نظمه طلعت على عبدانه (٤)

فالحمد لله الذى قد رده * من بعد غربته الى أوطانه

فتنظروا آياته وتسمعوا * قد قام بلبلكم على أغصانه

فى حفل عكاظ

أنشد هذه القصيدة فى حفل من الأدباء والشعراء برآسة أحمد شوقى بك بدار التمثيل العربى لتحية جريدة عكاظ يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وقد سمى صاحب الجريدة هذا الحفل « سوق عكاظ » .

وهى تتضمن مدحا لشوقى بك رئيس الحفل ونعيا على المصريين امتهانهم لجثث ملوكهم الأقدمين

أتيت سوق عكاظ * أسعى بأمر الرئيس

أزجى إليه قواف * منكسات الرءوس (٥)

ليست بذات رواء * تزهى به فى الطروس (٦)

ولا بذات جمال * يسرى بها فى النفوس

---

(١) الدنان : جمع دن (بالفتح) ، وهو إناء كبير للخمر . (٢) شجو الحمام : بكاؤه . والبان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانة . وذوائبه : أعاليه . (٣) يريد عيدان الغناء . (٤) الضمير فى "نظمه" لشوقى . وعبدانه (بضم العين وكسرها) ، أى عبيده من بقية الشعراء . (٥) أزجى : أسوق . (٦) الرواء : حسن المنظر . والطروس : الصحف يكتب فيها ، الواحد طرس .

لَم يَحْبُها فَضْلُ شَوْقٍ * بَقِيَّةً مِن نَسِيسِ (١)

فهنّ قَفْرٌ خَوالٍ * مِنْ كُلِّ معنًى نَفِيسِ

وهنّ جُهْدُ مُقِلٍّ * حَلِيفِ هَمٍّ وبُوسِ

قال الرئيسُ ومَنْ ذا * يقولُ بعدَ الرئيسِ

سَقَى الحُضورَ شرابًا * يُنْسِي شرابَ القُسُوسِ (٢)

مُعتّقًا قبلَ عادٍ * في مُظْلِماتِ الحُبوسِ

تُذْكِي الدياراتُ منه * نارًا كنارِ المَجُوسِ (٣)

يُريكَ والليلُ داجٍ * شُموسَه في الكُؤوسِ

بناتُ أفكارِ شَوْقٍ * في جَلْوةٍ كالعَرُوسِ

تَزْهَى بمعنًى سَرِيٍّ * أتَى بمعنًى شَمُوسِ (٤)

وليلةٌ من "عُكاظٍ" * ضمّت حُماةَ الوَطِيسِ (٥)

أحيا بها ذِكْرَ عهدٍ * آثارُه في الطُّرُوسِ (٦)

عهدٌ سَما الشعرُ فيه * الى مَجالِي الشُّموسِ

---

(١) النسيس : بقية الروح . (٢) يريد «بشراب القسوس» : الخمر، وذلك لما اشتهر به القساوسة والرهبان من ادخار الخمر وتعتيقها فى الأديار . (٣) تذكى : تشعل . ونار المجوس : النار التى يعبدونها ؛ ويضرب بها المثل فى قوة الاشتعال ودوامه . وقد شبه بها الخمر فى الحمرة حتى كأنها تلتهب . (٤) السرى : الرفيع . والشموس : النفور الصعب المنال . (٥) الوطيس : الحرب . ويريد «بحماة الوطيس» : حملة الأقلام . (٦) يريد عهد سوق عكاظ الأوّل فى الجاهلية ، أيام كان يحضرها فحول الشعراء يتناشدون الأشعار .

وَوِرْدُه كان أَصْفَى * مِنْ مَوْرِدِ القَامُوسِ (١)

جِئْتُهَا بحَدِيثٍ * أَسُوقُه لِلْجُلُوسِ

قد زُرْتُ مُتْحَفَ مِصْرٍ * فى ظُهْرِ يَوْمِ الخَمِيسِ

فى زُمْرَةٍ من رِفَاقٍ * غُرِّ الشَّمائلِ شُوسِ (٢)

فضِقْتُ ذَرْعًا بأَمْرٍ * على النُّفُوسِ بَئِيسِ (٣)

وكِدْتُ أُصْرَعُ غَمًّا * لحَظِّها المَعْكُوسِ (٤)

وصَرْعَةُ الغَمِّ أَدْهَى * من صَرْعَةِ الخَنْدَرِيسِ (٥)

رأيْتُ جُثَّةَ (خُوفُو) * بقُرْبِ (سِيزُوسْتَرِيس) (٦)

فقلْتُ يا قومُ هذا * صُنْعُ العُقُوقِ الخَسِيسِ

أجسادُ أَمْلاكِ مِصْرٍ * وشائدِى مَنْفِيسِ (٧)

من بعدِ خَمْسِين قرْنًا * لَمْ تَسْتَرِحْ فى الرُّمُوسِ (٨)

أَرَى فَرَاعِينَ مِصْرٍ * فِى ذِلَّةٍ ونُحُوسِ

مَعْروضةً للبَرَايا * أَجْسادُهم بالفُلُوسِ

---

(١) القاموس: البحر أو لجته. (٢) شوس، أى من علية القوم وعظمائهم، الواحد أشوس وهو فى الأصل: الذى ينظر بمؤخر العين تكبرا وتيها. (٣) بئيس: شديد. (٤) حظها، أى حظ مصر. (٥) الخندريس: الخمر المعتقة. (٦) خوفو وسيزوستريس: ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين. (٧) منفيس: مدينة مصرية قديمة كان لها شأن كبير معروف فى تاريخ مصر القديم؛ وموضعها الآن البدرشين وميت رهينة. (٨) الرموس: القبور، الواحد رمس.

عَنْهُـــمْ نَبَشْـنا زَمانًا (١) * فى مُظْلِمات الدُّرُوسِ

قَدِيسَ ظُلْمًـا حِمـاهُمْ * وَكان غَـيْرَ مَـدُوسِ

لعلّهـــم حَصَّـــنُوهم (٢) * من هادِمات الفُؤُوسِ

علمًـا بأنْ سَوْفَ يُمْنَى (٣) * بيَـــومٍ شَرٍّ عَبُـوسِ

لو أنّ أمثال (مينا) (٤) * فى الغرب أو (رمسيس)

بَنَـوا عليهـم وخطُّوا * حَظائـرَ التقــديسِ

مدحة للمغفور له (فؤاد الأوّل) (٥)

أنشدها بين يدى جلالته حين زيارته مدرسة فؤاد الأوّل بقصر الزعفران (٦) فى دسمبر سنة ١٩٢٢ م

أَقَصْــرَ الزَّعْفَــرانِ لَأَنْتَ قَصْرٌ * خَلِيقٌ أنْ يَتِيــهَ على النُّجُــومِ

كِلَا عَهْدَيْكَ (٧) للأَجْيالِ فَخْــرٌ * وزَهْــوٌ للحَدِيثِ وللقَــدِيمِ

---

(١) الدروس : العفاء والبلى . ويريد «بمظلمات الدروس» : طبقات الأرض التى دفنوا فيها .

(٢) يشير إلى ما اشتهرت به مقابر قدماء المصريين من التحصين والامتناع على من يريد اقتحامها .

(٣) الضمير فى «يمنى» يعود على «حمى» المتقدّم ذكره . ويمنى : يبتلى ويصاب . (٤) مينا ورمسيس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين . (٥) ولد المغفور له الملك فؤاد الأوّل بقصر الجيزة فى ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ هـ وارتقى عرش المملكة المصرية فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ وتوفى بعد ظهر يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ . (٦) قصر الزعفران بالعباسية ، من القصور التى بناها المغفور له إسماعيل باشا الخديوى ، وسمى قصر الزعفران لأن الأرض التى بنى فيها كان يزرع بها الزعفران قديما ، وكانت هناك ترعة يقال لها : ترعة الزعفران ، وردمت هذه الترعة قريبا . وهذا الموضع الذى بنى فيه القصر يتبع الوايلى الصغرى ، وقد استبدل به المغفور له الملك فؤاد الأوّل قطعة أرض فى مركز طلخا ، مديرية الغربية من أملاك الحكومة .

(٧) يريد «بالعهدين» : عهد هذا القصر أيام اسماعيل ، وعهده أيام كان مدرسة ثانوية .

ثوى بالأمسِ فيكَ عُلًا ومجدٌ * وأنتَ اليومَ مثوًى للعلومِ (١)

فمِنْ نُبلٍ، إلى مجدٍ أثيلٍ، * إلى علمٍ، إلى نفعٍ عميمِ

أضفتَ إلى صروحِ العلمِ صرحًا * بزورةِ ذلكَ الملكِ الحكيمِ

فيالكَ منزلًا رحبًا سريًّا * بنتهُ أناملُ الذوقِ السليمِ

وحاطتهُ ببستانٍ أنيقٍ * يريكَ جمالُه وجهَ النعيمِ (٢)

(أبا فاروقَ) أنتَ وهبتَ هذا * لمصرَ وهكذا منحُ الكريمِ

ولا عجبٌ فمصرُ على ولاءٍ * ومالكُها على خُلُقٍ عظيمِ

يطالعُها ببرِّكَ كلَّ يومٍ * ويرعاها بعينِ أبٍ رحيمِ

ويُرهِفُ مِنْ عزائمِ آلِ مصرٍ * إذا خارتْ لدى الخطبِ الجسيمِ (٣)

كسوتَ الأزهرَ المعمورَ ثوبًا * منَ الإجلالِ والعزِّ المقيمِ

قضيتَ به الصلاةَ فكادَ يزهى * بزائرِه على رُكنِ الحطيمِ (٤)

رأى فيكَ (المعزَّ) زمانَ أعلى * قواعدَه على ظهرِ الأديمِ (٥)

فهشَّ وهزَّه طربٌ وشوقٌ * كما هشَّ الحميمُ الى الحميمِ (٦)

وهلّلَ كُلُّ مَنْ فيه ودوّتْ * به أصواتُ شعبِكَ كالهزيمِ (٧)

---

(١) ثوى : أقام . والمثوى : المكان يقام فيه . (٢) الأنيق : الذى يعجبك بحسنه .

(٣) أرهف السيف والسكين ونحوهما : شحذه وحدّده . وخارت : ضعفت . (٤) الحطيم : حجر الكعبة (بكسر الحاء وسكون الجيم) . (٥) يريد المعز لدين الله الفاطمى، الذى اختطت فى أيامه القاهرة، وبنى الأزهر . وظهر الأديم : وجه الأرض . (٦) الحميم : الصديق .

(٧) دوّى : علا صوته فسمع . والهزيم : صوت الرعد .

كذا فليحمل التاجين ملك * يعز شعائر الدين القويم (١)

ويخشى ربه ويطيع مولى * هداه الى الصراط المستقيم

أيأذن لى المليك البر أنى * أهنئ مصر بالأمر الكريم

فيا مصر اسجدى لله شكرا * وتيهى واقعدى طربا وقومى

فقد تم البناء وعن قريب * تزف لك البشائر من "نسيم" (٢)

فدار (البرلمان) أعز دار * تشاد لطالب المجد العميم

بها يتجمل العرش المفدى * وتحيا مصر فى عيش رخيم

فشرفها بربك واختتمها * وأسعدها بدستور تميم (٣)

بآى (محمد) وبآى (عيسى) * فعوذه وآيات (الكليم) (٤)

(أبا فاروق) خذ بيد الأمانى * وحققها على رغم الخصيم

أفقنا بعد نوم فوق نوم * على نوم كأصحاب الرقيم (٥)

وأصبحنا بيمنك فى نهوض * يكافئ نهضة النبت الجميم (٦)

فحطنا بالرعاية كل يوم * نحفك بالولاء المستديم

---

(١) يريد « بالتاجين » تاج الملك ، وتاج الدين . (٢) يريد بالبناء : دار البرلمان . ويريد «بنسيم» : محمد توفيق نسيم باشا ، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك . (٣) التميم : التام . (٤) الضمير فى « عوذه » للدستور . والكليم : موسى عليه السلام . (٥) يريد « بأصحاب الرقيم » أهل الكهف ؛ ويضرب المثل بطول نومهم . قال تعالى : (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) الآية . والرقيم : لوح كتبت فيه أسماؤهم ، أو هو كهفهم الذى لجأوا إليه . (٦) اليمن : البركة . ويكافئ : يماثل . والجميم من النبت : الناهض المنتشر .

تهنئة المغفور له سعد زغلول باشا بالنجاة (١)

قالها على أثر الاعتداء عليه بإطلاق النار فى محطة القاهرة إذ كان مسافرا إلى الاسكندرية (٢)

[نشرت فى ١٣ يولية سنة ١٩٢٤ م]

أَحْمَدُ اللهَ إذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ * قد رَماها فى قلبها مَنْ رَماكَا

أَحْمَدُ اللهَ إذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ * ليس فيها لِيَوْمِ جِدٍّ سِواكَا

أَحْمَدُ اللهَ إذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ * ووَقاها بلُطْفِه مَنْ وَقاكَا

قد شُغِلْنا يا (سَعْدُ) عَنْ كُلِّ شَيْءٍ * وشُغِلْنا بأنْ يَتِمَّ شِفاكَا

فى سَبِيلِ الجِهادِ والوَطَنِ المَحْـ * ـبُوبِ ما سالَ أَحْمَرًا مِنْ دِماكَا

قُلْ لِذاكَ الأثِيمِ والفاتِكِ المَفْـ * ـتُونِ: لا كُنتَ، كَيْفَ تَرْمِي السِّماكَا؟ (٣)

إنَّما قد رَمَيْتَ فى شَخْصِ (سَعْدٍ) * أُمَّةً حُرَّةً فشُلَّتْ يَداكَا

---

(١) ولد المغفور له سعد زغلول باشا بابيانا من أعمال مركز فوة سنة ١٨٦٠م وبعد أن قضى فى الأزهر حينا من الزمن تولى بعض أعمال التحرير فى الوقائع المصرية، وكتب فيها بعض المقالات فى الاستبداد والشورى والأخلاق، ثم التحق ببعض الأعمال الإدارية فى الحكومة، وفصل لاتهامه بالاشتراك فى الثورة العرابية، فاشتغل بالمحاماة إلى أن اختير للقضاء بمحكمة الاستئناف الأهلية سنة ١٨٩٢ م وهو أول محام ولى مناصب القضاء فى مصر، ثم ولى منصب وزارة المعارف، وهو أول من قرر دراسة العلوم الرياضية باللغة العربية، ثم تولى وزارة الحقانية، ثم كان عضوا بالجمعية التشريعية، وتولى زعامة النهضة الوطنية ورآسة الوفد المصرى، وظل زعيما لتلك النهضة من سنة ١٩١٩ م الى أن توفى فى أغسطس سنة ١٩٢٧م رحمه الله .

(٢) فى يوم ١٢ يولية سنة ١٩٢٤ بينما كان سعد زغلول باشا والوزراء فى محطة القاهرة يريدون السفر الى الاسكندرية لتهنئة جلالة الملك بعيد الأضحى (سنة ١٣٤٢هـ) (١٩٢٤م)، ومن ثم يسافرون الى انجلترا للمفاوضات، تقدم من سعد باشا عبد الخالق عبد اللطيف الدلبشانى وأطلق عليه رصاصة مرت بالذراع اليمنى فيما يلى الإبط ، ومست الثدى الأيمن، وكان الجرح غير شديد ، فشفى منه بعد أيام .

(٣) يريد بالأثيم الفاتك عبد الخالق الدلبشانى، وهو الذى اعتدى على المغفور له سعد زغلول باشا .

وقال فيه أيضاً :

أنشدها فى الحفل الذى أقامه أعضاء البرلمان يوم الخميس ٢٤ يولية سنة ١٩٢٤ بكازينو سان استفانو بالاسكندرية تكريماً لسعد وابتهاجاً بنجاته من حادث الاعتداء عليه

الشَّعْبُ يَدْعُو اللهَ يا زَغْلُولُ * أَنْ يَسْتَقِلَّ على يَدَيْكَ النِّيلُ

إنَّ الذى اندَسَّ الأثيمُ لقتْلِه * قد كانَ يَحْرُسُه لنا جِبْرِيلُ

أيَمُوتُ (سَعْدٌ) قبلَ أنْ نَحْيَا به؟ * خَطْبٌ على أبناءِ مِصْرَ جَلِيلُ

يا (سَعْدُ) إنَّكَ أنتَ أعْظَمُ عُدَّةٍ * ذُخِرَتْ لنا نَسْطُو بها ونَصُولُ

ولأَنْتَ أمْضَى نَبْلَةٍ نَرْمِى بها * فانْفُذْ وأقْصِدْ فالنِّبالُ قَلِيلُ (١)

النَّسْرُ يَطْمَعُ أنْ يَصِيدَ بأرْضِنا * سَنُرِيهِ كيفَ يَصِيدُه زُغْلُولُ (٢)

إنَّا رَمَيْناهُمْ بِنَدْبٍ حُوَّلٍ * عن قَصْدِ وادِى النِّيلِ لَيْسَ يَحُولُ (٣)

بأشَدِّنا بأْسًا وأَقْدَمِنا على * خَوْضِ الشَّدائِدِ والخُطُوبُ مُثُولُ (٤)

بفَتًى جَمِيعِ القَلْبِ غيرِ مُشَتَّتٍ * إنْ مالَتِ الأهْرامُ لَيْسَ يَمِيلُ (٥)

فاوِضْ ولا تَخْفِضْ جَناحَكَ ذِلَّةً * إنَّ العَدُوَّ سِلاحُه مَفْلُولُ (٦)

فاوِضْ وأنْتَ على المَجَرَّةِ جالِسٌ * لِمَقامِكَ الإعْظامُ والتَّبْجِيلُ (٧)

فاوِضْ تَخَلْفَكَ أُمَّةٌ قد أقْسَمَتْ * ألَّا تَنامَ وفى البِلادِ دَخِيلُ

---

(١) أقصد السهم : أصاب المقتل . (٢) يريد بالنسر : الانجليز؛ واستعمله هنا لإثارة العجب من أن يصيد الزغلول (فرخ الحمام) النسر . (٣) الضمير فى « رميناهم » للإنجليز . والندب : الماضى فى الحاجة، النافذ فى قضائها . والحوّل : الشديد الاحتيال . (٤) مثول، أى ماثلات حاضرة . (٥) جميع القلب : لا يتفرق من الخوف . (٦) مفلول : مثلوم مكسر الحد لا يصلح للضرب والطعان . (٧) يريد علو مكانته وارتفاع منزلته .

عُزْلٌ ولٰكنْ فى الجِهـادِ ضَراغِمٌ * لا الجَيْشُ يُفْزِعُها ولا الأسْطُولُ (١)

أسْطُولُنا الحقُّ الصُّراحُ وجَيْشُنا الْـ * ـحُجَجُ الفِصَاحُ وحَرْبُنا التَّدْليـلُ

ما الحَرْبُ تُذْكِيها قَنًـا وصَـوارِمٌ * كالحَرْبِ تُذْكِيها نُهًى وعُقُـولُ (٢)

خُضْها هُنالِكَ باليَقـينِ مُـدَرَّعا * واللهُ بالنَّصْرِ المُبِـينِ كَفِيلُ

أَزَعِيمُهُمْ شاكِى السِّـلاحِ مُدَجَّجٌ * وزَعِيمُنا فى كَفِّـه مِنْـدِيلُ؟ (٣)

وكذٰلِكَ المِنْـديلُ أَبْلَغُ ضَرْبَةً * مِنْ صارِمٍ فى حَـدِّه التَّضْليـلُ

لكَ وَقْفَةٌ فى الشَّرقِ تَعرِفُها العُـلا * ويَحُفُّهـا التَّكبيرُ والتَّهْليـلُ

زَلْزِلْ بهـا فى الغَـرْبِ كلَّ مُكابِرٍ * ليَرَى ويَعْـلَمَ ما حَـواهُ الغِيـلُ (٤)

لا تَقْرَبِ (التَّاميزَ) واحذَرْ وِرْدَه * مَهْـمَا بَـدا لكَ أنَّه مَعْسُـولُ (٥)

الكَيْـدُ مَمْـزُوجٌ بأَصْـفَى مائِه * والخَتْلُ فيـه مُذَوَّبٌ مَصْـقُولُ (٦)

كمْ وارِدٍ يا (سَـعْدُ) قَبْلَكَ ماءَه * قد عادَ عنـه وفى الفُـؤادِ غَلِيلُ (٧)

القَـومُ قد مَلَكُوا عِنانَ زَمانِهِـمْ * ولَهُـمْ رِواياتٌ به وفُصُـولُ (٨)

---

(١) العـزل : الذين لا سلاح معهم، الواحد أعزل . والضراغم : الأسود .

(٢) أذكى الحرب : أشعل نارها . والقنا : الرماح، الواحدة قناة . والصوارم : السيوف القواطع . (٣) شاكى السلاح، أى ذو شوكة وحدّة فى سلاحه . والمدجج : اللابس السلاح . (٤) الغيل : الأجمة وموضع الآساد .

(٥) معنى النهى عن قرب التاميز : التحذير من خداع أهله . (٦) الختل : الخداع والمكر .

(٧) الغليل : شدّة العطش . (٨) القوم : الإنجليز . والعنان : سير اللجام الذى يمسك به الفرس .

ولهم أحابيلٌ إذا ألقوا بها (١) * قنصوا النهى فأسيرهم مخبولُ
فاحذر سياستهم وكن في يقظة * سعدية إن السياسة غولُ
إن مثلوا فدع الخيال فإنما * عند الحقيقة يسقط التمثيلُ
الشبر في عرف السياسة فرسخ * واليوم في فلك السياسة جيلُ
ولكل لفظ في المعاجم عندهم * معنى يقال بأنه معقولُ
نصلت سياستهم وحال صباغها (٢) * ولكل كاذبة الخضاب نصولُ
جمعوا عقاقير الدهاء وركبوا * ما ركبوه وعندك التحليلُ
يا (سعد) أنت زعيمنا وركيلنا * وعليك عند مليكنا التعويلُ
فادفع وناضل عن مطالب أمة * يا (سعد) أنت أمامها مسئولُ
النيل منبعه لنا ومصبه * ما إن له عن أرضها تحويلُ
وثقت بك الثقة التي لم ينفرج * للريب فيها والشكوك سبيلُ
جعلت مكانك في القلوب محبة * أو بعد ذاك على الولاء دليلُ
كادت تجن وقد جرحت وخانها * صبر على حمل الخطوب جميلُ
لم يبق فيها ناطق إلا دعا * لك ربه ودعاؤه مقبولُ
يا سعد كاد العيد يصبح مأتما (٣) * الدمع فيه أسى عليك يسيلُ

(١) الأحابيل، أي المصايد.
(٢) نصلت: انكشفت وخرجت من لونها الكاذب الى لونها الصادق. وحال: تحول.
(٣) العيد، أي عيد الأضحى من سنة ١٣٤٢ هـ. وقد عطلت فيه التهاني بسبب الاعتداء على سعد باشا.

لولا دِفَاعُ اللهِ لَانطَوَتِ المُـنَى * عنـد انطِوائِكَ وانقضَى التأميلُ

شَلَّتْ أناملُ مَنْ رمَى، فلِكَفِّه * حَزُّ المُـدَى ولِكَفِّكَ التقبيـلُ (١)

هٰذا وِسامُكَ فوقَ صَـدْرِكَ مالَه * مِنْ بينِ أوْسِمَـةِ الفَخارِ مَثِيـلُ (٢)

حَلَّيْتَـه بدَمٍ زكِيٍّ طـاهِرٍ * فى حُبِّ مِصْرَ مَصُونُه مبذولُ

فى كُلِّ عَصْرٍ للجُنـاةِ جَرِيرَةٌ * لَيْسَتْ على مَرِّ الزمانِ تزولُ (٣)

جارُوا على (الفارُوقِ) أعدَلَ مَنْ قضَى * فِينَـا وزَكَّى رأيَه التَّـنْزِيلُ (٤)

وعلى (علِيٍّ) وهوَ أَطْهَـرُنا فَمًـا * ويَدًا وسَيْفُ نَبِيِّنـا المَسْـلُولُ (٥)

قِفْ يا خَطِيبَ الشَّرْقِ جَدِّدْ عَهْدَنا * قَبْـلَ الرَّحِيـلِ لِيَقْطَعَ التأويلُ

فَاُوصِ فإنْ أوْجَسْتَ شَرًّا فاعتَزِمْ * واقْطَعْ فَحَبْلُكَ بالهُـدَى مَوْصُولُ

وارجِـعْ إلينـا بالكرامَةِ كاسِـيًا * وعليـكَ مِنْ زَهَراتِهـا إكليـلُ

إنَّا سَـنَعْمَلُ للخَلاصِ ولانَنِي * واللهُ يَقْضِى بينَنـا ويُدِيـلُ (٦)

كم دَوْلَةٍ شَهِـدَ الصَّبـاحُ جَلالَها * وأتَى عليهـا الليـلُ وهىَ فُلُـولُ (٧)

وقُصُورِ قَوْمٍ زاهِراتٍ فى الدُّجَى * طَلَعَتْ عليها الشمسُ وهىَ طُلُولُ (٨)

(١) المدى : جمع مدية، وهى السكين . (٢) يريد «بالوسام» ما أصاب صدره من الدم .

(٣) الجريرة : الجناية . (٤) الفاروق، هو عمر بن الخطاب . يشير الى قتل أبى لؤلؤة إياه غيلة . وزكى : عزز . يريد ما كان ينزل من الآيات تعزيزا وموافقة لما كان يراه عمر .

(٥) يشير الى قتل عبد الرحمن بن ملجم عليا رضى الله تعالى عنه غيلة أيضا . (٦) ونى ينى : قصر . و يديل : يجعل الدولة لنا عليهم . (٧) وهى فلول، أى متفرقة مهزومة .

(٨) الطلول : جمع طلل، وهو الشاخص من آثار الديار .

يأيها النَّشْءُ الكِرامُ تحيةً * كالرَّوْضِ قد خَطَرَتْ عليه قَبُولُ (١)

يا زَهْرَ مِصْرَ وزَيْنَها وحُماتَها * مَدْحِي لَكُمْ بَعْدَ الرئيسِ فُضُولُ

جُدْتُمْ لها بالنَّفْسِ فى وَرْدِ الصِّبا * والوَرْدُ لَمْ يَنْظُرْ اليه ذُبُولُ (٢)

كَمْ مِنْ سَجِينٍ دُونَها ومُجاهِدٍ * دَمُه على عَرَصاتِها مَطْلُولُ (٣)

سِيرُوا على سَنَنِ الرئيسِ وحَقِّقُوا * أَمَلَ البِلادِ فكُلُّكُمْ مَأْمُولُ

أَنتمْ رِجالُ غَدٍ وقَدْ أَوْفَى غَدٌ * فاَستَقْبِلُوه وجَلُّوه وطُولُوا (٤)

الى الأستاذ أحمد لطفى السيد بك (باشا)

وجهها اليه حين ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو سنة ١٩٢٤ م

يا كاسِيَ الأَخْلاقِ فى * بَلَدٍ عن الأَخْلاقِ عارِى

لَمْ يَبْقَ فِينا مَنْ يُجا * دِلُ فى مَقامِكَ أو يُمارِى (٥)

بالأَمْسِ قد عَلَّمْتَنا * أَدَبَ الكِتابَةِ والحِوارِ (٦)

واليومَ قد أَلْطَفْتَنا * بالطَّيِّباتِ مِنَ الثِّمارِ (٧)

---

(١) القبول : ريح الصبا . (٢) فى ورد الصبا ، أى فى زهرة الشباب .

(٣) العرصات : جمع عرصة ، وهى كل بقعة ليس فيها بناء ؛ يريد ميادينها . ومطلول : لم يثأر به .

(٤) أوفى : أتى . وجلوه ، أى اجعلوه يوما أبيض . وطولوا : افخروا واعتزوا .

(٥) يمارى : ينازع . (٦) يشير بهذا البيت الى عهد الممدوح فى رآسة تحرير «الجريدة» وما كان يكتبه فيها من مقالات . (٧) ألطفه بكذا : أتحفه به .

بكتاب رسطاليس تا * ج نوادر الفلك المدار (١)

جاهدت فى تفصيله * ووصلت ليلك بالنهار

تزن الكلام كأنه * ماس بميزان التجار

وتصون معنى ربه * صون اللآلئ فى المحار (٢)

وتضن دهقان الكلا * م كضن دهقان النضار (٣)

حتى حسبتك فى الأنا * ة والاختبار والاختيار

صنعا يصور فى القصو * ص لدى الفراعنة الكبار (٤)

إنى قرأت كتابه * بين الخشوع والاعتبار

فاذا المترجم ماثل * جنب المؤلف فى إطار

وعليهما نور يفيـ * ـض من المهابة والوقار

قالوا : لقد هجر السيا * سة وانزوى فى عقر دار

ترك المجال لغيره * ورأى النجاة مع الفرار

لا تظلموا رب النهى * وحذار من خطل حذار (٥)

هجر السياسة للسيا * سة لا لنوم أو قرار

(١) تاج نوادر الفلك، أى أثمن نوادر الزمن وأقصها . (٢) ربه، أى مؤلفه أرسطوطاليس . (٣) دهقان الكلام (بالنصب)، على النداء . والدهقان (بكسر الدال وتضم) : التاجر . والنضار : الذهب . (٤) الصنع (بالتحريك) : الحاذق بالصنعة ؛ وشبهه بالمصور فى القصوص لما فى ذلك من مراعاة الدقة . (٥) الخطل : الخطأ والزلل .

لو أنّهم علِموا الذى * يَبْنِى لهم خلفَ السِّتارِ
(١)
لسَعَوْا إلى حامِى الفَضِيـ * ـلةِ والحَقِيقةِ والذِّمارِ
(٢)
وافاهُمُ بدعائم الـ * أَخلاقِ والحِكَمِ السَّوارِى
(٣)
أُسِّ السِّياسةِ والنَّجا * حِ وحِصْنِ سَيِّدَةِ البِحارِ
(٤)
كَلِفَتْ بها وتمسَّكَتْ * قَبْلَ الفَيالِقِ والجَوارِى
(٥)
يا عاشِقَ الخُلُقِ الصَّرِيـ * ـحِ وشانِئَ الخُلُقِ المُوارِى
إنِّى اختَبَرْتُكَ فى الكُهو * لةِ والصِّبا حَقَّ اختبارِ
(٦)
لَمْ يَجْرِ فى ناديكَ هُجْـ * ـرُ القَوْلِ أو خَلْعُ العِذارِ
حُلْوُ التواضُعِ والتَّوا * ضُعُ آيةُ القَوْمِ الخِيارِ
(٧)
مُرُّ التكبُّرِ حِينَ يَدْ * عُوكَ التَّواضُعُ للصَّغارِ
سِرْ فى طَرِيقِكَ وادِعًا * فلأنْتَ مأمونُ العِثارِ
(٨)
واجعَلْ على لَقَمِ الطَّرِيـ * ـقِ صُوًى تَلُوحُ لكلِّ سارِى

---

(١) الذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته . (٢) الدعائم : العمد ، الواحدة دعامة . والسوارى : جمع سارية ، أى التى تسير فى الناس . (٣) يريد « بسيدة البحار » : انجلترا . (٤) الفيالق : الجيوش العظيمة ، الواحد فيلق . والجوارى : السفن ، الواحدة جارية . (٥) الشانئ : المبغض . (٦) هجر القول : القبيح منه . وخلع العذار : كناية عن التهتك وعدم المبالاة . (٧) الصغار : الذل . (٨) لقم الطريق (بفتح اللام وضمها) : وسطه . والصوى : العلامات التى تجعل على الطريق ليهتدى بها ؛ الواحدة صوة (بضم الصاد وتشديد الواو) .

إنّا إلى (كُتْبِ السِّيا * سةِ) يا حكيمُ على أُوارِ (١)

عَجِّلْ بها قبْلَ (الفسا * دِ) وقبلَ عادِيَةِ البَوارِ (٢)

إنّا نُناضِلُ أمّةً * أقطابُها أُسْدٌ ضَوارِى (٣)

عَرَكُوا الزّمانَ وأهلَه * وتحصّنوا مِنْ كلّ طارِى (٤)

*

آمَسَتْ سِياستُهمْ كطِلَّسْمٍ يُحَيِّرُ كلَّ قارِى

إنْ يُنْكِروا بعضَ الغُمو * ضِ على أديبٍ ذى اقتدارِ

فلأنّهمْ لمْ يذكُروا * أنَّ المُتَرْجِمَ فى إسارِ (٥)

لمْ يعْىَ أحمدُ أنْ يجى * ءَ بآيِ قيْسٍ أو نِزارِ (٦)

وهو المُجَلِّى فى أسا * ليبِ الفصاحةِ والمُبارِى (٧)

لُغةُ العُلومِ حقائقٌ * هِىَ عنْ زَخارِفِنا عوارِى (٨)

تأبَى الغُلُوَّ وتحسَبُ الـ * ـإغراقَ كالثوبِ المُعارِ (٩)

والنّقلُ إنْ عدِمَ الأما * نةَ كانَ عُنْوانَ الخَسارِ

---

(١) يريد بكتب السياسة : كتاب أرسطو فيها . والأوار : شدة العطش . (٢) يشير إلى كتاب (الكون والفساد) الذى كان يترجمه الأستاذ أحمد لطفى السيد وقتئذ ، وكان يود حافظ لو أن الأستاذ ترجم كتاب أرسطو فى السياسة ونشره قبل كتاب الكون والفساد . (٣) يريد الأمة الانجليزية . والضوارى : المتعوّدة الصيد والافتراس . (٤) عركوا الزمان : خبروه . والطارى ، أى الطارئ ، أى ما يطرأ على الدول من أحداث . (٥) . «أن المترجم» الخ : أى أنه متقيد بأغراض المؤلف وعباراته لا يعدوها . (٦) يريد بقوله : "بآى قيس أو نزار" : بيان العرب الأقدمين . وقيس ونزار : قبيلتان من العرب معروفتان . (٧) المجلى : السابق الذى يجىء أوّلا . (٨) زخارفنا ، أى ما يزين به الأدباء أشعارهم ورسائلهم من تحلية وتميق . (٩) الغلوّ والإغراق فى الشىء : المبالغة فيه .

الى حفنى بك محمود

قالها حين رشحه الوفد لعضوية البرلمان عن بندر الجيزة

[نشرت فى ١١ مايو سنة ١٩٢٦م]

يا كاسِىَ الخُلُقِ الرَّضِىِّ وصاحِبَ الـ * أَدَبِ السَّرِىِّ (١) ويا فتى الفِتْيانِ

إِنْ رَشَّحوكَ فأنتَ مِنْ بَيْتٍ رَمَى * بِسِهامِهِ عَنْ حَوْزَةِ الأَوْطانِ (٢)

زَكّاكَ إِقْدامٌ ورَأْىٌ شاهِدٌ * ونَقِىُّ إِيمانٍ وحُسْنُ بَيانِ

لو كنتَ بَيْنَ النّاخِبِينَ لأَدْرَكُوا * ما فيكَ يا (حِفْنِىُّ) مِنْ رِضْوانِ (٣)

الى سعد زغلول باشا

أنشدها بين يديه على أثر قدومه من مسجد وصيف إلى العاصمة على الباخرة دندرة

[نشرت فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦م]

ما بالُ (دَنْدَرَةٍ) تَمِيسُ (٤) تَهادِيًا * مَيْسَ العَرُوسِ مَشَتْ على إِسْتَبْرَقِ

والنِّيلُ يَجْرِى تَحْتَها مُتَهَلِّلًا * والمَوْجُ بَيْنَ مُهَلِّلٍ ومُصَفِّقِ

أَلَعَلَّها والتِّيهُ يَثْنِى عِطْفَها (٥) * حَمَلَتْ رِكابَ زَعِيمِ قَلْبِ المَشْرِقِ

---

(١) السرى : الرفيع . (٢) حوزة الأوطان ، أى ما يجب الدفاع عنه وحمايته منها .

(٣) يشير بهذا البيت الى أن الممدوح من بلد آخر غير البلد الذى رشح للنيابة عنه ، ولو كان منه لأدرك أهله ما فيه من رضى وخير . (٤) تميس : تمايل وتتبختر ، والإستبرق : الديباج الغليظ ، وهو لفظ معرّب . (٥) العطف : الجانب . ويريد « بقلب المشرق » : مصر ، لأنها منه بمنزلة القلب من الجسد .

إِنّى أَرَى نُوراً يَفيضُ وطَلْعةً * قد زانَها وَضَحُ الجَبِينِ المُشْرِقِ
(١)
هذا زَعِيمُ النِّيلِ حَلَّ عَرِينَه * بَعْدَ الغِيابِ فياوُفودُ تَدَفَّقِي
(٢)
وتَيَمَّنِي بقُدومِه وتَرَفَّقِي * عندَ الزِّحامِ فسَلِّمِى وتَفَرَّقِي
(٣)
وتَنَظَّرِى إِنّ الخَلاصَ مُحَتَّمٌ * فاللهُ أَسْلَمَ أَمْرَنَا لمُوفَّقِ
(٤)
كم أَزْمَةٍ مَرّت بِنا فَاجتاحَها * (سَعْدٌ) بسَيْلِ بَيانِه المُتَدفِّقِ
(٥)
يأَيُّها السَّبَّاقُ فى طَلَبِ العُلا * ها قد أَتَيْتَ مُجَلِّيًا لم تُسْبَقِ
(٦)
سَبَقَ البَشيرَ رِكابُ سَعْدٍ جارِيًا * ورِكابُ سَعْدٍ وانِيًا لم يُلْحَقِ

تهنئة أحمد شوقى بك (٧)

أنشدها فى المهرجان الذى أقيم لتكريمه بالأوبرا فى ٢٩ ابريل سنة ١٩٢٧ م

وقد اشترك فيه بعض شعراء الأقطار الشرقية

(٨)
بَلابِلَ وادِى النِّيلِ بالمَشْرِقِ اسْجَعِى * بِشِعْرِ أَمِيرِ الدَّوْلَتَيْنِ ورَجِّعِى
(٩)
أَعِيدِى على الأَسْماعِ ما غَرَّدَتْ به * يَراعَةُ شَوْقِى فى ابْتِداءٍ ومَقْطَعِ

---

(١) العرين: مأوى الأسد. (٢) يروى أن الرئيس ابتسم عند ما أنشد هذا البيت، وقال: "إلا أنت ياحافظ". (٣) تنظرى: انتظرى. (٤) اجتاحها: استأصلها وأودى بها. ويقال: إن حافظا لما أنشد هذا البيت خاطب الرئيس وقال: "ألم يحصل"؟، فضحك سعد وقال: «أنا لا أعرف». (٥) المجلى: السابق الذى يجىء أولا. (٦) يقول: إن سعدا قد أفاض من صفته — وهى السبق فى سبل العلا — على الباخرة، فسبقت البشير وهو يجرى، ولو كانت وانية لسبقته أيضا، لأنها اكتسبت فضيلة السبق بمن حل بها. (٧) انظر التعريف بالمرحوم (أحمد شوقى بك) فى الحاشية رقم ٥ من ص ٥٠. (٨) يد « بالدولتين » : النظم والنثر. والترجيع: ترديد الصوت بالغناء. (٩) فى ابتداء ومقطع، أى فى أول القصيدة وآخرها.

يَراها له البارِى فلَمْ يَنْبُ سِنُّها * إذا ما نَبَا العَسَّالُ فى كَفِّ أَرْوَعِ (١)

مَواقِعُها فى الشَّرقِ والشرقُ مُجْدِبٌ * مَواقِعُ صَيْبِ الغَيْثِ فى كلِّ بَلْقَعِ (٢)

لَدَيْها وُفُودُ اللَّفظِ تَنْساقُ خَلْفَها * وُفودُ المَعانِى خُشَّعًا عِنْدَ خُشَّعِ (٣)

اذا رَضِيَتْ جاءتْ بأَنْفاسِ رَوْضَةٍ * وإنْ غَضِبَتْ جاءتْ بِنَكْبَاءَ زَعْزَعِ (٤)

أَحَنُّ على المَكْدُودِ مِنْ ظِلِّ دَوْحَةٍ * وأَحْنَى على المَوْلُودِ مِنْ ثَدْيِ مُرْضِعِ (٥)

على سِنِّها رِفْقٌ يَسِيلُ ورَحْمَةٌ * ورَوْحٌ لِمَنْ يَأْسَى وذِكْرَى لِمَنْ يَعِى (٦)

تَسابَقُ فوقَ الطِّرْسِ أفكارُ رَبِّها * سِباقَ جِيادٍ فى مَجالٍ مُرَبَّعِ (٧)

تَطِيرُ بُرُوقُ الفِكْرِ خَلْفَ بُرُوقِها * تُنَاشِدُها باللهِ لا تَتَسَرَّعِى (٨)

تُحاوِلُ فَوْتَ الفِكْرِ لَوْ لَمْ تَكُفَّها * أَنامِلُه كَفَّ الجَمُوحِ المُرَوَّعِ (٩)

---

(١) نبا، ينبو : كل وارتد . والعسال : الرمح يهتز لينا . والأروع : الشجاع الشهم .

(٢) صيب (بتسكين الياء) أصلها صيب (بتشديدها) ، وهو المطر المنهمر المنصب . والبلقع : الأرض القفر لانبات بها . يقول : إن آثار قلمه تفعل فى نفوس الشرقيين الظامئة ما تفعل السحب فى الأرض المجدبة . (٣) يقول : إن يراعة هذا الشاعر قد ملكت ناصيتى الألفاظ والمعانى لا يستعصى عليها منهما شىء . (٤) النكباء : الريح تنحرف عن مهب الرياح ، وتقع بين ريحين . والزعزع : الشديدة العصف . (٥) المكدود : من أضناه الكد والمشقة . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . (٦) الروح : الراحة والرحمة . و يأسى : يحزن . و يعى : يحفظ .

(٧) تسابق ، أى تتسابق . والطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمجال : حيث تجول الجياد ، أى تجرى .

(٨) بروق الفكر ، أى بروق فكر الشاعر . والضمير فى «بروقها» يعود على « البراعة » المتقدمة . شبه فكر الشاعر و يراعته فى سرعتهما بالبروق ، وجعل برق يراعته أسرع من برق فكره .

(٩) الجموح : الفرس الذى يركب رأسه لا يثنيه شىء . والمروّع : المفزع . يقول : إن يراعته تسبق أفكاره لولا أن أنامله تردها وتكبحها .



فهذا (كليمُ الله) قد جاء قبلَه * (بهارونَ) ما يأمُره بالوحي يصدَع (١)

بلغتَ بوصفِ النيلِ من وصفِك المدَى * وأيامَ (فِرعونٍ) ومعبودِه (رَع) (٢)

وما سُقتَ من عادِ البلادِ وأهلِها * وما قُلتَ في أهرامِ (خُوفُو) و(خَفرَع) (٣)

فأطلعتَها شَوقيَّةً لو تنسَّقتْ * مع النيِّراتِ الزُّهرِ خُصَّتْ بمَطلَع (٤)

أ(مِن أيِّ عهدٍ في القُرَى) قد تفجَّرتْ * ينابيعُ هذا الفكرِ أم (أختُ يُوشَع) (٥)

وفي (تُوتَ) ما أعيا ابتكارَ موفَّقٍ * وفي (ناشئٌ في الوردِ) إلهامُ مُبدِع (٦)

---

(١) كليم الله : نبيه موسى عليه السلام . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . ويشير الى ما ورد في القرآن حكاية عن موسى عليه السلام : (واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى) الآيات . (٢) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت الى قصيدة لشوقى فى النيل وتاريخ من ملكه من الفراعنة بعث بها الى مرجليوث المستشرق المعروف فى سنة ١٩١٤ م، وأولها :

من أى عهد فى القرى تتدفق * وبأى كف فى المدائن تغدق

«ورع» : اسم للشمس عند قدماء المصريين ، وهو من معبوداتهم . (٣) العاد : جمع عادة؛ يريد عادات قدماء المصريين . وخوفو وخفرع : ملكان معروفان من ملوك مصر الفراعنة .

(٤) تنسقت : انتظمت . والنيرات الزهر : النجوم . (٥) "من أى عهد فى القرى": مطلع القصيدة السابق ذكرها فى الحاشية رقم ٢ من هذه الصفحة . وأخت يوشع : الشمس؛ وأطلق عليها ذلك لما روى من أنها تأخرت عن المغيب لأجل يوشع . ويشير الى قصيدة لشوقى فى توت عنخ آمون، أولها :

قفى يا أخت يوشع خبرينا * أحاديث القرون الغابرينا

(٦) يشير بقوله : "وفى توت" الى قصيدة لشوقى فى توت عنخ آمون أولها :

درجت على الكنز القرون * وأتت على الدن السنون

وبقوله : «ناشئ فى الورد» الى قصيدة له فى المتحرين لرسوبهم فى الامتحانات، أولها :

ناشئ فى الورد من أيامه * حسبه الله أبالورد عثر

(١)
أَسَالَتْ (سَلَا قَلْبِي) شُئُونِي تَذَكُّرًا * كما ثَرَتْ (رِيمٌ على القَاعِ) أَدْمُعِي
(٢)
و (سَلْ يَلْدِزًا) إنِّي رَأَيْتُ جَمَالَهَا * على الدَّهْرِ قد أَنْسَى جَمَالَ (المُقَنَّعِ)
(٣)
أَطَلَّتْ علينا (أُخْتُ أَنْدَلُسٍ) بما * أَطَلَّتْ فكانت للنُّهَى خَيْرَ مَشْرَعِ
(٤)
وفى نَسْجِ (صَدَّاحٍ) أَتَيْتَ بآيَةٍ * مِنَ السَّهْلِ لا تَنْقَادُ (لابْنِ المُقَفَّعِ)

---

(١) يشير بقوله : "سلا قلبي" الى قصيدة لشوقى قالها فى استقباله لمصر عند عودته من منفاه بالأندلس ، أوّلها :

سلا قلبي غداة سلا وتابا * لعل على الجمال له عتابا

وبقوله : "ريم على القاع" الى قصيدة له فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم سماها : نهج البردة ، وأوّلها :

ريم على القاع بين البان والعلم * أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

والشئون : الدموع .

(٢) يشير الى قصيدة للمدوح فى خلع السلطان عبد الحميد سماها : (عبرة الدهر) أولها :

سل يلدزا ذات القصور * هل جاءها نبأ البدور

ويريد بالمقنع : المقنع الكندى ، وهو لقب غلب عليه لأنه كان أحسن الناس وجها وأمدّهم قامة وأكملهم خلقة ، فيروون أنه كان إذا سفر اللثام أصابته أعين الناس فيمرض ويلحقه عنت ، فكان لا يمشى إلا مقنعا ؛ واسمه محمد بن ظفر بن عمير ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان ذا منزلة وشرف بين قومه .

(٣) أطلت علينا ، أى ظهرت لنا من أعلى . ويشير الى قصيدة لشوقى فى رثاء مدينة أدرنة ، وهى من أمهات مدن الدولة العثمانية ، وكانت قد سقطت فى يد البلغار فى الحرب البلقانية ، وأول القصيدة :

يا أخت أندلس عليك سلام * هوت الخلافة عنك والإسلام

والمشرع : المورد الذى يستقى منه .

(٤) يشير الى قصيدة لشوقى فى تفضيل حجاب المرأة على سفورها ، يخاطب بها المرحومة باحثة البادية ، أوّلها :

صداح يا ملك الكنا * ر ويا أمير البلبل

وابن المقفع ، هو عبد الله بن المقفع الكاتب المعروف .

وروائعٍ وَصْفٍ فى (أبي الهَوْلِ) سُقْتَه * كَبُسْتانِ نَوْرٍ قَبْلَ رَعْيِكَ ما رُعِي (١)

خَرَجْتَ به عن طَوْقِ كلِّ مُصَوِّرٍ * يُجِيدُ دَقِيقَ الفَنِّ فى جَوْفِ مَصْنَعِ (٢)

وفى (انظُرْ الى الأقمارِ) زَفْرةُ واجِدٍ * وأنَّةُ مَقْرُوحِ الفُؤادِ مُوَزَّعِ (٣)

بَكَيْتَ على سِرِّ السَّماءِ وطُهْرِها * وما ابتَذَلُوا مِنْ خِدْرِها المُتَرفِّعِ

شَياطِينُ إنْسٍ تَسْرِقُ السَّمْعَ خُلْسَةً * ولا تَحْذَرُ المَخْبُوءَ لِلْمُتَسَمِّعِ (٤)

وسِينِيَّةٍ (للبُحْتُرِيّ) نَسَخْتَها * بِسِينِيَّةٍ قد أَخْرَسَتْ كُلَّ مُدَّعِي (٥)

أَتَى لك فيها طائعًا كُلُّ ما عَصَى * على كُلِّ جَبَّارِ القَرِيحَةِ أَلْمَعِي (٦)

---

(١) الرائع : ما أعجب الناس بحسنه . ويشير الى قصيدة لشوقى فى وصف أبى الهول ، أوّلها :

أبا الهول طال عليك العصر * وبلغت فى الأرض أقصى العمر

والنور (بفتح النون) : زهر النبات .

(٢) الطوق : الجهد والطاقة . (٣) يشير الى قصيدة لشوقى فى رثاء فتحى ونورى الطيارين العثمانيين ، وكانا قد سقطت بهما طائرتهما أثناء رحلتهما الى مصر قبل نشوب الحرب العظمى ، وأوّلها :

انظر الى الأقمار كيف تزول * و إلى وجوه السعد كيف تحول

والواجد : ذو الوجد . والفؤاد الموزع : المفرق مما اختلف عليه من الشجون . (٤) يريد بشياطين الإنس : الطيارين . ويريد «بالمخبوء للتسمع» : الشهب التى يرجم بها من الشياطين من يسترق السمع من السماء . (٥) يشير بهذا البيت الى قصيدة لأبى عبادة البحترى على قافية السين فى وصف إيوان كسرى ، أولها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى * وترفعت عن جدا كل جبس

وقصيدة لشوقى يعارضه بها ، يذكر فيها بعده عن بلاده فى منفاه ، ويرثى فيها الأندلس ، وأوّلها :

اختلاف النهار والليل ينسى * اذكرا لى الصبا وأيام أنسى

(٦) الألمعى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الذكى المتوقد .

شجا (البحترى) إيوانُ (كسرى) وهاجه (1) * وهاجت بك (الحمراء) أشجانَ موجَعِ

وقفت بها تبكى الربوع كما بكى * فيا لكما من واقفين بأربع

فنسجك كالديباج حلاه وشيه (2) * وفى النسج ما يأتى بثوب مرقع

وشعرك ماء النهر يجرى مجددا (3) * وشعر سواد الناس ماء بمنقع

أ(أفضى إلى ختم الزمان ففضه) (4) * من الوحى والإلهام أم قول لوذعى

و(قلبى ادكرت اليوم غير موفق) (5) * رقى السحر أم أنات أسوان مولع

تملكت من ملك القريض فسيحه * فلم تبق يا (شوقى) لنا قيد إصبع

فبالله دع للناثرين وسيلة (6) * تفىء عليهم واتق الله واقنع

عملت على نيل الخلود فنلته (7) * فقل فى مقام الشكر يا رب أوزع

جلا شعره للناس مرآة عصره (8) * ومرآة عهد الشعر من عهد (تبع)

(١) البحترى، هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله الطائى، الشاعر المعروف. والحمراء: قصر بغرناطة بالأندلس، بنى فى عهد دولة بنى الأحمر، ولا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم. (٢) الوشى: النقش. وشبه فى الشطر الثانى الشعر الذى لا تستوى أجزاؤه فى الحسن وضده بالثوب المرقع. (٣) سواد الناس: عامتهم. والمنقع: الموضع يستنقع فيه الماء. (٤) يشير الى قول شوقى فى رثاء اللورد كارنارفون الذى كشف عن قبر توت عنخ آمون:

أفضى الى ختم الزمان ففضه * وحبا الى التاريخ فى محرابه

واللوذعى: الذكى الذهن. (٥) الأسوان: الحزين. والرقى: جمع رقية، وهى العوذة يتعوذ بها من العلل والآفات. (٦) تفىء عليهم، أى تعود عليهم بالخير والرزق.

(٧) أوزعه الله الشكر: ألهمه إياه. ويشير إلى قوله تعالى حكاية عن سليمان بن داود عليهما السلام فى سورة النمل: (فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) الآية. (٨) تبع: لقب ملوك حمير. ويريد بهذا البيت أن شعر الممدوح قد صور القديم والجديد.

يَجِيءُ لنا آنًا (بأَحْمَدَ) ماثِلًا * وآونَةً (بالبُحْتُرِيِّ) المُرَصِّعِ (١)

ويَشْأَو رُقَى (هُوجُو) ويَأتِي نَسِيبُهُ * لَنا مِنْ ليالِي (أَلْفَرِيدَ) بأَرْبَعِ (٢)

وإن خَطَرَتْ ذِكْرَى الفُحُولِ بفارِسٍ * وما خَلَّفُوا في القَوْلِ مِن كلِّ مُشْبِعِ (٣)

أَتانا بِرَوْضٍ مُزْهِرٍ مِنْ رِياضِهِمْ * و(حافِظُهُمْ) فيه يُغَنِّي ويَرْتَعِي (٤)

فَقُلْ للذِي يَبْغِي مَداهُ مُنافِسًا * طَمِعْتَ لَعَمْرُ اللهِ فِي غَيْرِ مَطْمَعِ (٥)

فذَلِكَ سَيْفٌ سَلَّهُ اللهُ قاطِعٌ * فأَيّانَ يَضْرِبْ يَفْرِ دِرْعًا ويَقْطَعِ (٦)

وهَلْ تَدْفَعُ الدِّرْعُ المَنِيعَةُ صارِمًا * به يَضْرِبُ المِقْدارُ فِي كَفِّ سَلْفَعِ (٧)

---

(١) يريد «بأحمد» أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الكوفي الكندي الشاعر المعروف . (٢) يشأو: يسبق . ورقى هوجو، أى أشعاره التى تشبه رقى السحر . وفكتور هوجو، هو شاعر فرنسا المعروف . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٨ والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . وألفريد : هو ألفريد دبموسيه من كبار شعراء فرنسا، ولد بباريس سنة ١٨١٠ م، وتوفى بها سنة ١٨٥٧ م وكان ممتازا فى شعره بالرقة ولطف الصياغة، وهو صاحب الليالى الأربع المشار إليها فى هذا البيت فى الحب والشك والسلوان، وهى ليلة من (آيار) وليلة من (كانون أول)، وليلة من (آب) وليلة من (تشرين أول) . وفى كل ليلة من هذه الليالى الأربع يشرح حالا من أحواله المتعلقة بالحب؛ وهذه الليالى هى التى رفعته إلى الطبقة الأولى بين شعراء فرنسا . (٣) بفارس، يريد أمة الفرس، وقد عرف شعراؤها بالإبداع فى المعانى، وفى هذا يقول حافظ من قصيدة له فى مدح البارودى :

ومن كل معنى فارسى بطاعتى * وكل نفور منه أن يتودّدا

(٤) يريد «بحافظ» : شمس الدين محمد الشيرازى الشاعر الغنائى المعروف، ولد بشيراز فى مستهل القرن الثامن الهجرى، وتوفى سنة ٧٩٣ﻫ . يقول فى هذا البيت والذى قبله : إنه إذا ذكر الفحول من شعراء الفرس وما ابدعوا فيه من المعانى وأجادوا، نمق شوقى من رياض أشعاره ما يحكى رياض أشعارهم حتى إن شاعرهم الكبير حافظ الشيرازى ليتغنى ويرتعى فى رياض ذلك الشاعر العربى (شوقى) . (٥) المدى : الغاية . (٦) يفرى : يشق . (٧) المقدار : القدر . والسلفع : الجرىء الشجاع .

(١)
نُفِيتَ فَـلَمْ تَجْـزَعْ ولَمْ تَكُ ضَـارِعاً * ومَنْ تَرْمِه الأيَّامُ يَجْـزَعْ ويَضْـرَعِ
(٢)
وأَخْصَبْتَ فى المَنْفَى وما كنتَ مُجْدِبًا * وفى النَّفْيِ خِصْبُ العبقرىِّ السَّمَيْذَعِ
(٣)
لقد زادَ (هُوجُو) فيه خِصْبَ قَرِيحَةٍ * وآبَ إلى أوطانِه جِدَّ مُمْـرِعِ
(٤)
وأَدْرَكَ (سـامِى) بالجَـزِيرَةِ غايَةً * إليهـا مُـلُوكُ القَـوْلِ لَمْ تَتَطَلَّعِ
(٥)
تَذَكَّرْتَ عَذْبَ النِّيلِ والنَّفْسُ صَبَّةٌ * الى نَهْلَةٍ مِنْ كُوبِ ماءٍ مُشَعْشَعِ
(٦)
وأَرْسَـلْتَ تَسْتَسْقِى بَنِى مِصْرَ شَرْبَةً * فَقَطَّعْتَ أَحْشائِى وأَضْرَمْتَ أَضْلُعِى
أَنَرْوَى ولا تَرْوَى وأنتَ أَحَقُّنـا * بِرِىٍّ فيـا قَلْبَ النُّبُـوغِ تَقَطَّـعِ
(٧)
وإنْ شِـئْتَ عَنَّـا يا سَمـاءُ فَأَقْلِعِى * ويَا ماءَها فاكْفُفْ ويا أَرْضُ فابْلَعِى
حَـرامٌ عَلَيْنـا أنْ نَـلَذَّ بِنَهْـلَةٍ * وأنتَ تُنادِينـا ونَحْنُ بِمَسْـمَعِ
أَبَى اللهُ إلّا أنْ يَرُدَّكَ سـالمًا * ومَنْ يَرْعَهُ يَسْـلَمْ ويَغْـنَمْ ويَرْجِـعِ

(١) يضرع : يذل . (٢) يريد بقـوله : « أخصبت فى المنفى » : أن شعره جاد وحسن فى النفى ، وما كان مجدبا من قبل . والسميذع : السيد الكريم . (٣) « فيـه » أى فى المنـفى . والممرع : المخصب . شـبه شوقيا (بهوجو) كلاهمـا زاده النفى خصـبا فى قريحتـه ونضوجا فى شاعريته . (٤) ملوك القول : فحول الشعراء . ويشير إلى نفى المرحوم محمود باشا سامى البارودى إلى جزيرة سيلان عقب الثورة العرابية ، وما قاله فى أثناء النفى من الشعر .

(٥) النهلة : السقية . والمشعشع : الممزوج . يشير بهذا البيت وما بعـده الى الأبيات التى بعث بها شوقى وهو فى منفاه الى حافظ ، وهى :

يا ساكنى مصر إنا لانزال على * عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا

الأبيـات . انظر صفحة ١٨٦ من هـذا الجزء . وانظر رد حافظ عليهـا فى ص ١٨٧ .

(٦) أضرمت : ألهبت . (٧) أقلعت السماء : كفت عن المطر . ويشـير الى قوله تعالى فى سورة هود : (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى) .

وعُدْتَ فقرَّتْ عينُ مصرٍ وأصبحتْ * رياضُ القوافي في ربيعٍ مُوَشَّعِ (١)

وأدركْتَ ما تبغِي وشَيَّدْتَ آيةً * على الشاطئِ الغربيِّ في خيرِ موقعِ (٢)

يَحُفُّ بها روضٌ يُحيِّي بُدُورَها * بُكُورًا بِرَيَّا عَرْفِهِ المُتَضَوِّعِ (٣)

حِمًى يتهادَى النيلُ تحتَ ظِلالِهِ * تهادِيَ خَوْدٍ في رداءٍ مُجَزَّعِ (٤)

لقد كنتَ ترجُو منه بالأمسِ قطرةً * فدُونَكَهُ فابرُدْ غليلَكَ وانقَعِ (٥)

أميرَ القوافي قد أتيتُ مُبايِعًا * وهذي وُفودُ الشرقِ قد بايعتْ معي

فغَنِّ رُبوعَ النيلِ واعطِفْ بنظرةٍ * على ساكِني النهرينِ واصدَحْ وأبدِعِ (٦)

ولا تَنْسَ (نجدًا) إنّها منبتُ الهوى * ومَرْعَى المَهَا مِنْ سارِحاتٍ ورُتَّعِ (٧)

وحَيِّ ذُرَا (لُبنانَ) واجعلْ (لِتُونُسٍ) * نَصيبًا مِنَ السَّلْوَى وقَسِّمْ ووزِّعِ

ففي الشِّعرِ حَثُّ الطامحِين إلى العُلَا * وفي الشِّعرِ زُهْدُ الناسِكِ المُتَوَرِّعِ

وفي الشِّعرِ ما يُغْنِي عن السَّيفِ وَقْعُهُ * كما روَّعَ الأعداءَ بيتُ (لأشجعِ) (٨)

---

(١) الربيع الموشع : الموشى بألوان الزهر والنبات . (٢) يشير الى قصر شوقى الذى بناه على الشاطئ الغربى للنيل بالجيزة . (٣) الريا والعرف : الرائحة الطيبة . وبكورا ، أى فى بكرة الصباح . والمتضوع : المنتشر الرائحة . (٤) يتهادى : يمشى فى لين وخفة . والخود : الشابة الحسنة . والمجزع : المختلف الألوان . (٥) نقع ظمأه بالماء : أرواه . (٦) يريد بساكنى النهرين : أهل العراق . والنهران : دجلة والفرات . واصدح ، أى غن بالشعر . (٧) المها : بقر الوحش ، الواحدة مهاة ؛ يريد النساء اللاتى تشبهها فى سعة العيون وجمالها . و يطلب الى الشاعر أن يغنى نجدا بشعره ، كما يغنى أهل مصر .

(٨) يشير الى بيت لأشجع بن عمرو السلمى الشاعر العباسى المعروف من قصيدة يمدح بها الرشيد :

وعلى عدوّك يابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والإظلام

فاذا تنبه رعته وإذا غفا * سلت عليه سيوفك الأحلام

والمقصود هنا البيت الثانى .

وفى الشِّعْرِ إحياءُ النفوسِ وريُّها * وأنتَ لرىِّ النفسِ أعذبُ منبعِ

فنبِّهْ عقولاً طال عهدُ رقادِها * وأفئدةً شُدَّتْ إليها بأنسُعِ (١)

فقد غمرتها محنةٌ فوقَ محنةٍ * وأنتَ لها يا شاعرَ الشرقِ فادفعِ

وأنتَ بحمدِ اللهِ مازلتَ قادرًا * على النفعِ فاستنهضْ بيانَكَ وانفعِ

وخذْ بزمامِ القومِ وانزعْ بأهلِهِ * الى المجدِ والعلياءِ أكرمَ منزعِ (٢)

وقِفنا على النهجِ القويمِ فإننا * سلكنا طريقًا للهدى غيرَ مهيعِ (٣)

ملأنا طباقَ الأرضِ وجدًا ولوعةً * بهندٍ ودعدٍ والربابِ وبوزعِ

وملَّتْ بناتُ الشعرِ منا مواقفًا * بسقطِ اللوى (والرقمتينِ) (ولعلعِ) (٤)

وأقوامُنا فى الشرقِ قد طالَ نومُهم * وما كانَ نومُ الشعرِ بالمتوقَّعِ

تغيرتِ الدنيا وقد كانَ أهلُها * يرونَ متونَ العيسِ أليَنَ مضجعِ (٥)

وكانَ بريدُ العلمِ عيرًا وأينقًا * متى يُعْيِها الإيجافُ فى البيدِ تظلعِ (٦)

فأصبحَ لا يرضى البخارَ مطيةً * ولا السلكَ فى تيارِهِ المتدفعِ

(١) الأنسع : جمع نسع (بكسر النون) وهو سير من جلد تشد به الرحال . يريد وصف الأفئدة بالتقيد والأسر فى أغلال العادات القديمة . (٢) وانزع بأهله ، أى قد أهل الشرق وسر بهم .

(٣) قفنا على النهج القويم ، أى أرشدنا الى الطريق المستقيم فى أعراض الشعر . والمهيع : الطريق الواضح البين . (٤) بنات الشعر ، أى معانيه وأغراضه . و « سقط اللوى » الخ : أسماء مواضع فى بلاد العرب وردت فى شعر القدماء . (٥) متون العيس : ظهور الإبل .

(٦) العير : القافلة . والإيجاف : الإسراع . والبيد : جمع بيداء . وتظلع : تعرج فى مشيتها . يقول : كانت وسائل العلم فيما مضى السفر على ظهور الإبل التى لا تسعف راكبها .

وقد كانَ كلُّ الأَمْرِ تَصويبُ نَبْلَةٍ * فأصبَحَ بعضُ الأَمْرِ تَصويبُ مِدْفَعِ

ونحنُ كما غَنَّى الأوائِلُ لم نَزَلْ * نُغَنِّى بأَرماحٍ وبِيضٍ وأَدْرُعِ (١)

عَرَفْنا مَدَى الشيءِ القَديمِ فهَلْ مَدًى * لشيءٍ جَديدٍ حاضِرِ النَّفْعِ مُمْتِعِ (٢)

لَدَى كلِّ شَعْبٍ فى الحَوادِثِ عُدَّةٌ * وعُدَّتُنا نَدْبُ التُّراثِ المُضَيَّعِ (٣)

فيا ضَيْعَةَ الأَقْلامِ إنْ لم تُقِمْ بِها * دِعامَةَ رُكْنِ المَشْرِقِ المُتَزَعْزِعِ (٤)

أَتَمْشِى بهِ شُمُّ الأُنوفِ عُداتُه * ورَبُّ الحِمَى يَمْشِى بأَنْفٍ مُجَدَّعِ (٥)

عَزيزٌ عليهِ يا بَنِى الشَّرْقِ أنْ تُرَى * كَواكِبُه فى أُفْقِهِ غيرَ طُلَّعِ

وأَعلامُه مِنْ فَوْقِه غيرَ خُفَّقٍ * وأَقْلامُه مِنْ تَحْتِها غيرَ شُرَّعِ (٦)

وكيفَ يُوَقَّى الشَّرَّ أو يَبْلُغُ المُنَى * على ما نَرَى مِنْ شَمْلِه المُتَصَدِّعِ

فإنْ كنتَ قَوّالاً كَريماً مَقالُه * فقُلْ فى سَبيلِ النِّيلِ والشَّرْقِ أَوْ دَعِ

---

(١) يريد بالبيض : السيوف .

(٢) المدى : الغاية .

(٣) ندب التراث المضيع ، أى البكاء على ماخلفه العرب الأقدمون من مآثر ومفاخر .

(٤) الدعامة : عماد البيت . والمتزعزع : المضطرب .

(٥) شم الأنوف : وصف يقال للسادة الأعزاء . والمجدع : المقطوع ، ويقال ذلك للذليل . يقول : إن أعداء الشرق والطامعين فيه قد عزوا به وسادوا ، وأهله ذلوا به واستكانوا . ويشير بذلك الى ماجنته الامتيازات على الشرق .

(٦) الشرع : المسددة المصوبة الى الغرض .

الى المحتفلين بتكريم حافظ

بيتان قالها فى المأدبة التى أقامها بعض أدباء الغرب فى (جروبى) لتكريمه هو (وشوقى) (ومطران)

[نشرت فى ٣١ ينـاير ســـنة ١٩٢٨ م]

قَـدْ قَرَأنا كُمُ⁽¹⁾ فَهِشْتُ نُهـانَا * فَاقْتَبَسْنَا نُورًا يُضِىءُ السَّبِيلَا

فَاقْرَأُونا ومَنْ لنا أَنْ تُصِيبُوا * بَيْنَ أَفْكَارِنا شُـعاعًا ضَئِيلَا

تحيــة لجمعية المرأة الجــديدة

[نشرت فى ١٢ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

إليكُنَّ يُهْدِى النِّيـلُ أَلْفَ تَحِيَّــةٍ * مُعَطَّــرَةٍ فى أَسْـطُرٍ عَطِــراتِ

ويُثْنِى عَــلى أَعْمالِكُنَّ مُوَكِّلِى⁽²⁾ * بإطْراءِ أَهْــلِ الــبِرِّ والحَسَناتِ

أَقَمْتُنَّ بالأَمْسِ الأَساسَ مُبارَكًا * وجِئْتُنَّ يــومَ الفَتْــحِ مُغْتَبِطاتِ

صَنَعْتُنَّ ما يُعْيِــى الرِّجالَ صَنِيعُــهُ * فزِدْتُنَّ فى الخَيْراتِ والبَرَكاتِ

يقولون: نِصْفُ النَّاسِ فى الشَّرقِ عاطِلٌ * نِساءٌ قَضَيْنَ العُمْـرَ فى الحُجُـراتِ

وهٰــذِى بَناتُ النِّيـلِ يَعْمَلْنَ للنُّهَى * ويَغْــرِسْنَ غَرْسًـا دانِىَ الثَّمَـراتِ

---

(١) قرأنا كم، أى قرأنا ما أنشأتموه من نظم ونثر.

(٢) موكلى، أى أن النيل قد أنابه عنه فى إبلاغهن ثناءه عليهن وشكره لهن.

وفى السَّنَةِ السَّوداءِ كنتنّ قُدْوَةً (١) * لنا حِينَ سالَ المَوْتُ بالمُهَجاتِ

وَقَفْتُنّ فى وَجْهِ الخَمِيسِ مُدَجَّجًا (٢) * وكُنْتُنّ بالإيمانِ مُعْتَصِماتِ

وما هالَكُنّ الرُّمْحُ والسَّيْفُ مُصْلَتًا (٣) * ولا المِدْفَعُ الرَّشّاشُ فى الطُّرُقاتِ

تَعَلَّمَ منكنّ الرجالُ فأصْبَحُوا * على غَمَراتِ المَوْتِ أَهْلَ ثَباتِ

(صَفِيّةُ) قادَتْكُنّ للمَجْدِ والعُلا (٤) * كما كان (سَعْدٌ) قائدَ السَّرَواتِ

عَرَفْنا لها فى مَجْدِ (سَعْدٍ) نَصِيبَها * مِنَ الحَزْمِ والإقْدامِ فى الأَزَماتِ

تُهَوِّنُ للشَّيْخِ الجَليلِ هُجُومَه * على الهَوْلِ بالتشجيعِ والبَسَماتِ

وتَدْفَعُه للمَوْتِ والثَّغْرُ باسِمٌ (٥) * وفى صَدْرِها نَوْءٌ مِنَ الزَّفَراتِ

كذا فَلْيَكُنْ صُنْعُ الكَرِيمِ وصَبْرُه (٦) * على دَهْرِه والدَّهْرُ غيرُ مُواتِى

لِتَحْىَ الغَوانِى فى ظِلالِ مَليكَةٍ * سَمَتْ فى مَعالِيها على المَلِكاتِ

وظَلَّ (فُؤادٌ) مَفْخَرَ الشَّرْقِ كلِّه * كَثِيرَ الأيادِى صادِقَ العَزَماتِ

---

(١) يريد بالسنة السوداء: سنة ١٩١٩ م التى احتدمت فيها نار الثورة الوطنية، وقد أخذ السيدات المصريات من الجهاد فيها بنصيب وافر. (٢) الخميس: الجيش. والمدجج: لابس السلاح. ويشير بهذا البيت وما بعده الى مظاهرة السيدات التى تعرض لها الجنود أيام اشتعال الثورة الوطنية، وثبت السيدات لهم ولم يتفرقن؛ وقال حافظ فى هذه الحادثة قصيدته المعروفة التى أوّلها:

خرج الغوانى يحتججـ * ـن ورحت أرقب جمعهنّه

(٣) المصلت: المجرد من غمده. (٤) سروات الناس: أشرافهم.

(٥) نوء من الزفرات، أى ثقل منها تنوء باحتماله. (٦) المواتى: الموافق.

إلى محمد حسين هيكل بك وخليل مطران بك

قالها فى مناظرة كانت بين هيكل ومطران فى مدرّج كلية الآداب ، موضوعها :

" هل الأدب العربى قديمه وحديثه يكفى وحده لتكوين الأديب ؟ "

[نشرت فى ١٨ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

سَمَا الخَطِيبانِ فى ٱلمَعالِى * وجازَ شأْوَاهُما السِّماكا (١)

جالَا فلَمْ يَتْرُكا مَجالًا * واعْتَرَكا بالنُّهَى عِراكا (٢)

فَلَسْتُ أدْرِى على ٱخْتِبارِى * مَنْ مِنْهُما جَلَّ أنْ يُحاكَى

فوَحْىُ عَقلى يقُولُ : هٰذا * ووَحْىُ قَلْبى يقُولُ : ذَاكا

وَدِدْتُ لو كلُّ ذِى غُرُورٍ * أمْسَى لِنَعْلَيْهِما شِراكا (٣)

تحيــة الشــام

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لسماع هذه القصيدة بالجامعة الأمريكية ببيروت

[نشرت فى ٢ يونيه سنة ١٩٢٩م]

حَيَّا بَكُورُ الحَيَا أرْباعَ لُبْنانِ * وطالَعَ اليُمْنُ مَنْ بالشَّامِ حَيَّانى (٤)

أهلَ الشَّآمِ لقد طَوَّقْتُمُ عُنُقِى * بِمِنَّةٍ خَرَجَتْ عن طَوْقِ تِبْيانى (٥)

---

(١) الشأو : الغاية . والسماك : أحد كوكبين نيرين يقال لأحدهما : السماك الرامح ، وللآخر : السماك الأعزل . (٢) النهى : العقول ، الواحدة نهية . (٣) شراك النعل : سيره الذى يكون على ظهر القدم ، وهو مثل فى القلة . (٤) بكور الحيا : المطر المبكر . والأرباع : المنازل الواحد ربع . وطالعه : طلع عليه . واليمن : البركة والخير . (٥) الطوق : الطاقة والجهد .

قُل للكَريمِ الّذى أَسْدَى إلىّ يَدًا * أَنّى نَزَحْتَ فأنتَ النازحُ الدّانى (١)

ما إنْ تقاضَيْتُ نَفسِى ذِكْرَ عارِفَةٍ * هل يَحْدُثُ الذِّكْرُ إلّا بَعْدَ نِسيانِ (٢)

ولا عَتَبْتُ على خِلٍّ يَضِنُّ بها * ما دامَ يَزْهَدُ فى شُكْرِى وعِرْفانى (٣)

أَقَرَّ عَيْنِىَ أنّى قُمْتُ أُنْشِدُكُمْ * فى مَعْهَدٍ بِحُلَى العِرْفانِ مُزْدانِ

وشاعَ فىَّ سُرُورٌ لا يُعادِلُهُ * رَدُّ الشَّبابِ الى شَعْرِى وجُثْمانِى

لِى مَوْطِنٌ فى رُبُوعِ النِّيلِ أَعْظِمُهُ * ولِى هُنا فى حِماكُمْ مَوْطِنٌ ثانِى

إنّى رأيتُ على أَهْرامِها حُلَلًا * مِنَ الجَلالِ أَراها فَوْقَ (لُبْنانِ)

لَمْ يَمْحُ مِنها ولا مِنْ حُسْنِ جِدَّتِها * على التَّعاقُبِ ما يَمْحُو الجَدِيدانِ (٤)

حَسِبْتُ نَفسِى نَزِيلًا بينكُمْ فإذا * أَهْلِى وصَحْبِى وأَحبابِى وجِيرانِى

مِنْ كُلِّ أَبْلَجَ سامِى الطَّرْفِ مُضْطَلِعٍ * بالخَطْبِ مُبْتَهِجٍ بالضَّيْفِ جَذْلانِ (٥)

يَمْشِى الى المَجْدِ مُخْتالًا ومُبْتَسِمًا * كأنّه حِينَ يَبْدُو عُودُ مُرّانِ (٦)

---

(١) أسدى : بذل وأعطى . واليد : المعروف والجميل . ونزح : بعد ؛ أى أنت اذا بعدت عنا بجسمك ، قريب بتذكرنا لأياديك علينا .

(٢) تقاضى : طلب . والعارفة : المعروف . يريد أنه ما طلب الى نفسه يوما أن تتذكر جميلا أسدى إليها ، فهى دائما تذكره ولا تنساه ، ولا يتذكر الإنسان شيئا إلا بعد نسيانه .

(٣) يضن بها ، أى بالعارفة . وعرفانى ، أى معرفتى .

(٤) الجدة : ضدّ القدم . والجديدان : الليل والنهار ، ولا يفردان ، فلا يقال للواحد منهما : الجديد .

(٥) الأبلج : الطلق الوجه . وسامى الطرف : مرتفعه ، أى طموح الى المعالى . واضطلع بالأمر : نهض به . والجذلان : الفرح .

(٦) المران : الرماح اللدنة ، الواحدة مرانة . شبهه بالرمح فى استقامة القامة .

(١)
سَكَنْتُمُ جَنَّةً فَيْحاءَ ليس بها * عَيْبٌ سِوَى أنّها فى العالَمِ الفانِى
(٢)
إذا تأمّلْتَ فى صُنْعِ الإله بها * لم تَلْقَ فى وَشْيِهِ صُنْعًا لإنسانِ
(٣)
فى سَهْلِها وأعالِيها وسَلْسَلِها * بُرْءُ العَلِيلِ وسَلْوَى العاشِقِ العانِى
(٤)
وفى تَضَوُّعِ أنْفاسِ الرِّياضِ بها * رَوْحٌ لكلِّ حَزِينِ القَلْبِ أَسْوانِ
(٥)
أنَّى تَخَيَّرْتَ مِنْ (لُبْنانَ) مَنْزِلَةً * فى كلِّ مَنْزِلَةٍ رَوْضٌ وعِيْنانِ
(٦)
يالَيْتَنِى كنتُ مِنْ دُنْيايَ فى دَعَةٍ * قَلْبِي جَمِيعٌ وأمْرِى طَوْعِ وِجْدانِى
(٧)
أَقْضِى المَصِيفَ بلُبْنانٍ على شَرَفٍ * ولا أحُولُ عَنِ المَشْتَى (بحُلْوانِ)
(٨)
يا وَقْفَةً فى جِبالِ الأرْزِ أَنْشُدُها * بينَ الصَّنَوْبَرِ والشَّرْبِينِ والبانِ
(٩)
تَسْتَهْبِطُ الوَحْىَ نَفْسِى مِنْ سَماوَتِها * ويَنْثَنِى مَلَكًا فى الشِّعْرِ شَيْطانِى
(١٠)
عَلَّ أُجاوِدُكُم فى القَوْلِ مُقْتَدِيًا * بشاعِرِ الأرْزِ فى صُنْعٍ وإتْقانِ

---

(١) الفيحاء : الواسعة . (٢) الوشى : نمنمة الثوب ونقشه وتحسينه ، شبه به اختلاف الألوان فى الزهر والنبات . (٣) السلسل : الماء العذب السلس السهل . والعانى : المعذب . (٤) التضوع : انتشار الرائحة . والروح : الراحة والرحمة . والأسوان : الحزين . (٥) «فى كل» جواب «أنى» الشرطية . (٦) الدعة : السكون والراحة . وجميع ، أى غير متفرق ولا مشتت الشئون . (٧) الشرف : المرتفع من الأرض .

(٨) جبال الأرز : مرتفعات لبنان . والأرز : شجر معروف بها ، وكذلك الصنوبر . والشربين : شجر كالسرو إلا أنه أشدّ حمرة وأزكى رائحة وأعرض ورقا وأصغر ثمرا . والبان : شجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانة ، وبه تشبه القدود . (٩) من سماوتها ، أى من أعلى هذه الجبال . (١٠) جاوده فى القول ، أى باراه فى جودته . ويريد «بشاعر الأرز» : خليل مطران بك .

(١)
لا بِدْعَ إنْ أَخصَبَتْ فيها قرائحُكُمْ * فأعجَزَتْ وأعادتْ عهدَ (حَسّانِ)

طِيبُ الهَواءِ وطِيبُ الرَّوْضِ قد صَقَلا * لَوْحَ الخَيالِ فأَغْراكُمْ وأَغْراني

(٢)
مَنْ رامَ أَنْ يَشْهدَ الفِرْدَوْسَ ماثِلةً * فلْيَغْشَ أَحْياءَكُمْ في شَهْرِ نَيْسانِ

(٣)
تاهَتْ بِقَبْرِ (صَلاحِ الدِّينِ) تُرْبَتُها * وتاهَ أَحْياؤُها تِيهاً (بِمَطْرانِ)

يَبْني ويَهْدِمُ في الشِّعْرِ القَديمِ وفي الشِّعْرِ الحَديثِ فنِعْمَ الهادِمُ الباني

(٤)
اذا لَمَحْتُمْ بِشِعْري وَمْضَ بارِقَةٍ * فبَعْضُ إحْسانِه في القَوْلِ إحْساني

رَعْياً لشاعِرِكُمْ، رَعْياً لكاتِبِكُمْ * جَزاهُما اللهُ عَنّي ما يَقُولانِ

(٥)
أَرَى رِجالاً مِنَ الدُّنيا الجَديدَةِ في الدُّنيا القَديمَةِ تَبْني خَيْرَ بُنْيانِ

قَدْ شَيَّدُوا آيةً بالشّامِ خالِدَةً * شَتّى المَناهِلِ تَرْوِي كُلَّ ظَمْآنِ

(٦)
لَئِنْ هَدَوْكُمْ لقَدْ كانَتْ أَوائلُكُمْ * تَهْدِي أَوائلَهُمْ أَزْمانَ أَزْمانِ

(٧)
لا غَرْوَ انْ عَمَرُوا في الأَرْضِ وابْتَكَرُوا * فيها أَفانِينَ إصْلاحٍ وعُمْرانِ

---

(١) يريد بحسان : حسان بن ثابت الأنصارى الشاعر المعروف .

(٢) نيسان (بالفتح) : شهر من شهور السنة المسيحية ، وهو يقابل أبريل .

(٣) يريد بصلاح الدين : الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية بمصر ، وبطل الحروب الصليبية المعروف ، وكانت وفاته بدمشق سنة ٥٨٩ هـ . ويريد بمطران : خليل مطران بك الشاعر المعاصر المشهور .

(٤) الومض : اللمعان .

(٥) يريد « بالدنيا الجديدة » : أمريكا . و« بالبنيان » : الجامعة الأمريكية ببيروت التى أنشد فيها الشاعر قصيدته هذه .

(٦) يشير الى فضل الشرق قديما على العالم . ويريد بقوله : « أزمان أزمان » : الإمعان فى القدم .

(٧) لا غرو : لا عجب . والأفانين : الضروب الواحد أفنون (بالضم) .

فتلك دنياهم فى الجو قد نزعت * أعنة الريح من دنيا سليمان (١)

أبت أمية أن تفنى محامدها * على المدى وأبى أبناء غسان (٢)

فمن غطارفة فى (جلق) نجب * ومن غطارفة فى أرض (حوران) (٣)

عافوا المذلة فى الدنيا فعندهم * عز الحياة وعز الموت سيان (٤)

لا يصبرون على ضيم يحاوله * باغ من الإنس او طاغ من الجان

شققت أسواق (بيروت) فما أخذت * عيناى فى ساحها حانوت يونانى

فقلت فى غبطة : لله درهم * ليس الفلاح لوان غير يقظان

تيمموا أرض كولمب فما شعرت * منهم بوطء غريب الدار حيران (٥)

سادوا وشادوا وأبلوا فى مناكبها * بلاء مضطلع بالأمر معوان (٦)

ان ضاق ميدان سبق من عزائمهم * صاحت بهم فأروها ألف ميدان (٧)

---

(١) الأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . وسليمان ، هو سليمان بن داود عليهما السلام . ويشير بهذا الى تفوق الأمريكيين فى الطيران . (٢) الغسانيون : أمراء تخوم الشام قديما من العرب ، وكانت لهم فيها حضارة ، ثم كان الشأم ملك بنى أمية ، وكانت دمشق دار خلافتهم نحو تسعين عاما ، و إلى هاتين الدولتين يشير الشاعر .

(٣) الغطارفة : الأشراف والسادة ، الواحد غطريف (بالكسر) . وجلق (بكسرتين وتشديد اللام) اسم لكورة الغوطة كلها ؛ أو هى دمشق نفسها . وحوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع . (٤) عافوا : أبوا وكرهوا . (٥) تيمموا : قصدوا . وأرض كولمب : أمريكا ، نسبة الى كاشفها كريستوف كولمب . يشير الى هجرة الشاميين إليها واستيطانهم لها حتى أصبحوا كأنهم من أهلها . (٦) ابلوا فى مناكبها : جدوا واجتهدوا فى نواحيها : ومضطلع بالأمر : ناهض به قوى عليه والمعوان (بالكسر) : الحسن المعونة الكثيرها .

(٧) الضمير فى « صاحت » يعود على عزائمهم .

لا يستشيرون إن همّوا سوى هِمَمٍ * تأبى المُقامَ على ذُلٍّ وإذعانِ

ولا يبالون إن كانت قبورهمُ * ذُرَا الشَّوامخ أو أجواف حِيتانِ (١)

فى الكون مورقهم فى الشام مغرسهم * والغرس يزكو نقالا بين بلدان (٢)

إن لم يفوزوا بسلطانٍ يقرّهمُ * ففى المُهاجَرِ قد عزّوا بسلطانِ (٣)

أو ضاقت الشامُ عن برهان قدرتهم * ففى المُهاجَرِ قد جاءوا ببرهانِ

إنا رأينا كراماً من رجالهمُ * كانوا عليهم لدينا خيرَ عنوانِ

أنّى التقينا التقى فى كلّ مجتمعٍ * أهلٌ بأهلٍ وإخوانٌ بإخوانِ

كم فى نواحى ربوع النيل من طُرَفٍ * (لليازجىّ) و (صرّوفٍ) و (زيدانِ)

وكم لأحيائهم فى الصحف من أثرٍ * له (المقطّمُ) و (الأهرامُ) ركنانِ (٤)

متى أرى الشرقَ أدناه وأبعدَه * عن مطمع الغرب فيه غيرَ وسنانِ (٥)

تجرى المودّةُ فى أعراقه طُلُقاً * بجرية الماء فى أثناء أفنانِ (٦)

---

(١) ذرا الشوامخ : أعالى الجبال . (٢) مورقهم ، أى حيث آثارهم النضرة وأعمالهم الناجحة ؛ وهو من ورق الشجر يرق (وزان وعد يعد) ، أى ظهر ورقه . يقول : إن آثارهم الباهرة وأعمالهم الموفقة فى مختلف نواحى العالم ، وموطنهم الذى نشأوا فيه بلاد الشأم . ويزكو : ينمو . شبههم بالغرس الذى يستفيد من تغيير بيئته وتربته قوة ونماء . (٣) المهاجر (بالضم وفتح الجيم) : اسم المكان من هاجر .

(٤) المقطم والأهرام : صحيفتان مصريتان معروفتان أصحابهما من إخواننا اللبنانيين .

(٥) الوسنان : النائم .

(٦) طلقا : منطلقة . والأفنان : الأغصان ، الواحد فنن بالتحريك . والذى فى نسخة الديوان أفناء أفنان ؛ ولم نجد لقوله « أفناء » معنى يناسب سياق البيت . وقد أثبتناها بالثاء مكان الفاء نقلا عن الشاعر نفسه .

لا فرق ما بين بوذىّ يعيش به * ومسلم ويهودىّ ونصرانى

ما بال دنياه لما فاء وارفها * عليه قد أدبرت من غير إيذان (١)

عهد (الرشيد) (ببغداد) عفا ومضى * وفى (دمشق) انطوى عهد (ابن مروان) (٢)

ولا تسل بعده عن عهد (قرطبة) * كيف انمحى بين أسياف ونيران (٣)

فعلموا كل حىّ عند مولده : * عليك لله والأوطان دينان

حتم قضاؤهما، حتم جزاؤهما * فاربأ بنفسك أن تمنى بخسران (٤)

(النيل) وهو إلى (الأردن) فى شغف * يهدى الى (بردى) أشواق ولهان (٥)

وفى (العراق) به وجد (بدجلته) * و(بالفرات) وتحنان (لسيحان) (٦)

إن دام ما نحن فيه من مدابرة * وفتنة بين أجناس وأديان (٧)

رأيت رأى (المعرى) حين أرهقه * ما حل بالناس من بغى وعدوان (٨)

---

(١) فاء وارفها : أقبل خيرها ونعيمها . والوارف : الظل المنتشر المتسع . والإيذان : الإعلام .

(٢) يشير الى عهد بغداد الحافل أيام الرشيد من (سنة ١٧٠ هـ) (سنة ٧٨٦ م) الى (سنة ١٩٣ هـ) (سنة ٨٠٩ م) والى عهد دمشق الزاهر أيام بنى أمية ؛ وقد بقيت فيها الخلافة ٩٠ عاما من (سنة ٤١ هـ) (سنة ٦٦١ م) الى سنة (١٣٢ هـ) (سنة ٧٥٠ م) .

(٣) قرطبة : بلد معروف بالأندلس . ويريد بعهدها : دولة العرب بها .

(٤) يقال : إنى أربأ بك عن هذا الأمر ، أى أرفعك عنه ولا أرضاه لك . وتمنى : تصاب .

(٥) الأردن : نهر معروف بالشام ، يصب فى البحر الميت . وبردى (بالتحريك) : نهر بدمشق .

(٦) دجلة والفرات : نهران معروفان فى العراق يصبان فى الخليج الفارسى . ويريد «بسيحان» : نهر سيحون فى آسيا الوسطى الروسية الذى يصب فى بحر آرال .

(٧) المدابرة : المقاطعة .

(٨) أرهقه : آذاه . والمعرى ، هو أبو العلاء المعرى الشاعر المعروف .

لاتَطْهُرُ الأَرْضُ مِنْ رِجْسٍ ومِنْ دَرَنٍ * حتَّى يُعاوِدَها (نُوحٌ) بِطُوفانِ (١)

وَلَّى الشَّبابُ وجازَتْنِي فُتُوَّتُه * وهَدَّمَ السُّقْمُ بَعْدَ السُّقْمِ أَرْكانِي (٢)

وقد وَقَفْتُ على السِّتِّينَ أَسْأَلُها * أَسُوفَتْ أم أَعَدَّتْ حُرَّ أَكْفانِي (٣)

شاهَدْتُ مَصْرَعَ أَتْرابِي فبَشَّرَنِي * بِضَجْعَةٍ عندها رَوْحِي ورَيْحانِي (٤)

كم مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فأَوْجَعَنِي * وكَمْ عَزِيزٍ مَضَى قَبْلِي فأَبْكانِي

مَنْ كانَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمِي فإنَّهُمُ * وَلَّوْا سِراعًا وخَلَّوْا ذلِكَ الوانِي (٥)

إِنِّي مَلِلْتُ وُقُوفِي كُلَّ آوِنَةٍ * أَبْكِي وأَنْظِمُ أَحْزانًا بأَحْزانِ

إذا تَصَفَّحْتَ دِيوانِي لِتَقْرَأَنِي * وَجَدْتَ شِعْرَ المَراثِي نِصْفَ دِيوانِي

أَتَيْتُ مُسْتَشْفِيًا والشَّوْقُ يَدْفَعُ بِي * إلى رُباكُمْ وعُودِي غيرُ فَيْنانِ (٦)

فأَنْزَلُونِي مَكانًا أَسْتَجِمُّ به * ويَنْجَلِي عن فُؤادِي بَرْحُ أَحْزانِي (٧)

وجَنَّبُونِي على شُكْرٍ مَوائِدَكُمْ * بِما حَوَتْ مِنْ أَفاوِيهٍ وأَلْوانِ (٨)

حَسْبِي وحَسْبُ النُّهَى ما نِلْتُ مِنْ كَرَمٍ * قد كِدْتُ أَنْسَى به أَهْلِي وخُلَّانِي

---

(١) الرجس : النجس . والدرن : الدنس . ونوح ، هو نوح النبي عليه السلام ؛ وقصة الطوفان في عهده معروفة ، ورد ذكرها في القرآن . ويشير بهذا البيت الى قول أبي العلاء :

والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل

(٢) جازتني : خلفتني وتركتني . (٣) حر كل شيء : خالصه . (٤) الروح : الراحة .

(٥) الواني ؛ أي المتأخر عنهم . (٦) غير فينان ، يريد أن عوده ذابل ذاو . والفينان من النبات : ما طال منه وحسن .

(٧) استجم : استريح . والبرح : الأذى والسقم .

(٨) يريد «بالأفاويه» : التوابل .

تهنئة محمد محمود باشا

بلقب دكتور الشرف فى الحقوق الذى منحته إياه جامعة أكسفورد، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك

[نشرت فى ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩م]

شَرَفُ الرِّآسَةِ يا مُحَمَّـ * ـدُ زانَه شَرَفُ النُّهَى

بُرْدانِ مِنْ نَسْجِ الجَلا * لِ إليهما الفَخْرُ انْتَهَى

جَعَلا مَقَرَّكَ يا مُحَمَّـ * ـدُ فَوْقَ أَكْنافِ السُّهَى (١)

زانَتْكَ أَلْقابُ الرِّجا * لِ العامِلِين وزِنْتَها

أُمْنِيَّةٌ قَدْ نِلْتَها * أَمَلُ الخُلُودِ ونِلْتَها

فاسْلُكْ سَبِيلَكَ فى الجِها * دِ مُوَفَّقًا ومُنَزَّها

واحْفَظْ لِمِصْرَ حُقُوقَ مِصْـ * ـرَ فأَنْتَ فى الجُلَّى لَها (٢)

إلى الدكتور على ابراهيم بك (باشا)

قالها وقد عمل الدكتور عملية لصاحب الدولة محمد محمود باشا

[نشرت فى ٢٥ يوليه سنة ١٩٣٠م]

أيا يَدًا قَدْ خَصَّها رَبُّها * بآيةِ الإعْجازِ فى الخَلْقِ

وَمِشْرَطًا جُمِّعَ مِنْ رَحْمَةٍ * وصِيغَ مِنْ يُمْنٍ ومِنْ رِفْقِ

نَجَّيْتُما مِنْ مَرَضٍ قاتِلٍ * مَطْلَعَ آمالِ بَنِي الشَّرْقِ

---

(١) السهى : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى . (٢) الجلّى : ما جل من الشدائد .

لَوْلاكُمَا لَانْدَكَّ صَرْحُ العُلَا * وَٱنْحَدَرَ البَدْرُ عَنِ الأُفُقِ

وباتَتِ الأَخْلاقُ فى حَسْرَةٍ * على نَبِيلِ النَّفْسِ والخُلْقِ

صانَكُما اللهُ لِبُرْءِ الوَرَى * وصانَهُ للعُرْفِ (١) والحَقِّ

وقال فيه أيضا :

(ارتجلهما فى حفل أقيم لتكريمه سنة ١٩٣٠م)

قُلْ للطَّبِيبِ الَّذِى تَعْنُو الجِراحُ له * ماذا ٱعتَدَدْتَ لِجُرْحِ العاشِقِ العانِى (٢)

قد كانَ مِبْضَعُهُ والجُرْحُ يَرْمُقُهُ * يُمْنَى الحَبِيبِ تُواسِى صَدْرَ وَلْهَانِ (٣)

الى المستشار محمود غالب (٤) بك
والأستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة المصرية

[نشرت فى ٣١ مارس سنة ١٩٣٢م]

قد رَاعَ دَارَ العَدْلِ طُغْـ * ـيانٌ ورَاعَ الجامِعَةْ

فَحَمَيْتُمَا حَرَمَيْهِمَا * رَغْمَ الخُطُوبِ الفاجِعَةْ

---

(١) العرف : الخير والجود . (٢) تعنو : تخضع وتذل . واعتددت ، أى أعددت . والعانى : الأسير . (٣) المبضع : المشرط . (٤) يشير الشاعر بهذه القصيدة الى حادثتين : إحداهما ، أن محمود بك غالب (محمود باشا الآن) المستشار بمحكمة الأستئناف كان رئيسا لإحدى دوائر محكمة الجنايات ، وقد عرضت على الدائرة التى يرأسها قضية القنابل المعروفة ، اتهم فيها جماعة بالقاء القنابل على بيوت بعض الكبراء ، واستمر غالب بك ينظر هذه القضية ثلاث جلسات ، فلما كانت الجلسة الرابعة يوم ٢٢ مارس سنة ١٩٣٢ تنحى عن النظر فيها ، وقال : إنه يرى من الحكمة أن يمسك عن ذكر الأسباب التى حملته على هذا التنحى ، وإنه لم يخضع فى هذا إلا لسلطان ضميره . والثانية ، أن الأستاذ أحمد لطفى السيد بك (لطفى السيد باشا الآن) مدير الجامعة كان قد استقال من منصبه فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢م لنقل الدكتور (طه حسين) عميد كلية الآداب الى وزارة المعارف بدون رضاه ، ودون رضا الجامعة .

وقهرتما الباغي على * ردّ الحقوق الناصعة (١)

لله درّ المستشا * ر ودرّ ذاك الباقعة (٢)

فهما اللذان تكفّلا * عنّا بصدّ القارعة

نظر الحياد بعينه (٣) * فى الناس هول الواقعة

أمنى المحايد (٤) أن يرى * مصر العزيزة ضارعة

كذب الحياد فلن تكو * ن جهود مصر ضائعة

فالحقّ لا تلوى (٥) به * تلك السيوف اللامعة

أصبحت أسأل خاطرى * والنفس منّى جازعة

أنعيش تحت الليل أم * تحت الشموس الساطعة

الى الدكتور طه حسين

أنشدهما فى حفل أقيم للدكتور بفندق مينا هاوس من طلبة الجامعة بعد فصله من منصبه

[نشرا فى ٧ أبريل سنة ١٩٣٢ م]

قد أجدبت دار الحجا والنهى (٦) * بعدك من آرائك النافعة

وأخصبت أرجاء مصر بمن * صيّر مصرا كلها جامعة

---

(١) الناصعة، أى الظاهرة التى لاتسع أحدا نكرانها. (٢) الباقعة: الذكى العارف، الذى لا يفوته شىء ولا يدهى. (٣) كنى «بالحياد» عن الإنجليز، لأنهم كانوا فى هذا العهد يدعون أنهم على الحياد فى الشؤون الداخلية فى مصر، وأن المسئولية كلها على الوزراء المصريين. (٤) ضارعة: ذليلة. (٥) ألوى بالشيء: ذهب به. (٦) يريد «بدار الحجا والنهى»: الجامعة المصرية.

تهنئة المغفور له جلالة الملك فؤاد بعيد جلوسه

أَرَأَيْتَ رَبَّ التاجِ فى * عيدِ الجُلُوسِ وقد تَبَدَّى (١)

وشَهِدْتَ جِبْرِيلا يَمُـ * ـدُّ عليه ظِلَّ اللهِ مَدّا

ونَظَرْتَ تَطْوَافَ القُلُو * بِ بساحةِ العَرْشِ المُفَدَّى

وسَمِعْتَ تَسْبِيحَ الوُفُو * دِ بِحَمْدِه وَفْدا فوفْدا

هـذا ابنُ إسْماعِيلَ ر * بُّ النِّيلِ مَنْ أغْنَى وأَسْدَى (٢)

النِّيلُ يَجْرِى تَحْتَهُ * فيَخُدُّ وَجْهَ الأَرْضِ خَدّا (٣)

يَهَبُ النُّضارَ كأنّه * مِنْ فَيْضِ جَدْواه اسْتَمَدّا (٤)

وكأنّما هُوَ عالِمٌ * بالكِيمياءِ أَصابَ جَدّا (٥)

يَدَعُ الثَّرَى تِبْرًا فهَلْ * شَهِدَ الوَرَى للنِّيلِ نِدّا

الناسُ يومَ جُلوسِهِ * يَسْتَقْبِلُونَ العَيْشَ رَغْدا

أنَّى سَلَكْتَ سَمِعْتَ أَدْ * عِيَةً له وسَمِعْتَ حَمْدا

عِشْ يا (أَبَا الفارُوقِ) والْـ * ـبَسْ مِنْ نَسِيجِ الحَمْدِ بُرْدا

ها صَوْلَجانَ المُلْكِ مِنْ * شَجَرِ الجِنانِ إليكَ يُهْدَى (٦)

---

(١) تبدى : بدا وظهر . (٢) أسدى : أعطى . (٣) يخد : يشق .

(٤) النضار : الذهب . والجدوى : العطية والمعروف . (٥) الجد : الحظ .

(٦) الصولجان : العصا المنعطفة الرأس ؛ والجمع صوالجة ؛ وهو لفظ فارسى معرب ؛ ويقال : صولجان الملك ، لأن الملوك قديما كانوا يتخذونه شعارا للملك .

حُدّث عُلاَ صِيدِ المُلُو * كِ ولا أَرى لعُلاكَ حدّا (١)

فَآبنِ الرِّجالَ بِنَايةً * يَشْقَى العَدُوُّ بها ويُردَى (٢)

وَٱضرِبْ بِسَوْطِ البَأْسِ أَعْـ * طافَ الزَّمانِ إذا ٱستَبَدَّا (٣)

أَىُّ المُلُوكِ أَجلُّ منْـ * ـكَ مَكانةً وأعزُّ جُنْدا ؟

مَنْ مِنهمُ كَفّاه يو * مَ البَذْلِ مِنْ كَفَّيْكَ أَنْدَى ؟ (٤)

مَنْ مِنهمُ نامتْ رَعِيْـ * ـيَتُهُ وقامَ الليلَ سُهْدَا ؟

مَنْ مِنهمُ ساماكَ أوْ * سامَى جَلالَكَ أو تَحَدَّى ؟ (٥)

مَنْ مِنهمُ أوفَى حِجًا * وحَصافَةً وأَبرُّ وَعْدا ؟ (٦)

فى الشَّرقِ فانظرْ هلْ تَرَى * حَسَبًا (كإسْماعيلَ) عُدَّا ؟

هٰذِى (الجَزِيرةُ) و(العِرا * قُ) (وفارِسٌ) يَهْدُدْنَ هَدّا (٧)

وإليكَ (مَكَّةَ) هلْ تَرَى * أَحَدًا بِها وإليكَ (نَجْدا)

وإليكَ (تُونُسَ) و(الجَزا * ئِرَ) قد لَبِسْنَ العَيْشَ نَكْدا

لمْ يَرتفِعْ فى الشَّرقِ تا * جٌ فوقَ تاجِ (النِّيلِ) مَجْدا

جَدَّدْتَ عَهْدَ (الرَّاشِدِيـ * ـنَ) تُقًى وإحْسانًا وزُهْدا

وتَرَى عَلَيْكَ مَخايِلَ الـ * ـخُلَفاءِ إنْصافًا ورُشْدا

---

(١) الصيد: جمع أصيد، وهو المتكبر المزهو. (٢) يردى: يهلك. (٣) الأعطاف: الجوانب، الواحد عطف (بالكسر). (٤) أندى: أسخى. (٥) ساماك، أى غالبك فى السمو. وتحداك: نازعك الغلبة. (٦) الحجا: العقل. والحصافة: جودة الرأى. (٧) يهددن هدا، أى ان أركان العمران تتداعى فيها.

جَلَّتْ صِفاتُكَ، كَمْ مَحَوْ * تَ أَسًى وكَمْ أَوْرَيْتَ زَنْدا (١)

أَعْطَيْتَ لا مُتَرَبِّحًا * أو مُخْفِيًا في الجُودِ قَصْدا (٢)

رَوَّيْتَ أَفْئِدَةَ الرَّعِيَّـ * ـةِ مِنْ هَواكَ فكيفَ تَصْدَى (٣)

ومَلَكْتَهُنَّ كما مَلَكْـ * ـتَ زِمامَ (مِصْرَ) أبًا وجَدّا (٤)

فإذا نَهَيْتَ فطاعَةٌ * وإذا أَمَرْتَ فلا مَرَدّا

أَعْطَوْكَ طاعةَ مُخْلِصٍ * ومَنَحْتَهُمْ عَطْفًا ووُدّا

أَوْضَحْتَ لِلْمِصْرِيِّ نَهْـ * ـجَ صَلاحِهِ فسَعَى وجَدّا (٥)

أَعْدَدْتَهُ وكَفَلْتَهُ * ورَعَيْتَهُ حتّى اسْتَعَدّا

ودَعَوْتَهُ أنْ يَسْتَرِدَّ * فَخارَ مِصْرٍ فاسْتَرَدّا

ورَدَ الحَياةَ عَزيزةً * فنَجا وكانَ المَوْتُ وِرْدا

وحَمَى الكِنانَةَ بَعْدَ ما * حَفَرَتْ لها الأَطْماعُ لَحْدا

فَتَّحْتَ أَعْيُنَنا فأَبْـ * ـصَرْنَ الضِّياءَ وكُنَّ رُمْدا (٦)

وأَقَمْتَ جامِعَةً بِمِصْـ * ـرَ تَشُدُّ أَزْرَ العِلْمِ شَدّا (٧)

كَمْ سَيِّدٍ بِالعِلْمِ كا * نَ بِرَغْمِهِ لِلجَهْلِ عَبْدا (٨)

---

(١) الأسى: الحزن. وإيراء الزند: كناية عن إغاثة الملهوف وإجابة السائل. والأصل في إيراء الزند، استخراج ناره. (٢) لا متربحا، أي غير مترقب من وراء معروفك وإعطائك نفعا لك. (٣) تصدى: تظمأ. (٤) الزمام (بالكسر): ما تقاد به الدابة. (٥) النهج: الطريق. وجد: اجتهد. (٦) الرمد: المصابة بالرمد، الواحدة رمداء. وكنى بذلك عن الجهل. و «بالضياء» عن العلوم والمعارف. (٧) تشد أزر العلم، أي تقويه وتنهضه. (٨) يقول: كم من رجل سوّده العلم وكان قبل ذلك على الرغم منه عبدا بجهله.

ورَفَعْتَ فى ثَغْــرِ الثُّغُــو * رِ لِمُنْشَآتِ البَحْرِ بَنْــدا (١)

أَسَّسْتَ مَدْرَسَــةً تُعِيــ * ـدُ لنـا بمُلْكِ البَحْرِ عَهْدا

فمَتى أَرَى أُسْطُولَ مِصْــ * ـرَ يُشِيرُ فَوْقَ البَحْرِ رَعْدا

ومتى أَرَى جَيْشَ البِــلا * دِ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ سَدّا

ونَظَـرْتَ فى الطَّيَرانِ نَظْــ * ـرَةَ مُصْلِحٍ لم يَأْلُ جُهْــدا (٢)

أَعْــدَدْتَ عُــدَّتَه ولَمْ * تَرَ مِنْــه للأَوْطانِ بُدّا

أَعْظِــمْ بأُسْـطُولِ الهَـوا * ءِ إذ انْبَرَى فسَطَا وشَـدّا

مَنْ راءَه يومَ الـنِّزا * لِ رَأَى النُّسُورَ تَصِيدُ أُسْدا (٣)

وتَراهُ عنــد السِّــلْمِ سِرْ * بًا مِنْ طَواوِيسٍ تَبَــدَّى (٤)

وطَــوائِفَ العُمّالِ كَمْ * أَوْلَيْتَها رِفْــدًا فرِفْــدا (٥)

مَنْ ذا يُطِيــقُ لبَعْضِ ما * أَصْلَحْتَ أو أَسْدَيْتَ عَدّا

دُمْ يا (فُـؤادُ) مُؤَيَّــدًا * بالمـالِ والأَرْواحِ تُفْدَى

وأَعِـدْ لنـا عَهْــدَ المُعِـ * ـزِّ الفاطِمِيِّ فأَنْتَ أَهْــدَى (٦)

---

(١) يريد «بثغر الثغور» الاسكندرية . والمنشآت : السفن . والبند : العلم الكبير ، فارسى . يشير إلى مدرسة البحرية التى أنشأها المغفور له الملك فؤاد الأول . (٢) لم يأل : لم يقصر . وفى عهد المغفور له الملك فؤاد الأول نظمت مصر الطيران ، وانشأت أول أسطول جوى . (٣) راءه : رآه . والنزال : الحرب . (٤) السرب : جماعة الطير . والمعنى أن هذه الطائرات فى أيام السلم تشبه الطواويس فى الإعجاب بجمالها والاختيال بحسنها . (٥) الرفد : العطاء والصلة . يشير الى ما نالته نقابات العمال فى عهد جلالته من تأييد ومساعدات . (٦) كان «المعز» رابع خلفاء الدولة الفاطمية ، ولى الخلافة سنة ٣٤١هـ . وتوفى سنة ٣٦٥هـ . وفى أيامه دخل الفاطميون مصر ، وكان عهده من أزهى عصورها وأزهرها .

تهنئة لصاحب السعادة نجيب الهلالى بك

قال هذين البيتين مرتجلا عند ما تولى وكالة المعارف للتعليم الفنى والفنون الجميلة سنة ١٩٢٩ م

أضحى (نَجِيبٌ) وَكِيلاً * لنا وَنِعْمَ الوَكِيلُ

فَلْيَنْعَمِ الشِّعْرُ بالاً * فالشِّعْرُ فَنٌّ جَمِيلُ

التقريظات

تقريظ كتاب "صهاريج اللؤلؤ" لمؤلفه السيد توفيق البكرى (١)

[نشر هذان البيتان فى سنة ١٣١٣ هـ]

هٰذا كِتابٌ مُذْ بدا سِرُّهُ * للنّاس قالوا : مُعْجِزٌ ثانِى

أثابَكَ اللهُ على جَمْعِهِ * ثوابَ (عُثْمانَ بنِ عَفّانِ) (٢)

تقريظ "جريدة مصباح الشرق" (٣) لصاحبها إبراهيم المويلحى بك

أَهْلَ الصّحافَةِ لا تَضِلُّوا بَعْدَه * فَسَماؤُكُمْ قد زانَها (المِصْباحُ)

الحَقُّ فيه زَيْتُه، وفَتِيلُه (٤) * صِدْقُ الحَدِيثِ، ونُورُه الإصْلاحُ

---

(١) ولد السيد توفيق البكرى فى سنة ١٨٧٠ م، وقد كان نقيبا للأشراف ومشيخة الطرق الصوفية، كما كان عضوا بمجلس شورى القوانين . وكان يجيد اللغتين الفرنسية والانجليزية فوق إجادته للعربية التى عدّ فيها من أئمة الأدب والبيان . وقد أنعم عليه السلطان عبد الحميد، وسمو الخديوى السابق بكثير من الأوسمة . وله غير هذا الكتاب، صهاريج اللؤلؤ، وأراجيز العرب، والمستقبل للاسلام؛ وتوفى رحمه الله يوم السبت ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٢ م .

(٢) خص «عثمان بن عفان» بالذكر لأنه هو الذى نال ثواب جمع القرآن .

(٣) مصباح الشرق : صحيفة سياسية أدبية، وكانت تصدر فى كل أسبوع فى مصر، أنشئت فى (سنة ١٣١٥ هـ) (سنة ١٨٩٨ م) واحتجبت فى (سنة ١٣٢١ هـ)، (سنة ١٩٠٣ م) .

(٤) الفتيل : جمع فتيلة، وهى ذبالة المصباح .

تقريظ ديوان الشاعر الكاتب مصطفى صادق الرافعى

(سنة ١٣٢١ هـ — سنة ١٩٠٤ م)

أَراكَ — وأنتَ نَبْتُ اليومِ — تَمْشِى (١) * بِشِعْرِكَ فوقَ هامِ الأَوَّلِينا

وأُوتِيتَ النُّبُوَّةَ فى ٱلْمَعانى * وما دانَيْتَ حَدَّ الأَرْبَعِينا (٢)

فَزِنْ تاجَ الرِّآسَةِ بعدَ (سامِى) * كما زانَتْ فرائِدُه الجَبِينا (٣)

وهٰذا الصَّوْلَجَانُ فكُنْ حَرِيصا * على مُلْكِ القَرِيضِ وكُنْ أَمِينا (٤)

فَحَسْبُكَ أنّ مُطْرِيكَ (ٱبْنُ هانِى) * وأنَّكَ قد غَدَوْتَ له قَرِينا (٥)

---

(١) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة .

(٢) يشير بهذا الى ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله : بعثت على رأس الأربعين .

(٣) يريد «بسامى» : المرحوم محمود سامى البارودى باشا . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٧ . وفرائد اللؤلؤ : يتائمه التى لا توائم لها .

(٤) الصولجان (فى أصل معناه) : العصا المعوجة من طرفها ؛ وهو لفظ فارسى معرّب ، و يقال : صولجان الملك ، لأن الملوك كانوا فى القديم يتخذونه علامة على توليهم الملك .

(٥) مطريك : مادحك . و يريد « بابن هانئ » : المرحوم أحمد شوقى بك ، وكان يلقب بابن هانئ ، وسمى داره بالمطرية : كرمة ابن هانئ تشبها (بالحسن بن هانئ) المعروف بأبى نواس .

تهنئة المؤيد بداره وبمظهره الجديدين

[نشرت فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٦م]

أَحْيَيْتَ مَيْتَ رَجائنا بصحيفةٍ * أَثنَى عليها الشَّرقُ والإسلامُ (١)

أَضْحَتْ مُصَلًّى للبلاغةِ عندما * سَجَدَتْ بِرَحْبِ فِنائها الأَقلامُ (٢)

فعلى مُؤَيَّدِكَ الجديدِ تحيةٌ * وعلى مُؤَيَّدِكَ القديمِ سلامُ

تقريظ "حديث عيسى بن هشام"

لصاحبه محمد المويلحى بك (٣)

[نشر فى أول مارس سنة ١٩٠٧م]

قَلَمٌ اذا رَكِبَ الأَنامِلَ أو جَرَى * سَجَدَتْ له الأَقلامُ وهىَ جَوارِى

يَخْتالُ ما بَيْنَ السُّطُورِ كَضَيْغَمٍ * يَخْتالُ بَيْنَ عَوامِلٍ وشِفارِ (٤)

تَأْوِى الظِّباءُ إليهِ وهىَ أَوانِسٌ * وتَحِيدُ عنه الأُسْدُ وهىَ ضَوارِى (٥)

---

(١) يخاطب بهذا البيت وما بعده صاحب المؤيد وهو الشيخ على يوسف. (٢) الفناء (بكسر الفاء): الساحة أمام البيت. (٣) هو محمد بك ابن ابراهيم بك المويلحى؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٨م، وبعد أن أخذ حظه من التعلم تولى عدة مناصب فى الحكومة المصرية، واشترك فى تحرير عدة صحف، وكان هو وأبوه ابراهيم بك من أعلام الكتاب المشهورين فى مصر إذ ذاك، وهما صاحبا صحيفة مصباح الشرق. ومحمد بك المويلحى، هو مؤلف كتاب عيسى بن هشام؛ وتوفى يوم السبت أول مارس سنة ١٩٣٠م. (٤) الضيغم: الأسد؛ ويريد به هنا: الشجاع. والعوامل: صدور الرماح، الواحد عامل. والشفار: جمع شفرة، وهى حد السيف. (٥) الضوارى: المدربة على الصيد والافتراس. يريد أن هذا القلم اذا رق ولطف أنست اليه الظباء؛ واذا قسا: خافته الآساد.

(١)
ما حالَ خُلُقُ الماءِ بين سُطُورِه * إلّا إلى خُلُقِ الزِّنادِ الوارِى

فإذا رَضِيتَ فأحرُفٌ من رَحْمةٍ * وإذا غَضِبْتَ فأحرُفٌ من نارِ
(٢)
يابنَ الّذى غَنَّى اليَراعُ بكَفِّه * فصَبَتْ اليه مَسامِعُ الأقدارِ
(٣)
لكَ فى دَمِى حَقٌّ أردْتُ وَفاءَه * يومَ الوَفاءِ فقَصَّرَتْ أشعارِى

لم يُنْسِنِى مَرُّ الزَّمانِ ولم يَزَلْ * حِفْظُ الوِدادِ سَجِيَّتِى وشِعارِى
(٤)
هـذا كتابُكَ قد حَكَتْ آياتُه * آياتِ موسى التِّسعَ فى الإكبارِ
(٥)
نَسَجَ الحريرَ أبوكَ نَسْجَ نِجارِه * ونَسَجْتَ أنتَ حرائرَ الأفكارِ
(٦)
فاذا نَثَرْتَ على الصَّحيفةِ خِلْتَها * غَرْسًا ألَحَّ عليه صَوْبُ قِطارِ

---

(١) ما حال ، أى ماتحول . ويريد « بخلق الماء » : الرقة والعذوبة . و « بخلق الزناد » : ما فيه من التوقد والالتهاب . والزناد الوارى : الذى خرجت ناره .

(٢) صبت : مالت . (٣) كان الممدوح كثير الإغداق على حافظ ، فهو إلى ذلك يشير بهذا البيت . (٤) آيات موسى التسع ، أى معجزاته ، وهى مذكورة كلها فى القرآن ، قال الله تعالى فى سورة الإسراء : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) الآية .

(٥) النجار : الأصل والمحتد . ويشير بهذه العبارة الى أن أبا الممدوح وهو ابراهيم بك المويلحى كان من كبار تجار الحرير بمصر ، وكان شريكا فى هذه التجارة لأخيه عبد السلام المويلحى باشا عم الممدوح وقد أخطأهما التوفيق فى تجارتهما ، فمد اليهما يد المساعدة المغفور له إسماعيل باشا الخديوى ، واختصهما بجعلهما وحدهما المقدمين لجميع ما يلزم للبيت الخديوى من أنواع الحرير ؛ واقتدى به فى ذلك سراة مصر ووجهاؤها ، فصلحت حالهما بعد ذلك .

(٦) ألح السحاب على النبات : دام مطره عليه . والقطار : الأمطار ، الواحد قطر (بفتح فسكون) . يريد تشبيه ما يكتب فى صحفه بأنواع الزهر الغض المترعرع مما توالى عليه من الأمطار . وفى الديوان المطبوع : « نثار » مكان « قطار » .

يا صاحبَ المِصْباحِ ما ذَنْبُ النُّهى * حتّى حَجَبْتَ مَطالِعَ الأَنْوارِ (١)

قد كنتَ تَهْدِيها السَّبِيلَ بِضَوئِه * فتركْتَها فى ظُلْمَةٍ وعِثارِ (٢)

باتَتْ تُرَجِّى منكَ عَوْدَةَ غائِبٍ * نُورُ البَصائِرِ فيه والأَبْصارِ

وشَمائلُ الفِكْرِ التى أَرْسَلْتَها * حِكَماً فأَغْنَتْها عن الأَسْفارِ (٣)

فاشْرَعْ يَراعَكَ يا (مُحَمَّدُ) إنّه * نارُ اللِّئامِ وجَنَّةُ الأَحْرارِ (٤)

وابعثْ لنا (عِيسَى) فهذا وَقْتُه * فالناسُ بَيْنَ مُخادِعٍ ومُوارِى (٥)

ومُطاوِلٍ فى الكاتِبِين ومُدَّعٍ * فى العَالِمِين ومُولَعٍ بفَخارِ (٦)

أَمِنُوا يَراعَكَ حِينَ طالَ سُكُونُه * فتَطَلَّعُوا لمَراتِبِ الأَقْمارِ (٧)

إنّى لأَنْظِمُ ما نَثَرْتَ وإنْ يَكُنْ * نَثْرُ النَّظِيمِ مَطِيَّةَ النُّثّارِ (٨)

---

(١) قدسبق التعريف بصحيفة «مصباح الشرق» فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٤٩ من هذا الجزء.

(٢) تهديها أى تهدى النهى. (٣) الأسفار: الكتب، الواحد سفر (بكسر السين وسكون الفاء).

(٤) اشرع يراعك، أى سدد قلمك وصوبه نحو الأغراض السامية. (٥) يريد كتاب عيسى ابن هشام. ويشير بذلك إلى ما ورد من أن نبى الله عيسى عليه السلام سيعود فى آخر الزمان لهداية الناس. والموارى: المدارى الذى يبطن خلاف ما يظهر. (٦) المطاول: المفاخر. والعالمين: جمع عالم (بكسر اللام) فيهما. (٧) يقول: ان هؤلاء المدعين قد أمنوا بطش قلمك بهم حين احتجبت صحيفتك فتطلعوا الى المراتب العالية التى لم يكونوا ليتطلعوا اليها لو أنك دائب على الكتابة. (٨) يقول: إن شعرى فى الحقيقة ليس إلا نظما لما تنثر، فهو مقتبس من وحى قلمك، وإن تكن عادة الكتاب نثر ما ينظم الشعراء.

تقريظ كتاب مرآة العروض

المطبوع سنة ١٣٣٥ هـ تأليف الشيخ أحمد عثمان المحرزى القاضى الشرعى

(عُثمانُ) إنّكَ قد أَتيتَ مُوَفّقاً * شَرْوَى سَمِيِّكَ جامعِ التنزيلِ (١)

جَمّعْتَ أَشتاتَ القَريضِ وزِدتَه * حُسْناً بهذا الشرحِ والتذييلِ

وجَلَوْتَ (مِرآةَ العَروضِ) صَقِيلةً * لِلنِّيلِ فاستَوْجَبْتَ شُكْرَ النِّيلِ

تقريظ صحيفة كوكب الشرق

لصاحبها محمد حافظ عوض بك

[نشر هذان البيتان فى أول عدد صدر منها فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م]

يا كَوْكَبَ الشَّرقِ أَشرِقْ * فالحادِثاتُ تَجِدُّ

لا تَخْشَ طالِعَ سُوءٍ * فكَوْكَبُ الشَّرقِ سَعْدُ

تهنئة المقتطف بعيدها الخمسيني

[نشرت في أول يونيو سنة ١٩٢٦ م]

شَيْخانِ قد خَبَرَا الوُجُودَ وأَدْرَكا (٢) * ما فيه مِنْ عِلَلٍ ومِنْ أَسْبابِ
وآستَبْطَنَا الأَشْياءَ حتّى طالَعا (٣) * وَجْهَ الحَقِيقَةِ مِنْ وَراءِ حِجابِ
خَمسونَ عاما في الجِهادِ كِلاهُما (٤) * شاكِي اليَراعَةِ طاهِرُ الجِلْبابِ
لا تَعْجَبُوا انْ خَضَّبَا قَلَمَيْهِما * وبَياضُ شَيْبِهِما بغَيْرِ خِضابِ
فلِكُلِّ حُسْنٍ حِلْيَةٌ يُزْهَى بها * وأَرَى اليَراعَةَ حِلْيَةَ الكُتّابِ
إنّي نَظَرْتُ إلى اليَراعَةِ في يَدِي * فحَسِبْتُها في القَدْرِ عُودَ ثِقابِ
ونَظَرْتُها تَنْقَضُّ مِنْ كَفَّيْهِما * فوقَ الطُّرُوسِ خِلْتُها كشِهابِ
يُزْهَى مُدَجَّجُنا برُمْحٍ واحِدٍ (٥) * وأَراهُما لا يُزْهَيانِ بغابِ
مُتَواضِعانِ ولا أَرَى مُتَكَبِّرًا (٦) * غَيرَ الجَهُولِ مُدَنَّسًا بالعابِ

---

(١) أنشئت هذه المجلة في سنة ١٨٧٦ م وكان مقرها أولا سورية ، ثم انتقلت إدارتها الى مصر في سنة ١٨٨٥ م . (٢) يريد «بالشيخين» : الدكتور فارس نمر، والدكتور يعقوب صروف ؛ أما الأول منهما فهو العالم السوري المعروف عضو مجمع اللغة العربية الملكي في مصر ، ومنشئ مجلة المقتطف وجريدة المقطم مشتركا مع صاحبه السابق ذكره في كلتا الصحيفتين . أما الثاني وهو الدكتور يعقوب صروف ، فولد بلبنان في سنة ١٨٥٢ م وكان الدكتور منقطعا الى تحرير المقتطف ، وانقطع الدكتور نمر الى تحرير المقطم ؛ وكانت وفاة الدكتور صروف في سنة ١٩٢٧ م . (٣) استبطنا الأشياء : اختبرا بواطنها . (٤) شاكي اليراعة ، أي ذو شوكة وحدّة في قلمه .

(٥) المدجج : لابس السلاح . والغاب : جمع غابة ، وهي الشجر الكثير . ويطلق أيضا على القصب الفارسي تتخذ منه الأقلام . والشاعر يومئ الى المعنيين . (٦) العاب والعيب ، كلاهما بمعنى واحد .

يتجاذبُ القُطْرانِ من فَضْلَيهما (١) * ذَيْلَ الفخارِ وليس ذا بِعُجابِ

فهما هنا علَمانِ من أعلامنا * وهما هنالك نُخبةُ الأنجابِ

جازا مَدَى السَّبعينَ لم يتوانَيا (٢) * عن وَصْلِ حَمْدٍ واجتنابِ سِبابِ

نَسَباهُما قلماهُما فليَسْحَبا (٣) * ذَيْلًا على الأحسابِ والأنسابِ

قَلَمانِ مَشْرُوعانِ، في شِقَّيهما (٤) * وَحْيٌ يُفيضُ على أُولى الألبابِ

مُتَسانِدانِ إذا الخُطوبُ تألَّبَتْ (٥) * مُتَعانِقانِ تعانُقَ الأحبابِ

نَفَحاتُ (آذارٍ) إذا لم يُظْلَما (٦) * فإذا هُما ظُلِما فلَفْحةُ (آبِ)

ما سَوَّدا بيضاءَ إلا بَيَّضا (٧) * بالكاتبَيْنِ صحيفةَ الإعجابِ

لِلْقَصدِ الأَسْمَى لَدَى حَرَمِ النُّهَى (٨) * رَفَعا قِبابًا حُوجِزَتْ بِقِبابِ

خَطَّا بِمُقتطَفِ العُلُومِ بدائعًا (٩) * وروائعًا بَقِيَتْ على الأحقابِ

جاءا لنا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نافعٍ * أو كُلِّ فَنٍّ مُمْتِعٍ بِلُبابِ

في كُلِّ لَفْظٍ حِكْمةٌ مَجْلُوَّةٌ * وبكُلِّ سَطْرٍ مَهْبِطٌ لِصَوابِ

---

(١) القطران : مصر وسورية . (٢) جازا : جاوزا . والمدى : الغاية .
(٣) يقال : سحب الذيل على كذا ، أى أنه لم يحفل به ولم يأبه له . (٤) مشروعان ، أى مصوبان مسددان . (٥) تألبت : تجمعت وتضافرت . (٦) آذار وآب : شهران من شهور السنة المسيحية معروفان ، وتكثر الأزهار فى الأول ، ويشتد الحر فى الثانى : واللفحة من قولهم : لفحته النار والسموم (بفتح السين) : أى أحرقته بحرها . (٧) بالكاتبين : متعلق بقوله بعد : «الإعجاب» . أى لم يكتبا بالمداد الأسود صحيفة بيضاء إلا كتبا عند قرائهما صحيفة أخرى مملوءة بالإعجاب بهما .
(٨) قبابا حوجزت بقباب ، أى متصلة بعضها ببعض . (٩) الروائع من الأشياء : ما أعجبتك بحسنها . والأحقاب : الدهور .

فاللفظ فيه مقوم بصحيفة * والسطر فيه مقوم بكتاب

دانى القطوف كريمة أفياؤه * عذب الورود مفتح الأبواب (١)

ذلل مسالكه فأنى جئته * ألفيت نفسك فى فسيح رحاب (٢)

تتسابق الأقلام فيه ولا ترى * من عاثر فيها ولا من ناب (٣)

كم من يراعة كاتب جالت به * ولعابها فى الطرس حلو رضاب (٤)

كم من سؤال فيه كان جوابه * إلهام نابغة وفصل خطاب

كم فيه من نهر جرى بطريقة * ترد النهى منه ألذ شراب (٥)

وقفت سقاة الفضل فى جنباته * تروى النفوس بمترع الأكواب (٦)

ماذا أعد وهذه آياته * فى العد تعجز أمهر الحساب

قد نسقت وتآلفت فكأنها * فى الحسن مثل تآلف الأحزاب (٧)

وترى تهافتنا عليه وحرصنا * فتخال فيه مقاعد النواب

ياثروة القراء من علم ومن * فضل ومن حكم ومن آداب

الشرق أثبت يوم عيدك أنه * ما زال فى رى وخصب جناب

---

(١) الأفياء : الظلال . و يريد بقوله : «دانى القطوف» قرب مأخذه وسهولة الاستفادة من بحوثه .

(٢) ذلل مسالكه : سهلة ممهدة . (٣) نبا ينبو : كل وارتد عن المقصد . (٤) اللعاب : الريق . و يريد به هنا : المداد . والرضاب : لعاب العسل . (٥) النهر : مجرى الماء المعروف . و يومئ به الى العمود من الصحيفة ، وهو استعمال صحفى معروف فى هذا العصر . (٦) المترع : المملوء .

(٧) نسقت : نظمت . و يشير الشاعر بالتشبيه الذى فى هذا البيت الى ما كان فى هذا العهد الذى أنشدت فيه هذه القصيدة من تآلف الأحزاب المصرية واجتماعها بعد الافتراق ، وتكوين وزارة و برلمان آئتلافيين .

عادَتْ سَماءُ الفَضْلِ فيه فأطْلَعَتْ * زُهْرًا مِنَ الأعلامِ والأقْطابِ (١)

العِلْمُ شَرْقِيٌّ تَغافَلَ أهْلُه * عنه فعاقَبَهم بِطُولِ غِيابِ

وتَنَبَّهُوا لِمُصابِهِمْ فتَضَرَّعُوا * فعَفَا وعاوَدَهُم بِغَيْرِ عِتابِ

فتَذَوَّقُوا طَعْمَ الحَياةِ وأدْرَكُوا * ما فى الجَهالَةِ مِنْ أذًى وتَبابِ (٢)

العِلْمُ فى البَأْساءِ مُزْنَةُ رَحْمَةٍ * والجَهْلُ فى النَّعْماءِ سَوْطُ عَذابِ (٣)

ولَعَلَّ وِرْدَ العِلْمِ مالَمْ يَرْعَه * ساقٍ مِنَ الأخْلاقِ وِرْدُ سَرابِ

إنِّى قَرَأْتُكَ فى الكُهُولَةِ والصِّبا * ومَلأْتُ مِنْ ثَمَرِ العُقُولِ وِطابِى (٤)

وأتَيْتُ أقْضِى بَعْضَ ما أوْلَيْتَنِى * وأقُولُ فيكَ الحَقَّ غيرَ مُحابِى

لو كُنْتُ فى عَهْدِ الفُتُوَّةِ لم أزَلْ * لَوَهَبْتُ للشَّيْخَيْنِ بُرْدَ شَبابِى

لكِنَّنى أبْلَيْتُه وطَوَيْتُه * وتَخِذْتُ مِنْ نَسْجِ المَشِيبِ ثِيابِى

وأرَى رِكابِى حِينَ شابَتْ لِمَّتِى * يَحْتَثُّها سَفَرٌ بغَيْرِ إيابِ (٥)

(يَعْقُوبُ) إنَّكَ قد كَبِرْتَ ولَمْ تَزَلْ * فى العِلْمِ لا تَزْدادُ غيرَ تَصابِى

لاحَتْ بِرَأْسِكَ هِزَّةٌ ولَعَلَّها * مِنْ وَقْعِ فِكْرِكَ لا مِنَ الأعْصابِ

فِكْرٌ سَرِيعٌ كَرُّه مُتَدَفِّعٌ * كتَدَفُّعِ الأمْواجِ فوقَ عُبابِ (٦)

لا يَسْتَقِرُّ ولا يُحَدِّثُ نَفْسَه * أنْ يَنْثَنِى عَنْ جَيْئَةٍ وذَهابِ

---

(١) الزهر : النجوم . (٢) التباب : النقص والخسران . (٣) المزنة : السحابة الممتلئة بالماء . (٤) الوطاب : جمع وطب ، وهو فى الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد هنا : أنه ملأ فكره ونفسه .
(٥) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن . ويحتثها : يسرع بها . ويريد « بالسفر » : الموت .
(٦) العباب : معظم السيل .

أو أنها طربٌ بنفسك كلما * وُفِّقتَ في بحثٍ وكشفِ نقابِ (١)

أو أنها استنكارُ ما شاهدتَه * في الناسِ من لهوٍ وسوءِ مآبِ

لم يُلهِكَ الإثراءُ عن طلبِ العلا * بالجدِّ لا بتصيُّدِ الألقابِ (٢)

لك في سبيلِ العلمِ أجرُ مجاهدٍ * والصبرِ أجرُ ملازمِ المحرابِ

وإليكَ من جُهدِ المُقِلِّ قصيدةً * يُغنيكَ موجزُها عن الإسهابِ (٣)

لولا السَّقامُ وما أكابدُ من أسًى * لَلحقتُ في هذا المجالِ صحابي (٤)

تقريظ كتاب "في ظلال الدموع"

لصاحبه محمد شوكت التوني

[نشر في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩م]

قد قرأنا ظِلالَكم فاشتفينا * باركَ اللهُ في (ظِلالِ الدموعِ)

علَّمتنا لدى الأسى كيف تَشفي * مُرسَلاتُ الدموعِ داءَ الضلوعِ

وأرتنا من الجديدِ بيانًا * لم يكن قبلَها كثيرَ الشيوعِ (٥)

في طرازٍ كأنما نسَّقته * من مجاني الرُّبا بنانُ الربيعِ (٦)

فعلى كاتبِ الظلالِ سلامٌ * من حزينٍ وبائسٍ وصريعِ

---

(١) أو أنها، أي هزة رأسه. والنقاب: اللثام. (٢) الإثراء: كثرة الأموال. والجد: الاجتهاد. (٣) المقل: الفقير. والإسهاب: الإطالة. (٤) صحابي، أي الذين تكلموا في هذا الحفل وأثنوا عليكا، وأجادوا القول فيكا. (٥) الجديد، أي الأدب الجديد. (٦) نسقته: نظمته؛ شبه بيانه بأزهار الربا في الربيع.

الأهاجي

قال في هجاء الجرائد

[نشرا في أوّل ديسمبر سنة ١٩١٧ م]

جرائدٌ ما خُطَّ حرفٌ بها * لغيرِ تفريقٍ وتضليلِ

يحْلُو بها الكذبُ لأربابها * كأنّها أوّلُ إبريلِ (١)

في عيّاب كثير العيوب

[نشرا في ٢ نوفبر سنة ١٩٢١ م]

يا ساكنَ البيتِ الزُّجا * جِ هبِلْتَ، لا ترمِ الحُصُونَا (٢)

أرأيتَ قبلكَ عاريًا * يبغي نزالَ الدّارعينا (٣)

في ملك ضعيف الرأي

لا تعجبوا فمليكُكُمْ لعبتْ بهِ * أيدي البطانةِ وهو في تضليلِ

إنّي أراهُ كأنّه في رُقعة الـ * ـشِّطْرَنجِ أو في قاعةِ التّمثيلِ

---

(١) أوّل إبريل : يوم يُملح فيه بالكذب عند بعض الافرنج ؛ وكذبة إبريل معروفة .

(٢) كنى ببيت الزجاج عن كثرة عيوب هذا المهجو ، وأنه من اليسر على الناس نضيحته والحط من شأنه ، كما كنى بالحصون عن عكس ذلك . « وهبلت » بالبناء للفاعل ، كما قاله بعض اللغويين . وقال ثعلب : القياس « هبلت » بالبناء للمجهول ، أي ثكلتك أمك . (٣) الدارعون : لابسو الدروع .

فى رَجُل عظيم البطن ضخم البدن

عَطَّلْتَ فَنَّ الكَهْرَباءِ فلَمْ تَجِدْ * شَيئا يعُوقُ مَسِيرَها إِلَّاكَا (١)

تَسْرِى على وَجْهِ البَسِيطةِ لَحْظَةً * فتَجُوبُها وتَحارُ فى أَحْشاكَا (٢)

وقال على لسان بعض المتصوِّفة (٣)

[فى محبوب نافر]

أَخْرِقُ الدُّفَّ لو رَأَيْتُ شَكِيبًا * وأَفُضُّ الأَذْكارَ حتّى يَغِيبا (٤)

هُوَ ذِكْرِى وقِبْلَتِى وإمامِى * وطَبِيبِى اذا دَعَوْتُ الطَّبِيبا

لو تَرانِى وقد تَعَمَّدْتَ قَتْلِى * بالتَّنائى رأيتَ شَيْخًا حَرِيبا (٥)

كانَ لا يَنْحَنِى لِغَيْرِكَ إِجْلا * لًا ولا يَشْتَهِى سِواكَ حَبِيبا

لا تَعِبْنَ يا شَكِيبُ دَبِيبى * (إِنَّما الشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَبِيبا) (٦)

كم شَرِبْتَ المُدامَ فى حَضْرَةِ الشَّيْـ * ـخِ جِهارًا وكَمْ سُقِيتَ الحَلِيبا

---

(١) الكهربا : مقصور؛ وقد مدّه الشاعر هنا للضرورة . (٢) تسرى ، أى الكهربا والبسيطة : الأرض . وتجوبها : تقطعها . يقول : إن أحشاءه أوسع من الأرض مسالك .

(٣) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة فى باب الهجاء لما تفيده من وصف هذا الصوفى بصفة قبيحة؛ وهو ما يقصد اليه حافظ وإن كانت القصيدة فى الغزل . (٤) شكيب : غلام تركى زعموا أنه كان يعشقه هذا المتصوف . والدف (بالضم) أو (بالفتح) : والأوّل أفصح ، نوع من الطبل معروف ، يضربون عليه فى اللهو وبعض حلقات الذكر . (٥) تعمدت : قصدت . والتنائى : التباعد . والحريب : المسلوب . (٦) الدبيب : المشى على هيئة كمشى الشيوخ؛ ويستعمل فى الزحف انسلالا . والشطر الأخير من هذا البيت عجز بيت لشاعر قديم ، وصدره :

زعمتنى شيخا ولست بشيخ * إنما الشيخ ... البيت

فَسَلُوا سُبْحَتِي فهل كان تَسْبِيـ * ـحِيَ فيها إلّا (شَكِيبًا شَكِيبَا)

وإذا أَدْنَفَ الشُّيُوخَ غَرامٌ (١) * كنتُ فى حَلْبَة الشُّيوخ نَقِيبَا

عُدْ إلينا فقد أطَلْتَ التَّجافى * وارْكَبِ البَرْقَ إنْ أطقتَ الرُّكُوبا

وإذا خِفْتَ ما يُخَاف من اليَمِّ (٢) * فَرَشْنا لأَخْمَصَيْكَ القُلُوبا

ودَعَوْنا بِساطَ صاحِبِ بِلْقِيـ (٣) * ـسَ فلَبَّى دُعاءَنا مُسْتَجِيبا

وأَمَرْنا الرِّياحَ تَجْرِى بأمرٍ (٤) * منكَ حتّى تَراكَ مِنّا قَرِيبَا

فى بائع كُتُب صفيق الوجه

أَدِيمُ وَجْهِكَ يا زِنْدِيقُ لو جُعِلَتْ * منه الوِقايةُ والتَّجْلِيدُ للكُتُبِ (٥)

لَمْ يَعْلُها عَنْكَبُوتٌ أينما تُرِكَتْ * ولا تُخافُ عليها سَطْوَةُ اللَّهَبِ

فيمن كثرت مخازيه

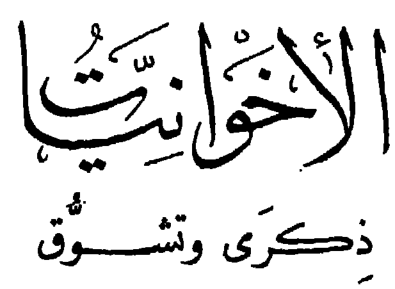
هُنا يَسْتَغِيثُ الطِّرْسُ والنِّقْسُ والّذى (٦) * يَخُطُّ ومَنْ يَتْلُو ومَنْ يَتَسمَّعُ

مَخازٍ وما أَدْرِى إذا ما ذَكَرْتُها * الى الحَمْدِ أُدْعَى أَوْ إلَى اللَّوْمِ أُدْفَعُ

(١) أدنفه المرض : أثقله وأضناه . (٢) اليم : البحر . والأخمص : مالا يمس الأرض من باطن القدم ؛ ويراد به القدم كلها كما هنا . (٣) بلقيس ، هى ملكة سبأ ، وصاحبها هو نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام ، وقصتها مع ذلك النبي الكريم مشهورة ؛ وقد ورد ذكرها فى القرآن فى سورة النمل . (٤) يريد بهذا البيت والذى قبله أننا نمهد لك وسائل الإسراع فى العودة .

(٥) أديم الوجه : جلده ؛ يصف فى هذا البيت وما بعده جلدة وجهه بالصفاقة .

(٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة يكتب فيها . والنقس بكسر النون : المداد .



ذكرى وتشوق

كتب بها من السودان إلى صديقه محمد بك بيرم

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

أَثَرْتَ بِنا مِنَ الشَّوْقِ القَديمِ (١) * وذِكْرى ذٰلِكَ العَيْشِ الرَّخيمِ

وأيامٍ كَسَوْناها جَمالًا * وأَرْقَصْنا لها فَلَكَ النَّعيمِ

مَلأْناها بِنا حُسْنًا فكانت (٢) * بِجِيدِ الدَّهْرِ كالعِقْدِ النَّظيمِ

وفِتْيانٍ مَساميحٍ عليهم (٣) * جَلابيبٌ مِنَ الذَّوْقِ السَّليمِ

لَهُمْ شِيَمٌ أَلَذُّ مِنَ الأَماني (٤) * وأَطْرَبُ مِنْ مُعاطاةِ النَّديمِ

كَهَمِّكَ فى الخَلاعَةِ والتَّصابى (٥) * وإنْ كانوا على خُلُقٍ عَظيمِ

دَعَوْتُهُمُ إلى أُنْسٍ فوافَوْا * مُوافاةَ الكَريمِ إلى الكَريمِ

وجاءوا كالقَطا وَرَدَتْ نَميرًا (٦) * على ظَمَإٍ وهَبُّوا كالنَّسيمِ

---

(١) أثرت : هيجت . والعيش الرخيم : اللين الناعم . (٢) الجيد : العنق .

(٣) المساميح : جمع مسماح ، وهو الجواد الكريم .

(٤) الشيم : السجايا والأخلاق . والمعاطاة : المناولة ؛ ويريد بها مناولة الخمر .

(٥) كهمك ، أى كعزمك وإرادتك . أى هم كما شئت من خلاعة ولهو .

(٦) القطا : الحمام ، الواحدة قطاة ، ويضرب بها المثل فى الاهتداء ، فيقال : «أدل من قطاة» لأنها لا تخطئ الطريق ليلا فى الفلاة . والماء النمير : الناجع فى الرى .

وكانَ اللّيلُ يَمْرَحُ فى شَبابٍ * ويَلْهو (بالمَجَرّةِ) والنُّجومِ (١)

فواصَلَنا كُئوسَ الرّاحِ حَتّى * بَدَتْ للعَينِ أنْوارُ الصَّريمِ (٢)

وأعْمَلْنا بها رأْىَ (ابنِ هانى) * فأُلْحِقْنا بأصْحابِ الرَّقيمِ (٣)

وظَبْيٍ مِنْ بَنى مِضْرٍ غَريرٍ * شَهِىِّ اللّفْظِ ذى خَدٍّ مَشيمِ (٤)

ولَحْظٍ بابِلِىٍّ ذى انْكِسارٍ * كأنّ بطَرْفه سِيما اليَتيمِ (٥)

سَقانا فى مُنادَمَةٍ حَديثًا * نَسينا عِنْدَه بِنْتَ الكُرومِ (٦)

---

(١) مرح يمرح (وزان فرح يفرح) : تبختر واختال . وشباب الليل : أوله . والمجرة : مجموعة نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بياض فى السماء، وتشبه بالنهر، فيقال : نهر المجرة .

(٢) الصريم (هنا): الصبح .

(٣) يريد أبا على الحسن بن هانئ الحكمى، المشهور بأبى نواس من أئمة شعراء الدولة العباسية ، ولد بالبصرة سنة خمس وأربعين ومئة ، وقيل سنة ست وثلاثين ومئة . وتوفى سنة خمس وتسعين ومئة ؛ وقيل سنة ثمان وتسعين ومئة ، ودفن ببغداد؛ وكان كثير المجون، دائم التشبيب ، مدمنا للخمر . وأصحاب الرقيم : هم أصحاب الكهف المذكورون فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم) الآية . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى نومهم فى كهفهم، أى مغارتهم ، مدة طويلة ، قال تعالى : (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا) . والرقيم : قريتهم التى خرجوا منها ، أو جبلهم الذى كان فيه الكهف . وقيل : الرقيم لوح رصاص نقش فيه نسبهم وأسماؤهم وقصصهم ودينهم ، ومم هربوا . يريد أنهم جروا على مذهب أبى نواس فى الشرب حتى ناموا نومة أهل الكهف .

(٤) الغرير : الحديث السن الغافل، الذى لم يجرب الأمور لحداثته . والمشيم : الذى فيه شامة ، أى خال فى خده .

(٥) البابلى : نسبة إلى بابل ، وهى ناحية بالعراق، منها الكوفة والحلة، ينسب إليها الخمر والسحر . ويريد «باللحظ البابلى» أنه يعمل فى العقول والنفوس عمل الخمر والسحر . وانكسار اللحظ : فتوره . وسيما اليتيم : ضعفه ومذلته ، لأنهما أظهر ما يكونان فى اليتيم . والسيما والسيماء : العلامة والهيئة .

(٦) بنت الكروم : الخمر، لأنها تعتصر منها .

سَــلَامُ اللهِ يا عَهْــدَ التَّصابِي * عليــكَ وفِتْيَــةِ العَهْــدِ القَــدِيمِ

أَحِنُّ لهــمْ ودُونَهُــمُ فَــلاةٌ (١) * كأنَّ فَسِيحَها صَــدْرُ الحَلِــيمِ

كأنَّ أَدِيمَهــا (٢) أَحْشاءُ صَبٍّ * قــد التَهَبَتْ مِنَ الوَجْدِ الأَلِــيمِ

كأنَّ سَرابَهــا (٣) إذْ لاحَ فيهــا * خِداعٌ لاحَ فى وَجْــهِ اللَّئِــيمِ

تَضِــلُّ بلَيْلِهــا (لِهْبٌ) فتَحْكِي * (بوادِى التِّيهِ) أَقْــوامَ الكَلِــيمِ (٤)

وتَمْشِى السَّافِياتُ بهــا حَيــارَى * إذا نُقِــلَ الهَجِــيرُ عن الجَحِــيمِ (٥)

فَمَنْ لى أنْ أَرَى تلكَ المَغانِي (٦) * وما فيهــا مِن الحُسْنِ القَــدِيمِ؟

فما حَــظُّ (ابنِ داوُدٍ) كَحَظِّى (٧) * ولا أُوتِيتُ مِنْ عِلْمِ العَلِــيمِ

---

(١) الفلاة : الصحراء الواسعة . (٢) أديم الفــلاة : وجهها وظاهرها .

(٣) السراب ، هو ما تراه نصف النهار على بعد عند اشتداد الحر (يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) . ويشبهون به من يطمعك ظاهره وتوئسك حقيقته .

(٤) لهب (بكسر اللام وسكون الهاء) : قبيلة من الأزد باليمن كانت على معرفة تامة بالنجوم تسرى على ضوئها وتتعرف بها السبل ، كما كان يضرب بها المثل فى العيافة والزجر . ووادى التيه : هو القسم المنحصر بين خليج السويس وخليج العقبة من شبه جزيرة طورسينا ؛ وسمى بالتيه لأن بنى إسرائيل قد تاهوا فيه أربعين سنة ، كما قص الله تعالى ذلك فى القرآن الكريم . والكليم : نبى الله موسى عليه السلام . يقول : إن ما بيننا من فياف لو سرت فيها لهب لما أفادتها خبرتها ، ولضلت كما ضل قوم موسى فى التيه .

(٥) السافيات : الريح التى تسفى التراب ، أى تحمله وتذروه . والهجير : شدة الحر . أى أن الرياح تسير فيها حائرة لا تهتدى الى وجهة من اتساع أقطارها ، وتبحث عن كنف من ذلك الحر الذى كأنه اقتطع من الجحيم .

(٦) المغانى : المنازل التى غنى بها أهلها ، أى أقاموا ، الواحد مغنى (بفتح الميم وسكون الغين) .

(٧) ابن داود ، هو نبى الله سليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه . والمعنى أنه لم يؤت من الحظ ما أوتى سليمان بن داود من تسخير الرياح والجن لأمره ، فيحملانه الى تلك المغانى والمنازل التى يتشوق إلى رؤيتها والإقامة فيها .

ولا أنا مُطْلَقٌ كالفكرِ أَسْرِى * فأَسْتَبِقَ الضَّواحكَ فى الغُيُومِ (١)

ولكنى مُقَيَّدةٌ رِحالِى * بقيدِ العُدْمِ فى وادِى الهُمومِ (٢)

نَزَحْتُ عن الدِّيار أَرُومُ رِزْقِى * وأَضْرِبُ فى المَهامِهِ والتُّخُومِ (٣)

وما غادَرْتُ فى السُّودانِ قَفْرًا * ولَمْ أُصْبِغْ بتُرْبَتِه أَدِيمِى (٤)

وهأَنَا بينَ أَنْيابِ المَنايا * وتحتَ بَراثِنِ الخَطْبِ الجَسِيمِ (٥)

ولولا سَوْرَةٌ للمَجْدِ عِنْدِى * قَنِعْتُ بعيشتِى قَنَعَ الظَّلِيمِ (٦)

* * *

أَيابْنَ الأَكْرَمِينَ أَبًا وجَدًّا * ويابْنَ عُضادَةِ الدِّينِ القَوِيمِ (٧)

أَقامَ لدِينِنا أَهْلُوكَ رُكْنًا * له نَسَبٌ إلى رُكْنِ الحَطِيمِ (٨)

---

(١) « أستبق الضواحك » الخ : أسبق البروق فى السحب ، أى أجاوزها وأخلفها ورائى .

(٢) العدم : الفقر . (٣) نزحت : بعدت . وضرب فى الأرض : خرج فيها ساعيا . والمهامه : جمع مهمه ومهمهة ، وهى المفازة البعيدة المتسعة . والتخوم : الحدود بين الأرضين .

(٤) الأديم : الجلد . يريد أنه لم يترك قفرا فى السودان إلا خلط جلده بترابه . فقوله : « لم أصبغ » الخ : صفة لقوله « قفرا » ، واقتران جملة الصفة بالواو كما هنا غير مقيس ، وزيادتها لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف ، ومنه قوله تعالى : (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) .

(٥) المعروف المشهور «هأنذا» إلا أن مثل هذا ورد فى الشعر ، ومنه قوله :

فهأنا تائب عن حب ليلى * فما لك كلما ذكرت تذوب

والبراثن : مخالب الأسد ، الواحد برثن (بضم الباء والثاء وسكون ما بينهما) .

(٦) سورة المجد : أثره وأمارته . والظليم : ذكر النعام . وقد ضرب الشاعر قناعة النعام مثلا فى الاكتفاء بأقل القوت ولو كان مما لا يقتات به ، وذلك لأن النعام يقتات بما يجده فى الفلاة من الحصى والحجارة إذا أعوزه القوت وعز عليه الكلأ . (٧) العضادة : الذى يعاضدك أى يعاونك . (٨) الحطيم : حجر الكعبة ؛ أو هو ما بين الركن والمقام .

فما طاف العفاةُ به وعادوا * بغير العسجديّةِ واللّطيمِ (١)

أتيتك والخطوبُ تزفّ رحلي * ولي حالٌ أرقّ من السّديمِ (٢)

وقد أصبحتُ من سعيي وكدحي * على الأرزاقِ كالثّوبِ الرّديمِ (٣)

فلا تُخلِقْ — فُديتَ — أديمَ وجهي * ولا تقطعْ مواصلةَ الحميمِ (٤)

عتاب محمد البابلي بك (٥)

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

أخي واللهِ قد مُلئَ الوطابُ * وداخلني بصحبتكَ ارتيابُ (٦)

رجوتُكَ مرّةً وعتبتُ أخرى * فلا أجدى الرّجاءُ ولا العتابُ (٧)

نبذتَ مودّتي فاهنأ ببعدي * فآخرُ عهدِنا هذا الكتابُ

(١) العفاة : طلاب الأرزاق والمعروف ، مفرده العافى . والعسجدية : الإبل التى تحمل العسجد أى الذهب . واللطيم : الإبل التى تحمل الطيب والبز ، واحده لطيمة . أى ما قصد أهلك قاصد إلا عاد مثقلا بالعطاء من ذهب وثياب . (٢) تزف رحلى ، أى تحملنى على الإسراع إليك ؛ يقال : أزفه : إذا حمله على الزفيف ، وهو الإسراع . ويجوز أن يقرأ تزف (بفتح التاء وضم الزاى) على سبيل التشبيه بزفاف العروس ، وهو إهداؤها . والسديم : الضباب الرقيق ، جمعه سدم (بضمتين) .

(٣) الكدح : هو الدؤوب فى طلب الرزق وكسبه بمشقة . والرديم : الثوب الخلق البالى .

(٤) تخلق ، من أخلق الثوب إذا أبلاه . وأديم الوجه : جلدته . وإخلاق أديم الوجه : كناية عن إذلاله وابتذال حيائه بالإلحاف فى المسألة . والحميم : الصديق ، جمعه أحماء (بكسر الحاء وتشديد الميم) .

(٥) هو محمد البابلى بن عبده البابلى بك الذى كان من كبار تجار الجواهر فى مصر ؛ وقد أدخل ولديه محمدا وأحمد فى مدرسة البوليس ، وبعد إتمامهما الدراسة بها ألحقا ببعض الأعمال فى الحكومة المصرية ، ولكنهما لم يمكثا طويلا حتى تركا الحكومة وتفرغا لأعمالها ؛ واشتهر محمد بظرفه وفكاهته الحلوة حتى إن بعض الأدباء قد جمع كتابا ممتعا فى نكته وطرائفه ؛ وكان من أصدقاء حافظ الملازمين له ؛ وكانت وفاته فى سبتمبر سنة ١٩٢٤ م . (٦) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) ، وهو فى الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد أنه قد أكثر من فعل ما يريب حتى امتلأت نفسه بالشك فى صدق مودّته . (٧) أجدى : نفع .

بين حافظ وداود عمون

بعث حافظ بهذه القصيدة إلى داود عمون بك الشاعر اللبناني والمحامي المعروف

فأجابه عليها بقصيدة تأتي بعد

[نشرت في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢ م]

شَجَتْنا مَطالِعُ أَقْمارِها (١) * فسالَتْ نُفُوسٌ لتَذْكارِها

وبِتْنا نَحِنُّ لتِلْكَ القُصُور * وأَهْلِ القُصُورِ وزُوّارِها

قُصُورٌ كأنَّ بُرُوجَ السَّماء (٢) * خُدُورُ الغَوانِي بأَدْوارِها

ذَكَرْنا حِماها وبَيْنَ الضُّلُوع (٣) * قُلُوبٌ تَلَظَّى عَلى نارِها

فَمَرَّتْ بأَرْواحِنا هِزَّةٌ * هِيَ الكَهْرَباءُ بتَيّارِها

وأرضٌ (٤) كَسَتْها كِرامُ الشُّهور * حَرائِرَ مِنْ نَسْجِ (آذارِها)

إذا نَقَّطَتْها أَكُفُّ الغَمام * أَرَتْكَ الدَّرارِى (٥) بأَزْهارِها

وإنْ طالَعَتْها ذُكاءُ الصَّباح (٦) * أَرَتْكَ اللُّجَيْنَ بأَنْهارِها

---

(١) شجتنا : أطربتنا وشوقتنا . وسالت نفوس ، أى ذابت من اللوعة والشوق . والضمير فى قوله : «أقمارها» و «تذكارها» : القصور فى البيت التالى . (٢) يشبه خدور الغوانى ، أى حيث يستترن ببروج السماء فى الامتناع على من رامها . وأدوار القصور : طبقاتها ؛ وهو استعمال عامى .

(٣) تلظى : تتلظى ، أى تحترق . (٤) وأرض (بالرفع) : عطف على قوله فى البيت الثالث : «قصور» . وآذار : الشهر الثالث من السنة المسيحية ، وهو شهر تكثر فيه الأزهار .

(٥) الدرارى (بتشديد الياء ، وخففها الشاعر لضرورة الوزن) : الكواكب المتوقدة المتلألئة ، الواحد درى (بتشديد الياء) . يقول : إن هذه الأرض اذا أمطرها السحاب أنبتت من الأزهار ما يشبه الكواكب فى إشراقها ولمعانها . (٦) ذكاء : الشمس . واللجين : الفضة . يقول : إذا طلعت الشمس على هذه الأرض بدت أنهارها تحت الشعاع كأنها الفضة فى صفائها وبريقها .

وإنْ هَبَّ فيها نَسيمُ الأَصِيل * أَتاكَ النَّسِيمُ بأَخْبارِها (١)

وخِلٌّ أَقامَ بأَرْضِ الشَّآم * فباتَتْ تُدِلُّ على جارِها (٢)

وأَضْحَتْ تَتِيهُ برَبِّ القَرِيض * كتِيهِ البَوادِي بأَشْعارِها

وَللنِّيلُ أَوْلَى بذاكَ الدَّلال * ومِصْرُ أَحَقُّ (ببَشّارِها)

فشَمِّرْ وعَجِّلْ إليها المَآب * وخَلِّ الشَّآمَ لأَقْدارِها (٣)

فكيفَ لَعَمْرِي أَطَقْتَ المُقام * بأرضٍ تَضِيقُ بأَحْرارِها؟

وأنتَ المُشَمِّرُ إثْرَ المَظالِـ * ـمِ تَسْعَى إلى مَحْوِ آثارِها

تَأَرْتَ اللَّيالِي وأَقْعَدْتَها * بمَصْقُولِ عَزْمِكَ عَنْ ثارِها (٤)

إذا ثُرْتَ ماجَتْ هِضابُ الشَّآم * وباتَتْ تَرامَى بثُوّارِها (٥)

أَلَسْتَ فَتاها ومُخْتارَها * وشِبْلَ فَتاها ومُخْتارِها؟ (٦)

وإنْ قُلْتَ أَصْغَتْ مُلُوكُ الكَلام * ومالَتْ إليكَ بأَبْصارِها

(أَداوُدُ) حَسْبُكَ أَنَّ المَعالِـ * ـيَ تَحْسَبُ دارَكَ في دارِها

وأَنَّ ضَمائرَ هٰذا الوُجود * تَبُوحُ إليكَ بأَسْرارِها

---

(١) الأصيل : وقت ما بعد العصر إلى المغرب . يقول : ان النسيم اذا هب على هذه الأرض حمل من طيبها وروائحها العطرة ما يدل على ما فيها من الأزهار والرياحين . (٢) يريد بالخل : داود بك المدوح . وتدل : من الدل ، وهو معروف . ويريد «ببشارها» : وادى النيل . (٣) المآب : الرجوع . (٤) المصقول من السيوف : المجلو . ومعنى البيت أنه جعل لليالى عنده ثأرا بانتصاره على أحداثها ونوائبها ، ثم أعجزها عن طلب ثأرها بمضاء عزمه . (٥) ترامى : تترامى .
(٦) الشبل : ولد الأسد .

وأنكَ إمّا حَلَلْتَ الشَّـآم * رأيْنَـاكَ جَــذْوَةَ أفكارِهـا (١)

وإنْ كنتَ فى مِصْرَ نِعْمَ النَّصير * إذا ما أَهـابَتْ بأنصارِهـا (٢)

أبيات داود بك التى أجاب بها حافظا

أَمِنْ ذِكْرِ سَـلْمى وتَذْكارِها * نَـثَرْتَ الدّمُـوعَ عـلى دَارِها (٣)

وعِفْتَ القُصورَ لأَجْلِ الطُّلُول * تُطالِـعُ طامِسَ آثارِهـا (٤)

وَقَفْتُ بهـا لَيْـلَى ناشِـدًا * عَسَـاها تَبُـوحُ بأَسْـرارِها (٥)

ولِلدَّارُ أَنْطَــقُ آياتُهـا * مِنَ الرّاوِياتِ وأَخْبـارِها (٦)

تُعِيــدُ عليـكَ لَيـالى الحِمى * بأَنْجُـمِها وبأَقْمــارِها

سَـلامٌ عليْـكَ زمانَ الشَّباب * رَبيــعَ الحَيــاةِ بأَنْدارِها (٧)

لأَنْتَ مُخَفِّفُ أَحْــزانِها * وأَنْتَ مُسَـوِّغُ أَكْدارِها (٨)

ولَوْلا الشَّبابُ وذِكْرَى الشَّباب * لَعـاشَ الفَتَى عُمْـرَه كارِها

قَطَفْنـا الحَيـاةَ به حُـلْوَةً * وقـد جاء إِبّانُ إِمْرارِها (٩)

أُطَـوِّفُ فى الشَّرْقِ عَـلِّى أَرَى * بِـلادًا تَطِيبُ لِأَحْــرارِها

---

(١) الجذوة (بتثليث الجيم) : الجمرة الملتهبة . (٢) أهاب به : دعاه . (٣) يلاحظ أن التذكار هو نفس الذكر ؛ فالجمع بينهما تكرار ظاهر . (٤) عاف الشىء : رغب عنه وزهد فيه . وتطالع : تنظر . والطامس من آثار الديار وغيرها : ما اندثر منها وانمحى . (٥) الناشد : السائل . (٦) أنطق آياتها ، أى آثارها أنطق ؛ وفى هـذه العبارة نبوّ واضطراب ظاهران ؛ ومعنى البيت أن آثار الديار أوضح بيانا عن أنباء من سكنوها ممن يحدث عنها ويروى أخبارها . (٧) شبه زمن الشباب بالربيع ، وهو أنضر فصول السنة . (٨) مسوغ أكدارها ، أى مسهل وقع مصائبها وأحزانها . (٩) إبان الشىء : وقته .

فلَمْ أَرَ إلّا أُمورًا تَسُوء * وتَصْدَعُ أَكْبادَ نُظّارِها
(١)
فظُلْمٌ بتلكَ وذُلٌّ بهذي * وجَهْلٌ مُغشٍّ لأبصارِها
(٢)
تَعُقُّ مَراحِمَ رُعْيانِها * وتَرْعَى الوَلاءَ لجَزّارِها
(٣)
اذا شاءَ (قاسِمُ) رَفْعَ الحِجاب * تُسَمِّيه هاتِكَ أَسْتارِها
(٤)
فلا قَوْلَ إلّا لجُهّالِها * ولا رَأْيَ إلّا لأَغْرارِها

يَدِبُّ التَّراخِي على تُرْبِها * ويَجْرِي الخُمولُ بأنْهارِها
(٥)
مَنالُ التَّرَقِّي بإرْغامِها * ومَرْجَى الفَلاحِ بإجْبارِها

أهٰذا الذي أَوْرَثَتْ أهْلَها * بِلادُ العُلومِ وأنوارِها؟

\+ \+ \+

عَدِمْتُ حَياتِي إذا لَمْ أَقِفْ * حَياتِي على نَفْعِ أَمْصارِها

(أَحافِظُ) هٰذا مَجالُ العُلا * فشَمِّرْ لسَبْقٍ بمِضْمارِها

(أَشَوْقِي)(أَحافِظُ)طالَ السُّكُوت * وتَرْكُ الأُمورِ لأَقْدارِها
(٦)
فصُوغَا القَوافِيَ مَصْقُولَةً * وشُقَّا الجُلُودَ بِبَتّارِها

---

(١) مغش لأبصارها ، أى يحجبها بغشاوة . (٢) الولاء : الحب . يريد أن الأمم الشرقية تجحد الجميل لأنصارها وأوليائها ، وتسدى المودّة لخصومها وأعدائها . (٣) يريد المرحوم قاسم بك أمين . وقد منعه من الصرف هنا لضرورة الوزن . ويشير بهذا البيت إلى رأى قاسم أمين فى حرية المرأة وما لقيه فى سبيل ذلك من النقد الشديد . (٤) الأغرار : الذين لا تجربة لهم ، واحده غر بكسر الغين وتشديد الراء . (٥) يريد أن الرقى والفلاح إنما ينالهما فى هذه الأمم الشرقية من أطاع المستعمرين فى إرغامها على ما تكره وإكراهها على ما لا تحب . (٦) المصقولة : الصافية المجلوة . والبتار من السيوف والباتر : القاطع منها .

عَسـاها تُحَـرِّكُ أوطانَنـا * وتَنْشُـرُ ميّتَ أحيائِهـا (١)

أقـولُ وأعلمُ أنّى سارِمَى * بأنّى مُحَـرِّكُ نُـوّارِها

وأنّى الدَّخيلُ وأنّى الغريب * وأنّى النَّصيرُ لقهّارِها (٢)

أُحِبُّ بِلادِى علـى رَغْمِها * وإنْ لَمْ ينَلْنى سِوَى عارِها

ولَسْتُ بأوّلِ ذِى هِمّـةٍ * تَصَدَّى الزّمانُ لإنكارِها (٣)

(إلى إسماعيل صبرى باشا) (٤)

عنـد استقالته من وكالة الحقانيـة

[نشرت فى ٩ فبراير سنة ١٩٠٧م]

يا صـارِمًا أنِفَ الثَّـواءَ بغِمْـدِه * وأبَى القَـرارَ، ألا تَزالُ صَـقيلاَ (٥)

فالبِيضُ تَصْدأُ فى الجُفُونِ إذا ثَوَتْ * والمـاءُ يأْسَنُ إنْ أقامَ طَويلاَ (٦)

---

(١) نشر الميت وأنشره : أحياه . ويلاحظ أن هنا غلطا فى حرف الروى، إذ عدل الشاعر فى هذا البيت عن الراء إلى الهمز .   (٢) الدخيل فى القوم : الداخل فيهم المنتسب إليهم وليس منهم .

(٣) تصدّى : تعرض .   (٤) ولد المرحوم اسماعيل صبرى باشا فى سنة ١٨٥٤م وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق سافر إلى أوربا فأتم علومه القانونية هناك؛ ونال الشهادة من كلية إكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وآخر منصب تولاه وكالة الحقانية ، واعتزله فى سنة ١٩٠٧م وكانت وفاته فى ربيع سنة ١٩٢٣م وشعره معروف بالرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب، كما اشتهر بالاجادة فى المقطعات الصغيرة .   (٥) الصارم : السيف القاطع . والثواء : الإقامة . والصقيل : المجلو ؛ يقال : صقله يصقله (بضم القاف) صقلا وصقالا ، اذا جلاه وكشف صدأه . شبه صبريًا بالسيف القاطع المجلو ، ومنصبه الحكومى بالغمد الذى يستقر فيه السيف .

(٦) البيض : وصف يكنى به عن السيوف . وجفون السيوف : أغمادها ، الواحد جفن . وثوت : أقامت . وأسن الماء (من باب ضرب ونصر وعلم) فهو آسن : تغير فلم يشرب .

أهْلًا بمَوْلاىَ الرَّئِيسِ وليس مِنْ * شَرَفِ الرِّآسةِ أنْ أراكَ وَكِيلا (١)

فاطْرَحْ مَعاذِيرَ السُّكوتِ وقُلْ لنا * هَلَّا وَجَدْتَ إلى الكَلامِ سَبِيلا؟

واضْرِبْ على الوَتَرِ الذى اهتزَّتْ له * أعْطافُنا زَمَنًا وغَنِّ النِّيلا (٢)

وارْدُدْ على مُلْكِ القَرِيضِ جَمالَه * تَصْنَعْ بصاحِبِكَ القَدِيمِ جَمِيلا (٣)

ما زال يَرْجُو أنْ يُقالَ عِثارُه * حتّى أقالَ اللهُ (إسْماعِيلا) (٤)

(ذكرى وتشوق)

كتب بها إلى صديقه أحمد بك بدر وهو فى كلية ادنبره بإنجلترا

[نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩٠٨م]

مُلِكَتْ علىَّ مَذاهِبِي * وعَصانِيَ الطبعُ السَّلِيمُ (٥)

وجَفا يَراعِي الصّاحِبا * نِ فلا النَّثِيرُ ولا النَّظِيمُ

أشْقَى وأكْتُمُ شِقْوَتِي * واللهُ بى وبها عَلِيمُ

حَلِمَ الأَدِيمُ وما الّذى * أرْجُو وقد حَلِمَ الأَدِيمُ (٦)

(١) وكيلا، يريد وكالة ممدوحه لوزارة الحقانية، وهى آخر المناصب التى تولاها .

(٢) الأعطاف : الجوانب؛ الواحد عطف . (٣) يريد «بصاحبه القديم» : الشعر .

(٤) يقال : أقلت فلانا عثرته وأقلته منها، أى عفوت عنه ودفعت عنه شر ما كان يتوقع بسببها . ويريد بالإقالة الثانية : تخلى ممدوحه عن منصبه . وأصل الإقالة فى البيع فسخه والتحلل مما يوجبه عقده .

(٥) ملكت عليه مذاهبه، أى سدت عليه سبل القول .

(٦) حلم الأديم : مثل يضرب فى فساد الأمر حتى لا يرجى صلاحه . والأديم : الجلد؛ يقال : حلم الأديم يحلم (وزان علم يعلم)، اذا وقع فيه الحلم (بالتحريك)، وهو دود يقع فيه حتى يفسد ويتثقب .

لا مِصْـــرُ تُنْصِـفُنِي ولا * أنا عَنْ مَوَدَّتِهـا أَرِيمُ (١)

واذا تَحَــوَّل بائِسٌ * عن رَبْعِها فأنا المُقِـيمُ

فيهـا صَحِبْتُـكَ واصْطَفَيْـ * ـتُكَ أيُّهـا الخِـلُّ الحَمِـيمُ

أنا مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ خَبَرْ * تَ ومَنْ مَوَدَّتُه تَدُومُ

لِلّـــهِ ذَيَّاكَ الجِــوا * رُ وذلكَ العَيْشُ الرَّخِـيمُ (٢)

بالجـانِبِ الغَــرْبِيِّ فَوْ * قَ النِّيـلِ والدُّنْيـا نَعِـيمُ

أيّامَ يَعْـرِفُنـا السُّـرُو * رُ بها وتُنْكِـرُنا الهُمُومُ

أيّـامَ نَلْهُـو بالظِّـبا * ءِ وفي مَسـارِحِها نَهِـيمُ (٣)

لا أنتَ تُصْـغِي للعَـذُو * لِ ولا أُبالِي مَنْ يَلُومُ

لِلّـــهِ أَنْـدِيَــةٌ لَنـا * قَـد زانَهـا الخُلُقُ الكَرِيمُ

لَمْ يَغْشَــها وَغْــدٌ ولَمْ * يَـنْزِلْ بِسـاحَتِها لَئِـيمُ

تَمْشِي الخَـلاعَةُ في نَـوا * حِيهـا تُراقِبُهـا الحُـلُومُ (٤)

لَهْــوٌ كما شاءَ الصِّــبا * وحِجًـا كما شاءَ الحَكِيمُ (٥)

ومُـدامَـةٌ يَسْـعَى بهـا * مُتَـأَدِّبٌ ويَطُــوفُ رِيمُ (٦)

---

(١) أريم : أتحول . (٢) العيش الرخيم : اللين الرغد .

(٣) المسارح : المراعى، الواحد مسرح .

(٤) الحلوم : العقول، الواحد حلم . ويريد بقوله : «تراقبها الحلوم» : أن هذه الخلاعة لم يجاوز فيها الحد . (٥) الحجا : العقل . (٦) الريم : الظبي الخالص البياض، شبه به الساقى .

يَجْرِى على كاساتِها * أُنْسٌ يَخِفُّ له الحَليمُ
لا تَشْتَكى مِنّا ولا * يَشْكُو عواقِبَها النَّديمُ
والنِّيلُ مِرآةٌ تَنَفَّـ * ـسَ فى صَحيفتِها النَّسيمُ
سَلَبَ السَّماءَ نُجُومَها * فَهَوَتْ بِلُجَّتِه تَعُومُ (١)
نُشِرَتْ عليه غِلالةٌ * بَيْضاءُ حاكَتْها الغُيُومُ (٢)
شَفَّتْ لأَعْيُنِنا سِوَى * ما شابَهُ مِنها الأَدِيمُ (٣)
وكأنّنا فوقَ السَّما * ءِ وتحتَنا ذاكَ السَّديمُ (٤)
تَجرِى الحَوادِثُ حَيْثُ تَجْـ * ـرِى لا نُضامُ ولا نَضيمُ
لا الصُّبْحُ يُزْعِجُنا بأَنْـ * ـباءِ الزَّمانِ ولا الصَّريمُ (٥)
يا لَيْتَ شِعْرِى كيف أَنْـ * ـتَ وكيفَ حالُكَ يا زَعيمُ
أَمّا أنا فكَما أنا * أَبْلَى كما يَبْلَى الرَّدِيمُ (٦)
لا خِلَّ بَعْدَكَ مُؤْنِسٌ * نَفْسِى ولا قَلْبٌ رَحيمُ

(١) يريد بهذا البيت أن نجوم السماء قد تمثلت على صفحته لصفاء مائه .

(٢) الغلالة (بالكسر) : ثوب رقيق . وحاكتها : نسجتها .

(٣) شفت : رقت . وشابه : خالطه ومازجه . «ويريد بالأديم» : أديم السماء ، أى ظاهرها . يقول : إن هذه الغلالة تمثلت على صفحة الماء كالثوب الممزق . وكانت الغيوم قطعا فى السماء ، فما صادف من وجه الماء انعكاس غيم كان شفافا يبين ما تحته ، وما صادف منه أديم السماء بدا غير شفاف .

(٤) السديم : الضباب الرقيق ، شبه به البحر الذى يجرى من تحتهم .

(٥) الصريم : الليل . (٦) الرديم : الثوب القديم .

كادَ الزَّمانُ لنا ولا * عَجَبٌ إذا كادَ الغَريمُ (١)

أمسى احتواكَ الزَّمهريـ * ـرُ وظَلَّ يصهرنى الجحيمُ (٢)

فشرابُكَ الماءُ الشُّنا * نُ وشُربِىَ الماءُ الحميمُ (٣)

ومُناكَ لو طَلَعَتْ ذُكا * ءُ عليكَ فى يومٍ يصومُ (٤)

ومُنايَ لو مُحِقَتْ ذُكا * ءُ وغالَها لَيْلٌ بَهيمُ (٥)

فَبَلِيَّتى الحَرُّ الأليـ * ـمُ وخَطْبُكَ القُرُّ الأليمُ (٦)

فكأنَّنى فِرعَونُ مِصْـ * ـرَ وأنتَ شَيْطانٌ رَجيمُ (٧)

فابعثْ إلىَّ بنفحةٍ * بَرَدًا بها يَحدُو الهَزيمُ (٨)

أبعثْ إليكَ بلَفحةٍ * حَرَّى بها تجرى السَّمومُ (٩)

أمّا تحيّتُنا إليـ * ـكَ فسوفَ يشرحُها الرَّقيمُ

---

(١) الغريم : الخصم . (٢) الزمهرير : شدة البرد . ويريد بالزمهرير : شدة البرد فى اسكتلندا . (٣) الماء الشنان (بالضم) : البارد . والماء الحميم : الحار .

(٤) ذكاء (بالضم) : اسم الشمس ، غير منصرف للعلمية والتأنيث . ويقال : صام النهار : اذا قام قائم الظهيرة واعتدل ، ويقال : صامت الشمس (أيضا) اذا استوت . (٥) ليل بهيم : مظلم .

(٦) القر (بالضم) : البرد . (٧) شبه الشاعر نفسه بفرعون مصر ، لأنه يعذب بالنار ، وصديقه بالشيطان الرجيم ، لأن الشيطان نارى الطبع يعذب بالزمهرير . (٨) البرد : حب الغمام ، وهو مفعول « يحدو » . يقول : اهد الىّ نفحة من جو بلادكم بردا يسبقه رعد . ويحدو ، من الحداء . والهزيم : الرعد . (٩) السموم : الريح الحارة . ولفحتها : إحراقها .

شكر

أنشد هذه القصيدة فى فندق الكونتننتال فى الحفل الذى أقيم لتكريمه

فى يوم الجمعة ٣١ مايو ١٩١٢ م

مَلَكْتُمْ علىَّ عِنانَ الخُطَبْ * وجُزْتُمْ بقَدْرِى سَماءَ الرُّتَبْ

فمَنْ أنا بينَ مُلوكِ الكَلام * ومَن أنا بينَ كِرامِ الحَسَبْ

أتَسْعَى إلىَّ حُماةُ القَرِيض (١) * وتَمْشِى إلىَّ سَراةُ العَرَبْ

وتَنْظِمُ فِىَّ عُقودَ الجُمان (٢) * وتَنْثُرُ فوقِى نِثارَ الذَّهَبْ

وأُكْرَم حتّى كأنِّى نَبَغْت * وقُمْتُ لمصرَ بما قد وَجَبْ؟

فماذا أتَيْتُ مِن الباقِيات * وهذا شَبابِى ضَياعًا ذَهَبْ

عَمِلْتُ لقَوْمِى جُهْدَ المُقِلّ * على أنّه عَمَلٌ مُقْتَضَبْ (٣)

فلَمْ يُغْنِ شيئًا ولَمْ يُجْدِهِمْ * ولَمْ يَبْقَ إلّا بَقاءَ الحَبَبْ (٤)

وهل أنا إلّا امْرُؤٌ شاعِرٌ * كثيرُ الأمانِى قليلُ النَّشَبْ (٥)

يَقُولُ ويُطْرِبُ أتْرابَه (٦) * ويَقْنَعُ منهم بذاكَ الطَّرَبْ

تَعَلَّقْتُ حِينًا بذَيْلِ البَيان * وأدْخَلْتُ نَفْسِى فِيمَنْ كَتَبْ

---

(١) حماة القريض : رجال الشعر . والسراة : جمع سرى ، وهو الرفيع القدر من الناس .

(٢) الجمان : اللؤلؤ ، الواحدة جمانة . شبه به وبنثار الذهب ما قيل من الشعر والخطب فى مدحه والثناء على أدبه .

(٣) المقتضب : المنقطع قبل التمام .

(٤) الحبب : الفقاقيع التى تكون على سطح الماء . ويشبه به زوال الشىء بسرعة .

(٥) النشب : المال .

(٦) أترابه : أمثاله فى السن ، الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .

فـلا السَّـبقُ لى فى مَجالِ النُّهَى * ولا لىَ يَـوْمَ الفَـخارِ الغَـلَبْ

ولا أنَا مِنْ عِلْيَــةِ الكاتِبينَ * ولا أنا بالشّـاعِرِ المُنْتَـخَبْ

ولٰكنْ سَمَـا بِىَ عَطْفُ الأَمِـيرِ * ورَأْىُ الوَزِيرِ وفَضْــلُ الأَدَبْ (١)

وما كنتُ أَحْلُمُ - لولا الوزيرُ - * بِهٰــذا الهَنَاءِ وهٰــذا اللَّقَبْ (٢)

عَـلىَّ أَيَــادٍ لـــه جَمَّـةٌ * وفَضْلٌ قَـديمٌ شَرِيفُ السَّـبَبْ (٣)

فَأَنّــا أَقَالَ بِـــهِ عَــثْرَتى * وأَوْرَى زِنـادِى وأَنّـا وَهَـبْ (٤)

تَفَيَّأتُ مِنْـــهُ ظِــلالَ النَّعِـيمِ * وأَصبحْتُ أَعْرِفُ لُبْسَ القَصَبْ (٥)

وأَمْشِى اخْتِيـالًا إلى عابِدِينَ * يُطالِعُـنِى بَدْرُها عَنْ كَثَبْ (٦)

وأَلْـثِمُ كَفَّ كَرِيمِ الجُـدُودِ * غِيـاثِ العُفَـاةِ مُزِيلِ الكُرَبْ (٧)

وأَحْثُثُ بينَ وُفُـودِ السَّــراةِ * مَطَـايَا الـرَّجاءِ لـذاكَ الرَّحَبْ (٨)

أَتَوْا خالِصينَ لوَجْـهِ الأَمِـيرِ * فَــلا عَنْ رِياءٍ ولا عَنْ رَهَبْ (٩)

---

(١) يريد «بالوزير» : أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك . ولد فى كفر المصيلحة من إقليم المنوفية فى (سنة ١٢٧٥هـ) (سنة ١٨٥٨م) وبعد أن أتم علومه ونال شهادة الحقوق تولى عدة مناصب قضائيـة وإدارية فى الحكومة المصرية ، وآخر المناصب التى تولاها نظارته للمعارف العموميـة ، وتوفى فى سنة ١٩٢٦م وكان له من الأيادى البيضاء على حافظ ما جعله يلهج بشكره فى هذه القصيدة .

(٢) يريد لقب (البكوية) الذى أنعم عليه به فى السنة المشار إليها فى أول هذه القصيدة .

(٣) الأيادى : النعم . (٤) الضمير فى «به» للفضل . يقال : أورى فلان زندى ، إذا أجابنى الى ما أطلب . والأصل فى إيراء الزند ، أن تستخرج ناره . (٥) تفيأ الظل : التجأ اليه واستظل به . (٦) يريد «بالبدر» : الخديوى عباس الثانى . والكثب (بالتحريك) : القرب .

(٧) العفاة : طلاب المعروف ، الواحد عاف (كقاض) . (٨) أحثث مطايا الرجاء ، أى أبعثها فى سرعة . والسراة من الناس : الرفيعو المنزلة ، الواحد سرى (بفتح السين) . (٩) الرهب : الخوف .

لهم ما يشاءون من ربهم * رضاء الأمير ونيل الأرب

(١)
وللكاشحين نكال الزمان * ونحس النجوم ذوات الذنب

فعهد الأمير كعهد الرشيد * يمت إليه بحبل النسب

(٢)
إليك (أبا حسن) أنتمي * فما زل مولى إليك انتسب

(٣)
عرفت مكاني فأدنيتني * وشرفت قدري (بدار الكتب)

وعرفت دهري مكان الأديب * وقد كان دهري شديد الكلب

(٤)
فلو أن لي مرقصات (الخليل) * وإعجاز (شوقي) إذا ما رغب

لقمت بشكرك حق القيام * ولكن طلبت فعز الطلب

فشكري لصنعك شكر النبات * ببطن الفلاة لقطر السحب

وشكرا (لشوقي) رسول القريض الـ * ـكريم الإخاء المتين السبب

(٥)
وشكرا (لداود) رب اليراع * وشكرا (لسركيس) رب العجب

وشكرا لكل كريم سعى * إلى وكل أديب خطب

(١) الكاشحون : الأعداء الذين يبطنون العداوة ، الواحد كاشح ، وذلك لأنه يتباعد منك ويوليك كشحه . (٢) انتمى : انتسب . ويريد « بأبي حسن » : المرحوم أحمد حشمت باشا .

(٣) يشير الى أن حشمت باشا هو الذى عين حافظا فى منصبه المعروف بدار الكتب .

(٤) يريد « بالخليل » : خليل بك مطران الشاعر المعروف ؛ ومرقصاته : قصائده .

(٥) داود ، هو داود بركات الكاتب اللبنانى المعروف ، وكان رئيسا لتحرير جريدة الأهرام . ولد بقرية بحنوش من أعمال لبنان سنة ١٨٧٠ م ، وتوفى فى ٤ نوفبر سنة ١٩٣٣ م . وسركيس ، هو سليم سركيس الكاتب اللبنانى المعروف ، محرر جريدة المشير ومجلة سركيس ، ولد فى بيروت عاصمة لبنان سنة ١٨٦٩ م ، وكانت وفاته فى سنة ١٩٢٥ م .

هُـــمُ شَجَّعُونِى على أنْ أقُولَ * وما كان لى بَيْنَهُـــمْ مُضْـــطَرَبْ (١)

هُـــمُ أَلْهَمُـــونِى فَصِيحَ الكَلام * هُـــمُ عَلَّمُـــونِى طَـــرِيقَ النُّخَبْ (٢)

فَمِنْهُـــمْ أَخَذْتُ وعنهـــمْ صَـــدَرْتُ * ومِنْ عِنْـــدِهِمْ فَضْلِيَ المُكْتَسَبْ

فَحَيُّـــوا عَـــزِيزَ البِـــلادِ الَّذِى * على السُّـــحْبِ ذَيْلَ المَعَـــالِى سَحَبْ

وَحَيُّـــوا (سَـــعِيدًا) وَزِيرَ الأَمِـــيرِ * قَرِيبَ الصَّـــوابِ بَعِيـــدَ الغَضَبْ (٣)

تَـــوَلَّى الرِّآسَـــةَ والحَـــادِثاتُ * تَرُوعُ النُّفُـــوسَ بِوَقْـــعِ النُّـــوَبْ

فَسَاسَ البِـــلادَ وأَرْضَى العِبَـــاد * وأَرْضَى الأَمِـــيرَ وأَرْضَى الأَدَبْ

إلى حفنى ناصف بك (٤)

قالها فى حفل أقامه أعضاء نادى طنطا لتكريم حفنى بك لانتقاله من القضاء إلى التفتيش بنظارة المعارف

[نشرت فى ٥ أكتوبر سنة ١٩١٢ م]

يا يومَ تكريمِ (حِفْنِى) * أَرْهَفْتَ لِلقَوْلِ ذِهْـنِى (٥)

فيـا قَرِيضُ أَجِبْـــنِى * ويا بَيـــانُ أَعِـنِّى

---

(١) المضطرب : المذهب. (٢) طريق النخب ، أى طريق المنتخب من الكلام المختار منه ، وهو جمع نخبة (بضم النون وسكون الخاء أو بضمهما) . (٣) يريد المرحوم محمد سعيد باشا وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك .

(٤) حفنى بك ناصف هو ابن الشيخ إسماعيل ناصف ؛ ولد عام ١٢٧٢ هـ فى ضاحية من ضواحى القاهرة تدعى بركة الحاج ، ثم دخل كتاب القرية فالأزهر فدار العلوم ، ثم كان أستاذ اللغة العربية فى مدارس الحكومة ، واختير للتدريس فى مدرسة الحقوق ، فرأى أن يشارك طلبتها فى دروسهم ، فتعلم القانون وترك التدريس وانتخب كاتب سر للنائب العمومى ، ثم عين قاضيا بالمحاكم الأهلية سنة ١٨٩٢ م فوكيلا لإحدى المحاكم ، وانتخب لتدريس الأدب العربى فى الجامعة المصرية وهى أهلية ، ثم انتخب مفتشا للغة العربية بوزارة المعارف ؛ وتوفى فى سنة ١٣٣٧ هـ — سنة ١٩١٩ م وكان رحمه الله فكه الحديث ، مليح النادرة ، مشاركا فى كل علم وفن من علوم اللغة وفنونها . (٥) الإرهاف : الشحذ والتحديد .

عَلَيَّ أَنِّي بَعْضُ دَيْنِي * إِنْ كانَ ذَلِكَ يُغْنِي

يا مَنْ ضَرَبْتَ بِسَهْمٍ * فِي كُلِّ عِلْمٍ وَفَنِّ

بَنَيْتَ لِلشِّعْرِ فِينا * والنَّثْرِ أَعْظَمَ رُكْنِ

وما خُلِقْتَ لَعَمْرِي * فِي الشَّرْقِ إِلَّا لِتَبْنِي

فَكُلُّ رَبِّ يَرَاعٍ * فِي مِصْرَ خِرِّيجُ (حِفْنِي)

إِنْ قالَ شِعْرًا فَرَاحٌ[1] * تُدارُ فِي يَوْمِ دَجْنِ

أَوْ قالَ نَثْرًا فَرَوْحٌ[2] * يَجْتازُنا غِبَّ مُزْنِ

فَإِنْ بَدَأْتَ بِقَوْلٍ * مِنْهُ فَبِالْكَأْسِ ثَنِّ

وطِرْ إِلَى اللَّهْوِ وارْغَبْ * عَنْ حِكْمَةِ الْمُتَأَنِّي

فالْعَيْشُ فِي بِنْتِ فِكْرٍ[3] * تُجْلَى وَفِي بِنْتِ دَنِّ

وإِنْ طَلَبْتَ مَزِيدًا * فَفِي مُناجاةِ خِدْنِ

لَوْلا الْحَياءُ وَلَوْلا * دِينِي وعَقْلِي وسِنِّي

لَقُمْتُ فِي يَوْمِ (حِفْنِي) * أَدْعُو لِسَكْرَةِ "يَنِّي"[4]

---

(١) الراح : الخمر . والدجن : ظل الغيم في اليوم المطير . وقديما مدح الشعراء الشرب واللهو فيه .

(٢) الروح : الريح . والمزن : المطر، وأنق ما يكون النسيم غب مطر .

(٣) بنت الفكر : نتاج القرائح والأفكار . و بنت الدن : الخمر . والدن : وعاء كبير لها .

(٤) سكرة ينى ، مثل مصرى يضرب فى كثرة الشرب والإفراط فى السكر .

وَلَا أَقُـولُ (لِحفْـنِي) * ما قِيـلَ قِدْمًا (لِمَعْنِ)[1]

لا تَنْسَ عَيْشًـا تَـوَلَّى * ما بَيْنَ شَرْحٍ وَمَتْنِ[2]

وَلَّى شَـبَابُكَ فِيـهِ * ما بَيْنَ مَـدٍّ وَغَنِّ

وَذُقْتَ مِنْ "جاءَ زَيْدٌ" * وَمِنْ شُرُوحِ (الشُّمُنِّي)[3]

وَمِنْ حَوَاشِي الحَوَاشِي * على مُتُونِ (ابنِ جِنِّي)[4]

ما لَمْ تُـذِقْكَ اللَّيَـالِي * قَلَبْنَ ظَهْـرَ المِجَنِّ[5]

أَيَّامَ (سُلْطَانُ) يَلْهُو * (بِمِشِّـه) وَيُغَنِّي[6]

---

(١) يشير بهذا البيت الى ما ورد من أن شاعرا أراد أن يجرّب حلم معن بن زائدة الشيبانى ويستثير حفيظته، فهجاه بقصيدة، منها :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة * وإذ نعلاك من جلد البعير

(٢) يريد بهـذا البيت وما بعـده من الأبيات تذكير حفنى بعهده فى الأزهر، وما لاقاه من شظف العيش فيه أيام كان طالبا به مع زميله المرحوم سلطان محمد بك .

(٣) الشمنى، هو أبو العباس تقى الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمى الدارى الحنفى من علماء القرن التاسع، ولد بالاسكندرية سنة ٨٠١ هـ وتوفى فى شهر ذى الحجة سنة ٨٧٢ هـ .

(٤) ابن جنى، هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى، إمام من أئمة النحو معروف، ولد قبل سنة ٣٣٠ هـ وتوفى فى صفر سنة ٣٩٢ هـ .

(٥) «ما» : مفعول لقوله قبل : «وذقت» . والمجن : الترس . وقلبن له ظهر المجن، أى تغيرن عليه وتنكرن له ؛ وهو مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على مودّة ثم تحوّل عنها .

(٦) يريد بسلطان : المرحوم سلطان محمد بك زميل حفنى بك، وكان مجاورا معه فى الأزهر، وتخرج فى دار العلوم، ثم كان أستاذا بها وبالجامعة المصرية القديمة أيضا .

يَبِيتُ يَفْصَحُ ما لَمْ * أُسَمِّهِ أو أُكَنِّي

يَشْكُو اليكَ وتَشْكُو * اليهِ عِيشَةَ غَبْنِ

أيامَ يَدْعُوكَ (حِفْنِي): * مِنَ الحَيَاةِ أَجِرْنِي

هاتِ المُسَدَّسَ إنِّي * سَئِمْتُ (مِشِّي)و(جُبْنِي)

(١)
مَنْ لِي بِدِرْهَمِ لَحْمٍ * عَلَيْهِ حَبَّةُ سَمْنِ

(٢)
قَرِمْتُ واللهِ حَتَّى * صاحَتْ عَصافِيرُ بَطْنِي

أيامَ عِيدُكَ يَوْمٌ * تَفُوزُ فيهِ بِدُهْنِ

(٣)
أيامَ (مَهْيَا) أُشَهِّي * إليكَ مِنْ (سَنْ جُونِي)

✦
✦ ✦

أقولُ هذا وإنِّي * لَمُحْسِنٌ فيكَ ظَنِّي

فإنْ غَدَوْتَ وَزِيرًا * يومًا وجِئْنا نُهَنِّي

فلا تَكُنْ ذا حِجابٍ * ولا تُطِلْ في التَّجَنِّي

ولا تَقُلْ من غُرُورٍ * يأيُّها النَّاسُ إنِّي

(١) الحبة . جزء من ثمانية وأربعين جزءا من درهم .

(٢) قرم الى اللحم قرما (بالتحريك) : اشتدت شهوته اليه . وصياح عصافير البطن كناية عن شدة الجوع .

(٣) مهيا : اسم لبائع أطعمة أكثرها من الفول بجوار الأزهر . (وسان جونى) : اسم لبائع حلواء فى مدينة حلوان .

(٤) إنى ، أى إنى كذا وكذا مما يحدث به عن نفسه فى معرض الفخر .

*
* *

أَخْشَى عليكَ المَنَايا * حتَّى كأنَّكَ مِنِّي (١)

اذا شَكَوْتَ صُداعا * أطَلْتُ تَسْهِيدَ جَفْنِي

وإنْ عَراكَ هُزالٌ * هَيَّأْتُ لَحْدِي وقُطْنِي

وإنْ دَعَوْتُ لِحَيٍّ * يوماً فإيَّاكَ أعْنِي

عُمْرِي بعُمْرِكَ رَهْنٌ * فعِشْ أعِشْ ألْفَ قَرْنِ

نَبْقَى وإبليس فيها * نُبْلِي اللَّيالِي ونُفْنِي

أسْرَفْتُ في المَزْحِ فاصْفَحْ * يا سَيِّدِي واعْفُ عَنِّي

فالذنبُ ذَنْبُ (شُدُودِي) * فالْعَنْ (شُدُودِي) ودَعْنِي (٢)

قد سَنَّ فِينَا مُزاحًا * على الحَقِيقَةِ يَجْنِي

ذُقْتُ الأمَرَّيْنِ مِنْهُ * فسَلْ (سَلِيمًا) وسَلْنِي (٣)

واسْمَعْ مَدِيحَ مُحِبٍّ * يُطْرِي بحَقٍّ ويُثْنِي

---

(١) يشير بهذا البيت وما بعده من الأبيات الخمسة الآتية بعده إلى حادثة معروفة بين حفنى وحافظ ، وذلك أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده وقف على قبره يوم تأبينه ستة من الخطباء ، وهم : الشيخ أبو خطوة ، وحسن عاصم باشا ، وحسن عبد الرازق باشا ، وقاسم أمين بك ، وحفنى ناصف بك وحافظ ابراهيم بك ، وقد مات الأربعة الأولون واحدا بعد واحد على حسب ترتيبهم فى يوم التأبين وجاءت النوبة على حفنى بك ، وكان قد بعث الى حافظ بأبيات يذكره فيها بالموت ، ويدعوه الى الاستعداد له اذا نزلت به المنية .

(٢) هو الدكتور ابراهيم شدودى الرمدى الشاعر الأديب المعروف وكان قد نظم مقطوعة فى تكريم حافظ نحا فيها هذا النحو من المزح ، وذكر حافظا عهده السابق فى الجيش .

(٣) يريد سليم سركيس انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٧٨

لقـــد جمعت خلالا * تضمنت كل حســن
مفتشـــا وفقيـــها * وقاضيا وابن فن (١)

إن (المعـارف) فازت * بمنيـــة المتمـــنى
(بحشمت) و (عـــلى * أبى الفتوح) و (حفني) (٢)

اعتذار إلى أحمد شوقى بك

كتب به إليه حينما أقيم حفل زواج كريمته السيدة أمينة هانم بحامد العلايلى بك
فى كرمـة ابن هانئ ولم يحضره حافظ لمـرض ألم به
[نشرت فى ١٥ يناير سنة ١٩١٣ م]

يا ســـيدى وإمامى * ويا أديب الزمان
قد عاقنى ســوء حظى * عن حفـلة المهـرجان
وكنت أول ساع * إلى رحاب (ابن هانى) (٣)
لكن مرضت لنحسى * فى يـوم ذاك القـران

---

(١) ابن فن : كلمة شائعـة الاستعمال يوصـف بها الظرفاء وأصحاب النكت الطريفـة والفكاهات الرقيقة .

(٢) يريد بحشـمت : أحمد حشمت باشا ناظر المعارف إذ ذاك . وعلى أبو الفتوح باشا وكيلها .

(٣) يريد بابن هانى : أحمد شوقى بك ، وكان يكنى بهـذه الكنية تشبها بأبى نواس الحسن بن هانئ الحكمى الشاعر العباسى المعروف ، لما بين الشاعرين من الشبه فى الاتصال بالملوك ومخالطتهم ، والاتحاد فى بعض أغراض شعرهما .

وقـد كفـانى عقـابًا * ماكان مِن حِرمانى

حُرِمتُ رُؤيَةَ (شوقى) * ولَثمَ تلكَ البنانِ

فاصفَح فأنتَ خَليقٌ * بالصَّفحِ عن كلِّ جانى

وعِش لعَرشِ المَعانى * ودُم لتاجِ البَيانِ

إنْ فاتَنِى أنْ أُوَفِّى * بالأمسِ حَقَّ التَّهانى

فاقبَلهُ مِنِّى قَضاءً * وكُنْ كَرِيمَ الجَنانِ (١)

واللهُ يَقبَلُ مِنَّا الـصَّلاةَ بَعْدَ الأوانِ

دعابـــة

رزق الشيخ أمين تقى الدين الأديب السورى بمولود سماه حافظا وقال فيـه :

لِى وَلَـدٌ سَمَّيتُـه حَافِظًا * تَيَمُّنًـا بحافِـظ الشَّاعِرِ (٢)

[نشرت فى ١٥ يوليـه سنة ١٩١٣ م]

فقـال حافظ :

كحافِظ آبراهيمَ لكنَّه * أجمَلُ خَلقًا منه فى الظَّاهِرِ

فَلَعنَةُ اللهِ على (حافِـظ) * إنْ لَمْ يكُنْ بالشَّاعِرِ الماهِرِ

لَعَلَّ أرضَ الشامِ تَزهَى به * على بِلادِ الأدَبِ الـزَّاهِرِ (٣)

---

(١) الجنان : القلب . (٢) لم ينوّن اسم حافظ لضرورة الوزن .

(٣) يريد « بلاد الأدب » : مصر .

على بلادِ النيلِ تلكَ التي * تاهتْ بأصحابِ الذكا النادرِ (١)

(شوقي)و(مطرانَ)و(صبري)ومَنْ * سمّيتُه في مطلعي الباهرِ

فقال الشيخ أمين :

وانجلتي إنْ لم يجئْ شاعرًا * يُنسي أباهُ حكمةَ الناثرِ

شعرٌ نظمناهُ ولولا الذي * رُزقتُه ما مرّ بالخاطرِ

فقال حافظ :

فيا وليدي كُنْ غدًا شاعرًا * وابدأْ بهجوِ الوالدِ الآمرِ (٢)

فالذنبُ ذنبي وأنا المعتدي * هل يسلمُ الشاعرُ من شاعرِ

بين شوقي وحافظ

[نشرت في سنة ١٩١٧ م]

كان (أحمد شوقي بك) قد بعث بأبيات ثلاثة وهو في منفاه بالأندلس الى حافظ، وهي :

يا ساكني مصرَ إنّا لا نزالُ على * عهدِ الوفاءِ — وإنْ غبنا — مقيمينا

هلّا بعثتمْ لنا من ماءِ نهرِكمُ * شيئًا نبلُّ به أحشاءَ صادينا (٣)

كلُّ المناهلِ بعدَ النيلِ آسنةٌ * ما أبعدَ النيلَ إلّا عنْ أمانينا (٤)

---

(١) تاهت : افتخرت.

(٢) الآمر، أى الذى يأمرك بصنع الشعر.

(٣) الصادى : الظمآن .

(٤) المناهل : الموارد . والماء الآسن : المتغير .

فأجابه حافظ بهــذه الأبيــات

[نشرت فى ٨ مايو سنة ١٩١٧ م]

عَجِبْتُ لِلنيــلِ يَدرى أنّ بلبلَه * صادٍ ويَسْــقِى رُبا مِصرٍ ويَسْقِينا

واللهِ ما طابَ للأصحابِ مَــوْرِدُه * ولا ارْتَضَوْا بعدَكمْ مِنْ عَيْشِهمْ لِينا

لَمْ تَنْأَ عنــه وإنْ فارَقْتَ شاطِئَه (١) * وقد نَأَيْنــا وإنْ كُنّا مُقِيمِينا

بين حافظ والهرّاوى

احتجب المرحــوم حافظ ابراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام فى بيته بالجيزة سنة ١٩١٨ م فذهب صديقه محمد الهراوى الشاعر المعروف ليزوره ولمـا رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض المعانى فى خاطره، فارتجل هذه الأبيات :

يا رَئِيسَ الشِّعْرِ قُلْ لِى * ما الّذى يَقْضِى الرَّئِيسْ (٢)

أَنْتَ فى الجِــيزَةِ خَافٍ * مِثْلَمــا تَخْفَى الشُّمُوسْ

قَابِــعٌ فى كِسْرِ بَيْتٍ * قــد أَظَلّتْــه الغُرُوسْ

زاهِدٌ فى كُلِّ شَىْءٍ * مُطْـرِقٌ ساهٍ عَبُوسْ

أين شِــعْرٌ مِنـكَ نَضْرٌ * فَلَنَــا فيــه مَسِيسْ (٣)

وحَدِيثٌ منــكَ حُـلْوٌ * يَتَشَهّــاه الجُــلُوسْ

---

(١) ينأى : يبعد . (٢) يقضى : يصنع ويعمل . قال تعالى : (فقضاهن سبع سموات فى يومين) .

(٣) مسيس ، أى حاجة ماسة ، يقال : مست الحاجة الى كذا ، أى ألجأت إليه .

وفُكاهاتٌ عِذابٌ * تَتَمنَّاها النُّفُوسُ

قد جَفَوتَ الشِّعرَ حتّى * حَدَّثتْ عنك الطُّروسُ

وهَجَرتَ النَّاسَ حتّى * ساءلُوا أينَ الأنيسُ؟

فأجابه حافظ على البديهة أيضا :

أنَا فى الجِيزَةِ ثاوٍ (١) * لَيسَ لى فيها أنيسُ

أنكَرَ الأُنسُ مَكانِى * ونأَى عَنِّى الجَليسُ

لَيسَ يَدرى مَن رآنِى * أَطَلِيقٌ أمْ حَبيسُ

دعابة كتب بها إلى السيد محمد البيلاوى نقيب الأشراف

[لما ولى نقابة الأشراف فى سنة ١٩٢٠ م]

قُل للنَّقيبِ لقد زُرنا فَضيلَتَهُ * فَذَادَنا (٢) عَنهُ حُرّاسٌ وحُجّابُ

قد كانَ بابُكَ مَفتوحاً لقاصِدِهِ * واليومَ أُوصِدَ (٣) دونَ القاصِدِ البابُ

هلّا ذَكَرتَ (بدارِ الكُتبِ) صُحبَتَنا * إذ نحنُ رَغمَ صُروفِ الدَّهرِ (٤) أحبابُ

لو انَّنى جِئتُ (لِلبابَا) (٥) لأكرَمَنى * وكانَ يُكرِمُنى لو جِئتُهُ (الباب)

---

(١) الثاوى : المقيم . (٢) ذادنا : منعنا . (٣) أوصد الباب : أغلقه .

(٤) صروف الدهر : نوائبه ؛ يشير إلى أن السيد محمد البيلاوى كان هو والشاعر يعملان معا فى دار الكتب المصرية . (٥) يريد «بالباب» : رأس الطائفة المعروفة بالبابية ، وهم فرقة من غلاة الشيعة ، وسمى بابا ، لأنهم يعدونه باب المهدى ، أى نائبه .

لا تَخْشَ جائزةً قـد جئتُ أطلُبُهـا * إنِّى شريفٌ وللأشرافِ أحْسابُ (١)

فاهْنَأْ بما نِلتَ مِنْ فَضلٍ وإنْ قُطِعَتْ * بيْنى وبيْنكَ بعْـدَ اليـومِ أسْـبابُ (٢)

اســـتئذان الرئيس

بيتان ارتجلهما فى الاستئذان على المغفور له سعد زغلول باشا

[نشرا فى ٢٥ نوفبر سنة ١٩٢٤ م]

قُـلْ للرَّئيسِ أدامَ اللهُ دَوْلَتَـهُ * بأنّ شاعِرَه بالبـابِ مُنْتَظِـرُ

إنْ شاءَ حَدَّثَهُ أوْ شاءَ أطْرَبَهُ * بكلِّ نادِرَةٍ تُجْلَى بها الفِكَـرُ

دعابـــــة

قالهـا فى الدكتور محجوب ثابت سنة ١٩٢٧ م ، وكان كلاهمـا فى ضـيافة المرحوم سـعد زغلول باشـا فى مسجد وصيف ، وكان الدكتور — فيما قالوا — مشغولا بأمرين إذ ذاك : وزارة يتولاها ، وفتاة غنيـة من بيت عريق يتزوجها وإلى هذا يشير الشاعر فى هذه القصيدة :

يُرْغِى ويُزْبِدُ بالقافاتِ تَحْسَبُهـا * قَصْفَ المَدافِـعِ فى أُفْقِ البَساتِينِ (٣)

مِنْ كلِّ قافٍ كأنّ اللهَ صَوَّرَها * مِن مارِجِ النّارِ تَصْوِيرَ الشَّياطِينِ (٤)

(١) يشير بقوله : « إنى شريف » ، إلى الحكم الشرعى المعروف من أن الصدقة لا تجوز على الأشراف . (٢) يريد بالأسباب : روابط المودة . (٣) يشير بهذا البيت إلى كثرة ورود حرف القاف فى حديث الدكتور محجوب ثابت وحرصه على النطق بها . ويريد بالشطر الثانى منه أن هذه القافات الثقيلة الوقع على الأذن فى وسط كلماته الرقيقة أشبه بأصوات المدافع المرعدة فى البساتين الغناء .

(٤) المارج : النار التى لادخان لها .

(١) قد خَصَّهُ اللهُ بالقافات يَعْلُكُها * واختصَّ سُبحانه بالكاف والنون

(٢) يَغيبُ عنه الحِجا حِينًا ويحضُره * حِينًا فيَخلِطُ مُختلاً بموزون

(٣) لا يأمَنُ السامعُ المِسكينُ وثبتَه * مِنْ (كردفان) إلى أعْلَى (فِلَسْطِين)

(٤) بَيْنا تَراه يُنادي الناسَ في (حَلَبٍ) * اذا بِه يَتحدَّى القومَ في (الصِّين)

(٥) ولَم يَكُنْ ذاكَ عَنْ طَيْشٍ ولا خَبَلٍ * لكنَّها عَبقرِيَّاتُ الأساطِين

(٦) يَبيتُ يَنْسِجُ أحلامًا مُذَهَّبةً * تُغني تفاسِيرُها عن (ابْنِ سِيرِينِ)

(٧) طَوْرًا وَزِيرًا مُشاعًا في وِزارَتِه * يُصَرِّفُ الأَمْرَ في كُلِّ الدَّواوِين

(٨) وتارةً زَوْجَ عُطْبُولٍ خَدَلَّجَةٍ * حَسْناءَ تَمْلِكُ آلافَ الفَدادِين

(٩) يُعفَى مِن المَهْرِ إكرامًا لِلِحيَتِه * وما أظلَّته مِنْ دُنيا ومِنْ دِين

---

(١) يعلكها: يمضغها. ويريد «بالكاف والنون»: قوله تعالى لما يريد خلقه: «كن فيكون».

(٢) الحجا: العقل والفطنة. (٣) كردفان: بلد بالسودان معروف. ويشير بهذا البيت ومابعده إلى كثرة تنقل الدكتور محجوب بين المجالس والأندية، وتنقله فى موضوعات الحديث، وعدم استقراره فى مكان واحد ولا موضوع واحد، وبعد المسافات التى يقطعها فى هذا التنقل. (٤) تحداه: باراه ونازعه الغلبة.

(٥) يريد «بالأساطين»: الأعلام المبرزين فى مختلف العلوم والفنون، جمع أسطوانة، وهى فى الأصل العمود والسارية. (٦) أظهر الممز فى «ابن سيرين» لضرورة الوزن. وابن سيرين: عالم معروف بتفسير الأحلام، وينسب له كتاب مشهور فى ذلك. (٧) يشير بهذا البيت إلى أمنية الدكتور محجوب فى أن يكون وزيرا فى إحدى الوزارات، وهو لا يستقر فى أمنيته على وزارة واحدة.

(٨) العطبول من النساء: الفتية الجميلة الممتلئة، الطويلة العنق. والخدلجة: الممتلئة الذراعين والساقين. يشير إلى أمنية الدكتور محجوب فى أن يتزوج ممن تلك صفتها. (٩) يشير بهذا البيت إلى طول لحية الدكتور محجوب وما يتوسمه الناس فيه بسببها من الصلاح والخير حتى إنهم ليعفونه من مهور بناتهم إكراما لها اذا أراد التزوج من إحداهن.

دمع الســــــرور

قال هذين البيتين عند زيارته للمجمع العلمي بدمشق

شَكَرْتُ جَمِيلَ صُنْعِكُمُ بِدَمْعِي * وَدَمْعُ العَيْنِ مِقْيَاسُ الشُّعُورِ

لِأَوَّلِ مَرَّةٍ قد ذاقَ جَفْنِي * — على ما ذاقَه — دَمْعَ السُّرُورِ

دعابة كتب بها إلى صديق له

وكانت جـوابا عن قصـيدة دعابية أيضا بعث بها إليـه هذا الصـديق

وافَى كِتَابُكَ يَزْدَرِي * بِٱلدُّرِّ أو بِالجَـوْهَـرِ

فقرأْتُ فيــه رِسَـالَةً * مُزِجَتْ بِذَوْبِ السُّكَّرِ

أَجْرَيْتَ في أَثْنَـائِهـا * نَهْرَ انْسِجَامِ الكَوْثَرِ (١)

وفَرَطْتَ بين سُطورِها * مَنْظُومَ تاجِ القَيْصَـرِ (٢)

وخَبَأْتَ في أَلْفَاظِهـا * مِنْ كُلِّ مَعْـنًى مُسْكِرِ

فترَى ٱلمَعَانِيَ الفَـارِسِـ * ـيَّةَ في مَغَـانِي الأَسْطُرِ (٣)

كالغَـانِيَـاتِ تَقَنَّعَتْ * خَوْفَ المُرِيبِ المُجْتَرِي (٤)

---

(١) الكوثر: نهر في الجنة . وانسجامه : انسيابه واطراده ؛ وفي هاتين الكلمتين قلب ظاهر دعت إليه ضرورة الوزن ، والأصل : انسجام نهر .

(٢) منظوم تاج القيصر : جواهره .

(٣) المعاني الفارسية ، أي البديعة ؛ وقد نسبها الى فارس لأنهـم كانوا أهل إبداع في الفنون . وشبه الأسطر المحتوية على المعاني بالمغاني ، وهي المنازل المسكونة .

(٤) الغانيات : جمع غانية ، وهي المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة . والمجتري : المجترئ .

(١)
مَعْنًى أَلَذُّ مِنَ الشَّمَا * تَةِ بِالعَدُوِّ المُدْبِرِ
(٢)
أَوْ مِنْ عِتَابٍ بَيْنَ مَحْـ * ـبُوبٍ وحِبٍّ مُعْذِرِ
(٣)
أَوْ فَتْرَةٍ أَضَاعَهَا الْـ * ـقَامِرُ عِنْدَ الْمَيْسِرِ
أَوْ مَجْلِسٍ لِلْخَمْرِ مَعْـ * ـقُودٍ بِيَوْمٍ مُمْطِرِ
(٤)
تَسْعَوْنَ بِهَا شِدْتَهَا * فَوْقَ سِنَانِ السَّمْهَرِي
(٥)
وَالسَّمْهَرِيُّ قَلَمٌ * فِي كَفِّ لَيْثٍ قَسْوَرِ
أَفَتَى القَوَافِي كَيْفَ أَنْـ * ـتَ؟ فَقَدْ أَطَلْتَ تَحَسُّرِي؟
أَتُرَى أَرَاكَ أَمِ اللِّقَا * ءُ يَكُونُ يَوْمَ الْمَحْشَرِ
(٦)
... ... * ... ...
(٧)
مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَعِيـ * ـشَ أَيَا لَئِيمَ المَكْسِرِ
وَلَقَدْ قُذِفْتَ إِلَى الجَحِيـ * ـمِ وَبِئْسَ عُقْبَى المُنْكِرِ
(٨)
تَاللهِ لَوْ أَصْبَحْتَ (أَفْـ * ـلاطُونَ) تِلْكَ الأَعْصُرِ

(١) المدبر: المنهزم. (٢) الحب (بالكسر): المحبوب. والمعذر: المنصف العادل. ويجوز أن يراد به معنى المقصر فيما يرضى محبوبه. (٣) يشبه لذة معانيه بلحظة اللعب في الميسر. والقامر: المقامر. (٤) السمهرى: الرمح الصلب. أو هو نسبة إلى سمهر زوج ردينة اللذين كانا يثقفان الرماح؛ أو إلى قرية في الحبشة. ومعنى (شادها فوق سنان السمهرى) أنه أنشأها بقلمه الجبار. (٥) القسور: اسم من أسماء الأسد، سمى بذلك لغلبته وقهره.

(٦) هنا نضرب عن ذكر أبيات اقتضاها مقام المداعبة بين صديقين حميمين لا يصح نشرها.

(٧) اللئيم المكسر: الذى يظهر لؤمه بعد الاختبار. وأصله من العود الذى يظهر ضعفه حين يكسر.

(٨) أفلاطون: فيلسوف يونانى معروف؛ ولد فى سنة ٤٢٧ ق م، وكانت وفاته فى سنة ٣٤٧ ق م.

وغَدَا (ابقــراط) بِبــا * بِكَ كالعَـدِيمِ المُعْسِرِ

وبرعتَ(جالينُوسَ) أو * (لُقمانَ) بينَ الحُضَّرِ (١)

ما كنتَ إلّا تافِـهَ الْـ * آدابِ عنـد المَعْشَـرِ

غُفْــرانَكَ اللّهُــمَّ إنِّــي * مِنْ ظُلامَتِـهِ بَرِى (٢)

سَـــوَّيْتَــهُ كالكَرْكَدَنِّ * وجاءَنا كالأَخْدَرِى (٣)

وَجْهٌ ولا وَجْهُ الخُطُـو * بِ وقامَـةٌ لم تُشْـبَرِ (٤)

ومِنَ العَجائِبِ أنَّ مِثْـ * لَ لِسانِهِ لَم يُبْتَرِ (٥)

كم باتَ يَلْتَحِـمُ العُرو * ضَ وجاءَ بالأمْرِ الفَرِى (٦)

فافعَـلْ به اللّهُـمَّ كالـ * ـنَّمرُوذِ فهْوَ بهـا حَرِى (٧)

وَٱنزِلْ عليه السُّخْطَ إنْ * أَمْسَى ولَمْ يَسْـتَغْفِرِ (٨)

---

(١) الحضر : جمع حاضر. (٢) برى : برىء .

(٣) سوّيته : خلقته . والكركدن : حيـوان فى جثة الفيل خلقته كخلقة الثور إلا أنه أعظم منـه ذو حافر ، وعلى رأسه قرن واحد ، وهو بتشديد الدال وتخفيف النون ، ومجيئه كما هنا مشدد النون من لغة العامة ، وكذلك ورد فى شعر المتنبي . والأخدرى : حمار الوحش .

(٤) لم تشبر : لم تقس بالشبر لشدّة قصرها .

(٥) يبـتر : يقطع . (٦) يلتحم العروض ، أى ينال من أعراض الناس . والمعروف فى هـذا « لحم » و « ألحم » ؛ يقال : لحم فلان فلانا من باب نصر ، إذا أضر به وناله بمكروه ؛ وألحمنى عرض فلان ، اذا أمكننى منه أشتمه ، أى جعل عرضه لحمة للعائب . والفرى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : المصنوع المختلق (بفتح اللام) ، أو الأمر العظيم . (٧) النمروذ : جبار من القدماء كان فى زمن نبي الله ابراهيم عليه السلام . وحرى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : خليق وجدير .

(٨) وٱنزل ، أصله «وأنزل» باثبات الهمزة ، ووصلها لضرورة الوزن .

فهو الذى ابتدع الربا * وأقام ركن الفجر
وأقام دين عبادة الد * ينار بين الأظهر
ولقد عجبت لبخله * ولكفه المستحجر
لا يصرف السحتوت إ * لا وهو غير مخير (١)
لو أن فى إمكانه * عيشا بغير تضور (٢)
لاختار سد الفتحتيـ * ـن وقال: ياجيب احذر (٣)

عتاب كتب به إلى محمد سليمان أباظة بك (٤)

طال الحديث عليكم أيها السمر * ولاح للنوم فى أجفانكم أثر (٥)
وذلك الليل قد ضاعت رواحله * فليس يرجى له من بعدها سفر (٦)
هذى مضاجعكم ياقوم فالتقطوا * طيب الكرى بعيون شابها السهر (٧)
هل ينكر النوم جفن ـ لو أتيح له ـ * إلا أنا ونجوم الليل والقمر؟
أبيت أسأل نفسى كيف قاطعنى * هذا الصديق ومالى عنه مصطبر

(١) السحتوت : الشىء القليل ؛ واستعمل فى نوع من العملة قليل القيمة . (٢) التضور: التألم من شدة الجوع . (٣) يريد «بالفتحتين» مدخل الطعام ومخرجه . و«احذر» أى احذر الانفاق .

(٤) ذكر فى هامش ديوان حافظ المطبوع عند ذكر هذه القصيدة أنها كانت طويلة ففقد أكثر أبياتها ؛ وقد حاولنا العثور على بقيتها فلم نوفق . (٥) السمر : المتسامرون .

(٦) الرواحل : الركائب . يشبه الليل فى طوله بمسافر فقد رواحله ، فهو لذلك مقيم غير متحوّل .

(٧) التقطوا طيب الكرى ، أى تصيدوا لذيذ النوم . وشابها : خالطها .

فمـا مُطوَّقةٌ قـد نالهـا شَــرَكٌ * عنـد الغُروبِ اليـه ساقَها القَدَرُ (١)

باتَتْ تُجاهِـدُ همًّـا وهي آيِسَـةٌ * مِن النَّجاةِ وجُنحُ اللَّيلِ مُعتَكِرُ (٢)

وباتَ زُغلولُهـا في وَكرِها فَـزِعًا * مُرَوَّعًا لرُجـوعِ الأمِّ يَنتَظِـرُ (٣)

يُحفِّزُ الخـوفُ أحْشـاءَه وتُزعِجُـه * إذا سَرَتْ نَسمةٌ أو وَسْوَسَ الشَّجرُ (٤)

مِنِّي بأَسْوأَ حالًا حِيـنَ قاطَعَنِي * هـذا الصَّـدِيقُ فهلَّا كان يَدَّكِرُ (٥)

يابنَ الكِرامِ أتَنْسَى أنَّني رَجُلٌ * لِظِلِّ جاهِـكَ بعْـدَ اللهِ مُفْتَقِـرُ

إنِّي فَتـاكَ فلا تَقطَعْ مُواصَلَتي * هَبْنِي جَنَيْتُ فقُلْ لي كَيفَ أعْتَذِرُ؟

اســـتعطاف

بعث به للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

لقد بِتُّ مَحسُودًا عليكَ لأنَّني * فَتاكَ، وهَلْ غيرُ المُنعَّمِ يُحسَدُ؟

فلا تُبلِـغِ الحُسَّادَ مِـنِّي شَماتةً * ففِعلُكَ محمـودٌ وأنتَ محمَّـدُ

---

(١) المطوقة : الحمامة ذات الطوق؛ وهو لون يخالف لون سائرها يحيط بالعنق .

(٢) جنح الليل (بالكسر ويضم) : طائفة منه . واعتكر الظلام : اختلط .

(٣) زغلولها : فرخها الصغير .

(٤) يحفز أحشاءه : يفزعها ويدفعها الى الاضطراب . ويريد « بوسواس الشجر » : حفيفه .

(٥) أسوأ : خبر « ما » في قوله السابق : « فما مطوقة » ... الخ . ويدكر : يتذكر .

وداع محمد المويلحي بك (١)

حين سفره إلى معرض باريس

يا كاتبَ الشَّرقِ ويا خيرَ مَنْ (٢) * تتلو بنو الشَّرقِ مَقاماتِه
سافِرْ وعُدْ يحفظْكَ ربُّ الورَى (٣) * وٱبعثْ لنا عيسَى بآياتِه

وقال يستقبله عند عودته من هذا المؤتمر :

مَنْ لمْ يرَ المَعرِضَ فى ٱتِّساع * وفاتَه ما فيه مِنْ إبداع
فمَعرِضُ القَومِ بلا نِزاع (٤) * فى نَفْثةٍ مِنْ ذلكَ ٱليَراع

عتاب كتب به إلى جماعة من أصحابه

تَناءيتُ عنكمْ فحُلَّتْ عُرًا (٥) * وضاعتْ عُهودٌ على ما أَرَى
وأَصبحَ حَبْلُ ٱتِّصالِى بكمْ (٦) * كخَيْطِ الغَزالةِ بَعْدَ ٱلنَّوَى

---

(١) انظر التعريف بالمويلحى فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ (٢) يريد «بمقاماته» : كتاب عيسى بن هشام الذى أنشأه محمد بك المويلحى على نسق هذا النوع القديم من النثر المعروف بالمقامات .

(٣) يريد عيسى بن هشام ، الذى اقترضه محمد المويلحى بك صاحب حديثه ؛ ويشير بذلك الى أن مؤلف هذا الكتاب كان قد وعد بعمل جزء ثان خاص بأوربا ، فهو يستنجزه وعده بذلك .

(٤) اليراع : القلم . ويريد بنفثته : ما يخطه من عبر وجودة وصف ، شبه ذلك بنفث السحر .

(٥) تناءيت : بعدت . والعرا : جمع عروة ، وهى معروفة ؛ وقد كنى بها عن العهود والمواثيق . أى أنه بعد عنهم فقطعوا الصلة به .

(٦) الغزالة : الشمس . وخيطها : شعاعها . وقد شبه به حبل اتصاله بأصدقائه فى الضعف والوهن .

وقد زالَ ما كانَ مِنْ أُلفةٍ * ووُدٍّ زَوالَ شِـهابِ الدُّجَى
كأنّ بقـاءَ الوفا بينَكُمْ * وبَيْنِي بقـاءُ حَبابِ الحَيَا (١)
سَكَنْتُ إليكمْ ولَمْ تَسْكُنوا * إليَّ وقـد كُنْتُ نِعْـمَ الفَتَى (٢)
ونَفْسِي فَريقـانِ: هـذا بهِ * مَزَجْتُ الوفاءَ، وذاكَ النَّدَى
أَصَـبْتُمْ تُراثًا وأَلْهـاكُمُ الـ * ـتَّـكاثُرُ عَنّا فسُرَّ العِـدا (٣)
ومَنْ كانَ يُنْسِيهِ إثراؤُه * صَدِيقَ الخَصاصَةِ لا يُصْطَفَى (٤)

ذِكْرَى

كتب بها من السودان إلى طائفة من إخوانه

* مِنْ واجِدٍ مُنَفَّـرِ المَنـامِ (٥) *
* طَرِيدِ دَهْرٍ جائرِ الأَحْكامِ *
* مُشَـتَّتِ الشَّـمْلِ على الدَّوامِ *
* مُـلازِمٍ لِلهَـمِّ والسَّـقامِ *

---

(١) حباب الماء (بفتح الحاء): فقاقيعه التي تكون على سطحه. والحيا: المطر.

(٢) سكن إليه: اطمأن إليه ووثق به.

(٣) التراث (بالضم): ما يصاب من المال الموروث. ويريد «بالتكاثر»: التنافس في كثرة الأموال والمفاخرة بها. (٤) الإثراء: كثرة الأموال. والخصاصة: الفقر والاحتياج.

(٥) الواجد، ذو الوجد. ومنفر المنام: مطرود عنه النوم. وقوله: «من واجد»: خبر مقدم، والمبتدأ قوله: «تحية» بعد أبيات طويلة.

* إليكمُ يا نُزهةَ الأنامِ *

* وفِتيةَ الإيناسِ والمُدامِ *

* مَن أقسَموا بألزَمِ الأقسامِ *

* بأن يُقضُّوا دَولَةَ الظَّلامِ *

* ما بَينَ بِنتِ الحانِ والأَنغامِ (١) *

* ومُطرِبٍ مِن خِيرةِ الأقوامِ *

* أرَقَّ مِن شِعرِ (أبي تمّامِ) (٢) *

* ومَجلِسٍ في غَفلةِ الأيّامِ *

* قد مَلَّ فيه كاتِبُ الآثامِ (٣) *

* تَحيّةٌ كالوَردِ في الكِمامِ (٤) *

* أزهى مِن الصِّحّةِ في الأجسامِ *

* يَسُوقُها شَوقٌ إليكمْ نامِي (٥) *

* تَقصُرُ عنه هِمّةُ الأقلامِ *

* يا ليتَ شِعرِي بعدَ هذا العامِ *

---

(١) بنت الحان : الخمر . والحان : موضع بيعها . (٢) أبو تمام ، هو حبيب بن أوس الطائى شاعر عباسى معروف . (٣) مل : تعب . وكاتب الآثام : الملك الذى يكتب سيئات المرء وذنوبه . يريد أن المجلس قد أتى من المعاصى ما يعيى كاتب الذنوب فيمل الكتابة من كثرة ما يكتب ويحصى . (٤) الكمام (بكسر الكاف) : جمع كامة ، وهى غطاء الزهر . (٥) نامى : زائد .

* إليكم ترمى بى المرامى *

* أم يقتوينى رائد الحمام * (١)

* فأنطوى فى هذه الآكام * (٢)

* وتولم الضبع على عظامى * (٣)

* ولائما للوحش فى الإظلام *

* فإن أتى يومى وأودى لامى * (٤)

* وبات زاد الدود والرغام * (٥)

* بالله أدعوكم وبالإسلام *

* أن تذكروا ناظم ذا الكلام *

* إذا جلستم مجلسا للجام * (٦)

* وكان ساقيكم من الآرام * (٧)

* فى ليلة والبدر فى تمام *

---

(١) اقتواه : قصده . والحمام : الموت . ورائده : رسوله .

(٢) الآكام : جمع أكمة ، وهى الرابية والحجارة تجتمع فى مكان واحد ؛ يريد آكام السودان .

(٣) تولم : تقيم الولائم .

(٤) أودى : هلك . ولام الإنسان ، شخصه .

(٥) الرغام : التراب .

(٦) الجام : الإناء من فضة ؛ ويريد به هنا : قدح الخمر ؛ وهو لفظ فارسى معرب .

(٧) الآرام : الغزلان ، الواحد رئم .

وداع لصديقيه محمد بدر وأحمد بدر

عند سفرهما الى بلاد الإنجليز للتعلم

سِيرَا أيا بَدْرَىْ سَماءِ العُلا * وَاسْتقبِلا التَّمَّ ولا تأفُلا (١)

سِيرَا إلى مَهْدِ العُلومِ التى * كانت لنا ثُمَّ ازْدَهاها البِلَى (٢)

سِيرَا الى الأرْضِ التى أنْبَتَتْ * عِزًّا وأضْحَتْ لِلعُلا مَوْئِلا (٣)

يَمْشِى عليها الدَّهْرُ مُسْتَخْذِيًا * وتَجْزَعُ الأحْداثُ أنْ تَنْزِلا (٤)

شِعارُ أهْلِيها وأبْنائِها * أنْ يَعلَمَ المَرْءُ وأنْ يَعمَلا

فَزَيِّنا المَجْدَ بِنُورِ النُّهَى * وجَمِّلا الجاهَ بأنْ تَكْمُلا (٥)

واسْتَبِقا العَلْياءَ واسْتَمْسِكا * بِعُرْوَةِ الصَّبْرِ ولا تَعْجَلا

وخَبِّرا الغَرْبَ وأبْناءَه * بأنَّنا نحن الرِّجالُ الأُلَى (٦)

لئن غَدا الدَّهْرُ بِنا مُدْبِرًا * لابُدَّ لِلمُدْبِرِ أنْ يُقْبِلا

لا زِلْتُما فَرْعَيْنِ فى دَوْحَةٍ * تُظِلُّ مَنْ رَجَّى ومَنْ أمَّلا (٧)

نَمَتْكُما مِصْرُ ورَبّاكُما * أبٌ كَرِيمٌ جَدَّ حتَّى عَلا

---

(١) تم البدر : تمامه واكتماله . وأفل القمر والشمس يأفل (بكسر الفاء وضمها) : غابا .

(٢) ازدهاها البلى : تهاون بها واستخف . (٣) يريد « بالأرض » : بلاد الإنجليز . والموئل : الملجأ . (٤) استخذى استخذاء : خضع وذل . (٥) النهى : العقول .

(٦) الألى ، أى الذين كان لهم تاريخ حافل بالسبق فى ميادين الحضارة والعلوم ؛ لحذف الصلة للعلم بها .

(٧) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

مَضَى وقـد أَوْلاكُمَا نِعْمَةً * لا تَبْسُطَا فيهـا ولا تَغْلُلا (١)

فرَحْمَـةُ اللهِ عـلى والدٍ * كَسَاكُمَا الإعْزازَ بَيْنَ المَلا

إلى أحمد شوقى بك (٢)

يودّعه حين سفره إلى مؤتمر المستشرقين

يا شاعِرَ الشَّرقِ اتّئِـدْ * ماذا تُحـاوِلُ بَعْـدَ ذاكْ (٣)

هٰـذى النّجـومُ نَظَمْتَهـا * دُرَرَ القَـرِيضِ وما كَفَاكْ

والبَـدْرُ قـد عَلّمْتَـه * أدَبَ المُثُـولِ إذا رَآكْ (٤)

وسَمَوْتَ فى أُفُـقِ السُّـعو * دِ فكِدْتَ تَعْثُرُ بالسِّماكْ (٥)

وحَبـاكَ عَبّـاسُ الحَـا * مِدِ بالمَوَاهِبِ واصْطَفاكْ (٦)

ودَعَتْـكَ مِصْرُ رَسُولَهـا * للغَرْبِ مُذْ عَرَفَتْ عُلاكْ

فارحَلْ وعُـدْ بوَدِيعـةِ الـرَّحْمٰنِ أنتَ وصـاحِبـاكْ

---

(١) لا تبسطا فيها ، أى لا تتسعا فى الإنفاق . وغل يده يغلها (من باب نصر) : اذا قبضها عن الإنفاق . وأصله من وضع اليد فى الغل (بضم الغين وتشديد اللام) ، وهو طوق من حديد أو جلد يجعل فى العنق أو فى اليد . (٢) انظر التعريف بشوقى فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٥٠

(٣) اتئد : تمهل . (٤) أدب المثول ، أى أدب الوقوف بين يديك .

(٥) السماك : أحد كوكبين نيرين ، يقال لأحدهما : السماك الرامح ، وللآخر : السماك الأعزل .

(٦) حباك : أعطاك .

إلى صديقه محمد عبده البابلي (١) بك يعاتبه

كتب بها إليه من السودان

إنّ عَضْـبيكَ يا أخي بالمَـلامِ * لا يُؤدّي لِمِثْـلِ هـذا الخِصامِ (٢)

أنتَ (والشَّمْسِ) (والضُّحَى) واللّيالي الـ * ـعَشْرِ (والفَجْـرِ) غـيرُ راعِي الذِّمامِ (٣)

ما عَهِـدْناكَ يا كريمَ السَّـجايَا * تَصْرِفُ النَّفْسَ عن هَناتِ الكِرامِ (٤)

ليس في كُتْبِنا سُـؤالُ نَـوالٍ * منـكَ حتّى خَشِـيتَ رَدَّ السَّـلامِ (٥)

نحن نَرْضَى بالقُـوتِ مِنْ هـذه الدُّنْـ * ـيا وإنْ باتَ دُونَ قُوتِ النَّعامِ (٦)

وإذا خانَ قِسْـمُنا ما شَكَوْنا * لِسِـوَى اللهِ أعْـدَلِ القُسّامِ (٧)

كيفَ تَنْسَى يا (بابِليُّ) غَريبًا * باتَ بَيْنَ الظُّنُـونِ والأوْهامِ

وحَـزِينًا إذا تَنَفَّسَ عادَتْ * فَحْمَـةُ اللَّيْـلِ جَمْرَةً مِنْ ضِـرامِ (٨)

وإذا أنْ كادَ يَنْصَـدِعُ الأفْـ * ـقُ وتَخْتَـلُّ دَوْرَةُ الأجْـرامِ (٩)

باتَ تحتَ البَـلاءِ حـتّى تَمَنَّى * لـو يَكُونُ المَبِيتُ تحتَ الرَّغامِ (١٠)

---

(١) انظر التعريف بمحمد البابلي في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ (٢) عضبك، أي عضى إياك. (٣) يقسم بما أقسم الله به في سور (الشمس) (والضحى) (والفجر). والذمام: الحق والحرمة. (٤) يريد بالهنات: الهفوات اليسيرة التي يحتمل مثلها، الواحدة هنة؛ أي ما عهدناك تتسامح لغيرك في أقل هفوة، فما بالك تأتي بالأخطاء الكبيرة. (٥) النوال: العطاء.

(٦) ضرب الشاعر قوت النعام مثلا في التفاهة والقلة، لأن النعامة تقتات بالحصى والحجارة إذا لم تجد ما تقتات به. (٧) القسم (بكسر القاف): النصيب والحظ من الخير والرزق. (٨) يريد «بفحمة الليل»: سواده الشديد المشبه للفحم. (٩) الأجرام: الأفلاك. (١٠) الرغام (بفتح الراء): التراب. وكنى بالمبيت تحت الرغام عن الموت.

وكتب إليه أيضا يعاتبه ويداعبه :

أَدَلالٌ ذاكَ أَمْ كَسَلُ * أَمْ تَنَاسٍ منكَ أَمْ مَلَلُ

أَمْ غَرِيقٌ أنتَ فى جَذَلٍ (١) * أمْ بكاساتِ الْمُنَا ثَمِلُ

أَمْ ـ وَقَاكَ اللهُ ـ فى كَدَرٍ * أَمْ عَلَى الأَعْذارِ مُتَّكِلُ

أَمْ مَشُوقٌ مُغْرَمٌ وَلِهٌ (٢) * شَفَّهُ التَّشْبِيبُ والغَزَلُ

أَمْ غَنِيٌّ باتَ يَشْغَلُهُ * مالُهُ والكَسْبُ والأَمَلُ

أَمْ وَشَى واشٍ اليكَ بنا * فَاْحتَواكَ الشَّكُّ (ياَبَطَلُ) (٣)

قد مَضَى شَهْرٌ وأعقبه * ضِعْفُهُ والفِكْرُ مُشْتَغِلُ

لا كِتَابٌ منكَ يُطْفِئُ ما * فى فُؤَادى باتَ يَشْتَعِلُ

لا ولا رَدٌّ يُعَلِّلُنِى (٤) * أو عَلَى التَّسْلِيمِ يَشْتَمِلُ

يا صَدِيقِى لا مُؤاخَذَةٌ * أنتَ يا آبنَ البابِلِى ... ... (٥)

وكتب إليه أيضا يتشوق :

نَمَى يا بابِلِىٌّ إليكَ شَوْقِى (٦) * وعَيْنِى لازَمَتْ سَكْبَ الدُّمُوعِ

ولو أنِّى تَرَكْتُ سَراحَ قَلْبِى * لَطارَ إليكَ مِنْ قَفَصِ الضُّلُوعِ

---

(١) الجذل (بالتحريك) : الفرح . والثمل : النشوان . (٢) الوله : المتحير من شدة الوجد . وشفه : هزله وأوهنه . والتشبيب بالنساء : وصفهن وذكر محاسنهن . (٣) احتواه : ملكه وغلب عليه . (٤) علله : شغله وألهاه . (٥) موضع هذه النقط كلمة يستحيا من ذكرها ، ولا تخفى على القارئ . (٦) نمى : زاد .

شكر وزير زار حافظا فى منزله

لا غرو إن أشرق فى منزلى * فى ليلة القدر محيا الوزير

فالبدر فى أعلى مداراته * للعين يبدو وجهه فى الغدير [1]

دعابة [2] كتب بها الى الأستاذ حامد سرى

فى يوم زفافه (٢ نوفبرسنة ١٩١٧) يستهديه من طعام العرس وثيابا يلبسها، وكانا إذ ذاك متجاورين بالجيزة :

أحامد كيف تنسانى وبينى * وبينك يا أخى صلة الجوار

سأشكو للوزير فإن توانى * شكوتك بعده للمستشار [3]

أيشبع مصطفى الخولى وأمسى * أعالج جوعتى فى كسر دارى [4]

وبيتى فارغ لا شىء فيه * سواى وإننى فى البيت عارى

ومالى جزمة سوداء حتى * أوافيكم على قرب المزار

وعندى من صحابى الآن رهط * إذا أكلوا فآساد ضوارى

فإن لم تبعثن إلىّ حالا * بمائدة على متن البخار

تغطيها من الحلوى صنوف * ومن حمل تنبل بالبهار

فإنى شاعر يخشى لسانى * وسوف أريك عاقبة احتقارى

(١) يقول فى هذين البيتين : إن الوزير على سمو منزله قد أشرق نوره فى منزلى على ضعته، ولا عجب، فالبدر فى السماء تظهر صورته فى غدير الماء . (٢) وردت الينا هذه الأبيات بعد الانتهاء من طبع هذا الباب فأثبتناها فى آخره؛ وكان مقتضى طريقتنا فى ترتيب القصائد ترتيبا تاريخيا أن توضع قبل ذلك، أى بعد الأبيات التى رد بها حافظ على شوقى فى سنة ١٩١٧ (٣) يريد وزير الزراعة؛ وكان حامد سرى بك من رجال هذه الوزارة ولا يزال بها إلى اليوم . (٤) إنما خص الأستاذ مصطفى الخولى بك بالذكر لما بينه وبين الأستاذ حامد سرى من صلة المصاهرة .

الوَصْفُ

وصف كساء له

قالها ارتجالا فى مجلس من إخوانه

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

لِي كِساءٌ أَنْعِمْ بِهِ مِنْ كِساءِ * أَنَا فِيهِ أَتِيهُ مِثْلَ الكِسائِي (١)

حاكَهُ العِزُّ مِنْ خُيوطِ المَعالِي * وَسَقاهُ النَّعِيمُ ماءَ الصَّفاءِ

وتَبَدَّى فى صِبْغَةٍ مِنْ أَدِيمِ اللَّيْـ * ـلِ مَصْقولَةٍ بِحُسْنِ الطِّلاءِ (٢)

خاطَهُ رَبُّهُ بِإِبْرَةِ يُمْنٍ * أَوْجَرُوا سَمَّها خُيوطَ الهَناءِ (٣)

فَكَأَنِّي ـ وقد أَحاطَ بِجِسْمِي ـ * فى لِباسٍ مِنَ العُلا والبَهاءِ

تُكْبِرُ العَيْنُ رُؤْيَتِي وتَرانِي * فى صُفوفِ الوُلاةِ والأُمَراءِ

أَلِفَ النَّاسُ ـ حيثُ كنتُ ـ مَكانِي * أُلْفَةَ المُعْدِمِينَ شَمْسَ الشِّتاءِ

يا رِدائِي وأنتَ خَيْرُ رِداءٍ * أَرْتَجِيهِ لِزِينَةٍ وازْدِهاءِ (٤)

---

(١) الكسائى ، هو على بن حمزة ، إمام الكوفيين فى النحو واللغة ، وكان معلما لأولاد أمير المؤمنين هارون الرشيد ؛ وتوفى حوالى سنة ١٨٩ هـ .

(٢) تبدّى : ظهر . والأديم : الجلد . وأديم الليل : سواده ، لأنه كالجلد يغشى الشىء و يغطيه .

(٣) اليمن : البركة . «وأوجروا سمها» الخ أى أدخلوا الخيوط فى ثقبها . والإيجار فى الأصل : إدخال الوجور (وهو الدواء) فى فم المريض ؛ أو هو الطعن بالرمح فى الفم أو الصدر .

(٤) الازدهاء : الزهو والاختيال .

لا أحالَتْ لكَ الحَوادِثُ لَوْنًا (١) * وتَعَدَّتْكَ ناسِجاتُ الجِواءِ
غَفَلَتْ عنكَ للبِلَى نَظَراتٌ * وتَخطَّتْكَ إبرةُ الرَّفّاءِ
صَحِبَتْني قَبْلَ اصطِحابِكَ دَهرًا * بِذْلَةٌ في تَلَوُّنِ الحِرْباءِ (٢)
نَسَبُوها لطَيْلَسانِ (ابنِ حَرْبٍ) * نِسبةً لم تكُنْ بذاتِ افتراءِ (٣)
كنتُ فيها إذا طرَقْتُ أُناسًا * أنكَروني كطارِقٍ مِن وَباءِ
كَسَفَ الدهرُ لونَها واستَعارَتْ * لَوْنَ وَجهِ الكَذُوبِ عند اللِّقاءِ
يا رِدائي جَعَلْتَني عندَ قَومي * فوقَ ما أشتَهي وفوقَ الرَّجاءِ
إنَّ قومي تَروقُهُم جِدَّةُ الثَّوْ * بِ ولا يَعشَقونَ غيرَ الرُّواءِ (٤)
قيمةُ المرءِ عندَهُم بينَ ثَوبٍ * باهِرٍ لَونُه وبينَ حِذاءِ
قَعَدَ الفَضلُ بي وقُمتَ بِعِزّي * بينَ صَحْبي، جُزيتَ خيرَ الجَزاءِ (٥)

---

(١) أحاله : حوّله من حال إلى حال . وناسجات الجواء : الرياح التي تذهب في الأجواء طولا وعرضا كما يفعل الناسج فيما ينسجه ؛ لأنه يعترض النسيجة فيلحم ما أطال من السدى . والجواء : جمع جو بالمعنى المعروف ؛ أو بمعنى الفلاة الواسعة . (٢) البذلة من الثياب : ما لا يصان منها . والحرباء : دويبة نحو العظاية تستقبل الشمس برأسها وتدور معها كيف دارت ، وتتلون ألوانا بحرّ الشمس ؛ و يضرب بها المثل في التقلب . (٣) الطيلسان (بالفتح وتثليث اللام) : كساء مدوّر أخضر لا أسفل له ، لحمته وقيل سداه من صوف ؛ يلبسه الخواص من العلماء ؛ وأصله من لباس العجم . وطيلسان ابن حرب : مثل يضرب لكل ثوب قديم خلق ؛ وسبب ذلك أن بعض الشعراء كان قد مدح ابن حرب ، فخلع عليه طيلسانا باليا ، فقال في ذلك الطيلسان شعرا كثيرا حتى صير ذلك الطيلسان مثلا لكل ما بلي ورث من الثياب ؛ فمن ذلك قوله :

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا * رق من صحبة الزمان وصدى
طال ترداده إلى الرفو حتى * لو بعثناه وحده لتهدى

وغير ذلك من الشعر . والافتراء : اختلاق الكذب . (٤) تروقهم : تعجبهم . والرواء : حسن المنظر . (٥) قعد بي : عجز عن رفع شأني ، إذ لم يقوّمه قومي لجهلهم به .

الحاكى

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

وَجَدُوا السَّبِيلَ الى التَّقاطُعِ بَيْنَنَا * والسَّمْعُ يَمْلِكُهُ الكَذُوبُ الحاذِقُ

لا تَجْعَلِى الواشِينَ رُسْلَكِ فى الهَوَى * فَلأَصْدَقُ الرُّسُلِ الجَمادُ النّاطِقُ (١)

الشمس

[نشرت فى ١٥ نوفبر سنة ١٩٠٠ م]

لاحَ منها حاجِبٌ للنّاظِرِينْ * فنَسُوا باللَّيلِ وَضّاحَ الجَبِينْ (٢)

ومَحَتْ آيَتُها آيَتَه * وتَبَدَّتْ فِتْنَةً للعالَمِينْ

نَظَرَ ابْراهامُ فيها نَظْرَةً * فأَرَى الشَّكَّ وما ضَلَّ اليَقِينْ (٣)

قال : ذا رَبِّى ، فلمّا أَفَلَتْ * (قَالَ : إِنِّى لَا أُحِبُّ الآفِلِينْ) (٤)

ودَعَا القَوْمَ إلى خالِقِها * وأَتَى القومَ بسُلْطانٍ مُبِينْ (٥)

---

(١) يصف فى البيت الأول للوشاة وأنهم أصابوا السبيل لامتلاك سمع من يحبها بما يلقون اليها من أكاذيب؛ وما أقدر الكذوب على ذلك ، و ينهاها فى البيت الثانى عن أن توسط الوشاة بينه و بينها ، فان فعلت فليكن الرسول ذلك الحاكى ، فهو الجماد الناطق الصادق . (٢) وضاح الجبين : القمر .

(٣) ابراهام : لغة فى ابراهيم ، وهو نبى الله ابراهيم الخليل عليه السلام . ويشير بذلك الى ما قصه الله تعالى فى القرآن فى سورة الأنعام عن ابراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة) الآية . وقوله : «فأرى الشك» ... الخ ، أى أظهر لقومه أنه شاك فى الإله لكى يهديهم إليه وهو متيقن وجوده .

(٤) أفلت : غابت . (٥) السلطان : الحجة .

رَبِّ إنّ النّاسَ ضَلُّوا وغَوَوْا * ورأَوْا في الشّمسِ رأىَ الخاسِرينْ

خَشَعَتْ أَبصارُهُمْ لمّا بَدَتْ * وإلى الأذقانِ خَرُّوا ساجِدينْ

نَظَرُوا آياتِها مُبصِرَةً * فعصَوْا فيها كَلامَ المُرسَلينْ

نَظَرُوا بَدْرَ الدُّجى مِرْآتَها * تَتَجلّى فيه حِيناً بعدَ حِينْ

ثمّ قالوا : كيفَ لا نَعبُدُها * هلْ لها فيما تَرَى العَيْنُ قَرينْ؟

هِيَ أُمُّ الأرضِ في نِسْبَتِها (١) * هِيَ أُمُّ الكَوْنِ والكَوْنُ جَنينْ

هِيَ أُمُّ النّارِ والنُّورِ معًا * هِيَ أُمُّ الرِّيحِ والماءِ المَعينْ (٢)

هِيَ طَلْعُ الرَّوْضِ نَوْرًا وجَنًى * هِيَ نَشْرُ الوَرْدِ، طِيبُ الياسَمينْ (٣)

هِيَ مَوْتٌ وحَياةٌ للوَرَى * وضَلالٌ وهُدًى للغابِرينْ

صَدَقُوا لكنّهمْ ما عَلِمُوا * أنّها خَلْقٌ سيَبلَى بالسِّنينْ

أَءِلَهٌ لمْ يُنَزَّهْ ذاتُه * عن كُسوفٍ، بِئسَ زَعْمُ الجاهِلينْ

إنّما الشّمسُ وما في آيِها * مِنْ مَعانٍ لَمَعَتْ للعارِفينْ

حِكْمَةٌ بالِغَةٌ قَدْ مَثَّلَتْ * قُدْرَةَ اللهِ لقَوْمٍ عاقِلينْ

---

(١) يشير بقوله : « هي أم الأرض » ، الى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس ، ثم انفصلت وبرد ظاهرها بتطاول الزمن .

(٢) المعين : التابع من العيون .

(٣) يريد « بالطلع » : ما يبدو من الثمرة فى أول ظهورها . ونور النبات : زهره . والجنى : ما يجنى من الشجر . ونشر الورد : رائحته المنتشرة منه .

دولة السيف ودولة المدفع

[نشرت فى ٢٣ نوفبر سنة ١٩٠٠م]

* يادَوْلَةَ القَواضِبِ الصِّقالِ (١) *

* وصَوْلَةَ الذَّوابِلِ الطِّوالِ (٢) *

* كَمْ شِدْتِ بين الأَعْصُرِ الخَوالِى (٣) *

* مَمالِكًا عَزِيزَةَ المَنالِ (٤) *

* قامَتْ بِحَدِّ الأبيضِ القَصّالِ (٥) *

* وسِنِّ ذاكَ الأسمَرِ العَسّالِ (٦) *

* راحتْ بها الأيّامُ واللَّيالِى *

* وخَلَفَتْها دَوْلَةُ الجَلالِ *

* مَمْلَكَةُ المِدْفَعِ ذاتُ الخالِ (٧) *

* قامَتْ بِحَوْلِ النارِ والزِّلْزالِ (٨) *

* فأرْهَبَتْ أفئِدَةَ الأبْطالِ *

* أرْهَبَها مُزَعْزِعُ الجِبالِ (٩) *

---

(١) القواضب : السيوف القواطع ، الواحد قاضب . والصقال : السيوف المجلوة ، الواحد صقيل .

(٢) الصولة : السطوة والقهر . والذوابل : الرماح الرقيقة اللاصقة بالليط ، وهو القشر ؛ وهى أجود الرماح ، الواحد ذابل . (٣) الخوالى : الماضية . (٤) عزيزة المنال : ممتنعة على من يريدها .

(٥) يريد « بالأبيض » : السيف . والقصال (بالقاف) : القطاع . (٦) الأسمر : صفة الرمح . والعسال : الشديد الاهتزاز والاضطراب لينه ، وهو من صفات الرماح الجيدة . (٧) الخال : الكبر والخيلاء . (٨) الحول : القوة . (٩) يريد « بمزعزع الجبال » : المدفع .

* ومُفْــزِعُ اللُّيُـوثِ فى الدِّحالِ (١) *

* وقاطِــعُ الآجالِ والآمــالِ *

* وخاطِفُ الأرْواحِ مِنْ أمْيــالِ *

* يثُـورُ كالـبركانِ فى الـنِّزالِ (٢) *

* فيُتْبِـعُ الأهْــوالَ بالأهْـوالِ *

* ويُرْسِــلُ النّــارَ على التّــوالِى *

* فيَحْطِــمُ الهــامَ ولا يُبــالِى (٣) *

* ما كَوْكَبُ الرَّجْمِ هَوَى مِنْ عالِى *

* فمَــرَّ كالفِــكْرِ سَرى بالبــالِ *

* عــلى عَنِيــدٍ مارِدٍ مُحْتــالِ (٤) *

* مُسْـتَرِقٍ للسَّـمْعِ فى ضَــلالِ (٥) *

* مِنْ عالَمِ التَّسْـبِيحِ والإهْــلالِ (٦) *

* أمْضَى وأنْكَى منــه فى القِتــالِ (٧) *

---

(١) الدحال : جمع دحل (بفتح الدال وسكون الحاء) وهو نقب ضيق فمه، ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه، وربما أنبت السدر، وتستتر فيه السباع . (٢) النزال : القتال .

(٣) يحطم : يكسر . والهام : الرءوس، الواحدة هامة . (٤) العنيد : المخالف للحق الذى يردّه وهو يعرفه، والجمع عند (بضمتين) . ويريد «بالعنيد المارد» : الشيطان .

(٥) استرق السمع : استمع مستخفيا . ويشير الشاعر إلى ما ورد من أن الجن كانت تسترق السمع من السماء قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم، فلما بعث عليه الصلاة والسلام أرادت الجن استراق السمع كما كانوا يفعلون قبل البعثة، فرجموا بالشهب؛ وقد ذكر الله ذلك فى القرآن فى سورة الجن (٦) الإهلال : رفع الصــوت بذكر الله . ويريد «بعالم التسبيح والإهلال» : عالم الملائكة . (٧) قوله : «أمضى»... الخ خبر «لما» فى قوله قبل : «ما كوكب الرجم» . وأنكى : أبلغ نكاية، أى قتلا وجرحا .

* إذا سَرَتْ قُنْبُلَةُ الوَبالِ (١) *

* مِنْ فَمِهِ المَحْشُوِّ بالنَّكالِ (٢) *

* يُنْذِرُهُمْ فى ساحَةِ المَجالِ *

* بالبَرْقِ والرَّعْدِ وبالآجالِ *

* ولَمْ يَكُنْ كَذلكَ الخَتَّالِ (٣) *

* يَحُزُّ فى الهامِ وفى الأَوْصالِ (٤) *

* صامِتَ قَوْلٍ ناطِقَ الفعالِ *

* رأيْتُهُ كالقَومِ فى المِثالِ (٥) *

* مالُوا عن القَوْلِ إلى الأَعْمالِ *

* فامتَلَكُوا ناصِيَةَ المَعالى (٦) *

ليلة عيد جلوس الخديوى

يصف فيها الزينة الكبرى التى أقيمت بحديقة الأزبكية فى مساء ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

يا لَيْلَةً أَلْهَمَتْنِى ما أَبِيتُ به * على حُماةِ القَوافِى أَيْنَما تاهُوا (٧)

إنِّى أَرَى عَجَباً يَدْعو إلى عَجَبٍ * الدهرُ أَضْمَرَه والعيدُ أَفْشاهُ

(١) استعمال «القنبلة» بمعنى مايخرج من فم المدفع عند انطلاقه استعمال شائع فى كلام عصرنا ، ولم ترد به لغة العرب ؛ وإنما ورد ذكر القنبلة بمعان أخرى . والوبال : الهلاك . (٢) النكال : العذاب . (٣) الختال : الخداع ، ويريد به السيف ، والمعنى أن المدفع لا يأخذ الناس على غرة ، بل ينذرهم بشرره المشبه للبرق ، ثم بصوته المشبه للرعد ؛ ولم يكن كالسيف الذى يفتك بهم على غفلة فلا يشعرون به إلا وهو يحز رءوسهم ويقطع فى أوصالهم . (٤) يحز : يقطع . وهى من الأفعال التى تتعدى بنفسها ، وعديت هنا بالحرف على تضمينها معنى (يقرض) أو نحوها مما يتعدى بالحرف . والأوصال : المفاصل ، الواحد وصل (بالكسر وبالضم) . (٥) يريد «بالقوم» : أمم الغرب . (٦) الناصية : مقدم الرأس . وامتلكوا ناصية المعالى ، أى بلغوا ذروتها وأعلاها . (٧) حماة القوافى : فحول الشعراء .

هل ذاكَ ما وَعَدَ الرحمنُ صفوتَه * رَوْضٌ وحُورٌ ووِلْدانٌ وأَمْواهُ (١)

أم الحَديقةُ ذاتُ الوَشْيِ قد حَلِيَتْ * في مَنْظَرٍ يستعيدُ الطَّرْفُ مَرْآهُ (٢)

أرى المصابيحَ فيها وهيَ مُشرِقةٌ * كأنَّها النَّوْرُ والوَسْمِيُّ حَيَّاهُ (٣)

أو إنَّما هيَ ألفاظٌ مُدَبَّجةٌ * وكلُّ لفظٍ تجَلَّى فيه معناهُ (٤)

أرى عليها قُلوبَ القومِ حائمةً * كالطَّيْرِ لاحَ له وِرْدٌ فوافاهُ (٥)

أرى بَني مصرَ تحتَ اللَّيلِ قد نَسَلُوا * إلى سُعودٍ به ضاحٍ مُحَيَّاهُ (٦)

أرى على الأرضِ حَلْياً قد نَسِيتُ به * حَلْيَ السَّماءِ وحُسْناً لستُ أنساهُ (٧)

أرى أَريكةَ (عبَّاسٍ) تَحُفُّ بها * وِقايةُ اللهِ والإقبالُ والجاهُ (٨)

أرى سُمُوَّ خديوينا وقد بُسِطَتْ * بالعَدْلِ والبَذْلِ يُمناهُ ويُسراهُ

قُلْ للأُلى جَعَلوا للشِّعرِ جائزةً * فيمَ الخلافُ! ألمْ يُرشِدْكُمُ اللهُ!

إنِّي فتحتُ لها صَدْراً تَليقُ به * إنْ لم تُحَلُّوهُ فالرحمنُ حَلَّاهُ (٩)

(١) صفوته: من اصطفاهم. والأمواه: جمع ماء. (٢) يريد «بالوشى» هنا: ما اختلف من ألوان النبات والزهر، تشبيها بالوشى فى الثوب، وهو النقش. «ويستعيد الطرف مرآه» أى أن جمال المنظر يغرى بتكرار النظر. (٣) النور: زهر النبات. والوسمى: المطر أول الربيع. (٤) مدبجة: مزخرفة مزينة. وتجلى: تكشف. (٥) حام الطائر على الماء: دار حوله. والورد (بكسر الواو): الماء المورود. (٦) نسلوا: أسرعوا. وضاحى المحيا: مشرق الوجه. (٧) الحلى: ما يتزين به. (٨) الأريكة: سرير الملك. (٩) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى جماعة من كبار الأدباء والعلماء، منهم أحمد زكى باشا، واسماعيل صبرى باشا، وحفنى ناصف بك، اجتمعوا على أن يجعلوا للشعر جوائز من أنواط مختلفة تمنح للشعراء بحسب درجاتهم فى الشعر؛ فحافظ يقول: «لا تختلفوا فى تفضيل بعض الشعراء على بعض، فالأمر فى تفضيلى بين لا جدال فيه، وإنكم إن لم تحلوا صدرى بأغلى هذه الأنواط وأفضلها، فان الله قد حلاه بما وهبنى من شاعرية مبدعة، وملكة فياضة.

لَمْ أَخْشَ مِنْ أَحَدٍ فى الشِّعْرِ يَسْبِقُنِى * إِلّا فَتًى ما لَه فى السَّبْقِ إِلّاهُ (١)

ذاكَ الّذى حَكَمَتْ فينا يَرَاعَتُه * وأَكْرَمَ اللهُ (والعبّاسُ) مَثْواهُ (٢)

البورصة

[نشرت فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤]

بِبابِكِ النَّحْسُ والسُّعودُ * ومَوْقِفُ اليَأْسِ والرَّجاءْ

وفيكِ قد حارَتِ اليَهودُ * يا مَطْلَعَ السَّعْدِ والشَّقاءْ (٣)

***

ووَجْهُكِ الضّاحِكُ العَبُوسْ * قد ضاقَ عن وَصْفِهِ البَيانْ (٤)

كَمْ سُطِّرَتْ عِنْدَه طُرُوسْ * بِقِسْمَةِ العِزِّ والهَوانْ (٥)

وطَأْطَأَتْ دُونَه رُءوسْ * يَهْتَزُّ مِنْ خَوْفِها الزَّمانْ (٦)

***

وكَمْ أَطافَتْ به وُفُودُ * وأَكْثَرُوا حَوْلَه الدُّعاءْ

فرابِحٌ نَجْمُه سَعيدُ * وطامِعٌ بالخَسارِ باءْ (٧)

---

(١) يريد «بالفتى» : أحمد شوقى بك شاعر الأمير. (٢) اليراعة : القلم. والمثوى : المنزلة.

(٣) إنما خص اليهود، لأنهم أعلم من غيرهم بمسائل المال وطرق اكتسابه واستثماره، كما هو معروف.

(٤) سكنت هذه القافية دفعا لما يترتب على تحريكها من وجود إقواء فى البيت الثانى، وهو اختلاف فى حركة الروى. ويلاحظ أن فى هذه القصيدة أبياتا أخرى سكن رويها دفعا لهذا العيب المتقدم.

(٥) الطروس : الصحائف يكتب فيها، الواحد طرس (بكسر فسكون). (٦) طأطأت، أى انخفضت وتطامنت.

(٧) باء بالخسار، أى رجع به.

* * *

لمّا علتْ صيحةُ المنادِى * وأصبحَ القومُ فى عناءْ

وشمّرتْ ثروةُ البلادِ (١) * وضجّتِ الأرضُ والسماءْ

قنعتُ بالقطنِ فى الوسادِ * وفى الحَشيّاتِ (٢) والغطاءْ

وإنّما العاقلُ الرشيدُ * مَنْ سارَ فى منهجِ النجاءْ

باللهِ يا قومُ لا تزيدُوا * فإنّ آمالَكُمْ هباءْ (٣)

* * *

مضارَباتٌ هى المنايا * ورُسْلُها أحرُفُ البروقْ (٤)

صَبُوحُ أصحابِها الرزايا * وما لهُمْ دونَها غَبُوقْ (٥)

قد أتلفتْ أنفسَ البرايا * بأسهمِ الغدرِ والعقوقْ

* * *

هبوطُها الموتُ، والصعودُ * ضربٌ من البؤسِ والبلاءْ

وما لَها عندَهمْ عهودُ * إلّا كما تعهدُ النساءْ

---

(١) شمرت ثروة البلاد، أى استعدت للإسراع فى الذهاب والضياع .

(٢) الحشيات: الفرش المحشوة، الواحدة حشية (بفتح الحاء وتشديد الياء)، وهى المعروفة بالمرتبة .

(٣) الهباء : الغبار؛ أو هو الشىء المنبث فى ضوء الشمس يشبه الدخان .

(٤) يريد «بأحرف البروق» : الرسائل التلغرافية .

(٥) الصبوح : ما يشرب فى الصباح . والغبوق : ما يشرب فى العشى .

* *
*

كم "بالةٍ" سَبَبَتْ وَبالًا (١) * وأشبهت لامعَ السَّرابِ

وبَذْرةٍ أنبَتَتْ خَبالًا (٢) * وأثمرتْ عاجِلَ الخرابِ

وكم غَنِيٍّ أضاعَ مالًا * وشابَ في موقفِ الحسابِ

* *
*

فليتعظْ منكمُ البعيدُ * وليتقِ اللهَ ذو الثراءْ (٣)

فذلك التاجرُ الشهيدُ (٤) * قد عافَ مِن أجلِها البقاءْ

زلزال مسّينا (٥)

سنة ١٩٠٨ م

نَبِّئاني إنْ كُنتُما تعلمانِ * ما دهى الكونَ أيها الفرقدانِ (٦)

غَضِبَ اللهُ أمْ تمرَّدتِ الأر * ضُ فأنحتْ على بني الإنسانِ ؟ (٧)

ليسَ هذا سُبحانَ ربِّي ولا ذا * كَ ولكنْ طبيعةُ الأكوانِ

---

(١) البالة : مقدار وزن معروف . (٢) الخبال : ذهاب العقل .

(٣) الثراء : الغنى . (٤) يشير بقوله : «التاجر الشهيد» الى أن بعض التجار كان قد انتحر حين ذهبت ثروته كلها فى تلك المضاربات . وعاف الشيء يعافه و يعيفه : كرهه وزهد فيه . (٥) مسينا : بلد بجنوب إيطاليا معروف وقع فيه هذا الزلزال . (٦) الفرقدان : نجمان معروفان .

(٧) أنحت على بنى الإنسان ، أى أقبلت عليهم بالعذاب . ويرويه بعض الأدباء : «فأثخنت» ، أى أهلكتهم وأتت عليهم .

غَلَيانٌ فى الأرض نَفَّسَ عنه * ثَورانٌ فى البَحرِ والبُرْكانِ
(١)
رَبِّ، أينَ المَفَرُّ والبَحرُ والبَرُّ * على الكَيدِ للوَرَى عامِلانِ؟
(٢)
كنتُ أخشَى البِحارَ والموتُ فيها * راصِدٌ غَفْلةً مِنَ الرُّبَّانِ
سابحٌ تحتَنا، مُطِلٌّ علينا * حائمٌ حَولَنا، مُناءٍ مُدانِى
(٣)
فإذا الأرضُ والبحارُ سَواءٌ * فى خَلاقٍ كلاهُما غادِرانِ
ما (لِمَسِّينَ) عُوجِلَت فى صِباهَا * ودَعاهَا مِنَ الرَّدَى داعِيانِ
(٤)
وتحتْ تِلكُمُ المَحاسِنَ منها * حِينَ تَمّتْ آياتُها آيتانِ
خُسِفَتْ، ثم أُغرِقَتْ، ثم بادَتْ * قُضِىَ الأمرُ كلُّه فى ثَوانِى
وأتَى أمرُها فأضحَتْ كأنْ لَمْ * تَكُ بالأمسِ زِينةَ البُلْدانِ
(٥)
لَيتَها أُمهِلَتْ فتَقضِى حُقوقًا * مِنْ وَداعِ اللِّداتِ والجِيرانِ
لَحظةً يَسعَدُ الصَّديقانِ فيها * باجتماعٍ ويَلتَقِى العاشِقانِ
(٦)
بَغَتِ الأرضُ والجبالُ عليها * وطَغَى البحرُ أيَّما طُغيانِ
(٧)
تلكَ تَغلِى حِقدًا عليها فتَنْشَقُّ * انشِقاقًا مِنْ كَثرةِ الغَلَيانِ

---

(١) نفس عنه : خفف . (٢) الربان : رئيس السفينة . (٣) الخلاق : الحظ والنصيب من الخير والصلاح . يقول فى هذه الأبيات الثلاثة : إنه كان لا يخشى إلا غائلة البحر، و يأمن جانب البر فإذا بهما فى الغدر سواء . (٤) يريد « بالآيتين » : زلزال الأرض، وفيضان البحر .
(٥) اللدات : الأتراب، الواحدة لدة (بكسر اللام وتخفيف الدال) . والمراد نظائرها من البلاد .
(٦) بغى عليه : ظلمه . (٧) تلك، أى الأرض .

فتُجيبُ الجبالُ رَجْمًا وقَذْفًا (١) * بشُواظٍ مِنْ مارِجٍ ودُخانِ

وتَسُوقُ البِحارُ رَدًّا عليها (٢) * جَيْشَ مَوْجٍ نائى الجَناحَيْنِ دانى

فهُنا الموتُ أسودُ اللَّوْنِ جَوْنٌ (٣) * وهُنا المَوْتُ أحمرُ اللَّوْنِ قانى

جَنَّدَ الماءَ والثَّرَى لهَلاكِ الـ (٤) * ـخَلْقِ ثُمّ آستَعانَ بالنِّيرانِ

ودَعا السُّحْبَ عاتِيًا فأمَدَّتْـ (٥) * ـهُ بجَيْشٍ مِن الصَّواعِقِ ثانى

فآستَحالَ النَّجاءُ وآستَحْكَمَ اليأ (٦) * سُ وخارَتْ عَزائمُ الشُّجْعانِ

وشَفَى الموتُ غِلَّهُ مِن نُفُوسٍ (٧) * لا تُبالِيهِ فى مَجالِ الطِّعانِ

أينَ (رِدْجُو) وأينَ ما كانَ فيها (٨) * مِنْ مَغانٍ مأهُولةٍ وغَوانى

عُوجِلَتْ مِثْلَ أُخْتِها ودَهاها (٩) * ما دَهاها مِنْ ذلكَ الثَّوَرانِ

رُبَّ طِفْلٍ قد ساخَ فى باطِنِ الأرْ (١٠) * ضِ يُنادِى: أُمِّى، أَبِى، أدْرِكانى

---

(١) الشواظ : لهب لادخان فيه . والمارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .

(٢) نائى الجناحين ، أى بعيد ما بين الجانبين . والدانى : القريب . يريد أن الموج يتسع مرة ويضيق أخرى . (٣) الجون : الشديد السواد . والقانى والقانئ : الشديد الحمرة . والعرب تطلق الموت الأسود على الموت خنقا ، والموت الأحمر على الموت قتلا لما يحدثه القتل من سيلان الدم .

(٤) الضمير فى «جند» و«استعان» : للموت . (٥) عاتيا : معتديا ظالما .

(٦) خارت : ضعفت . (٧) الغل : الحقد والموجدة .

(٨) ردجو كالبريا : ولاية فى ايطاليا ، وهى القصوى من جهة الجنوب ، متاخمة للبحر الأيونى و بوغاز مسينا ، وقد هدمها ما انتابها من الزلازل . والى هذا يشير الشاعر . والمغانى : المنازل التى غنى بها أهلها أى سكنوا وأقاموا ، الواحد مغنى (بفتح الميم والنون وسكون الغين) . والغوانى : النساء غنين بجمالهن وحسنهن عن الزينة . (٩) أختها ، أى مسينا . (١٠) ساخ : غاص .

وفتاةٍ هيفاءَ تُشْوَى على الجمْـ * ـرِ تعاني من حرّه ما تعاني (١)

وأبٍ ذاهلٍ ، الى النار يمشي * مستميتاً تمتدُّ منه اليدان

باحثاً عن بناته وبنيه * مسرعَ الخطوِ مستطيرَ الجنان (٢)

تأكلُ النارُ منه لا هو ناجٍ * من لظاها ولا اللظى عنه وان (٣)

غَصّتِ الأرضُ أُتخِمَ البحرُ مما * طوياهُ من هذه الأبدان (٤)

وشكا الحوتُ للنسورِ شكاةً * ردّدتها النسورُ للحيتان

أسرفا في الجسومِ نقراً ونهشاً * ثم باتا من كظّةٍ يشكوان (٥)

لا رعى اللهُ ساكنَ القممِ الشُّـ * ـمِّ ولا حاطَ ساكنَ القيعان (٦)

قد أغارا على أكفٍّ براها * بارئُ الكائنات للإتقان (٧)

كيف لم يرحما أناملَها الغُـ * ـرَّ ولم يرفقا بتلكَ البنان (٨)

لهفَ نفسي وألفُ لهفٍ عليها * من أكفٍّ كانت صَناعَ الزمان (٩)

---

(١) الهيفاء : الضامرة البطن ، الرقيقة الخصر . (٢) مستطير الجنان ، أى ذاهب القلب جزعا وإشفاقا . (٣) اللظى : حر النار واشتعالها .

(٤) غصت ، أى امتلأت . وأتخم : امتلأ جوفه ، من التخمة ، وهى الامتلاء من الطعام .

(٥) الكظة : البطنة وما يعترى الإنسان من الامتلاء من الطعام . (٦) ساكن القمم : يريد النسر ، لأنه يسكن أعالى الجبال . والشم : العالية المرتفعة ، الواحدة شماء . وحاط : حفظ ووقى . ويريد «بساكن القيعان» : ما يسكن قيعان البحر من الحيتان ، كما يدل على ذلك ما سبق . (٧) براها : خلقها . ويريد أكف أصحاب الفنون. (٨) البنان : الأصابع ، الواحدة بنانة . (٩) الصناع : الحاذقة الماهرة فى العمل .

مُولَعاتٍ بصَيْدِ كلِّ جميلٍ (١) * ناصِباتٍ حَبائلَ الألوانِ

حافِراتٍ فى الصَّخْرِ أو ناقِشاتٍ * شائِداتٍ روائعَ البُنْيانِ

مُنْطِقاتٍ لِسانَ كلِّ جَمادٍ * مُفْحِماتٍ سَواجعَ الأفْنانِ (٢)

مُلْهَماتٍ مِنْ دِقَّةِ الصُّنْعِ مالا * يُلْهَمُ الشِّعْرُ مِنْ دَقيقِ المعانى

مِنْ تَماثيلَ كالنُّجومِ الدَّرارِى (٣) * يَهْرَمُ الدَّهْرُ وهىَ فى عُنْفُوانِ

عَجَبٌ صُنْعُها وأَعْجَبُ منه (٤) * صُنْعُه تلكَ قُدْرَةُ الرَّحْمنِ

إيهِ «مِسِّينَ» آنِسِى اليَوْمَ «بُمْبِيـ (٥) * ىَ» فقد أَوْحَشَتْ بذاكَ المكانِ

آنِسِى الدُّرَّةَ التى كانت الحِلْـ * ـيَةَ فى تاجِ دَوْلَةِ (الرُّومانِ)

غالَها قَبْلَكِ الزمانُ اغْتِيالاً (٦) * وهىَ تَلْهُو فى غِبْطَةٍ وأمانِ

---

(١) الحبائل : الأشراك . ويريد بقوله : «ناصبات حبائل الألوان» أن هذه الصور تصيد القلوب والأنظار بما فيها من دقة وإتقان . ويحكى أن رفائيل المصوّر المعروف صوّر مرة عنقودا من العنب على حائط تخدع بها بعض الطيور ، فال اليه ينقر حبه .

(٢) سواجع الأفنان : الحمائم التى تسجع ، أى تغرّد . والأفنان : الأغصان ، الواحد فنن (بالتحريك) . ويشير بالشطر الأول الى ما تصنعه هذه الأيدى من التماثيل التى تقرب من الحقيقة حتى تكاد تنطق ؛ وبالشطر الثانى إلى أيدى الموسيقيين البارعين .

(٣) الدرارى (بتشديد الياء ، وخفف للشعر) : جمع درى ، وهو الكوكب المتوقد المتلألئ الصافى الشعاع . وعنفوان الشباب : أوله وريعانه .

(٤) صنعه ، أى صنع الله تعالى . يقول : إن هذه التماثيل مهما بولغ فى إتقانها ودقتها فهى لا تبلغ صنع الله الذى أتقن كل شىء .

(٥) بمبى : مدينة قديمة من إيطاليا الجنوبية تبعد اثنى عشر ميلا عن نابلى الى الجنوب الشرقى وموقعها بجوار جبل فيزوف ؛ وقد حدث فيها زلزالان خرّبا قسما منها فى سنة ٦٣ م وكان بين هاتين الزلزلتين فترة أشهر ، ثم خربت بالمواد المتقذفة فى ٢٤ آب سنة ٧٩ ، وبقيت هذه المدينة مدة سبعة عشر قرنا بعد ذلك مطمورة ، طامسة الذكر ، حتى استكشفت أخيرا .

(٦) غالها : أهلكها .

جاءها الأمرُ والسَّـراةُ عُكوفٌ * فى المَـلاهِى على غِنـاءِ القِيـانِ (١)

بين صَبٍّ مُـدَلَّهٍ وطَروبٍ * وخَليعٍ فى اللَّهْوِ مُرْخَى العِنـانِ (٢)

فانطَوَوْا كانطِواءِ أَهلِكِ بالأمْـ * ـسِ وزالَتْ بَشاشَـةُ العُمْـرانِ

أنتِ (مِسِّينَ) لن تزُولِى كما زا * لَتْ ولكنْ أَمسَيْتِ رَهْنَ الأَوانِ (٣)

إنّ إيطالِيا بَنُـوها بُنـاةٌ * فاطمَئِنِّى ما دامَ فى الحىِّ بانِى

فسَـلامٌ عليـكِ يـومَ تولَّيْـ * ـتِ بمـا فيـكِ مِنْ مَغانٍ حِسانِ

وسَـلامٌ عليـكِ يومَ تَعُـودِيـ * ـنَ كما كُنتِ جَنَّـةَ الطُّلْيـانِ

وسَلامٌ مِنْ كلِّ حَىٍّ على الأرْ * ضِ على كلِّ هالكٍ فيـكِ فانِى

وسَـلامٌ على الأُلَى أَكَلَ الـذِّئْـ * ـبُ وناشَـتْ جَوارِحُ العِقْبانِ (٤)

وسَـلامٌ على آمرِئٍ جادَ بالدَّمْـ * ـعِ وثَنَّى بالأَصْـفَرِ الرَّنّانِ (٥)

ذاكَ حَقُّ الإنسانِ عنـدَ بَنِى الإنْـ * ـسانِ لَمْ أَدْعُكُمْ إلى إحْسـانِ

فاكتُبُوا فى سَماءِ (رِدْجُو) و(مِسِّـ * ـينا) و(كالبَرْيا) بكلِّ لِسـانِ

ها هُنـا مَصْرَعُ الصِّناعَةِ والتَّصْـ * ـوِيرِ والحِـذْقِ وآلحِجا والأَغانِى (٦)

---

(١) يريد «بالأمر» : الهلاك والفناء . والسراة : جمع سرى (بفتح السين وتشديد الياء)، وهو الرفيع القدر من الناس . والقيان : المغنيات، الواحدة قينة . (٢) المدله : الذاهب العقل من عشق ونحوه . والخليع : المتهتك . ومرخى العنان : الممدود له فى حبل الشهوات . (٣) يريد بقوله : «أمسيت رهن الأوان» : أنه سيأتى الوقت الذى يجدد الشعب فيـه عمارتك، ويعيد ما هدمته الزلازل من مغانيك فتصبحين كما كنت، كما يدل عليه البيت الذى بعده . (٤) ناشت : نهشت . (٥) الأصفر الرنان : الذهب؛ يريد ما يتبرع به المتبرعون فى عمارة هذا البلد . (٦) الحجا : العقل .

براعـــةُ غِنـاء

قالهـا فى جاك رومانو[1] المغنى الإسرائيلى المعروف

[نشرت فى ١٥ نوفبر سنة ١٩٠٨ م]

اِرْحَمـونا بَنِى اليَهـودِ كَفاكُمْ * ما جَمَعْتُمْ بِحِذْقِكُمْ مِنْ نُقـودِ

واْصفَحوا عَنْ عُقولِنا ودَعُوا الحَلْـ * ـقَ بِسِـرِّ التَّـوْراةِ والتَّلْمُـودِ[2]

لا تَزِيدُوا على الصُّكوكِ فِخاخًا[3] * مِنْ غِنـاءٍ ما بَيْنَ دُفٍّ وعُودِ

وَيْحَكُمْ إنَّ (جاكَ) أَسْرَفَ حَتَّى * زادَ فى قَوْمِـه علَى (داوُدِ)[4]

أَسْكِتُوه لا أَسْكَتَ اللهُ ذاكَ الـ * ـصَّوْتَ صَـوْتَ المُتَيَّمِ الفَـرِيدِ[5]

أَوْ دَعُوه، فِداؤُه إنْ تَغَنَّى * كُلُّ نَفْسٍ وكُلُّ ما فِى الوُجـودِ

وقال فيــه أيضـا :

[نشرت فى ١٥ نوفبر سنة ١٩٠٨ م]

يا (جاكُ) إنَّكَ فى زَمانِكَ واحِدٌ * ولِكُلِّ عَصْرٍ واحِدٌ لا يُلْحَقُ

إنّ الأُلَى قَـد عاصَرُوكَ وفاتَهُـمْ * أَنْ يَسْمَعُوكَ كأنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا

---

(١) جاك رومانو : يهودى من أهالى الاسكندرية ، كان من رجال المال ، يعمل عملا رئيسيا فى أحد المصارف ، وكان حسن المنادمة والغناء ، ظريف الشمائل ، وكان صديقا حميما للرحوم عبده الحامولى .

(٢) التلمود : سفر دينى لليهود نما فى القرون الأربعة أو الستة من العهد المسيحى ، وصار مع التوراة كتاب اليهود المقدّس .

(٣) الصكوك : وثائق الديون التى اشتهر بها اليهود .

(٤) خص داود عليه السلام لما اشتهر به من حسن الصوت ، ولما اشتهرت به مزاميره من الترنم بها وترتيلها .

(٥) الفريد : المتفرد .

قـد جاء (موسى) بالعصا وأتيتنا * بالعود تشـدو فى يديك وينطق (١)

فاذا ارتجلت لنـا الغناء فكلنـا * مهـج تسيل وأنفس تتحـرق

فمطـالب بإعـادة ومطـالب * بـزيادة ومهـلل ومصـفق

تتسـابق الأسماع صوبك كلمـا * غنيتهـا شـوقا اليـك وتعنـق (٢)

وتود أفئـدة هتكت شغافها * لـو أنهـا بـذيولهـا تتعـلق (٣)

خـلق كما شـاء الجليس وشيمـة * يذكو بهـا صدر النـدى ويعبق (٤)

ومروءة لو أنهـا قـد قسمت * بين اليهود لأحسـنوا وتصـدقوا

نادى الألعاب الرياضية

أنشدها فى ليلة أحياها نادى الألعاب الرياضية بالأوبرا السلطانية

[ليلة السبت ٨ أبريل سنة ١٩١٦ م]

بنـادى الجـزيرة قف ساعة * وشاهـد بربك ما قـد حوى

ترى جنـة من جنان الربيـع * تبدت مع الخلد فى مستوى (٥)

جمـال الطبيعـة فى أفقـها * تجـلى على عرشـه واستوى (٦)

---

(١) موسى ، هو نبى الله موسى بن عمـران عليه السـلام ؛ ومعجزته فى عصاه مشهورة ورد ذكرها فى القرآن . (٢) صوبك : جهتك . وتعنق : تسرع .

(٣) بذيولهـا ، أى الأسماع . وشغاف القلب : غلافه . (٤) الندى : مجلس القوم . ويذكو ويعبق ، أى يطيب ويتعطر . (٥) تبدت : ظهرت .

(٦) تجلى : ظهر . واستوى ، أى استقر .

فقُل للحزين وقُل للعليل * وقُل للملول : هناكَ الدَّوا

وقُل للأديبِ : ابتدِرْ ساحَها * إذا ما البيانُ عليكَ التَوى [1]

وقُل للمُكبِّ على درسِه * إذا نهكَ الدَّرسُ منه القُوَى : [2]

تنسَّمْ صَباها تُجدِّدْ قُواك * فأرضُ الجزيرةِ لا تُجتَوى [3]

ففيها شِفاءٌ لمرضَى الهُموم * وملهًى كريمٌ لمرضَى الهوَى

وفيها وفي نيلِها سَلوةٌ * لكلِّ غريبٍ رمَتْه النَّوى [4]

وفيها غذاءٌ لأهلِ العقُول * إذا الرأسُ إثرَ كَلالٍ خَوى [5]

ويا رُبَّ يومٍ شديدِ اللَّظَى * روَى عن جهنَّمَ ما قد روَى [6]

به الرِّيحُ لفَّاحةٌ للوجُوه * به الشَّمسُ نزَّاعةٌ للشَّوى [7]

قصدتُ الجزيرةَ أبغِي النَّجاة * وجِسمِي شَواهُ اللَّظَى فاشتَوى

فألفيتُ ناديَها زاهِرا * وألفيتُ ثَمَّ نعيماً ثَوَى [8]

فأنزلَني منزلًا طيِّبًا * وروَّى فؤادِيَ حتَّى ارتَوى

وأطفأ وارِفُ تلكَ الظِّلال * سعيرَ الهجيرِ وحرَّ الجَوى [9]

(١) الساح : جمع ساحة . والتوى : صعب واستعصى . (٢) المكب على درسه : المقبل عليه المجتهد فيه . (٣) لا تجتوى ، أى لا تكره الإقامة بها . (٤) النوى : البعد . (٥) الكلال : الإعياء والتعب . وخوى : خلا . (٦) اللظى : شدة الحر . (٧) لفاحة للوجوه : محرقة لها مغيرة لألوانها . والشوى : اليدان والرجلان وقحف الرأس . وكنى بقوله : «نزاعة للشوى» : عن شدة الحر . يشير الى قوله تعالى فى وصف جهنم : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) . (٨) ثوى بالمكان : أقام به . (٩) الوارف من الظلال : ما اتسع وامتد منها . والهجير : شدة الحر . والجوى : الحزن والحرقة وشدة الوجد .

وحَلَّ الأَصيلُ عِقالَ الشَّمالِ * فهبَّتْ بنَشْرٍ إليها انضَوَى (١)

فأَحيتْ بنفسيَ ذِكْرَى الشَّبابِ * وما كان منها ومنه انطَوَى (٢)

وعاوَدَ قلبيَ ذاكَ الخُفُوقُ * وقد كانَ بعدَ المَشيبِ ارْعَوَى (٣)

فما بالُ قومِيَ لا يأخُذُونَ * لتلكَ الجِنانِ طَريقاً سَوَا (٤)

وما بالُ قومِيَ لا يَنزِلُونَ * بغيرِ (جُرُبِّي) و(بارِ اللِّوَا) (٥)

تَراهُمْ على نَرْدِهِمْ عُكَّفاً * يُبادِرُ كلٌّ إلى ما غَوَى (٦)

ولو أنصَفُوا الجِسمَ لاسْتَظْهَروا * له بالمِرانِ وطِيبِ الهَوا (٧)

*
* *

فيا نادياً ضَمَّ أُنْسَ النَّديمِ * ولَهْوَ الكَريمِ وُقيتَ البِلَى

لياليكَ أُنْسٌ جلاها الصَّفا * فأَسرتْ إليكَ وُفودُ المَلا (٨)

فكم ليلةٍ طابَ فيكَ الحَديثُ * فكانَ الكُئُوسَ وكانَ الطِّلا (٩)

---

(١) الأصيل : وقت العشى . يقول : إن ريح الشمال انطلقت فى هذا الوقت . والنشر : الرائحة الطيبة . وانضوى : انضم اليها وامتزج بها . (٢) الضمير فى « منها » للذكرى؛ وفى « منه » الشباب . (٣) ارعوى عن الأمر : رجع عنه وكف .

(٤) طريقا سوا (بفتح السين والقصر)، أى سواء (بالمد) بمعنى المستوى الذى لا عوج فيه .

(٥) جربى، وبار اللوا : مقهيان معروفان فى القاهرة يقصد إليهما خاصة الناس .

(٦) النرد، هو اللعبة المعروفة بالطاولة . (٧) استظهروا، أى استعانوا . و « له » أى لأجله . والذى وجدناه فى كتب اللغة مرن الجسم مرونا ومرانة لا مرانا كما استعمله الشاعر متابعة لما شاع فى كلام أهل العصر . (٨) الإسراء والسرى : السير بالليل .

(٩) الطلاء (بالمد، وقصر للضرورة) : الخمر؛ شبه به طيب الحديث .

فمِنْ مُشْجِياتٍ إلى مُطْرِباتٍ * إلى مُضْحِكاتٍ تُسَلِّى ، إلى...(١)

وقد زانَ لَهْـوَكَ ثوبُ الوَقارِ * فلَهْوُكَ فى كلِّ ذَوْقٍ حَلا

تَخِفُّ إليـه رِزانُ الحِجـا * وتَمْشِى إليـه السَّـراةُ الأُلَى(٢)

فقلْ للذى باتَ تحتَ العُقودِ * بحَـرْبٍ علـى نفسـه مبتَـلَى:(٣)

أتلكَ الأماكِنُ لا تُسْتَرادُ * أتلكَ المَناظِـرُ لا تُجْتَـلَى؟(٤)

أتحتَ السَّـماءِ وبدْرِ السَّماءِ * وبينَ الرِّياضِ وبينَ الخَـلا

تَمَلُّ الجُلُوسَ ويَفْنَى الحَديثُ * فهـذا النَّعيـمُ وإلّا فَـلا؟

سألتُ الأُلَى يَقْدِرُون الحيَـاةَ * ألَمْ تفْتِنْكُمْ ؟ فقالوا : بَلَى

مكانٌ لعَمْرُكَ ما حَلَّ فى * نَواحِيـه ذُو الحُزْنِ إلّا سَـلا

فمـا أنتَ فى مصْرَ إنْ لَمْ تَطِرْ * إليـه فتَشْهَدَ تلك الحُـلَى

له مَلْعَبٌ فيـه ما يَشْتَهِى * مُحِبُّ الرِّياضَـةِ مَهْـمَا غَلَا

لكلِّ فَـرِيقٍ به لُعْبَـةٌ * تُلائِمُ مِنْ سِنِّه ما خَـلا(٥)

ولِعْبٌ هـو الجِدُّ لو أنّنـا * نَظَـرْنا إليـه بعَيْـنِ النُّهَى

---

(١) إلى ، أى الى غير ذلك من أنواع اللهو . (٢) الرزان : جمع رزين . يريد العقول الراجحة . وتخف له ، أى الى ما فى هـذا النادى من لهو ومتاع . وسراة القوم : ذوو الأقدار الرفيعة ، الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الياء) . والألى ، أى الذين بلغوا من الرفعة وعلو المنزلة مبلغا عظيما ؛ فحذف الشاعر الصلة للعلم بها . (٣) العقود : نوع من الأبنيـة معروف فى مصر ؛ ومنه ما يسمى بالبواكى ؛ وكان بعض أصحاب المقاهى يتخذون تحتها مقاعد للناس .

(٤) تستراد : تبتغى وتطلب . (٥) ماخلا ، أى مامضى من عمره .

لَدَى غيرِ (مصرَ) له حُظْوةٌ * فكم راحَ يلْهو به مَنْ لَهَا
وفى أَرْضِ (يُونانَ) شاهَدْتُه * فأىُّ جمالٍ إليه انتهى
وشاهَدْتُ مَوْسِمَهُ قد حَوَتْ * نواحِيهِ غايةَ ما يُشْتَهى
وماجَ بزُوّارِهِ المُولَعِين * وأَضْحَى بعرشِ المُلُوكِ ازْدَهَى (١)
وقد زادَ أَلْعابَه بَهْجَةً * مكانٌ فَسِيحٌ مُعَدٌّ لها
صِراعٌ وعَدْوٌ بعيدُ المَدَى * ووَثْبٌ يكادُ يَنالُ السُّهَا (٢)
وشاهَدْتُ عَدّاءَهُمْ قد عَدَا * ثلاثينَ مِيلًا وما إنْ وَهَى (٣)
وقامَتْ مُلاكَمَةُ اللاعِبِين * فأَنْسَتْ تَناطُحَ وَحْشِ المَهَا (٤)
بأَوْحَى مِنَ اللَّمْحِ كانَ النِّزال * فياوَيْلَ مَنْ مِنْهُمَا قد سَهَا (٥)
ولو رُحْتُ أَنْعَتُ تلكَ الضُّرُوب * لَضَاقَ القَرِيضُ وأَعْيَا بِهَا (٦)
على أنَّ فى أُفْقِنا نَهْضَةً * سَتَبْلُغُ رَغْمَ القُعُودِ المَدَى
وإنْ لم تكُنْ بلَغَتْ أَوْجَها * كذا كُلُّ شَىْءٍ إذا ما ابْتَدَا (٧)
ونادِى الرِّياضةِ أَوْلَى بأنْ * يكونَ عليها مَنارَ الهُدَى (٨)

---

(١) ازدهى : افتخر واختال .

(٢) العدو : الجرى . والسها : كوكب خفى لشدة بعده . (٣) عدا : جرى . ووهى : ضعف .

(٤) المها : بقر الوحش، الواحدة مهاة . (٥) أوحى من اللمح، أى أسرع منه . والوحى (بالألف المقصورة، والوحاء بالمد) : السرعة . ومنهما، أى من المتلاكمين .

(٦) الضروب : أنواع اللعب . (٧) أوجها، أى غاية ما تسمو إليه .

(٨) عليها، أى على تلك النهضة السابق ذكرها .

أَظَلَّتْ جَلائِلَ أَعْمالِه * ظِلالُ (حُسَيْنٍ) حَلِيفِ النَّدَى (١)

مَلِيكٌ رَعاه بإقْبالِه * وحُسْنِ عِنايَتِه والجَدَا (٢)

فَفِي عَهْدِه فَلْيُجِدَّ المُجِدّ * فإنَّ السُّعودَ به قد بَدَا

رحلته إلى إيطاليا

[نشرت فى نوفبر سنة ١٩٢٣ م]

عاصِفٌ يَرْتَمِي وبَحْرٌ يُغِيرُ * أنا باللهِ مِنْهُما مُسْتَجِيرُ (٣)

وكأنَّ الأَمْواجَ ، وهيَ تَوالَى * مُحْنَقاتٍ ، أَشْجانُ نَفْسٍ تَثُورُ (٤)

أَزْبَدَتْ ، ثم جَرْجَرَتْ ، ثم ثارَتْ * ثم فارَتْ كما تَفُورُ القُدُورُ (٥)

ثم أَوْفَتْ مِثْلَ الجِبالِ على الفُلْـ * ـكِ ولِلفُلْكِ عَزْمَةٌ لا تَخُورُ (٦)

تَتَرامَى بجُؤْجُؤٍ لا يُبالِي * أَمِياهٌ تَحُوطُه أم صُخُورُ؟ (٧)

أَزْعَجَ البَحْرُ جانِبَيْها مِنَ الشَّـ * ـدِّ فَجَنْبٌ يَعْلُو وجَنْبٌ يَغُورُ

وَهْوَ آناً يَحُطُّ مِنْ عُلْوُ كالسَّيْـ * ـلِ وآناً يَحُوطُها منه سُورُ (٨)

(١) يريد المغفور له السلطان حسين كامل . والنـدى : الجود . (٢) الجدا : العطاء .

(٣) يرتمى : يشتد فى هبوبه . (٤) توالى ، أى تتوالى . ومحنقات : غاضبات . وتثور : تهيج . (٥) أزبدت : قذفت بالزبد (بالتحريك) ، وهو الرغوة التى تعلو الماء عند فورانه . وجرجرت : صوتت . (٦) أوفى عليه : أشرف . وتخور : تضعف . (٧) ترامى ، أى الفلك ؛ وهو يذكر و يؤنث . وجؤجؤ السفينة : صدرها . (٨) ضمير وهو ، والهاء ، فى قوله : «منه» للبحر . ومن علو (مثلث الواو) ، أى من أعلى .

وهى تـزورّ كالجواد إذا ما * ساقه للطعان ندب جسور (١)

وعليها نفوسنا خائرات * جازعات كادت شعاعا تطير (٢)

فى ثنايا الأمواج والزبد المنـ * ـدوف لاحت أكفاننا والقبور (٣)

مر يوم وبعض يوم علينا * والمنايا إلى النفوس تشير

ثم طافت عناية الله بالفلـ * ـك فزالت عمن تقل الشرور (٤)

ملكت دفة النجاة يد الله * به فسبحان من إليه المصير

أمر البحر فاستكان وأمسى * منه ذاك العباب وهو حصير (٥)

أيها البحر لا يغرنك حول * واتساع وأنت خلق كبير (٦)

إنما أنت ذرة قد حوتها * ذرة فى فضاء ربى تدور (٧)

إنما أنت قطرة فى اناء * ليس يدرى مداه إلا القدير (٨)

ايه (اسبيريا) فدتك الجوارى * منشآت كأنهن القصور (٩)

يا عروس البحار إنك أهل * أن تحليك بالجمان البحور (١٠)

فالبسى اليوم من ثنائى عقدا * تشتهيه من الحسان النحور

---

(١) تزوّر: تنحرف وتميل. والندب: الماضى الخفيف فى الحاجة. (٢) طارت نفسه شعاعا، أى ذهبت متفرقة من خوف أو نحوه. (٣) يقال: ندف القطن يندفه، وذلك اذا ضربه بالمندف ليرق. وشبه الشاعر زبد البحر بالقطن المندوف. (٤) تقل: تحمل. (٥) استكان: سكن وخضع. والعباب: الموج. وهو حصير، أى مستوى السطح كالحصير. (٦) الحول: القوة. (٧) أى ان البحر ذرة من الكرة الأرضية التى هى ذرة فى الفضاء. (٨) مداه، أى مدى الإناء. ويريد «بالإناء» الكون. (٩) اسبيريا: اسم الباخرة التى أقلت الشاعر الى إيطاليا. والجوارى: السفن، الواحدة جارية. (١٠) الجمان: اللؤلؤ، الواحدة جمانة. وخص الجمان لأنه مما تحويه البحار فى أجوافها.

*
* *

إيـهِ إيطاليـا عَدَتْكِ العَـوادِى (١) * وتَنَحَّى عن ساكنِيكِ الثُّبُـورُ

فيـكِ يا مَهْبِـطَ الجَمـالِ فُنُـونٌ * ليسَ فيهـا عَنِ الكَمالِ قُصُـورُ

ودُمًى (٢) جَمَّـعَ المَحاسِنَ فيهـا * صُنُعُ الكَفِّ عَبْقَرِىٌّ شَـهِيرُ

قد أُقيمَتْ مِنَ الجَمادِ ولكنْ * مِنْ معانِى الحَياةِ فيها سُـطُورُ

فَهْىَ تَبْـدُو مِنَ المَلائِـكِ يَكْسُو * ها جَمـالٌ على حِفافَيْـهِ (٣) نُـورُ

أُمِرَتْ بالسُّكُوتِ مِنْ جانِبِ الحَـ * ـقِّ بدُنْيَـا فيهـا الأحاديثُ زُورُ

أَرْضُـهُمْ جَنَّـةٌ وحُـورٌ ووِلْدَا * نٌ كما تَشْـتَهِى ومُلْكٌ كَبِيرُ

تحتَهَـا ــ والعِيـاذُ باللهِ ــ نارٌ * وعَـذابٌ ومُنْكَـرٌ ونَكِيرُ (٤)

إنّ يومًا كيَوْمِ (رِدْجُو) و(مِسِّيـ * ـنَا) (٥) و(كالبَرِيَّا) لَيَـوْمٌ عَسِـيرُ

ساعةٌ منـه تُهْلِكُ الحَـرْثَ (٦) والنَّسْـ * ـلَ وتَمْحُـو ما سَطَّرَتْه الدُّهُـورُ

ذاكَ (فِـيزُوف) (٧) قائِمًا يَتَلَظَّى * قـد تعَـالَى شَهِيقُـهُ والزَّفِـيرُ

---

(١) عدتك العوادى : جاوزتك النوائب وتخطتك . والثبور : الهلاك .

(٢) يريد «بالدمى» : التماثيل، الواحدة دمية . وصنع الكف (بالتحريك) : حاذق بصنعته . ويشير بهذا البيت وما بعده الى ما اشتهر به الإيطاليون من صنع التماثيل التى تنطق بمهارة صناعها وحذقهم .

(٣) على حفافيه : على جانبيه . (٤) منكر ونكير : ملكان قيل إنهما يفتنان الميت فى قبره؛ وهما مثلان فى الفزع والرعب . ويشير بهذا البيت الى ما خصت به طبيعة بلادهم من وجود البراكين وكثرة الزلازل بها . (٥) يريد بيوم ردجو ومسينا : يوم الزلزال الذى وقع فى هذين البلدين انظر القصيدة السابقة فى زلزال مسينا . (٦) الحرث : الزرع . (٧) فيزوف : بركان بإيطاليا معروف .

يُنْذِرُ القَوْمَ بالرَّحِيلِ ولكنْ * ليس يُغْنِي مع القَضاءِ النَّذِيرُ (١)

وكذاكَ الأَوْطانُ مَهْمَا تَجَنَّتْ * ليسَ للحُرِّ عن حِماهَا مَسِيرُ

شَمْسُهُمْ غادَةٌ عليها حِجابٌ * فهِيَ شَرْقِيَّةٌ حَوَتْها الخُدُورُ (٢)

شَمْسُنا غادَةٌ أَبَتْ أنْ تَوارَى * فهِيَ غَرْبِيَّةٌ جَلاهَا السُّفُورُ (٣)

جَوُّهُمْ فى تَقَلُّبٍ واخْتِلافٍ * غيرَ أنَّ الثَّباتَ فيهِمْ وَفِيرُ

جَوُّنا أَثْبَتُ الجِواءِ ولكنْ * ليسَ فِينا على الثَّباتِ صَبُورُ (٤)

ولَدَيْهِمْ مِنَ الفُنُونِ لُبابٌ * ولَدَيْنا مِنَ الفُنُونِ قُشُورُ

أَنْكَرَ الوقفَ شَرْعُهُمْ فلِهذا * كُلُّ رَبْعٍ بأَرْضِهِمْ مَعْمُورُ (٥)

ليسَ فيها مُسْتَنْقَعٌ أو جِدارٌ * قد تَداعَى أو مَسْكَنٌ مَهْجُورُ (٦)

كُلُّ شِبْرٍ فيها عَلَيْهِ بِناءٌ * مُشْمَخِرٌّ أو رَوْضَةٌ أو غَدِيرُ (٧)

قَسَّموا الوَقْتَ بَيْنَ لَهْوٍ وجِدٍّ * فى مَدَى اليَوْمِ قِسْمَةً لا تَجُورُ

كُلُّهُمْ كادِحٌ بَكُورٌ إلى الرِّزْ * قِ ولاهٍ إذا دَعاهُ السُّرُورُ (٨)

---

(١) أى إن فيزوف بما يتصعد منه من دخان دائم كأنه نذير القوم بالرحيل عن جواره واختيار مكان آخر يقيمون به ، ولكن إذا حم القضاء فلا تغنى النذر.

(٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة . وشرقية ، أى امرأة شرقية ؛ ويشير إلى ما يحجب الشمس فى بلادهم من الضباب والغيم .

(٣) غربية ، أى امرأة غربية . ويشير إلى صحو الجو وصفائه من الغيم فى بلاد الشرق .

(٤) الجواء : جمع جو .

(٥) يشير إلى ما يلحق منازل الأوقاف فى مصر من التخريب والدمار لقلة العناية بها . وكان للشاعر كلمة مأثورة فى هذا ، وهى : «بيوت الوقف كالجدرى فى وجه المدنية» .

(٦) تداعى : تهدم.

(٧) مشمخر: مرتفع.

(٨) الكادح : الساعى المجد فى طلب الرزق . والبكور (بفتح الباء) : المبكر.

لا تَرَى فى الصَّباحِ لاعِبَ نَرْدٍ * حَوْلَهُ للرِّهانِ جَمٌّ غَفِيرُ

لَا ولَا باهِلًا(١) سَلِيمَ النَّواحِى * للقَهاوِى رَواحُه والبُكُورُ

لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وبينَ المَلاهِى * أوشُؤونِ الحَياةِ جَوٌّ مَطِيرُ(٢)

لا يُبالُونَ بالطَّبِيعةِ حَنَّتْ * أَمْ تَجَنَّتْ أَمْ احتَواهَا النُّعُورُ(٣)

عَصَفَتْ فوقَهُمْ رِياحٌ عَواتٍ * أَمْ أجازَتْ بِهِمْ صَبًا أَمْ دَبُورُ(٤)

قد أعَدُّوا لِحادِثاتِ اللَّيالِى * عُدَّةً لا يَحُوزُها التَّقْدِيرُ

نَضَّرُوا الصَّخْرَفى رُءُوسِ الرَّوابِى(٥) * ولَدَيْنا فى مَوْطِنِ الخِصْبِ بُورُ

قد وَقَفْنا عندَ القَدِيمِ وسارُوا * حيثُ تَسْرِى الى الكَمالِ البُدُورُ

والجَوارِى فى النِّيلِ مِنْ عَهْدِ(نُوحٍ) * لَمْ يُقَدَّرْ لصُنْعِها تَغْيِيرُ

وَلِعَ القَوْمُ بالنَّظافَةِ حَتَّى * جُنَّ فيها غَنِيُّهُمْ والفَقِيرُ

---

(١) الباهل : المتردّد بلا عمل . وسليم النواحى ، أى صحيح الجسم ليس به عاهة تمنعه العمل . وإطلاق «القهوة» على المكان الذى تشرب فيه : مجاز ، كإطلاق النار على جهنم .

(٢) يريد بهذا البيت أن الأمطار فى تلك البلاد مهما غزرت فلن تعوق السائرين عن مقاصدهم لما لديهم من الوسائل التى تجعل ذلك من الأمور المألوفة . ويشير الشاعر إلى المقارنة بين ما لديهم من تلك الوسائل وما لدينا .

(٣) النعور : الريح التى تفاجئك بحر وأنت فى برد ، أو ببرد وأنت فى حر .

(٤) العواتى من الرياح : الشديدة العصف ، التى جاوزت حدّ هبوبها . وأجازت بهم ، أى مرت بهم . وفى كتب اللغة أن أجاز وجاز ، كلاهما بمعنى جاوز . ومنه حديث المسعى : «لاتجيزوا البطحاء إلا شدّا » أى لا تجوزوا . والصبا : ريح الشمال ، وتقابلها الدبور ، وهى ريح الجنوب .

(٥) يشير بهذا البيت الى ما امتازت به أمم الغرب من دؤوب على العمل وعلم جم حتى إنهم جعلوا الصخور فى رءوس الجبال التى لاتنبت شيئا نضرة بما غرسوا فيها من ألوان النبات ، عكس ما لدينا من كسل وتواكل جعلا أرضنا الخصبة مقفرة من الزرع .

فاذا سِرْتُ في الطَّرِيقِ نَهارًا * خِلْتُ أنّي على المَرايا أَسِيرُ

أَفْرَطَ القَوْمُ في النِّظامِ وعِنْدِي * أنّ فَرْطَ النِّظامِ أَسْرٌ وَنِيرُ (١)

ولَذِيذُ الحَياةِ ما كانَ فَوْضَى * لَيْسَ فِيها مُسَيْطِرٌ أو أَمِيرُ

فإذا ما سَأَلْتَنِي قُلْتُ عنهم * أُمَّةٌ حُرَّةٌ وفَرْدٌ أَسِيرُ (٢)

ذاكَ رَأْيِي وهَلْ أُشارَكُ فِيهِ * إنّه قَوْلُ شاعِرٍ لا يَضِيرُ

في جِبالِ التِّيرُولِ إنْ أَقْبَلَ الصَّيْـ * ـفُ نَعِيمٌ وإنْ مَضَى زَمْهَرِيرُ (٣)

أَذْكَرَتْنِي ما قالَهُ عَرَبِيٌّ * طارِقِيٌّ أَمْسَى احْتَواهُ (شُلَيْرُ): (٤)

حَلَّ تَرْكُ الصَّلاةِ في هٰذه الأرْ * ضِ وحَلَّتْ لنا عَلَيْها الخُمُورُ

---

(١) النير : الخشبة المعترضة فى عنق الثورين بأداتها . (٢) يشير بقوله : وفرد أسير، إلى كثرة ما سنوا من قوانين ونظم تقيد الأفراد فى نواحى الحياة ولا تجعلهم مطلق الحرية .

(٣) التيرول : إقليم جبلى من جبال الألب يقع فى الشمال الشرقى من إيطاليا .

(٤) طارقى : نسبة الى طارق بن زياد فاتح الأندلس . وشلير (بلفظ التصغير) : جبل بالأندلس من أعمال البيرة، لا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا . وفى هذا البيت سناد حذو، وهو اختلاف حركة الحرف الذى قبل الردف، والردف : حرف مد قبل الروى . ويشير الشاعر بهذا البيت الى قول بعض المغاربة وقد مر بشلير فوجد ألم البرد :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم * وشرب الحميا وهو شىء محرم

فرارا إلى نار الجحيم فانها * أخف علينا من شلير وأرحم

اذا هبت الريح الشمال بأرضكم * فطوبى لعبد فى لظى يتنعم

أقول ولا أنحى على ما أقوله * كما قال قبلى شاعر متقدم

فان كان يوما فى جهنم مدخلى * ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

وقد ضمن حافظ معنى هذه الأبيات فى البيتين الآتيين .

إنّ صَدْرَ السَّعِيرِ أَحْنَى علينا * مِنْ (شُلَيْرٍ) وأين منّا السَّعِيرُ

قد بَلَوْتُ الحَيَاةَ فى الشَّرْقِ والغَرْ * بِ فما فى الحياةِ أَمْرٌ يَسِيرُ

مِنْ ثَوَاءٍ فيه المَلالُ لِزامٌ * أَوْ رَحِيلٍ فيه العَناءُ كثيرُ (١)

حريق

قال هذه الأبيات فى حريق رآه بمنزل عبد الله أباظه بك

عَجِبَ النَّاسُ مِنْكَ يابنَ سُلَيْما * نَ وقد أَبْصَرُوا لَدَيْكَ عَجِيبا

أَبْصَرُوا فى حِمَاكَ غَيْثاً وناراً * ذاكَ يَهْمِى وتلكَ تَذْكُو لَهِيبا (٢)

ونَسُوا أنّ جُودَ كَفِّكَ غَيْثٌ * ظَلَّ لِلْمُرْتَجِى الوُرُودَ قَرِيبا

وهِيَ ضَيْفٌ أصابَه عَنَتُ الدَّهْـ * ـرِ وأَلْفَى هذا الفِناءَ رَحِيبا (٣)

فأَتَى يُبْرِدُ الغَلِيلَ بقَطْـ * ـرٍ مِنْ نَدَى سَيِّدٍ يُواسِى الغَرِيبا (٤)

(١) الثواء : الإقامة .

(٢) يهمى : ينصب . ويريد «بالغيث» : كرم الممدوح . وتذكو : تضطرم وتشتعل .

(٣) هى، أى النار . والعنت : الشدة والمشقة . والفناء (بكسر الفاء) : ساحة البيت .

(٤) الغليل : شدة العطش .

خنجر مكبث

قصيدة مترجمة عن الشاعر الإنجليزى شكسبير، قالها على لسان مكبث يخاطب خنجرا تخيله حينما هم باغتيال ابن عمه دانكان الملك ليخلفه فى ملكه ؛ ويصف تردده أولا ثم تصميمه بعد ذلك على تنفيذ ما أراد :

كأنى أرى فى الليل نصلا مجردا (١) * يطير بكلتا صفحتيه شرار

تقلبه للعين كف خفية * ففيه خفوق تارة وقرار (٢)

يماثل نصلى فى صفاء فرنده * ويحكيه منه رونق وغرار (٣)

أراه فتدنينى إليه شراستى * فينأى وفى نفسى إليه أوار (٤)

وأهوى بزندى طامعا فى التقاطه * فيدركه عند الدنو نفار (٥)

تخبطنى مس من الجن أم سرت * بأجزاء نفسى نشوة وخمار (٦)

أرانى فى ليل من الشك مظلم * فياليت شعرى هل يليه نهار؟

سأقتل ضيفى وابن عمى ومالكى * ولو أن عقبى القاتلين خسار

---

(١) نصل السيف : حده . والمجرد من السيوف : المسلول من غمده .

(٢) الخفوق : الاضطراب . والقرار : الاستقرار . (٣) فرند السيف : جوهره وماؤه الذى يترقرق فى صفحته ؛ وهو فارسى معرب . وغرار السيف (بالكسر) : حده . والمعنى أن هذا الخنجر يشبه خنجرى فى لمعانه وبريقه ومضاء حده . (٤) الشراسة : الحدة وسوء الخلق . وينأى : يبعد . والأوار : شدة العطش . (٥) الزند من الذراع : ما فوق المرفق . والنفار (بكسر النون) والنفور (بضمها) كلاهما بمعنى واحد . (٦) يقال : تخبطه الشيطان ، أى مسه بأذى أو جنون . والنشوة : السكر . وخمار الخمر : ما خالطك من سكرها .

وأرضى هوى نفسى وإن صح قولهم * هـوى النفس ذل، والخيانة عار

فيأيها النصل الذى لاح فى الدجى * وفى طى نفسى للشرور مثار (١)

ترى خدعتنى العين ام كنت مبصرا * وهـذا دم، أم فى شباتك نار؟ (٢)

وهل أنت تمثال لكيد نويته * وذاك الدم الجارى عليك شعار؟ (٣)

فإن لم تكن وهما فكن خير مسعد * فإنى وحيد والخطوب كثار (٤)

وكن لى دليلا فى الظلام وهاديا * فليلى بهيم والطريق عثار (٥)

على الفتك يا (دنكان) صحت عزيمتى * وإن لم يكن بينى وبينك ثار

فإن يك حب التاج أعمى بصيرتى * فما لى على هـذا القضاء خيار

أعرنى فؤادا منك يا دهر قاسيا * لو ان القلوب القاسيات تعار

ويا حلم قاطعنى ويا رشد لا تثب * ويا شر مالى من يديك فرار (٦)

ويا ليل أنزلنى بجوفك منزلا * يضل به سرب القطا ويحار (٧)

---

(١) مثار، أى مكان لثوران الشر، ويجوز أن يراد به المصدر، أى ثورة الشر واهتياجه .

(٢) شباة السيف : حده .

(٣) الشعار : العلامة .

(٤) الكثار (بضم الكاف) : الكثير . يقول : إن كنت أيها الخنجر خنجرا حقيقيا فأعنى على ما هممت به من قتل آبن عمى، فإنى وحيد لا أقوى على آحتمال هذه المصائب المحيطة بى .

(٥) العثار : الشر .

(٦) لا تثب، أى لا ترجع .

(٧) سرب القطا : جماعة الحمام . وخص القطا بالذكر لأنها يضرب بها المثل فى الهداية . يطلب الى الليل أن يستره بظلامه حتى لا يهتدى أحد الى خيانته وغدره .

وإنْ كنتَ لَيلَ (المانَوِيّةِ) فلْيَكُنْ * على سِرِّ أَهلِ الشَّرِّ منكَ سِتارُ (١)

ويا قَدَمِي سِيرِي حِذارًا وخافِقِي * مِن المَشْيِ لو يُنْجِي الأثيمَ حِذارُ (٢)

وقفْتُ بجَوْفِ اللَّيلِ وَقْفَةَ ساحِرٍ * له الجِنُّ أَهلٌ والمَكايِدُ دارُ

إذا اشتَمَلَ اللّيلُ البَهِيمُ على الوَرَى * تَجَرَّدَ للإيذاءِ حيثُ يُثارُ (٣)

فمالِيَ كأنّي فاتِكٌ ذُو عَشِيرةٍ * خِيارُهُمُ تحتَ الظَّلامِ شِرارُ (٤)

اذا ما عَوَى ذِئْبُ الفَلا هَبَّ جَمْعُهُمْ * إلى الشَّرِّ واستُلَّتْ ظُبًا وشِفارُ (٥)

طول اللّيل

ياساهِدَ النَّجمِ هل للصُّبحِ مِنْ خَبَرِ * إنّي أَراكَ على شيءٍ مِن الضَّجَرِ (٦)

أَظُنُّ لَيلَكَ مُذْ طالَ المُقامُ به * كالقَوْمِ في مِصْرَ، لا يَنْوِي على سَفَرِ (٧)

(١) أضاف الليل الى المانوية، وهى الطائفة المنسوبة الى مانى، لأنهم كانوا يعتقدون أن الليل إله الشر، والنهار إله الخير، قال أبو الطيب المتنبي :

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب

يقول : إن كنت أيها الليل إلها للشر كما تزعم المانوية، فاستر على أهل الشر شرورهم ولا تدل أحدا عليهم .

(٢) خافقى من المشى، أى خففيه وخفضى من صوته حتى لا يسمعه أحد . (٣) البهيم : الشديد الظلمة . وتجرد للإيذاء : انبعث إليه وأسرع نحوه . ويثار : يهاج، أى أسرع إلى الإيذاء حيث يكون الإيذاء . (٤) يريد بهذه العشيرة : جماعة اللصوص وقطاع الطرق وسفاكى الدماء .

(٥) عوى : صوّت . والفلا : الصحارى، الواحدة فلاة . واستلت : أخرجت من أغمادها . والظبا : جمع ظبة (بضم ففتح)، وهى حد السيف . والشفار : السكاكين، الواحدة شفرة .

(٦) الساهد : الساهر . (٧) يريد «بالقوم» : الإنجليز . ولا ينوى، أى الليل . شبه الليل بجيش الاحتلال فى مصر فى طول الإقامة، وعدم ظهور أمارات تدل على الجلاء .

وقال فى هذا المعنى أيضا[1] :

أُقَضِّيه فى الأَشْواقِ إلّا أَقَلَّهُ * بَطِئٌ سُرَى أَبْدَى إلى اللُّبْثِ مَيْلَهُ[2]

وليسَ اشْتِياقِى عَنْ غَرَامٍ بشادِنٍ * ولكنّه شَوْقُ امرِئٍ فاتَ أَهْلَهُ[3]

فيالَكَ مِنْ لَيْلٍ أَعَرْتُ نُجومَه * تَوَقُّدَ أَنْفاسِى وعانَيْتُ مِثْلَهُ[4]

ومَلَّ كِلانا مِنْ أَخِيه وهٰكذا * إذا طالَ عَهْدُ المَرْءِ بالشَّىْءِ مَلَّهُ

الشِّعر

ضِعْتَ بينَ النُّهَى وبينَ الخَيالِ * يا حَكِيمَ النُّفُوسِ يا ٱبْنَ المَعالِى[5]

ضِعْتَ فى الشَّرقِ بينَ قَوْمٍ هُجُودٍ * لَمْ يُفِيقُوا وأُمَّةٍ مِكْسالِ[6]

قد أَذَالُوكَ بينَ أُنْسٍ وكَأْسٍ * وغَرامٍ بظَبْيَةٍ أو غَزالِ[7]

ونَسِيبٍ ومِدْحَةٍ وهِجاءٍ * ورِثاءٍ وفِتْنَةٍ وضَلالِ[8]

وحَماسٍ أَراهُ فى غيرِ شَىْءٍ * وصَغارٍ يَجُرُّ ذَيْلَ اختِيالِ[9]

عِشْتَ ما بَيْنَهُمْ مُذالًا مُضاعًا * وكذا كنتَ فى العُصورِ الخَوالِى[10]

---

(١) أشير فى الديوان المطبوع الى أنها قصيدة طويلة، ولم يعثر منها إلا على هذه الأبيات، ولم نقف نحن أيضا على بقيتها. (٢) اقضيه أى أقضى الليل. واللبث: المكث. (٣) الشادن: ولد الظبية. والمراد هنا: المليح. (٤) يريد أن النجوم اشتعلت من توقد أنفاسه، وفى قلبه من اللوعة والشوق مثل هذا التوقد. (٥) النهى العقول، الواحدة: نهية. (٦) الهجود: النيام. (٧) أذالوك: أهانوك وأصغروا شأنك. (٨) النسيب: التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر. (٩) الصغار: الذل. ومعنى قوله: «وصغار» الخ أى أنهم تياهون وهم أذلاء. (١٠) المذال: المهان.

حَمَّلُوكَ العَناءَ مِنْ حُبِّ (لَيْلَى) * و(سُلَيْمَى) ووَقْفَةِ الأَطْلالِ (١)

وبُكاءٍ على عَزيزٍ تَولَّى * ورُسُومٍ راحَتْ بهنّ اللَّيالِي (٢)

وإذا ما سَمَوْا بقَدْرِكَ يَوْمًا * أَسْكَنُوكَ الرِّحالَ فَوْقَ الجِمالِ (٣)

آنَ يا شِعْرُ أَنْ نَفُكَّ قُيُودًا * قَيَّدَتْنا بِها دُعاةُ المُحالِ

فارفَعوا هذه الكَمائِمَ عَنّا * ودَعُونا نَشُمُّ رِيحَ الشَّمالِ

خزان أسوان

قال هذين البيتين فى العام الذى أسس فيه خزان أسوان وقص فيه الفيضان

أَنْكَرَ النِّيلُ مَوْقِفَ الخَزّانِ * فانْثَنَى قافِلًا إلى السُّودانِ (٤)

راعَه أَنْ يَرَى على جانِبَيْه * رَصَدًا مِنْ مَكايِدِ الإِنْسانِ (٥)

مَعُونة الدمع

يا مَنْ خَلَقْتَ الدَّمْعَ لُطْـ * ـفًا منكَ بالباكِي الحَزِينْ

بارِكْ لِعَبْدِكَ فى الدُّمُو * عِ فإنّها نِعْمَ المُعِينْ

(١) ليلى وسليمى: من الأسماء التى ردّدها الشعراء قديما وأكثروا فيها القول نسيبا وتشبيبا. والأطلال: مابقى من آثار الديار، الواحد طلل (بالتحريك). وللشعراء فى الأطلال وقفات ذكروا فيها غرامهم وحبهم وحسرتهم على أيام خلت. (٢) الرسوم: آثار الديار. (٣) «أسكنوك الرحال» الخ، أى وصفوا الرحال والجمال وما يتعلق بذلك فى أشعارهم. ويعرض الشاعر بما نحن فيه من اتباع طريق العرب فى الشعر من ذكر العيس، ومناداة الأطلال؛ وإن صح هذا للعرب فلا يصح لنا، فلقد كانوا يصدرون فى ذلك عما يحيط بهم؛ وأما نحن فلا نحس من ذلك شيئا. (٤) القافل: الراجع.

(٥) الرصد: الحافظ والحارس.

الخمريات

قال :

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

هٰذا الظَّلامُ أثارَ كامِنَ دائى * يا ساقيَّ علىَّ بالصَّهباءِ (١)

بالكاسِ أو بالطَّاسِ أو باثْنيهما * أو بالدِّنانِ فإنَّ فيه شِفائى (٢)

مَشْمُولَةَ لولا التُّقَى لعَجِبْتُ مِنْ * تحريمِها والذَّنْبُ للقُدَماءِ (٣)

قَرِبُوا الصَّلاةَ وهُمْ سُكارَى بعدَما * نَزَلَ الكِتابُ بحِكْمَةٍ وجَلاءِ

يازَوْجةَ ابنِ المُزْنِ يا أُخْتَ الهَنا * ياضَرَّةَ الأَحْزانِ فى الأَحْشاءِ (٤)

يا طِبَّ (جالِينُوسَ) فى أنواعِه * مالِى أراكِ كثيرةَ الأَعْداءِ (٥)

---

(١) الصهباء : الخمر، سميت بذلك لصهبتها ، أى حمرتها . (٢) الطاس : إناء معروف وذكر (اثنيهما) على اعتبار أنهما إناءان ، ولو راعى اللفظ لأنث ، لأن الكأس والطاس مؤنثان . والدنان (بالكسر) : جمع دن (بالفتح) ، وهو الجرة العظيمة . وفيه ، أى فى الشراب .

(٣) المشمولة : الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها ؛ أو لأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال . وفى جعله الذنب على القدماء إشارة إلى سبب التحريم ، وذلك أن الله تعالى كان قد نهى المسلمين عن أن يقربوا الصلاة وهم سكارى ، فقال : (يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ، فلما لم ينته بعضهم عن ذلك حرمها الله بقوله : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) . وقد بسط الشاعر هذا المعنى فى البيت التالى .

(٤) المزن (بالضم) : السحاب . وابن المزن : الماء الذى ينزل منه ، وجعل الخمر زوجة ابن المزن ، لأنها تمزج به . والضرة : الزوج الثانية . وجعلها ضرة الأحزان ، لأنها لا تجتمع معها فى قلب .

(٥) كلوديوس جالينوس : طبيب وفيلسوف يونانى مشهور ، ولد نحو سنة ١٣٠م ، وتوفى نحو سنة ٢٠٠م . وقد عنى العرب بكتبه عناية شديدة بعد أن ترجمت إلى العربية ، فأكثر مؤلفوهم فى الطب من الأخذ عنه .

عَصَرُوكِ مِن خَدَّىْ سُهيلٍ خُلسَةً * ثم اختَبأتِ بمُهجةِ الظَّلْماءِ (١)

فلبِثْتِ فيها قَبلَ نُوحٍ حِقبةً * وتداولَتكِ أنامِلُ الآناءِ (٢)

حتّى أتاحَ اللهُ أن تَتجمَّلي * بيَدِ الكريمِ وراحةِ الأُدَباءِ (٣)

ياصاحِبي كيفَ التَّزوُّعُ عن الطِّلا * ولقد بُلِيتُ مِن الهُمومِ بِداءِ (٤)

واللّيلُ أرشَدَهُ أبوهُ لِشِقوَتي * وكذا البَنُونَ على هَوَى الآباءِ (٥)

أَلَّفتُ بينَ ابنِ السَّحابِ وبينَها * فرأيتُ صِحّةَ ما حكاهُ (الطّائي): (٦)

(صَعُبَتْ وراضَ المَزْجُ سيِّءَ خُلقِها * فتعَلَّمَتْ مِن حُسنِ خُلقِ الماءِ) (٧)

---

(١) سهيل، هو أجمل نجم فى السماء بعد الشعرى اليمانية، وهو كثير الاضطراب، ولونه يضرب إلى الحمرة؛ قال المعرى:

وسهيل كوجنة الحب فى اللو * ن وقلب المحب فى الخفقان

يريد تشبيه لون الخمر بلون هذا النجم. ويريد بقوله: «ثم اختبأت» الخ: حفظها فى الدنان.

(٢) الحقبة (بالكسر): الدهر. والآناء: جمع آن، وهو الحين والوقت، أى تعاقبت عليك الأزمان حينا بعد حين. يصفها فى هذا البيت بقدم العهد.

(٣) يريد أنها لا يشربها إلا كريم أو أديب، فهى تزداد فى يديهما جمالا.

(٤) التزوع: الكف والانتهاء. والطلاء (بكسر الطاء والمد، وقصر للشعر): الخمر.

(٥) أبو الليل: الدهر. يريد أن الدهر أوصى ابنه الليل بمحاربتى، فجرت الأبناء على سنن الآباء.

(٦) ابن السحاب: المطر، أى أنه مزجها بالماء. والطائى هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الشاعر المعروف.

(٧) راضه يروضه: ذلله وجعله لينا سهلا. يريد أن الماء قد كسر من حدتها وسورتها، فكأنها اكتسبت لينه ولطفه. وهذا البيت من قصيدة لأبى تمام يمدح بها يحيى بن ثابت، ومطلعها:

قدك اتئد أربيت فى الغلواء * كم تعذلون وأنتم سجرائى

وقال وقد بعث بها إلى محمد[1] المويلحى بك الكاتب المعروف

[نشرت فى سنة ١٩٠٠ م]

أَوْشَكَ ٱلدِّيكُ أَنْ يَصيحَ وَنَفْسِى * بينَ هَمٍّ وبينَ ظَنٍّ وحَدْسِ (٢)

يا غلامُ، ٱلْمُدامَ والكأسَ، والطا * سَ، وهَيِّئْ لَنا مكانًا كأَمْسِ (٣)

أَطْلِقِ الشَّمسَ مِنْ غَياهِبِ هٰذا الـ * دَّنِّ وَٱملأْ مِنْ ذٰلِكَ النُّورِ كأسِى (٤)

وأذِنِ الصُّبحَ أنْ يَلُوحَ لِعَيْنِى * مِنْ سَناها فذاكَ وقتُ التَّحَسِّى (٥)

وٱدْعُ نَدْمانَ خَلْوَتِى وٱتَّئِناسِى * وتَعَجَّلْ وٱسْبِلْ سُتُورَ الدِّمَقْسِ (٦)

وٱسقِنا يا غُلامُ حَتّى تَرانا * لا نُطِيقُ الكَلامَ إلَّا بِهَمْسِ

خَمْرَةً قِيلَ إنَّهم عَصَرُوها * مِنْ خُدودِ ٱلمِلاحِ فى يَوْمِ عُرْسِ (٧)

مُذْ رَآها فَتَى العَزيزِ مَنامًا * وهْوَ فى السِّجْنِ بَيْنَ هَمٍّ ويَأْسِ (٨)

---

(١) انظر التعريف بمحمد بك المويلحى فى الحاشية رقم ٣ من ص ١٥٠ (٢) صياح الديك: كناية عن طلوع الفجر. والحدس: التخمين والتوهم. والمعنى أن نفسه بين هم متيقن وهم مظنون.

(٣) المدام (بالنصب)، أى هات المدام. (٤) يريد «بالشمس»: الخمر، شبهها بها فى اللون. والغياهب: جمع غيهب، وهى الظلمة. (٥) يريد فى هذا البيت تشبيه لونها بضوء الصبح. والسنا: النور. وتحسى الشراب: شربه شيئا بعد شىء فى مهلة.

(٦) الندمان: جمع نديم. والدمقس: الحرير أو الديباج، ووصل الهمزة فى قوله: «واسبل» لضرورة الوزن. (٧) شبه الخمر فى حمرتها بحمرة خدود الحسان فى يوم العرس، لأن خدودهن تكون فى ذلك الحين أشد احمرارا بما عليها من أصباغ. (٨) العزيز: ملك مصر. وفتاه هو أحد الفتيين اللذين كانا مع يوسف عليه السلام فى السجن، وقد كان رأى فى منامه أنه يعصر خمرا، وفسر له يوسف عليه السلام هذه الرؤيا بأنه سوف يسقى ربه عزيز مصر خمرا، فما لبث أن خرج من السجن، وجعله العزيز صاحب شرابه. ويريد بهذا البيت والذى بعده أن رؤيا الخمر فى المنام أسعدت فتى العزيز بالنجاة وبخدمته للملك بعد ما كان فيه من يأس ونحس؛ فكيف لو كان شربها.

أَعْقَبَتْهُ الْخَلَاصَ مِنْ بَعْدِ ضِيقٍ * وَحَبَتْهُ السُّعُودَ مِنْ بَعْدِ نَحْسِ
(١)
يَا نَدِيمِي بِاللهِ قُلْ لِي لِمَاذَا * هٰذِهِ الْخَنْدَرِيسُ تُدْعَى بِرِجْسِ؟
(٢)
هِيَ نَفْسٌ زَكِيَّةٌ وَأَبُوهَا * غَرْسُهُ فِي الْجِنَانِ أَكْرَمُ غَرْسِ
هِيَ نَفْسٌ تَعَلَّمَتْ حُسْنَ أَخْلَا * قِ (الْمُوَلْحِي) فِي صَفَاءٍ وَأُنْسِ
خَصَّهُ اللهُ حَيْثُ يُصْبِحُ بِالْإِقْـ * ـبَالِ، وَالْعِزِّ، وَالْعُلَا، حَيْثُ يُمْسِي

مجلس شراب

وَفِتْيَانِ أُنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يُبَدِّدُوا * جُيُوشَ الدُّجَى مَا بَيْنَ أُنْسٍ وَأَفْرَاحِ
(٣)
فَهَبُّوا إِلَى خَمَّارَةٍ قِيلَ إِنَّهَا * قَعِيدَةُ خَمْرٍ تَمْزُجُ الرُّوحَ بِالرَّاحِ
(٤)
وَقَالُوا لَهَا: إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظَمًا * نُحَاوِلُ وِرْدَ الرَّاحِ رَغْمًا عَنِ اللَّاحِي
(٥)
فَقَامَتْ وَفِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكَرَى * وَفِي رِدْفِهَا وَاسْتَعْرَضَتْ جَيْشَ أَقْدَاحِ

وقال أيضاً :

(٦)
مَرَّتْ كَعُمْرِ الْوَرْدِ بَيْنَا أَجْتَلِي * إِصْبَاحَهَا إِذْ آذَنَتْ بِرَوَاحِ
لَمْ أَقْضِ مِنْ حَقِّ الْمُدَامِ وَلَمْ أَقُمْ * فِي الشَّارِبِينَ بِوَاجِبِ الْأَقْدَاحِ

---

(١) الخندريس : الخمر القديمة . والرجس : النجس . (٢) زكية : طاهرة . وأبو الخمر : الكرم . يريد أن أصلها أكرم الأشجار فى الحدائق . (٣) الخمارة : بائعة الخمر . ويريد بكونها «قعيدة خمر» : أنها ملازمة لها لا تفارقها . والراح : الخمر . (٤) الظما : الظمأ (بالهمز) . واللاحى : اللائم . (٥) الكرى : النعاس . والردف : العجز . (٦) اجتلى الشىء : نظر اليه . وآذنت : أعلمت . شبه جلسة الأنس وساعات اللهو بعمر الورد فى القصر .

وَالزَّهْرُ يَحْتَثُّ الكُئُوسَ بِلَحْظِهِ * وَيَشُوبُهَا بِأَرِيجِهِ الفَيَّاحِ (١)

أَخْشَى عَوَاقِبَهَا وَأَغْبِطُ شَرْبَهَا * وَأُجِيدُ مِدْحَتَهَا مَعَ المُدَّاحِ (٢)

وَأَمِيلُ مِنْ طَرَبٍ اذا مَالَتْ بِهِمْ * فَاعْجَبْ لِنَشْوَانِ الجَوَانِحِ صَاحِ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ فَإِنَّنِي * أَفْسَدْتُ فِى ذَاكَ النَّهَارِ صَلَاحِى

وقال :

خَمْرَةٌ فِى (بَابِلٍ) قد صُهْرِجَتْ * هٰكذا أَخْبَرَ حَاخَامُ اليَهُودْ (٣)

أَوْدَعُوهَا جَوْفَ دَنٍّ مُظْلِمٍ * وَلَدَيْهِ بَشَّرُوهَا بِالخُلُودْ

سَأَلُوا الكُهَّانَ عَنْ شَارِبِهَا * وَعَنِ السَّاقِى وَفِى أَىِّ العُهُودْ؟

فَأَجَابُوهُمْ : فَتًى ذُو مِرَّةٍ * مِنْ بَنِى مِصْرَ لَهُ فَضْلٌ وَجُودْ (٤)

مُغْرَمٌ بِالعُودِ وَالنَّايِ مَعًا * مُولَعٌ بِالشُّرْبِ وَالنَّاسُ هُجُودْ (٥)

هَمُّهُ فَصْدُ دِنَانٍ وَنَدًى * وَأَبُوهُ هَمُّهُ جَمْعُ النُّقُودْ (٦)

---

(١) يحتث : يحث . يقول : كأن الزهر بألحاظه يوحى إلى الشاربين والسقاة بالإسراع فى إدارة الكئوس . وشاب الشىء يشوبه : خلطه . وأريج الزهر : نفحة ريحه .

(٢) عواقبها ، أى عواقب المدام ؛ ويريد أنه لا يشربها . والشرب : الشاربون .

(٣) بابل : ناحية بالعراق منها الكوفة والحلة ، ينسب اليها الخمر والسحر . وصهرجت ، يريد أنها حفظت فى الصهاريج ؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذى وجدناه أن « الصهرجة » هى أن يطلى الحوض بالصاروج ، وهى النورة ؛ وليس هذا مرادا هنا . ويريد «بإخبار حاخام اليهود» أنها قد ورد ذكرها فى الكتب القديمة ؛ وفى هذا دليل على قدمها .

(٤) المرة (بكسر الميم وفتح الراء مشددة) : القوة والعزيمة . (٥) الهجود : النيام .

(٦) فصد الدن : ثقبه وإهراق ما به من خمر ، تشبيها له بفصد العرق .

ذِكرَى مجلس شراب

بعث بها من السودان إلى بعض أصدقائه بمصر

فِتيَةَ الصَّهباءِ خَيرَ الشَّارِبِينْ * جَدِّدُوا بِاللهِ عَهدَ الغَائِبِينْ

وَاذكُرُونِي عندَ كاسَاتِ الطِّلَا * إنَّنِي كُنتُ إمامَ المُدْمِنِينْ (١)

وإذا ما استنهضتكُم لَيلَةً * دَعوَةُ الخَمرِ فَثُورُوا أَجْمَعِينْ (٢)

رُبَّ لَيلٍ قد تَعاهَدْنا عَلَى * ما تَعاهَدْنا وكُنَّا فاعِلِينْ

فَقَضَيْناهُ ولَمْ تَحْفِلْ بِمَا * سَطَّرَتْ أَيْدِي الكِرامِ الكاتِبِينْ (٣)

بَيْنَ أَقداحٍ وَراحٍ عُتِّقَتْ * ورَياحِينٍ ووِلْدانٍ وعِينْ (٤)

وسُقاةٍ صَفَّفَتْ أَكوابَها * بَعضُها البِلَّورُ والبَعضُ لُجَيْنْ (٥)

آنَسَتْ مِنَّا عِطاشًا كالقَطا * صادَفَتْ وِرْدًا به ماءٌ مَعِينْ (٦)

فَمَشَتْ بالكاسِ والطاسِ لَنا * مِشيَةَ الأفراحِ للقلبِ الحَزِينْ

وتَواثَبْنا إلى مَشمُولَةٍ * ذاتِ أَلوانٍ تَسُرُّ النَّاظِرِينْ (٧)

---

(١) الطلاء (بالكسر والمد، وقصر للشعر) : الخمر. (٢) ثوروا : هبوا مسرعين.

(٣) الكرام الكاتبون : الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسيئاته. (٤) العين : جمع عيناء، وهى الغادة الواسعة العين. (٥) اللجين : الفضة. ويلاحظ أن فى هذا البيت عيبا من عيوب القافية يسمى (سناد الحذو)، وهو اختلاف حركة ما قبل الردف. والردف هو حرف المد الذى قبل الروى. (٦) القطا : جمع قطاة، وهى الحمامة. والورد : المورد. والمعين : الجارى.

(٧) المشمولة : الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها، فهو فعيل بمعنى فاعل، أو لأن بها عصفة كعصفة ريح الشمال.

عَمَدَ السّاقِى لأنْ يقتُلَها * وهى بِكْرٌ أحصنتْ مُنذ سِنين (١)

ثم لمّا أنْ رأى عِفّتَها * خافَ فيها اللهَ ربَّ العالمين (٢)

وأجَلْنا الكأسَ فيما بيننا * وعلى الصّهباءِ بِتْنا عاكِفين (٣)

وشَفَينا النّفسَ من كلِّ رَشًا * نطقتْ عيناهُ بالسّحرِ المُبين (٤)

وطَوى مجلسَنا بعدَ الهَنا * وانشراحِ الصّدرِ تكبيرُ الأذين (٥)

هكذا كُنّا بأيّامِ الصَّفا * ننهبُ اللّذاتِ في الوقتِ الثّمين

ليتَ شِعرِى هل لنا بعدَ النّوى * مِن سَبيلٍ للقا أمْ لاتَ حين (٦)

---

(١) عمد له (من باب ضرب): قصد . و يقتلها ، أى يمزجها بالماء؛ وأصله من قول حسان بن ثابت :

إن التى ناولتنى فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

وأحصنت البكر : حافظت على عفتها؛ و إحصان الخمر هنا : بقاؤها فى الدنان . (٢) كنى بعفة الخمر فى هذا البيت عن إبائها المزج . يقول : إن الساقى لما رأى أن الخمر لا تقبل المزج بالماء، خاف فيها الله رب العالمين ، أى لم يقتلها بالمزج وسقانا إياها صرفا . (٣) أجلنا الكأس : أدرناها .

(٤) الرشأ (بالهمز وسهل للشعر) : ولد الظبية الذى قد تحرك ومشى؛ يريد المليح الحسن الجميل .

(٥) الأذين : المؤذن . (٦) لات حين : أى ذهب وقت اللقاء وليس الحين حينه . و يلاحظ أن قواعد اللغة تقتضى ذكر (أو) مكان (أم) فى هذه العبارة ، فإن (أم) المتصلة لا تذكر بعد (هل) إلا شذوذا ، نحو : هل زيد عندك أم عمرو ؛ و إنما تذكر مع همزة الاستفهام فى الأكثر .

الغزل

قال ترجمة عن جان جاك روسو :

[نشرا فى ٢٣ نوفبر سنة ١٩٠٠ م]

يأيُّهـا الحُبُّ امتزِجْ بالحَشَى * فإنّ فى الحُبِّ حيـاةَ النّفوسْ

وَاسلُلْ حيـاةً مِنْ يمينِ الرَّدَى * أَوْشَكَ يَدْعُوها ظَلامُ الرُّموسْ (١)

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نشرا فى سنة ١٩٠٠ م]

تَمَثَّلِي إنْ شِئْتِ فى مَنْظَرٍ * (ياجُولِيَا) أنْكِرُ فيـه الغـرامْ (٢)

أو فَابْعثِي قَلْبـا الى أضْلُعِي * راحَ به الوَجْدُ وأَوْدَى السَّقامْ (٣)

وقال ترجمةً عنه أيضا :

[نشرت فى ٢٣ نوفبر سنة ١٩٠٠ م]

غُضِّي جُفُونَ السِّحْرِ أو فَارْحَمِي * مُتَيَّمًا يَخْشَى نِزَالَ الجُفُونْ

ولا تَصُـولِي بالقَـوامِ الّذى * تَمِيسُ فيـه يا مُنَاىَ المَنُونْ (٤)

إنِّى لَأَدْرِى مِنْك مَعْنَى الهَوَى * (ياجُولِيَـا) والناسُ لا يَعْرِفُونْ

---

(١) الرموس : القبور، الواحد رمس . يقول : انقذ الحياة بممارسة الحب قبل أن يقطعها الموت .

(٢) يرغب فى هذا البيت إلى محبوبته أن تخلع تلك الصورة التى يحبها ، وتمثل فى صورة أخرى ينكر فيها حبه إياها وغرامه بها ، ليستريح مما يقاسيه من تباريح الهوى .

(٣) أودى به : ذهب . (٤) تميس : تمايل وتبختر . والمنون : الموت .

في جُنْـــدِيٍّ مليـــح

[نشرا في سنة ١٩٠٦ م]

ومِنْ عَجَبٍ قـــد قَلَّدوكَ مُهَنَّـدًا (١) * وفي كلِّ لَحْظٍ منكَ سَيْفٌ مُهَنَّـدُ

إذا أنتَ قـــد جَرَّدْتَه أَوْ غَمَـــدْتَه (٢) * قَتَلْتَ بـــه واللَّحْـظُ لا يَتَعَمَّـــدُ

وقال :

أنا العاشِقُ العاني وإن كنتَ لاتَدْرِي (٣) * أُعيذُكَ مِنْ وَجْدٍ تَغَلْغَلَ في صَدْرِي

خَليليَّ هٰـــذا اللَّيْـــلُ في زِيِّهِ أَتى (٤) * فقُمْ نَلْتَمِسْ للسُّهْدِ دِرْعًا مِن الصَّبْرِ

وهٰـذا السُّرَى نَحْـوَ الحِمَى يَسْتَفِزُّنا (٥) * فهيَّا وإنْ كُنَّا على مَرْكَبٍ وَعْرِ

خَليليَّ هٰـذا اللَّيْـلُ قـد طالَ عُمْرُهُ * وليس له غـيرُ الأَحاديثِ والذِّكْرِ

فهاتِ لنـا أَذْكَى حَدِيثٍ وَعَيْتَـهُ (٦) * أَلَذُّ بـــه إنَّ الأَحاديثَ كالخَمْـــرِ

وقال :

قالَتِ ٱلجَـوْزاءُ حِينَ رَأَتْ (٧) * جَفْنَه قد واصَـلَ السَّهَرا

ما لِهٰـــذا ٱلصَّبِّ في وَلَهٍ (٨) * أَتُراهُ يَعْشَـــقُ ٱلقَمَـــرا

---

(١) المهند : السيف . (٢) جردته : سللته من غمده . ولا يتعمد : لا يقصد القتل . ويريد بهذا أنه لا يحاسب على ما جنى لعدم قصده . (٣) العاني : الأسير . وتغلغل : دخل وأوغل . (٤) في زيه ، أي سواده . (٥) السرى : السير بالليل . ويستفزنا : يستخفنا . والوعر : الصعب . (٦) وعيته : حفظته .

(٧) الجوزاء : برج في السماء معروف . (٨) الوله : التحير من شدة الوجد .

وقال يتغزل فى مليح ويعرِّض بٱحتلال الإنجليز :

ظَبْىَ ٱلْحِمَى باللهِ ما ضَرَّكا * إذا رأينا فى الكَرَى طَيْفَكا (١)

وما الّذى تخشاهُ لو أنّهم * قالوا فُلانٌ قد غدا عَبْدَكا؟

قد حَرَّمُوا الرِّقَّ ولكنّهم * ما حَرَّمُوا رِقَّ الهَوَى عِنْدَكا (٢)

وأصبحتْ مِصرُ مُراحًا لهمْ * وأنتَ فى الأحشاءِ مُراحٌ لَكا (٣)

ما كان سهلًا أن يَرَوْا نيلَها * لو أنّ فى أسيافِنا لَحْظَكا (٤)

يقين الحُبّ

أذِنْتُكِ تَرتابِينَ فى الشَّمسِ والضُّحى * وفى النُّورِ والظَّلْماءِ والأرضِ والسَّما (٥)

ولا تَسْمَحِى للشَّكِّ يَخطُرُ خَطْرَةً * بِنَفسِكِ يومًا أنّنى لستُ مُغرَما

الخال

قالها فى مليح رأى خالا على غُرّته

سألتُهُ ما لِهذا ٱلخالِ مُنفَرِدًا * وٱختارَ غُرَّتَكَ الغَرّا له سَكَنا (٦)

أجابَنى: خافَ مِنْ سَهْمِ ٱلجُفُونِ ومِنْ * نارِ الخُدودِ، لهذا هاجَرَ ٱلوَطَنا (٧)

---

(١) الكرى : النعاس . والطيف : الخيال الطائف فى المنام . (٢) الضمير فى «حرموا» للإنجليز .
(٣) المراح (بضم الميم) : المأوى والمنزل . ويجوز أن يقرأ بفتحها ، بمعنى الموضع يروح القوم منه وإليه . ولهم ، أى الإنجليز . (٤) أى لم يكن من اليسير على الإنجليز أن يحتلوا مصر لو أن سيف لحظك الفتاك من سيوفنا . (٥) أذنتك ، أى أذنت لك . وترتابين ، أى تشكّين . (٦) الغرّاء (بالمد وقصر للشعر) : البيضاء . (٧) يريد بالوطن (هنا) : خدّه ، لأن الخال أكثر ما يكون فيه .

رســائل الشـــوق

سُــوَرٌ عِنْـدِى لَهُ مَكْتُوبَةٌ * وَدَّ لَوْ يَسْرِى بها الرُّوحُ الأَمِينْ (١)

إنّنى لا آمَنُ الرُّسْـلَ وَلَا * آمَنُ الكُتْبَ على ما تَحْتَـوِينْ

مُسْتَهِينٌ بالّذى كابَـدْتُهُ * وهو لا يَدْرِى بمـاذا يَسْتَهِينْ

أنَا فى هَـمٍّ ويَأْسٍ وأَسًى * حاضِرُ اللَّوْعَةِ مَوْصُولُ الأَنِينْ

---

(١) الروح الأمين : جبريل عليه السلام .

(٢) يريد بقوله : «وهو لا يدرى» الخ أن محبوبه لم يكابد ألم الهوى حتى يعرف قدر ما يستهين به .

الاجتماعيات

حريق ميت غمر [1]

[نشرت فى ٧ مايو سنة ١٩٠٢ م]

سائلوا اللّيلَ عنهمُ والنّهارا * كيف باتت نساؤهم والعذارى

كيف أمسى رضيعهم فقد الأ * مّ وكيف اصطلى مع القوم نارا

كيف طاح العجوز تحت جدارٍ * يتداعى وأسقفٍ تتجارى [2]

ربِّ إنّ القضاء أنحى عليهم * فاكشف الكربَ واحجبِ الأقدارا

ومُرِ النّارَ أن تكفّ أذاها * ومُرِ الغيثَ أن يسيل انهمارا

أين طوفانُ صاحبِ الفُلْكِ يروى * هذه النّارَ؟ فهى تشكو الأُوارا [3]

أشعلت فحمةَ الدّياجى فباتت * تملأ الأرضَ والسّماءَ شرارا [4]

غشيتهم والنّحسُ يجرى يمينًا * ورمتهم والبؤسُ يجرى يسارا

فأغارت وأوجهُ القومِ بيضٌ * ثمّ غارت وقد كستهنّ قارا [5]

---

(١) شبت النار فى مدينة ميت غمر من أعمال الدقهلية فى (يوم الخميس أوّل مايو سنة ١٩٠٢ م) (٢٢ محرم سنة ١٣٢٠ هـ) وبقيت تأكل كل ما تأتى عليه فى هذه المدينة حتى يوم ٨ مايو؛ وهلك بسبب هذا الحريق كثيرون، ودمرت كثير من الدمر والمحال، ولعظم النكبة تألفت جماعة من الأعيان لتخفيف ويلات هذا المصاب، وتسابق أهل الخير فجادوا بالمال الكثير، وحضت الصحف الناس على جمع المال لذلك؛ وفيها يقول الشاعر هذه القصيدة .

(٢) طاح : هلك . وتداعى الجدار : انقض وتهدّم . وتجارى : تسابق فى السقوط .

(٣) الفلك : السفينة . وصاحبها : نوح عليه السلام . والأوار شدّة الحرارة والعطش .

(٤) فحمة الدياجى : ظلمة الليل، تشبيها لها بالفحم .

(٥) القار : الزفت .

أَكَلَتْ دُورَهُمْ فلمّا استقلّتْ * لم تُغادِرْ صِغارَهُمْ والكِبارا (١)

أَخرجَتْهُمْ مِنَ الدِّيارِ عُراةً * حَذَرَ الموتِ يَطلُبونَ الفِرارا

يَلْبَسُونَ الظَّلامَ حتّى إذا ما * أَقبَلَ الصُّبحُ يَلبَسُونَ النَّهارا

حُلَّةً لا تَقِيهِمُ البَرْدَ والحَـ * ـرَّ ولا عنهُمُ تَرُدُّ الغُبارا

أيُّها الرّافِلُونَ في حُلَلِ الوَشْـ * ـيِ يَجُرُّونَ للذُّيُولِ افتِخارا (٢)

إنّ فَوْقَ العَراءِ قوماً جِياعاً * يَتَوارَوْنَ ذِلَّةً وانكِسارا (٣)

أيُّهذا السَّجينُ لا يَمنَعُ السِّجْـ * ـنُ كريماً مِنْ أنْ يُقِيلَ العِثارا (٤)

مُرْ بِأَلْفٍ لهم وإنْ شِئْتَ زِدْها * وأَجِرْهُمْ كما أَجَرْتَ النَّصارَى (٥)

قد شَهِدْنا بالأَمسِ في مِصرَ عُرْساً * مَلأَ العَينَ والفُؤادَ ابْتِهارا (٦)

سالَ فيه النُّضارُ حتّى حَسِبْنا * أنّ ذاكَ الفِناءَ يَجْرِي نُضارا (٧)

باتَ فيه المُنَعَّمُونَ بِلَيلٍ * أَخجَلَ الصُّبحَ حُسْنُهُ فتَوارَى

---

(١) استقلت ، أى عدّت ما أحرقته من الدور قليلا . (٢) رفل فى ثوبه : اختال فيه وتبختر . وحلل الوشى : الثياب المنقوشة . (٣) العراء : الفضاء . ويتوارون : يستترون . (٤) يريد بالسجين : المنشاوى باشا الثرى المعروف ، وكان إذ ذاك مسجونا لارتكابه جريمة تعذيب اللصوص الذين اتهموا بسرقة بعض المواشى من مزرعة سمو الخديوى عباس حلمى الثانى ، حتى اضطرهم الى الإقرار بما سرقوا بتأثير العذاب ؛ وكان ذلك فى سنة ١٩٠٢ م . والعثار : الشر والمكروه . وإقالته : دفعه عمن نزل به .

(٥) يشير الى أن المنشاوى كان قد أجار كثيرا من الأوربيين وحماهم من أذى المصريين فى الثورة العرابية ، وأنزلهم بيته . (٦) ابتهارا : يريد عجبا . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة هذا اللفظ بهذا المعنى . وهذا العرس الذى يشير إليه الشاعر هو عرس زواج الأمير حيدر رشدى فاضل بك من كريمة على فهمى باشا وقد أقيم مهرجان عظيم بدار على فهمى باشا مكث ثلاث ليال من ليلة الأربعاء ٣٠ إبريل سنة ١٩٠٢ م الى ليلة الجمعة ٢ مايو من السنة نفسها . (٧) الفناء : ساحة الدار .

يَكْتَسُونَ السُّرورَ طَوْرًا وطَوْرًا * فى يَدِ الكَأْسِ يَخْلَعُونَ الوَقارا

وسَمِعْنا فى (ميت غَمْرٍ) صِياحًا * مَلأَ البَرَّ ضَجَّةً والبِحارا

جَلَّ مَنْ قَسَّمَ الحُظوظَ فهٰذا * يَتَغَنَّى وذاكَ يَبْكِى الدِّيارا

رُبَّ لَيْلٍ فى الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْسًا * وسُعودًا وعُسْرَةً ويَسارا

الى الأرض (١)

[بركان مارتنيك سنة ١٩٠٢ م]

أَلَبِسوكِ الدِّماءَ فَوْقَ الدِّماءِ (٢) * وأَرَوْكِ العِداءَ بَعْدَ العِداءِ

فلَبِسْتِ النَّجيعَ مِنْ عَهْدِ قابِيـ (٣) * ـلَ وشاهَدْتِ مَصْرَعَ الأَبْرِياءِ

فلَكِ العُذْرُ إنْ قَسَوْتِ وإنْ خُنْـ * ـتِ وإنْ كُنْتِ مَصْدَرًا للشَّقاءِ

غَلِطَ النَّاسُ، ما طَغَى جَبَلُ النَّا (٤) * رِ بإرْسالِ نَفْثَةٍ فى الهَواءِ

أَخْرَجوا صَدْرَ أُمِّهِ فأَراهُمْ (٥) * بعضَ ما أَضْمَرَتْ مِنَ البُرَحاءِ

---

(١) المارتنيك، هى إحدى جزر الهند الغربية الفرنسية، وبها كثير من الفوهات البركانية . ويشير الشاعر الى الثوران البركانى الذى حدث فيها، والذى لم يشهد العالم مثله فى شدته وكثرة ضحاياه، وذلك فى ٨ مايو سنة ١٩٠٢م . (٢) ألبسوك : يخاطب الأرض . ويشير بهذا البيت والذى بعده الى عدوان الناس بعضهم على بعض بالقتل من عهد آدم إلى اليوم . (٣) النجيع : الدم . وقابيل : هو ابن آدم عليه السلام، وهو الذى قتل أخاه هابيل؛ وقصتهما مشهورة ورد ذكرها فى القرآن .

(٤) نفثة جبل النار : ما يقذف به البركان من نيران . (٥) أمه، أى الأرض . ويريد بالبرحاء : نار الضغن والحقد .

أَسْخَطُوهَا فصابَرَتْهُم زَمانًا (١) * ثمّ أَنْحَتْ عليهم بالجَزاءِ

أيها الناسُ إنْ يَكُنْ ذاك سُخْطُ الْـ * ـأَرْضِ ، ماذا يَكونُ سُخْطُ السَّماءِ ؟

إنّ في عُلْوِ (٢) مَسْرَحًا للمَقادِيـ * ـرِ وفي الأرض مَكْمَنًا للقَضاءِ

فاتّقوا الأَرْضَ والسَّماءَ سَواءً * واتّقوا النّارَ في الثَّرَى والفَضاءِ

اللغة العربيّة تنعى حظّها بين أهلها

[نشرت في سنة ١٩٠٣ م]

رَجَعْتُ لنَفْسِي فاتّهمْتُ حَصاتِي (٣) * ونادَيْتُ قَوْمِي فاحْتَسَبْتُ حَياتِي

رَمَوْنِي بعُقْمٍ في الشَّبابِ ولَيْتَنِي * عَقِمْتُ فلَمْ أَجْزَعْ لقَوْلِ عُداتِي (٤)

وَلَدْتُ ولَمّا لَمْ أَجِدْ لعَرائِسِي * رِجالًا وأَكْفاءً وَأَدْتُ بَناتِي (٥)

وسِعْتُ كِتابَ اللهِ لَفْظًا وغايةً * وما ضِقْتُ عن آيٍ (٦) به وعِظاتِ

فكيف أَضِيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَةٍ * وتَنْسِيقِ أسماءٍ لمُخْتَرَعاتِ

---

(١) صابرتهم ، أي طاولتهم في الصبر . وأنحت عليهم بالجزاء : أقبلت عليهم به .

(٢) في علو ، أي في أعلى ، وهو بسكون اللام وضم الواو وكسرها وفتحها ، يريد السماء .

(٣) رجعت لنفسي ، أي تأملت . والحصاة : الرأي والعقل . واحتسبت حياتي : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إنني عدت الى نفسي وفكرت فيما آل اليه أمري ، فأسأت الظن بمقدرتي ، وكدت أصدّق ما رموني به من القصور ، وناديت الناطقين بي أن ينصروني فلم أجد منهم سميعا ، فادخرت حياتي عند الله .

(٤) العداة : الأعداء . يقول : اتهموني بأني لا ألد على حين أني في ريعان شبابي . وليتني كنت كما قالوا فلا يحزنني قولهم . وكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها .

(٥) يريد « بالعرائس » : الألفاظ المجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفنها حية .

(٦) الآى : جمع آية .

أنا البَحــرُ فى أَحْشائِه الدُّرُّ كامِنٌ * فهل سَأَلوا الغَوَّاصَ عن صَدَفاتى

فيــا وَيْحكُمْ أَبْلَى وتَبْلَى محاسِــنِى * ومنكمْ وإنْ عَزَّ الدّواءُ أُساتِى (١)

فــلا تَكِلُـونى للــزّمانِ فإنّنى * أَخافُ عليكــمْ أنْ تَحِينَ وَفاتِى (٢)

أَرَى لِرِجالِ الغَــرْبِ عِزًّا ومَنْعَةً (٣) * وكم عَزَّ أَقْــوامٌ بِعِــزِّ لُغــاتِ

أَتَوْا أَهْلَهُــمْ بالمُعجِــزاتِ تَفَنُّنًــا * فيــا لَيْتَكُمْ تأتونَ بالكَلِمَاتِ

أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جانِبِ الغَرْبِ ناعِبٌ (٤) * يُنــادِى بِوَأْدِى فى رَبيعِ حَيــاتى

ولو تَزْجُرونَ الطَّيْرَ (٥) يوما عَلِمْتُمُ * بمــا تَحْتَــه مِنْ عَثْرَةٍ وشَتــاتِ

سَــقَى اللهُ فى بَطْنِ الجَزِيرةِ أَعْظُمًا * يَعِــزُّ عليها أنْ تَلِينَ قَنــاتى (٦)

حَفِظْنَ وِدادِى فى البِلَى وحَفِظْتُه * لهنَّ بقَلْبٍ دائِمِ الحَسَــراتِ

وفاخَرْتُ أَهلَ الغَرْبِ والشرقُ مُطْرِقٌ * حَيــاءً بتلكَ الأَعْظُــمِ النَّخِراتِ (٧)

أَرَى كُلَّ يومٍ بالجَــرائِدِ مَزْلَقًــا (٨) * مِنَ القَــبْرِ يُدْنِينى بغَــيْرِ أَناةِ

---

(١) الأساة : جمع الآسى ، وهو الطبيب . (٢) تكلونى : تتركونى . وتحين : تحل .

(٣) يقال : هو فى منعــة ، أى فى قوم يمنعونه ويحمونه . (٤) الناعب : المصوت بمــا هو مستكره . وربيع الحياة : أيام الشباب والقوّة .

(٥) زجر الطير ، هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصــيح به ، فإن ولاك فى طيرانه ميــامنه تفاءلت به خيرا ، وإن ولاك مياسره تطيرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو آستنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم ما يجر دفنى عليكم من السقوط والآنحلال .

(٦) القناة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد «بالأعظم» : من دفن فى الجزيرة من العرب الأوّلين . (٧) النخرات : البالية المتفتتة . (٨) المزلق : مكان الانزلاق ، أى السقوط والزلل . والأناة : التأنى والإبطاء . ويريد وصف لغة الجرائد اذ ذاك بالضعف .

وأسمعُ للكُتّابِ فى مصرَ ضجّةً * فأعلمُ أنّ الصائحين نُعاتى (١)

أيهجرُنى قومى ـ عفا الله عنهم ـ * إلى لغةٍ لم تتصلْ برواةِ (٢)

سرَتْ لُوثةُ الافرنجِ فيها كما سرى * لُعابُ الأفاعى فى مسيلِ فُراتِ (٣)

فجاءتْ كثوبٍ ضمّ سبعين رقعةً * مشكّلةَ الألوانِ مختلفاتِ

إلى معشرِ الكُتّابِ والجمعُ حافلٌ * بسطتُ رجائى بعدَ بسطِ شكاتى (٤)

فإمّا حياةٌ تبعثُ الميتَ فى البِلى * وتُنبتُ فى تلكَ الرموسِ رُفاتى (٥)

وإمّا مماتٌ لا قيامةَ بعدهُ * مماتٌ لعمرى لم يُقَسْ بمماتِ

---

(١) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .

(٢) لم تتصل برواة ، أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من التغيير كما هو الشأن فى العربية . ويشير الى تلك اللغة المرقعة التى كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة .

(٣) اللوثة (بالضم) : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والفرات : الماء العذب .

(٤) الشكاة : الشكوى .

(٥) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تكسر وبلى ؛ يريد ما بقى من الجسد بعد الموت .

زواج الشيخ على يوسف صاحب (المؤيد) (١)

قالها ينعى فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية، وما يراه من فوضى الرأى وقلة الثبات عليه

[نشرت فى سبتمبر سنة ١٩٠٤ م]

حَطَمْتُ اليَرَاعَ فلا تَعْجَبِى * وعِفْتُ البَيَانَ فلا تَعْتُبِى (٢)

فما أنتِ يامصرُ دارَ الأديب * ولا أنتِ بالبَلَدِ الطَّيِّبِ

وكم فيكِ يامصرُ مِنْ كاتبٍ * أقالَ اليَرَاعَ ولَمْ يَكْتُبِ (٣)

فلا تَعْذِلِينى لهذا السُّكوت * فقد ضاقَ بى منكِ ما ضاقَ بى

أيُعْجِبُنِى منكِ يومَ الوِفاق * سُكوتُ الجَمادِ ولِعْبُ الصَّبِى؟ (٤)

وكَمْ غَضِبَ الناسُ مِنْ قَبْلِنا * لسَلْبِ الحُقوقِ ولَمْ نَغْضَبِ

---

(١) كان بين المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد و بين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة مودّة وصداقة ، فخطب الشيخ على ابنته السيدة صفية ، ورضيت الفتاة وسكت الأب ، فعقد العقد فى بيت البكرى من غير علم الأب ، فرفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالبا فسخ العقد لعدم الكفاءة فى النسب ، ودافع الشيخ على عن نفسه ، وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه فى دفتر الأشراف ، وقضت المحكمة بالحيلولة المؤقتة بين الزوجين ، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج فى أغسطس سنة ١٩٠٤م فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الابتدائى الشرعى فى محكمة مصر الشرعية الكبرى ، فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٩٠٤ م ، وكان لهذه القضية ثورة فى الرأى العام فاضت بها الصحف وأكثر فيها الشعراء . (٢) حطمت : كسرت . واليراع : القلم . وعاف الشىء يعافه : كرهه . والخطاب لمصر فى هذا البيت وما يأتى بعده . (٣) أقال اليراع : أعفاه من أن يكتب به .

(٤) يشير الشاعر « بيوم الوفاق » إلى الاتفاق الذى تم بين انجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ م ، والذى أباح لفرنسا بعض امتيازات فى مراكش فى مقابل إطلاق يد الإنجليز فى مصر .

أَنابِتَةَ العَصْرِ إنّ الغَرِيب * مُجِدٌّ بِمِصْرَ فلا تَلْعَبِي (١)

يقولون: فى النَّشْءِ خيرٌ لنا * ولِلنَّشْءِ شَرٌّ من الأَجْنَبِي

أفى (الأَزْبَكِيّةِ) مَثْوَى البَنِين * وبَيْنَ المَساجِدِ مَثْوَى الأَبِ؟ (٢)

(وكم ذا بِمِصْرَ مِنَ المُضْحِكات) * كما قال فيها (أَبُو الطَّيِّبِ) (٣)

أُمُورٌ تَمُرُّ وعَيْشٌ يُمَرّ * ونحن مِنَ اللَّهْوِ فى مَلْعَبِ (٤)

وشَعْبٌ يَفِرُّ من الصالِحات * فِرارَ السَّلِيمِ من الأَجْرَبِ

وصُحْفٌ تَطِنُّ طَنِينَ الذُّباب * وأُخْرَى تَشُنُّ على الأَقْرَبِ (٥)

وهٰذا يَلُوذُ بقَصْرِ الأَمِير * ويَدْعُو إلى ظِلّه الأَرْحَبِ (٦)

وهٰذا يَلُوذُ بقَصْرِ السَّفِير * ويُطْنِبُ فى وِرْدِهِ الأَعْذَبِ

وهٰذا يَصِيحُ مع الصّائِحِين * على غيرِ قَصْدٍ ولا مَأْرَبِ

وقالوا: دَخِيلٌ عليه العَفاء * ونِعْمَ الدَّخِيلُ على مَذْهَبِي (٧)

رآنا نِياماً ولَمّا نُفِقْ * فشَمَّرَ للسَّعْيِ والمَكْسَبِ

---

(١) النابتة: الناشئون. (٢) المثوى: موضع الثواء، وهو الإقامة. يريد أن الشباب فى الملاهى، والآباء فى المساجد. (٣) يشير إلى قول أبى الطيب المتنبي من قصيدة له فى هجاء كافور:

وكم ذا بمصر من المضحكات * ولكنه ضحك كالبكا

(٤) عيش يمرّ، أى يصير مرا. (٥) طنين الذباب: صوته. وتشنّ على الأقرب: تصب عليه غارتها من كل جهة. ويريد «بالأقرب»: أبناء الوطن. (٦) الأرحب: المتسع. ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى انقسام الرأى السياسى فى مصر، ففريق مع الخديوى، وآخر يناصر دار العميد الإنجليزى، وثالث لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. (٧) يريد «بالدخيل»: الأجانب الذين أصابوا فى مصر حظا من الثروة لم يصبه أهلها. والعفاء: البلى والاندثار.

وماذا عليـه إذا فاتَنـا * ونَحْنُ على ٱلعَيْشِ لَمْ نَدْأَبِ (١)

أَلِفْنا الخُمُولَ و يالَيْتَنا * أَلِفْنا ٱلخُمُولَ ولَمْ نَكْذِبِ

* * *

وقالوا : (المؤيَّدُ) فى غَمْرَةٍ * رَماهُ بها الطَّمَعُ الأَشْعَبِى (٢)

دَعاهُ الغَرامُ بِسِنِّ الكُهولِ * بجُنَّ جُنُونًا بِبِنْتِ ٱلنَّبِى (٣)

فضَجَّ لها العَرْشُ والحامِلُوه * وضَجَّ لهـا القَبْرُ فى يَثْرِبِ (٤)

ونادَى رِجالٌ بِإِسْقاطِه * وقالوا : تَلَوَّنَ فى المَشْرَبِ (٥)

وعَدُّوا عليـه من السَّيِّئاتِ * أُلوفًا تَدُورُ مع الأَحْقُبِ (٦)

وقالوا لَصِيقٌ بِبَيْتِ الرَّسولِ * أَغارَ على النَّسَبِ الأَنْجَبِ (٧)

وزَكَّى (أبو خَطْوَةٍ) قَوْلَهُمْ * بحُكْمٍ أَحَدَّ مِنَ ٱلمَضْرِبِ (٨)

فما للتَّهانى عـلى دارِه * تَساقَطُ كالمَطَرِ الصَّيِّبِ ؟ (٩)

---

(١) دأب فى عمله يدأب : جدّ فيه واستمرّ عليه . (٢) يريد «بالمؤيد» : صاحبه الشيخ على يوسف . والغمرة : ما يغمر الإنسان و يشمله من الشدائد؛ و يريد بها هنا ما وقع فيـه من شدّة بما أثير حوله فى قضية الزوجية . والأشعبى : نسبة إلى أشعب ، وهو رجل من الموالى بالمدينة كان شديد الطمع فضرب به المثل ، فقيل : «أطمع من أشعب» . (٣) بسن الكهول ، أى فى سن الكهول؛ و يريد «بينت النبى» : السيدة صفية ، وهى من أسرة السادة الوفائية . (٤) لهـا ، أى لهذه الحادثة . و يثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . (٥) يريد «بالمشرب» : المذهب أو الطريقة ؛ وهو معنى مولد . (٦) الأحقب : السنون ، الواحد حقب (بضم الحاء وسكون القاف أو بضمهما) . وتدور مع الأحقب ، أى تبقى على الدهر . (٧) اللصيق بالقوم : الداخل فيهم وليس منهم . (٨) أبو خطوة ، هو الشيخ أحمد أبو خطوة قاضى المحكمة الذى حكم حكما ابتدائيا بفسخ عقد الزواج . والمضرب (بكسر الراء وفتحها) : السيف ، والجمع مضارب . (٩) داره ، أى دار الشيخ على يوسف . والصيب : المنهمر المتدفق .

وما للوفود على بابه * تزف البشائر فى موكب ؟
وما للخليفة أسدى إليه * وساما يليق بصدر الأبى؟ (١)
فيا أمة ضاق عن وصفها * جنان المفوه والأخطب (٢)
تضيع الحقيقة ما بيننا * ويصلى البرىء مع المذنب (٣)
ويهضم فينا الإمام الحكيم * ويكرم فينا الجهول الغبى
على الشرق منى سلام الودود * وإن طأطأ الشرق للغرب
لقد كان خصبا بجدب الزمان * فأجدب فى الزمن المخصب (٤)

إلى رجال الدنيا الجديدة

أنشدها فى الحفل الذى أقامته كلية البنات الأمريكية بمصر لتوزيع الشهادات على خريجاتها -

فى ٢٦ مايو سنة ١٩٠٦ م

أى رجال الدنيا الجديدة مدوا * لرجال الدنيا القديمة باعا
وأفيضوا عليهم من أياديـ * ـكم علوما وحكمة واختراعا

---

(١) يشير إلى ما ناله الشيخ على يوسف من الرتب والأوسمة من الدولة العثمانية . والأبى (بتشديد الياء ، وخففت للشعر) : الذى لا يرضى الدنية أنفة وكبرا .

(٢) الجنان : القلب . والمفوه : المنطيق . وينعى الشاعر على الأمة أخلاقها ، فبينا هى تعد على الشيخ على يوسف السيئات ، وترميه بالتقلب فى الرأى ، وتنكر عليه زواجه ، إذا بها تتوافد على داره وتزف إليه التهانى .

(٣) يصلى : يعذب .

(٤) يقول : لقد كان الشرق غنيا بالحضارة والعمران فى عهد خلو العالم منهما ، فأصبح مجدبا من ذلك ، إذ الزمان خصب بهما .

كلَّ يومٍ لكم روائعُ آثا * رٍ تُوالُونَ بينهنّ تِباعا
كم خلبتم عقولنا بعجيبٍ * وأمرتم زمانكم فأطاعا
وبذرتم في أرضنا وزرعتم * فرأينا ما يُعجِبُ الزُّرّاعا
ولمحنا من نوركم في نواصي * حفلة اليوم لمعةً وشُعاعا
وشهدنا من فضلكم أثراً فيـ * ـها يروق العيونَ والأسماعا
ليتنا نقتدي بكم أو نجاريـ * ـكم عسى نستردُّ ما كان ضاعا
إنّ فينا لولا التخاذلُ أبطا * لاً إذا ما هُمُ استقلّوا اليَراعا (١)
وعقولاً لولا الخمولُ تولّا * ها لفاضت غرابةً وابتداعا
ودعاةً للخير لو أنصفوهم * ملأوا الشرقَ عِزّةً وامتناعا
كاشفَ الكهرباءِ ليتك تُعنَى * باختراعٍ يروضُ منّا الطِّباعا (٢)
آلةٍ تَسحَقُ التواكلَ في الشر * قِ وتُلقي عن الرياءِ القِناعا
قد مللنا وقوفنا فيه نبكي * حسباً زائلاً ومجداً مُضاعا
وسئمنا مقالَهم كان زيدٌ * عبقرياً وكان عمرٌو شُجاعا
ليت شعري متى تُنازعُ مصرٌ * غيرها المجدَ في الحياة نِزاعا
ونَراها تُفاخرُ الناسَ بالأحـ * ـياءِ فخراً في الخافقين مُذاعا (٣)

(١) استقلوا اليراع، أي حملوا الأقلام. (٢) يروض الطباع، أي يسوسها ويذللها بعد جماحها. (٣) الخافقان: المشرق والمغرب.

(أرض كولمبَ)أىّ نبتيك أغلى * قيمةً فى المَلا وأبقى متاعا (١)

أرجالٌ بهم ملكتِ المعالى * أم نُضارٌ به ملكتِ البقاعا (٢)

لاعداكِ السماءُ والخصبُ والأمْـ * ـنُ ولا زلتِ للسلامِ رباعا

طالعى الكونَ وانظرى مادهاهُ * إنّ ركنَ السلامِ فيه تداعى (٣)

مدرسة مصطفى كامل

أنشدها فى الحفل الذى أقامته المدرسة لتوزيع الجوائز على المتقدمين

من تلاميذها فى ٣٠ نوفبر سنة ١٩٠٦ م

سمعنا حديثاً كقطرِ الندى * فجدَّدَ فى النفسِ ما جدَّدا (٤)

فأضحى لآمالنا منعشاً * وأمسى لآلامنا مُرقِدا

فديناكَ يا شرقُ لا تجزعنْ * إذا اليومُ ولّى فراقبْ غدا

فكم محنةٍ أعقبتْ محنةً * وولّتْ سراعاً كرجعِ الصدى

فلا يُيئسنّكَ قيلُ العداةِ * وإنْ كان قيلاً كحزِّ المُدى (٥)

أتودعُ فيكَ كنوزُ العلومِ * ويمشى لكَ الغربُ مسترفدا؟ (٦)

---

(١) أرض كولمب : يريد أمريكا، أضيفت إلى مكتشفها كريستوف كولمب . (٢) النضار : الذهب . يشير إلى كثرة الذهب فى أمريكا . (٣) طالعى الكون : انظرى إليه . وتداعى : تهدّم .

(٤) يريد «بالحديث» : ما قيل فى الحفل من خطب وأشعار . (٥) قيل العداة : قولهم . والمدى (بالضم) : جمع مدية ، وهى السكين . (٦) المسترفد : طالب الرفد (بكسر الراء) وهو العطاء .

وتُبعثُ فى أرضكَ الأنبياء * و يأتِى لك الغَرْبُ مُسْتَرْشِدا؟

وتقضِى عليكَ قُضاةُ الضّلال * طِوالَ اللّيالِى بأنْ تَرْقُدا؟

أتَشْقَى بعَهْدٍ سَمَا بالعُلوم * فأضْحَى الضّعيفُ بها أيِّدا؟ (١)

إذا شاءَ بَزَّ السُّها سِرَّه * وأدْرَكَ مِنْ جَرْيِه المَقْصِدا (٢)

وإنْ شاءَ أدْنَى إليه النّجوم * فناجَى المَجَرَّةَ والفَرْقَدا (٣)

وإنْ شاءَ زَعْزَعَ شُمَّ الجبال * فَخَرَّتْ لأقدامِه سُجَّدا (٤)

وإنْ شاءَ شاهَدَ فى ذَرّةٍ * عَوالِمَ لمْ تَمْحَ فيها سُدَى (٥)

زمانٌ تُسَخَّرُ فيه الرِّياح * ويَغْدُو الجَمادُ به مُنْشِدا (٦)

وتَعْنُو الطّبيعةُ للعارِفين * بمَعْنَى الوُجودِ وسِرِّ الهُدَى (٧)

---

(١) الأيِّد (بتشديد الياء) : القوى ؛ من الأيْد (بفتح الهمزة وسكون الياء) بمعنى القوة . يقول : أتشقى أيها الشرق بحرمانك من العلوم والمعارف فى زمن فاض فيه العلم ، وأخذت كل أمة منه بحظ حتى أصبح الضعيف ذا قوة بسببه ، بما اكتسب من علم . (٢) بز : غلب . والسها : كوكب صغير خفى الضوء فى بنات نعش ، والناس يمتحنون به أبصارهم لخفاء ضوئه . يقول : إذا شاء ذو العلم سلب من هذا النجم سره المكتوم ، وجعله ظاهرا للناس يعرفون من أمره ما يعرفون من الكائنات التى يدركونها بحواسهم . ويشير بهذا البيت والذى بعده إلى علماء الفلك وما وصلوا إليه من اكتشافات فى هذا العلم .

(٣) المجرّة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرّد البصر ، وإنما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء ؛ ولهذا يشبهها الأدباء بالنهر ، فيقولون : نهر المجرّة . والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، جمعه فراقد .

(٤) شم الجبال : ما علا منها وشمخ ، الواحد أشم . ويشير بهذا البيت إلى المخترعات الحربية التى تنسف الجبال . (٥) الذرّة : واحدة الذرّ (بفتح الذال) ، وهو الهباء المنبث فى الهواء . ويشير بهذا البيت إلى المنظار المكبر للأشياء ، المعروف بالمكرسكوب ونحوه . ويريد «بالعوالم» : عوالم الميكروبات .

(٦) يشير بالشطر الأوّل من هذا البيت إلى الطائرات ؛ وبالشطر الثانى إلى الحاكى .

(٧) تعنو : تخضع وتذل .

إذا ما أَهابُوا أجابَ الحَديد * وقامَ البُخارُ له مُسْعِدا (١)

وطارَتْ إليهم مِنَ الكَهْرَبا * بُرُوقٌ على السِّلْكِ تَطْوِى المَدَى (٢)

أَيَجْمُلُ مِنْ بَعْدِ هٰذا وذاكَ * بأَنْ نَسْتَكِينَ وأَنْ نَجْمُدا (٣)

وها أُمَّةُ (الصُّفْرِ) قد مَهَّدَتْ * لنا النَّهجَ فاَستَبِقُوا المَوْرِدا (٤)

فيأيها الناشِئُون اعمَلُوا * على خَيْرِ مِصْرٍ وكُونُوا يَدا (٥)

ستُظْهِرُ فيكُمْ ذَواتُ الغُيوب * رِجالا تَكونُ لمِصرَ الفِدا (٦)

فياليتَ شِعْرِى مَنْ مِنْكُمُ * إذا هِىَ نادَتْ يُلَبِّى النِّدا

لكَ اللهُ يا (مُصْطَفَى) مِن فَتًى * كثيرِ الأَيادِى، كثيرِ العِدا

إذا ما حَمِدْتُكَ بين الرِّجال * فأنتَ الخَليقُ بأَنْ تُحْمَدا

سَيُحْصِى عليكَ سِجِلُّ الزَّمان * ثَناءً يُخَلَّدُ ما خُلِّدا

ويَهْتِفُ بِاسمِكَ أبْناؤُنا * إذا آنَ للزَّرْعِ أنْ يُحْصَدا

---

(١) أهاب به : دعاه . ومسعدا : معينا .

(٢) المدى : المسافة على نوعيها من زمنية أو مكانية . ويشير بهذا البيت إلى الآلتين المعروفتين بالتلغراف والتليفون .

(٣) نستكين : نذل ونخضع .

(٤) يريد « بأمة الصفر » : اليابانيين ؛ وسموا بذلك للونهم . والنهج : الطريق . واَستبقوا المورد أى سبقوا غيرهم من أمم الشرق إلى الارتشاف من مناهل العلوم والمعارف .

(٥) كونوا يدا : عبارة يراد بها اتحاد الكلمة واجتماع الرأى حتى كأنهم فرد واحد

(٦) ذوات الغيوب ، أى الأقدار التى فى عالم الغيب .

إلى ناظر المعارف سعد زغلول باشا

[نشرت فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٦ م]

مالى أَرَى بَحْرَ السِّيا * سَةِ لا يَنِي جَزْرًا ومَدًّا (١)

وأَرَى الصَّحائِفَ أَيْبَسَتْ * ما بَيْنَنا أَخْذًا ورَدًّا (٢)

هٰذا يَرى رَأْىَ العَمِيـ * ـدِ وذا يَعُدُّ عليه عَدًّا (٣)

وأَرَى الوِزارَةَ تَجْتَنِى * مِنْ مُرِّ هذا العَيْشِ شُهْدا (٤)

نامَتْ بِمِصْرَ وأَيْقَظَتْ * لحَوادِثِ الأَيّامِ (سَعْدا) (٥)

فطَرَحْتُها وسأَلْتُ عنـ * ـهُ فقِيلَ لى: لم يَأْلُ جُهْدا

يا (سَعْدُ) أَنتَ (مَسِيحُها) * فاجعَلْ لهٰذا المَوْتِ حَدّا (٦)

يا (سَعْدُ) إنّ (بِمِصْرَ) أَيْـ * ـتامًا تُؤَمِّلُ فيكَ سَعْدا

قَدْ قامَ بينَهُمُ وبَيْـ * ـنَ العِلْمِ ضِيقُ الحالِ سَدّا

---

(١) يَنِى: يبطئ.

(٢) أيبست ما بيننا، أى قطعت ما بيننا من مودة؛ ويستعار اليبس للتقاطع؛ يقال: قد يبس ما بينهما: اذا تقاطعا، كما يستعار البلل للتواصل.

(٣) يريد أن ساسة مصر فريقان: فريق يوافق عميد الدولة الانجليزية على ما يرى، وفريق آخر يعد مساويه فى مصر.

(٤) يريد أن الوزراء كانوا يستغلون بؤس الناس لإسعاد أنفسهم.

(٥) نامت، أى الوزارة.

(٦) شبهه بالمسيح فى أن معجزته إحياء الموتى. قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله).

ما زِلْتُ أرجو أَنْ أَرا * كَ أَبًا وأَنْ أَلْقاكَ جَدّا

حتّى غَدَوْتَ أَبًا له * أَضْحَتْ عِيالُ القُطْرِ وُلْدا

فارْدُدْ لنا عَهْدَ (الإما * م)(١) وكُنْ بنا الرَّجُلَ المُفَدَّى

أنا لا أَلُومُ المُسْتَشا * رَ(٢) إذا تَعَلَّلَ أَوْ تَصَدَّى

فسَبِيلُه أَنْ يَسْتَبِـ * ـدَّ وشأْنُنا أَنْ نَسْتَعِدّا

هِيَ سُنَّةُ المُحْتَلِّ في * كُلِّ العُصورِ وما تَعَدَّى

الحثّ على تعضيد مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقامه محفل الصدق الماسوني في دار التمثيل العربي ، وخصص إيراده لمشروع الجامعة المصرية

[نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٧ م]

إنْ كُنْتُمْ تَبْذُلُونَ المالَ عَنْ رَهَبٍ * فنَحْنُ نَدْعُوكُمُ لِلبَذْلِ عن رَغَبِ

ذَرِ الكَتاتِيبَ(٣) مُنْشِيها بلا عَدَدٍ * ذَرَّ الرَّمادِ بِعَيْنِ الحاذِقِ الأَرِبِ

(١) يريد « بالإمام » : الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده .

(٢) يريد بالمستشار : المستر (دانلوب) الإنجليزي ، مستشار المعارف إذ ذاك . وتعلل : تصنع العلل والمعاذير المانعة من نشر العلم في البلاد المصرية . وتصدّى : تعرض للمصلحين بالمنع .

(٣) الأرب : البصير الماهر . ويشير بهذا البيت إلى ما كان يقصد إليه المستشار الانجليزي لنظارة المعارف والعميد الإنجليزي إذ ذاك من إلهاء المصريين وتسكينهم بإكثار الكتاتيب الصغيرة في القرى والمدن عن أن يطلبوا الى الحكومة إنشاء جامعة على نسق الجامعات الأوربية .

فأنشأوا ألفَ كُتّاب وقد علموا * أنّ المصابيحَ لا تُغني عن الشُّهُبِ

هبُّوا الأجيرَ أو الحرّاثَ قد بلغا * حدَّ القراءةِ في صُحْفٍ وفي كُتُبِ

(١)

مِنَ المُداوي إذا ما عِلّةٌ عَرَضَتْ * مِنَ المُدافعُ عن عِرْضٍ وعن نَشَبِ

(٢)

ومَنْ يَرُوضُ مياهَ النّيلِ إنْ جَمَحَتْ * وأنذرتْ مصرَ بالوَيْلاتِ والحَرَبِ

(٣)

ومَنْ يُوَكَّلُ بالقِسْطاسِ بينكُمُ * حتّى يُرَى الحقُّ ذا حَوْلٍ وذا غَلَبِ

(٤)

ومَنْ يُطِلُّ على الأفلاكِ يَرْصُدُها * بين المناطقِ عن بُعْدٍ وعن كَثَبِ

يَبيتُ يُنْبِئُنا عمّا تَنِمُّ بِهِ * سرائرُ الغيبِ عن شَفّافةِ الحُجُبِ

(٥)

ومَنْ يَبُزُّ أديمَ الأرضِ ما ركزتْ * فيها الطبيعةُ مِنْ بِدْعٍ ومِنْ عَجَبِ

(٦)

يَظَلُّ يَنْشُدُ مِنْ ذَرّاتِها نَبَأً * ضَنَّتْ به الأرضُ في ماضٍ من الحُقُبِ

(٧)

ومَنْ يُميطُ سِتارَ الجهلِ إنْ طُمِسَتْ * معالمُ القصدِ بين الشكِّ والرِّيَبِ

---

(١) النشب (بالتحريك) : المال . ويشير بهذا البيت والأبيات السبعة بعده إلى طوائف المتخرجين من الجامعة على اختلافهم : من أطباء، ومحامين، ومهندسين، وقضاة، وفلكيين، وعلماء بطبقات الأرض، ومعلمين . (٢) يروض مياه النيل : يقوم على تصريفها وتدبير أمرها، ولا يدعها تغرق البلاد بطغيانها . وأصله من رياضة الدواب، وهو تذليلها بعد صعوبتها ونفورها .

(٣) القسطاس (بكسر القاف وضمها) : ميزان العدل؛ قيل هو روميّ معرب . والحول : القوة .

(٤) يرصدها : يرقبها . والكثب (بالتحريك) : القرب .

(٥) يبز : يسلب . وأديم الأرض : وجهها . وركزت، أي طوت وخبأت . والبدع : الذي لا مثيل له . (٦) ينشد : يطلب . (٧) يميط : يكشف . وطمست : انمحت واندثرت . ومعالم القصد : العلامات التي تبين طريقه وتدل عليه . يقول : إن هذا العالم الذي يبحث في طبقات الأرض وما حوت من معادن يظل يطلب في كل ذرة من ذراتها سرا كتمته ولم تبح به في غابر الأزمان لجهل الماضين بما في باطن الأرض من عجائب .

فما لَكُمْ أيُّها الأقوامُ جامعةٌ * إلا بجامعةٍ موصولةِ السَّبَبِ (١)

قد قامَ (سَعْدٌ) بها حِينًا وأسْلَمَها * إلى (أمينٍ) فلَمْ يُحْجِمْ ولَمْ يَهَبِ (٢)

فعاوِنُوه يعاوِنْكُمْ على عَمَلٍ * فيه الفَخارُ وما تَرْجُونَ مِنْ أرَبِ

وبيِّنُوا لِرجالِ الغَرْبِ أنَّكُمُ * إذا طَلَبْتُمْ بَلَغْتُمْ غايةَ الطَّلَبِ

لا تَلْجَئُوا في العُلا إلّا إلى هِمَمٍ * وثّابةٍ لا تُبالِي هِمّةَ النُّوَبِ

فإنّ تأميلَكُمْ في غيرِكُمْ وَهَنٌ * في النَّفْسِ يُرْخِي عِنانَ السَّعْيِ والدَّأَبِ (٣)

إنْ قامَ مِنّا مُنادٍ قال قائلُهُمْ * لا تَصْخَبُوا فهلاكُ الشَّعْبِ في الصَّخَبِ (٤)

أو نابَنا حادِثٌ نَرْجُو إزالَتَهُ * قالَ استَكِينُوا وخَلُّوا سَوْرةَ الغَضَبِ (٥)

فما سَمَوْنا إلى نَجْدٍ نُحاوِلُهُ * إلّا هَبَطْنا إلى غَوْرٍ مِنَ العَطَبِ (٦)

يا مِصْرُ هل بعدَ هذا اليأسِ مُتَّسَعٌ * يَجْرِي الرَّجاءُ به في كلِّ مُضْطَرَبِ (٧)

لا نحنُ مَوْتَى ولا الأحياءُ تُشْبِهُنا * كأنّنا فيكِ لَمْ نَشْهَدْ ولَمْ نَغِبِ

---

(١) يريد بالجامعة (الأولى) : الرابطة التى تربط الأمة وتجمع طوائفها . وبالجامعة (الثانية) : ذلك المعهد المعروف . (٢) يريد المرحوم سعد زغلول باشا ، وكان من أقوى أنصار فكرة إنشاء الجامعة المصرية والساعين فى تحقيقها ؛ فلما أسندت اليه نظارة المعارف أسلم أعمال الجامعة الى المرحوم قاسم بك أمين . (٣) الوهن : الضعف . والدأب : الاجتهاد فى الأمر والاستمرار عليه . (٤) الصخب (بالتحريك) : شدّة الأصوات واختلاطها . (٥) استكينوا : استذلوا . وسورة الغضب : حدّته . (٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . والغور : ما اطمأن منها وانخفض . والعطب : الهلاك . (٧) المضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويجيئون فى أمور حياتهم . يقول : هل بعد هذا اليأس من فسحة تتسع فيها آمال مصر فى جميع مناحى الحياة ومذاهبها .

نَبْكِي على بَلَدٍ سالَ النُّضارُ بِهِ (١) * للوافِدِينَ وأَهْلُوهُ على سَغَبِ

متى نَراهُ وقد باتَتْ خَزائِنُه * كَنْزًا من العِلْمِ لا كَنْزًا مِن الذَّهَبِ

هٰذا هو العَمَلُ المَبْرُورُ فَاكْتَتِبُوا (٢) * بالمالِ إنَّا اكْتَتَبْنا فيه بالأَدَبِ

سورية ومصر

أنشدها فى الحفل الذى أقامه لتكريمه جماعة من السوريين بفندق شبرد

[نشرت فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠٨ م]

لِمِصْرَ أم لِرُبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ (٣) * هُنا العُلَا وهُناكَ المَجْدُ والحَسَبُ

رُكْنانِ للشَّرْقِ لا زالَتْ رُبُوعُهُما (٤) * قَلْبُ الهِلالِ عليها خافِقٌ يَجِبُ

خِدْرانِ للضَّادِ لَمْ تُهْتَكْ سُتُورُهُما (٥) * ولا تَحَوَّلَ عن مَغْناهُما الأَدَبُ

أُمُّ اللُّغاتِ غَداةَ الفَخْرِ أُمُّهُما (٦) * وإنْ سَأَلْتَ عن الآباءِ فالعَرَبُ

---

(١) النضار : الذهب . والسغب : الجوع. (٢) استعمال «الاكتتاب» بمعنى جمع المال من القوم لمصلحة عامة أو خاصة ، استعمال شائع فى كلام أهل العصر ، وهو استعمال مجازى ؛ وأصله من قولهم : اكتتب فلان ، إذا كتب اسمه فى ديوان السلطان . ولما كان المتبرعون بالأموال تقيد أسماؤهم فى سجل مخصوص لذلك ، صح أن يتجوز فى ذلك و يعبر عن جمع الأموال بالاكتتاب .

(٣) أى انتسب إلى أى الأمتين شئت ، فكلتاهما فى العلا والحسب سواء . (٤) وجب يجب وجبا ووجيبا : اضطرب ؛ وهو هنا كناية عن الإشفاق على كلتا الأمتين والرعاية لهما والحرص عليهما . والهلال : شعار الدولة العثمانية . (٥) الضاد : كناية عن اللغة العربية . والمغنى : المنزل الذى غنى به أهله ، أى أقاموا . (٦) يريد أن الأمتين تجمع بينهما أمومة واحدة وهى اللغة ، وأبوة واحدة ، وهم العرب .

أيرغبانِ عن الحُسنَى وبينَهما * فى رائعاتِ المَعالى ذلكَ النَّسَبُ (١)

ولا يَمُتّانِ بالقُربَى وبينَهما * تلكَ القَرابةُ لم يُقطَعْ لها سَبَبُ؟ (٢)

إذا أَلَمَّتْ بوادِى النِّيلِ نازِلَةٌ * باتَتْ لها راسياتُ الشّامِ تَضطَرِبُ (٣)

وإنْ دَعا فى ثَرَى الأَهرامِ ذُو أَلَمٍ * أَجابَهُ فى ذُرا لُبنانَ مُنتَحِبُ (٤)

لو أَخلَصَ النِّيلُ والأُردُنُّ وُدَّهُما * تَصافَحَتْ منهما الأَمواهُ والعُشُبُ (٥)

بالوادِيَينِ تَمَشَّى الفَخرُ مِشيَتَهُ * يَحُفُّ ناحيَتَيهِ الجُودُ والدَّأَبُ (٦)

فسالَ هذا سَخاءً دونَهُ دِيَمٌ * وسالَ هذا مَضاءً دونَهُ القُضُبُ (٧)

نسيمَ لُبنانَ كم جادَتْكَ عاطِرَةٌ * مِنَ الرِّياضِ وكم حَيّاكَ مُنسَكِبُ

فى الشَّرقِ والغَربِ أنفاسٌ مُسَعَّرَةٌ * تَهفُو إليكَ وأكبادٌ بها لَهَبُ (٨)

لولا طِلابُ العُلا لم يَبتَغُوا بَدَلًا * مِن طِيبِ رَيّاكَ لكنَّ العُلا تَعَبُ (٩)

كَمْ غادَةٍ بربُوعِ الشّامِ باكِيَةٍ * على أَلِيفٍ لها يَرمِى به الطَّلَبُ (١٠)

---

(١) يرغبان عن الحسنى : ينصرفان عن حسن الجوار . ورائعات المعالى : ما ظهر منها ووضح .

(٢) مت إليه بكذا : توسل اليه به . (٣) ألمت : نزلت . وراسيات الشأم : جبالها .

(٤) ذرا لبنان : مرتفعاته وأعاليه ، الواحدة ذروة (٥) الأردن : نهر بفلسطين معروف . والأمواه : جمع ماء . (٦) الدأب (بالتحريك) : الجد والاجتهاد . (٧) الديم من السحب : جمع ديمة ، وهى الدائمة المطر . والقضب : السيوف القواطع ، الواحد قضيب ، فعيل بمعنى فاعل . يشير بالشطر الأول إلى وادى النيل ؛ وبالشطر الثانى إلى وادى الأردن . (٨) مسعرة : ملتهبة من الشوق . وتهفو : تميل . ويشير الى حنين رجال لبنان النائين عن وطنهم فى أنحاء الأرض طلبا للرزق . (٩) الريا : الرائحة الطيبة . (١٠) الغادة : الفتاة المتثنية لينا ونعومة . « ويرمى » الخ ، أى يقذف به طلب الرزق فى أنحاء البلاد .

يمضي ولا حيلةٌ إلّا عزيمتُه * وينثني وحُلاه المجدُ والذهبُ (١)

يكُرُّ صرفُ الليالي عنه منقلبًا * وعزمُه ليس يدرى كيف ينقلبُ (٢)

بأرض (كولمبَ) أبطالٌ غطارفةٌ * أُسْدٌ جياعٌ إذا ما وُوثِبوا وثبوا (٣)

لم يحمِهم علَمٌ فيها ولا عددٌ * سوى مضاءٍ تحامَى وِردَه النُّوَبُ (٤)

أسطولُهم أملٌ في البحرِ مرتحلٌ * وجيشُهم عملٌ في البرِّ مغتربُ (٥)

لهم بكلِّ خِضَمٍّ مسربٌ نَهَجٌ * وفي ذُرا كلِّ طودٍ مسلكٌ عجبُ (٦)

لم تبدُ بارقةٌ في أفقِ منتجعٍ * إلّا وكان لها بالشامِ مرتقِبُ (٧)

ما عابهم أنهم في الأرضِ قد نُثِروا * فالشهبُ منثورةٌ مذ كانت الشهبُ

---

(١) يقول : إن هـذا الطالب يذهب على وجهه غير مزوّد إلا بعزيمة صادقة ، و يعود متحليا بحلى المجد ، موفور الثراء والغنى . (٢) « يكر صرف الليالى عنه » الخ ، يقول : إن نوائب الأيام ترتد عنه منقلبة وعزمه ثابت ماض فى سبيله لا يتغير ولا يتبدّل . (٣) أرض كولمب : أمريكا أضيفت الى مكتشفها . والغطارفة : السادة الشرفاء والسراة من النـاس ، الواحد غطريف وغطراف . ويريد رجال لبنـان المهاجرين إلى أمريكا . وإذا ما ووثبوا وثبوا ، أى اذا ما اعتـدى عليهم انتصفوا لأنفسهم . والمواثبة بين الخصمين : أن يثب كل منهما على صاحبه . (٤) تحامى : تتحامى ، فحذف إحدى التاءين للتخفيف . ويريد بقوله : « لم يحمهـم علم » : أنهم ليسوا أصحاب سفارة يحتمون بهـا وإنما يحتمون بمضائهم وعزمهم اللذين ترتد عنهما نوائب الأيام كليلة مهزومة . (٥) يقول : إنهم لا أسطول لهم ولا جيش غير الأمـل البعيد والعمل للرزق فى كل مكان . (٦) الخضم : البحر . والمسرب : الطريق . والنهج من الطرق (بتسكين الهـاء) : الواضح المسلوك منهـا ؛ وحرك الهاء بالفتح لضرورة الوزن . «وذرا كل طود» ، أى أعالى كل جبل . (٧) المنتجع : مكان الانتجاع ، أى طلب الرزق . يقول : إنه قد بلغ من سعيهم على الرزق أنه لاتظهر علامة تنبئ بوجوده فى مكان إلا وجدت من رجال الشام من يرقبها ويسبق الناس اليها .

ولم يضرهم سُراءٌ في مناكبها * فكلُّ حيٍّ له في الكون مضطرَبُ (١)

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا * الى المجرة رَكْبًا صاعدًا ركبوا (٢)

أو قيل في الشمس للراجين منتجع * مدوا لها سببا في الجو وانتدبوا (٣)

سعوا إلى الكسب محمودًا وما فتئت * أم اللغات بذاك السعي تكتسب (٤)

فأين كان الشاميون كان لها * عيش جديد وفضل ليس يحتجب

هذي يدي عن بني مصر تصافحكم * فصافحوها تصافح نفسها العرب

فما الكنانة إلا الشام عاج على * ربوعها من بنيها سادة نُجُب (٥)

لولا رجالٌ تغالوا في سياستهم * منا ومنهم لما لُمنا ولا عتبوا (٦)

إن يكتبوا لي ذنبا في مودتهم * فإنما الفخر في الذنب الذي كتبوا (٧)

---

(١) السرى (مقصورا ومد للشعر) : السير بالليل . ومناكب الأرض : نواحيها . والمضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويجيئون .

(٢) رادوا : طلبوا . والمناهل : الموارد .

(٣) انتدب فلان للأمر : خف إليه .

(٤) يريد بقوله : « وما فتئت » الخ : أنهم ينشرون اللغة العربية حيثما حلوا ؛ وفى ذلك كسب لها .

(٥) عاج على المكان : مال إليه .

(٦) يقول : لولا جماعة المفرقين بين القطرين وتغاليهم فى ذلك ، لما وقع بيننا ما يوجب اللوم منا ولا العتاب منهم .

(٧) الضمير فى «مودتهم» للسوريين .

في الحثّ على تعضيد مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقيم في « تياترو برنتانيا » في ٨ مايو سنة ١٩٠٨ م

حَيّاكُمُ اللهُ أَحْيُوا العِلْمَ والأَدَبا * إنْ تَنْشُرُوا العِلْمَ يَنْشُرْ فِيكُمُ العَرَبا (١)

ولا حَياةَ لَكُمْ إلّا بِجامِعَةٍ * تَكُونُ أُمًّا لِطُلّابِ العُلا وأَبا

تَبْنِي الرِّجالَ وتَبْنِي كُلَّ شاهِقَةٍ * مِنَ المَعالِي وتَبْنِي العِزَّ والغَلَبا

ضَعُوا القُلُوبَ أَساسًا لا أَقُولُ لَكُمْ * ضَعُوا النُّضارَ فإنِّي أَصْغِرُ الذَّهَبا

وابْنُوا بأَكْبادِكُمْ سُورًا لها ودَعُوا * قِيلَ العَدُوِّ فإنِّي أَعْرِفُ السَّبَبا (٢)

لا تَقْنَطُوا إنْ قَرَأْتُمْ ما يُزَوِّقُه * ذاكَ العَمِيدُ ويَرْمِيكُمْ بهِ غَضَبا (٣)

وراقِبُوا يَوْمَ لا تُغْنِي حَصائِدُه * فكُلُّ حَيٍّ سَيُجْزَى بالَّذِي اكْتَسَبا (٤)

بَنَى عَلَى الإفْكِ أَبْراجًا مُشَيَّدَةً * فابْنُوا على الحَقِّ بُرْجًا يَنْطَحُ الشُّهُبا (٥)

وجاوِبُوه بفِعْلٍ لا يُقَوِّضُه * قَوْلُ المُفَنِّدِ أَنَّى قالَ أو خَطَبا (٦)

لا تَهْجَعُوا إنَّهُمْ لَنْ يَهْجَعُوا أَبَدًا * وطالِبُوهُمْ ولٰكِنْ أَجْمِلُوا الطَّلَبا (٧)

---

(١) «ينشر» الخ، أى يبعث فيكم مجد العرب كما كان أولا .

(٢) قيل العدوّ، أى قوله .

(٣) يشير إلى ما كان يقيمه عميد الدولة الإنجليزية من العقبات فى سبيل إنشاء الجامعة، وما كان يتهم به المصريين ويرميهم به من أنهم ليسوا أهلا للتعليم العالى .

(٤) حصائده، أى حصائد العميد، أى ما يقوله من الكلام الذى لا قيمة له ليثني به العزائم عن إنشاء الجامعة .

(٥) الإفك : الكذب .

(٦) يقوّضه : يهدمه . والمفند : المكذب .

(٧) الضمير فى "إنهم" للانجليز . وأجمل فى الطلب : ترفق .

هل جاءكم نبأ القوم الألى درجوا (١) * وخلّفوا للورى من ذكرهم عجبا

عزّت (بقرطاجة) الأمراس فارتهنت (٢) * فيها السفين وأمسى حبلها اضطربا

والحرب فى لهب، والقوم فى حرب (٣) * قد مدّ نقع المنايا فوقهم طنبا

ودّوا بها وجواريهم معطّلة (٤) * لو أن أهدابهم كانت لها سببا

هنالك الغيد جادت بالذى بخلت (٥) * به دلالا فقامت بالذى وجبا

جزّت غدائر شعر سرّحت سفنا (٦) * واستنقذت وطنا واسترجعت نشبا

رأت حلاها على الأوطان فابتهجت (٧) * ولم تحسّر على الحلى الذى ذهبا

وزادها ذاك حسنا وهى عاطلة (٨) * تزهى على من مشى للحرب أو ركبا

و(برتران) الذى حاك الإباء له (٩) * ثوبا من الفخر أبلى الدهر والحقبا

---

(١) درجوا : مضوا وذهبوا . ويريد «بالقوم» : أهل قرطاجنة الآتى ذكرهم .

(٢) قرطاجة ، يريد قرطاجنة ، وهى مدينة على شاطئ افريقية الشمالى بالقرب من موقع مدينة تونس الحالية ، أنشئت فى القرن التاسع قبل الميلاد . والأمراس : الحبال . وعزت : قلت . ويشير بهذا البيت الى الحرب البونية الثالثة التى وقعت بين الرومان والقرطاجنيين من سنة ١٤٩ ق م . الى سنة ١٤٦ ق م . والتى قلت فيها حبال السفن عند القرطاجنيين ، فذكر بعض المؤرخين أن نساءهم جدن بشعورهن لتتخذ منها تلك الحبال .

(٣) الحرب (بالتحريك) : الهلاك والويل . والنقع : الغبار . ويريد «بالطنب» : الخيام ، شبه بها غبار الحرب . والطنب (فى الأصل) : حبال الخيام . (٤) الجوارى : السفن . (٥) الغيد : جمع غيداء ، وهى الفتاة المتثنية لينا . (٦) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة من الشعر . والنشب : المال والعقار . (٧) «رأت حلاها على الأوطان» أى رأت غدائرها تبذل فى الدفاع عن الوطن . وتحسر : تحسر . (٨) الضمير فى قوله : "زادها" للغيد . «وتزهى» : تختال وتفتخر . (٩) حاك : نسج . وبرتران : قائد فرنسى ولد سنة ١٧٧٣ م ، ودخل الخدمة العسكرية سنة ١٧٩٢ ضابطا ، وجاء مع نابليون الى مصر حيث جعله قائدا للدفعية . وقد صحب نابليون الى (جزيرة البا) ثم الى (جزيرة سنت هيلانة) حيث لبث معه الى سنة ١٨٢١ ؛ وكانت وفاته سنة ١٨٤٤ وقد ذكر الشاعر قصته مفصلة فى الأبيات الآتية .

أَقَامَ فى الأَسْـــرِ حِينًـا ثمّ قِيل له : * أَلَمْ يَئِنْ أَنْ تُفَـدَّى المَجْـدَ والحَسَـبا

قُلْ واحتَكِمْ أَنْتَ مُخْتارٌ، فقال لهم : * إنّا رجالٌ نُهِينُ المـالَ والنَّشَـبا

خُـذُوا القَناطِيرَ مِنْ تِـبْرٍ مُقَنْطَـرَةً * يَخُـورُ خَازِنُكُمْ فى عَـدِّها تَعَبـا (١)

قالوا : حَكَمْتَ بمـا لا نَسْـتَطِيعُ له * حَمْـلًا نَكادُ نَرَى ما قُلْتَـه لَعِبـا

فقـال : واللهِ ما فى الحَىِّ غازِلَــةٌ * من الحِسانِ تَرَى فى فِـدْيَتِى نَصَـبا (٢)

لو أنّهـم كَلَّفُـوها بَيْـعَ مِغْزَلِهـا * لآثَـرَتْنِى وَضَحَّتْ قُـوتَهـا رَغَبـا

هٰــذا هُوَ الأَثَرُ البـاقى فـلا تَقِفُوا * عنـد الكلامِ إذا حاوَلْـتُمُ أَرَبا

ودُونَكُمْ مَثَـلًا أَوْشَـكْتُ أَضْـرِبُهُ * فيكُمْ وفى مِصْرَ إنْ صِـدْقًا وإنْ كَذِبا

سَمِعْتُ أنّ آمرَأً قـد كانَ يأْلَفُـهُ * كَلْبٌ فعاشَا على الإِخْلاصِ واصْطَحَبا

فَمَـرَّ يَـوْمًا به والجُـوعُ يَنْهَبُــهُ * نَهْبًـا فـلم يُبْقِ إلّا الجِـلْدَ والعَصَـبا

فظَـلَّ يَبْـكِى عليـه حِينَ أَبْصَـرَه * يَزُولُ ضَـعْفًا ويَقْضِى نَحْبَــه سَـغَبا (٣)

يَبْـكِى عليـه وفى يُمْنـاهُ أَرْغِفَــةٌ * لو شامَهـا جائـعٌ مِنْ فَـرْسَخٍ وَثَبـا (٤)

فقـال قَـوْمٌ وقـد رَقُّـوا لِذِى أَلَمٍ * يَبْـكِى ، وذِى أَلَمٍ يَسْـتَقْبِلُ العَطَبـا (٥)

ماخَطْبُ ذاالكَلْبِ؟قال: الجُوعُ يَخْطِفُه * مِنِّى ويُنْشِبُ فيـه النـابَ مُغْتَصِـبا

قالوا وقـد أَبْصَرُوا الرُّغْفَانَ زاهِيَةً: * هٰــذَا الدَّواءُ فهَـلْ عالَجْتَـه فأَبَى؟

(١) التبر : الذهب . ويخور : يضعف ويفتر . (٢) النصب : التعب .

(٣) سغبا : جوعا . (٤) شامها : نظر إليها . (٥) يريد بذى الألم الأول : صاحب الكلب . وبذى الألم الثانى : الكلب . والعطب : الهلاك .

أَجابَهُمْ ودَواعِي الشُّحِّ قد ضَرَبَتْ * بين الصَّدِيقَينِ مِنْ فَرْطِ القِلَى حُجُبا (١)

لذلكَ الحَدُّ لم تَبلُغْ مودَّتُنا * أَما كَفَى أَنْ يرانِي اليومَ مُنْتَحِبا

هٰذي دُموعِي على الخَدَّيْنِ جارِيةٌ * حُزْنًا وهٰذا فُؤادِي يَرْتَمِي لَهَبا

أَقْسَمْتُ باللهِ إِنْ كانتْ مودَّتُنا * كصاحِبِ الكَلْبِ ساءَ الأَمْرُ مُنْقَلَبا (٢)

أُعِيذُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُ فنَرَى * منكُمْ بُكاءً ولَا نُلْفِي لكم دَأَبا (٣)

إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ في أَوْطانِكُمْ فلَكُمْ * أَجْرُ المُجاهِدِ، طُوبَى للَّذِي اكْتَتَبا

رعاية الأطفال

أنشدها فى الحفل الذى أقامته هذه الجمعية فى الأوبرا فى ٨ أبريل سنة ١٩١٠ م

شَبَحًا أَرَى أَمْ ذاكَ طَيْفُ خَيالِ * لا، بَلْ فَتاةٌ بالعَراءِ حِيالِي (٤)

أَمْسَتْ بمَدْرَجَةِ الخُطُوبِ فما لَها * راعٍ هُناكَ وما لَها مِنْ والِي (٥)

حَسْرَى، تَكادُ تُعِيدُ فَحْمَةَ لَيْلِها * نارا بأَنَّاتٍ ذَكَيْنَ طِوالِ (٦)

ما خَطْبُها، عَجَبا، وما خَطْبِي بِها ؟ * مالِي أُشاطِرُها الوَجِيعَةَ مالِي ؟ (٧)

دانَيْتُها ولِصَوْتِها فى مَسْمَعِي * وَقْعُ النِّبالِ عَطَفْنَ إِثْرَ نِبالِ (٨)

---

(١) القلى : البغض والكراهية . (٢) المنقلب : المرجع والمصير .

(٣) الدأب : الجد والاجتهاد . (٤) العراء (بفتح العين) : الفضاء الذى لايستتر فيه بشىء .

(٥) مدرجة الخطوب ، أى طريق النوائب . (٦) ذكين ، أى توقدن واشتعلن .

(٧) ما خطبها ، أى ماشأنها . (٨) عطفن : رجعن .

وسألتُها : مَنْ أنتِ ؟ وهى كأنّها * رَسْمٌ على طَلَلٍ من الأطلالِ (١)

فتململتْ جَزَعاً وقالت : حاملٌ * لم تَدْرِ طَعْمَ الغُمْضِ مُنْذُ ليالِي

قد ماتَ والِدُها ، وماتتْ أمُّها * ومَضَى الحِمامُ بعمِّها والخالِ (٢)

وإلى هُنا حَبَسَ الحياءُ لسانَها * وجَرَى البُكاءُ بدَمْعِها الهطَّالِ

فعلمتُ ما تُخْفِي الفتاةُ وإنّما * يَحْنُو على أمثالِها أمثالِي

ووقفتُ أنظُرُها كأنّي عابِدٌ * في هَيْكَلٍ يَرْنُو إلى تِمْثالِ (٣)

ورأيتُ آياتِ الجَمالِ تكفّلتْ * بزوالِهنَّ فَوادِحُ الأثقالِ (٤)

لا شيءَ أفعلُ في النُّفوسِ كقامةٍ * هَيْفاءَ روّعَها الأسَى بهُزالِ

أو غادةٍ كانتْ تُرِيكَ إذا بَدَتْ * شمسَ النّهارِ فأصبحتْ كالآلِ (٥)

قلتُ: انهضي، قالت: أينهضُ ميّتٌ * مِنْ قَبْرِه ويَسيرُ شَنٌّ بالِي (٦)

فحملتُ هيكلَ عظمِها وكأنّني * حُمِّلْتُ حين حَمَلْتُ عُودَ خِلالِ

وطفقتُ أنتهِبُ الخُطا مُتيمِّماً * بالليلِ (دارَ رِعايةِ الأطفالِ) (٧)

أمشي وأحملُ بائسَيْنِ : فطارقٌ * بابَ الحياةِ ومُؤْذِنٌ بزَوالِ (٨)

---

(١) الرسم : أثر الدار بعد بلاها . شبه هذه الفتاة برسوم الأطلال فى النحول والضآلة .

(٢) الحمام : الموت . (٣) يرنو : ينظر .

(٤) يريد «بفوادح الأثقال» : نوائب الدهر التى لا تحتمل لثقلها . (٥) الآل : السراب .

(٦) الشن : القربة الخلق البالية . (٧) انتهب الخطا ، أى أسرع فى السير . ومتيمما : قاصدا .

(٨) طارق باب الحياة : الجنين . ويريد «بالمؤذن بالزوال» : أمه .

أَبكيهما وكأنَّما أنا ثالثٌ * لهما مِنَ الإشفاقِ والإعوالِ (١)

وطَرَقْتُ بابَ الدارِ لا مُتَهيِّبًا * أحَدًا ولا مُتَرَقِّبًا لسُؤالِ

طَرْقَ المُسافِرِ آبَ مِنْ أَسْفارِهِ * أو طَرْقَ رَبِّ الدارِ غيرَ مُبالِي

وإذا بأصواتٍ تَصيحُ: ألَا افتحوا * دَقَّاتُ مَرْضَى مُدْلِجينَ عِجالِ (٢)

وإذا بأيدٍ طاهِراتٍ عُوِّدَتْ * صُنْعَ الجَميلِ تَطَوَّعَتْ فى الحالِ

جاءَتْ تُسابِقُ فى المَبَرَّةِ بعضَها * بعضًا لوَجْهِ اللهِ لا للمالِ

فتناوَلَتْ بالرِّفْقِ ما أنا حامِلٌ * كالأُمِّ تَكْلأُ طِفْلَها وتُوالِي (٣)

وإذا الطبيبُ مُشَمِّرٌ وإذا بها * فوقَ الوَسائِدِ فى مَكانٍ عالِي

جاءُوا بأنواعِ الدَّواءِ وطَوَّفُوا * بسَريرِ ضَيْفَتِهِمْ كبَعْضِ الآلِ

وجَثَا الطَّبيبُ يَجُسُّ نَبْضًا خافِتًا * ويَرُودُ مَكْمَنَ دائِها القَتَّالِ (٤)

لم يَدْرِ حينَ دَنَا ليَبْلُوَ قلبَها * دَقَّاتِ قَلْبٍ أَمْ دَبيبَ نِمالِ (٥)

ودَّعْتُها وتَرَكْتُها فى أهلِها * وخَرَجْتُ مُنْشَرِحًا رَضِيَّ البالِ

وعَجَزْتُ عن شُكْرِ الذين تَجَرَّدُوا * للباقِياتِ وصالِحِ الأعْمالِ (٦)

لم يُخْجِلُوها بالسُّؤالِ عن اسمِها * تلك المُروءَةُ والشُّعورُ العالِي

---

(١) الإعوال : البكاء . (٢) المدلجون : السائرون بالليل . والعجال : المسرعون .

(٣) تكلأ : تحفظ وتحرس . وتواليه : تتعهده وتحنو عليه . (٤) جثا يجثو : جلس على ركبتيه . والخافت : الضعيف . ويرود : يطلب ويتعرف . ومكمن دائها : حيث يختفي الداء من جسمها .

(٥) يبلو : يختبر . (٦) تجرد للأمر : أخلى نفسه له . والباقيات : الآثار التى تبقى بعد صاحبها .

(١)
خيرُ الصَّنائعِ في الأنامِ صَنيعةٌ * تَنْبُو بحامِلِها عنِ الإذْلالِ
وإذا النَّوالُ أتَى ولَمْ يُهْرَقْ له * ماءُ الوُجُوهِ فذاكَ خيرُ نَوالِ
مَنْ جادَ مِنْ بَعْدِ السؤالِ فإنَّه - وهو الجَوادُ - يُعَدُّ في البُخّالِ
للهِ دَرُّهُمُ فكَمْ مِنْ بائِسٍ * جَمِّ الوَجيعةِ سَيِّئِ الأحْوالِ
تَرْمِي به الدُّنيا، فمِنْ جُوعٍ، إلى * عُرْيٍ، إلى سُقْمٍ، إلى إقْلالِ
(٢)
عينٌ مُسَهَّدَةٌ وقَلْبٌ واجِفٌ * نَفْسٌ مُرَوَّعَةٌ وجَيْبٌ خالِي
(٣)
لَمْ يَدْرِ ناظِرُه أعُرْياناً يُرَى * أمْ كاسِياً في تِلْكُمُ الأسْمالِ
فكأنَّ ناحِلَ جِسْمِه في ثَوْبِه * خَلَقَ الخُرُوقِ يُطِلُّ مِنْ غِرْبالِ
(٤)
يا بَرْدُ، فاحمِلْ، قد ظَفِرْتَ بأعْزَلٍ * يا حَرُّ، تلكَ فَرِيسَةُ المُغْتالِ
يا عينُ سُحِّي، يا قُلُوبُ تَفَطَّرِي * يا نَفْسُ رِقِّي يا مُرُوءَةُ وَالِي
(٥)
لولاهُمُ لَقَضَى عليه شَقاؤُه * وخَلا المَجالُ لخاطِفِ الآجالِ
لولاهُمُ كانَ الرَّدَى وَقْفاً على * نَفْسِ الفَقِيرِ ثَقِيلَةَ الأحْمالِ
(٦)
للهِ دَرُّ الساهِرِينَ على الأُلَى * سَهِرُوا مِنَ الأوْجاعِ والأوْجالِ
القائِمِينَ بِخَيْرِ ما جاءَتْ بِه * مَدَنِيَّةُ الأدْيانِ والأجْيالِ

---

(١) الصنيعة: الإحسان. «وتنبو بحاملها» الخ، أى تبعد بمن تقلدها عن الذل. (٢) مسهدة: ساهرة. والواجف: الخائف. والمروّعة: المفزعة. (٣) الأسمال: الخرق البالية.
(٤) الأعزل: الذى لاسلاح معه. ويريد به العارى من الثياب. يقول: أيها البرد احمل على هذا العارى وهاجمه فليس لديه ما يتقيك به. (٥) خاطف الآجال: الموت. (٦) الأوجال: المخاوف.

أَهْلِ اليَتِيمِ وكَهْفِه وحُماتِه * ورَبِيعِ أهلِ البُؤْسِ والإمْحالِ (١)

لا تُهمِلُوا فى الصّالحاتِ فإنّكمْ * لا تَجْهَلُونَ عَواقِبَ الإهْمالِ

إنّى أَرَى فُقَرَاءَكُمْ فى حاجَةٍ * — لو تَعْلَمُونَ — لِقائلٍ فَعّالِ

فتَسابَقُوا الخَيْراتِ فهى أمامَكُمْ * مَيْدانُ سَبْقٍ للجَوادِ النّالِ (٢)

والمُحْسِنُون لهمْ على إحْسانِهِمْ * يومَ الإثابَةِ عَشْرَةُ الأَمْثالِ (٣)

وجَزاءُ رَبِّ المُحْسِنِينَ يَجِلُّ عَنْ * عَدٍّ وعَنْ وَزْنٍ وعَنْ مِكْيالِ

مدرسة البنات ببور سعيد

أنشدها فى حفل أقيم ببور سعيد فى ٢٩ مايو سنة ١٩١٠ م لإعانة تلك المدرسة

كَمْ ذا يُكابِدُ عاشِقٌ ويُلاقِى * فى حُبِّ مِصْرَ كَثِيرَةِ العُشّاقِ

إنّى لَأَحْمِلُ فى هَواكِ صَبابَةً * يا مِصْرُ قد خَرَجَتْ عن الأَطْواقِ (٤)

لَهْفِى عليكِ مَتَى أَراكِ طَلِيقَةً * يَحْمِى كَرِيمَ حِماكِ شَعْبٌ راقِى

كَلِفٌ بمَحْمُودِ الخِلالِ مُتَيَّمٌ * بالبَذْلِ بينَ يَدَيْكِ والإنْفاقِ (٥)

إنّى لَتُطْرِبُنِى الخِلالُ كَرِيمَةً * طَرَبَ الغَرِيبِ بأَوْبَةٍ وتَلاقِ

(١) الكهف : الملجأ والمحتمى . ويريد بقوله : ربيع أهل البؤس : أنهم للبائسين بمنزلة الربيع أى خصب وخير . والإمحال : الجدب .

(٢) الجواد : الكريم . والنال : الكثير النائل وهو العطاء .

(٣) الإثابة : الجزاء . ويشير إلى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) .

(٤) الأطواق : جمع طوق ، وهو الجهد والطاقة .

(٥) الكلف (بفتح الكاف وكسر اللام) : الشديد الحب للشىء .

وتَهُزُّني ذِكْرَى المُروءةِ والنَّدَى * بينَ الشمائلِ هِزَّةَ المُشْتاقِ

(١)

ما البابِلِيَّةُ فى صَفاءِ مِزاجِها * والشَّرْبُ بَيْنَ تَنافُسٍ وسِباقِ

والشمسُ تَبْدُو فى الكُئُوسِ وتَخْتَفِى * والبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِى

(٢)

بأَلَذَّ مِنْ خُلُقٍ كَرِيمٍ طاهِرٍ * قد مازَجَتْهُ سَلامَةُ الأَذْواقِ

(٣)

فإذا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً * فقد اصْطَفاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزاقِ

فالناسُ هذا حَظُّه مالٌ ، وذا * عِلْمٌ ، وذاكَ مَكارِمُ الأَخْلاقِ

(٤)

والمالُ إنْ لَمْ تَدَّخِرْهُ مُحَصَّنًا * بالعِلْمِ كانَ نِهايَةَ الإِمْلاقِ

(٥)

والعِلْمُ إنْ لَمْ تَكْتَنِفْهُ شَمائِلٌ * تُعْلِيهِ كانَ مَطِيَّةَ الإِخْفاقِ

(٦)

لا تَحْسَبَنَّ العِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ * ما لَمْ يُتَوَّجْ رَبُّهُ بِخَلاقِ

(٧)

كم عالِمٍ مَدَّ العُلومَ حَبائِلًا * لِوَقِيعَةٍ وقَطِيعَةٍ وفِراقِ

(٨)

وفَقِيهِ قَوْمٍ ظَلَّ يَرْصُدُ فِقْهَهُ * لِمَكِيدَةٍ أو مُسْتَحَلِّ طَلاقِ

يَمْشِى وقد نُصِبَتْ عليه عِمامَةٌ * كالبُرْجِ لكنْ فَوْقَ تَلِّ نِفاقِ

---

(١) البابلية : الخمر ، نسبة إلى بابل ، وهى ناحية بالعراق كان ينسب إليها الخمر الجيد . والشرب : الشاربون . ويريد «بالسباق» : المسابقة فى شرب الخمر . (٢) ألذ : خبر لـ «ما» فى قوله السابق : «ما البابلية» . (٣) الخليقة : السجية والطبيعة . (٤) الإملاق : الفقر .

(٥) تكتنفه ، أى تحوطه وتحفظه . والشمائل : الأخلاق . والإخفاق : خيبة المسعى .

(٦) الخلاق : النصيب من الصلاح والخير . (٧) حبائل الصيد : الأشراك التى يمدها الصائد للاصطياد ، الواحدة حبالة . والوقيعة : غيبة الناس . والقطيعة ، هى قطع الصلات بين الناس بما تلق بينهم من النمائم (٨) يرصد فقهه ، أى يعده ويهيئه .

يدعونه عند الشقاق وما دَروا * أنّ الذي يدعون خِدْنُ شقاقِ (١)

وطبيبِ قومٍ قد أحلَّ لطبِّه * ما لا تُحِلُّ شريعةُ الخلّاقِ

قتلَ الأجنّةِ في البطونِ وتارةً * جمعَ الدوانقِ من دمٍ مُهراقِ (٢)

أغلى وأثمنُ من تجاربِ علمِه * يومَ الفخارِ تجاربُ الحلّاقِ

ومهندسٍ للنيلِ باتَ بكفِّه * مفتاحُ رزقِ العاملِ المطراقِ (٣)

تندى وتيبسُ للخلائقِ كفُّه * بالماءِ طوعَ الأصفرِ البرّاقِ (٤)

لا شيءَ يلوي من هواه فدُّه * في السلبِ حدُّ الحائنِ السرّاقِ (٥)

وأديبِ قومٍ تستحقُّ يمينُه * قطعَ الأناملِ أو لظى الإحراقِ

يلهو ويلعبُ بالعقولِ بيانُه * فكأنّه في السحرِ رُقيةُ راقي

في كفِّه قلمٌ يمجُّ لعابُه * سُمًّا وينفثُه على الأوراقِ (٦)

يَرِدُ الحقائقَ وهي بيضٌ نُصَّعٌ * قدسيةٌ علويةُ الإشراقِ (٧)

فيردُّها سوداً على جنباتِها * من ظلمةِ التمويهِ ألفُ نطاقِ (٨)

---

(١) الخدن : الصاحب والصديق . والشقاق : الخلاف . ويريد هنا الخلاف بين الزوجين .

(٢) المهراق : المنصب . (٣) المطراق : الذي يكثر طرق أبواب الرزق. (٤) تندى : تبتل . والمراد فيضان يده بالماء . والأصفر البراق : الذهب، ويريد الرشوة . (٥) يلوي من هواه أي يثنيه ويصرفه عما يريد . وحدّه في السلب، أي جزاؤه على الرشوة . وحدّ السارق : قطع اليد .

(٦) مج اللعاب من فمه : رمى به . واللعاب : الريق، شبه المداد به . وينفثه : يخرجه .

(٧) النصع : الشديدة البياض . ويريد بقوله : «علوية الإشراق» : أن نورها من السماء .

(٨) يريد بهذا البيت والذي قبله أن هذا الكاتب يرى الحقائق ظاهرة جلية فيزوّرها بقلمه على القراء ويحوطها بالأكاذيب وأخيلة الشر حتى يردها مظلمة سوداء لا يظهر فيها الحق .

عَرِيَتْ عن الحَقِّ المُطَهِّرِ نَفْسُه * فحَيَاتُه ثِقْلٌ على الأَعْناقِ

لو كان ذا خُلُقٍ لأَسْعَدَ قَوْمَهُ * ببيانِه ويَراعِهِ السَّبَّاقِ

مَنْ لى بتَرْبِيَةِ النِّساءِ فإنَّها * فى الشَّرقِ عِلَّةُ ذلك الإِخْفاقِ (١)

الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إذا أَعْدَدْتَها * أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْراقِ (٢)

الأُمُّ رَوْضٌ إنْ تَعَهَّدَه الحَيَا * بالرِّىِّ أَوْرَقَ أَيَّما إيراقِ (٣)

الأُمُّ أُسْتاذُ الأَساتِذَةِ الأُلَى * شَغَلَتْ مَآثِرُهُمْ مَدَى الآفاقِ (٤)

أنا لا أَقُولُ دَعُوا النِّساءَ سَوافِرًا * بينَ الرِّجالِ يَجُلْنَ فى الأَسْواقِ (٥)

يَدْرُجْنَ حيثُ أَرَدْنَ لا مِنْ وازِعٍ * يَحْذَرْنَ رِقْبَتَه ولا مِنْ واقِ (٦)

يَفْعَلْنَ أَفعالَ الرِّجالِ لواهِيًا * عَنْ واجِباتِ نَواعِسِ الأَحْداقِ (٧)

فى دُورِهِنَّ شُؤُونُهُنَّ كَثِيرةٌ * كشُؤُونِ رَبِّ السَّيفِ والمِزْراقِ (٨)

كَلَّا ولا أَدْعُوكُمُ أنْ تُسْرِفُوا * فى الحَجْبِ والتَّضْييقِ والإِرْهاقِ (٩)

لَيْسَتْ نِساؤُكُمُ حُلًى وجَواهِرًا * خَوْفَ الضَّياعِ تُصانُ فى الأَحْقاقِ

---

(١) الإخفاق: عدم الظفر بالمطلوب. (٢) الأعراق: الأصول، الواحد عرق.

(٣) الحيا: المطر. (٤) «شغلت» الخ، أى ملأت أعمالهم الباقية أنحاء الدنيا.

(٥) السوافر: المتكشفات الوجوه.

(٦) يدرجن: يمشين. والوازع: الزاجر. والرقبة المراقبة.

(٧) نواعس الأحداق: فاترات الأجفان؛ يريد انصرافهن عن الواجبات التى خص بها جنسهن.

(٨) المزراق: الرمح؛ يريد أن شأن المرأة فى بيتها لا يقل عن شأن الفارس فى الحرب.

(٩) الإرهاق: الظلم.

(١) لَيستْ نساؤكُم أثاثاً يُقتنَى * فى الدُّور بينَ مَخادِعٍ وطِباقِ

(٢) تتشكَّلُ الأزمانُ فى أدوارِها * دُوَلاً وهُنَّ على الجُمودِ بَواقِى

(٣) فتوسَّطوا فى الحالتَين وأنصِفوا * فالشَّرُّ فى التقييدِ والإطلاقِ

(٤) ربُّوا البَناتِ على الفَضيلةِ إنَّها * فى المَوقِفَين لهُنَّ خيرُ وَثاقِ

وعليكُمُ أنْ تَستبِينَ بناتُكُم * نُورَ الهُدَى وعلى الحَياءِ الباقِى

ملجأ رعاية الأطفال

أنشدها فى حفل أقامته جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا ، وقد استهلها بوصف القطار

[نشرت فى أول فبراير سنة ١٩١١ م]

(٥) صَفحةُ البَرقِ أومَضَتْ فى الغَمامِ * أمْ شِهابٌ يَشُقُّ جَوفَ الظَّلامِ

(٦) أمْ سَليلُ البُخارِ طارَ إلى القصْـ * ـدِ فأعْيا سَوابِقَ الأوهامِ

(٧) مَرَّ كالَّلجِّ لم تَكَدْ تَقِفُ العَيْـ * ـنُ على ظِلِّ جِرمِه المُترامِى

(٨) أو كشَرْخِ الشَّبابِ لم يَدرِ كاسِيـ * ـهِ تَوَلَّى فى يَقظةٍ أو مَنامِ

---

(١) المخادع : الغرف ، الواحد مخدع (بكسر الميم وضمها ، مع فتح الدال وسكون ما بينهما) .

(٢) يريد أن الزمن يتغير بأهله وهن باقيات على حال واحدة . (٣) يريد «بالحالتين» : التضييق على النساء والتوسيع عليهن . (٤) يريد «بالموقفين» : تقييد النساء فى خدورهن وإطلاق السراح لهن . والوثاق : القيد الذى يوثق به من حبل أو نحوه . (٥) صفحة كل شىء : وجهه وجانبه . وأومض البرق : لمع خفيفا . (٦) يريد «بسليل البخار» : القطار .

(٧) المترامى : الممتد . (٨) شرخ الشباب : أوله وريعانه ، شبه به القطار فى سرعة زواله . وكاسيه ، أى لابسه والمتمتع به .

(١) لا يُبالِي السُّرَى إذا اعتكَرَ اللَّيْـ * ـلُ وخانَتْ مَواقِـعُ الأقْـدامِ

(٢) يَقْطَعُ البِيدَ والفَيافِيَ وَحِيدًا * لَمْ تُضَعْضِعْهُ وَحْشَةُ الإظْلامِ

(٣) لَيسَ يَثْنِيـهِ ما يُذِيبُ دِماغَ الـضَّـ * ـبِّ يومَ الهَجِيرِ بينَ المَوَامِي

(٤) لا ولا يَعْتَرِيهِ ما يُخْرِسُ النا * بِحَ فى الزَّمْهَرِيرِ بينَ الخِيامِ

(٥) هائمٌ كالظَّلِيمِ أزْعَجَـهُ الصَّيْـ * ـدُ وراعَتْـهُ طائشاتُ السِّهامِ

(٦) فهو يَشْتَدُّ فى النَّجاءِ ويَهْوِى * حَيْثُ تُرْمَى بجانِبَيْهِ المَرامِى

(٧) يا حَدِيدًا يَنْسابُ فَوقَ حَدِيدٍ * كانسِيابِ الرَّقْطاءِ فَوقَ الرَّغامِ

قد مَسَحْتَ البِلادَ شَرْقًا وغَرْبًا * بـذِراعَىْ مُشَمِّرٍ مِقْدامِ

(٨) بينَ جَنْبَيْكَ ما بِجَنْبِيَ لكنْ * ما بِجَنْبِيَّ مُسْتَدِيمُ الضِّرامِ

أنتَ لا تَعرِفُ الغَرامَ وإنْ كُنْـ * ـتَ تُرِينا زَفِيرَ أهْلِ الغَرامِ

(٩) أنتَ لا تَعرِفُ الحَنِينَ إلى الإلْـ * ـفِ فما هذه الدُّمُوعُ الهَوَامِي

---

(١) السرى : السير بالليل . وأعتكر الليل : اختلط ظلامه . (٢) البيد : الفلوات، الواحدة بيداء . والفيافى : المفازات لا ماء فيها . (٣) ما يذيب دماغ الضب : كناية عن شدّة القيظ . والهجير : شدّة الحرّ . والموامى : المفازات لا ماء فيها ولا أنيس، الواحدة موماة . (٤) النابح : الكلب . يقول : إنه لا يصيبه ولا يؤثر فيه طول السهر ولا شدّة البرد اللذان يخرسان الكلب النابح ويسكّتانه . (٥) الظليم : ذكر النعام، وهو معروف بسرعة العدو . وراعته : أفزعته . (٦) النجاء : الإسراع . ويهوى، أى يشتد فى سرعته كأنه ينحدر . وقوله : « حيث ترى بجانبيه المرامى » : كناية عن السرعة فى اختراق الفلوات والمضى فى قطع الفيافى البعيدة . (٧) الرقطاء : الحية المنقطة . والرغام : التراب . (٨) يشير بهذا البيت إلى نار القاطرة ونار شوقه . والضرام : الاشتعال . (٩) همى الدمع يهمى (من باب ضرب) : سال .

أنتَ قاسى الفؤادِ جَلْدٌ على الأَيْـ * ـنِ شديدُ القُوَى شديدُ العُرَامِ (١)

لا تُبالِى أَرُعْتَ بالبَيْنِ أَحْبا * بًا وأَسْرَفْتَ فى أَذَى المُسْتَهامِ (٢)

أَمْ جَمَعْتَ الأعداءَ فوقَ صعيدٍ * وخَلَطْتَ الأُسُودَ بالآرامِ (٣)

إنّنى قد شَهِدْتُ فيكَ عَجِيبًا * ضاقَ عَنْ وَصْفِهِ نِطاقُ الكَلامِ

جُزْتَ يوما بنا ونحنُ على الجسْـ * ـرِ قِيامٌ واللّيلُ ليلُ التَّمامِ

وإذا راكِبٌ الى الجسرِ يَهْوِى * بينَ صَفَّيْنِ مِنْ حِماتٍ زُؤامِ (٤)

مَرَّ كالسَّهْمِ بين تِلْكَ الحَنايا * قد رَماهُ مِنَ المَقادِيرِ رامِى (٥)

فتَرَدَّى فى الماءِ والماءُ غَمْرٌ * يَتَّقِيهِ القَضاءُ والنهرُ طامِى (٦)

وإذا سابِحٌ قد انقضَّ فى الما * ءِ انقضاضَ العُقابِ فوقَ الحَمامِ (٧)

غاصَ فى لُجَّةِ الحُتُوفِ بعَزْمٍ * لم يُعَوَّدْ مَواقِفَ الإحْجامِ (٨)

غابَ فيها وعادَ يَحْمِلُ جِسْمًا * سَلَّهُ مِنْ يَدِ الهَلاكِ اللِّزامِ (٩)

كافَحَ المَوْجَ، صارَعَ الهَوْلَ، أَبْلَى * كبلاءِ المُهَنَّدِ الصَّمْصامِ (١٠)

---

(١) الجلد: الصبور. والأين: التعب. والعرام: الشراسة والقسوة. (٢) راعه يروعه: أفزعه.

(٣) الآرام: الظباء، الواحد رئم؛ وأصله للظبي الخالص البياض. (٤) الزؤام من الموت: الكريه. ويريد «بالصفين»: الموت على الجسر بالقطار، والموت بالغرق فى النهر. (٥) الحنايا: القسى، واحدها حنية. ولما شبه الهاوى بالسهم، شبه قضبان الجسر فى انحنائها بالقسى.

(٦) الماء الغمر: الكثير. وطما الماء: ارتفع وملأ النهر. (٧) العقاب: طائر من الجوارح معروف. (٨) الحتوف: المهالك. ولجتها، أى حيث تشتد. (٩) سله: انتزعه. واللزام: الملازم. (١٠) المهند: السيف. والصمصام: الذى لا ينثنى.

وأنثنَى راجعًا الى شاطئِ النهْـ * ـرِ رُجوعَ الكَمِىِّ غِبَّ اغتنامِ (١)

وقفَ الناسُ ذاهلين وصاحُوا * تلك إحدَى عجائبِ الأيّامِ

أنجاةٌ من القطارِ، مِنَ الجسـ * ـرِ، مِنَ النّهرِ، جلّ ربُّ الأنامِ

وإذا صَيحةٌ علَت مِن فتاةٍ * برزَت من صُفوفِ ذاك الزّحامِ

وقفت موقفَ الخطيبِ ونادت * تلك عقبَى رِعايةِ الأيتامِ

بسطَت تحتَه أكُفًّا تلقّتـ * ـهُ وحاطتْه رغمَ أنفِ الحِمامِ (٢)

دعوةُ البائسِ المعذَّبِ سورٌ * يدفعُ الشرَّ عن حِياضِ الكِرامِ (٣)

وهيَ حربٌ على البخيلِ وذِى البغْـ * ـيِ وسيفٌ على رِقابِ اللئامِ

إنّ هذا الكريمَ قد صانَ عِرضِى * وحمانِى مِن عادياتِ السَّقامِ

عالَ طِفلِي وعالَنِى وحبانِى * بكِساءٍ وبَدْرةٍ وطَعامِ (٤)

وهو مِن معشرٍ أغاثُوا ذوِى البُؤْ * سِ وقامُوا فى اللهِ خيرَ القِيامِ

وأقامُوا للبرِّ دارًا فكانت * خيرَ وِردٍ يؤمُّه كلُّ ظامِى (٥)

مُلِئت رحمةً وفاضَت حنانًا * فهى للبائساتِ دارُ السَّلامِ

زُرتُها والشّقاءُ يجرِى ورائى * وشُعاعُ الرّجاءِ يَسرِى أمامِى

لم يقولوا: مَنِ الفتاةُ؟ ولكن * سألُونِى هُناكَ عن آلامِى

---

(١) الكمى: الشجاع. وغب: عقب.

(٢) الحمام: الموت.

(٣) يريد «بحياض الكرام»: حماهم.

(٤) عاله: كفاه معيشته. وحباه بكذا: أعطاه. ويريد «بالبدرة» هنا: جملة من المال.

(٥) ظامى: ظامئ.

ثمّ أهوت الى الغريق تواسيـ * ـه بأحلى من منعشات المدام

قبّلت راحتيه شكراً وصاحت * قد نجا صاحب الأيادى العظام (١)

قد نجا المنعم الجواد من المو * ت بفضل الزكاة والإنعام

فأطفنا بها وقد ملأ الأنـ * ـفس منا جلال ذاك المقام

وشهدنا ثغر الوفاء تجلّى * إذ تجلّى فى ثغرها البسّام

ورأينا شخص المروءة والبـ * ـرّ تبدى فى شخص ذاك الهمام

وعلمنا أن الزكاة سبيل ا * للّه قبل الصلاة قبل الصيام

خصها الله فى الكتاب بذكر * فهى ركن الأركان فى الإسلام

بدأت مبدأ اليقين وظلّت * لحياة الشعوب خير قوام (٢)

لو وفى بالزكاة من جمع الدنـ * ـيا وأهوى على اقتناء الحطام (٣)

ما شكا الجوع معدم أو تصدّى * لركوب الشرور والآثام

راكبا رأسه طريدا شريدا * لا يبالى بشرعة أو ذمام (٤)

سائلا عن وصية الله فيه * آخذا قوته بحدّ الحسام (٥)

لم أقف موقفى لأنشد شعراً * صبّ فى قالب بديع النظام

---

(١) الأيادى : النعم . (٢) القوام (بالكسر) : نظام الأمر وعماده الذى يقوم عليه .

(٣) حطام الدنيا : المال قل أو كثر . (٤) ركب رأسه : مضى الى ما يريد من الشر لم يثنه شيء . والشرعة : الشريعة . والذمام : الحق والحرمة ، لأن نقض ذلك يوجب الذم .

(٥) وصية الله : ما أمر الله به للبائس الفقير من بر ورحمة .

إنّما قُمْتُ فيه والنّفسُ نَشْوَى (١) * مِنْ كُؤوسِ الهُمومِ والقلبُ دامِي

ذُقْتُ طَعْمَ الأَسَى وكابَدْتُ عَيْشًا (٢) * دُونَ شُرْبِي قَذاهُ شُرْبُ الحِمامِ

فتقلّبْتُ في الشّقاءِ زَمانًا (٣) * وتنقّلْتُ في الخُطوبِ الجِسامِ

ومشى الهَمُّ ثاقِبًا في فُؤادِي (٤) * ومشى الحُزْنُ ناخِرًا في عِظامِي

فلِهٰذا وَقَفْتُ أسْتَعْطِفُ النا * سَ على البائسينَ في كُلِّ عامِ

إلى الخديوى عبّاس (٥)

قالها عند عودة سموّه من دار الخلافة وقد عَرَض فيها لِمَا كان في مصر من الخلاف بين المسلمين والأقباط في سنة ١٩١١م

كَمْ تَحْتَ أَذْيالِ الظّلامِ مُتَيَّمٌ * دامِي الفُؤادِ ولَيْلُهُ لا يَعْلَمُ

ما أنتَ في دُنْياكَ أوّلُ عاشِقٍ * راميهِ لا يَحْنُو ولا يَتَرَحَّمُ

أَهَرِمْتَنِي يا لَيْلُ في شَرْخِ الصِّبا (٦) * كَمْ فيكَ ساعاتٌ تُشِيبُ وتُهْرِمُ

لا أنتَ تَقْصُرُ لي ولا أنا مُقْصِرٌ (٧) * أَتْعَبْتَنِي وتَعِبْتَ، هَلْ مَنْ يَحْكُمُ؟

لِلّهِ مَوْقِفُنا وقَدْ ناجَيْتُها * بِعَظِيمِ ما يُخْفِي الفُؤادُ ويَكْتُمُ

---

(١) نشوى : سكرى . (٢) القذى : ما يقع في الشراب من وسخ . والحمام بالكسر : الموت . ويريد بقوله : « دون شربي » أي أن الموت أهون تجرعا على من تجرّع هذا العيش المرّ .

(٣) الجسام : العظام ، الواحد جسيم . (٤) يقال : نخر العظم ، اذا بلى وتفتت .

(٥) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة في الاجتماعيات مع ما تضمنته من مدح الخديوى عباس ، لأن غرضها الأول مسألة اجتماعية ، وهي الفتنة بين مسلمي مصر وأقباطها إذ ذاك . (٦) شرخ الصبا : أوّله وريعانه . (٧) أقصر : كفّ وأمسك .

قالت : مَن الشاكى؟ تُسائلُ سِربَها (١) * عنِّى، ومَن هـذا الذى يتظلَّمُ؟

فأجبتُها وعجِبتُ كيف تجاهلَت : * هُـوَ ذلكَ المُتـوجِّعُ المتألِّمُ

أنا مَنْ عَرفتِ ومَنْ جهِلتِ ومَنْ له * ـ لولا عيونُك ـ حُجَّةٌ لا تُفحَمُ (٢)

أسلمتُ نفسى للهـوَى وأظنُّها * مِمَّا يُجشِّمُها الهوَى لا تَسلَمُ (٣)

وأتيتُ يحدُو بى الرَّجاءُ ومَنْ أتَى * متحرِّماً بفِنائِكُم لا يُحرَمُ (٤)

أشكُو لِذاتِ الخالِ ماصنَعتْ بنا (٥) * تلكَ العيُونُ وما جنَاهُ المِعصَمُ

لا السَّهمُ يرفُقُ بالجَريحِ ولا الهوَى * يُبقِى عليه ولا الصَّبابةُ ترحَمُ

لو تَنظُرينَ إليـه فى جَوفِ الدُّجى * مُتمَلمِلاً مِن هَولِ ما يتجشَّمُ (٦)

يَمشى إلى كنَفِ الفِراشِ مُحاذِراً (٧) * وَجِلاً يؤخِّرُ رِجلَه ويُقدِّمُ

يَرمِى الفِراشَ بناظِرَيه وينثَنِى * جَزِعاً ويُقدِمُ بعد ذاك ويُحجِمُ

فكأنَّه ـ واليأسُ يَنشِفُ نَفسَه (٨) ـ * للقتلِ فوقَ فِراشِـه يتقدَّمُ

رُشِقَتْ به فى كلِّ جَنبٍ مُديةٌ (٩) * وانسابَ فيـه بكلِّ رُكنٍ أرقَمُ

---

(١) السرب (بالكسر) : الجماعة ، أى صواحبها . (٢) لا تفحم : لا تغلب .

(٣) جشمه : كلفه . (٤) يحدو بى : يدفعنى ويسوقنى . ومتحرما : محتميا مستأمنا .

(٥) الخال : الشامة فى البدن ، وهو غالب على شامة الخد ، والجمع خيلان .

(٦) ما يتجشم : ما يقاسى . (٧) الكنف (محركة) : الجانب والناحية .

(٨) ينشف نفسه ، أى يهلكها . و(القتل) : متعلق بقوله : « يتقدم » . (٩) الضمير فى « به » و « فيه » يعود على الفراش . وفى الشطر الأول من هذا البيت قلب ، إذ المسموع أن الباء تدخل على المرشوق به ، وهو المدية ونحوها ، لا على المرشوق ، يقال : رشقته بالسهم ، لا رشقت به السهم . وانسابت ، أى جرت وتدافعت فى مشيها . والأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للأذى .

فكأنه فى هَوْلِه وسَعيرِه * وادٍ قد اطَّلَعَتْ عليه جَهَنَّمُ (١)

هذا وحقِّكَ بعضُ ما كابَدْتُه * مِنْ ناظِرَيْكَ، وما كتمْتُكَ أعظَمُ

قالوا: أَهذا أنتَ! وَيْحَكَ فاتَّئِدْ * حَتَّامَ تُنجِدُ فى الغرامِ وتُتْهِمُ؟ (٢)

كم نَفْثَةٍ لكَ تَسْتَثِيرُ بها الهَوى * (هارُوتُ) فى أثنائِها يتكلَّمُ (٣)

إنّا سَمِعْنا عنكَ ما قد رابَنا * وأطالَ فيكَ وفى هَواكَ اللُّوَّمُ

فاذهَبْ بسِحْرِكَ قد عرَفْتُكَ واقتَصِدْ * فيما تُزَيِّنُ لِلِّسانِ وتُوهِمُ

أصغَتْ إلى قولِ الوُشاةِ فأسرَفَتْ * فى هَجْرِها وجَنَتْ علىَّ وأجرَموا

حتّى إذا يَئِسَ الطَّبيبُ وجاءَها * أنّى تَلِفْتُ تَنَدَّمَتْ وتَنَدَّموا

وأتتْ تعودُ مريضَها لا بَلْ أتتْ * مِنّى تُشَيِّعُ راحِلًا لو تَعلَمُ

أقسَمْتُ (بالعبّاسِ)، إنّى صادِقٌ * فُرِيهِمُ بجَلالِه أنْ يُقسِموا (٤)

مَلِكٌ عَدَوْتُ على الزَّمانِ بحَوْلِه * وغَدَوْتُ فى آلائِه أتَنَعَّمُ (٥)

النَّجمُ مِنْ حُرّاسِه، والدَّهرُ مِنْ * خُدّامِه، وهو العزيزُ المُنْعِمُ

هَلَّلْتُ حينَ رأيتُ رَكْبَكَ سالِمًا * ورأيتُ (عبّاسًا) به يتَبَسَّمُ

---

(١) اطلعت: طلعت وظهرت. (٢) اتئد: تمهل. وأنجد: أتى نجدا، وهو المرتفع من الأرض. وأتهم: أتى تهامة، وهى المنخفض منها. والإنجاد والإتهام فى الغرام: كناية عن الذهاب فيه كل مذهب. (٣) نفث الساحر، هو أن يعقد عقدة ثم ينفخ فيها. وهاروت يضرب به المثل فى السحر، وقد ذكره الله تعالى فى القرآن. (٤) مريهم، أى مرى الوشاة بالقسم على صدقهم فيما وشوا به. (٥) الحول: القوة. والآلاء: النعم.

وحمدتُ ربّي حين حلّ عرينَه * متجدّدَ العزمات ذاكَ الضيغمُ (١)

خفقتْ قلوبُ المسلمين وأشفقتْ * دارُ الخلافة والمليكُ الأعظمُ

ودعا لكَ البيتُ الحرامُ فأمّنتْ * بطحاءُ مكّةَ والحطيمُ وزمزمُ (٢)

ودوّى بمصرَ لكَ الدعاءُ فنيلُها * وسهولُها وفصيحُها والأعجمُ (٣)

ومشى الصغيرُ إلى الكبيرِ مسائلًا * يتسقّطُ الأخبارَ أو يتنسّمُ (٤)

حتّى اطمأنّتْ بالشفاءِ نفوسُهمْ * وطلعتَ بالسعدِ العميمِ عليهمُ

مولايَ أمّتُكَ الوديعةُ أصبحتْ * وعرا المودّةِ بينها تتفصّمُ (٥)

نادى بها القبطيُّ ملءَ لهاتِه * أنْ لا سلامَ وضاقَ فيها المسلمُ (٦)

وهمُ أغارَ على النُّهى وأضلَّها * بجرى الغنيُّ وأقصرَ المتعلّمُ (٧)

فهمُوا من الأديانِ مالا يرتضي * دينٌ ولا يرضى به من يفهمُ

ما ذا دها قبطيَّ مصرَ فصدّه * عن ودِّ مسلمِها وماذا ينقمُ؟

وعلامَ يخشى المسلمين وكيدَهمْ * والمسلمون عن المكايدِ نُوَّمُ

---

(١) الضيغم : الأسد . وعرينه : مأواه . (٢) بطحاء مكة : مسيل واديها . والحطيم ، هو ما بين الركن وزمزم والمقام . (٣) المعروف (دوّى) بالتشديد . يقول : إن نيل مصر وسهولها الخ تدعو لك ؛ لخبر قوله : «فنيلها» الخ ، محذوف للعلم به .

(٤) تنسم الخبر : تلطف في التماسه .

(٥) عرا المودّة : روابطها . وتتفصم : تتقطع . (٦) ملء لهاته ، أي ملء حنجرته . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم . (٧) «بجرى الغنى» الخ ، أي سعى الأغنياء وقصار النظر في إشعال الفتنة بين المسلمين والأقباط ، وكفّ المتعلمون وأقصروا عن إخمادها وتلافي أسبابها .

قَـد ضَمَّنا أَلَمُ الحَيَاةِ وكُلُّنا * يَشْكُو، فنَحْنُ على السَّواءِ وأنتمُ

إنّى ضَمِينُ المُسْلِمِينَ جميعِهم (١) * أنْ يُخْلِصُوا لكُمُ إذا أَخْلَصْتُمُ

رَبَّ الأَرِيكَةِ (٢)، إنّنا فى حاجَةٍ * لِجَمِيلِ رَأْيِكَ والحَوادِثُ حُوَّمُ

فأَفِضْ علينا مِنْ سَمائِكَ حِكْمَةً * تَأْسُو (٣) القُلوبَ فإنّ رَأْيَكَ أَحْكَمُ

واجْمَعْ شَتاتَ العُنْصُرَيْنِ بعَزْمَةٍ * تَأْتِى على هٰذا الخِلافِ وتَحْسِمُ

فكِلاهُما لعَزِيزِ عَرْشِكَ مُخْلِصٌ * وكِلاهُما بِرِضاكَ صَبٌّ مُغْرَمُ

محاورة بين حافظ وخليل مطران

فى حفل أقامته جمعية رعاية الطفل بالأوبرا

[نشرت فى ٣١ مارس سنة ١٩١٣م]

حافظ :

هٰذا صَبِيٌّ هائِمٌ * تَحْتَ الظَّلامِ هُيامَ حائِرْ

أَبْلَى الشَّقاءُ جَدِيدَه * وتَقَلَّمَتْ (٤) منه الأَظافِرْ

فانْظُرْ إلى أَسْمالِهِ (٥) * لم يَبْقَ مِنْها ما يُظاهِرْ

---

(١) الضمين : الكفيل . (٢) الأريكة : سرير الملك . والحوادث حوّم، أى تطوف بنا وتحلق حوالينا ، وأصله من تحويم الطائر حول الماء ، أى دورانه به . (٣) تأسو : تشفى وتداوى .

(٤) تقليم الأظافر : كناية عن أنه أعزل من أسلحة الجهاد فى الحياة . (٥) الأسمال : الثياب البالية الخلقة ؛ ويقال : « ظاهر الرجل بين ثوبين » ، إذا طابق بينهما ولاءم . يريد أن الثوب الذى يلبسه هذا البائس قد صار طبقة واحدة رقيقة لا تدفع عنه ما يؤذيه من ألم الحر والبرد .

هُوَ لا يُرِيدُ فِراقَها * خَوْفَ القَوارِسِ والهَواجِرْ (١)

لٰكِنَّها قَدْ فارَقَتْـ * ـهُ فِراقَ مَعْذُورٍ وعاذِرْ (٢)

إِنِّى أَعُدُّ ضُلُوعَهُ * مِنْ تَحْتِها واللَّيْلُ عاكِرْ (٣)

أَبْصَرْتُ هَيْكَلَ عَظْمِهِ * فَذَكَرْتُ سُكّانَ المَقابِرْ

فَكَأَنَّما هُوَ مَيِّتٌ * أَحْياهُ (عِيسَى) بَعْدَ (عازَرْ) (٤)

قد كادَ يَهْدِمُهُ النَّسِيـ * ـمُ وكادَ تَذْرُوهُ الأَعاصِرْ (٥)

وتَراهُ مِنْ فَرْطِ الهُزا * لِ تَكادُ تَثْقُبُهُ المَواطِرْ

عَجَبًا أَيَفْرِسُهُ الطَّوَى * فى قَلْبِ حاضِرَةِ الحَواضِرْ (٦)

وتَغُولُهُ البُؤْسَى وطَرْ * فُ (رِعايَةِ الأَطْفالِ) ساهِرْ! (٧)

كَمْ مِثْلِهِ تَحْتَ الدُّجَى * أَسْوانَ بادِى الضُّرِّ طائِرْ (٨)

خَزْيانَ، يَخْرُجُ فى الظَّلا * مِ خُرُوجَ خُفّاشِ المَغاوِرْ (٩)

---

(١) القوارس : شدائد البرد . والهواجر : شدائد الحرّ .

(٢) يريد بقوله : « فراق معذور » الخ ، أنها قد تمزقت من القدم وطول العهد، فهى معذورة لفراقها إياه، وهو قابل عذرها . (٣) عاكر : مختلط الظلام . (٤) عازر : اسم رجل أحياه عيسى عليه السلام بعد الموت . شبه البائس بميت ظهرت فيه معجزة عيسى عليه السلام من إحياء الموتى بعد ما ظهرت فى عازر . (٥) تذروه : تفرق أجزاءه، وتطير أشلاءه . والأعاصر : رياح ترتفع بتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود، الواحد إعصار . (٦) يفرسه : يقتله . والطوى : الجوع . ويريد « بحاضرة الحواضر » : مصر . (٧) تغوله : تهلكه . (٨) الأسوان : الحزين . ويريد بقوله : « طائر » أنه شديد الفزع والجزع مما يلاقى وما يتوقع من مصائب الزمن .

(٩) شبه البائس فى أنه لا يظهر إلا مستترا بظلمة الليل بالخفاش الذى لا يبصر بالنهار، وإنما يبصر ليلا .

مُتَلَفِّعًا جِلْبابَه * مُتَرَقِّبًا مَعْرُوفَ عابِرْ

يَقْذَى بِرُؤْيَتِه فَلا * تَلْوِى عليه عَيْنُ ناظِرْ (١)

ومنها :

قَعَدَتْ شُعُوبُ الشَّرْقِ عَنْ * كَسْبِ المَحامِدِ والمَفاخِرْ

فَوَنَتْ وفِى شَرْعِ التَّنا * حُرِ مَنْ وَنَى لا شَكَّ خاسِرْ (٢)

تَمْشِى الشُّعُوبُ لِقَصْدِها * قُدُمًا وشَعْبُ النِّيلِ آخِرْ (٣)

كَمْ فى الكِنانَةِ مِنْ فَتًى * نَدْبٍ وكَمْ فى الشَّأْمِ قادِرْ (٤)

لٰكِنَّهُمْ لَمْ يُرْزَقُوا * رَأْيًا ولَمْ يَرِدُوا المَخاطِرْ

هٰذا يَطِيرُ مع الخَيا * لِ وذاكَ يَرْتَجِلُ النَّوادِرْ (٥)

جَهِلُوا الحَياةَ وما الحَيا * ةُ لِغَيْرِ كَدّاحٍ مُغامِرْ

يَجْتابُ أَجْوازَ القِفا * رِ ويَمْتَطِى مَتْنَ الزَّواخِرْ (٦)

لا يَسْتَشِيرُ سِوَى العَزِيـ * ـمَةِ فى المَوارِدِ والمَصادِرْ (٧)

يَرْمِى وَراءَ الباقِيا * تِ بِنَفْسِه رَمْىَ المُقامِرْ

---

(١) يقول : إن هذا العابر اذا مر بهـذا المسكين ساءه ما يراه باديا عليه من بؤس وفاقة ، فيغض بصره عنه كأنما قد وقع فى عينه القذى ، وهو ما يقع فيها من غمص أو رمص .

(٢) يريد «بالتناحر» : شدة التغالب فى الحياة الى أن ينحر الناس بعضهم بعضا .

(٣) مشى قدما ، أى متقدما . (٤) الندب من الرجال : الماضى الخفيف فى طلب الحاجة والسريع الى الفضائل . (٥) ارتجل النادرة ونحوها : قالها من غير تروّ . ويريد «بالنوادر» : تلك النكت التى يتظرف بها الناس فى المجالس . (٦) يجتاب : يقطع . وأجواز القفار : أوساطها الواحد جوز (بفتح الجيم) . والزواخر : البحار . (٧) فى الموارد والمصادر ، أى فى الحل والترحال .

ما هَدَّ عَزْمَ القادِرِيـ * ـنَ بمصرَ إلاّ قولُ: (باكِرْ)

كَمْ ذا نُحِيلُ على غَدٍ * وغَدٌ مَصيرَ اليومِ صائِرْ

(١) خَوَتِ الدِّيارُ فلا آختِرا * عَ ولا آقتصادَ ولا ذَخائرْ

(٢) دَعْ ما يُجَشِّمُها الجُمو * دُ وما يَجُرُّ مِنَ الجَرائِرْ

(٣) في الآقتصادِ حَياتُنا * وبَقاؤُنا رَغْمَ المُكابِرْ

(٤) تَرْبُو بهِ فينا المَصا * نِعُ والمَزارِعُ والمَتاجِرْ

(٥) سَلْ (حِشْمَتًا) عنه فهٰـ * ـذا (حِشْمَتٌ) في الجمعِ حاضِرْ

أَحْيا الصِّناعةَ والتِّجا * رةَ مِثْلَما أحيا الضَّمائِرْ

مطران:

عَجَبًا تُعَرِّفُني بِهِ * وأنا بِهِمَّتِهِ أُفاخِرْ!

(٦) لي فيه مالَكَ فيه مِنْ * أَمَلٍ على الأيّامِ كابِرْ

(٧) أَنَسِيتَ (مُوجَزَ الآقتصا * دِ) وفَضْلَهُ أَمْ أنتَ ذاكِرْ

أوَ لَمْ يَكُنْ هٰذا الوَزِيـ * ـرُ بذلِكَ التَّعريبِ آمِرْ

(٨) أَنَسِيتَ ما عانَيْتَهُ * واللَّفْظُ مُسْتَعْصٍ ونافِرْ

---

(١) خوت الديار: خلت. (٢) يجشمها: يكلفها. والجرائر: الجنايات، الواحدة جريرة.

(٣) المكابر: المغالب والمعاند. (٤) تربو: تزيد وتنمو. (٥) يريد المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف إذ ذاك. (٦) الكابر: الكبير. (٧) (موجز الاقتصاد): كتاب في الاقتصاد نقله عن الفرنسية الى العربية حافظ ومطران بأمر حشمت باشا وزير المعارف.

(٨) يريد ما عاناه في ترجمة هذا الكتاب السابق ذكره.

حافـظ :

لـم أنسَ ما سَالَتْ به * مِنْ خاطِرِى تِلْكَ المَقاطِرْ

مطران :

لَمْ أنسَ إدْلالَ الكلا * م وذِلّتِى بين المحَابِرْ (١)

حافـظ :

لَمْ أنسَ تَحتِى لِإصْطِلا * حٍ دُونَـه نَحْتُ المحَاجِرْ

مطران :

لَمْ أنسَ تَشذِيبَ الفُضُو * لِ ومقْرِضُ التَّثقِيفِ دائِرْ (٢)

دعـوة إلى الإحسان (٣)

[نشرت فى سنة ١٩١٥ م]

أجادَ (مَطْرَانُ) كعَاداتِه * وهكذا يُؤثَرُ عن (قُسّ) (٤)

فإنْ أقِفْ مِنْ بَعدِه مُنْشِدًا * فإنّما مِنْ طِرْسِه طِرْسِى (٥)

---

(١) يريد «بإدلال الكلام» : تكبره واستعصاءه وقلة مواتاته .

(٢) تشذيب الفضول ، أى تقطيع الزوائد من الكلام وتنحيتها ؛ وأصله من تشذيب الشجر ، وهو إلقاء ما عليه من الأغصان الزائدة . والتثقيف : التقويم والإصلاح .

(٣) دعا سليم افندى سركيس صاحب (مجلة سركيس) إلى إقامة حفل يخصص مايجمع منه لمعونة أحمد افندى أبى العدل وأسرة محمود حبيب ، وكانا من أشهر الممثلين المصريين ؛ فقعدت بالأول الشيخوخة واغتالت المنية الثانى . وفى مساء ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٥ م أقيمت حفلة تمثيلية فى تياترو برنتانيا لهذا الغرض ، كان للشعراء فيها مجال ؛ وقد أعدّ خليل بك مطران قصيدة فى هذا الغرض ، إلا أن المرض حال بينه وبين إنشادها ، فتولى ذلك عنه حافظ ، ومطلعها :

الضاحك اللاعب بالأمس * بات صريعا فاقد الأنس

(٤) يريد قس بن ساعدة الإيادى خطيب العرب فى الجاهلية ، ويضرب به المثل فى الفصاحة واللسن .

(٥) من طرسه طرسى ، أى أن شعره مستمدّ منه . والطرس : الصحيفة .

وإنْ رأيتم فى يدى زَهْرةً * فإنّها مِنْ ذلكَ الغَرْسِ

رثى (حَبيبًا) ورثى بعده * لذلك المُوفِى على الرَّمْسِ (١)

كأنّا اذا ما ظهرا منبرًا * حلّا مِنَ السّامعِ فى النَّفْسِ (٢)

فأصبحا هذا طواهُ الرَّدى * وذاكَ نَهْبٌ فى يدِ البُؤْسِ

لولا (سَليمٌ) لم يقلْ قائلٌ * ولم يجدْ مَنْ جادَ بالأمْسِ (٣)

لِلّهِ ما أشجعَه إنّه * ذو مِرّةٍ فينا وذو بأسِ (٤)

يقومُ فى مشروعِه نافذًا * كأنّه (عنترةُ العبسى) (٥)

تلقاهُ فى الجِدِّ كما تبتغى * وتارةً تلقاهُ فى (الهَلْسِ)

(سَرْكيسُ) إنْ راقكَ ما قلتُه * فى معرضِ الهزْلِ فقلْ "مرسى"

أقسمُ باللهِ وآلائِه * بعرشِه باللّوحِ بالكُرْسى

بالخُنّسِ الكُنّسِ فى سَبْحِها * بالبدرِ فى مرآهُ بالشّمْسِ (٦)

بأنّ هذا عملٌ صالحٌ * قامَ به هذا الفتى القُدْسى (٧)

ذَكّرنا والمرءُ مِنْ نفسِه * وعيشِه فى شاغلٍ يُنْسى

---

(١) يريد «بحبيب» : المرحوم محمود حبيب . والموفى على الرمس : المشرف على القبر ، يريد به أحمد افندى أبى العدل . (٢) ظهر المنبر ونحوه : علاه . (٣) يريد «بسليم» : سليم سركيس . ويشير بهذا البيت إلى دعوته إلى إقامة هذا الحفل . (٤) المرة : القوة والعزيمة .

(٥) استعمال « المشروع » بمعنى الغرض الذى يبدأ فى تحقيقه استعمال شائع فى كلام أهل العصر .

(٦) الخنس والكنس : الكواكب . (٧) القدسى : نسبة إلى بيت المقدس . يشير إلى مولده .

يالواجبِ الأَقْدسِ في حقِّ مَنْ * باعتْه مصرُ بَيْعةَ الوَكْسِ (١)

هذا (أبو العذلِ) فمَنْ خالَه * حيًّا فما خالَ سوى العَكْسِ

كانت له في حَلْقِه ثروةٌ * مِنْ نَبْرةٍ تُشجى ومِنْ جَرْسِ (٢)

فغالَها الدهرُ كما غالَه * حتى غدا كالطَّلَلِ الدَّرْسِ (٣)

فاكتَسِبوا الأجرَ ولا تَبْتغوا * شِراءَه بالثَّمنِ البَخْسِ

إنّي أرى التمثيلَ في غَمْرةٍ * غامِرةٍ تدعو إلى اليأسِ (٤)

لم يَرمِه في شَرْخِه ما رَمى * لو كانَ مَبْنيًّا على أُسِّ (٥)

أكُلَّما خَفَّتْ به نَخْوةٌ * مِنْ دائه عُوجِلَ بالنُّكْسِ

إنْ تُغفِلُوا دارِسَ آثارِه * عَفَّى علَيْها الدهرُ بالطَّمْسِ

أعجزَها النُّطقُ فجاءت بنا * تَنوبُ عن ألسُنِها الخُرْسِ

العدوّ والصديق

ترجمة عن ڤولتير

[نشر هذا البيت في ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م]

لا أُبالي أذى العدوِّ لخطْبي * أنتَ ياربِّ مِنْ وَلاءِ الصَّديقِ

---

(١) الوكس: النقصان والخسارة. (٢) الجرس: الصوت الخفي.

(٣) الطلل: ما بقي من آثار الديار. والدرس، أي الدارس البالي. (٤) غمرة غامرة أي شدة عامة شاملة. (٥) في شرخه، أي في ريعانه وأول نهوضه.

جمعية الاتحاد السورى

أنشدها فى حفل خيرى أقامته هذه الجماعة فى الأوبرا السلطانية لإعانة الطلبة الشاميين بالأزهر

ليلة الثلاثاء ١٥ ينايرسنة ١٩١٦ م

أَيُّهـا الوَسْمِيُّ (١) زُرْ نَبْتَ الـرُّبَا * وَٱسْبِقِ الفَجْرَ الى رَوْضِ الزَّهَرْ

حَيِّـهِ وَٱنْثُرْ على أَكْمامِـهِ (٢) * مِنْ نِطافِ المـاءِ أَشْباهَ الدُّرَرْ

أَيُّهـا الزَّهْرُ أَفِقْ مِنْ سِـنَةٍ (٣) * وَٱصْطَبِحْ مِنْ خَمْـرَةٍ لَمْ تُعْتَصَرْ

مِنْ رَحِيـقٍ (٤) أُمُّـهُ غادِيَةٌ * ساقَها تَحْتَ الدُّجَى رَوْحُ السَّحَرْ

وَٱنْفَـحِ الرَّوْضَ بِنَشْـرٍ (٥) طَيِّبٍ * عَلَّهُ يُوقِـظُ سُـكَّانَ الشَّـجَرْ

إِنَّ بِي شَـوْقًا الى ذِي غُنَّـةٍ * يُؤْنِسُ النَّفْسَ وَقَـدْ نامَ السَّمَرْ (٦)

إِيهِ يا طَـيْرُ أَلَا مِنْ مُسْـعِدٍ (٧)؟ * إِنَّنِي قد شَـفَّنِي طُولُ السَّهَرْ

قُمْ وَصَفِّقْ (٨) وَٱسْـتَحِرْ وَٱسْجَعْ وَنُحْ * وَٱرْوِ عَنْ إِسْحاقَ مَأْثُورَ الخَـبَرْ

ظَهَـرَ الفَجْـرُ وَقَـدْ عَوَّدْتَنِي * أَنْ تُغَنِّيَنِي اذا الفَجْـرُ ظَهَـرْ

---

(١) الوسمى : المطر أول الربيع . (٢) الأكمام : أغطية الزهر . والنطاف : القطرات الصافية من الماء . (٣) السنة : النوم . والاصطباح : الشرب فى الصباح . (٤) الرحيق : الخمر . والغادية : السحابة تنشأ غدوة . والروح : الريح . جعل ماء المطر للزهر كالخمر . (٥) النشر : الرائحة الطيبة . وسكان الشجر : الطير . (٦) السمر : السمار . (٧) المسعد : المعين . وشفه السهر : هزله وأضناه . (٨) تصفيق الطير : خفقه بأجنحته . واستحر، أى غنّ سحرا . وسجع الطير : تغريده . ويريد «بإسحاق» : إسحاق بن ابراهيم الموصلى المغنى العباسى المعروف . يرغب الى الطيور أن تغنيه غناءه .

غَنِّي كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدٍ * سَرَّتِ الأَشْجَانَ عَنِّي والفِكَرْ (١)

إخْرِقِ السَّمْعَ سِوَى مِنْ نَبَإٍ * خَرَقَ السَّمْعَ فَأَدْمَى فَوَقَرْ (٢)

كُلَّ يَوْمٍ نَبَأَةٌ تَطْرُقُنَا * بِعَجِيبٍ مِنْ أَعَاجِيبِ العِبَرْ

أُمَمٌ تَفْنَى وأَرْكَانٌ تَهِي * وعُرُوشٌ تَتَهَاوَى وسُرُرْ (٣)

وجُيُوشٌ بِجُيُوشٍ تَلْتَقِي * كَسُيُولٍ دَفَقَتْ فِي مُنْحَدَرْ (٤)

ورِجَالٌ تَتَبَارَى لِلرَّدَى * لاتُبَالِي غَابَ عَنْهَا أَمْ حَضَرْ (٥)

مَنْ رَآهَا فِي وَغَاهَا خَالَهَا * صِبْيَةً خَفَّتْ الى لِعْبِ الأُكَرْ (٦)

وحُرُوبٌ طَاحِنَاتٌ كُلَّمَا * أُطْفِئَتْ شَبَّ لَظَاهَا وَٱسْتَعَرْ

ضَجَّتِ الأَفْلَاكُ مِنْ أَهْوَالِهَا * وَٱسْتَعَاذَ الشَّمْسُ مِنْهَا والقَمَرْ

فِي الثَّرَى، فِي الجَوِّ، فِي شُمِّ الذُّرَا * فِي عُبَابِ البَحْرِ، فِي مَجْرَى النَّهَرْ (٧)

أَسْرَفَتْ فِي الخَلْقِ حَتَّى أَوْشَكُوا * أَنْ يَبِيدُوا قَبْلَ مِيعَادِ البَشَرْ (٨)

فَٱصْمِدُوا ثُمَّ ٱحْمَدُوا اللهَ عَلَى * نِعْمَةِ الأَمْنِ وطِيبِ المُسْتَقَرْ (٩)

---

(١) سرت الأشجان : كشفتها وخففت آلامها . (٢) يريد « بالنبأ » : نبأ الحرب العظمى . يقول . اسمعنى أيها الطائر من أنبائك (أى غنائك) ما يلذ به سمعى ، ولا تسمعنى أنباء الحرب التي تصم الآذان وتدمى القلوب . (٣) تهى : تخل وتسقط . وتتهاوى : يسقط بعضها إثر بعض .

(٤) دفقت : انصبت بشدة . (٥) الردى : الهلاك .

(٦) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . والأكر : جمع أكرة ، وهى لغة فى الكرة .

(٧) فى شم الذرا ، أى فى أعالى المرتفعات . (٨) يبيدوا : يهلكوا . وميعاد البشر : يوم يفنى الناس جميعا . (٩) الصمد : القصد . ويستعمل فى عصرنا بمعنى الصبر .

نِعْمَــةُ الأَمْنِ وما أَدْراكَ ما * نِعمَةُ الأَمنِ اذا الخَطْبُ اكْفَهَرّ (١)

واشكُروا سُلْطانَ مِصْرٍ واشكُروا * صاحِبَ الدَّوْلَةِ مَحْمودَ الأَثَرْ (٢)

نحن في عَيْشٍ تَمَنَّى دُونَه * أُمَمٌ في الغَرْبِ أَشْقاها القَدَرْ

تَتَمَنَّى هَجْعَةً في غِبْطَةٍ * لَمْ تُساوِرْها اللَّيالِي بالكَدَرْ (٣)

إنّ في الأَزْهَرِ قوماً نالَهُمْ * مِنْ لَظَى نِيرانِها بَعْضُ الشَّرَرْ

أَصْبَحُوا ـ لا قَدَّرَ اللهُ لنا ـ * في عَناءٍ وشَقاءٍ وضَجَرْ

نُزَلاءٌ بَيْنَنا إنْ يُرْهَقُوا * أَوْ يُضامُوا إنّها إحْدَى الكُبَرْ (٤)

فَأَعِينُوهُمْ فَهُمْ إخْوانُكُمْ * مَسَّهُمْ ضُرٌّ ونابَتْهُمْ غِيَرْ (٥)

أَقْرِضُوا اللهَ يُضاعِفْ أَجْرَكُمْ * إنّ خَيْرَ الأَجْرِ أَجْرٌ مُدَّخَرْ (٦)

---

(١) اكفهر : تجهم وعبس .

(٢) صاحب الدولة : رئيس الوزراء، وكان إذ ذاك حسين رشدي باشا .

(٣) الهجعة : النومة .

(٤) يرهقوا ، أي يعانوا من شظف العيش مالا يطيقون .

(٥) غير الزمان : أحداثه وتقلباته

(٦) يستعمل إقراض الله بمعنى الإحسان وبذل المعروف ، لأن الله هو المتولى ردّه والجزاء عليه .

الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشد هذه القصيدة بين يدى المغفور له السلطان حسين كامل فى ليلة أحيتها الجمعية الخيرية بالأوبرا السلطانية ، وقد قالها على لسان صنيعة من صنائع الجمعية كان يتيما بائسا فكفلته الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلما

[نشرت فى ٢٨ مارس سنة ١٩١٦ م]

قَضَّيْتُ عَهْدَ حَداثَتِي * ما بَيْنَ ذُلٍّ واغْتِرابْ

لَمْ يُغْنِ عَنِّي بَيْنَ مَشْـ * ـرِقِها ومَغْرِبِها اضْطِرابْ (١)

صَفِرَتْ يَدِى تَخْوَى لها * رَأْسِى وجَوْفِى والْوِطابْ (٢)

وأنا ابْنُ عَشْرٍ ليس فى * طَوْقِى مُكافَحَةُ الصِّعابْ (٣)

لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِى سِوَى * ذِكْرٍ تَناساهُ الصِّحابْ

أَمْشِى يُرَنِّحُنِى الأَسَى * والبُؤْسُ تَرْنِيحَ الشَّرابْ (٤)

فَلَكَمْ ظَلِلْتُ عَلى طَوًى * يَوْمِى وبِتُّ على تَبابْ (٥)

والجُوعُ فَرّاسٌ له * ظُفُرٌ يَصُولُ به ونابْ (٦)

فكأنَّه فى مُهْجَتِى * نَصْلٌ تَغَلْغَلَ لِلنِّصابْ (٧)

(١) الاضطراب فى الأرض : التردد فيها جيئة وذهابا . (٢) صفرت يدى : فرغت . وتخوى : تخلو . ويريد « بالوطاب » وعاء الزاد ، والأصل فيه : سقاء اللبن .

(٣) الطوق : الجهد . (٤) يرنحنى ، أى يميلنى يمنة ويسرة . والأسى : الحزن .

(٥) الطوى : الجوع . والتباب : الخسران . (٦) فراس : شديد الافتراس .

(٧) تغلغل النصل فى الشىء : دخل فيه ونفذ الى جوفه . ونصاب السيف والسكين ونحوهما : المقبض .

ولكمْ صَحِبتُ الأبيضيْـ * ـنِ فأبليا بُرْدَ الشَّبابْ (١)

فإذا ظَفِرتُ بكِسْرةٍ * فإدامُها مِنِّى لُعابْ (٢)

وعلىَّ طِمْرٌ لو هفتْ * ريحُ الشَّمالِ بهِ لَذابْ (٣)

خُرُوقُه ومَصائبِى * فى العدِّ يُخْطِئُها الحِسابْ

ما زلتُ أُوسِعُ مِحْنَتِى * صَبْرًا وأحْتَمِلُ العَذابْ (٤)

حتّى تنفَّسَ صُبْحُ إقـ * ـبالِى ونَجْمُ النَّحْسِ غابْ (٥)

ولكلِّ سَيْفٍ مُصْلَتٍ * لحَوادِثِ الدُّنيا قِرابْ (٦)

والعَيْشُ فى إقْبالِهِ * شُهْدٌ وفى الإدْبارِ صابْ (٧)

فتلقَّفتْنى فِتْيَةٌ * رَحْبُ الشَّمائِلِ والجَنابْ (٨)

مَهَدُوا لأنفُسِهِم بما * صَنَعُوه زُلْفَى واحتِسابْ (٩)

---

(١) الأبيضان : الماء والخبز؛ قال الشاعر :

الأبيضان بردا عظامى * الماء والفت بلا إدام

(٢) الإدام : ما يؤتدم به فى الطعام .

(٣) الطمر : الثوب البالى من غير الصوف . وهفت الريح بالثوب ونحوه : حركته وذهبت به .

(٤) المحنة : ما يمتحن به صبر الإنسان من النوائب . (٥) تنفس الصبح : أضاء وأشرق ؛ وهو استعمال مجازى . (٦) المصلت من السيوف : المجرّد من غمده . وقراب السيف : جرابه . يريد أن كل شدّة الى انتهاء، وكل عسر الى يسر . (٧) الشهد : عسل النحل . والصاب : عصارة شجر شديد المرارة ؛ يريد أن العيش حلو فى إقباله، شديد المرارة فى إدباره .

(٨) يريد «بالفتية» : رجال الجمعية الخيرية الإسلامية . (٩) مهدوا لأنفسهم، أى كسبوا لها خيرا . والزلفى : القربى . والاحتساب، هو أن تقدّم عملا صالحا تحتسبه عند الله، أى تدخره ولا تبغى عليه جزاء من الناس . ويلاحظ أن الوقف هنا بسكون الباء فى آخر البيت على غير الأفصح، وقد دعت اليه الضرورة .

وعَـدَوْا إلى الحُسْنَى كما * تعـدو المُطَهَّمَةُ العِرابْ (١)

كم أُسْـرَةٍ ضاقَ الرَّجا * ءُ بهـا وأَعْياها الطِّلابْ

دَقُّـوا عليهـا بابَهـا * واللّيـلُ مَسْدُولُ النِّقابْ (٢)

وتَعاهَـدُوها مثلمـا * يَتَعاهَدُ النَّبْتَ السَّحابْ (٣)

وجَمـالُ صُنْعِ الـبِرِّ أ * لَّا يُسْتَشَـفَّ له حِجـابْ

فَتَحُوا المَدارِسَ حِسْـبَةً * وتَنَظَّرُوا حُسْنَ المَـآبْ (٤)

فيهـا تَبيَّنْتُ الهُـدَى * وقرأْتُ (فاتحةَ الكِتابْ)

وبها صَدَفْتُ عن الضَّلا * لةِ واهْتَدَيْتُ الى الصَّوابْ (٥)

وغَـدَوْتُ إنسـانًا تُجَـ * ـمِّـلُه الفضائلُ لا الثِّيابْ

مُتَبَصِّـرًا ذا فِطْنَـةٍ * تَنْفِي القُشُورَ عن اللُّبابْ

(جَمْعِيَّـةٌ خَـيْرِيَّةٌ) * قامَتْ لتَخْفِيفِ المُصابْ

قـد كان فيهـا (عَبْدُه) * غَوْثًا يُلَبِّي مَنْ أَهابْ (٦)

---

(١) عدوا : أسرعوا . والمطهم من الخيل : الذى تم حسنه وبرع فى الجمال . والخيل العراب : الكرائم السالمة من الهجنة .

(٢) يريد بقوله : «مسدول النقاب» : وصف الليل بشدة الظلام . ويصف رجال الجمعية بأنهم يبذلون المعروف فى خفية وتكتم ، وذلك أفضل الإحسان .

(٣) تعاهدوها : تفقدوها بالبذل والمعونة

(٤) تنظروا : انتظروا وارتقبوا .

(٥) صدف عن الضلالة : أعرض عنها .

(٦) يريد الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من هذا الجزء . وكان أقوى مؤسسى الجمعية الخيرية وأعظم الداعين الى إنشائها . وأهاب : دعا .

لَمْ يَدْعُ مِسْمَاحًا إلى * إنْعاشِها إلّا أجابْ (١)

ما غابَ عنها مَرَّةً * حتّى تَغَيَّبَ في التُّرابْ

و(لِعاصِمٍ) أثَرٌ بها * باقٍ وذِكْرٌ مُسْتَطابْ (٢)

قد كان يَحْمِيها كما * تَحْمِي مَجاثِمَها العُقابْ (٣)

ثَبَتَتْ وكان ثَباتُها * يَدْعو إلى العَجَبِ العُجابْ

والشَّرْقُ أوْرَثَ أهْلَهُ * حُبَّ التَّقَلُّبِ والخِلابْ (٤)

فينا على كَرَمِ الطِّبا * عِ ونُبْلِها طَبْعٌ يُعابْ

داءُ التَّواكُلِ وهْوَ في الـ * ـعُمْرانِ داعِيَةُ الخَرابْ

ثَبَتَتْ لأنّ لها إلى * أعْتابِ مَوْلانا انْتِسابْ (٥)

لولا (حُسَيْنٌ) لم تَدُمْ * إلّا كما دامَ الحَبابْ (٦)

اللهُ أدْرَكَها بِهِ * بَحْرًا مَوارِدُهُ عِذابْ

يا واهِبَ الآلافِ كَمْ * طَوَّقْتَ بالمِنَنِ الرِّقابْ

لكَ ساحَةٌ عَلَوِيَّةٌ * ما أمَّها أمَلٌ وخابْ (٧)

---

(١) المسماح: الكثير السماح. (٢) يريد «بعاصم»: المرحوم حسن عاصم باشا. (٣) مجاثم العقاب: مواضعها التى تنزل بها، الواحد مجثم؛ يقال: جثم الطائر، اذا لزم مكانا فلم يبرحه؛ أو تلبد بالأرض. والعقاب: طائر من الجوارح، والعرب تسميه الكاسر. (٤) الخلاب: الخداع.

(٥) يريد بقوله: «مولانا» السلطان حسين كامل؛ وكان رئيسا لها أيام كان أميرا. والوقف على قوله: «انتساب» بسكون الباء لضرورة القافية جريا على غير الفصيح، وهى لغة ربيعة، فانهم يقفون على المنون بحذف تنوينه وسكون آخره مطلقا، أى سواء أكان منصوبا كما فى هذا اللفظ، أم مرفوعا أم مجرورا.

(٦) الحباب: فقاقيع الماء التى تعلوه. (٧) علوية: نسبة إلى المغفور له ساكن الجنان محمد على باشا جد الأسرة المالكة.

مَهَّدْتَ للأخيارِ مَيْـ * ـدانَ السِّباقِ إلى الثَّوابْ

لا زِلْتَ في القُطْرَيْنِ مَحْـ(١) * ـرُوسَ الأَرِيكَةِ والرِّكابْ

جمعية إعانة العميان

قالها في حفل أقامته الجمعية لبناء مدرسة للعميان الأحداث بالأوبرا

في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٦ م ونشرت في اليوم التالي

إنَّ يومَ احتفالِكُمْ زادَ حُسْناً * وجَلالاً بيومِ عيدِ الجُلُوسِ(٢)

فاقترانُ اليومَيْنِ رَمْزٌ إلى اليُمْـ * ـنِ وبُشْرَى تَسُرُّ رَهْنَ الحُبُوسِ(٣)

فكأنّي أَشِيمُ عاطِفَةَ البِـ * ـرِّ عِياناً تَجُولُ بَيْنَ الجُلُوسِ(٤)

وأَرَى في الوُجُوهِ سِيما ارْتِياحٍ * وابْتِهاجٍ لسَعْيِ تِلْكَ العَرُوسِ(٥)

إنَّ حَقَّ الضَّرِيرِ عِنْدَ ذَوِي الأَبْـ * ـصارِ حَقٌّ مُسْتَوْجِبُ التَّقْدِيسِ

لَمْ يَضِرْهُ فُقْدانُهُ نُورَ عَيْنَيْـ * ـهِ إذا اعْتاضَ عَنْهُما بأَنِيسِ

آنِسُوا نَفْسَهُ إذا أَظْلَمَ العَيْـ * ـشُ بعِلْمٍ فالعِلْمُ أُنْسُ النُّفُوسِ

وَجِّهُوهُ إلى الفَلاحِ يُفِدْكُمْ * فَوْقَ ما يَسْتَفِيدُهُ مِنْ دُرُوسِ

أَكْمِلُوا نَقْصَهُ يَكُنْ عَبْقَرِيّاً * مِثْلَ (طَهَ) مُبَرِّزاً في الطُّرُوسِ(٦)

---

(١) القطران: مصر والسودان. والأريكة: سرير الملك. (٢) يريد عيد جلوس المغفور له السلطان حسين كامل. (٣) يريد «برهن الحبوس»: أن هذا المكفوف رهين حبس بصره، وحبس بيته، وكان أبو العلاء المعري يلقب «برهين المحبسين». (٤) أشيم: أرى وأنظر. (٥) يريد «بالعروس»: عاطفة البر السابق ذكرها. (٦) يريد «بطه»: الدكتور طه حسين (بك) عميد كلية الآداب الآن. والطروس: جمع طرس، وهو الصحيفة يكتب فيها.

كَمْ رأَيْنا مِنْ أَكْمَهٍ لا يُجارَى * وضَرِيرٍ يُرْجَى لِيَوْمٍ عَبُوسِ

لَمْ تَقِفْ آفةُ العُيُونِ حِجازًا * بَيْنَ وَثْباتِه وبَيْنَ الشُّمُوسِ

عَدِمَ الحِسَّ قائِدًا فَهَداه * هَدْيُ وِجْدانِه إلى المَحْسُوسِ

مِثْلُ هٰذا إذا تَعلَّمَ أَغْنَى * عَنْ كَثِيرٍ وجاءَنا بالنَّفِيسِ

ذاكَ أنّ الذَّكاءَ والحِفْظَ حَلَّا * فى جِوارِ النُّهَى بِتِلْكَ الرُّءُوسِ

فعَلَى كُلِّ أَكْمَهٍ وبَصِيرٍ * شُكْرُ أَعْضائِكُمْ وشُكْرُ الرَّئِيسِ

ملجأ الحرّية

[نشرت فى ١٩ مايو سنة ١٩١٩ م]

أَيُّها الطِّفْلُ لكَ البُشْرَى فقَدْ * قَدَّرَ اللهُ لنا أَنْ نُنْشَرا (١)

قَدَّرَ اللهُ حَياةً حُرَّةً * وأَبَى سُبْحانَه أَنْ تُقْبَرا

لا تَخَفْ جُوعًا ولا عُرْيًا ولَا * تَبْكِ عَيْناكَ إذا خَطْبٌ عَرا (٢)

لكَ عِنْدَ البِرِّ فى مَلْجَئِه * حيثُ تأوِي خاطِرٌ لَنْ يُكْسَرا (٣)

حيثُ تَلْقَى فيه حَدْبًا وتَرَى * بَيْنَ أَتْرابِكَ عَيْشًا أَنْضَرا (٤)

---

(١) ننشر : نحيا ونبعث . جعل ما كان فيه المصريون قبل من إهمال اليتيم وإغفال شأنه كالموت؛ وما صاروا إليه بعد من رعايته والعناية به حياة وبعثا . (٢) عرا : ألم ونزل . (٣) يستعمل «كسر الخاطر» فى إخجال السائل ورده بغير ما كان يؤمل، وهو استعمال شائع فى كلام عصرنا .

(٤) الحدب (بالتحريك وسكن للشعر) : العطف . ويجوز أن يقرأ بالضم بمعنى جماعة العاطفين . وأترابك : لداتك ونظراؤك، الواحد ترب (بالكسر) .

لا تُسئْ ظنّنا بمُثرينا فقد * تاب عن آثامه واستغفرا

كان بالأمس وأقصى همّه * إنْ أتى عارفةً أن يَظهرا (١)

فغدا اليومَ يُواسى شعبَه * وهو لا يرغبُ فى أن يُشكرا

نبّهتْ عاطفةَ البِرّ به * مِحنةٌ عمّتْ ومِقدارٌ جرى (٢)

جمّعتْنا فى صعيدٍ واحدٍ * وأرادتْنا على أن نُقهرا (٣)

فتعاهدْنا على دفعِ الأذى * بركوبِ الحزمِ حتى نَظفرا

وتواصينا بصبرٍ بيننا * فغدونا قوةً لا تُزدرى (٤)

أنْشرتْ فى مِصرَ شَعباً صالحاً * كان قبلَ اليومِ مُنفكَّ العُرا (٥)

كم مُحِبٍّ هائمٍ فى حُبّها * ذادَ عن أجفانه سَرحَ الكرى (٦)

وشبابٍ وكُهولٍ أقسموا * أنْ يَشيدوا مجدَها فوقَ الذُّرا (٧)

يا رجالَ الجِدّ هذا وقتُه * آنَ أنْ يعملَ كلٌّ ما يرى

مَلجأً أو مَصرِفاً أو مَصنعاً * أو نِقاباتٍ لزُرّاعِ القُرى

أنا لا أعذرُ منكمْ مَن وَنى * وهو ذو مَقدُرةٍ أو قَصّرا (٨)

---

(١) العارفة : العطية والمعروف . (٢) المحنة : ما يمتحن به الإنسان من بلية . والمقدار : القدر (بفتح القاف والدال) . ويريد ما شمل الناس من فقر وضيق إذ ذاك . (٣) الضمير فى «جمعتنا» «للمحنة» . ويقال : أراده على الأمر ، وذلك إذا حمله عليه . (٤) لا تزدرى : لا تحتقر .

(٥) أنشرت : أحيت . ويريد «بالعرا» : صلاة المودة ، الواحدة عروة .

(٦) الضمير فى «حبها» لمصر . وذاد : منع ودفع . والكرى : النوم .

(٧) الذرا : جمع ذروة ، وهى المكان المرتفع . (٨) ونى : أبطأ .

فابدءوا بالملجا الحر الذى * جئت للأيدى له مستمطرا
واكفلوا الأيتام فيه واعلموا * أن كل الصيد فى جوف الفرا (١)

أيها المثرى ألا تكفل من * بات محروما يتيما معسرا
أنت ما يدريك لو أنبته * ربما أطلعت بدرا نيرا
ربما أطلعت (سعدا) آخرا * يحكم القول ويرقى المنبرا (٢)
ربما أطلعت منه (عبده) * من حمى الدين وزان (الأزهرا) (٣)
ربما أطلعت منه شاعرا * مثل (شوقى) نابها بين الورى
ربما أطلعت منه فارسا * يدخل الغيل على أسد الشرى (٤)
كم طوى البؤس نفوسا لو رعت * منبتا خصبا لكانت جوهرا
كم قضى العدم على موهبة * فتوارت تحت أطباق الثرى (٥)

---

(١) كفله يكفله (من باب نصر) : قام بأمره . والفرا : الحمار الوحشى «وكل الصيد فى جوف الفرا» : مثل؛ وأصله أن ثلاثة خرجوا متصيدين، فاصطاد أحدهم أرنبا، والآخر ظبيا، والثالث حمارا فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبى بما نالا، وتطاولا على صاحب الحمار. فقال لهما : «كل الصيد فى جوف الفرا»، أى ان هذا الذى رزقت به وظفرت يشتمل على ما عندكما، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار . ومعنى المثل هنا أن معونة اليتيم تحمل فى ثناياها جميع الأعمال الصالحة .

(٢) يريد المغفور له (سعد زغلول باشا) وكان رئيسا للوفد المصرى إذ ذاك .

(٣) يريد «بعبده» : الأستاذ الإمام محمد عبده (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من هذا الجزء .

(٤) الغيل (بالكسر ويفتح) : الشجر الكثير الملتف، وتأوى إليه الأسود . والشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بآسادها المثل .

(٥) العدم - الفقر .

كُلُّ مَنْ أَحْيَا يَتِيمًا ضَائِعًا * حَسْبُهُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُؤْجَرَا
إِنَّمَا تُحْمَدُ عُقْبَى أَمْرِهِ * مَنْ لأُخْرَاهُ بِدُنْيَاهُ اشْتَرَى

جمعيّة الطفل

أنشدها فى الحفل الذى أقامته هذه الجمعية فى يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٢٨ م

أَيُّهَا الطِّفْلُ لا تَخَفْ عَنَتَ الدَّهْـ * ـرِ ولا تَخْشَ عادياتِ اللَّيالِى (١)
قَيَّضَ اللهُ للضَّعِيفِ نُفُوسًا * تَعْشَقُ البِرَّ مِنْ ذَواتِ الحِجالِ (٢)
أَىْ ذَواتِ الحِجالِ عِشْتُنَّ للبِرِّ * ودُمْتُنَّ قُدْوَةً للرِّجالِ
لَمْ يَكُونوا لِيُدْرِكُوا المَجْدَ لولا * كُنَّ أو يَسْلُكُوا سَبِيلَ المَعالِى
بَسْمَةٌ تَجْعَلُ الجَبانَ شُجاعًا * وتُعِيدُ البَخِيلَ أَكْرَمَ نالِ (٣)
وعِظامُ الرِّجالِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ * فى رِضاكُنَّ أَرْخَصُوا كُلَّ غالِى
راعَنِى مِنْ نُفُوسِكُنَّ جَمالٌ * يَتَجَلَّى فى هالَةٍ مِنْ جَلالِ (٤)
وجَمالُ النُّفُوسِ والشِّعْرِ والأَخْـ * ـلاقِ عِنْدِى أَسْمَى مَجالِى الجَمالِ (٥)
فَمَنْ عَلَّمَتْنَا المُرُوءَةَ والعَطْـ * ـفَ على البائِسِينَ والسُّؤَّالِ

---

(١) العنت : المشقة . (٢) قيض : أتاح . وذوات الحجال : النساء . والحجال : جمع حجلة ، وهى موضع يزين للعروس . ويشير الى أن تلك الجمعية من السيدات : (٣) النال : الجواد الكريم . (٤) الهالة : دارة القمر . (٥) مجالى الجمال ، أى مظاهره وما يبدو منه .

قُمْنَ عَلَّمْنَنا الحنانَ على الطِّفْـ * ـلِ شَرِيدًا فَرِيسَةَ المُغْتالِ

قد أَجبنا نداءَكُنَّ وجئنا * نَسْأَلُ القادرين بعضَ النَّوالِ

لو مَلَكنا غيرَ المقالِ لجُدْنا * إنّ جُهْدَ المُقِلِّ حُسْنُ المقالِ (١)

انقذُوا الطِّفلَ إنّ في شِقْوَةِ الطِّفْـ * ـلِ شَقاءً لنا على كلِّ حالِ

إنْ يَعِشْ بائسًا ولَمْ يَطْوِهِ البُؤْ * سُ يَعِشْ نَكْبةً على الأَجيالِ (٢)

رُبَّ بُؤْسٍ يُخَبِّثُ النَّفْسَ حتّى * يَطْرَحُ المرءَ في مَهاوِي الضَّلالِ

أنْقِذُوهُ فرُبَّما كانَ فيه * مُصْلِحٌ أو مُغامِرٌ لا يُبالي (٣)

ربّما كانَ تحتَ طِمْرَيْهِ عَزْمٌ * ذو مَضاءٍ يَدُكُّ شُمَّ الجِبالِ (٤)

رُبَّ سِرٍّ قد حَلَّ جِسْمَ صَغيرٍ * وتأبَّى على شَديدِ المِحالِ (٥)

لخِفافُ الأَفْيالِ أَرفَقُ وَقْعًا * لو تَبَيَّنْتَ مِنْ دَبيبِ النِّمالِ (٦)

شاعَ بُؤْسُ الأطفالِ والبُؤْسُ داءٌ * لو أُتيحَ الطَّبيبُ غيرُ عُضالِ (٧)

أَيِّدُوا كلَّ مَجْمَعٍ قامَ للبِـ * ـرِّ بجاهٍ يُظِلُّهُ أو بِمالِ

كَمْ يَتيمٍ كادَتْ به البأْ * ساءُ لولا (رعايةُ الأطفالِ)

---

(١) المقل: الفقير القليل المال. (٢) يطويه: يغيبه و يذهب به.

(٣) المغامر: المقاتل الذي لا يبالي الموت.

(٤) الطمر: الثوب الخلق. وشم الجبال: المرتفعة منها، الواحد أشم.

(٥) سر، أي موهبة خفية ونبوغ كامن. وتأبى: امتنع. والمحال: القدرة والقوة.

(٦) يريد بهذا البيت أن النملة على ضآلتها فيها من السر ما ليس للفيل على ضخامته.

(٧) داء عضال: شديد غالب مُعيٍ.

وَرِجالُ الإِسْعافِ أَنْبَلُ لَوْلا * شَهْوَةُ الحَرْبِ مِنْ رِجالِ القِتالِ (١)

يَسْهَرُونَ الدُّجَى لِتَخْفِيفِ وَيْلٍ * أَوْ بَلاءٍ مُصَوَّبٍ أَوْ نَكالِ (٢)

كَمْ جَرِيحٍ لَوْلاهُمُ ماتَ نَزْفاً * في يَدِ الجَهْلِ أَوْ يَدِ الإِهْمالِ

كَمْ صَرِيعٍ مِنْ صَدْمَةٍ أَوْ صَرِيعٍ * مِنْ سُمُومٍ تُخَدِّرُ الأَوْصالِ (٣)

كَمْ حَرِيقٍ قَدِ اتَّقَى النّاسُ فِيهِ * عَنْ ضَحايا تَئِنُّ تَحْتَ التِّلالِ

يَتَرامَوْنَ في اللَّهِيبِ سِراعاً * كَتَرامِي القَطا لِوِرْدِ الزُّلالِ (٤)

لا لِشَيْءٍ سِوَى المُرُوءَةِ يَحْلُو * طَعْمُها في فَمِ المُرِيءِ المُوالِي (٥)

فاصْنَعُوا البِرَّ مُنْعِمِينَ وَجُودُوا * أَيُّها القادِرُونَ قَبْلَ السُّؤالِ

لِانْتِشارِ العُلُومِ أَوْ لِانْطِواءِ الـ * بُؤْسِ وَالشَّرِّ أَوْ لِتَرْفِيهِ حالِ

. . .

كلية البنات الأمريكية

قالها في الحفل الذي أقامته الكلية لتوزيع الشهادات والجوائز على الفائزات

[نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٨ م]

أَيْ رِجالَ الدُّنْيا الجَدِيدَةِ مَهْلاً * قَدْ شَأَوْتُمْ بِالمُعْجِزاتِ الرِّجالا (٦)

وَفَهِمْتُمْ مَعْنَى الحَياةِ فَأَرْصَدْ * تُمْ عَلَيْها لِكُلِّ نَقْصٍ كَمالا (٧)

---

(١) يقول: لولا حاجتنا إلى الجند في الحروب التي لا مفر لنا منها، لكان رجال الإسعاف أنبل منهم وأفضل.

(٢) النكال: العذاب.

(٣) يريد «بالسموم»: المخدرات. والأوصال: الأعضاء، الواحد وصل (بالكسر وبالضم).

(٤) القطا: جمع قطاة، وهي طائر في حجم الحمامة.

(٥) المريء: ذو المروءة. والموالي: الناصر المعين.

(٦) الدنيا الجديدة: أمريكا. وشأوتم: فقتم.

(٧) أرصدتم: أي أعددتم.

وحرصتم على العقول فحرمـ * ـتم عصيرا يراه قوم حلالا (١)

وقدرتم دقيقة العمر حرصا * وسواكم لا يقدر الأجيالا

كم أحالوا على غد كل أمر * ومحيل الأمور يبغى المحالا

قد تحديتم المنية حتى * هم أن يغلب البقاء الزوالا (٢)

وطويتم فراسخ الأرض طيا * ومشيتم على الهواء اختيالا

ثم سخرتم الرياح فسستم * حيث شئتم جنوبها والشمالا

تسرجون الهواء إن رمتم السيـ * ـر وفى الأرض من يشد الرحالا (٣)

وتخذتم موج الأثير بريدا * حين خلتم أن البروق كسالى (٤)

ثم حاولتم الكلام مع النجـ * ـم فحملتم الشعاع مقالا

ومحا (فورد) آية المشى حتى * شرع الناس ينبذون النعالا (٥)

وانتزعتم من كل شبر بظهر الـ * ـأرض أو بطنها المحجب مالا

وأقمتم فى كل أرض صروحا * تنطح السحب شامخات طوالا (٦)

---

(١) يشير بهذا البيت الى قانون تحريم الخمر الذى كانت جمهورية الولايات المتحدة قد أصدرته .

(٢) تحديتم المنية ، أى نازعتموها الغلبة وعارضتموها . و يشير الى ما فى هذه البلاد من العناية بالشؤون الصحية والمستحدثات الطبية ، والاهتداء الى مداواة بعض الأمراض التى كانت قبل مستعصية العلاج .

(٣) تسرجون الهواء ، أى تعدونه وتهيئونه للركوب كما يسرج الفرس ، أى يشد عليه سرجه ليركب . و يشير بذلك إلى الطائرات . و يريد بقوله « وفى الأرض » الخ : أنه لا تزال فى الأرض أمم متأخرة لم تتحول عن جمودها فى الحياة ، وتشد الرحال على ظهور الجمال كعهدها فى العصور الأولى .

(٤) يشير بهذا البيت الى الآلات اللاسلكية .

(٥) فورد : صاحب معامل كبيرة للسيارات فى أمريكا . و يريد الشاعر أنه قد أكثر منها فى أنحاء العالم حتى يكاد الناس لكثرتها وقلة أثمانها ليستغنون بركوبها عن المشى ولبس النعال .

(٦) الصروح : الأبنية العالية .

وغَرَسْتُمْ للعِلْمِ رَوْضًا أَنِيقًا * فوقَ دُنْيَا الوَرَى يَمُدُّ الظِّلالَا

وحَلَلْتُمْ بأَرْضِنا فعَرَفْنا * كيف تُنْمُونَ بيننا الأَطْفالَا

ورأَيْنا البَناتِ كَيْفَ يُثَقَّفْـ * ـنَ بعِلْمٍ يَزِيدُهُنَّ جَمَالَا

لَيْتَ شِعْرِى متى أَرَى أَرْضَ مِصْرٍ * فى حِمَى اللهِ تُنْبِتُ الأَبْطالَا

وأَرَى أَهْلَها يُبَارُونَكُمْ عِلْـ * ـمًا ووَثْبًا إلى العُلَا ونِضالَا

قد نَفَضْنا عَنَّا الكَرَى وٱبْتَدَرْنَا(١) * فُرَصَ العَيْشِ وٱنتَقَلْنَا ٱنتِقالَا

وعَلِمْنا بأَنَّ غَفْلَةَ يَوْمٍ * تَحْرِمُ المَرْءَ سَعْيَهُ أَحْوالَا(٢)

فشَقَقْنا إلى الحَياةِ طَرِيقًا * وأَصَبْنا على الزِّحامِ مَجَالَا

ونَهَضْنا فى ظِلِّ عَرْشِ (فُؤادٍ) * ورفَعْنا لعَهْدِهِ تِمْثالَا

قد أَبَى اللهُ أَنْ نَعِيشَ على النا * سِ وإِنْ ضاقَتِ الوُجوهُ(٣) عِيالَا

الأزبكيّة

كَمْ وارِثٍ غَضِّ الشَّبابِ رَمَتْه * بغَرامِ راقِصَةٍ وحبّ هَلُوكِ(٤)

أَلْبَسْتِهِ الثَّوْبَيْنِ فى حالَيْهما * تِيهَ الغَنِيِّ وذِلَّةَ ٱلْمَفْلُوكِ(٥)

(١) ابتدرنا فرص العيش : عاجلناها وأسرعنا إليها . والكرى : النوم .

(٢) الأحوال : السنون، الواحد حول . (٣) الوجوه : المذاهب .

(٤) الهلوك : الفاجرة المتساقطة على الرجال . (٥) المفلوك : الفقير البائس؛ وهى تسمية فارسية . قال صاحب كتاب (الفلاكة والمفلوكون) : هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل العجم، ويريدون بها بشهادة مواقع الاستعمال : الرجل غير المحظوظ، المهمل فى الناس لإملاقه وفقره .

نشيد الشبان المسلمين

أعيدوا مجدنا دنيا ودينا * وذودوا عن تراث المسلمينا [١]

فمن يعنو لغير الله فينا * ونحن بنو الغزاة الفاتحينا [٢]

ملكنا الأمر فوق الأرض دهرا * وخلدنا على الأيام ذكرى

أتى (عمر) فأنسى عدل (كسرى) * كذلك كان عهد الراشدينا

جبينا السحب فى عهد الرشيد * وبات الناس فى عيش رغيد [٣]

وطوقت العوارف كل جيد * وكان شعارنا رفقا ولينا [٤]

سلوا (بغداد) والإسلام دين * أكان لها على الدنيا قرين

رجال للحوادث لا تلين * وعلم أيد الفتح المبينا

فلسنا منهم والشرق عانى * إذا لم نكفه عنت الزمان [٥]

ونرفعه الى أعلى مكان * كما رفعوه أو نلق المنونا

---

(١) ذودوا : ادفعوا .

(٢) يعنو : يذل ويخضع .

(٣) جبينا السحاب ، يريد بسطة الملك وسعة السلطان . ويشير بذلك الى ما روى عن أحد خلفاء الإسلام حين رأى سحابة سارية فقال ما معناه : امطرى حيث شئت فإن ما تنبتيه سيجبي خراجه الينا .

(٤) العوارف : العطايا والمنن ؛ الواحدة عارفة . والجيد : العنق .

(٥) العانى : الأسير المقيد . وعنت الزمان : مشقته .

غلاء الأسعار

أيُّها المُصلحونَ ضاقَ بنا العَيْـ * ـشُ ولم تُحسِنوا عليه القِياما

(١)

عَزَّتِ السِّلعةُ الذَّليلةُ حتّى * باتَ مَسْحُ الحِذاءِ خَطْباً جُساما

وغَدا القُوتُ في يَدِ النّاسِ كاليا * قُوتِ حتّى نَوى الفَقيرُ الصِّياما

(٢)

يَقْطَعُ اليومَ طاوِياً ولَدَيْهِ * دُونَ رِيحِ القُتارِ رِيحُ الخُزامَى

ويَخالُ الرَّغيفَ في البُعْدِ بَدْراً * ويَظُنُّ اللُّحومَ صَيْداً حَراما

(٣)

إنْ أصابَ الرَّغيفَ مِنْ بَعْدِ كَدٍّ * صاحَ : مَنْ لي بأنْ أُصيبَ الإداما؟

أيُّها المُصلِحونَ أَصْلَحْتُمُ الأَرْ * ضَ وبِتُّمْ عن النُّفوسِ نِياما

أَصْلِحوا أنفُساً أَضَرَّ بها الفَقْـ * ـرُ وأَحْيا بِمَوْتِها الاثاما

ليسَ في طَوْقِها الرَّحيلُ ولا الجِـ * ـدُّ ولا أنْ تُواصِلَ الإقْداما

(٤)

تُؤْثِرُ المَوْتَ في رُبا النِّيلِ جُوعاً * وتَرى العارَ أنْ تَعافَ المُقاما

(٥)

ورِجالُ الشّآمِ في كُرَةِ الأَرْ * ضِ يُبارُونَ في المَسيرِ الغَماما

رَكِبُوا البَحْرَ، جاوَزُوا القُطْبَ، فاتُوا * مَوْقِعَ النَّيِّرَيْنِ خاضُوا الظَّلاما

---

(١) السلعة : المتاع المتجر فيه . والخطب الجسام : العظيم . (٢) طاويا : جائعا . والقتار (بالضم) : ريح الشواء . والخزامى : نوع من الرياحين ، وزهره من أطيب الأزهار نفحة . يقول : إن ريح ذاك الزهر أقل شأنا عنده من ريح الشواء لحاجته الى الثاني دون الأول .

(٣) الإدام : ما يؤتدم به . (٤) الربا : مرتفعات الأرض ، الواحدة ربوة . وتعاف : تكره . (٥) باراه : جاراه وفعل مثل فعله .

يمتطون الخطوب فى طلب العيـ * ـش ويبرون للنضال السهاما

وبنو مصر فى حمى النيل صرعى * يرقبون القضاء عاماً فعاما

أيها النيل كيف نمسى عطاشاً * فى بلاد رويت فيها الأناما

يرد الواغل[1] الغريب فيروى * وبنوك الكرام تشكو الأواما

إن لين الطباع أورثنا الذ * ل وأغرى بنا الجناة الطغاما[2]

إن طيب المناخ جر علينا * فى سبيل الحياة ذاك الزحاما

أيها المصلحون رفقاً بقوم * قيد العجز شيخهم والغلاما

وأغيثوا من الغلاء نفوساً * قد تمنت مع الغلاء الحماما[3]

أوشكت تأكل الهبيد[4] من الفقـ * ـر وكادت تذود عنه النعاما

فأعيدوا لنا المكوس[5] فإنا * قد رأينا المكوس أرخى زماما

ضاق فى مصر قسمنا[6] فاعذرونا * إن حسدنا على الجلاء الشآما

قد شقينا — ونحن كرمنا الله — بعصر يكرم الأنعاما

---

(١) الواغل : الذى يدخل على القوم فى طعامهم وشرابهم دون أن يدعى . والأوام : شدة العطش .

(٢) الطغام (بالفتح) : أوغاد الناس وأراذلهم .

(٣) الحمام (بكسر الحاء) : الموت .

(٤) الهبيد : حب الحنظل . وتذود : تدفع وتمنع . وخص النعام لأنها تأكل هذا الهبيد .

(٥) المكوس : ضرائب كانت تؤخذ على السلع الواردة لتباع فى المدن ، وكان يتغالى فى فرضها . والزمام : ما تزم به الدابة ، أى تقاد . ويريد بقوله : «أرخى زماما» : أن عهد المكوس كان أيسر على الناس وأهون .

(٦) القسم (بالكسر) : النصيب من الرزق . ويريد «بالجلاء» : انتقال القوم من أوطانهم إلى أوطان أخرى طلبا للرزق .

أضرحة الأولياء

أَحياؤُنا لا يُرْزَقُونَ بِدِرْهَمٍ * وبأَلْفِ أَلْفٍ تُرْزَقُ الأَمْواتُ
مَنْ لى بِحَظِّ النائِمِين بِحُفْرَةٍ * قامَتْ على أَحْجارِها الصَّلَواتُ
يَسْعَى الأَنامُ لها، ويَجْرِى حَوْلَها * بَحْرُ النُّذُورِ، وتُقْرَأُ الآياتُ
ويُقالُ: هٰذا القُطْبُ بابُ المُصْطَفَى * ووَسِيلَةٌ تُقْضَى بها الحاجاتُ

وقال على لسان طفلة :

أَخْشَى مُرَبِّيَتِي إذا * طَلَعَ النَّهارُ وأَفْزَعُ
وأَظَلُّ بين صَواحِبِي * لِعِقابِها أَتَوَقَّعُ
لا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لى وَلَا * طُولُ التَّضَرُّعِ يَنْفَعُ
وأَخافُ والِدَتِى إذا * جَنَّ الظَّلامُ وأَجْزَعُ
وأَبِيتُ أَرْتَقِبُ الجَزَا * ءَ وأَعْيُنِى لا تَهْجَعُ
ما ضَرَّنِى لو كنتُ أَسْ * تَمِعُ الكَلامَ وأَخْضَعُ
ما ضَرَّنِى لو صُنْتُ أَثْ * وابِى فَلا تَتَقَطَّعُ
وحَفِظْتُ أَوراقِى بِحِفْ * ظِى فَلا تَتَوَزَّعُ
فأَعِيشُ آمِنَةً وأَمْ * رَعُ فى الهَناءِ وأَرْتَعُ

السياسيات

العلمان المصرى والانجليزى فى مدينة الخرطوم

رُوَيْدَكَ حتّى يَخْفِقَ العَلَمانِ * وتَنْظُرَ ما يَجْرِى به الفَتَيانِ (1)

فما مِصْرُ كالسُّودانِ لُقْمَةُ جائعٍ * ولكنّها مَرْهُونَةٌ لِأَوانِ (2)

دَعانى وما أَرْجَفْتُما باحتماله * فإنّى بمكر القَوْمِ "شِقٌّ" زمانى (3)

أَرَى مِصْرَ والسُّودانَ والهِنْدَ واحدًا * بها اللُّرْدُ والفِيكُنْتُ يَسْتَبِقانِ

وأَكْبَرُ ظَنّى أنّ يومَ جَلائِهِمْ * ويومَ نُشُورِ الخَلْقِ مُقْتَرِنانِ (4)

إذا غاضَتِ الأَمْواهُ مِنْ كُلِّ مُزْبِدٍ * وخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ للحَدَثانِ (5)

---

(1) الفتيان : الليل والنهار . يخاطب صاحبه يقول : تمهل حتى يخفق على السودان العلمان ، و يكمل للإنجليز تملكه ، فإنهم بعد سيملكون مصر كما ملكوا السودان .

(2) يشير بهذا البيت الى توقع أخذ مصر كما أخذ السودان ، وأن الاستيلاء عليها ليس فى سهولة الاستيلاء عليه ، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم .

(3) ما أرجفتما ، أى ما خضتما فيه من القول الذى لم يصح . و باحتماله ، أى باحتمال وقوعه وتحققه ؛ وهو جلاء الإنجليز عن مصر . ويريد «بالقوم» : الانجليز . وشق (بكسر الشين) : كاهن عربى قديم اشتهر بمعرفة الغيب ، وكان فى زمن كسرى أنوشروان . (4) يوم النشور : يوم القيامة .

(5) غاض الماء : قل فنضب . والأمواه : جمع ماء . والمزبد : البحر يقذف بالزبد . والحدثان (محركة) : اسم بمعنى حوادث الدهر ونوائبه .

وعادَ زمانُ السَّمهرىِّ وربِّه (١) * وحُكِّمَ فى الهيجاءِ كلُّ يمانى

هناكَ اذكُرا يومَ الجلاءِ ونبِّها (٢) * نياماً عليهم يندُبُ الهرمانِ

إلى مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى عتاب مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

[نشرت فى ٤ إبريل سنة ١٩٠٤م]

(عبدَ العزيز) (٣) لقد ذكَّرتنا أمماً * كانتْ جوارَكَ فى لهوٍ وفى طربِ

ذكَّرتنا يومَ ضاعتْ أرضُ أندلسٍ * الحربُ فى الباب والسلطانُ فى اللعبِ

فاحذرْ على التختِ (٤) أنْ يسرى الخرابُ له * فتختُ (سلطانةٍ) أعدى من الجربِ

---

(١) السمهرى : الرمح الصلب . أو هو المنسوب الى رجل من العرب اسمه سمهر، كان مشهورا بصنع الرماح . والهيجاء : الحرب . واليمانى : السيف، نسبة الى اليمن، لأن أجود السيوف كان يصنع بها .

(٢) هناك اذكرا : جواب «لإذا» فى البيت السابق . يقول : اذا ظهرت أمارات الساعة من غيض مياه البحار ... الخ، أو وقع المستخيل، فعاد الزمن الى سيرته الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظرا إذ ذاك خروج الإنجليز من مصر .

(٣) عبد العزيز سلطان مراكش، هو ابن السلطان مولاى الحسن، وكان مولده سنة ١٢٩٦ هـ . تولى الملك بعد وفاة أبيه فى ٤ ذى الحجة سنة ١٣١١ هـ، ثم خلع فى سنة ١٣٢٦ هـ وسنة ١٩٠٨ م . وكان معروفا بالإخلاد الى المجون واللهو، حتى إنه بعث الى مصر فى طلب جماعة من المطربين والمطربات، فسافر اليه جماعة منهم؛ فأنكر عليه المسلمون فعله، لاسيما مصر، وكتبت الصحف مستهجنة هذا الصنيع من سلطان مسلم، وأكثر الشعراء فى ذلك من المقطعات الطريفة .

(٤) يريد «بالتخت» الأول فى هذا البيت : سرير السلطان؛ وهو معرّب . وبالثانى : تخت الغناء، تسمية عامية . وسلطانة : مغنية كانت من المغنيات المشهورات فى مصر فى ذلك العصر، وكانت بين بعثة الغناء التى سافرت الى سلطان مراكش .

غادة اليابان

ضمّنها غرامه بغادة يابانية، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا

[نشرت في ٦ إبريل سنة ١٩٠٤ م]

لا تَلُمْ كَفِّي إذا السَّيْفُ نَبَا (١) * صَحَّ مِنِّي العَزْمُ والدَّهْرُ أَبَى

رُبَّ ساعٍ مُبْصِرٍ في سَعْيِهِ * أَخْطَأَ التَّوفِيقَ فيما طَلَبَا

مَرْحَبًا بالخَطْبِ يَبْلُوني (٢) إذا * كانت العَلْياءُ فيه السَّبَبا

عَقَّنِي (٣) الدَّهْرُ ولولا أنَّني * أُوثِرُ الحُسْنَى عَقَقْتُ الأَدَبا

إيهِ يا دُنْيا اعْبِسِي أو فابْسِمِي * لا أَرَى بَرْقَكِ إلّا خُلَّبا (٤)

أنا لولا أنَّ لي مِنْ أُمَّتي * خاذِلاً ما بِتُّ أَشْكُو النُّوَبا

أُمَّةٌ قد فَتَّ في ساعِدِها (٥) * بُغْضُها الأَهْلَ وحُبُّ الغُرَبا

تَعْشَقُ الأَلْقابَ في غيرِ العُلا * وتُفَدِّي بالنُّفوسِ الرُّتَبا

وهي والأَحْداثُ تَسْتَهْدِفُها (٦) * تَعْشَقُ اللَّهْوَ وتَهْوَى الطَّرَبا

لا تُبالِي لَعِبَ القَوْمُ (٧) بها * أَمْ بها صَرْفُ اللَّيالِي لَعِبا

---

(١) نبا السيف : كل وارتد . (٢) يبلول : يختبرني . (٣) عقه : ترك الاحسان اليه ولم يبر به . يقول : إن الدهر لم ينصفني، والجاني عليّ هو أدبي ؛ ولولا أنى أوثر الاحسان لهجرت الأدب الذي كان سببا في شقائي . (٤) البرق الخلب : الذي يطمع الناس في مطره ويخلفهم . (٥) فت في ساعدها : عبارة يكنى بها من الإضعاف وإيهان القوى . (٦) والأحداث تستهدفها، أي أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لما ترميه . (٧) يريد «بالقوم» : الانجليز . وصروف الليالي : غيرها ونوائبها . أي أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً * ذاتَ شَجْوٍ وحَدِيثًا عَجَبَا (١)

كنتُ أَهْوَى في زَمانِي غادَةً * وَهَبَ اللهُ لها ما وَهَبَا (٢)

ذاتَ وَجْهٍ مَزَجَ الحُسْنُ بِهِ * صُفْرَةً تُنْسِي اليَهُودَ الذَّهَبَا

حَمَلَتْ لي ذاتَ يَوْمٍ نَبَأً * لا رَعاكَ اللهُ يا ذاكَ النَّبَا

وأَتَتْ تَخْطِرُ واللَّيْلُ فَتِيٌّ * وهِلالُ الأُفْقِ في الأُفْقِ حَبَا (٣)

ثم قالت لي بثَغْرٍ باسِمٍ * نَظَمَ الدُّرَّ بِهِ والحَبَبَا: (٤)

نَبِّئُوني بِرَحِيلٍ عاجِلٍ * لا أَرَى لي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا (٥)

ودَعانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي * عَلَّنِي أَقْضِي له ما وَجَبَا (٦)

نَذْبَحُ الدُّبَّ ونَفْرِي جِلْدَهُ * أَيَظُنُّ الدُّبُّ أَلَّا يُغْلَبَا (٧)

قلتُ والآلامُ تَفْرِي مُهْجَتِي: * وَيْكِ! ما تَصْنَعُ في الحَرْبِ الظُّبَا؟ (٨)

ما عَهِدْناها لِظَبْيٍ مَسْرَحًا * يَبْتَغِي مَلْهًى به أو مَلْعَبَا

لَيْسَتِ الحَرْبُ نُفُوسًا تُشْتَرَى * بالتَّمَنِّي أو عُقُولًا تُسْتَبَى (٩)

---

(١) يقال : شجاه شجوا ، اذا هيج أحزانه وشوقه . (٢) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .

(٣) والليل فتى ، أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده .

(٤) الحبب : الفقاقيع التى تعلو سطح الماء ، شبه بها الأسنان فى بياضها . (٥) المنقلب : العودة والرجوع . (٦) أغتدى ، أى أبادر مبكرة للدفاع عنه . (٧) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف انجلترا بالأسد ، واليابان بالتنين ، وألمانيا بالنسر . ونفرى : نشق . ويشير بهذا البيت الى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م . (٨) الظبا : الظباء ، وقصر للشعر . (٩) تستبى : تؤسر بالحب .

أَحَسِبْتِ القَدَّ مِنْ عُدَّتِها * أم ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فيها كالشَّبا؟ (١)

فَسَلِينِي ، إنَّنِي مارَسْتُها * ورَكِبْتُ الهَوْلَ فيها مَرْكَبا (٢)

وتَقَحَّمْتُ الرَّدَى في غارةٍ * أَسْدَلَ النَّقْعُ عليها هَيْدَبا (٣)

قَطَّبَتْ ما بينَ عَيْنَيْها لَنا * فرأيتُ الموتَ فيها قَطَّبا (٤)

جالَ عِزْرائِيلُ في أَنْحائِها * تحتَ ذاكَ النَّقْعِ يَمْشِي الهَيْذَبَى (٥)

فَدَعِيها لِلَّذِي يَعْرِفُها * والْزَمِي يا ظَبْيَةَ البانِ الخِبا (٦)

فأجابَتْنِي بِصَوْتٍ راعَنِي * وأَرَتْنِي الظَّبْيَ لَيْثاً أَغْلَبا: (٧)

إنَّ قَوْمِي اسْتَعْذَبُوا وِرْدَ الرَّدَى * كيفَ تَدْعُونِي ألَّا أَشْرَبا؟

أنا يا بانِيَّةٌ لا أَنْثَنِي * عَنْ مُرادِي أو أَذُوقَ العَطَبا (٨)

أنا إنْ لم أُحْسِنِ الرَّمْيَ ولم * تَسْتَطِعْ كَفَّايَ تَقْلِيبَ الظُّبَا (٩)

---

(١) القدّ : القامة . والشبا . جمع شباة ، وهى حدّ السنان . (٢) مارستها : عانيتها .

(٣) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها .

(٤) التقطيب : العبوس . والضمير فى «قطبت» للغارة . (٥) الهيذبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشى فيه جدّ . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .

(٦) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الظباء . والخبا (بالقصر) : الخباء (بالمد) ، وقصر للشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .

(٧) راعنى : أفزعنى . والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة ، وهى علامة القوة . يقول : إنها غضبت من تنقصه لها ، وأنها لا تصلح للحرب ، فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته ، واستحالت من ظبى وادع إلى أسد قوى . (٨) العطب : الهلاك . (٩) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهى حدّ السيف أو السنان .

أَخْدُمُ الجَرْحَى وأَقْضِى حَقَّهُمْ * وأُواسِى فى الوَغَى مَنْ نُكِبَا (١)

هٰكذا (الميكادُ) قد عَلَّمَنا * أَنْ نَرَى الأَوْطانَ أُمًّا وأَبَا (٢)

مَلِكٌ يكفيكَ منه أنّه * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فهَزَّ المَغْرِبا

وإذا مارَسْتَه أَلْفَيْتَه * حُوَّلًا فى كلِّ أمْرٍ قُلَّبا (٣)

كان والتاجَ صغيرَيْنِ معًا * وجَلالُ المُلْكِ فى مَهْدِ الصِّبا

فغَدَا هٰذا سَماءً للعُلا * وغَدا ذلكَ فيها كَوْكَبا

بَعَثَ الأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِها * ودَعَاها للعُلا أنْ تَدْأَبَا (٤)

فسَمَتْ للمَجْدِ تَبْغِى شَأْوَه * وقَضَتْ مِن كلِّ شيءٍ مَأْرَبا (٥)

الحرب اليابانية الروسية (٦)

[نشرت فى ١٠ نوفبر سنة ١٩٠٤ م]

أَساحَةٌ للحَرْبِ أم مَحْشَرُ * ومَوْرِدُ المَوْتِ أم الكَوْثَرُ؟ (٧)

وهٰذه جُنْدٌ أطاعُوا هَوَى * أربابِهِمْ ، أم نَعَمٌ تُنْحَرُ؟ (٨)

---

(١) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . (٢) الميكادو : لقب الملك اليابان .
(٣) الحوّل : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى أخرى . والقلب : البصير بتقلب الأمور .
(٤) تدأب : تجدّ فى طلبها . (٥) الشأو : الغاية . (٦) هى تلك الحرب التى نشبت بين اليابان والروس بسبب احتلال الروس لمنشوريا ، وبدأت بنسف اليابانيين جزءا من الأسطول الروسى فى ميناء بورت أرثر فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م ، وانتهت فى سبتمبر سنة ١٩٠٥ م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان فى كوريا ، وبجلاء الروس من منشوريا ، وبشروط أخرى فى صالح اليابانيين . (٧) الكوثر : النهر ، وسمى به نهر فى الجنة . شبه (فى الشطر الأول) كثرة المتحاربين وازدحامهم على القتال بازدحام الناس يوم المحشر ؛ وشبه فى الشطر الثانى استعذاب الناس للموت باستعذابهم للكوثر . (٨) النعم : الإبل والشاء والبقر . يريد أن الأرواح قد رخصت فى هذه الحرب وكثر القتل فى الجنود حتى لم تتبين إن كان هؤلاء بشرا يجب حقن دمائهم أو أنعاما تنحر .

لِلّٰهِ ما أَقْسَى قُلوبَ الأُلَى * قاموا بِأَمْرِ ٱلْمُلْكِ وٱستأْثَرُوا !

وغَرَّهُمْ فى الدَّهْرِ سُلْطانُهُمْ * فَأَمْعَنُوا (١) فى الأَرْضِ وٱستعمروا

قد أَقْسَمَ البِيضُ (٢) بِصُلْبانِهِمْ * لا يَهْجُرُونَ الموتَ أَو يَنْصُروا

وأَقْسَمَ الصُّفْرُ (٣) بِأَوْثانِهِمْ * لا يُغْمِدُونَ السَّيفَ أَو يَظْفَرُوا

فَـادَتِ (٤) الأَرضُ بِأَوْتادِها * حِينَ ٱلْتَقَى الأَبْيَضُ والأَصْفَرُ

وأَمْطَرَتْها خَمْرَةً مِنْ دَمٍ * يَلْهُو بِها (المِيكادُ) والقَيْصَرُ

وأَشْبَهَتْ (٥) يومَ الوَغَى أُخْتَها * إِذْ لاحَ فِيها الشَّفَقُ الأَحْمَرُ

وأَصْبَحَتْ تَشْتاقُ طُوفانَها * لَعَلَّها مِنْ رِجْسِها (٦) تَطْهُرُ

أَشْبَعْتِ ياحَرْبُ ذِئابَ الفَلا * وغَصَّتِ (٧) العِقْبانُ والأَنْسُرُ

ومِيرَتِ (٨) ٱلْحِيتانُ فى بَحْرِها * ومَطْمَعُ الإنسانِ لا يُقْدَرُ

إِنْ كانَ هٰذا الدُّبُّ لا يَنْثَنِى * وذٰلِكَ ٱلتِّنِّينُ (٩) لا يُقْهَرُ

---

(١) أمعن : بالغ وأبعد . (٢) يريد «بالبيض» : الروس .

(٣) يريد «بالصفر» : اليابانيين . (٤) مادت : تحركت وٱضطربت . وأوتاد الأرض : جبالها . (٥) الضمير فى «أشبهت» للأرض . ويريد «بأختها» : السماء .

(٦) الرجس : النجس . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول المعرى :

والأرض للطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل

(٧) غصت : امتلأت وتخمت . والعقبان : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح . والأنسر : جمع نسر . يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى . (٨) ميرت ، أتى لها بالميرة ، أى بالطعام من جثث القتلى . ولا يقدر ، أى لا يحد ولا ينتهى . (٩) التنين : الحية العظيمة . ويشير (بالدب) إلى روسيا ، و(بالتنين) إلى اليابان .

والبِيضُ لا تَرضَى بخِذلانِها * والصُّفْرُ بعدَ اليومِ لا تُكسَر

فما لتلكَ الحربِ قد شَمَّرتْ * عن ساقِها حتّى قَضَى العَسْكَر (١)

سالَتْ نُفوسُ القومِ فوقَ الظُّبا * فسالَتِ البَطحاءُ والأَنْهُر (٢)

وأَصبحَتْ (مكدن) ياقوتةً * يَغارُ منها الدُّرُّ والجَوْهَر (٣)

ياقوتةً قد قُوِّمَتْ بينهم * بأنفُسٍ كالقَطْرِ لا تُحصَر (٤)

أَعْيَى رَسُولَ الموتِ ما بينها * حَيرانَ لا يَدرِي بما يُؤمَر

عِزْرِيلُ، هل أَبصَرتَ فيما مَضَى * ـوأنتَ ذاكَ الكَيِّسُ الأَمْهَر

كذلكَ المِدْفَعِ في بَطْشِه * إذا تَعالَى صَوتُه المُنكَر؟ (٥)

تَراهُ إن أَوفَى على مُهجَةٍ * لا الدِّرْعُ يَثْنِيه ولا المِغْفَر (٦)

أَمسَى (كُرُوبَتْكين) في غَمْرةٍ * وباتَ (أُويامَا) له يَنْظُر (٧)

---

(١) قضى : هلك . ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا في الشجاعه والقوة ، وصممت كلتاهما على ألا تخـذل ، ففيم الحـرب وإراقة الدماء ، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون منتصر ومنهزم . (٢) الظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف أو السنان . والبطحاء : مسيل الماء فيه دقاق الحصى ، ويريد به هنا : الفضاء المتسع . (٣) مكدن : مدينة مشهورة في منشوريا ، وكانت بها الموقعة الفاصلة التي بدأت بيوم ٦ مارس سنة ١٩٠٥ م . واستمرت خمسة أيام ، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل ، بين قتيل وجريح ، وأسر فيها من الروس أربعون ألفا . يقول : إن هذا البلد قد غطيت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها ياقوتة حمراء تزرى بالدر والجوهر . (٤) يريد « بالأنفس » في هذا البيت : من قتل في هذه المدينة من الفريقين .

(٥) كذلك ، متعلق «بأبصرت» . (٦) أوفى : أشرف . والمغفر : زرد يلبس تحت القلنسوة .

(٧) كروباتكين : قائد الروس في تلك الحرب . وأوياما : قائد اليابان . والغمرة : الشدة التي تغمر الناس ، أي تعمهم وتشملهم .

وظلّت (الرّوسُ) على جَمْرةٍ * والمجدُ يَدعُوهُمُ ألا فاصبِروا

وذلكَ الأسطُولُ ما خطْبُه * حتّى عراهُ الفَزَعُ الأكبرُ؟ (١)

أكلّما لاحَ لهُ سابحٌ * تحتَ الدُّجى أو قاربٌ يَمخُرُ (٢)

ظَنَّ به (طُوجُو) فأهْدَى له * تحيّةً (طُوجُو) بها أخبَرُ؟ (٣)

تحيّةً مِن واجدٍ شَيِّقٍ * أنفاسُه مِن حَرِّها تَزفِرُ (٤)

فهل دَرَى القَيصَرُ في قَصرِه * ما تُعلِنُ الحربُ وما تُضمِرُ؟ (٥)

فكَمْ قَتِيلٍ باتَ فوقَ الثَّرى * يَنتابُه الأُظْفُورُ والمِنسَرُ (٦)

وكم جَريحٍ باسِطٍ كفَّه * يَدعُو أخاه وهو لا يُبصِرُ

وكم غَريقٍ راحَ في لُجّةٍ * يَهوِي بها الطَّودُ فلا يَظهَرُ (٧)

وكم أسيرٍ باتَ في أسرِه * ونفسُه مِن حَسرةٍ تَقطُرُ

إنْ لَم تَروْا في الصُّلحِ خيرًا لكُمْ * فالدّهرُ مِن أطماعِكُمْ أقصرُ

---

(١) يريد «بالأسطول» : أسطول روسيا . (٢) يمخر : يشق عباب الماء .

(٣) طوجو : أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوة ، وهو الذى نسف أسطول بحر البلطيق الروسى فى موقعة تسوشيما فى ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥ م ، وقضى بذلك على كل أمل الروس فى هذه الحرب .

(٤) يريد «بالواجد الشيق» : المدفع . ويريد «بالتحية» : ما يصبه المدفع على السفينة من مقذوفاته ؛ ولا يخفى ما فى هذا من التهكم . (٥) يقول : هل علم القيصر وهو نائم مطمئن فى قصره بويلات الحرب ، ما ظهر منها وما بطن ، فيثنيه ذلك عن إثارتها والاستمرار فيها . (٦) الأظفور : الظفر . والمنسر (كمجلس ومنبر) : منقار الطائر . يقول : إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نهبا للسباع المفترسة والطيور الكاسرة . (٧) اللجة : معظم البحر . والطود : الجبل العظيم . يصف اللجة بالعمق بحيث لو هوى فيها الجبل لم يظهر .

تَسُوءُنا الحَرْبُ وإنْ أَصبحتْ * تدعو رِجالَ الشَّرقِ أنْ يفخَروا

أَنَّى على الشَّرقِ حينٌ إذا * ما ذُكِرَ الأَحياءُ لا يُذْكَرُ

ومَرَّ بالشَّرقِ زمانٌ وما * يَمُرُّ بالبالِ ولا يَخْطُرُ

حتّى أعادَ (الصُّفْرُ) أيّامَه * فانتصفَ الأَسْوَدُ والأَسْمَرُ

فرحمةُ اللهِ على أُمّةٍ (١) * يَرْوِي لها التاريخُ ما يُؤْثَرُ

الى الامبراطورة أوچينى (٢)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى هذه الامبراطورة، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متنكرة تنزل فى فندق سافواى ببورسعيد، ومجيئها قبل ذلك فى سنة ١٨٦٩ فى افتتاح قناة السويس، واستقبال الخديوى اسماعيل إياها استقبالا فخما .

[نشرت فى ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أَيْنَ يومُ (القَنالِ) (٣) يا رَبّةَ التا * جِ ويا شمسَ ذلكَ المِهْرَجانِ ؟

أينَ مُجْرِى القَنالِ (٤) أينَ مُمِيتُ الـ * ـمالِ أينَ العزيزُ ذو السُّلْطانِ ؟

---

(١) يريد «بالأمة» هنا : مصر ، يتحسر عليها و يندب ما ضيها .

(٢) ولدت أوجينى فى غرناطة فى ٥ مايو سنة ١٨٢٦م . وفى ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوجها نابليون الثالث ؛ وكانت فيمن حضر الى مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ؛ وقد أنفق الخديوى اسماعيل باشا فى استقبالها الكثير من المال ؛ وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا الى إنجلترا ، ثم تركت إنجلترا إلى مدريد ، وبها ماتت فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٠ م .

(٣) المهرجان : عيد للفرس ، ويطلق الآن على كل عيد .

(٤) مجرى القنال ، يريد اسماعيل باشا الخديوى . وإماتة المال : كناية عن الإسراف والاتساع فى البذل .

أين هارُونُ مِصْرَ؟ أين أبو الأشـ * ـبالِ رَبُّ القُصورِ رَبُّ القِيانِ؟ (١)

أينَ لَيْثُ الجَزِيرَةِ (ابنُ علِيٍّ) * واهِبُ الأَلْفِ مُكْرِمُ الضِّيفانِ؟ (٢)

أين ذا القَصْرُ بالجزيرةِ تجرِى * فيه أرزاقُنا وتُجْبَى الأَمانِى؟

فيه للنَّحْسِ كَوْكَبٌ مُسْرِعُ السَّيْـ * ـرِ وللسَّعْدِ كوكبٌ مُتَوانِى (٣)

قد جَرَى النِّيلُ تحتَه بخُشُوعٍ * وانْكِسارٍ وهابَهُ الفَتَيانِ (٤)

كنتَ بالأمسِ جَنَّةَ الحُورِ يا قَصْـ * ـرُ فأَصْبَحْتَ جَنَّةَ الحَيَوانِ

خَطَرَ اللَّيْثُ فى فِنائِكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَسْرَحًا لِحِسانِ (٥)

وعَوَى الذِّئْبُ فى نَواحِيكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَعْقِلًا لِلِّسانِ (٦)

وحَباكَ الزُّوّارُ بالمالِ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَصْدَرَ الإحْسانِ (٧)

كنتَ تُعْطِى، فمالَكَ اليومَ تُعْطَى * أينَ بانيكَ؟ أينَ رَبُّ المَكانِ؟

إنْ أطافَتْ بكَ الخُطوبُ فهذِى * سُنَّةُ الكَوْنِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمانِ

---

(١) هارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف ، وشبه به إسماعيل فى ترفه وجاهه وسعة سلطانه ، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والغناء ، وما عرف به من كرم وسخاء . والأشبال : أولاد إسماعيل . والقيان : الإماء المغنيات .

(٢) يشير بقوله : «ليث الجزيرة» الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذى صار حديقة الحيوان ، كما سيشير الشاعر الى ذلك بعد . وابن على ، لأنه حفيد محمد على .

(٣) يريد أن صاحب هذا القصر اذا غضب فسرعان ما يزول غضبه ، وإذا أقبل طال إقباله ، فكأنه فى غضبه كوكب نحس ما طلع حتى غاب ، وفى رضاه كوكب سعد طويل الإقامة ، بطىء السير .

(٤) الفتيان : الليل والنهار؛ يريد الدهر .

(٥) الفناء : الساحة .

(٦) معقل للسان ، أى حابس له عن الكلام هيبة لصاحب القصر وخوفا من بطشه .

(٧) حباه : أعطاه . يشير إلى ما يدفعه كل داخل إلى حديقة الحيوان .

(١)
رُبَّ بانٍ نأى، ورُبَّ بناءٍ * أسلمته النوى إلى غير باني
(٢)
تلك حالُ الإيوانِ يا ربّة التا * ج فما حالُ صاحبِ الإيوانِ؟
(٣)
قد طواه الرّدى ولو كان حيًّا * لَمشى فى رِكابِك الثقلانِ
(٤)
وتولّتْ حِراسةَ الموكبِ الأسْـ * ـنى نجومُ السّماءِ والنّيّرانِ

إن يكن غابَ عن جبينِك تاجٌ * كان بالغربِ أشرفَ التّيجانِ

فلقد زانَكِ المشيبُ بتاجٍ * لا يُدانيه فى الجلالِ مُدانى

ذاكَ مِنْ صَنْعَةِ الأنامِ وهذا * مِن صنيعِ المُهيمنِ الدّيّانِ
(٥)
كنتِ بالأمسِ ضَيْفَةً عندَ مَلْكٍ * فأنزِلى اليومَ ضَيْفَةً فى خانِ
(٦)
وأعذرينا على القُصورِ، كلانا * غيّرته طوارئُ الحِدْثانِ

---

(١) نأى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب بانى الدار ويخلفه عليها من لم يبنها .

(٢) يريد «بالإيوان» : القصر، وهو فى الأصل الصفة العظيمة؛ أعجمى معرب .

(٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنس والجن . ويشير بهذا البيت والذى بعده الى ما كان أعدّه لها اسماعيل باشا حين حضرت الى مصر سنة ١٨٦٩ م، فى مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الحفاوة والإكرام .

(٤) الأسنى، من السناء، وهو الرفعة . والنيران : الشمس والقمر .

(٥) الخان : الحانوت . ويريد به هنا : الفندق . يريد أنها بعد أن كانت تنزل فى قصر ملك أصبحت تنزل فى الفنادق حيث ينزل عامة الناس .

(٦) القصور : التقصير . والحدثان (بكسر الحاء وسكون الدال) : النوائب .

عيد تأسيس الدولة العلية

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى فندق (الكونتنتال) فى مساء الجمعة ٢٦ ينـاير سنة ١٩٠٦ م

أَيُحْصِى معانيكَ القَرِيضُ المُهَـذَّبُ * على أنّ صَـدْرَ الشِّعْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ

لقد مَكَّنَ الرَّحْمٰنُ فى الأَرْضِ دَوْلَةً * لِعُثْمانَ[1] لا تَعْفُـو ولا تَتَشَـعَّبُ

بَنَـاهـا فظَنَّتْهـا الدَّرارِى[2] مَنَـازِلًا * لِبَـدْرِ الدُّجَى تُبْـنَى ولِلسَّعْدِ تُنْصَبُ

وقَـامَ رِجالٌ بالإمامَـةِ بَعْـدَه * فَـزادُوا على ذَاكَ البِنـاءِ وطَنَّبُـوا[3]

ورَدُّوا على الإسْـلامِ عَهْـدَ شَبابِه * ومَـدُّوا له جاهًـا يُرَجّى ويُرْهَبُ

أُسُـودٌ على البُسْفُورِ تَحْمِى عَرِينَهـا[4] * وتَرْعَى نِيـامَ الشَّرقِ والغَرْبُ يَرْقُبُ

لهـا وَثَبـاتٌ تحت ظِـلِّ هِلالِهـا[5] * كما مَرَّ سَـهْمٌ أَو كما انْقَضَّ كَوْكَبُ

إذا راعَها[6] مَسٌّ مِنَ الضَّيْمِ خِلْتَهـا * كَمَنْ راعَه بالمَسِّ سِلْكٌ مُكَهْرَبُ

وإنْ هَزَّها ذاكَ الهِلالُ لحادِثٍ * رأيتَ قَضـاءَ اللهِ يَمْشِى ويَرْكَـبُ[7]

إذا ضاعَتِ الأَحْسابُ يومًا لِمُعْـرِقٍ[8] * فعُثْمانُ خَـيْرُ الفاتِحِـينَ لهم أَبُ

---

(١) عثمان ، هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانيـة ، وإليه تنسب؛ ولد سـنة ٦٥٦ هـ، وتولى السلطنة سـنة ٦٩٩ هـ ، وتوفى سـنة ٧٢٦ هـ . وتعفو : تنـدثر وتمحى . وتتشعب : تتفرق .

(٢) الدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الكواكب المضيئة الصافية البياض ، الواحد درى .

(٣) طنبوا البناء : مكنوه وزادوه متنة وقوة . وأصل التطنيب : شدّ الخيمة بالأطناب ، وهى الحبال .

(٤) العرين : مأوى الأسـد . (٥) يريد « بهلالها » : رايتها المرسوم فيها الهلال ، وهو شعار الدولة العثمانية . (٦) راعها : أفزعها . (٧) يشير بقوله « يمشى ويركب » : إلى مشاة الجيش وفرسانه . (٨) المعرق : الذى له عرق وأصل فى الكرم .

وإن تاهَ بالأبناءِ والبأسِ والِدٌ * فأولى الورى بالتِّيه ذاك المعَصَّبُ (١)

فهذا سُلَيمانٌ وقانونُ عدلِه * على صفحاتِ الدهرِ بالتِّبرِ يُكتَبُ (٢)

وذاكَ الذي أجرى السَّفينَ على الثَّرى * وسارَ له في البرِّ والبحرِ مَركَبُ (٣)

على بابِه العالي هُناكَ تألَّقَتْ * سُطورٌ لأقلامِ الجلالةِ تُنسَبُ (٤)

هُنا فاخفِضُوا الأبصارَ عرشُ محمدٍ * هُنا الفاتحُ الغازي الكَمِيُّ المُدَرَّبُ (٥)

وما كانَ مِنْ (عبدِ المجيدِ) إذ احتَمى * بأكنافِه (كُوشُوطُ) والخطبُ غَيهَبُ (٦)

(١) المعصب : المتوج . (٢) سليمان ، هو سليمان القانونى ، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ، وهو ابن السلطان سليم . ولد سنة ٩٠٠ هـ . وتولى الملك سنة ٩٢٦ هـ . ومات سنة ٩٧٤ هـ . وقد لقب بالقانونى لأنه وضع قانونا للدولة تسير على مقتضاه .

(٣) يشير بهذا البيت الى الطريقة التى اتبعها محمد الفاتح فى مهاجمة القسطنطينية ، وتسييره سفنه على البر حتى وصل بها إلى القرن الذهبى . (٤) تألقت : أضاءت ولمعت . (٥) الكمى : الشجاع . ومحمد ، هو محمد الملقب بالفاتح ، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان . ولد سنة ٨٣٣ هـ . وتولى الملك سنة ٨٥٥ هـ وهو فى الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالتأهب لفتح القسطنطينية . وفى سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م تم له فتحها ؛ وتوفى فجأة سنة ٨٨٦ هـ . ومدة ملكه إحدى وثلاثون سنة .

(٦) الغيهب : الشديد السواد . وعبد المجيد ، هو السلطان الحادى والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، ولد سنة ١٢٣٧ هـ ، وتولى السلطنة سنة ١٢٥٥ هـ بعد وفاة أبيه السلطان محمود ، وتوفى سنة ١٢٧٧ هـ ، ومدة جلوسه اثنان وعشرون عاما . ويشير الشاعر بهذا البيت والذى بعده إلى ما حدث سنة ١٨٤١ م ، وذلك أن جماعة من الفارين ، ما بين بولونيين ومجريين ، التجأوا إلى البلاد العثمانية ليتمتعوا فيها بالسكون والهدوء ، بعد أن نالهم الشيء الكثير من الظلم والاضطهاد والعذاب على أيدى النمساويين والروس الذين قمعوا الثورات الناشبة فى بولونيا والمجر ، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون ، منهم (كوشوط) المجرى المذكور فى هذا البيت ؛ وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر ، فطلبت النمسا والروسيا من الدولة العثمانية تسليمهم ، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن هذا التسليم لا تقره شريعة ولا خلق ، وعضده فى ذلك سفير بريطانيا إذ ذاك ، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة العلية وبين النمسا وروسيا ؛ ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزى والفرنسى فى مياه الدردنيل لتفاقم الخطب ووقعت الحرب .

يُناديهم : أمّا نزيلي فدونه * حياتي ، وأمّا صارمي فمُشطّبُ (١)

فإنْ كانت الحُسنَى فإنّي سماؤها * وإنْ كانت الأُخرى فشُدّوا وجرّبوا

كذلك كانوا يستقرّون في الذُّرا * وأعداؤهم في الغرب تشقى وتُنكَبُ (٢)

فكم طلبوا منهم أماناً فأمّنوا * وأمسى لهم في الشرق مَسرًى ومَسرَبُ (٣)

فكان أمانَ القومِ والشرقُ مشرقٌ * فأضحى امتيازَ القومِ والشرقُ مغربُ (٤)

يقولون : في هذي الربوع تعصُّبٌ * وأيُّ مكانٍ ليس فيه تعصُّبُ؟

فيا شرقُ إنّ الغربَ إنْ لانَ أو قسا * ففيه من الصّهباء طبعٌ مُذَوَّبُ (٥)

نخفُّ بأسها في الرأسِ والرأسُ يصطلي * وخفّ ضعفها في الكأسِ والكأسُ تُطرِبُ

ويا غربُ إنّ الدهرَ يطفو بأهلِه * ويطويه تيّارُ القضاءِ فيرسُبُ (٦)

أراكَ مقرَّ الطامعين كأنّما * على كلِّ عرشٍ من عروشك (أشعبُ) (٧)

---

(١) الصارم : السيف القاطع . والمشطب : الذي فيه شطب ، وهي الخطوط والطرائق التي في نصله .

(٢) الذرا : جمع ذروة (بالكسر والضم) ، وهي المكان المرتفع .

(٣) الضمير في «طلبوا» يعود على قوله «أعداؤهم» في البيت السابق . ومنهم ، أي من آل عثمان . والمسرب : المذهب والطريق .

(٤) يريد « بالقوم » : الافرنج . ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما نالوه من بعض سلاطين آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم في بلاد الشرق ، أيام قوة الدولة العثمانية ، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تمسك بها الغربيون وأوذيت بها تركيا ورعاياها .

(٥) الصهباء : الخمر . (٦) يطفو : يعلو . ويرسب : يهبط ويسفل .

(٧) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ؛ ويضرب به المثل في الطمع ، فيقال : « أطمع من أشعب » .

حادثة دنشواى (١)

[نشرت فى ٢ يوليه سنة ١٩٠٦ م]

أيها القائمون بالأمرِ فينا * هل نسيتم ولاءنا والودادا (٢)

خفّضوا جيشكم ونامُوا هنيئًا * وابتغوا صيدكم وجُوبوا البلادا (٣)

وإذا أعوزتكم ذاتُ طوقٍ * بين تلك الرُّبا فصيدوا العبادا (٤)

إنما نحن والحمامُ سواءٌ * لم تُغادرْ أطواقُنا الأجيادا (٥)

لا تظنُّوا بنا العقوقَ ولكن * أرشدُونا إذا ضللنا الرَّشادا

لا تُقيدُوا من أمةٍ بقتيلٍ * صادَت الشمسُ نفسَهُ حين صادا (٦)

جاءَ جهالُنا بأمرٍ وجئتم * ضِعفَ ضِعفَيهِ قسوةً واشتدادا

---

(١) فى يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ م ، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواى بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا ، لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومى فيها ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف ؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين ، وجلد وحبس ثمانية منهم . ونفذ الإعدام والجلد فى نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله ، وكان فى ذلك الحكم وفى تنفيذه من القسوة ما أثار الأنفس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش فى النفوس من أسى وحسرة .

(٢) الخطاب فى هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٣) جاب البلاد : قطعها .

(٤) ذات الطوق : الحمامة المطوقة ، لأن لها طوقا حول عنقها ، وهو لون يخالف سائر لونها .

(٥) يريد « بالأطواق » فى هذا البيت : أغلال الأسر والاستعباد . والأجياد : الأعناق ؛ الواحد جيد .

(٦) يقال : أقاد الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما قرره الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزى كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

أَحسِنُوا القَتلَ إن ضَنِنتُم بِعفوٍ * أَقِصاصًا أَردتُمُ أم كِيادَا؟

أَحسِنُوا القَتلَ إن ضَنِنتُم بِعفوٍ * أَنفُوسًا أَصَبتُمُ أم جَمادَا؟

لَيتَ شِعرِي أتِلكَ (مَحكَمَةُ التَفـ * ـتِيشِ) عادَت أم عَهدُ (نِيرُونَ)(١) عادَا؟

كيف يَحلُو مِنَ القَوِيِّ التَّشَفِّي * مِن ضَعِيفٍ أَلقَى إليه القِيادَا؟

إنَّها مُثْلَةٌ(٢) تَشُفُّ عن الغَيـ * ـظِ ولَسنا لِغَيظِكُم أَندادا

أَكرِمُونا بأَرضِنا حيثُ كُنتُم * إنّما يُكرِمُ الجَوادُ الجَوادا

إنّ عِشرِينَ حِجّةً(٣) بعدَ خَمسٍ * عَلَّمَتنا السُّكونَ مَهما تَمادَى

أُمَّةُ النِّيلِ أَكبَرَت أَن تُعادِي * مَن رَماها وأَشفَقَت(٤) أن تُعادَى

ليس فِيها إلّا كَلامٌ وإلّا * حَسرَةٌ بعدَ حَسرَةٍ تَتَهادَى

* * *

أَيُّها المُدَّعِي العُمُومِيُّ(٥) مَهلًا * بعضَ هذا فقد بَلَغتَ المُرادَا

قد ضَمِنّا(٦) لك القَضاءَ بِمِصرٍ * وضَمِنّا لِنَجلِكَ الإسعادَا

---

(١) تعرف محاكم التفتيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحراقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم فى اضطهاد العرب فى اسبانيا فى آخر أيامهم بها حتى تمّ جلاؤهم عنها فى سنة ١٦٠٩ م. ونيرون، هو الملك الرومانى المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد؛ ومما ينسب اليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها، فيسر بهذا المنظر كأنما ينظر الى رواية تمثل فى ملهى من الملاهى. (٢) المثلة (بالضم): التنكيل. وتشف: تكشف وتبين. والأنداد: النظراء؛ الواحد ند (بكسر النون). (٣) الحجة: السنة. (٤) أشفقت: خشيت. (٥) المدعى العمومى: ابراهيم الهلباوى بك. (٦) يشير الى ما كان يقال من أن الهلباوى بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الإنجليز فى هذه الحادثة.

فإذا ما جَلَسْتَ للحُكْم فاذكُرْ * عَهْدَ (مِصْرٍ) فقد شَفَيْتَ الفُؤادَا

لا جَرَى النِّيلُ فى نَواحِيكِ يا (مِصْـ * ـرُ) ولا جادَكِ الحَيا[1] حيثُ جادا

أنتِ أَنْبَتِّ ذلكَ النَّبْتَ يا (مِصْـ * ـرُ) فأَضْحَى عليكِ شَوْكًا قَتادَا[2]

أنتِ أَنْبَتِّ ناعِقًا[3] قامَ بالأَمْـ * ـسِ فأَدْمَى القُلُوبَ والأَكْبادَا

إيهِ يا مِدْرَهَ[4] القَضاءِ ويا مَنْ * سادَ فى غَفْلَةِ الزَّمانِ وَشَادَا

أنتَ جَلّادُنا فلا تَنْسَ أَنّا * قد لَبِسْنا على يَدَيْكَ الحِدادَا

استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواى[5]

[نشرت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

(قَصْرَ الدُّبارَةِ) هل أتاكَ حَديثُنا * فالشَّرْقُ رِيعَ[6] له وضَجَّ المَغْرِبُ

أهْلًا بساكِنِكَ الكريمِ ومَرْحَبًا * بعدَ التَّحِيَّةِ إنّنى أَتَعَتَّبُ[7]

نَقَلَتْ لنا الأَسْلاكُ عنكَ رِسالةً * باتَتْ لها أَحْشاؤُنا تَتَلَهَّبُ

---

(١) الحيا : المطر . (٢) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر . يخاطب مصر بأنها أحسنت إلى بعض أبنائها وبرّت بهـم ، فأساءوا إليها وجحدوا نعمتها . (٣) يريد « بالناعق » : المدعى العمومى فى هذه القضية . والنعيق (بالعين المهملة ، وفى كتب اللغة أنه بالغين المعجمة أفصح) : صياح الغراب . (٤) المدره : خطيب القوم والمتكلم عنهم . (٥) انظر الكلام على الحادثة التى وقعت فى هذا البلد (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) . (٦) ريع (بالبناء للجهول) : من الروع ، وهو الفزع . يخاطب فى هذا البيت القصر مريدا صاحبه . (٧) التعتب ، هو تواصف الموجدة ، ومخاطبة المدلين أخلّاءهم طالبين حسن مراجعتهم ، ومذاكرتهم ما كره بعضهم من بعض .

ماذا أقولُ وأنتَ أَصْدَقُ ناقِلٍ * عنّا ولكنَّ السِّياسةَ تكْذِبُ (١)

عَلَّمْتَنا معنَى الحَياةِ فما لَنا * لا نَشْرَئِبُّ لها وما لَكَ تَغْضَبُ (٢)

أَنَقَمْتَ منّا أنْ نُحِسَّ ؟ وإنّما * هذا الذى تَدْعُو إليه وتَنْدُبُ (٣)

أنتَ الّذى يُعْزَى إليه صَلاحُنا * فيما تُقَرِّرُه لديْكَ وتَكْتُبُ (٤)

إنْ ضاقَ صَدْرُ النِّيلِ عمّا هالَه * يومَ الحَمامِ فإنّ صَدْرَكَ أَرْحَبُ (٥)

أوَكُلَّما باحَ الحَزِينُ بأَنَّةٍ * أَمْسَتْ إلى معنَى التَّعَصُّبِ تُنْسَبُ ! (٦)

رِفْقًا عَميدَ الدَّوْلَتَيْنِ بأُمّةٍ * ضاقَ الرَّجاءُ بها وضاقَ المَذْهَبُ (٧)

رِفْقًا عَميدَ الدَّوْلَتَيْنِ بأُمّةٍ * لَيْسَتْ بغَيْرِ وَلائِها تَتَعَذَّبُ

إنْ أرهَقُوا صَيّادَكُمْ فلَعَلَّهُمْ * لِلْقُوتِ لا لِلْمُسلِمِينَ تَعَصَّبُوا (٨)

ولَرُبَّما ضَنَّ الفَقِيرُ بقُوتِه * وسَخَا بمُهْجَتِه على مَنْ يَغْصِبُ (٩)

---

(١) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر نقلها البرق إلى الصحف المصرية، وفيها يطعن على المصريين ويصفهم بأنهم لايرعون جميلا. (٢) تشرئب لها: تتطلع إليها. والاشرئباب (فى الأصل) : مد العنق للنظر. (٣) ندبه إلى الأمر : دعاه إليه.

(٤) يعزى : ينسب. يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر فى تقريراته من أنه هو الذى جلب الخير والرفاهية لمصر. (٥) يوم الحمام، أى يوم صيد الحمام الذى سبب حادثة دنشواى المعروفة.

(٦) الأنة : من الأنين، وهو التأوه. ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين فى مصر من التعصب الدينى، وأن ذلك التعصب كان السبب فى قتل الإنجليز فى دنشواى. (٧) عميد الدولتين، أى عميد الدولة الإنجليزية والمصرية. (٨) أرهقوا صيادكم : اعتدوا عليه وآذوه. ويريد «بالصياد» : أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الحمام فى دنشواى ولاقى حتفه هنالك.

(٩) ضن : بخل. وسخا بمهجته ... الخ، أى بذل نفسه فى دفع من يغصبه طعامه. ويشير بهذا الى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أجران القمح هنالك.

فى (دِنْشِواى) وأنتَ عنّا غائبٌ * لَعِبَ القضاءُ بنا وعزّ المَهْرَبُ

حَسِبُوا النُّفُوسَ مِنَ الحَمامِ بَديلَةً * فتسابَقُوا فى صَيْدِهنّ وصَوَّبوا (١)

نُكِبُوا وأَقْفَرَتِ المنازلُ بعدَهُمْ * لو كنتَ حاضرَ أمرِهِمْ لَمْ يُنْكَبُوا

خَلَّيتَهُمْ والقاسِطُونَ بمَرْصَدٍ * وسِياطُهُمْ وحِبالُهُمْ تَتأهَّبُ (٢)

جُلِدُوا ولو مَنَّيْتَهُمْ لتعلّقوا * بحِبالِ مَنْ شُنِقُوا ولَمْ يَتَهَيَّبوا (٣)

شُنِقُوا ولَوْ مُنِحُوا الخِيارَ لأَهَّلُوا * بلَظَى سِياطِ الجالِدِينَ ورَحَّبُوا (٤)

يَتَحاسَدُونَ على المَماتِ، وكأسُهُ * بينَ الشِّفاهِ وطَعْمُهُ لا يَعْذُبُ

مَوْتانِ : هٰذا عاجِلٌ مُتَنَمِّرٌ * يَرْنُو، وهٰذا آجِلٌ يَتَرَقَّبُ (٥)

والمُسْتَشارُ مُكاثِرٌ بِرِجالِهِ * ومُعاجِزٌ ومُناجِزٌ ومُحَزِّبُ (٦)

يَخْتالُ فى أنحائِها مُتَبَسِّماً * والدَّمْعُ حَوْلَ رِكابِهِ يَتَصَبَّبُ

---

(١) يقال : صوّب السهم نحو الرمية (بتشديد الياء)، إذا سدّده .

(٢) القاسطون : الظالمون الجائرون عن الحق، قال الله تعالى : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) . والمرصد : المرقب .

(٣) منيتهم، أى خيرتهم فيما يتمنونه من أخف أنواع العذاب .

(٤) أهلوا ورحبوا، أى قالوا : أهلا ومرحبا . ومعنى البيتين : أن كلا من جلد وشنق رأى فى عذابه من الشدّة ما تمنى معه أن يستبدل به عذاب أخيه . واللظى : النار؛ وقيل : لهبها . (٥) المتنمر : الغاضب، تشبيها له بالنمر، لأن من عادته ألا يلقاك دائما إلا متنكرا غضبان . ويرنو : ينظر .

(٦) يريد «بالمستشار» هنا : المستر بوند الإنجليزى، وهو من قضاة المحكمة التى حكمت على متهمى دنشواى . والمعاجز : من عاجزت الرجل، اذا أتيت بما يجعله عاجزا . والمناجز : المقاتل المبارز . ومحزب، أى مفرق أعوانه، فبعضهم يتولى أمر الجلد، والبعض يتولى أمر الشنق ... الخ .

طاحُوا بأربعةٍ فأردَوْا خامسًا (١) * هُوَ خيرُ ما يرجو العميدُ ويطلبُ

حُبٌّ يحاولُ غرسَه فى أنفسٍ * يُجنَى بمغرسِها الثناءُ الطيّبُ

كُنْ كيفَ شئتَ ولا تكِلْ أرواحَنا * للمُستشارِ فإنّ عدْلَكَ أخصبُ

وأفِضْ على (بُنْيدٍ) إذا وَلِىَ القضا * رِفقًا يهشُّ له القضاءُ ويطربُ

قد كان حولَكَ مِنْ رجالِكَ نُخبةٌ * ساسُوا الأمورَ فدرّبوا وتدرّبوا

أقصيتَهم عنّا (٢) وجئتَ بفتيةٍ * طاشَ الشبابُ بهمْ وطارَ المنصبُ

فاجعلْ شعارَكَ رحمةً ومودّةً * إنّ القلوبَ مع المودّةِ تُكسَبُ

وإذا سُئلتَ عن الكنانةِ قُلْ لهم * هى أمّةٌ تلهو وشعبٌ يلعبُ

واستبقِ غفلتَها ونَمْ عنها تنَمْ * فالناسُ أمثالُ الحوادثِ قُلَّبُ (٣)

شكوى مصر من الاحتلال

[نشرت فى أوّل يناير سنة ١٩٠٧ م]

لقد كان فينا الظُّلمُ فوضَى فهُذِّبتْ * حواشيه (٤) حتّى باتَ ظُلمًا منظّما

تَمُنُّ (٥) علينا اليومَ أنْ أخصبَ الثّرَى * وأنْ أصبحَ المصرىُّ حرًّا منعّما

---

(١) طاحوا بأربعة، أى ذهبوا بنفوسهم. وأردوا: أهلكوا. ويريد «بالخامس»: الحب المذكور فى البيت الآتى.

(٢) أقصيتهم: أبعدتهم. وطار المنصب، أى خفت أحلامهم من الغرور بمناصبهم.

(٣) قلب، أى متقلبون لا يثبتون على حال واحدة. والذى وجدناه فى كتب اللغة أن القلب: صفة للفرد أى المتقلّب كيف شاء، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ، ومنه قول الشاعر:

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟

(٤) الحواشى: النواحى. وتهذيبها: إصلاحها.

(٥) تمن: يخاطب عميد الدولة الإنجليزية. ويشير الى ما كان يكتبه ذلك العميد فى تقريراته من صلاح حال مصر ورفاهتها بفضل الإنجليز.

أَعُدُّ عَهْدَ (إسماعيلَ) جَلْدًا وسُخْرَةً (١) * فإنّي رأيتُ المَنَّ أنكى وآلمَا

عَمِلتُمْ على عِزّ الجمادِ وذُلِّنا * فأغليتُمُ طِيناً وأرخَصتُمُ دَمَا

إذا أخْصَبَتْ أرضٌ وأجْدَبَ أهلُها * فلا أطلَعَتْ نَبْتاً ولا جادَها السَّما (٢)

نَهَشُّ الى الدِّينارِ حتّى إذا مَشَى (٣) * بِهِ رَبُّهُ لِلسُّوقِ ألفاهُ دِرْهَما

فلا تَحسَبوا في وَفْرَةِ المالِ لَمْ تَفِدْ * مَتاعًا ولم تَعصِمْ مِنَ الفَقرِ مَغْنَما

فإنَّ كثيرَ المالِ والخفضُ وارِفٌ (٤) * قليلٌ إذا حَلَّ الغَلاءُ وخَيَّما

وداع اللورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد وضمنها آراء الناس في سياسته

[نشرت في ٢٧ إبريل سنة ١٩٠٧ م]

فَتَى الشِّعرِ (٥) هذا مَوطِنُ الصِّدقِ والهُدَى * فلا تَكذِبِ التاريخَ إنْ كُنتَ مُنشِدَا

لقد حانَ تَوديعُ العَميدِ (٦) وإنّه * حَقيقٌ بتَشييعِ المُحِبّينَ والعِدَا

---

(١) يشير بهذا البيت الى ما كان يردّده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من العهود، ولا سيما عهد إسماعيل، ممتنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجلد ظهورهم. (٢) جادها السما أى نزل عليها المطر. (٣) هش اليه: ارتاح وبش. ويشير بهذا الى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها، حتى إن الدينار ينزل الى قدر الدرهم في الشراء. (٤) الخفض: سعة العيش ورغده. والوارف: المتسع. يقول: إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تغنى شيئا.

(٥) فتى الشعر، يريد نفسه. (٦) العميد، هو عميد الدولة الإنجليزية في مصر، وهو اللورد كرومر، وقد بقى بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاما، فقد حضر اليها في سبتمبر سنة ١٨٨٣ م. وتركها في سنة ١٩٠٧ م. وحقيق: جدير.

فودّع لنا الطَّوْدَ الذى كان شامخًا (١) * وشيّعْ لنا البَحْرَ الّذى كانَ مُزْبِدا

وزوِّده عنّا بالكرامةِ كلِّها * وإنْ لم يكُنْ بالباقياتِ مُزَوَّدَا

فلِمْ لا نرى الأهرامَ يا نيلُ مُيَّدًا (٢) * وفِرْعَوْنُ عن واديكَ مُرْتَحِلٌ غدا؟

كأنّك لَمْ تَجْزَع عليه ولَمْ تَكُنْ * ترى فى حِمَى فِرْعَوْنَ أَمْناً ولا جَدَا (٣)

سلامٌ ولو أنا نُسِيءُ إلى الألى * أساءُوا إلينا ما مَدَدْنَا لهمْ يَدا

سَنُطْرِى أَيَادِيكَ الّتى قد أَفَضْتَها (٤) * علينا فلَسْنا أُمَّةً تَجْحَدُ اليَدَا

أَمِنَّا فلَمْ يَسْلُكْ بنا الخوفُ مَسْلَكًا * ونِمْنا فلَمْ يَطْرُقْ لنا الذُّعْرُ مَرْقَدا

وكنتَ رَحيمَ القلْبِ تَحْمِي ضَعيفَنا * وتَدْفَعُ عنّا حادثَ الدَّهْرِ إنْ عَدا

ولولا أَسًى فى (دِنْشِوَاىَ) ولَوْعةٌ (٥) * وفاجعةٌ أَدْمَتْ قلوبًا وأَكْبُدَا

ورَمْيُكَ شَعْبًا بالتَّعَصُّبِ غافِلًا * وتَصْوِيرُكَ الشَّرْقِىَّ غِرًّا مُجَرَّدَا (٦)

---

(١) الطود : الجبل العظيم . والشامخ : المرتفع . والمزبد : الذى يقذف بالزبد (بالتحريك) ، وهو ما يعلو الماء من الرغوة ، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه . شبه الشاعر اللورد بالجبل العظيم فى رسوخه فى السياسة وعلو شأنه ، كما شبهه بالبحر المزبد فى ثورته وغضبه .

(٢) ميدا : مائلة مضطربة ، الواحد مائد . وشبه كرومر بفرعون ، لما كان يعرف به من الجبروت .

(٣) الجدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال) : العطاء .

(٤) نطرى : نمدح . والأيادى : النعم . وأفضتها : أجزيتها . ويشير فى هذا البيت والبيتين اللذين بعده الى مآثر اللورد فى مصر ، من نشر الأمن فى ربوع البلاد ، والأخذ بناصر الضعفاء ، وإنصافهم من ظلم الأقوياء .

(٥) الأسى : الحزن . وانظر التعريف بحادثة دنشواى (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) .

(٦) رميك ، أى اتهامك . والغر : الذى لا تجربة له بالأمور لقصر نظره . ومجردا ، أى غير مزوّد بأسباب النهوض والجد .

لَذُبْنا أَسىً يومَ الوَداعِ لأَنَّنا * نَرَى فِيكَ ذاكَ المُصلِحَ المُتَوَدِّدا

تَشَعَّبَتِ الآراءُ فِيكَ فقائلٌ * أَفادَ الغِنَى أَهْلَ البِلادِ وأَسْعَدا

وكانت له فى المُصْلِحِين سِياسَةٌ * تَـرَخَّصَ فيها تارةً وتَشَدَّدا (١)

رأَى العِزَّ كُلَّ العِزِّ فى بَسْطَةِ الغِنَى * فَحارَبَ جَيْشَ الفَقْرِ حتّى تَبَدَّدا (٢)

وأَمْتَعَكُمْ بالنِّيلِ فهو مُبارَكٌ * على أَهْلِه ، خِصْبًا ورِيًّا ومَوْرِدا (٣)

وسَنَّ لَكُمْ حُرِّيَّةَ القَوْلِ عِنْدَ ما * رأَى القَوْلَ فى أَسْرِ السُّكوتِ مُقَيَّدا (٤)

وآخَرُ لَمْ يَقْصِرْ على المالِ هَمَّه * يَرَى أَنَّ ذاكَ المالَ لا يَكْفُلُ الهُدَى (٥)

فلا يَحْمَدُ الإِثْراءَ حتّى يَزِينَه * بِعِلْمٍ ، وخيرُ العِلْمِ ما كانَ مُرْشِدا (٦)

يُنادِيكَ قَدْ أَزْرَيْتَ بالعِلْمِ والحِجَا * ولَمْ تُبْقِ للتَّعْلِيمِ يا(لُرْدُ) مَعْهَدا (٧)

وأَنَّكَ أَخْصَبْتَ البِلادَ تَعَمُّدًا * وأَجْدَبْتَ فى مِصْرَ العُقُولَ تَعَمُّدا

قَضَيْتَ على أُمِّ اللُّغاتِ وإِنَّه * قَضاءٌ علينا أو سَبِيلٌ إلى الرَّدَى (٨)

---

(١) ترخص : لان وسهل . (٢) بسطة الغنى : سعته .

(٣) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالرى وتحسين النظم فى صرف مياه النيل التى أجريت فى عهد اللورد كرومر . (٤) سنّ : شرع . يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة فى عهد اللورد .

(٥) وآخر : معطوف على قوله السابق : « فقائل » . ويقصر ، أى يحبس . وهمه ، أى همته وعزمه . (٦) الإثراء : كثرة الأموال .

(٧) أزرى به : تهاون به ووضع من شأنه . (٨) يريد « بأم اللغات » : اللغة العربية . ويشير الى ما كان فى عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم فى المدارس باللغة الإنجليزية . والردى : الهلاك .

وَوَافَيْتَ وَالقُطْرَانِ فِى ظِلِّ رَايَةٍ * فَمَا زِلْتَ (بِالسُّودَانِ) حَتَّى تَمَرَّدَا (١)

فَطَاحَ كَمَا طَاحَتْ (مُصَوَّعُ) بَعْدَهُ * وَضَاعَتْ مَسَاعِينَا بِأَطْمَاعِكُمْ سُدَى (٢)

حَجَبْتَ ضِيَاءَ الصُّحْفِ عَنْ ظُلُمَاتِهِ * وَلَمْ تَسْتَقِلْ حَتَّى حَجَبْتَ (المُؤَيَّدَا) (٣)

وَأَوْدَعْتَ تَقْرِيرَ الوَدَاعِ مَغَامِزًا * رَأَيْنَا جَفَاءَ الطَّبْعِ فِيهَا مُجَسَّدَا (٤)

غَمَزْتَ بِهَا دِينَ النَّبِىِّ وَإِنَّنَا * لَنَغْضَبُ إِنْ أَغْضَبْتَ فِى القَبْرِ (أَحْمَدَا)

يُنَادِيكَ أَيْنَ النَّابِغُونَ بِعَهْدِكُمْ * وَأَىُّ بِنَاءٍ شَامِخٍ قَدْ تَجَدَّدَا (٥)

فَمَا عَهْدُ (إِسْمَاعِيلَ) وَالعَيْشُ ضَيِّقٌ * بِأَجْدَبَ مِنْ عَهْدٍ لَكُمْ سَالَ عَسْجَدَا (٦)

يُنَادِيكَ وَلَّيْتَ الوِزَارَةَ هَيْئَةً * مِنَ الصُّمِّ لَمْ تَسْمَعْ لِأَصْوَاتِنَا صَدَى (٧)

فَلَيْسَ بِهَا عِنْدَ التَّشَاوُرِ مِنْ فَتًى * أَبِىٍّ إِذَا مَا أَصْدَرَ الأَمْرَ أَوْرَدَا

---

(١) وافيت ، أى حضرت إلى مصر . والقطران : مصر والسودان . ويريد « بالراية » : الراية المصرية . وتمرد : عصى وخرج عن الطاعة . يشير بهذا البيت إلى رأى السياسة البريطانية الذى أشارت به على مصر من إخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤ م عند ما ثار المهدى ، حتى استفحل أمره وانتشرت دعوته ، وتألبت معظم القبائل على الحكومة ؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجيشين المصرى والإنجليزى فى سنة ١٨٩٧ م . (٢) طاح ، أى ذهب وضاع . ومصوع : ثغر معروف على البحر الأحمر ، وقد كان فى يد مصر ، ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية ، فضمته إيطاليا الى أملاكها بموافقة انجلترا .

(٣) ظلماته ، أى ظلمات السودان ؛ ويريد ظلمات الجهل التى فيه . ويشير الشاعر إلى ماحدث فى عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية ، ومنها صحيفة المؤيد ، من دخول السودان خوفا من نشر الدعاية ضد الإنجليز . (٤) المغامز : المطاعن . ويشير الشاعر إلى ماذكره اللورد كرومر فى تقريره عن مصر ، حين تركها ، من طعن على المصريين . (٥) يناديك ، أى هذا الآخر الذى سبق ذكره فى قوله : « وآخر لم يقصر ... الخ » . (٦) العسجد : الذهب الخالص .

(٧) الصدى : ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه ؛ ولذلك يقال له : رجع الصدى .

بِرَبِّكَ ماذا صَدَّنا ولَوَى بِنا * عن القَصْدِ إنْ كان السَّبِيلُ مُمَهَّدا؟ (١)

أَشَرْتَ برأيٍ في كِتابِكَ لم يَكُنْ * سَدِيدًا ولٰكِنْ كان سَهْمًا مُسَدَّدا (٢)

وحاوَلْتَ إعطاءَ الغَرِيبِ مَكانَةً * تَجُرُّ علينا الوَيْلَ والذُّلَّ سَرْمَدَا (٣)

فياوَيْلَ مِصْرٍ يومَ تَشْقَى بنَدْوَةٍ * يَبِيتُ بها ذاكَ الغَرِيبُ مُسَوَّدا (٤)

أَلَمْ يَكْفِنا أَنَّا سُلِبْنا ضِياعَنا * على حِينِ لم نَبْلُغْ مِنَ الفِطْنَةِ المَدَى (٥)

وزاحَمَنا في العَيْشِ كُلُّ مُمَارِسٍ * خَبِيرٍ وكُنَّا جاهِلِين ورُقَّدا (٦)

وما الشَّرِكاتُ السُّودُ في كُلِّ بَلْدَةٍ * سِوَى شَرَكٍ يُلْقِي به مَنْ تَصَيَّدا

فهٰذا حَدِيثُ النَّاسِ والنَّاسُ أَلْسُنٌ * إذا قال هٰذا، صاحَ ذاكَ مُفَنِّدا (٧)

ولو كُنتُ مِنْ أَهْلِ السِّياسَةِ بَيْنَهُمْ * لَسَجَّلْتُ لي رَأْيًا وبُلِّغْتُ مَقْصِدا

ولٰكِنَّني في مَعْرِضِ القَوْلِ شاعِرٌ * أُضَافُ إلى التَّارِيخِ قَوْلًا مُخَلَّدا

فيأَيُّها الشَّيْخُ الجَلِيلُ تَحِيَّةً * ويأَيُّها القَصْرُ المُنِيفُ تَجَلُّدا (٨)

لَئِنْ غابَ هٰذا اللَّيْثُ عنكَ لِعِلَّةٍ * لقد لَبِثَتْ آثارُه فيكَ شُهَّدا

---

(١) لوى به عن القصد، أى صرفه عنه. يقول: إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة فى مصر ووليت أمورها أكفاءها، فما بالنا نحرف عن القصد ونسير فى غير النهج.

(٢) المسدد: المصوب نحو الهدف. (٣) السرمد: الدائم. (٤) الندوة: المكان يجتمع فيه القوم للتشاور. ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس الشورى مختلط من المصريين والأجانب. (٥) المدى: الغاية. ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصبوه من أشراك الديون ذوات الفوائد المرهقة. (٦) مارس الأمر: عالجه وزاوله. يشير فى هذا البيت إلى أرباب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستثماره من الأجانب، وجهل المصريين بهذا الفن. (٧) مفندا: مكذبا مجهلا. (٨) يريد قصر الدوبارة الذى كان يسكنه العميد.

استقبال السير غورست (١)

قالها فى استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر
يبث فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م]

بَناتِ الشِّعْرِ بالنَّفَحاتِ جُودِى * فهذا يومُ شاعِرِكِ المُجِيدِ (٢)

أَطِلِّى وٱسْفِرِى ودَعِيه يُحْيِى * بما تُوحِينَ أيّامَ الرَّشِيدِ (٣)

إذا ما جَلَّ قَدْرُكِ عن هُبوطٍ * مُرِيهِ الى سَمائِكِ بالصُّعُودِ

وأَوْلِى ذلِكَ الفانِى بَيانًا * يَتِيهُ به على أَهْلِ الخُلُودِ

وحُلِّى عُقْدَةً مِنْ أَصْغَرَيْه * يَلِنْ لِهُتافِه قاسِى الحَدِيدِ (٤)

فما أَنَا واقِفٌ بِرُسُومِ دارٍ * أُسائِلُها ولا كَلِفٌ بِرُودِ (٥)

ولا مُسْتَنْزِلٌ هِبَةً بِمَدْحٍ * ولا مُسْتَنْجِزٌ حُرَّ الوُعُودِ

ولٰكِنِّى وَقَفْتُ أَنُوحُ نَوْحًا * على قَوْمِى وأَهْتِفُ بالنَّشِيدِ

وأَدْفَعُ عنهمُ بِشَبا يَراعٍ * يَصُولُ بكُلِّ قافِيَةٍ شَرُودِ (٦)

---

(١) ولد غورست سنة ١٨٦١ م، وتوفى فى يوليه سنة ١٩١١ م. وكان مستشارا لوزارة المالية من سنة ١٨٩٨ م الى سنة ١٩٠٤ م. وفى سنة ١٩٠٧ م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر.

(٢) بنات الشعر: معانيه وخواطره. ويريد «بالشاعر المجيد»: نفسه. (٣) سفرت المرأة تسفر (من باب ضرب): كشفت عن وجهها. ويريد «بالرشيد»: هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف؛ وخصه بالذكر لكثرة من كان فى زمنه من الشعراء المجيدين. (٤) الأصغران: القلب واللسان.

(٥) رسوم الدار: آثارها. والكلف: المولع بالشىء الشديد الحب له. والرؤد (بالهمز وسهلت): الشابة الحسنة. (٦) شبا اليراع: سن القلم. وقافية شرود، أى سائرة ذائعة.

بَنَاتُ الشِّعْرِ إنْ هِيَ أَسْعَدَتْنِي * شَكَوْتُ مِن العَمِيدِ الى العَمِيدِ (١)

وَلَمْ أَجْحَدْ عَوارِفَهُ ولكنْ * رأيتُ المَنَّ داعِيَةَ الجُحُودِ (٢)

أَذِيقُونا الرَّجاءَ فقد ظَمِئْنا * بِعَهْدِ المُصْلِحِينَ الى الوُرُودِ (٣)

ومُنُّوا بالوُجودِ فقد جَهِلْنا * بِفَضْلِ وُجُودِكُمْ مَعْنَى الوُجودِ

إذا اعْلَوْلَى الصِّياحُ فلا تَلُمْنا * فإنَّ الناسَ في جُهْدٍ جَهِيدِ (٤)

على قَدْرِ الأذَى والظُّلْمِ يَعْلُو * صِياحُ المُشْفِقِينَ مِن المَزِيدِ (٥)

جِراحٌ في النفوسِ نَغَرْنَ نَغْراً * وكُنَّ قد انْدَمَلْنَ على صَدِيدِ (٦)

إذا ما هاجَهُنَّ أَسًى جَدِيدٌ * هَتَكْنَ سَرائِرَ القَلْبِ الجَلِيدِ (٧)

الى مَنْ نَشْتَكِي عَنَتَ اللَّيالِي * الى (العَبَّاسِ) أمْ (عَبْدِ الحَمِيدِ)؟ (٨)

ودُونَ حِماهُمَا قامَتْ رِجالٌ * تُرَوِّعُنا بِأَصْنافِ الوَعِيدِ (٩)

---

(١) أسعدتني : أعانتني . وفي كتب اللغة : أن «شكا» يتعدّى بنفسه لا بالحرف .

(٢) العوارف : النعم ؛ الواحدة عارفة . وفي البيت تعريض بما كان يمنّ به اللورد كرومر على المصريين من أنه أنهضهم وأصلح من أحوالهم .

(٣) الخطاب في «أذيقونا» للمحتلين . وفي قوله : «بعهد المصلحين» تهكم ظاهر .

(٤) اعلولى : علا .

(٥) المشفقون : الخائفون .

(٦) نغر الجرح : سال دمه . واندمل : التأم .

(٧) السرائر : جمع سريرة ، وهي ما يسره الإنسان من أمره . والجليد : الصبور .

(٨) العنت : الأذى والمشقة .

(٩) روّعه : أخافه وأفزعه .

فما جئنا نطاولكم بجاه * يطولكم ولا ركن شديد (١)

ولا بتنا نعاجزكم بعلم * يبين به الغوى من الرشيد (٢)

ولكنا نطالبكم بحق * أضر بأهله نقض العهود (٣)

رمانا صاحب التقرير ظلما * بكفران العوارف والكنود (٤)

وأقسم لا يجيب لنا نداء * ولو جئنا بقرآن مجيد

وبشر أهل مصر باحتلال * يدوم عليهم أبد الأبيد (٥)

وأنبت فى النفوس لكم جفاء * تعهده بمنهل الصدود (٦)

فأثمر وحشة بلغت مداها * وزكاها بأربعة شهود (٧)

قتيل الشمس أورثنا حياة * وأيقظ هاجع القوم الرقود (٨)

فليت (كرومرا) قد دام فينا * يطوق بالسلاسل كل جيد

---

(١) طاوله بجاهه : فاخره به . وطاله يطوله : علاه وارتفع عليه . ويريد « بالركن الشديد » : العزة والمنعة . والخطاب فى هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٢) نعاجزكم : نأتى بما يعجزكم .   (٣) يريد «بالعهود» : وعود ساسة الإنجليز بالجلاء عن مصر .

(٤) صاحب التقرير، هو اللورد كرومر، وكان قد اتهم المصريين فى أحد تقريراته التى كان يرفعها لدولته بعدم الاعتراف بجميل الدولة البريطانية عليهم . والكنود : الكفر بالنعمة .

(٥) أبد الأبيد، أى أبد الدهر .   (٦) المنهل : المطر يشتد انصبابه .

(٧) يريد «بالشهود الأربعة» : من أعدموا فى دنشواى، فهم بما لقوا شهود عدول على ظلم العميد .

(٨) قتيل الشمس : الضابط الإنجليزى الذى مات فى حادث دنشواى بضربة الشمس، واتهم الأهلون بقتله . والهاجع : النائم . يريد أن ما أصاب الناس من العذاب بسبب هذا القتيل جعلهم يهبون ويستيقظون الى المطالبة بالحرية .

ويُتحِفُ (مِصْرَ) آنًا بعدَ آنٍ * بمَجْلُودٍ ومقتولٍ شهيدِ
لِتَنْزِعَ هذه الأكفانَ عنّا * ونُبْعَثَ في العوالمِ من جديدِ
رَمَى (دارَ المعارفِ) بالرزايا * وجاءَ بكلِّ جبّارٍ عنيدِ (١)
يُدِلّ بحَوْلِهِ ويَتيهُ تِيهًا * ويَعْبَثُ بالنُّهَى عَبَثَ الوليدِ (٢)
فبَدَّدَ شَمْلَها وأَدالَ منها * وصاحَ بها : سَبيلُكِ أنْ تَبيدِي (٣)
هَبُوا (دَنْلُوبَ) أَرْحَبَكُمْ جَنانًا * وأَقْدَرَكُمْ على نَزْعِ الحُقودِ (٤)
وأَعْلَى مِنْ (غِلادِسْتُونَ) رأيًا * وأَحْكَمَ مِنْ فلاسِفَةِ (الهُنودِ) (٥)
فإنّا لا نُطيقُ له جِوارًا * وقد أَوْدَى بنا أو كادَ يُودِي
مَلِلْنا طُولَ صُحْبَتِهِ ومَلَّتْ * سَوابِقُنا مِنَ المَشْيِ الوَئيدِ (٦)
بحمدِ اللهِ مُلْكُكُمُ كبيرٌ * وأنتمْ أهلُ مَرْحَمَةٍ وجُودِ
خُذُوه فأَمْتِعُوا شَعْبًا سِوانا * بهذا الفَضْلِ والعِلْمِ المُفِيدِ

---

(١) كل جبار عنيد : يريد مستشار المعارف إذ ذاك، وهو المستر دانلوب وأعوانه .

(٢) الحول : القوة .

(٣) أدال منها : أذلها وأذهب عزها ودولتها . وتبيد : تهلك .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) غلادستون ، هو وليم غلادستون . ولد بليفربول في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨٠٩ م، وكان من ساسة الانجليز المشهورين، وتولى وزارة المالية مرتين، ثم كان رئيسا لمجلس النواب، ثم رأس الوزارة الانجليزية أربع مرات . وتوفى فى ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ م .

(٦) السوابق : الخيل التى تجيء سابقة فى الحلبة ؛ ويريد بهم أعلام الأمة ونوابغها . والوئيد من المشى : البطيء منه .

إذا استَوْزَرتَ فاستَوْزِرْ علَينا * فَتًى (كالفَضْلِ) او (كابنِ العَميدِ)[1]

ولا تُثْقِلْ مَطاهُ بمُسْتَشارٍ * يَحِيدُ به عن القَصْدِ الحَمِيدِ[2]

وفى الشُّورَى بِنا داءٌ عَهِيدٌ * قد استَعْصَى على الطِّبِّ العَهِيدِ[3]

شُيُوخٌ كلَّما هَمَّتْ بأمرٍ * زَأَرْتُم دُونَه زَأْرَ الأُسُودِ

لِحًى بَيْضاءُ يومَ الرَّأْيِ هانَتْ * على حُمْرِ المَلابِسِ والخُدُودِ[4]

أترضَى أنْ يُقالَ وأنتَ حُرٌّ * بأنّكَ قَيْنُ هاتيكَ القُيُودِ؟[5]

وهَلْ فى دارِ نَدْوَتِكُم أُناسٌ * بِهٰذا المَوتِ أو هٰذا الجُمُودِ؟[6]

فَنَحِّ غَضاضةَ التَّمييزِ عنَّا * كَفانا سائغُ النِّيلِ السَّعِيدِ

أرَى أحداثَكُمْ ملَكُوا علينا * (بِمِصْرَ) مَوارِدَ العَيْشِ الرَّغِيدِ[7]

---

(١) الفضل، هو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل، أسلم على يد المأمون فى سنة ١٩٠هـ. وكان وزيرا للرشيد؛ وكان يلقب بذى الرياستين لأنه كان رب القلم والسيف . ومات مقتولا يوم الخميس ثانى شعبان سنة ٢٠٢ هـ . وابن العميد، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسى الأصل، وزر لركن الدولة أبى على بن بويه، والد عضد الدولة المشهور فى سنة ٣٢٨ هـ، فساس دولته ووطد أركانها، ومازال فى وزارته محط رحال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفى سنة ٣٦٠هـ . وخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب .

(٢) المطا : الظهر . يرغب إلى العميد البريطانى أن يجعل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد، على ألا يشل أيديهم بمستشار (كدنلوب) .

(٣) العهيد : القديم الذى أتى عليه عهد طويل . يقول إن بمجلس الشورى فى مصر عيوبا قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين .

(٤) يريد «باللحى البيضاء» : أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية . و «بحمر الملابس والخدود» : الانجليز . وكان مما تميز به جنودهم إذ ذاك الأكسية الحمراء .

(٥) القين : الحداد .

(٦) دار ندوتكم، يريد بها مجلس العموم البريطانى . ويشير بهذا البيت والأبيات الأربعة التى قبله إلى ضعف رأى مجلس الشورى والجمعية العمومية، لأن الحكومة كانت حرة فى قبول رأيهما أو رده .

(٧) الرغيد : الواسع الطيب .

وقد ضِقْنا بِهِمْ وأَبِيكَ ذَرْعًا * وضاقَ بِحَمْلِهِمْ ذَرْعُ البَرِيدِ

أَكُلُّ موَظَّفٍ منكمْ قَديرٌ * على التَّشْرِيعِ فى ظِلِّ العَمِيدِ؟

فَضَعْ حَدًّا لهمْ وانْظُرْ إلينا * إذا أَنْصَفْتَنا نَظَرَ الوَدُودِ

وخَبِّرْهُمْ وأنتَ بِنا خَبيرٌ * بأنَّ الذُّلَّ شِنْشِنَةُ العَبِيدِ (١)

وأنَّ نُفُوسَ هٰذا الخَلْقِ تأبَى * لِغَيْرِ إلٰهِها ذُلَّ السُّجُودِ

وَوَلِّ أُمورَنا الأَخْيارَ مِنَّا * نَثِبْ بِهِمُ الى الشَّأْوِ البَعِيدِ (٢)

وأَشْرِكْنا مع الأَخْيارِ مِنْكُمْ * اذا جَلَسُوا لإيقامِ الحُدُودِ (٣)

وأَسْعِدْنا بِجامِعَةٍ وشَيِّدْ * لنا مِنْ مَجْدِ دَوْلَتِكَ المَشِيدِ

وإنْ أَنْعَمْتَ بالإصلاحِ فابْدَأْ * بِتِلْكَ فإنَّها بَيْتُ القَصِيدِ (٤)

وفَرِّجْ أَزْمَةَ الأَمْوالِ عَنَّا * بما أُوتِيتَ مِنْ رَأْيٍ سَدِيدِ

وسَلْ عنها (اليَهُودَ) ولا تَسَلْنا * فقدْ ضاقَتْ بها حِيَلُ (اليَهُودِ)

إذا ما ناحَ فى (أَسْوانَ) باكٍ * سَمِعْتَ أَنِينَ شاكٍ فى (رَشِيدِ)

جَمِيعُ النّاسِ فى البَلْوَى سَواءٌ * بأَدْنَى الثَّغْرِ أو أَعْلَى الصَّعِيدِ

تَدارَكْ أُمَّةً بالشَّرْقِ أَمْسَتْ * على الأَيّامِ عاثِرَةَ الجُدُودِ (٥)

---

(١) الشنشنة : العادة والطبيعة . (٢) الشأو : الغاية . (٣) يلاحظ أنه لم يرد فى كتب اللغة « إيقام » بياء بعد الهمزة كما فى هذا البيت . والذى ورد « إقام » بدون ياء مصدر أقام . (٤) بتلك ، أى بالجامعة المصرية ، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك .

(٥) عاثرة الجدود : أى تاعسة الحظوظ .

وأيّدْ مصر والسُّودانَ واغْنَمْ * ثناءَ القوم من بيضٍ وسُودِ

وما أدرى وقد زوّدتُ شعرى * وظنّى فيكَ بالأملِ الوطيدِ (١)

أجئتَ تحوطُنا وتردُّ عنّا * وترفعنا إلى أوجِ السعودِ؟ (٢)

أم اللّدُّ الذى أنحى علينا * أتى فى ثوبِ معتمدٍ جديدِ؟ (٣)

تحيّة العام الهجرىّ

[سنة ١٣٢٧ هـ — يناير سنة ١٩٠٩ م]

أطلَّ على الأكوانِ والخلقُ تنظرُ * هلالٌ رآه المسلمون فكبّروا

تجلّى لهم فى صورةٍ زاد حُسنَها * على الدهرِ حُسنًا أنّها تتكرّرُ (٤)

وبشّرهم من وجهه وجبينه * وغُرّته والناظرين مبشّرُ

وأذكرهم يومًا أغرَّ محجّلًا * به توّجَ التاريخُ والسعدُ مسفِرُ (٥)

وهاجرَ فيه خيرُ داعٍ إلى الهدى * يحفُّ به من قوّةِ اللهِ عسكرُ

يماشيه جبريلٌ وتسعى وراءه * ملائكةٌ ترعى خطاه وتخفرُ (٦)

---

(١) الوطيد : الثابت القوى . و« بالأمل » متعلق بـ« زودت » . (٢) حاطه يحوطه : حفظه وتعهده . (٣) أنحى علينا ، أى أقبل علينا بالشدة والقسوة والعنف .

(٤) تجلى : ظهر وتكشف . (٥) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهورا . وأصل هاتين الصفتين من النعوت المحمودة فى الخيل ؛ الأغر منها : ما كان فى جبهته بياض . والمحجل : ما كان البياض فى قوائمه . والمسفر : المضىء المشرق . ويريد بهذا اليوم : يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة . (٦) يماشيه : يمشى معه . وتخفر : تحرس .

يُسْراهُ بُرهانٌ مِن اللهِ ساطِعٌ * هُدًى، ويُمْناه الكِتابُ المُطَهَّرُ

فكانَ على أبْوابِ (مَكَّةَ) رَكْبُه * وفى (يَثْرِبٍ) أنوارُه تَتَفَجَّرُ (١)

مَضَى العامُ مَيْمُونَ الشُّهورِ مُبارَكًا * تُعَدَّدُ آثارٌ له وتُسَطَّرُ

مَضَى غيرَ مَذْمومٍ فإنْ يَذْكُروا له * هَناتٍ فطَبْعُ الدَّهْرِ يَصْفُو ويَكْدُرُ (٢)

وإنْ قِيلَ أوْدَى بالأُلوفِ أجابَهُمْ * مُجِيبٌ: لقد أحْيا المَلايِينَ فانْظُروا (٣)

إذا قِيسَ إحْسانُ امرئٍ بإساءةٍ * فأرْبَى علَيْها فالإساءةُ تُغْفَرُ (٤)

ففِيه أفاقَ النائمُونَ وقد أتَتْ * عليهِم كأهْلِ الكَهْفِ فى النَّومِ أعْصُرُ (٥)

وفى عالَمِ الإسْلامِ فى كُلِّ بُقْعَةٍ * له أثَرٌ باقٍ وذِكْرٌ مُعَطَّرُ

سَلُوا (التُّرْكَ) عمّا أدْرَكُوا فِيه مِنْ مُنًى * وما بَدَّلُوا فى المَشْرِقَيْنِ وغَيَّرُوا

وإنْ لَمْ يَقُمْ إلّا (نِيازِى) و(أنْوَرٌ) * فقَدْ مَلأَ الدُّنيا (نِيازِى) و(أنْوَرُ) (٦)

تَواصَوْا بصَبْرٍ ثُمَّ سَلُّوا مِنَ الحِجا * سُيُوفًا وجَدُّوا جِدَّهُمْ وتَدَبَّرُوا (٧)

---

(١) يثرب: الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشبه انبثاق الأنوار بتفجر الماء .

(٢) الهنات: الهفوات اليسيرة التى تحتمل أمثالها (٣) أردى بهم: أهلكهم .

(٤) أربى: زاد . (٥) يشير بقوله «أفاق النائمون»: إلى بعض الشعوب التى هبت فى العام المتحدث عنه تطالب بحريتها ودستورها بعد أن سكتت على الذل والاستعباد مدة طويلة ؛ ومن هذه الشعوب: الشعب التركى والفارسى والمصرى ، كما سيشير الشاعر إلى ذلك بعد . فشبه سكوتهم فيما مضى بنوم أهل الكهف . (٦) نيازى وأنور: بطلان معروفان من أبطال جمعية الاتحاد التركية ؛ وقد أبليا بلاء حسنا فى إعادة الدستور إلى أمتهما .

(٧) تواصوا ، أى الترك . والتواصى: أن يوصى القوم بعضهم بعضا . والحجا: العقل . وجدوا جدهم ، أى اجتهدوا وثابروا .

فسادُوا وشادُوا للهِلالِ مَنازِلاً * على هامِها سَعْدُ الكواكِبِ يُنْثَرُ (١)

تَجلَّى بها (عَبْدُ الحَمِيدِ) بوَجْهِه * على شَعْبِه والشاهُ خَزْيانُ يَنْظُرُ (٢)

سَلامٌ على (عَبْدِ الحَمِيدِ) وجَيْشِه * وأُمَّتِه ما قامَ فى الشَّرْقِ مِنْبَرُ

سَلُوا (الفُرْسَ) عَنْ ذِكْرَى أَيادِيهِ عِنْدَهُمْ * فقد كانَ فيه (الفُرْسُ) عُمْياً فأَبْصَرُوا (٣)

جَلا لَهُمُ وَجْهَ الحَياةِ فشاقَهُمْ * فباتُوا على أَبْوابِها وتَجَمْهَرُوا (٤)

يُنادُونَ أَنْ مُنِّى علينا بنَظْرَةٍ * وأَحْيِى قُلوبا أَوْشَكَتْ تَتَفَطَّرُ (٥)

كِلانا مَشُوقٌ والسَّبِيلُ مُمَهَّدٌ * إلى الوَصْلِ لولا ذلكَ المُتَغَشْمِرُ (٦)

أَطِلِّى علينا لا تَخافِى فإِنَّنا * بِسِرِّكِ أَوْفَى منه حَوْلاً وأَقْدَرُ (٧)

سَلامٌ عليكُمْ أُمَّةَ (الفُرْسِ) إِنَّكُمْ * خَلِيقُونَ أَنْ تَحْيَوْا كِراماً وتَفْخَرُوا (٨)

ولا أُقْرِئُ (الشاهَ) السَّلامَ فإنَّه * يُرِيقُ دِماءَ المُصْلِحِينَ ويَهْدُرُ (٩)

وفيه هَوَى (عبدُ العَزِيزِ) وعَرْشُه * وأَخْنَى عليه الدَّهْرُ والأَمْرُ مُدْبِرُ (١٠)

---

(١) الهام: الرءوس، الواحدة هامة. (٢) الشاه: ملك العجم. ووصفه بالخزى لأنه لم يعط أمته الدستور أسوة بالترك. (٣) أياديه، أى أيادى العام ونعمه عليهم. (٤) استعمال «التجمهر» بمعنى التجمع، كما فى هذا البيت استعمال شائع فى كلام عصرنا، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا والصواب: «وتجمروا» بإسقاط الهاء وتشديد الميم، أى تجمعوا. (٥) منى، خطاب للحياة. وتتفطر: تتشقق. (٦) المتغشمر: المتنمر الظالم، يريد شاه العجم. (٧) الحول: القوة. يقول: إننا بسبب إدراكنا سر الحياة حين نالها أقوى وأقدر من ذلك الظالم الجبار الذى يحول بيننا وبينها. (٨) خليقون: جديرون. (٩) يشير بهذا البيت إلى ما كان يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية فى فارس من أنواع العذاب والقتل. (١٠) وفيه، أى فى هذا العام المنصرم (سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م). وهوى: سقط. وعبد العزيز، هو سلطان مراكش. (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء). وأخنى عليه الدهر: أتى عليه وأهلكه.

ولا عَجَبٌ أنْ ثُلَّ عَرْشُ مُمَلَّكٍ * قوائمُه عُودٌ ودُفٌّ ومِزْهَرُ (١)

فألْقَى إلى (عبدِ الحَفِيظ) بتاجِه * ومَرَّ على أدْراجِه يتعثَّرُ (٢)

وقامَ بأمْرِ المُسلمِينَ مُوفَّقٌ * على عَهْدِه (مَرّاكِش) تتحضَّرُ

وفى دَوْلَةِ (الأفْغانِ) كانتْ شُهورُه * وأيّامُه بالسَّعْدِ واليُمْنِ تَزْهَرُ (٣)

أقامَ بها والعُودُ رَيّانُ أخْضَرٌ * وفارَقَها والعُودُ فَيْنانُ مُثْمِرُ (٤)

وعَوَّذَها باللهِ مِنْ شَرِّ طامِعٍ * إذا مارَمَى (إدْوَرْد) أوْ راشَ (قَيْصَرُ) (٥)

وفيه نَمَتْ فى (الهِنْدِ) للعِلْمِ نَهْضَةٌ * أرَى تَحْتَها سِرًّا خَفِيًّا سَيَظْهَرُ (٦)

فتَجْرِى إلى العَلْياءِ والمَجْدِ شَوْطَها * ويُخْصِبُ فيها كلُّ جَدْبٍ ويَنْضُرُ (٧)

وفيه بَدَتْ فى أُفْقِ (جاوَة) لَمْعَةٌ * أضاءَتْ لأهْلِيها السَّبِيلَ فبَكَّرُوا (٨)

فيالَيْتَهُ أوْلَى (الجَزائِرَ) مِنَّةً * تُفَكُّ لها تِلْكَ القُيودُ وتُكْسَرُ (٩)

---

(١) ثل: هدم. ويشير بهذا البيت إلى طلب عبد العزيز جماعة من المغنين والمغنيات من مصر. (انظر الكلام على هذا فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء). (٢) تولى عبد الحفيظ سلطنة مراكش بعد خلع أخيه عبد العزيز سنة ١٩٠٨ م. وفى عهده جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد فى ٢١ مايو سنة ١٩١١ م. وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاى يوسف عن السلطنة فى سنة ١٩١٢ م.

(٣) تزهر: تشرق وتضىء. (٤) الفينان من النبات: الحسن الطويل. ويريد خصب البلاد وكثرة الخير فيها. (٥) عوذها: حصنها وحفظها. وإدوارد، هو إدوارد السابع ملك الإنجليز. وراش السهم يريشه: ألصق عليه الريش، وذلك ليكون أسرع فى ذهابه نحو الغرض. وقيصر: لقب ملك روسيا. وإنما خص إدوارد وقيصر لمجاورة الهند وروسيا لبلاد الأفغان. والمعنى أن هذا العام حفظ بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء. (٦) نمت: زادت. (٧) ينضر، من النضرة، وهى الحسن والبهجة. (٨) لمعة: أى لمعة من شعاع الأمل. وبكر فلان الى الأمر: أتاه فى أول وقته وبادر إليه. (٩) يريد «بالقيود» فى هذا البيت: قيود الاستعباد والأسر التى قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب.

وفى (تونس) الخضراء بالبتّه بنى * له أثراً فى لوحة الدهر يذكر

وفيه سرت فى (مصر) روح جديدة * مباركة من غيرة تتسعر

خبت زمنا حتى توهمت أنها * تجافت عن الإيراء لولا (كرومر) (١)

تصدّى فأوراها وهيهات أن يرى * سبيلاً إلى إخمادها وهى تزفر (٢)

مضى زمن التنويم يانيل وانقضى * ففى (مصر) أيقاظ على (مصر) تسهر

وقد كان "مرفين" الدهاء مخدّرا * فأصبح فى أعصابنا يتخدّر (٣)

شعرنا بحاجات الحياة فإن ونت * عزائمنا عن نيلها كيف نعذر؟

شعرنا وأحسسنا وباتت نفوسنا * من العيش إلا فى ذرا العزّ تسخر (٤)

إذا الله أحيا أمّة لن يردّها * إلى الموت قهّار ولا متجبّر

رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى قادة تبنى وشعب يعمّر

رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى عالم يدعو وداع يذكّر

رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى عالم يدرى وعلم يقرّر

رجال الغد المأمول إنا بحاجة * إلى حكمة تملى وكف تحرّر

---

(١) خبت : سكنت وخمدت . وتجافت : تباعدت . و إيراء النار : إشعالها .

(٢) تصدّى : تعرض . وتزفر، أى يسمع صوت توقدها . يقول : إن اللورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية تصدّى لنار الوطنية فى قلوب المصريين فأشعلها بعد خمودها بما صبه عليهم من المظالم والمحن .

(٣) المرفين : مخدّر معروف ؛ والمراد به هنا خداع السياسة . (٤) ذرا العز (بفتح الذال) : كنفه وظله .

رِجالَ الغَدِ المَأمُولِ إنّا بحاجةٍ * إليكُمْ فسُدُّوا النَّقصَ فِينَا وشَمِّروا (١)

رِجالَ الغَدِ المأمولِ لا تَترُكُوا غَدًا * يَمُرُّ مُرُورَ الأَمسِ والعَيْشُ أَغْبَرُ

رِجالَ الغَدِ المَأْمُولِ إنّ بِلادَكُمْ * تُناشِدُكُمْ باللهِ أَنْ تَتَذَكَّرُوا

عليكُمْ حُقُوقٌ لِلبِلادِ أَجَلُّها * تَعهُّدُ رَوضِ العِلْمِ فالرَّوضُ مُقفِرُ

قُصارَى مُنَى أَوطانِكُمْ أَنْ تَرَى لَكُمْ * يَدًا تَبْتَنِي مَجْدًا ورَأْسًا يُفَكِّرُ (٢)

فكُونُوا رِجالًا عامِلِينَ أَعِزَّةً * وصُونُوا حِمَى أَوْطانِكُمْ وتَحَرَّرُوا

ويا طالِبِي الدُّستُورِ لا تَسْكُنُوا ولَا * تَبِيتُوا على يَأسٍ ولا تَتَضَجَّرُوا

أَعِدُّوا لَه صَدْرَ المَكانِ فإنَّنِي * أَراهُ على أَبْوابِكُمْ يَتَخَطَّرُ

فَلَا تَنْطِقُوا إلّا صَوابًا فإنَّنِي * أَخافُ عليكُمْ أَنْ يُقالَ تَهَوَّرُوا (٣)

فما ضاعَ حَقٌّ لم يَنَمْ عنه أَهْلُهُ * ولا نالَه في العالَمِينَ مُقَصِّرُ

لقد ظَفِرَ الأَتْراكُ عَدْلًا بِسُؤْلِهِمْ * ونَحنُ على الآثارِ لا شَكَّ نَظْفَرُ

هُمُ لهمُ العامُ القَدِيمُ مُقَدَّرٌ * ونَحنُ لنا العامُ الجَدِيدُ مُقَدَّرُ

ثِقُوا بالأَميرِ القائِمِ اليومَ إنَّه * بِكُمْ وبِما تَرْجُونَ أَدْرَى وأَخْبَرُ (٤)

فلا زالَ مَحْرُوسَ الأَرِيكَةِ جالِسًا * على عَرْشِ (وادِي النِّيلِ) يَنْهَى ويَأمُرُ

---

(١) شمر للأمر : استعد له . (٢) قصارى منى أوطانكم ، أى غاية مناها ؛ يقال : قصاراك أن تفعل كذا ، أى جهدك وغايتك وآخر أمرك .

(٣) تهوروا : وقعوا فى المكروه بقلة مبالاة ؛ والمراد هنا التكلم فى شئون السياسة بما تؤاخذهم به القوانين . (٤) الأمير ، هو عباس حلمى الثانى خديوى مصر السابق .

الانقلاب العثمانى

قالها فى ثورة الأتراك التى انتهت بخلع السلطان عبد الحميد (١) وتولية السلطان محمد الخامس

[نشرت فى ١٢ مايو سنة ١٩٠٩ م]

لا رعى الله عهدها من جدود (٢) * كيف أمسيت يا ابن (عبد المجيد)

مشبع الحوت من لحوم البرايا * ومجيع الجنود تحت البنود (٣)

كنت أبكى بالأمس منك فمالى * بت أبكى عليك (عبد الحميد)؟

فرح المسلمون قبل النصارى * فيك قبل الدروز قبل اليهود

شمتوا كلهم وليس من الهمة * ان تشمت الورى فى طريد

أنت (عبد الحميد) والتاج معقو * د و(عبد الحميد) رهن القيود

خالد انت رغم أنف الليالى * فى كبار الرجال أهل الخلود

لك فى الدهر — والكمال محال — * صفحات ما بين بيض وسود

حاولوا طمس ما صنعت وودوا * لو يطيقون طمس خط الحديد (٤)

---

(١) ولد السلطان عبد الحميد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م، وولى الملك فى أغسطس سنة ١٨٧٦ م، وخلع فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م، وتوفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م. (٢) الجدود: الحظوظ؛ الواحد جدّ (بفتح الجيم وتشديد الدال). (٣) يشير بقوله «مشبع الحوت»: الى من كان يأمر السلطان عبد الحميد بإغراقهم فى مضيق البسفور. والبنود: الأعلام الكبيرة؛ الواحد بند، وهو فارسى معرب. ويشير بقوله «ومجيع الجنود»: الى ما كان يقاسيه الجيش التركى من شظف العيش وضيق ذات اليد. (٤) يريد الخط الحديدى الحجازى بين دمشق والمدينة الذى أنشأه السلطان عبد الحميد، وبدئ العمل فيه سنة ١٩٠٠ م، واحتفل بافتتاحه فى سنة ١٩٠٨ م.

ذاكَ (عَبْـدَ الحميـدِ) ذُخْرُكَ عنـد اللهِ باقٍ إنْ ضـاعَ عِنْـدَ العَبِيـدِ

أَكْرِمُـوهُ وراقِبُـوا اللهَ فى الشَّيْـ * ـخِ ولا تُرْهِقُـوهُ (١) بالتَّهْـدِيدِ

لا تخـافُوا أذاهُ فالشَّـيْخُ هـاوٍ * ليسَ فيـه بَقِيَّـةٌ للصُّـعودِ

وَلِىَ الأَمْرَ ثُلْثَ قَـرْنٍ يُنـادِى * بِٱسْمِـه كلُّ مُسْلِمٍ فى ٱلْوُجـودِ

كلَّمـا قامَتِ الصَّـلاةُ (٢) دَعَى الدَّا * عِى (لعَبْـدِ الحَمِيـدِ) بالتَّأْيِيـدِ

فاسمُ هـذا الأَسِيرِ قـد كان مَقْرُو * نًا بِذِكْرِ الرَّسُـولِ والتَّوْحِيـدِ

بِتُّ أَخْشَى عليكُمْ أَنْ يَقُـولُوا * إنْ أَثَرْتُمْ (٣) مِنْ كامِناتِ الحُقُـودِ

كانَ (عَبْـدُ الحَمِيـدِ) بالأَمْسِ فَرْدًا * فَغَـدَا اليـومَ أَلْفَ (عبدِ الحَمِيـدِ) (٤)

يا أَسِـيرًا فى (سَنْتِ هِيلِينَ) رَحِّبْ * بأَسِـيرٍ فى (سالُنِيـكَ) جَـدِيدِ (٥)

قُلْ لَهُ كيفَ زالَ مُلْكُكَ لَمْ يَعْـ * ـصِمْكَ (٦) إعْـدادُ عُـدَّةٍ أو عَـدِيدِ

لَمْ تَصُـنْكَ الجُنُـودُ تَفْـدِيكَ بالأَرْ * واحِ والمـالِ يا غَرامَ ٱلجُنُـودِ

قُلْ له كيفَ كُنْتَ؟ كيفَ امتَلَكْتَ الـ * أَرْضَ؟ كيفَ ٱنْفَرَدْتَ بالتَّمْجِيدِ؟

---

(١) أرهقه: أثقل عليه وظلمه. (٢) يريد «بالصلاة»: صلاة الجمعة. ويريد «بالداعى»: الخطيب. (٣) أثاره إثارة: هيجه. وكامنات الحقود: ما خفى منها. (٤) يقول لمن ولى الأمر من رجال تركيا: إن أثرتم دفائن الصدور، وأسأتم التصرف فى الأمور، تضاعف الظلم، فبدل أن كان يستبد بالأمر ويظلم الرعية فرد واحد هو عبد الحميد، يصبح مستبدا بأمركم ألف عبد الحميد.

(٥) يريد «بالأسير فى سنت هيلين»: نابليون بونابرت امبراطور فرنسا وقائدها المعروف، وقد أسر فى جزيرة سانت هيلانة، وظل بها أسيرا حتى مات، ونقلت رفاته بعد مدة إلى فرنسا. وسالونيك: مدينة معروفة بمقدونيا، وكانت من أملاك الدولة العثمانية، وهى الآن من أملاك اليونان؛ وقد اعتقل فيها السلطان عبد الحميد بعد خلعه. (٦) لم يعصمك: لم يحفظك. والعدّة: السلاح. والعديد: الكثرة.

فثَلَلْتَ العُرُوشَ عَرْشًا فعرشًا * وصَبَغْتَ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ (١)

كلَّما نِلْتَ غايةً لَمْ تَنَلْها * هِمَّةُ الدَّهْرِ قلتَ : هَلْ مِنْ مَزِيدِ؟

ضاقَتِ الأرضُ عَنْ مَداكَ فأرْسَلْـ * ـتَ بطَرْفٍ إلى السَّماءِ عَتِيدِ (٢)

قُلْ له : جَلَّ مَنْ له المُلْكُ لا مُلْـ * ـكَ لغَيْرِ المُهَيْمِنِ المَعْبُودِ

أنتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حَالًا * مِنْ أَسِيرِ الجَزِيرةِ المَكْمُودِ (٣)

وأَسِيرُ الأَقْفَاصِ قد كان أَشْقَى * لو سَأَلْتَ الأَسْفارَ عَنْ (بايَزِيدِ) (٤)

كان (عبدُ الحميد) فى القَصْرِ أَشْقَى * منه فى الأَسْرِ والبَلاءِ الشَّدِيدِ

كان لا يَعْرِفُ القَرارَ بِلَيْلٍ * لا ولا يَسْتَلِذُّ طَعْمَ الهُجُودِ (٥)

حَذِرًا يَرْهَبُ الظَّلامَ ويَخْشَى * خَطْرَةَ الرِّيحِ أو بُكاءَ الوَلِيدِ

نَفَقٌ تحتَ طابِقِ الأَرْضِ أَخْفَى * فى تَدَجِّيهِ مِنْ ضَمِيرِ الكَنُودِ (٦)

---

(١) ثللت العروش، أى هدمت ملكها . والصعيد : التراب . يريد أنه صبغه بدماء أعدائه .

(٢) المدى : الغاية . والعتيد : المعدّ المهيأ . (٣) أرفه حالا : أحسنها . وأسير الجزيرة : نابليون بونابرت . والجزيرة : سانت هيلانة السابق ذكرها . والمكمود : المحزون . (٤) الأسفار : الكتب ؛ الواحد : سفر (بكسر فسكون) . وبايزيد، هو بايزيد الأوّل ابن السلطان مراد الأوّل، وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان ، ولد عام ٧٦١ ﻫ . وجلس على كرسى الملك بعد وفاة أبيه عام ٧٩١ ﻫ . وتوفى فى سنة ٨٠٥ ﻫ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى وقوع بايزيد فى أسر تيمورلنك ملك التتار فى موقعة أنقرة سنة ٨٠٥ ﻫ ؛ وسجنه إياه فى قفص حتى مات كمدا بعد سجنه بثمانية أشهر .

(٥) الهجود : النوم . (٦) النفق (بالتحريك) : سرب فى الأرض له مخرج إلى مكان . ويشير إلى المواضع الخفية التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد حذرا من أعدائه . وتدجيه : إظلامه . والكنود : الكفور . شبه ظلام المسارب التى كان يختبئ فيها عبد الحميد بظلام قلب الكفور لعدم نفوذ ضوء الحق اليه .

يُعجِزُ الوَهْمَ عن تلمُّسِ ذاكَ الـ * ـبابِ بابِ الخليفةِ المنكودِ (١)

أَصحيحٌ ما قيلَ عنكَ وحقٌّ * ما سَمِعنا مِن الرُّواةِ الشُّهودِ

أنَّ (عبدَ الحميدِ) قد هدمَ الشَّرْ * عَ وأربَى على فِعالِ (الوليدِ)؟ (٢)

إنْ بريئًا وإنْ أثيمًا ستُجزَى * يومَ تُجزَى أمامَ ربٍّ شهيدِ

أَصحيحٌ بكيتَ لمّا أتى الوَفْـ * ـدُ ونابتكَ رِعشةُ الرِّعديدِ؟ (٣)

ونسيتَ الآباءَ والمجدَ والسُّؤْ * دُدَ والعِزَّ يا كريمَ الجدودِ؟ (٤)

ما عَهِدْنا المُلوكَ تبكي ولكنْ * علَّها نَزوةُ الفؤادِ الجليدِ (٥)

علَّها دمعةُ الوَداعِ لذاكَ الْـ * ـمُلْكِ أو ذِكْرةٌ لتلكَ العُهودِ

غَسَلَ الدمعُ عنكَ حَوْبةَ ماضيـ * ـكَ ووقّاكَ شرَّ يومِ الوعيدِ (٦)

شفعَ الدمعُ فيكَ عندَ البَرايا * ليسَ ذاكَ الشفيعُ بالمردودِ

دمعُكَ اليومَ مِثلُ أمرِكَ بالأمْـ * ـسِ مُطاعٌ في سيِّدٍ ومَسودِ (٧)

كانَ (عبدُ العزيزِ) أجملَ أمرًا * منكَ في يومِ خلعِه المشهودِ (٨)

---

(١) يقول : ان هذا النفق خفى وضلت سبيله على طالبه ، حتى إنه ليعجز الوهم عن تعرّف الطريق إلى بابه .

(٢) أربى : زاد . والوليد ، هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموى المروانى المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهاونه بالدين . (٣) يريد الوفد المبعوث بخلعه . والرعديد : الجبان . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . (٥) الجليد : المتجلد الصابر . (٦) الحوبة (بفتح الحاء) : الخطيئة .

(٧) يقول : إن دمعك يوم الخلع قد بلغ من الأثر فى رعيتك ما ردهم عن الانتقام منك ، فكأنه أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش . (٨) عبد العزيز ، هو أحد سلاطين آل عثمان ، وهو الثانى والثلاثون منهم ، وهو ابن السلطان محمود الثانى . ولد عام ١٢٤٥ هـ ، وتولى الخلافة فى سنة ١٢٧٧ هـ . وخلع فى سنة ١٢٩٣ هـ ، وتوفى فى السنة نفسها . وهو الذى زار مصر فى عهد المغفور له اسماعيل باشا الخديوى ، وسمى باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة .

خَافَ مأثورَ قولِه فتعالَى (١) * عن صَغارٍ ومات موتَ الأسودِ

ضَمَّ مقراضَهُ اليه ونادَى (٢) * دُونَ ذُلِّ الحياةِ قَطْعُ الوريدِ

حَيِّ عهدَ الرَّشادِ يا شرقُ وابلُغْ (٣) * ما تمنَّيتَ مِنْ زمانٍ بعيدِ

قد تولَّى (محمدُ الخامسُ) المُلْ * كَ فأعظِمْ بتاجِه المعقودِ

وتجلَّى في مِهرجانٍ تجلَّى (٤) * سيفُ (عثمانَ) فيه بالتقليدِ

وقفَ الدهرُ خاشعًا إذ رأى السيْ (٥) * فينِ في قبضةِ العزيزِ المجيدِ

طأطئي للجلالِ يا أُممَ الأرْ (٦) * ضِ سُجودًا، هذا مقامُ السُّجودِ

عَلِمَ اللهُ أنَّ عهدَ (رشادٍ) (٧) * خيرُ فألٍ بِرَدِّ عهدِ (الرشيدِ)

---

(١) الصغار : الذل . يقول : إن هذا السلطان قد خاف فى يوم خلعه أن يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة .

(٢) المقراض : المقص .

(٣) يريد « بالرشاد » : السلطان محمد رشاد الخامس، وقد تولى الملك فى سنة ١٣٢٧ هـ — سنة ١٩٠٩ م — بعد خلع السلطان عبد الحميد .

(٤) المهرجان : عيد للفرس، ويطلق على كل عيد . وعثمان، هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التى تنسب اليه . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٧ من هذا الجزء) .

(٥) يريد « بالسيفين » : سيف عثمان مؤسس الدولة، وسيف الخليفة الجالس على العرش .

(٦) طأطأ رأسه : خفضه .

(٧) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسى هارون الرشيد الذى بلغت الأمة الإسلامية فى أيامه من الرقى أقصاه .

عيد الدستور العثمانى

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى حديقة الأزبكية فى مساء الجمعة ٢٣ يوليه سنة ١٩٠٩ م

أَجَلْ هٰذه أعلامُهُ ومواكبُهْ * هنيئاً لهمْ فليسحبِ الذيلَ ساحبُهْ (١)

هنيئاً لهمْ فالكونُ فى يومِ عيدِهِمْ * مشارقُهُ وُضّاءةٌ ومغاربُهْ (٢)

رعى اللهُ شعباً جمّعَ العدلُ شملَهُ * وتمّتْ على عهدِ الرشادِ رغائبُهْ (٣)

تحالفَ فى ظلِّ الهلالِ إمامُهُ * وحاخامُهُ ـ بعدَ الخلافِ ـ وراهبُهْ (٤)

خذوا بيدِ الإصلاحِ والأمرُ مُقبِلٌ * فإنّى أرى الإصلاحَ قد طرَّ شاربُهْ (٥)

وردّوا على المُلكِ الشبابَ الذى ذوى * فإنّى رأيتُ المُلكَ شابتْ ذوائبُهْ (٦)

فمنْ يطلبِ الدستورَ بالسوءِ بعدما * حمتْهُ يدُ (الفاروقِ) فاللهُ طالبُهْ

اذا (شوكتُ الفاروقُ) قامَ مُنادياً * الى الحقِّ لبّاهُ (نيازى) وصاحبُهْ (٧)

---

(١) أجل : نعم . وأعلامه ، أى أعلام العيد . ولهم : للأتراك . وسحب الذيل : كناية عن التيه والفخر . (٢) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاد) ، أى ذات حسن وبهجة ، من الوضاءة (بفتح الواو وتخفيف الضاد) (٣) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى ما يرغب فيه . (٤) الهلال : شعار الدولة العثمانية . ويريد «بالإمام والحاخام والراهب» : اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية . (٥) طر شاربه : نبت وطلع ، وذلك فى أول عهد الشباب . ويريد بهذه العبارة : أن وقت الإصلاح قد حان . (٦) ذوى : ذبل . والذوائب : الضفائر ، الواحدة ذؤابة . وشيب الذوائب ، كناية عن الضعف والانحلال . (٧) شوكت ونيازى : بطلان من أبطال جمعية الاتحاد والترقى التركية . ويريد « بالصاحب » : أنور باشا القائد التركى المعروف . وكان لهؤلاء الثلاثة بلاء حسن فى الانقلاب العثمانىّ المعروف ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وإعادة الدستور الى الأمة التركية .

ثلاثةُ آسادٍ يُجانبُها الرَّدى * وإنْ هيَ لاقاها الرَّدى لا تُجانبُهْ (١)

يُصارِعُها صَرْفُ المَنونِ فتلتقِي * مَخالبُها فيه وتنبُو مَخالبُهْ (٢)

روتْ قولَ (بشّارٍ) فثارتْ وأقسمتْ * وقامت إلى (عبدِ الحميدِ) تُحاسبُهْ:

(إذا المَلِكُ الجبّارُ صعّرَ خدَّه * مشَينا إليه بالسُّيوفِ نُعاتبُهْ) (٣)

وسارَ على أعقابِها كلُّ سابحٍ * على متنِه برجٌ مَشيدٌ يُداعبُهْ (٤)

يَصيحُ به : لا ريَّ أو نَبلُغَ المُنى * ولا شِبَعٌ أو يَرجِعَ الحقَّ غاصبُهْ

هُنالكَ فانهَلْ واتّخِذْ ثَمَّ مَربِطًا * (بِيَلْدِزَ) وآحذَرْ في الوغَى مَن تُصاحبُهْ (٥)

رجالٌ منَ الإيمانِ مَلأى نفوسُهم * وجيشٌ منَ الأتراكِ ظمْآى قواضبُهْ (٦)

صوالجُه سُمْرُ القَنا، وكُراتُه * رءوسُ الأعادي، والحُصونُ ملاعبُهْ (٧)

---

(١) الردى : الهلاك . (٢) المنون : الموت . وتنبو : تكل وترتد .

(٣) صعر خده : أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم وكبرا . ويريد بقوله « نعاتبه » : نهدده بالسيوف ونتذره بالقتل . وفي استعمال العتاب بهذا المعنى تهكم ظاهر . وهذا البيت من قصيدة لبشار بن برد يمدح بها عمر بن هبيرة . (٤) يريد «بالسابح» : الفرس الشديد الجري . والمتن : الظهر . ويريد « بالبرج » : الفارس الذي يشبه البرج في ضخامته . (٥) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك)، وهو السقية الأولى . ويلدز : قصر الخلافة بالقسطنطينية . والوغى : الحرب . يعد الفارس فرسه بأنه سيبلغ ما يريد من النصر والظفر، وأنه سيستبيح من حمى القصر ما كان ممتنعا ، وهناك يحمد راكبه على صدق وعده . (٦) القواضب : السيوف القواطع . ومعنى قوله « ظمآى قواضبه » : أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء . (٧) الصوالج : العصيّ المعوجة الأطراف التي يلعبون بها الكرة ؛ الواحد صولجان ، فارسي معرب . والقنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . وقد شبه هذا الجيش في حربه بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب ، وقلة مبالاته بالموت فيها ، فجعل الرماح صوالجه ، ورءوس الأعداء كراته ، والحصون مواضع اللعب .

إذا ثارَ دُكَّتْ أَجْبُلٌ وتَخَشَّعَتْ * بِحارٌ وأَمْضَى اللهُ ما هو كاتِبُهْ (١)

وثُلَّتْ عُرُوشٌ واستَقَرَّتْ ممالِكٌ * ولو أنَّ ذا القَرْنَيْنِ فيها يُناصِبُهْ (٢)

فمَنْ لم يُشاهِدْ (يَلْدِزًا) بعدَ ربِّها * وقد زالَ عنه المُلْكُ وآنْدَكَّ جانِبُهْ (٣)

وأَسْلَمَهُ أَحْبابُه لِقُضاتِه * وفَرَّ ولم يَخْشَ المَعرَّةَ كاتِبُهْ (٤)

وقَلَّمَتِ الأَقْدارُ أَظْفارَ بَطْشِه * ودَلَّ على ما تَجْهَلُ الجِنُّ حاجِبُهْ (٥)

فما شَهِدَ الدُّنْيا تَزُولُ ولا رأى * بَلاءَ قَضاءِ اللهِ فِيمَنْ يُحارِبُهْ (٦)

أُبِيحَ حِماها وآنْطَوَى مَجْدُ رَبِّها * وقامَتْ على البَيْتِ (الحَمِيدِى) نَوائِبُهْ (٧)

ولَمْ يُغْنِ عن (عَبْدِ الحَمِيدِ) دَهاؤُه * ولا عَصَمَتْ (عبدَ الحَمِيدِ) تَجارِبُهْ (٨)

ولَمْ يَحْمِهِ حِصْنٌ ولَمْ تَرْمِ دُونَه * دَنانِيرُه والأَمْرُ بالأَمْرِ حازِبُهْ (٩)

ولَمْ يُخْفِه عَنْ أَعْيُنِ الحَقِّ مَخْدَعٌ * ولا نَفَقٌ فى الأَرْضِ جَمٌّ مَسارِبُهْ (١٠)

---

(١) دكت : تهدمت . وما هو كاتبه ، أى ما هو مقدره من النصر والظفر لهذا الجيش .

(٢) ثلت : هدمت . وذو القرنين : ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات . ويناصبه : يعاديه . (٣) ربها : صاحبها ، وهو عبد الحميد .

(٤) يريد «بكاتبه» : عزت العابد باشا . (٥) يقال : هو مقلم الأظفار ، اذا كان أعزل بغير سلاح . ويريد « بما تجهل الجن » : السراديب والأنفاق التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد من أعدائه . (٦) فما : جواب « من » فى قوله السابق : « فمن لم يشاهد ... الخ » .

(٧) أبيح حماها ، أى صارت يلدز مفتحة النواحى لكل داخل مهما قل شأنه .

(٨) عصمت : حفظت . (٩) لم ترم دونه دنانيره ، أى أن أمواله لم تدفع عنه أعداءه . فشبه المال يحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرمى السهام دفاعا عمن يحتمى به . وحزبه الأمر : نابه واشتد عليه وضغطه . (١٠) يشير فى هذا البيت الى المخابئ والأنفاق التى كان قد أعدها عبد الحميد تحت الأرض ليختبئ فيها من أعدائه .

أَقامَ عليه مَهْلَكاً عند مَهْلَكٍ * يَمُرُّ به رَوْحُ الصَّبا فيُواثِبُهْ (١)

تَحاماهُ حتّى الوَهْمُ خَوفَ اغتِيالِه * فلو مَسَّهُ طَيفٌ لدارتْ لَوالِبُهْ

وأَسرَفَ فى حُبِّ الحَياةِ فَخاطَها * بسُورٍ من الأَهْوالِ لَمْ يَنْجُ راكِبُهْ

ففى كُلِّ قُفْلٍ للمَنِيَّةِ مَكْمَنٌ * وفى كُلِّ مِفْتاحٍ قَضاءٌ يُراقِبُهْ (٢)

وفى كُلِّ رُكْنٍ صُورةٌ لو تَكَلَّمَتْ * لَمَا شَكَّ فى (عَبْدِ الحَمِيدِ) مُخاطِبُهْ

تَماثِيلُ إيهامٍ أُنِيمَتْ وأُقْعِدَتْ * تَراءَى بها أَعْطافُهُ ومَناكِبُهْ (٣)

تُمَثِّلُهُ فى نَوْمِهِ وجُلُوسِهِ * وتَخْدَعُ فيه الموتَ حِينَ يُقارِبُهْ

أَقامَ عليهِ أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ * لِيَغْلِبَ مَوْتاً واحداً عَزَّ غالِبُهْ

سَلُوهُ أَأَغْنَتْ عنه فى يومِ خَلْعِهِ * عَجائِبُهُ ؟ أو أَحْرَزَتْهُ غَرائِبُهْ ؟ (٤)

وقد نَزَلَ المِقْدارُ بالأَمْرِ صادِعاً * فضاقَتْ على شَيْخِ المُلُوكِ مَذاهِبُهْ (٥)

وأَخْرَجَه مِنْ (يَلْدِزٍ) رَبُّ (يَلْدِزٍ) * وجَرَّدَه مِنْ سَيفِ (عُثْمانَ) واهِبُهْ

وأَصْبَحَ فى مَنْفاهُ والجَيْشُ دُونَهُ * يُغالِبُ ذِكْرَى مُلْكِهِ وتُغالِبُهْ (٦)

---

(١) الروح : الريح . يقول : إن عبد الحميد قد بالغ فى المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطالبه ما لو مرت به ريح الصبا لوثب عليها ظنا منه أنها من أعداء السلطان .

(٢) يشير بهذا البيت الى ما كان يروى من العجائب التى كان يتخذها السلطان عبد الحميد فى الحذر على نفسه من أعدائه ، حتى إنه قد صنعت لخابئه وخزائن أمواله أقفال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله .

(٣) تراءى ، أى تتراءى . والأعطاف : الجوانب . (٤) أحرزته : حفظته .

(٥) المقدار : القدر . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . (٦) والجيش دونه ، أى واقف دونه يمنعه من الفرار .

(١)
يُنَادِيهِ صَوْتُ الحَقِّ: ذُقْ ما أَذَقْتَهم * فكلُّ امرئٍ رَهْنٌ بما هُوَ كاسِبُهْ
(٢)
هُمُ مَنَحوكَ اليومَ ما أنتَ مُشْتَهٍ * فَرُدَّ لهم بالأَمْسِ ما أنتَ سالِبُهْ
(٣)
ودَعْ عَنْكَ ما أَمَّلْتَ إنْ كنتَ حازِمًا * فلم يَبْقَ لِلآمالِ فَضْلٌ تُجاذِبُهْ
(٤)
مَضَى عَهْدُ الاستبدادِ واندكَّ صَرْحُه * ووَلَّتْ أفاعيهِ وماتتْ عَقارِبُهْ
(٥)
لكَ اللهُ يا (تَمُّوزُ) إنَّكَ بَلْسَمٌ * لِجَرْحَى الأَسَى والدَّهْرُ تَعْدُو نَوائِبُهْ
(٦)
فكَمْ رُعْتَ جَبَّارًا وأَرْهَقْتَ ظالِمًا * وأَنْصَفْتَ مَظْلُوما تَوالَتْ مَصائِبُهْ
(٧)
فَدَيْناكَ مِنْ شَهْرٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ * أوائِلُهُ مَيْمُونَةٌ وعَواقِبُهْ
(٨)
تُقابِلُهُ الأَعْيادُ في الأَرْضِ كُلَّما * تَجَلَّى هِلالُ الشَّهْرِ أو لاحَ حاجِبُهْ
(٩)
فَفِي الغَرْبِ عِيدٌ يَنْظِمُ الغَرْبَ حُسْنُه * فتَهْتَزُّ مِنْ وَقْعِ السُّرورِ جَوانِبُهْ
(١٠)
وفي الشَّرْقِ عِيدٌ لم يَرَ الشَّرْقُ مِثْلَه * تَدَفَّقُ في دارِ السَّلامِ مَواكِبُهْ

(١) رهن بما هو كاسبه، أى مجزى بما اقترفه هو، لا بما اقترفه غيره؛ يقال: هو رهن بكذا، أى مقصور عليه لا يتعداه. (٢) ما أنت مشته، أى الحياة. وما أنت سالبه، أى حقوق الأمة وحريتها.

(٣) شبه «الآمال» بالرداء الذى له فضول، أى زيادات يجذب منها. يقول: إن آمالك فى الملك قد قصرت فليس فيها موضع تمسكه بيدك وتجاذبها منه. (٤) الصرح: ما علا من البنيان. ويريد «بالأفاعى والعقارب»: جواسيس عبد الحميد ورسل الشر فى عهده. (٥) تموز: شهر معروف من السنة المسيحية، ويوافق شهر يوليه، وهو الذى نالت فيه الأمة التركية دستورها. والبلسم: دواء تضمد به الجراح. (٦) رعت: أفزعت. وأرهقت ظالما: حملته ما لا يطيق من العذاب.

(٧) يقال: يوم أو شهر أغر محجل، اذا كان مشهورا؛ وأصلهما من الصفات الممدوحة فى الخيل، الأغر منها ما كان فى جبهته بياض، والمحجل ما كان البياض فى قوائمه. (٨) تجلى: ظهر.

(٩) يريد «بالعيد الذى فى الغرب»: عيد الحرية فى فرنسا، وهو فى شهر تموز (١٤ يوليه).

(١٠) يريد «بالعيد الذى فى الشرق»: عيد الدستور التركى؛ وقد نسبه الى الشرق، لأن الأمم الشرقية التابعة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيدا مثلها. ودار السلام: القسطنطينية.

يُطيفونَ بالعَرْشِ الكَريمِ ورَبِّه ✱ تُطيفُ بهمْ آلاؤه ومناقِبُهْ (١)

لِتَهْنِئْ أميرَ المؤمنين مُحَمَّدا ✱ خِلافَتُه فالعَرْشُ سَعْدٌ كَوَاكِبُهْ

سَتَمْلِكُ أمْواجَ البِحارِ سَفينُه ✱ كما مَلَكَتْ شُمَّ الجِبالِ كَتائبُهْ (٢)

مَمالِكُهُ محْروسَةٌ وثُغُورُه ✱ رَكائبُهُ مَنْصورَةٌ ومَراكِبُهْ

إلى البرنس حسين كامل باشا (٣)

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت فى ١٠ نوفبرسنة ١٩٠٩ م]

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فتَى تَنامُ ✱ أهَمٌّ ذادَ نَوْمَكَ أمْ هُيامُ (٤)

غَفَا المَحْزونُ والشاكِي وأغْفَى ✱ أخُو البَلْوَى ونامَ المُسْتَهامُ (٥)

وأنتَ تُقَلِّبُ الكَفَّيْنِ آنًا ✱ وآوِنَةً يُقَلِّبُكَ السَّقامُ (٦)

تَحَدَّرَتِ المَدامِعُ منكَ حَتَّى ✱ تَعَلَّمَ مِنْ مَحاجِرِكَ الغَمامُ (٧)

---

(١) الآلاء : النعم . والمناقب : الخصال الحميدة ؛ الواحدة منقبة .

(٢) شم الجبال : أعاليها ؛ الواحد أشم . والكتائب : فرق الجيش ؛ الواحدة كتيبة .

(٣) ولد السلطان حسين كامل فى يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ — ٢١ نوفبر سنة ١٨٥٣ م . وفى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر . وتوفى رحمه الله فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

(٤) نصل الدجى : خرج من سواده وابيض بطلوع الصباح . وذاد : منع . والهيام : العشق .

(٥) غفا وأغفى : نام . والمستهام : العاشق . (٦) تقليب الكف : كناية عن الحيرة .

(٧) المحاجر : جمع محجر (بفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما) ، وهو ما دار حول العين . والغمام : السحاب . يقول : إن السحاب تعلم الهطول من انهمال مدامعك .

وضجّت من تقلّبك الحشايا * وأشفق من تلهفك الظلام (١)

تبيت تُساجل الأفلاك سُهْدًا * وعين الكون رنّقها المنام (٢)

وتكتمنا حديث هواك حتّى * أذاع الصمتُ ما أخفى الكلام

بربّك هل رجعت إلى رسيس * من الذكرى وهل رجع الغرام؟ (٣)

وقد لمع المشيب وذاك سيفٌ * على فوديك علّقه الحِمام (٤)

أيجمل بالأديب أديب مصر * بكاء الطفل أرهقه الفطام (٥)

ويصرفه الهوى عن ذكر مصر * ومصرٌ في يد الباغي تضام؟ (٦)

عدمت يراعتي إن كان ما بي * هوًى بين الضلوع له ضرام (٧)

وما أنا والغرام وشاب رأسي * وغال شبابي الخطب الجسام (٨)

وربّاني الذي ربّى (لبيدًا) * فعلّمني الذي جهل الأنام (٩)

---

(١) الحشايا : الفرش المحشوة ؛ الواحدة حشية (بتشديد الياء) . (٢) تساجل الأفلاك سهدا ، أي تشاركها في السهر وتباريها فيه . ورنقها : خالطها . (٣) الرسيس : البقية والأثر .

(٤) الفودان : ناحيتا الرأس . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . ويريد «بالسيف المعلق على ناحيتي الرأس» : الشيب ، لأن كليهما قاتل .

(٥) أرهقه : آذاه وآلمه . (٦) الباغي : الظالم . (٧) اليراعة : القلم . ويريد بلاغتـه وأدبه ، لأنهما يكتبان به . وضرام النار : اشتعالها . (٨) غاله : أفناه وأهلكه . والجسام والجسيم : العظيم . (٩) يريد لبيد بن ربيعة العامري الشاعر المعروف ، صاحب المعلقة المشهورة ، التي أولها : «عفت الديار محلها فمقامها» . وكان من المعمرين ، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم . ويريد «بالذي ربي لبيدا» : الزمان وتطاوله . وخصه بالذكر لأنه من المعمرين ، وممن جربوا الحياة حتى سئموها ، قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

لَعَمْرُكَ ما أَرِقْتُ لغَيْرِ مِصْرٍ * ومالِي دُونَها أَمَلٌ يُرامُ (١)

ذَكَرْتُ جَلالَها أيّامَ كانَتْ * تَصُولُ بها الفَراعِنَةُ العِظامُ

وأيّامَ الرجالُ بها رِجالٌ * وأيّامَ الزّمانُ لها غُلامُ

فأَقْلَقَ مَضْجَعِي ما باتَ فِيها * وباتَتْ مِصْرُ فيه ، فهَلْ أُلامُ؟

أَرَى شَعْبًا بمَدْرَجَةِ العَوادِي * تَمَخَّخَ عَظْمَهُ داءٌ عُقامُ (٢)

إذا ما مَرَّ بالبَأْساءِ عامٌ * أَطَلَّ عليه بالبَأْساءِ عامُ

سَرَى داءُ التّواكُلِ فيه حَتّى * تَخَطَّفَ رِزْقَهُ ذاكَ الزِّحامُ (٣)

قد ٱسْتَعْصَى على الحُكَماءِ مِنّا * كما ٱسْتَعْصَى على الطِّبِّ ٱلجُذامُ (٤)

هَلاكُ الفَرْدِ مَنْشَؤُهُ تَوانٍ * ومَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَؤُهُ ٱنْقِسامُ

وإنّا قد وَنِينا وٱنْقَسَمْنا * فلا سَعْيٌ هُناكَ ولا وِئامُ

فساءَ مُقامُنا في أَرْضِ (مِصْرٍ) * وَطابَ لغَيْرِنا فيها ٱلمُقامُ

فلا عَجَبٌ إذا مُلِكَتْ علينا * مَذاهِبُنا وأَكْثَرُنا نِيامُ (٥)

(حُسَيْنُ حُسَيْنُ) أنتَ لها فَنَبِّهْ * رِجالًا عن طِلابِ الحَقِّ نامُوا

وكُنْ بأَبِيكَ لابْنِ أَخِيكَ عَوْنًا * فأنتَ بكَفِّهِ نِعْمَ ٱلحُسامُ (٦)

(١) أرق أرقا (وزان فرح فرحا) : سهر . (٢) المدرجة : الطريق . والعوادى : النوائب . وتمخخ العظم ، إذا أخرج مخه . والداء العقام : الذى لا يرجى البرء منه . (٣) يريد «بالزحام» : مزاحمة الأجانب للصريين . (٤) الضمير فى «استعصى» : يعود على «التواكل» السابق . (٥) المذاهب : الطرق . (٦) يريد «بابن أخيه» : عباس الثانى خديوى مصر السابق .

أَفِضْ فى قاعَةِ الشُّورَى وِئاماً * فقَدْ أَوْدَى بِنَا وَبِها ٱلْخِصامُ

وعَلِّمْهُمْ مُصادَمَةَ العَوادِى * فِمثْلُكَ لا يُرَوِّعُه الصِّدامُ (١)

ففى حِزْبِ اليَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ * وإنْ قَلُّوا فإنَّهُمُ كِرامُ

وفى حِزْبِ الشِّمالِ لَدَيْكَ أُسْدٌ * كُماةٌ لا يَطِيبُ لها ٱنْهِزامُ (٢)

فكونوا للبِلادِ ولا يَفُتْكُمْ * مِنَ النُّهَزاتِ والفُرَصِ ٱغْتِنامُ (٣)

فما سادُوا بمُعْجِزَةٍ علينا * ولكنْ فى صُفوفِهِمُ ٱنْضِمامُ (٤)

فلا تَثِقُوا بوَعْدِ القَوْمِ يوماً * فإنَّ سَحابَ ساسَتِهِمْ جَهامُ (٥)

وخافُوهُمْ إذا لانُوا فإنِّى * أَرَى السُّوّاسَ ليس لهمْ ذِمامُ (٦)

فكَمْ ضَحِكَ العَمِيدُ على لِحانا * وغَرَّ سَراتَنا مِنْه ٱبْتِسامُ (٧)

أَبَا الفَلّاحِ إنَّ الأَمْرَ فَوْضَى * وجَهْلُ الشَّعْبِ والفَوْضَى لِزامُ (٨)

فأَسْعِدْنا بنَشْرِ العِلْمِ واعْلَمْ * بأَنَّ النَّقْصَ يَعْقُبُه التَّمامُ

---

(١) العوادى : النوائب . ويروّعه : يفزعه . (٢) الكماة : الشجعان ؛ الواحد كمِى (بفتح الكاف وتشديد الياء) . (٣) النهزات : ما ينتهز من الفرص ، الواحدة نهزة (بضم فسكون) .

(٤) سادوا : يريد شعوب الغرب . (٥) يريد « بالقوم » : الإنجليز . و « بوعدهم » : ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها . والجهام من السحب (بفتح الجيم) : الذى لا ماء فيه .

(٦) الذمام : الذمة والعهد . (٧) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست) . والسراة من الناس : أهل الرفعة والمنزلة ؛ الواحد سرى (بفتح السين وتشديد الياء) .

(٨) أبو الفلاح : كنية كان يكنى بها المغفور له السلطان حسين كامل ، وذلك لما كان يظهره من العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم ويعود عليهم بالرفاهية والخصب . ولزام ، أى ان الجهل والفوضى متلازمان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر .

وليس العلمُ يُمسكُنا وحيدًا * اذا لم يَنتصرِ العلمَ اعتزامُ

وإنْ لمْ يُدرِكِ الدُّستورُ (مصرًا) * فما لحياتها أبدًا قوامُ (١)

حَمَوْنا وِرْدَ ماءِ (النِّيلِ) عَذْبًا * وقالوا: إنّه موتٌ زُؤامُ (٢)

وما الموتُ الزُّؤامُ إذا عَقَلْنا * سِوَى الشَّركاتِ حَلَّ لها الحَرامُ

لقد سَعِدَتْ بغفلتِنا فراحتْ * بثروتِنا وأوّلُها (الْتِزامُ)

فيا وَيْلَ القناةِ إذا احتواها * (بنو التاميزِ) وانحسرَ اللِّثامُ (٣)

لقد بَقِيَتْ مِنَ الدُّنيا حُطامًا * بأَيْدِينا وقد عَزَّ الحُطامُ (٤)

وقد كُنّا جَعَلْناها زِمامًا * فوالَهْفِي اذا قُطِعَ الزِّمامُ (٥)

(فيا قَصْرَ الدُّبارَةِ) لستُ أدرى * أحَرْبٌ فى جِرابِكَ أمْ سَلامُ

أَجِبْنا، هل يُرادُ بنا وَراءٌ * فنَقْضِي أمْ يُرادُ بنا أَمامُ (٦)

ويا حِزْبَ اليَمينِ إليكَ عَنّا * لقد طاشَتْ نِبالُكَ والسِّهامُ

ويا حِزْبَ الشِّمالِ عليكَ مِنّا * ومِنْ أبناءِ نَجْدَتِكَ السَّلامُ

(١) قوام الأمر: نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به. (٢) يشير بهذا البيت الى شركة المياه. ويريد بقوله: «موت زؤام»: ما يحمله ماء النيل الكدر من الجراثيم. (٣) القناة، أى قناة السويس. وبنو التاميز: الإنجليز. والتاميز: نهر عندهم معروف. ويريد «بانحسار اللثام»: انكشاف الحجاب عما يضمرونه نحو مصر. (٤) بقيت، أى القناة. (٥) يريد بهذا البيت والذى قبله أن قناة السويس قد بقيت فى يدنا تراثا عن السلف على قلة تراثنا، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم وأخوف ما نخافه أن تنقطع هذه الصلة. (٦) تقضى: نموت. (٧) حزب اليمين: الأعضاء الذين كانوا يؤيدون الحكومة فى مجلس شورى القوانين. وحزب الشمال: المعارضون الذين كانوا يؤيدون رأى الأمة. وأبناء نجدتك، أى الذين يناصرونك ويرون رأيك. والنجدة: الشجاعة والنصرة.

تحيـــة العام الهجـــرى

[سنة ١٣٢٨ هـ — يناير سنة ١٩١٠ م]

لى فيكَ حِينَ بَدَا سَناكَ وأَشْرَقا * أَمَلٌ سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَتَحَقَّقا (١)

أَشْرِقْ علينا بالسُّعودِ ولا تَكُنْ * كأَخِيكَ مَشْئُومَ المَنازِلِ أَخْرَقا (٢)

قد كانَ جَرّاحَ النُّفُوسِ فَداوِها * مِمّا بِها وكُنِ الطَّبِيبَ مُوَفَّقا

هَلَّلْتُ حِينَ لَمَحْتُ نُورَ جَبِينِه * ورَجَوْتُ فيه الخَيْرَ حِينَ تَأَلَّقا (٣)

وهَزَزْتُه بقَصِيدَةٍ لو أَنَّها * تُلِيَتْ على الصَّخْرِ الأَصَمِّ لأَغْدَقا (٤)

فنَأَى بجانِبِه وخَصَّ بنَحْسِه * مِصْرًا وأَسْرَفَ فى النُّحُوسِ وأَغْرَقا (٥)

لو كُنْتُ أَعْلَمُ ما يُخَبِّئُه لنا * لسأَلْتُ رَبِّى ضارِعًا أَنْ يُمْحَقا

أَوْلَى الأَعاجِمَ مِنَّةً مَذْكُورَةً * وأَعادَ للأَتْراكِ ذاكَ الرَّوْنَقا (٦)

وتَغَيَّرَتْ فيه الخُطُوبُ بفارِسٍ * حتَّى رأَيْتُ الشاهَ يَخْشَى البَيْدَقا (٧)

---

(١) السنا : الضوء . يخاطب هلال المحرم . (٢) يريد بقوله «أخيك» : هلال العام الذى قبله . والمنازل : البروج التى يتنقل فيها القمر . والأخرق : من الخرق (بضم الخاء) والخرق (بفتح الخاء والراء)، وهو القسوة والحمق . (٣) تألق : أضاء وأشرق . (٤) يقال : هزه إلى المعروف : اذا حركه اليه وشوقه الى عمله . وأغدق : تفجر بالماء الكثير . ويريد «بالقصيدة» : القصيدة السابقة التى أولها :

أطل على الأكوان والخلق تنظر * هلال رآه المسلمون فكبروا

(٥) نأى : بعد . يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه . وأغرق فى النحوس : بالغ فيها وأفرط .

(٦) أولى : أعطى . ويريد أن الأعاجم، وهم الفرس، نالوا فيه الدستور، وكذلك الترك .

(٧) الخطوب : الشئون؛ الواحد : خطب (بفتح الخاء) . والشاه : ملك العجم . والبيدق : الجندى . ويشير إلى الشاه والبيدق من قطع الشطرنج . والمعنى أن الحكم فى فارس قد أصبح بيد الأمة حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه .

وأَدالَ مِنْ (عبدِ الحميدِ) لشَعْبِه * فهَوَى وحاولَ أَنْ يعُودَ فأَخْفَقا (١)

أَمْسَى يُبالِي حارِسًا مِنْ جُنْدِه * ولقد يكُونُ وما يُبالِي الفَيْلَقا (٢)

ورَمَى على أَرْضِ الكِنانَةِ جِرْمَه * بالنازِلاتِ السُّودِ حتَّى أَرْهَقا (٣)

حَصَدَتْ مَناجِلُه غِراسَ رَجائِنا * ولو أَنَّها أَبْقَتْ عليه لأَوْرَقا (٤)

فتَقَيَّدَتْ فيه الصِّحافَةُ عَنْوَةً * ومَشَى الهَوَى بين الرَّعِيَّةِ مُطْلَقا (٥)

وأَتَى يُساوِمُ فى (القَناةِ) خَديعَةً * ولو أَنَّها تَمَّتْ لَتَمَّ بها الشَّقا

إنَّ البَلِيَّةَ أَنْ تُباعَ وتُشْتَرَى * (مِصْرٌ) وما فيها وأَلَّا تَنْطِقا (٦)

كانَتْ تُواسِينا على آلامِنا * صُحُفٌ إذا نَزَلَ البَلاءُ وأَطْبَقا (٧)

فاذا دَعَوْتُ الدمعَ فاسْتَعْصَى بَكَتْ * عنَّا أَسًى حتَّى تَغَصَّ وتَشْرَقا

كانَتْ لنا يومَ الشدائِدِ أَسْهُمًا * نَرْمِي بها وسَوابِقًا يومَ اللِّقا (٨)

---

(١) يقال : أدال الله لك من فلان : اذا جعل الكرة والنصر لك عليه . وأخفق فى السعى : لم ينجح فيه . (٢) الضمير فى «أمسى» : لعبد الحميد . والفيلق : الجيش العظيم . (٣) رمى : الضمير فيها يعود على الهلال . وأرض الكنانة : مصر . وأرهق : أنزل على أهلها العسر والظلم والطغيان .

(٤) المناجل : جمع منجل، وهو آلة يحصد بها الزرع، معروفة . (٥) يشير إلى تنفيذ قانون المطبوعات الذى عمل به فى عهد وزارة بطرس غالى باشا، فقيد حرية الرأى والكتابة فى الصحف . والعنوة : القهر . ويريد «بالهوى» : الحكم بما يشتهيه الحاكم، لا بما يقتضيه العدل . ومطلقا، أى لا قيد عليه .

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى ما حدث فى عهد نظارة بطرس غالى باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى تبتدئ من سنة ١٩٦٩ م الى نهاية سنة ٢٠٠٨ م وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن فى ذلك غبنا فاحشا قدر بمبلغ ١٣٠,٥٩٨,٠٠٠ جنيها، وكان ذلك فى ٧ أبريل سنة ١٩١٠م، وكان رأى الجمعية العمومية فى هذه المسألة قطعيا لا استشاريا . (٧) أطبق عليهم البلاء : غشيهم وغطاهم .

(٨) السوابق : من صفات الخيل، أى إن الصحف كانت عدة لنا فى الجهاد .

كانتْ صِماماً للنفُوسِ إذا غَلَتْ * فيها الهُمومُ وأَوْشَكتْ أن تَزْهَقا

(١)

كم نَفَّسَتْ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ واجِدٍ * لولا الصِّمامُ مِنَ الأَسَى لَتَمَزَّقا

(٢)

مالى أَنُوحُ على الصَّحافَةِ جازِعاً * ما ذا أَلَمَّ بها وماذا أَحْدَقا؟

قَصُّوا حَواشِيَها وظَنُّوا أَنَّهم * أَمِنُوا صَواعِقَها فكانَتْ أَصْعَقا

(٣)

وأَتَوْا بِحاذِقِهِمْ يَكِيدُ لها بِما * يَثْنِي عَزائِمَها فكانتْ أَحْذَقا

(٤)

أَهْلاً بنابِتَةِ البِلادِ ومَرْحَباً * جَدَّدْتُم العَهْدَ الذى قد أَخْلَقا

لا تَيْأَسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ * فلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثم ارْتَقَى

(٥)

مَدَّتْ له الآمالُ مِنْ أَفْلاكِها * خَيْطَ الرَّجاءِ إلى العُلا فتَسَلَّقا

(٦)

فتَجَشَّمُوا لِلْمَجْدِ كلَّ عَظِيمَةٍ * إنِّى رأيتُ المَجْدَ صَعْبَ المُرْتَقَى

(٧)

مَنْ رامَ وَصْلَ الشمسِ حاكَ خُيُوطَها * سَبَباً إلى آمالِهِ وتَعَلَّقا

عارٌ على ابْنِ النِّيلِ سَبَّاقِ الوَرَى * ـ مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُه ـ أَنْ يُسْبَقا

(٨)

أَوَ كُلَّما قالوا تَجَمَّعَ شَمْلُهُم * لَعِبَ الشِّقاقُ بِجَمْعِنا فتَفَرَّقا

---

(١) نفست : خففت . والواجد : الحزين . والأسى (بفتح الهمزة) : الحزن . و«من الأسى» متعلق بقوله «لتمزقا» . (٢) ألم : نزل . وأحدق : أحاط .

(٣) يريد «بحاذقهم» : بطرس غالى باشا رئيس النظار إذ ذاك . ويريد بقوله «فكانت أحذقا» : أنها كانت تؤدى عملها فى نقد الحكومة بمهارة ومداورة حتى لا تؤاخذ . (٤) نابتة البلاد : نشؤها وشبانها . وأخلق : بلى ورث . (٥) تسلق : صعد . (٦) تجشموا : تكلفوا .

(٧) حاك : نسج . والسبب : الحبل . يقول : إن من يريد أن يبلغ معالى الأمور تلمس الوسائل لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها . (٨) الشقاق : الخلاف والعداوة .

فتدفقوا حججاً وحوطوا نيلكم * فلكم أفاض عليكم وتدفقا (١)

حملوا علينا بالزمان وصرفه * فتأنقوا في سلبنا وتأنقا (٢)

هزوا مغاربها فهابت بأسهم * يا ويلكم إن لم تهزوا المشرقا (٣)

فتعلموا فالعلم مفتاح العلا * لم يبق باباً للسعادة مغلقا

ثم استمدوا منه كل قواكم * إن القوى بكل أرض يتقى

وابنوا حوالى حوضكم من يقظة * سوراً وخطوا من حذار خندقا (٤)

وزنوا الكلام وسددوه فإنهم * خبأوا لكم في كل حرف مزلقا (٥)

وامشوا على حذر فإن طريقكم * وعر أطاف به الهلاك وحلقا (٦)

نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا * للسالكين بكل فج موبقا (٧)

الموت في غشيانه وطروقه * والموت كل الموت ألا يطرقا (٨)

فتحينوا فرص الحياة كثيرة * وتعجلوها بالعزائم والرقى (٩)

---

(١) حاطه : صانه وحفظه . (٢) حملوا علينا بالزمان ، أى حاربنا المحتلون بحوادث الزمان ونوائبه وتأنق فى الأمر : بالغ فيه . (٣) يقول : إن للإنجليز من الحول والقوة ما أرهبوا به دول الغرب ، فليكن لكم أيها المصريون بين أمم الشرق ما للإنجليز بين أمم الغرب . (٤) المراد (بالحوض) هنا : الحى . (٥) المزلق : مكان الانزلاق ، أى الزلل والسقوط .

(٦) الوعر : الصعب . وحلق : ارتفع . يريد أن الهلاك قد غشى طريقكم من كل مكان .

(٧) الفج : الطريق . والموبق : المهلك . (٨) يريد أن طريق الأمة الى المجد والحرية مملوء بأسباب الهلاك ، على أن ما نحن فيه من استنامة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر ، ففى الإقدام موت ، وفى الإحجام موت أعظم ، فتحينوا الفرص ، وهو ما يقوله فى البيت الآتى .

(٩) تعجل الأمر : طلبه عاجلا . والرقى : جمع رقية ، وهى معروفة . ويريد «بالعزائم والرقى» هنا : قوة الدهاء والتلطف فى الحيلة ، وحسن التأتى إلى المقاصد .

أَو فاخلقُوها قادِرِينَ فإنَّما * فُرَصُ الحَياةِ خَليقَةٌ أنْ تُخلَقا

وتفيَّئوا ظِلَّ الأَرِيكَةِ (١) واقصِدُوا * مَلِكًا بأمّتِهِ أبَرَّ وأَرْفَقا

لا زالَ تاجُ المُلكِ فوقَ جَبِينِهِ * تحتَ الهِلالِ يَزِينُ ذاكَ المَفْرِقا (٢)

تحية الأسطول العثمانى

أنشدها فى حفل أقيم بتياترو عباس فى ٩ مارس سنة ١٩١٠ م برآسة رءوف باشا المعتمد العثمانى

بالّذى أَجْراكِ يا رِيحَ الخُزامَى (٣) * بَلِّغِى البُسْفُورَ عن مِصْرَ السَّلاما

واقطِفِى مِنْ كلِّ رَوْضٍ زَهْرَةً * واجعَلِيها لتَحايانا كِماما (٤)

وانْشُرِى رَيّاكِ (٥) فى ذاكَ الحِمَى * والثِمِى الأرْضَ إذا جِئْتِ الإماما

مَلِكٌ للشَّرْقِ فى أيّامِهِ * هِمّةُ الغَرْبِ نُهوضًا واعتِزاما

أيُّها القائِمُ بالأمْرِ لقد * قُمْتَ فى النّاسِ فأحْسَنْتَ القِياما

جَرِّدِ الرأىَ فكَمْ رأْيٍ إذا * سُلَّ مِنْ غِمْدِ النُّهَى (٦) فَلَّ الحُساما

---

(١) تفيئوا ظل الأريكة، يطلب إليهم أن يلتجئوا إليها و يستظلوا بها . والأريكة : سرير الملك .

(٢) مفرق الرأس : وسطه ، وهو حيث يفرق فيه الشعر .

(٣) الخزامى : نبات عطرى زهره من أطيب الأزهار نفحة ؛ وهذا النبات يقارب البنفسج ، و زهره إلى الزرقة واللازوردية .

(٤) الكمام : أغطية الزهر ؛ الواحد كم (بكسر الكاف وتشديد الميم) . يقول : حوطى تحايانا بأزهار الرياض . ويشير بذلك إلى أن التحايا التى يبعث بها إلى البسفور أذكى من الأزهار ريحا ، لأن الأزهار أذكى من أكمامها وأطيب نفحة .

(٥) الريا : الرائحة الطيبة . ويريد «بالإمام» : خليفة المسلمين .

(٦) النهى : العقول ؛ الواحد نهية . وفل الحسام : ثلمه وكسره .

وٱبعث الأسطولَ ترمي دونه * قوةُ الله وراءً وأماما

يكلأ الشرقَ ويرعى بقعةً * رفع اللهُ بها (البيتَ الحراما)
(١)

وثغوراً هي أبهى منظرا * من ثغورِ الغيدِ يبدين ٱبتساما
(٢)

خصّها الله بأفقٍ مشرقٍ * ضمّ في اللألاءِ (مصرًا) و (الشآما)
(٣)

حيِّ يا مشرقُ أسطولَ الأُلى * ضربوا الدهرَ بسوطٍ فاستقاما
(٤)

ملكوا البرَّ فلما لم يسعْ * مجدَهم نالوا من البحرِ المراما

بجوارٍ منشآتٍ كالدُّمى * أينما سارتْ صبا البحرُ وهاما
(٥)

كلّما أوفتْ على أمواجه * سجدَ الموجُ خشوعًا وٱحتشاما
(٦)

كان بالبحرِ اليها ظمأٌ * وعجيبٌ يشتكي البحرُ الأواما
(٧)

فهي في السلمِ جوارٍ تجتلَى * تبهرُ العينَ رُواءً ونظاما
(٨)

وهي في الحربِ قضاءٌ سابحٌ * يدعُ الحصنَ تلالًا ورجاما
(٩)

(١) يكلأ الشرق : يحفظه ويصونه . ويريد «بالبقعة» : الحجاز . (٢) الغيد : جمع غادة ، وهي المرأة اللينة الناعمة . (٣) اللألاء : الضياء .

(٤) «ضربوا الدهر ... الخ» : يريد أنهم أخضعوه لسطوتهم وعزهم فاستقام لهم .

(٥) الجوارى المنشآت : السفن . والدمى : جمع دمية ، وهي الصورة المنقشة المزينة . شبه السفن بها في جمالها .

(٦) أوفت : أشرفت . والاحتشام : الحياء .

(٧) الأوام : شدة العطش .

(٨) تجتلى : ينظر اليها الناس معجبين بحسنها ورونقها . والرواء (بضم الراء) : حسن المنظر .

(٩) الرجام : الحجارة ، الواحد رجمة (بضم الراء وسكون الجيم) .

ما نُجُومُ الرَّجيمِ مِنْ أَبْراجِها * إثرَ عِفريتٍ مِنَ الجِنِّ تَرَامَى (١)

مِنْ مَرامِيها بأنكَى مَوْقِعًا * لا ولا أَقوَى مِراسًا وعُرَاما (٢)

وهىَ بُركانٌ اذا ما هَاجَها * هائجُ الشَّرِّ عِداءً وخِصاما

جَبَلَ النارِ لقد رُعْتَ الورَى * أَنتَ فى حالَيْكَ لا تَرْعَى ذِماما (٣)

أنتَ فى البَرِّ بَلاءٌ فإذا * رَكِبَ البَحْرَ غَدا مَوْتًا زُؤاما (٤)

فاتَّقُوا الطَّوْدَ مَكِينًا راسِيًا * واتَّقُوا الطَّوْدَ اذا ما الطَّوْدُ عامَا (٥)

حَمَلَتْ حَرْبًا فكانَتْ حِقبَةً * نُذُرًا للمَوْتِ تَجْتاحُ الأَناما (٦)

خافَها العالَمُ حتى أَصبَحَتْ * رُسُلًا تَحمِلُ أَمْنًا وسَلاما (٧)

بُعِثَ المَشرِقُ مِنْ مَرقَدِه * بعدَ حِينٍ ، جَلَّ مَنْ يُحْيِي العِظاما

أيُّها الشَّرقُ شَمِّرْ لا تَنَمْ * وانْفُضِ العَجْزَ فإنَّ الجِدَّ قاما

---

(١) ترامى ، أى تترامى وتتساقط . ويشير الى أن الجن كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع من السماء ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم صار يرجم بالشهب كل من يريد منهم الدنو من السماء واستراق السمع ؛ وقد حكى الله تعالى ذلك فى القرآن فى سورة الجن .

(٢) أنكى : خبر «لما» فى قوله السابق : «ما نجوم» . والعرام : الشراسة والأذى والحدّة . يريد أن الشهب التى يرجم بها الجن المسترقون السمع من السماء ليست أشدّ وقعا ولا أنكى عذابا من قذائف هذه السفن فى الحرب .

(٣) رعت : أفزعت . والذمام : الحرمة والعهد .

(٤) يشير بقوله «أنت فى البر» : الى البراكين المعروفة . وبقوله « فاذا ركب البحر » : إلى الأسطول ، تشبيها له بالبراكين . جعل للبركان مظهرين : مظهره الحقيق فى البر ، ومظهره المجازى فى الأسطول .

(٥) الطود : الجبل العظيم .

(٦) الحقبة من الدهر : مدة لا حدّ لها . وتجتاح الأنام : تهلكهم .

(٧) يريد بهذا البيت والذى قبله : أن هذه السفن خدمت الحرب والسلم معا ، فكانت فى الحرب رسل موت تحصد الأرواح ، وهى لقوتها وكمال استعدادها أخافت الأعداء فتجنبوا حربها ، فكانت مبعث سلم أيضا .

وامتطِ العَزْمَ جوادًا لِلعُلا * واجعلِ الحكمةَ للعزمِ زِماما (١)

وإذا حاولتَ فى الأُفْقِ مُنًى * فارْكَبِ البرقَ ولا تَرْضَ الغَماما (٢)

لا تَضِقْ ذَرْعًا بما قال العِدا * رُبَّ ذى لُبٍّ عن الحَقِّ تَعامَى

سابِقِ الغربىَّ واسبِقْ واعتصِمْ * بالمروءاتِ وبالبأسِ اعتِصاما

جانِبِ الأطماعَ وانهَجْ نَهْجَه * واجعلِ الرحمةَ والتقوى لِزاما

طَلَبوا من عِلمِهم أن يُعجِزوا * قادِرَ الموتِ وأنْ يَثْنوا الحِماما (٣)

وأرادوا منه أنْ يَرفعهم * فوقَ هامِ الشُّهْبِ فى الغَيْبِ مَقاما (٤)

(قُتِلَ الإنسانُ ما أكفَرَه) * طاوَلَ الخالِقَ فى الكونِ وسامَى (٥)

أحرَجَ الغيبَ إلى أن بَزَّه * سِرَّه بَزًّا ولم يَخْشَ انتِقاما (٦)

قُوَّةَ الرحمنِ زِيدينا قُوًى * وأَفيضى فى بَنِى الشَّرْقِ الوِئاما

أفرِغى مِن كُلِّ صَدْرٍ حِقْدَه * أملأِ التاريخَ والدُّنيا كَلاما

أسألُ اللهَ الذى أَلْهَمَنا * خِدمةَ الأوطانِ شيخًا وغُلاما

أنْ أرى فى البحرِ والبَرِّ لنا * فى الوَغَى أندادَ (طُوجُو) و(أَيَاما) (٧)

---

(١) الزمام : ما تقاد به الدابة . (٢) يريد « بركوب البرق » : شدة السرعة ، لأن بطء الغمام لا يصلح مطية للجد . (٣) قادر الموت : مقدره ، وهو الله تعالى .

(٤) الهام : الرءوس . الواحدة هامة . والشهب : النجوم . (٥) طاول : غالب . وساماه مساماة : باراه فى السمو . (٦) بزه : سلبه . (٧) الوغى : الحرب . والأنداد : الأشباه . وطوجو وأياما : قائدان يابانيان معروفان .

حرب طرابلس

[فى سنة ١٩١٢ م]

طَمَعٌ أَلْقَى عن الغَرْبِ اللِّثاما (٢) * فاستَفِقْ يا شَرْقُ وَاحذَرْ أنْ تَناما

وَاحجِبِي أيّتُها الشمسُ إلى * كُلِّ مَنْ يَسكُنُ فى الشَّرقِ السَّلاما

وَاشهَدِى يومَ التَّنادِى (٣) أَنَّنا * فى سَبيلِ الحَقِّ قد مِتْنا كِراما

مادَتِ الأرْضُ بِنا حِينَ انتَشَتْ (٤) * مِنْ دَمِ القَتْلَى حَلالاً وحَراما

عَجَزَ الطُّلْيانُ عَنْ أبطالِنا * فأَعَلُّوا (٥) مِنْ ذَرارِينا الحُساما

كَبَّلُوهُمْ، قَتَّلُوهُمْ، مَثَّلُوا * بِذَواتِ الخِدْرِ، طاحُوا (٦) باليَتامَى

ذَبَحُوا الأَشْياخَ والزَّمْنَى (٧) ولَمْ * يَرحَمُوا طِفْلاً ولَمْ يُبْقُوا غُلاما

أَحرَقُوا الدُّورَ، استَحَلُّوا كُلَّ ما * حَرَّمَتْ (لاهاى) (٨) فى العَهْدِ احتِراما

بارَكَ المَطْرانُ (٩) فى أَعمالِهِمْ * فَسَلُوه بارَكَ القَومَ عَلاما؟

---

(١) ترجع أطماع إيطاليا فى طرابلس منذ بدأت أوربا تنشط فى اقتسام افريقيا . ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ فى مصر وتونس ، قويت أطماعها فى طرابلس . ولم تأت سنة ١٩١٢م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا ، وفى هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته .

(٢) اللثام (بالكسر) : النقاب . أى إن أمم الغرب قد كشفوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم . (٣) يوم التنادى : يوم القيامة . (٤) مادت الأرض : اضطربت . وانتشت : سكرت . (٥) أعلوا ، أى سقوا . وأصل الإعلال : السق بعد السق . (٦) طاح به : ذهب به وأهلكه . (٧) الزمنى : ذوو العاهات ؛ الواحد : زمن (بفتح الأول وكسر الثانى) .

(٨) يشير الى مؤتمر لاهاى الذى عقد فى سنة ١٨٩٩م بدعوة من نقولا الثانى قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب ، بتقليل السلاح ، وتفويض المشاكل التى تقع بين الدول الى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول . (٩) المطران (بالفتح و يكسر) : رئيس الكهنة ، وهو دون البطرق وفوق الأسقف .

أبِهذا جاءهم إنجيلُهم * آمِرًا يُلْقِى على الأرض سلامًا؟

كَشَفُوا عن نِيَّةِ الغربِ لنا * وجَلَوْا عن أُفُقِ الشَّرْقِ الظَّلاما

فقرأناها سُطورا مِنْ دَمٍ * أقسمتْ تلتهمُ الشرقَ التِهاما

أطلقوا الأسطولَ فى البحرِ كما * يُطلِقُ الزَّاجِلُ(1) فى الجوِّ الحَماما

فمَضى غيرَ بَعيدٍ وانثنى * يحمِلُ الأنباءَ شُؤمًا وانهزاما

قد ملأنا البَرَّ مِنْ أشلائِهِمْ(2) * فدعُوهم يملئوا الدنيا كلاما

أعلنوا الحربَ واضمرنا لهمْ * أيَّما حلُّوا هلاكًا واختراما(3)

خبِّروا (فِكْتورَ)(4) عنَّا أنَّه * أدهشَ العالَمَ حَرْبًا ونِظاما

أدهشَ العالمَ لمَّا أنْ رأوا * جيشَه يَسبِقُ فى الجَرْى النَّعاما

لم يَقِفْ فى البَرِّ إلَّا رَيْثَما * يُسْلِمُ الأرواحَ أو يُلْقِى الزِّماما

حاتِمَ(5) الطُّلْيانِ قد قلَّدْتَنا * مِنَّةً نَذْكُرُها عامًا فعاما

أنتَ أهديتَ إلينا عُدَّةً * ولِباسًا وشَرابًا وطَعاما

وسِلاحًا كانَ فى أيديكُمُ * ذا كَلالٍ(6) فغَدا يَفرِى العِظاما

(١) الزاجل : الذى يرسل الحمام .

(٢) الأشلاء : الأعضاء وبقايا الأجساد ؛ الواحد شلو .

(٣) اخترم القوم : استأصلهم .   (٤) فكتور عمانويل ، هو ملك إيطاليا .

(٥) شبه ملك الطليان فيما تخلى عنه جيشه للأتراك فى هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد بحاتم الطائى الذى يضرب به المثل فى الكرم ، ولا يخفى ما فى هذا من التهكم .

(٦) كل السيف كلالا : لم يقطع . ويفرى : يشق .

أَكثِرُوا النُّزْهَــةَ فى أَحْيائِنــا * ورُبانا إنَّهـا تَشْــفِى السَّــقامَا

وأَقِيمُــوا كلَّ عامٍ مَوْسِمًــا * يُشْبِـعِ الأَيْتــامَ مِنَّـا والأَيامَى (١)

لستُ أدرِى بِتَّ تَرْعَى أُمَّــةً * مِنْ بَنِى (التِّلْيـانِ) أَمْ تَرْعَى سَواما (٢)

ما لَهُمْ ــ والنَّصْرُ مِنْ عاداتِهِمْ ــ * لَزِمُوا السـاحِلَ خَوْفًا واعْتِصاما

أَفْلَتُــوا مِنْ نارِ (فِــيزُوفَ) إلى * نارِ حَرْبٍ لم تَكُنْ أدنَى ضِراما (٣)

لم يَكُنْ (فِــيزُوفُ) أَدْهَى حُمَمًا * مِنْ كُراتٍ تَنْفُثُ المــوتَ الزُّؤاما (٤)

إيهٍ يا (فِيزُوفُ) نَمْ عنهم فقــد * نَفَضَتْ إفْـرِيقيَــا عنهـا المَنَاما

فهِىَ بُرْكانٌ لهــمْ نَحْسَــرُهُ * مالِكُ المُــلْكِ جَــزاءً وانْتِقــاما

لو دَرَوْا ما خَبَــأَ الشَّرقُ لهــمْ * آثَرُوا (فِيزُوفَ) واختارُوا المُقاما

تِــلْكَ عُقْــبَى أُمَّــةٍ غادِرَةٍ * تَنْكُثُ العَهْــدَ ولا تَرْعَى الذِّماما (٥)

تِلْكَ عُقْبَى كلِّ جَبّــارٍ طَغَى * أو تَعــالَى أو عَنِ الحَقِّ تَعامَى

لَو دَرَتْ (رُومَةُ) ما قَــدْ نابَهــا * فى (طَرابُلُس) أَبَتْ إلّا انْقِســاما

وأَبَى كلُّ اشْــتِراكِيٍّ بهــا * أَنْ يَرَى التــاجَ عــلى رأسٍ أَقاما

أَعْلَنُــوا ضَــمَّ مَغانِينَــا إلى * مُلْكِ (فِكْتُورَ) ولَمْ يَخْشَوْا مَلاما (٦)

---

(١) الأيامى : جمع أيم (بتشديد الياء)، وهى من لا زوج لها . (٢) السوام : الإبل الراعية .
(٣) فيزوف : بركان فى جنوبى إيطاليا معروف . (٤) الحمم : جمع حممة ، وهى كل ما احترق من النار . يريد ما يقذفه بركان فيزوف . ويريد «بالكرات» : قذائف المدافع . والزؤام : الكريه .
(٥) الذمام : الحق والحرمة . (٦) المغانى : المنازل ؛ الواحد مغنى (بفتح فسكون) .

أَعْلَنُوا الضَّمَّ ولمَّا يفتحوا * قِيدَ أُظْفُورٍ وراءً أو أماما (١)

فاعْجَبُوا مِنْ فاتِحٍ ذِى مِرَّةٍ * يحسبُ النُّزْهةَ فى البحرِ صِداما (٢)

ويرى الفتحَ ادِّعاءً باطلاً * وافتراءً واحتجاجًا واحتكاما

أيها الحائرُ فى البحرِ اقتَرِبْ * مِنْ حِمَى (البُسْفُورِ) إنْ كنتَ هُماما

كم سَمِعْنا عن لسانِ البرقِ ما * يُزْعِجُ الدُّنيا إذا الأسطولُ عاما

عامَ شهرينِ ولم يفتحْ سِوَى * هُوَّةٍ فيها الملايينُ تَرامَى (٣)

دفنوا تاريخَهُم فى قاعِها * ورَمَوْا فى إثْرِه المجدَ غُلاما

فاطمئِنِّى أُمَمَ الشرقِ ولا * تَقْنَطِى اليومَ فإنَّ الجَدَّ قاما (٤)

إنَّ فى أضلاعِنا أفئدةً * تعشَقُ المجدَ وتأبَى أنْ تُضاما (٥)

منظومة تمثيلية

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك؛ وذلك فى عهد نشوب الحرب الطرابلسية التى وقعت بين الإيطاليين والترك فى سنة ١٩١٢م. وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليلى)، وطبيب، ورجل عربى

الجريح:

(لَيْلاىَ) ما أنا حىٌّ * يُرْجَى ولا أنا مَيْتُ

لم أقضِ حقَّ بلادِى * وهأنا قد قَضَيْتُ (٦)

---

(١) قيد أظفور (بفتح القاف وكسرها)، أى مقدار ظفر. (٢) المرة (بالكسر): القوة والشدة.

(٣) ترامى: تترامى. (٤) الجد (بالفتح): الحظ. والمراد «بقيامه»: انتعاشه.

(٥) تضام: تظلم. (٦) قضيت: مت.

شَفَيْتُ نَفْسِي لَوْ أَنِّي * لَمَّا رُمِيتُ رَمَيْتُ

(بَيْرُوتُ) لو أنَّ خَصْمًا * مَشَى إليَّ مَشَيْتُ

أو داسَ أَرْضَكِ باغٍ * لَدُسْتُه وبَغَيْتُ

أو حَلَّ فيكِ عَدُوٌّ * مُنازِلٌ ما اتَّقَيْتُ

لكنْ رَماكِ جَبانٌ * لو بان لى لاشْتَفَيْتُ (١)

(لَيْلاىَ) لا تَحْسَبِينى * على الحياةِ بَكَيْتُ

ولا تَظُنِّى شَكاتِى (٢) * مِنْ مَصْرَعِى إنْ شَكَوْتُ

ولا يُخِيفَنْكِ ذِكْرِى * (بَيْرُوتَ) أَنِّى سَلَوْتُ (٣)

(بَيْرُوتُ) مَهْدُ غَرامِى * فيها وفيكِ صَبَوْتُ (٤)

جَرَرْتُ ذَيْلَ شَبابِى * لَهْوًا وفيها جَرَيْتُ

فيها عَرَفْتُكِ طِفْلًا * ومِنْ هَواكِ انْتَشَيْتُ (٥)

ومِنْ عُيونِ رُباها (٦) * وعَذْبِ فِيكِ ارْتَوَيْتُ

فيها (لِلَيْلَى) كِناسٌ (٧) * ولِى مِنَ العِزِّ بَيْتُ

---

(١) اشتفى : أخذ بثأره فشفى بذلك نفسه . (٢) الشكاة : الشكوى .

(٣) أى لا تخشى ياليلاى من سلوتى إياك حينما أذكر بيروت ، فكلا كما فى الحب عندى سواء ، كما يتبين ذلك من الأبيات الآتية . (٤) صبا : مال . أى إن شوقى وغرامى وميلى فيك وفيها .

(٥) انتشى : سكر . (٦) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربوة . وعذب فيك ، أى ريقك العذب . (٧) الكناس : بيت الظبى الذى يأوى إليه .

فيها بَنَى لِى مَجْدًا * أوائِلِى وبَنَيْتُ

(لَيْلَى) سِراجُ حَياتِى * خَبَا فما فيه زَيْتُ (١)

قد أَطْفَأَتْه كُرَاتٌ * ما مِنْ لَظاهُنَّ فَوْتُ (٢)

رَمَى بهنّ بُغَاةٌ * أَصَبْنَنِى فَتَوَيْتُ (٣)

لَيْلَى :

لو تُفْتَدَى بحَياتِى * مِنَ الرَّدَى لَفَدَيْتُ

ولو وَقَاكَ وَقِىٌّ * بمُهْجَةٍ لَوَقَيْتُ

إنْ عِشْتَ أو مِتَّ إِنِّى * كما نَوَيْتَ نَوَيْتُ (٤)

الجريح :

(لَيْلاىَ) عِيشِى وقَرِّى * إذَا الحِمَامُ دَعَانِى

(لَيْلاىَ) ساعاتُ عُمْرِى * مَعْدُودَةٌ بالثَّوانِى

فكَفْكِفِى مِنْ دُمُوعٍ * تَفْرِى حُشاشَةَ فانِى (٥)

ومَهِّدِى لِىَ قَبْرًا * على ذُرا (لُبْنانِ)

ثم اكتُبِى فوقَ لَوْحٍ * لِكُلِّ قاصٍ ودانِى:

---

(١) خبا : خمد وطفئ . (٢) يريد « بالكرات » : قذائف المدافع المعروفة بالقنابل . واللظى : النار، أو لهبها . والفوت : الانفلات . (٣) تويت ، أى هلكت . (٤) كما نويت نويت ، أى أنى جعلت حياتى وموتى تبعا لحياتك وموتك . (٥) تفرى : تقطع . والحشاشة : بقية الروح فى المريض .

هُنـا الّذى مات غَدْرًا * هُنـا فَتَى الفِتْيـانِ

رَمَتْـهُ أَيـدِى جُنـاةٍ * مِنْ جِيرَةِ النّـيرانِ (١)

قُرْصـان بَحْـرٍ تَوَلَّوا * مِنْ حَوْمَةِ المَيْدانِ (٢)

لَمْ يَخْرُجوا قِيـدَ شِـبْرٍ * عَنْ مَسْبَحِ الحِيتـانِ

ولَمْ يُطِيقُـوا ثَبـاتًا * فِى أَوْجُهِ الفُرْسانِ

فَشَـمَّرُوا لانْتِقـامٍ * مِنْ غافِلٍ فى أَمانِ

وسَوَّدُوا وَجْهَ (رُومَا) * بالكَيْدِ لِلجِـيرانِ

تَبًّا لَهُمْ مِنْ بُغاثٍ * فَرُّوا مِنَ العِقْبانِ (٣)

لَـو أَنّهـم نازَلُـونا * فى الشّامِ يومَ طِعانِ

رَأَوْا طَرابُلُسَ تَبْـدُو * لهـم بكلّ مَكانِ

يا لَيْتَنِـى لَم أُعاجَل * بالمـوتِ قَبْـلَ الأَوانِ

حتّى أَرَى الشّرقَ يَسْمُو * رَغْـمَ اعتِـداءِ الزّمانِ

ويَسْـتَرِدُّ جَـلالًا * له ورِفْعَـةَ شانِ

ولْيَعْـلَمِ الغَـرْبُ أَنّا * كأُمّـةِ (اليابانِ)

---

(١) يريد « بجيرة النيران » : الإيطاليين ، لوجود البراكين فى بلادهم .

(٢) قرصان البحر : لصوصه . وحومة الميدان : موضع القتال . يريد ميدان طرابلس .

(٣) البغاث : طيور يضرب بها المثل فى الضعف . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور الجوارح ، والعرب تسميه (الكاسر) .

لا نَرتَضِى العَيْشَ يَجْرِى * فى ذِلّةٍ وهَوانِ

أراهُمُ أنزلونا * منازِلَ الحَيَوانِ

وأخرَجُونا جَمِيعًا * عَنْ رُتْبَةِ الإنسانِ

وسَوْفَ تَقْضِى عليهم * طَبائِعُ العُمْرانِ (١)

فيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا * ويَسْتَوِى الخافِقانِ (٢)

لاهُمَّ جَدِّدْ قُوانا * لخِدْمَةِ الأوْطانِ (٣)

فنَحْنُ فى كلِّ صُقْعٍ * نَشْكُو بكلِّ لِسانِ (٤)

يا قومَ إنجيلِ (عِيسى) * وأُمّةَ القُرآنِ

لا تَقْتُلوا الدهرَ حِقْدًا * فالمُلْكُ للدَّيّانِ

ليلى :

إنِّى أرَى مِنْ بَعِيدٍ * جَماعَةً مُقْبِلِينا

لَعَلَّ فيهمْ نَصِيرًا * لَعَلَّ فيهمْ مُعِينا

العربىّ :

هَوِّنْ عليكَ، تَماسَكْ * إنِّى سَمِعْتُ أنِينا (٥)

أظُنُّ هذا جَرِيحًا * يَشْكُو الأسَى أوْ طَعِينا

باللهِ ماذا دَهاهُ * يا هَذه خَبِّرِينا؟

---

(١) يريد « بطبائع العمران » : سننه فى الترقى من حسن إلى أحسن، كما يدل عليه البيت الآتى .

(٢) الخافقان : المشرق والمغرب .   (٣) لاهم، أى اللهم .

(٤) الصقع (بالضم) : الناحية، والجمع أصقاع .   (٥) تماسك : تمالك .

ليلى :

لقد دهته المنايا * من غارة الخائنينا

صبوا علينا الرزايا * لم يتقوا الله فينا

خففوا من أذاه * إن كنتم فاعلينا

العربى :

لا تيأسى، وتجلد * أراك شهما ركينا (١)

أبشر فإنك ناج * واصبر مع الصابرينا

الطبيب :

أواه إنى أراه * بالموت أمسى رهينا

جراحه بالغات * تعيى الطبيب الفطينا

وعن قريب سيقضى * غض الشباب حزينا (٢)

العربى :

أف لقوم جياع * قد أزعجوا العالمينا

قراهم أين حلوا * ضرب يقد المتونا (٣)

عقوا المروءة هدوا * مفاخر الأولينا

عاثوا فسادا وفروا * يستعجلون السفينا (٤)

---

(١) الركين : الرزين . (٢) يقضى يموت . (٣) القرى : ما يقدم للضيف . ويقد : يقطع . والمتون : الظهور؛ الواحد : متن . (٤) السفين : السفن؛ الواحدة سفينة .

وألبسوا الغربَ خِزْيًا * فى قرنه العشرينا

وألجموا كلَّ داعٍ * وأحرجوا المُصلحينا

فيا (أربة) مهلاً * أين الذى تدّعينا

ما ذا تريدين منا * والداء أمسى دفينا

أين الحضارة إنا * بعيشنا قد رضينا

لم نؤذ فى الدهر جارًا * ولم نخاتل خدينا (١)

(مسرّة) الشام إنا * إخوانكم ما حيينا (٢)

ثقوا فإنا وثقنا * بكم وجئنا قطينا (٣)

إنا نرى فيك (عيسى) * يدعو إلى الخير فينا

قرّبت بين قلوب * قد أوشكت أن تبينا (٤)

فأنت فخر النصارى * وصاحب المسلمينا

الجريح :

رأيتُ يأس طبيبى * وهمسه فى فؤادى

لا تندبينى فإنى * أقضى وتحيا بلادى

---

(١) لم نخاتل : لم نخادع . والخدين : الصاحب .

(٢) مسرة الشام : مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت ، وكان يعنى بالجرحى فى هذه الحادثة . (٣) القطين : أهل الدار المقيمون بها . يريد أن المسلمين والنصارى أهل وطن واحد فى تلك البلاد . (٤) تبين : تنفصل .

العـــربى :

أَســـتَودِعُ اللهَ شَهمًا * نَدبًا طَـوِيلَ النِّجادِ (١)

أَسْـــتَودِعُ اللهَ رُوحًا * كانَتْ رَجاءَ البِــلادِ

فيـا شَهِيــدًا رَمَتْــهُ * غَدْرًا كُراتُ الأَعادِى

نَمْ هانِئًـا مُطْمَـــئِنًّا * فـلَمْ تَنَمْ أَحقَـادِى

فسَــوْفَ يُرْضِـيكَ ثَأْرٌ * يُذِيبُ قَلْبَ الجَمَـادِ

استقبال الطيار العثمانى فتحى بك

نشرت فى سـنة ١٩١٤ م ويلاحظ أن هذه القصـيدة كانت قد أعدت لاستقبال الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته الى مصر، فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حيا وميتا

أَهــلًا بأَوَّلِ مُســلِمٍ * فى المَشرِقَينِ عَـلَا وَطَـارْ

النِّيـــلُ والبُسْــفُورُ فِيـ * ـكَ تَجَـاذَبا ذَيْــلَ الفَخارْ (٢)

يـومَ امتَطَيْتَ بُراقَـكَ الْـ * ـمَيْمُونَ واجتَزْتَ القِفارْ (٣)

تَلْهُـــو وتَعبَثُ بالـــرِّيَا * حِ عـلى المَفـاوِزِ والبِحارْ (٤)

---

(١) الندب : الذى اذا ندب إلى الحاجة خف لقضائها . والنجاد : حمائل السيف . وطول النجاد : كناية عن طول القامة .

(٢) كنى «بالنيل والبسفور» عن مصر وتركيا .

(٣) البراق : الدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . شبه الشاعر طائرة فتحى بك بها فى سرعتها ويمنها .

(٤) المفاوز : جمع مفازة، وهى الفلاة الواسعة التى لا ماء فيها .

لو سابقتك سوابق الـ (١) * أفكار أدركها العثار

حسدتك فى الأفق البرو (٢) * ق وغار فى الأرض البخار

تجرى بسابحة تشق (٣) * سبيلها شق الإزار

وتكاد تقدح فى الأثير * فيستحيل الى شرار

مثل الشهاب انقض فى (٤) * آثار عفريت وثار

فإذا علت فكدعوة الـ (٥) * مضطر تخترق الستار

وإذا هوت فكما هوت (٦) * أنثى العقاب على الهزار

وتسف آونة وآ (٧) * ونة يجيد بها ازورار

فيخالها الراءون قد * قرت وليس بها قرار

لعب الجواد أقل ليـ (٨) * ـثا من قضاعة أو نزار

---

(١) يصفه فى هذا البيت بالسرعة حتى إنه يسبق الفكر فيما يخطر به من خواطر .

(٢) كنى «بالبخار» عن القواطر البخارية .

(٣) يريد بالسابحة : الطائرة ، شبهها بالسفينة السابحة فوق الماء ، وشبه اختراقها للفضاء بشق الثياب .

(٤) شبه الطائرة فى سرعتها بالشهاب الذى كان يرسل على كل من يحاول استراق السمع من الجن .

(٥) شبهها بدعوة المضطر ، لما روى فى الآثار من أنها ليس بينها وبين الله حجاب ، فهى تخترق الآفاق من غير أن يحول بينها وبين الصعود حائل . ويريد «بالستار» : حجاب السماء .

(٦) هوت : هبطت . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر . والهزار (بالفتح) : عصفور صغير متنوع الصوت ؛ ويقال له : العندليب .

(٧) تسف : تدنو من الأرض ؛ يقال : أسف الطائر إذا دنا من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها . والازورار : الانحراف .

(٨) أقل : حمل . وكنى بقوله : «ليثا من قضاعة أو نزار» عن كون الفارس عربيا . يقول : إن هذه الطائرة تلعب فى سيرها فرحا ونشاطا كما يلعب الجواد بفارسه العربى . وقضاعة ونزار : قبيلتان معروفتان .

أو كاللُّعُوبِ من الدُّمَى * ئِيم فَوقَ مَلْعَبِه آستطارْ

وكأنها فى الأفْقِ حِيـ * ـنَ يَميلُ ميزانُ النهارْ (١)

والشمسُ تُلْقِى فوقَها * حُلَلَ آحمِرارٍ وآصفِرارْ

مَلِكٌ تُمثِّلُه لنا (الشِّمَا) فيأخُذُنا آنبهارْ

(فَتَحِى) بربِّكَ ما رَأَيْـ * ـتَ بذلِكَ الفَلَكِ المُدارْ

أبلَغْتَ تسبيحَ المَلا * ئِكِ أو دَنَوْتَ من السِّرارْ (٢)

أمْ خِفْتَ تِلكَ الرّاصِدا * تِ هُناكَ مِنْ شُهُبٍ ونارْ (٣)

أرأيتَ سُكّانَ النُّجُو * مِ وأنتَ فى ذاكَ الجِوارْ

أهُناكَ فى (المِرِّيخِ) ما * فى الأرضِ من عِلَلِ الشِّجارْ (٤)

أهُناكَ يَستَعْدِى الضَّعِيـ * ـفُ على القَوِىِّ فلا يُجارْ (٥)

ما لابْنِ آدمَ زادَ فى * غُلَوائِه فطَغَى وجارْ (٦)

ياليتَ شِعْرِى هل له * فى عالَمِ المَلَكُوتِ ثارْ (٧)

---

(١) ميلان ميزان النهار : كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها الى جهة المغرب .

(٢) السرار (بالكسر) : مصدر سارّه (بتشديد الراء) . ويريد به هنا : مناجاة سكان السماء . يقال : سارّ فلان فلانا يساره : اذا ناجاه وأعلمه بسره . يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلو إلى حيث يسمع مناجاة الملائكة فى السماء .

(٣) الراصدات : الشهب التى أعدها الله للجن حين كانت تسترق السمع من السماء؛ قال تعالى حكاية عن الجن : (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .

(٤) الشجار : النزاع والخصام .

(٥) يقال : استعديت الأمير على فلان فأعدانى ، أى استعنت به عليه فأعاننى وأنصفنى منه .

(٦) الغلواء (وتسكن اللام) : التغالى . والمراد هنا : التغالى فى الأمل والطموح .

(٧) الثار : الثأر ، وسهلت الهمزة للشعر .

أم لاذَ مُعْتَصِماً بكُرْ * سِيِّ المُهَيْمِنِ وآستَجارْ
(١)
فآستَلَّ مِنْ قَلْبِ الجَما * دِ الصُّلْبِ أَجْنِحَةً وَطارْ

وتَسَلَّقَ الأَجْواءَ مُمْ * تَطِيًا عَوَاصِفَها وسارْ
(٢)
يَرْجُو النَّجاءَ مِنَ المَظا * لِمِ والمَغارِمِ والدَّمارْ
(٣)
يأيُّها الطَّيَّارُ طِرْ * فإذا بلَغْتَ مَدَى المَطارْ
(٤)
فَزُرِ السُّهَا والفَرْقَدَيْ * نِ إذا أُتِيحَ لكَ المَزارْ

وسَلِ النُّجومَ عنِ الحَيا * ةِ ففِي السُّؤالِ لكَ آعتِبارْ
(٥)
هُمْ يُنْبِئُونَكَ أنَّ * كُلَّ الكائِناتِ إلى بَوارْ
(٦)
والظُّلْمُ مِنْ طَبعِ النِّظا * مِ فإنْ ظُلِمْتَ فلا تُمارْ
(٧)
إنَّ الَّذِي بَرَأَ السَّدِيـ * ـمَ هو الَّذِي بَرَأَ الغُبارْ

في العالَمِ العُلْوِيِّ والسُّـ * ـفْلِيِّ أحكامٌ تُدارْ

خُلِقَ الضَّعيفُ لخِدمةِ الْـ * أَقْوَى وليسَ له خِيارْ
(٨)
فتَقَوَّ يَرْهَبْكَ القَوِيُّ * وهُنْ يُلازِمْكَ الصَّغارْ

---

(١) استل : انتزع . (٢) الدمار : الهلاك . (٣) مدى المطار : غايته .

(٤) السها : كوكب خفي لبعده ، وهو في بنات نعش الصغرى . والفرقدان : نجمان يهتدى بهما .

(٥) البوار : الهلاك والدمار . (٦) ماراه يماريه مماراة : جادله ونازعه . يقول لا تنازع في ظلم وقع عليك ولا تبرم به ، فإن تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوي وضعيف .

(٧) برأ : خلق . والسديم : الضباب الرقيق .

(٨) هان يهون : ذل . والصغار : الذل .

فى الأرض ما تبغون من * عزٍّ وآمالٍ كبارْ

فيها الحديدُ وفيه بأ * سٌ يوم يمتهن الذِّمارْ (١)

فيها الكنوزُ الحافلا * تُ لمن تبصّر واستنارْ

منها استمدّ قواه من * قهر الممالك واستعارْ (٢)

وبما احتوت ردّ الحصيـ * ـفُ الرأي غارةَ من أغارْ (٣)

فى ذمّة الآفاق سِرْ * وارجع إلى تلك الدّيارْ (٤)

واجعل تحيّتنا إلى * بلدٍ به للمُلك دارْ (٥)

دارٌ عليها للخلا * فة والهُدى رُفع المنارْ

دارُ الغزاة الفاتحيـ * ـنَ الصفوةِ الغُرِّ الخيارْ

فى كلّ حاضرةٍ لهم * غزوٌ ففتحٌ فانتصارْ

ضربوا الزّمانَ بسَوط عـ * ـزّتهم فلانَ لهم فدارْ (٦)

يمشون فى غابِ القنا * مشيَ المرنّحِ بالعُقارْ (٧)

---

(١) الذمار (بالكسر) : ما يلزمك حفظه وحمايته . يقول : إن فى الأرض من الحديد ما تتخذ منه أسلحة نعتز بها وندفع كل من يحاول أن يعتدى علينا وينتهك من حرماتنا . (٢) «استعار» : معطوف على «استمد» ؛ أى استعار منها قوته وبأسه . (٣) حصيف الرأى : جيده ومحكمه وسديده . (٤) يريد «بالديار» : بلاد تركيا موطن الطيار . (٥) يريد «بالبلد» : الآستانة مقر الخلافة . (٦) دار ، أى دار الزمان لهم بما يشتهون . يقول : إنهم بما لديهم من عزة ومنعة قهروا الزمان على أن يواتيهم بما شاءوا . (٧) القنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . شبهها بالغاب فى كثرتها واشتباك بعضها ببعض . والعقار (بالضم) : الخمر . والمرنح بها : الذى يتمايل فى مشيته سكرا ؛ شبه الجنود وقد ملئوا بنشوة الفرح بالقتال ، بشارب الخمر المترنح سكرا .

مِنْ كلِّ أروعَ فاتِكٍ * لا يَستَشِيرُ سوى الغِرارِ (١)

ذِي مِرَّةٍ تُشْجِيهِ ذا * تُ النَّقْعِ لا ذاتُ الخِمارِ (٢)

يَغشَى المَعامِعَ ضارباً * بِحَياتِه ضَرْبَ القِمارِ (٣)

لا يَنثَنِي أو تَخرُجَ الـ * أجرامُ عن فَلَكِ المَدارِ (٤)

عبَسَتْ لهُم أيامُهُم * والعَبْسُ يَعقُبُه آفترار (٥)

ما عابَهُم أنَّ الصُّعو * دَ يَلِيهِ في الدَّهرِ آنحِدار

فلِكُلِّ غادٍ رَوْحَةٌ * ولِكُلِّ وَضّاءٍ سِرار (٦)

ولَسوفَ يَعلُو نَجمُهُم * ويَسُودُ ذَيّاكَ الشِّعار (٧)

---

(١) الأروع: هو الذى يعجبك بشجاعته ومنظره. والغرار (بالكسر): حدّ السهم والرمح والسيف.

(٢) المرة: قوة الخلق (بفتح الخاء) وشدّته واستحكامه. وذات النقع: الحرب لما تثيره من النقع، وهو الغبار. والخمار (بالكسر): ما تغطى به المرأة وجهها. يقول: إن الحرب تطرب هذا الفارس وتشوقه أكثر مما تشوقه النساء بجمالهن.

(٣) المعامع: الحروب؛ الواحدة: معمعة. يقول: إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها.

(٤) يصفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها فى الدوران.

(٥) العبس: العبوس. والافترار: التبسم والضحك الحسن.

(٦) الوضاء (بضم الواو وتشديد الضاد): البهيج الحسن؛ يريد البدر. والسرار (بكسر السين): الليلة التى يستسر فيها القمر، أى يختفى، وذلك لا يكون إلا فى آخر الشهر، وربما كان ليلة، وربما كان ليلتين. وكنى بذلك عما ينتهى اليه كل نضرة وجمال من بلى وذهاب.

(٧) يريد «بالشعار»: الهلال، وكان شعار الدولة العثمانية.

إلى معتمد بريطانيا فى مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا ، وهو السر مكماهون

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

أَىْ (مَكْمَهُونُ) قَدِمْتَ بالْ * ـقَصْـدِ الحميـدِ وبالرِّعايَةْ

ما ذا حَمَلْتَ لنـا عَنِ الْ * ـمَلِكِ الكبيرِ وعن (غرايَهْ)(١)؟

أَوْضِحْ (لِمِصْرَ) الفَـرْقَ ما * بَيْنَ السِّيادَةِ والحِمـايَةْ

وأَزِلْ شُكُوكًا بالنُّفُـو * سِ تَعَلَّقَتْ مُنْـذُ البِدايَةْ

ودعِ الوُعُـودَ فإنَّهـا * فيما مَضَى كانَتْ رِوايَةْ

أَضْحَتْ رُبُوعُ النِّيلِ سَلْ * ـطَنَةً وقـد كانَتْ وِلايَةْ

فتَعَهَّـدُوهـا بالصَّـلا * حِ وأَحْسِنُوا فيها الوِصايَةْ

إِنَّا لَنَشْكُو واثِقيـ * ـنَ بعَدْلِ مَنْ يُشْكِى(٢) الشِّكايَةْ

نَرْجُـو حيـاةً حُـرَّةً * مَضْمُونَةً فى ظِـلِّ رايَةْ

ونَرُومُ تَعْلِيمًا يَكُو * نُ له مِنَ الفَوْضَى وِقايَةْ

ونَـوَدُّ أَلَّا تَسْـمَعُوا * فينـا السِّعايَةَ والوِشـايَةْ

أَنـتمْ أَطِبَّاءُ الشُّـعُو * بِ وأَنْبَـلُ الأَقْوامِ غايَةْ

---

(١) غرايه ، يريد السير إدوارد غراى ، وزير خارجية إنجلترا إذ ذاك .

(٢) يقال : أشكيت فلانا ، إذا قبلت شكواه وأرضيته وأزلت شكايته .

أنّى حللتم فى البلا * د لكم من الإصلاح آيه

رسخت بناية مجدكم * فوق الروية والهدايه (١)

وعدلتم فملكتم الد * نيا وفى العدل الكفايه

إن تنصروا المستضعفيـ * ـن فنحن أضعفهم نكايه

أو تعملوا لصلاحنا * فتداركوه إلى النهايه

إنا بلغنا رشدنا * والرشد تسبقه الغوايه

لا تأخذونا بالكلا * م فليس فى الشكوى جنايه

هذا (حسين) فوق عر * ش (النيل) تحرسه العنايه

هو خير من يبنى لنا * فدعوه ينهض بالبنايه

إلى غليوم الثانى امبراطور ألمانيا

قالها ينكر عليه إثارته الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

لله آثار هناك كريمة * حسدت روائع حسنها (برلين) (٢)

طاحت بها تلك المدافع تارة * لما أمرت وتارة (زبلين) (٣)

---

(١) يصف فى هذا البيت الانجليز بأنهم أسسوا مجدهم على التأنى فى الأمور، واتباع سواء السبيل .

(٢) يريد آثار الحضارة فى فرنسا وغيرها من الممالك التى خربها الألمان فى الحرب العظمى .

(٣) طاحت بها ، أى محتها . وزبلين : يريد نوعا من الطائرات سمى باسم مخترعه ، وهو الكونت زبلين الألمانى .

ما ذا رَأَيْتَ مِنَ النَّبَالةِ والعُلَا * فى عُدْمِهِنَّ وكُلُّهُنَّ عيونُ [1]

لو أنّ فى (بِرْلِينَ) عِنْدَكَ مِثْلَها * لعَرَفْتَ كيفَ تُجِلُّها وتَصُونُ

إنْ كنتَ أنتَ هَدَمْتَ (رِمْسَ) فإنّه * أَوْدَى بمَجْدِكَ رُكْنُها المَوْهُونُ [2]

لَمْ يُغْنِ عنها مَعْبَدٌ خَرَّبْتَه * ظُلْمًا ولَمْ يُمْسِكْ عِنانَكَ دِينُ

لا تَحْسَبَنَّ الفَخْرَ ما أَحْرَزْتَه * الفَخْرُ بالذِّكْرِ الجَمِيلِ رَهِينُ

هَلْ شِدْتَ فى (بِرْلِينَ) غيرَ مُعَسْكَرٍ * قامَتْ عليه مَعاقِلٌ وحُصُونُ

وجَمَعْتَ شَعْبَكَ كلَّه فى قَبْضَةٍ * إنْ لَمْ تَكُنْ لانَتْ فسَوْفَ تَلِينُ

نَظَمَتْ تِجارَتُكَ المَدائنَ والقُرَى * (فالنِّيلُ) ناءَ بها وناءَ (السِّينُ) [3]

فبكُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجالِكَ عُصْبَةٌ * وبكُلِّ بَحْرٍ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ

تَسْرِى ونَسْرُكَ أَيْنَ حَلَّ يُظِلُّها * لا اللَّيْثُ يُزْعِجُها ولا التِّنِّينُ [4]

فالأَمْرُ أَمْرُكَ والمُهَنَّدُ مُغْمَدٌ * والنَّهْىُ نَهْيُكَ والسُّرَى مَأْمُونُ [5]

---

(١) عدمهن ، أى فقدانهن وذهابهن .

(٢) رمس : مدينة فرنسية مشهورة بكنيستها التاريخية ، وقد خربها الألمان بمدافعهم فى الحرب الأخيرة ، ثم جددت بعد انتهائها . والموهون ، الذى أدركه الوهن ، وهو الضعف والانحلال . يقول : إن اعتداءك على هذا البلد أظهرك بمظهر المخرب فانهدم بذلك ما بنيته من مجد وفخر .

(٣) يقال : ناء بالحمل ، إذا أثقله ولم يقدر على حمله . والسين : نهر بفرنسا معروف .

(٤) يريد « بالنسر » : الراية الألمانية . والليث : إشارة إلى بريطانيا . والتنين : إشارة إلى اليابان . والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظللة براية دولتها ، فلا تقدر أية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها .

(٥) المهند : السيف . والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك فى أيام السلم .

قد كان فى (بَرْلِينَ) شَعْبُكَ وادِعاً ❊ يستعمر الأَسْواقَ وهِىَ سُكُونُ (١)

فُتِحَتْ له أَبْوابُها فَسَبِيلُها ❊ وَقْفٌ عليه ورِزْقُه مَضْمُونُ

فعَلامَ أَرْهَقْتَ الوَرَى وأَثَرْتَها ❊ شَعْواءَ فيها لِلْهَلاكِ فُنُونُ ؟ (٢)

تاللهِ لو نُصِرَتْ جُيُوشُكَ لانْطَوَى ❊ أَجَلُ السَّلامِ وأَقْفَرَ المَسْكُونُ

سَبْعُونَ مِلْيُوناً إذا وَزَّعْتَها ❊ بَيْنَ الحَواضِرِ نالَنا مِلْيُونُ

وَيْلٌ لِمَنْ يستعمرون بِلادَه ❊ القَحْطُ أَيْسَرُ خَطْبِه والْهُونُ (٣)

أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِ الإِلٰهِ تَوَرُّعاً ❊ وزَعَمْتَ أَنَّكَ مُرْسَلٌ وأَمِينُ

عَجَباً أَتَذْكُرُه وتَمْلأُ كَوْنَه ❊ وَيْلاً لِيَنْعَمَ شَعْبُكَ المَغْبُونُ

وكَذٰلِكَ القَصّابُ يَذْكُرُ رَبَّه ❊ والنَّصْلُ فى عُنُقِ الذَّبِيحِ دَفِينُ

---

(١) الوادع : الساكن المطمئن . ويستعمر، يريد : يعمر . والذى وجدناه فى كتب اللغة أنه يقال : أعمره المكان واستعمره فيه ، أى جعله يعمره . وفى التنزيل العزيز : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)، أى أذن لكم فى عمارتها . ولم نجد فى كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب العصر من قولهم : استعمرت المكان (بالبناء للفاعل) بمعنى عمرته .

(٢) أرهقت الورى : ظلمتهم وحملتهم ما لا يطيقون . وشعواء، يريد غارة شعواء أى عامة شاملة .

(٣) الهون (بضم الهاء) : الذل .

الحرب العظمى

[نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩١٥ م]

لاهُمَّ إنّ الغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً (١) * مِنْ هَوْلِها أُمُّ الصَّواعِقِ تَفْرَقُ

العِلْمُ يُذْكِى نارَها وتُثِيرُها (٢) * مَدَنِيَّةٌ خَرْقاءُ لا تَتَرَفَّقُ

ولقد حَسِبْتُ العِلْمَ فينا نِعمَةً (٣) * تَأْسو الضَّعيفَ ورَحمةً تَتَدَفَّقُ

فإذا بِنِعْمَتِهِ بَلاءٌ مُرْهِقٌ (٤) * وإذا بِرَحْمَتِهِ قَضاءٌ مُطْبِقُ

عَجَزَ الرُّماةُ عن الرِّماةِ فأَرْسَلُوا (٥) * كِسَفًا يَمُوجُ بها دُخانٌ يَخْنُقُ

تَتَعَوَّذُ الآفاقُ منه وتَنْثَنِى (٦) * عَنْهُ الرِّياحُ ويَتَّقِيهِ الفَيْلَقُ

وتَنابَلُوا بالكِيمياءِ فأَسْرَفُوا (٧) * وتَساجَلُوا بالكَهْرَباءِ فأَغْرَقُوا

وتَنازَلُوا فى الجَوِّ حِينَ بَدَا لَهُمْ * أَنّ البَسِيطَةَ عَنْ مَداهُمْ أَضْيَقُ

نَفِسُوا على الحِيتانِ واسِعَ مُلْكِها (٨) * فتَفَنَّنُوا فى سَلْبِه وتَأَنَّقُوا

مَلَكُوا مَسابِحَها عليها بَعْدَ ما (٩) * غَلَبُوا النُّسُورَ على الجِواءِ وحَلَّقُوا

إنْ كانَ عَهْدُ العِلْمِ هَذا شَأْنُه * فينا فعَهْدُ الجاهِليَّةِ أَرْفَقُ

---

(١) لاهمّ، أى اللهمّ . وتفرق : تخاف وتفزع . (٢) يذكى نارها : يشعلها . والخرقاء : الحمقاء . و يشير الى أثر العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة فى الحرب . (٣) تأسو الضعيف، أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه . (٤) مطبق : عام شامل . (٥) يريد «بالكسف» : قطع الدخان من الغازات السامة التى استعملت فى الحرب أخيرا، شبهها بكسف السحاب، أى قطعه ؛ الواحدة كسفة . (٦) الفيلق : الجيش العظيم . (٧) التنابل : الترامى بالنبل . يشير إلى استعمال المواد الكيمائية وتسخير الكهرباء فى الإهلاك والتدمير . (٨) نفس عليه الشىء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٩) الجواء : جمع جو . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استخدام الغواصات والطائرات فى الحروب .

مظاهرة السيدات

قالها فى مظاهرة قامت بها السيدات فى الثورة الوطنية فى سنة ١٩١٩ م

ونشرت إذ ذاك فى منشورات وطنية ، وتأخر نشرها فى الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ م

خَرَجَ الغَوانِي يَحْتَجِجْـ * ـنَ ورُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنَّهْ

فإذا بِهِنَّ تَخِذْنَ مِنْ * سُودِ الثِّيابِ شِعارَهُنَّهْ

فطَلَعْنَ مِثْلَ كَواكِبٍ * يَسْطَعْنَ فى وَسَطِ الدُّجُنَّهْ (١)

وأَخَذْنَ يَجْتَزْنَ الطَّرِيـ * ـقَ ودارُ (سَعْدٍ) قَصْدُهُنَّهْ

يَمْشِينَ فى كَنَفِ الوَقا * رِ وقد أَبَنَّ شُعُورَهُنَّهْ

وإذا بِجَيْشٍ مُقْبِلٍ * والخَيْلُ مُطْلَقَةُ الأَعِنَّهْ

وإذا الجُنُودُ سُيُوفُها * قد صُوِّبَتْ لِنُحُورِهِنَّهْ

وإذا المَدافِعُ والبَنا * دِقُ والصَّوارِمُ والأَسِنَّهْ (٢)

والخَيْلُ والفُرْسانُ قَدْ * ضَرَبَتْ نِطاقًا حَوْلَهُنَّهْ

والوَرْدُ والرَّيْحانُ فى * ذاكَ النَّهارِ سِلاحُهُنَّهْ

فتَطاحَنَ الجَيْشانِ سا * عاتٍ تَشِيبُ لها الأَجِنَّهْ

فتَضَعْضَعَ النِّسْوانُ والنِّسْـ * ـوانُ لَيْسَ لَهُنَّ مُنَّهْ (٣)

ثم انْهَزَمْنَ مُشَتَّتا * تِ الشَّمْلِ نَحْوَ قُصُورِهِنَّهْ

---

(١) الدجنة : الظلمة . (٢) الصوارم : السيوف القواطع . (٣) المنة : القوة .

فليَهْنَا الجَيْشُ الفخُو * رُ بنصْرِه وبكَسْرِهِنَّهْ

فكأنما الألمانُ قد * لَبِسُوا البَراقِعَ بينَهُنَّهْ

وأتوا (بِهِنْدِنْبُرْج) مُخْ * تَفِيًا بِمِصْرَ يقودُهُنَّهْ (1)

فلذاكَ خافُوا بأسَهُنّ * وأشفَقُوا مِن كَيْدِهِنَّهْ

أيا صوفيا (2)

قالها حين خيف على الآستانة أن تمتلكها دول الحلفاء وتنزعها من يد الأتراك وذلك عقب الحرب العظمى ، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة

[وتأخر نشر هذه القصيدة الى سنة ١٩٣٢ م]

(أيا صُوفِيا) حانَ التَّفَرُّقُ فاذكُرِي * عُهُودَ كِرامٍ فيكِ صَلَّوا وسَلَّمُوا (3)

اذا عُدْتِ يوما للصَّلِيبِ وأهلِهِ * وحَلَّى نَواحِيكِ المَسِيحُ ومَرْيَمُ (4)

ودُقَّتْ نَواقِيسٌ وقامَ مُزَمِّرٌ * مِنَ الرُّومِ في مِحْرابِهِ يَتَرَنَّمُ

فلا تُنْكِرِي عَهْدَ المَآذِنِ إنَّهُ * على اللهِ مِن عَهْدِ النَّواقِيسِ أكْرَمُ

---

(1) هندنبرج ، هو القائد الألماني المعروف في الحرب العظمى .

(2) يلاحظ أننا راعينا في وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها ، لأن مراعاة ذلك أجدى على مؤرخ الأدب .

(3) أيا صوفيا : أعظم مسجد في القسطنطينية ، وكان قبل الفتح العثماني الكنيسة الأولى في الشرق فحولها العثمانيون مسجدا .

(4) يريد صورتي عيسى ومريم اللتين توضعان في الكنائس عادة .

تَبارَكْتَ، (بَيْتُ القُدْسِ) جَذْلانُ آمِنٌ * ولا يَأْمَنُ (البَيْتُ العَتِيقُ) المُحَرَّمُ (١)

أَيُرْضِيكَ أَنْ تَغْشَى سَنابِكُ خَيْلِهِمْ * حِماكَ وأَنْ يُمْنَى (الحَطِيمُ) و(زَمْزَمُ)؟ (٢)

وكيف يَذِلُّ المُسْلِمُونَ وبَيْنَهُمْ * كِتابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ ويُكْرَمُ؟

نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وبَيْتُكَ مُطْرِقٌ * حَياءً وأَنْصارُ الحَقِيقَةِ نُوَّمُ

عَصَيْنا وخالَفْنا فعاقَبْتَ عادِلًا * وحَكَّمْتَ فينا اليَوْمَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

مصر

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بفندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلى يكن باشا بعد عودته من أوربا قاطعا المفاوضة مع الانجليز ومستقيلا من الوزارة - نشرت فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١م

وهذه القصيدة على لسان مصر تحدّث عن نفسها

وَقَفَ الخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا * كيفَ أَبْنِي قَواعِدَ المَجْدِ وَحْدِي

وبُناةُ الأَهْرامِ فى سالِفِ الدَّهْـ * ـرِ كَفَوْنِي الكَلامَ عِنْدَ التَّحَدِّي

أَنا تاجُ العَلاءِ فى مَفْرِقِ الشَّرْ * قِ ودُرّاتُهُ فَرائِدُ عِقْدِي (٣)

أَيُّ شَيْءٍ فى الغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّا * سَ جَمالًا ولَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟

---

(١) كنى « ببيت القدس والبيت العتيق » : عن معابد النصارى ومعابد المسلمين - يقول : إن معابد النصارى فى فرح وأمن ، ومعابد المسلمين فى خوف وفزع . (٢) سنابك الخيل : أطراف حوافرها ؛ الواحد سنبك . ويمنى : يبتلى و يصاب . والحطيم : مابين الركن و زمزم والمقام . جعل سقوط الآستانة فى يد الإفرنج خطرا يخشى أن يمتد إلى البيت الحرام ، لأن فى سقوط الدولة العثمانية سقوطا لولاياتها . (٣) العلاء (بالفتح والمدّ) : الرفعة والشرف . والمفرق (كمقعد ومجلس) : وسط الرأس . والفرائد : الجواهر التى لا توائم لها لنفاستها ؛ الواحدة فريدة . ويريد « بدراته » : ممالك الشرق التى كان لمصر الزعامة عليها .

فتُرابي تِبرٌ ونَهرِي فُراتٌ * وسَمائي مَصقُولةٌ كالفِرِنْد (١)

أينما سِرتَ جَدوَلٌ عِندَ كَرْمٍ * عِندَ زَهْرٍ مُدَنَّرٍ عِندَ رَنْد (٢)

ورِجالي لو أنصفوهُم لَسادُوا * مِن كُهُولٍ مِلْءِ العُيونِ ومُرْدِ (٣)

لو أصابوا لَهُم مَجالاً لأَبدَوْا * مُعجِزاتِ الذَّكاءِ في كُلِّ قَصْدِ

إنهم كالظُّبا ألَحَّ عليها * صَدأُ الدَّهرِ مِن ثَواءٍ وغِمْدِ (٤)

فإذا صَيْقَلُ القَضاءِ جَلاها * كُنَّ كالمَوتِ ما لَهُ مِن مَرَدِّ (٥)

أنا إن قَدَّرَ الإلهُ مَماتي * لا تَرَى الشَّرقَ يَرفَعُ الرأسَ بَعدِي

ما رَمانِي رامٍ وراحَ سَليماً * مِن قَديمٍ عِنايَةُ اللهِ جُندِي

كم بَغَتْ دَولةٌ عَلَيَّ وجارَتْ * ثُمَّ زالَتْ وتلكَ عُقبَى التَّعَدِّي

إنَّني حُرَّةٌ كَسَرتُ قُيودِي * رَغمَ رُقبَى العِدا وقَطَّعتُ قِدِّي (٦)

وتَماثَلْتُ لِلشِّفاءِ وقد دا * نَيتُ حَيْني وهَيَّأَ القَومُ لَحدِي (٧)

قُل لِمَن أنكَروا مَفاخِرَ قَومي * مِثلَ ما أنكَرُوا مَآثِرَ وُلدِي

هل وَقَفتُم بِقِمَّةِ الهَرَمِ الأكـ * ـبَرِ يَوماً فَرَيتُم بَعضَ جُهدِي؟ (٨)

---

(١) الفرات: العذب. والفرند: السيف. (٢) مدنر، أي مختلف الألوان، أو مشرق متلألئ. والرند: شجر طيب الرائحة، وله حب يقال له: الغار. (٣) ملء العيون، أي تعجبك مناظرهم. والمرد: جمع أمرد، وهو الشاب نبت شاربه ولم تنبت لحيته. (٤) الظبا: جمع ظبة؛ وهي حد السيف والسنان ونحوهما. والثواء: طول المكث. (٥) الصيقل: شاحذ السيوف وجاليها؛ والجمع صياقل وصياقلة. (٦) رقبى العدا، أي مراقبتهم لي. والقد: القيد يقد من جلد. (٧) الحين (بالفتح): الهلاك. (٨) فريتم، أي فرأيتم.

هَـلْ رَأَيْتُمْ تلك النُّقُوشَ اللَّواتى * أَعْجَـزَتْ طَـوْقَ صَنْعَةِ الْمُتَحَدِّى؟ (١)

حالَ لَوْنُ النَّهـارِ مِنْ قِـدَمِ العَهْـ * ـدِ وما مَسَّ لونَهـا طُولُ عَهْـدِ (٢)

هـلْ فَهِمْتُمْ أسرارَ ما كانَ عِنْدِى * مِنْ عُلُومٍ مَخْبُـوءَةٍ طَىَّ بَرْدِى؟ (٣)

ذاكَ فَنُّ التَّحْنِيطِ قد غَلَبَ الدهـ * ـرَ وأَبْـلَى البِـلَى وأَعْجَـزَ نِـدِّى

قد عَقَدْتُ العُهودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْ * نَ فَفِى (مِصْرَ) كانَ أولُ عَقْـدِ (٤)

إنَّ مَجْـدِى فى الأُولَيـاتِ عَرِيقٌ * مَن له مِثْـلُ أُولَيـاتِى ومَجْـدِى؟ (٥)

أنا أُمُّ التَّشْـرِيعِ قَـدْ أَخَـذَ الرُّو * مانُ عَنِّى الأُصـولَ فى كُلِّ حَـدِّ (٦)

ورَصَدْتُ النُّجومَ مُنْـذُ أَضاءَتْ * فى سَماءِ الدُّجَى فأَحْكَمْتُ رَصْدِى (٧)

وشَـدا (بنتئـور) فَـوْقَ رُبوعِى * قَبْـلَ عَهْدِ الْيُونانِ أو عَهْدِ (نَجْدِ) (٨)

---

(١) الطوق : الطاقة والجهد . والمتحدى : المعارض الذى ينازعك الغلبة والفخر .

(٢) حال : تغير وتحول . (٣) البردى (بالتشديد وخفف للشعر) : نبات تعمل منه الحصر وكان يصنع منه الورق قديما . (٤) يشير إلى المحالفة التى عقدت بين رمسيس الثانى وملك الحثيين سـنة ١٢٥٠ ق م على أن يمسكا عن الحروب ، وأن يكونا صديقين الى الأبد . وقد حددا فى تلك المحالفة حدود أملاكهما ، وهى أقدم محالفة عرفت فى التاريخ .

(٥) الأوليات ، أى السنين الأولى . (٦) يشير الى ما هو معروف من أن المصريين قديما كانوا مصـدر القوانين الإدارية ، وعنهم أخذت الأمم المجاورة لهم ، وقد وفد اليهم من واضعى القوانين ليكرغ وصولون اليونانيان ، وعن اليونان أخذ الرومان .

(٧) كان المصريون من أقدم الأمم التى اشتغلت بعلم الفـلك ؛ وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أممهم أخذت هذا العلم عن المصريين ؛ وقد عثر فى بعض المقابر على آلات للرصد ومصورات لشكل السماء ومواقع نجومها . (٨) بنتاءور : أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى . و«قبل عهد اليونان» ... الخ ، أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

وقديماً بَنَى الأساطيلَ قومي * ففرقْنَ البحارَ يحملْنَ بَنْدِي (١)

قبلَ أسطولِ (نِلْسن) كان أسطو * لِى سَرِيًّا وطالِعِي غيرَ نَكْدِ (٢)

فَسَلُوا البحرَ عن بلاءِ سَفِيني * وسَلُوا البرَّ عن مواقِعِ جُرْدِي (٣)

أترانِي وقد طَوَيْتُ حياتِي * في مِراسٍ لم أبلُغِ اليومَ رُشْدِي ؟

أيُّ شَعْبٍ أحقُّ مِنِّي بعيْشٍ * وارِفِ الظِّلِّ أخضرِ اللَّوْنِ رَغْدِ ؟ (٤)

أمِنَ العَدْلِ أنهم يَرِدُونَ الْـ * ـماءَ صَفْواً وأنْ يُكدَّرَ وِرْدِي ؟

أمِنَ الحقِّ أنهم يُطلِقونَ الْـ * ـأُسْدَ منهم وأنْ تُقيَّدَ أُسْدِي ؟

نِصْفُ قَرْنٍ إلّا قليلاً أُعانِي * ما يُعانِي هَوانَهُ كلُّ عَبْدِ

نَظَرَ اللهُ لي فأرْشَدَ أبنا * ءِي فشدُّوا إلى العُلا أيَّ شَدِّ

إنّما الحقُّ قوّةٌ مِن قُوَى الدَّ * يانِ أمضَى مِن كلِّ أبيضَ هِنْدِي (٥)

قد وَعَدْتُ العُلا بكلِّ أبيٍّ * مِن رِجالِي فأنجِزُوا اليومَ وَعْدِي

أمْهِرُوها بالرُّوحِ فهْيَ عَرُوسٌ * تَشْنَأُ المَهْرَ مِن عُرُوضٍ ونَقْدِ (٦)

---

(١) فرقن البحار : شققنها . والبند : العلم الكبير . وقد ذكر المؤرخون أن نخاو من ملوك مصر القدماء، كان قد أرسل عددا من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقية ، فأتموا سياحتهم فى ثلاث سنين .

(٢) نلسن ، هو أمير البحر الإنجليزى الذى أحرق أسطول نابليون بونابرت فى موقعة أبى قير المعروفة . والنكد : الشؤم .

(٣) الجرد : الخيل . ويريد الجيوش البرية .

(٤) الوارف من الظلال : الواسع الممتد .

(٥) الأبيض المندى : السيف .

(٦) تشنأ : تكره . والعروض : جمع عرض (بالتحريك) ، وهو كل شيء سوى الدراهم والدنانير .

وَرِدُوا بى مَناهِلَ العِزِّ حتّى ٭ يَخْطُبَ النجمُ فى المَجَرّةِ وُدّى (١)

وٱرْفَعُوا دَوْلَتِى على العِلْمِ والأَخْـ ٭ ـلاقِ فالعِلْمُ وَحْدَه ليس يُجْدِى (٢)

وتَواصَوْا بالصَّبْرِ فالصبرُ إنْ فا ٭ رَقَ قوماً فما لَه مِنْ مَسَدِّ (٣)

خُلُقُ الصَّبْرِ وَحْدَه نَصَرَ القَوْ ٭ مَ وأَغْنَى عن ٱختراعٍ وعَدِّ (٤)

شَهِدُوا حَوْمَةَ الوَغَى بنُفُوسٍ ٭ صابِراتٍ وأَوْجُهٍ غيرِ رُبْدِ (٥)

فمَحَا الصَّبْرُ آيةَ العِلْمِ فى الحَرْ ٭ بِ وأَنْحَى على القَوِىِّ الأَشَدِّ (٦)

إنّ فى الغَرْبِ أَعْيُناً راصِداتٍ ٭ كَحَلَتْها الأَطْماعُ فيكُمْ بسُهْدِ (٧)

فوقَها مِجْهَرٌ يُرِيها خَفايا ٭ كُمْ ويَطْوِى شُعاعُه كلَّ بُعْدِ (٨)

فٱتَّقُوها بجُنّةٍ مِنْ وِئامٍ ٭ غيرِ رَثِّ العُرَا وسَعْيٍ وكَدِّ (٩)

وٱصْفَحُوا عن هَناتِ مَنْ كان منكمْ ٭ رُبَّ هافٍ هَفَا على غيرِ عَمْدِ (١٠)

---

(١) « يخطب النجم ... الخ » : كناية عن العلو والرفعة . (٢) يجدى : ينفع .

(٣) من مسدّ ، أى من شىء يقوم مقامه . (٤) يريد « بالقوم » : الإنجليز ، وذلك لما اشتهروا به من الصبر والأناة . (٥) الوغى : الحرب ، لما فيها من الجلبة والصوت . وحومتها : ساحتها . و ربد : عابسة متجهمة ؛ الواحد أربد . (٦) يريد « بآية العلم » : ما اخترعه العلم من أسلحة . وأنحى عليه : أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك . ويريد « بالقوى الأشد » : الألمان .

(٧) « كحلتها الأطماع ... الخ » ، أى إن طمع الغربيين فيكم جعل أعينهم يقظة لا تذوق النوم ، تتحين بكم الفرص . (٨) المجهر : المنظار . (٩) الجنة (بالضم) : ما وقاك فى الحرب . والرث : البالى . ويريد « بالعرا » : الصلات والروابط ؛ الواحدة عروة . (١٠) الهنات : جمع هنة ، وهى اليسير المحتمل من الزلات . ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذى بدأت بوادره فى ذاك الحين على رآسة المفاوضات الرسمية .

نَحْنُ نَجتازُ مَوْقِفًا تَعثُرُ الآ * راءُ فيه وعَثْرةُ الرأي تُرْدِى (١)

ونُعِيرُ الأَهْواءَ حَرْبًا عَوانًا * مِن خِلافٍ والخُلْفُ كالسِّلِّ يُعْدِى (٢)

ونُثيرُ الفَوْضَى على جانِبَيْهِ * فيُعيدُ الجَهولُ فيها ويُبْدِى (٣)

ويَظُنُّ الغَوِىُّ أَنْ لا نِظامٌ * ويَقولُ القَوِىُّ قد جَدَّ جِدِّى

فقِفُوا فيه وَقْفَةَ الحَزْمِ وارْمُوا * جانِبَيْهِ بعَزْمةِ المُستَعِدِّ

إنّنا عندَ فَجْرِ لَيْلٍ طَويلٍ * قد قَطَعْناهُ بَيْنَ سُهْدٍ ووَجْدِ

غَمَرَتْنا سُودُ الأَهاوِيلِ فيه * والأَمانِىُّ بَيْنَ جَزْرٍ ومَدِّ (٤)

وتَجَلَّى ضِياؤُه بَعْدَ لَأْيٍ * وهْوَ رَمْزٌ لعَهْدِىَ المُسْتَرَدِّ (٥)

فاستَبِينوا قَصْدَ السَّبيلِ وجِدُّوا * فالمَعالى مَخْطوبَةٌ للمُجِدِّ (٦)

تصريح ٢٨ فبراير

[نشرت فى أول ابريل سنة ١٩٢٢ م]

مالِيَ أَرَى الأَكْمامَ لا تُفتَّحُ * والرَّوْضَ لا يَذْكُو ولا يُنفِّحُ (٧)

والطَّيْرَ لا تَلْهُو بتَدْوِيمِها * فى مُلْكِها الواسِعِ أَوْ تَصْدَحُ (٨)

---

(١) تردى : تهلك . (٢) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، وهى أشد الحروب . (٣) الضمير فى قوله « جانبيه » يعود على قوله « موقفا » المتقدم ذكره . (٤) الأهاويل : جمع أهوال . (٥) بعد لأى ، أى بعد إبطاء واحتباس ومشقة . (٦) قصد السبيل : الطريق المستقيم . (٧) الأكمام : جمع كم (بكسر الكاف) ، وهو غطاء الزهر . ويذكو : تسطع رائحته . وينفح : يفوح طيبه . ويلاحظ أننا لم نجد فى كتب اللغة «نفح» بتشديد الفاء ؛ فلعل حافظا رأى هذه الصيغة فى كلام بعض المولدين . (٨) تدويم الطائر : تحليقه فى الهواء . وتصدح : ترفع صوتها بالغناء .

وَالنِّيلَ لا تَرْقُصُ أَمْوَاهُهُ * فَرْحَى وَلا يَجْرِى بِهَا الأَبْطَحُ (١)

وَالشَّمْسَ لا تُشْرِقُ وُضَّاءَةً * تَجْلُو هُمُومَ الصَّدْرِ أَوْ تَنْزَحُ (٢)

وَالبَدْرَ لا يَبْدُو عَلَى ثَغْرِهِ * مِنْ بَسَمَاتِ اليُمْنِ مَا يَشْرَحُ

وَالنَّجْمَ لا يَزْهَرُ فى أُفْقِهِ * كَأَنَّهُ فى غَمْرَةٍ يَسْبَحُ (٣)

أَلَمْ يَجِئْهَا نَبَأٌ جَاءَنَا * بِأَنَّ مِصْرًا حُرَّةٌ تَمْرَحُ؟ (٤)

أَصْبَحْتُ لا أَدْرِى عَلَى خِبْرَةٍ * أَجَدَّتِ الأَيَّامُ أَمْ تَمْزَحُ؟

أَمَوْقِفٌ لِلجِدِّ نَجْتَازُهُ * أَمْ ذَاكَ لِلاهِى بِنَا مَسْرَحُ؟

أَلْمَحُ لاسْتِقْلالِنَا لَمْعَةً * فى حَالِكِ الشَّكِّ فَأَسْتَرْوِحُ (٥)

وَتَطْمِسُ الظُّلْمَةُ آثَارَهَا * فَأَنْثَنِى أُنْكِرُ مَا أَلْمَحُ

قَدْ حَارَتِ الأَفْهَامُ فى أَمْرِهِمْ * إِنْ لَمَّحُوا بِالقَصْدِ أَوْ صَرَّحُوا (٦)

فَقَائِلٌ لا تَعْجَلُوا إِنَّكُمْ * مَكَانَكُمْ بِالأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا (٧)

وَقَائِلٌ أَوْسِعْ بِهَا خُطْوَةً * وَرَاءَهَا الغَايَةُ وَالمَطْمَحُ

وَقَائِلٌ أَسْرَفَ فى قَوْلِهِ : * هٰذَا هُوَ اسْتِقْلالُكُمْ فَافْرَحُوا

---

(١) الأمواه : جمع ماء . والأبطح : المسيل الواسع للماء . (٢) وضاءة : ذات حسن وبهجة . وتنزح (من بابى منع وضرب) ، أى تنزح الهم وتفنيه وتذهبه ، وأصله من نزح البئر ، وهو الاستقاء من مائها حتى ينفد أو يقل . (٣) يزهر : يضىء ويتلألأ . ويريد «بالغمرة» : الماء الكثير . (٤) تمرح : من المرح (بالتحريك) ، وهو شدة الفرح . (٥) الحالك : الشديد السواد . واستروح الى الشىء : سكن إليه واطمأن . (٦) الضمير فى «أمرهم» للإنجليز . (٧) لا تعجلوا ، أى لا تعجلوا بالفرح وتهنئة بعضكم بعضا بهذا الاستقلال المزعوم ، فإن حالتكم لم يغيرها هذا التصريح .

إنْ تَسَألُوا العَقْلَ يَقُلْ عاهِدُوا * واستَوْثِقُوا فى عَهْدِكُمْ تَرْبَحُوا

وأَسِّسُوا دارًا لِنُوّابِكُمْ * لِلرّأيِ فيها والحِجَا أفسِحُوا (١)

ولْتَذْكُرِ الأُمَّةُ ميثاقَها * ألّا تَرَى عِزَّتَها تُجْرَحُ

وتَنْتَخِبْ صَفْوَةَ أبْنائِها * فمِنْهُمُ المُخْلِصُ والمُصْلِحُ

وليَتَّقِ اللهَ أُولُو أمْرِها * أنْ يُسْكِتُوا الأصواتَ أوْ يَرْفَحُوا (٢)

* * *

أو تَسألُوا القَلْبَ يَقُلْ حاذِرُوا * وصابِرُوا أعداءَكُمْ تُفْلِحُوا (٣)

إنّى أرَى قَيْدًا فلا تُسْلِمُوا * أيْدِيَكُمْ فالقَيْدُ لا يُسْجِحُ (٤)

إنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ * فهْوَ على لِينٍ به أفْدَحُ

حَتّامَ — والصَّبْرُ له غايةٌ — * لِغَيْرِنا مِنْ بِئْرِنا نَمْتَحُ؟ (٥)

حَتّامَ — والأمْوالُ مَشْفُوهَةٌ — * نَمْنَحُ إلّا (مِصْرَ) ما نَمْنَحُ؟ (٦)

حَتّامَ يُمْضِى أمْرَنا غَيْرُنا * وذاكَ بالأحْرارِ لا يَمْلُحُ؟

---

(١) يلاحظ أننا لم نجد فيا بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : أفسحت له فى المكان (بالهمز فى أوله) ، والذى وجدناه أنه يقال : فسحت له فيه . قال تعالى : (فافسحوا يفسح الله لكم) .

(٢) يريد بقوله «يرفحوا» : أنهم ينفون من خالفهم فى سياستهم إلى رفح (بالتحريك) ، وهى مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة ، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح .

(٣) صابروا أعداءكم ، أى غالبوهم فى الصبر .

(٤) لايسجح ، أى لا يفرج عمن تقيد به ولا يفلته .

(٥) متح الماء من البئر يمتحه متحا : استخرجه منها .

(٦) المشفوه : الذى كثرت عليه الأيدى حتى استنفد .

أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِى بَعْضِهِمْ * ظَنًّا وقد أَمْسَوْا وقَدْ أَصْبَحُوا (١)

فَانْتَهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا نُهْزَةً * فِينا وما كانت لهم تَسْنَحُ (٢)

فَالرَّأْىُ كُلُّ الرَّأْيِ أَنْ تَجْمَعُوا * فَإِنَّمَا إِجْمَاعُكُمْ أَرْجَحُ

وكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فِى صَدْعِكُمْ * فَإِنَّه فِى صَخْرَةٍ يَنْطَحُ (٣)

أَخْشَى إِذا اسْتَكْثَرْتُمُ بَيْنَكُمْ * مِنْ قَادَةِ الآرَاءِ أَنْ تُفْضَحُوا

فَلْتَقْصِدُوا ما اسْطَعْتُمُ فِيهِمُ * فَإِنَّمَا فِى القِلَّةِ المَنْجَحُ

عيد الاستقلال

[نشرت فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان : (بين اليقظة والمنام)]

أَشْرِقْ فَدَتْكَ مَشَارِقُ الإِصْبَاحِ * وأَمِطْ لِثَامَكَ عن نَهَارٍ ضَاحِى (٤)

بُورِكْتَ يا يَوْمَ الخَلاَصِ ولا وَنَتْ * عنكَ السُّعُودُ بِغُدْوَةٍ وَرَوَاحِ

بالله كُنْ يُمْنًا وكُنْ بُشْرَى لنا * فى رَدِّ مُغْتَرِبٍ وفَكِّ سَرَاحِ (٥)

---

(١) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية . وخبر « أمسوا » « وأصبحوا » محذوف للعلم به ؛ أى أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن واتهام بعضهم بعضا بالخيانة .

(٢) النهزة : الفرصة . وتسنح : تلوح .

(٣) يقال : نطح فى صخرة ، إذا صعب عليه ما يريد من صدع وانشقاق . وأصله من قول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٤) أمط لثامك ، أى اكشف قناعك ؛ يخاطب عيد الاستقلال . والنهار الضاحى : المشرق .

(٥) يشير بقوله « فى رد مغترب ... الخ » : الى المغفور له سعد زغلول باشا وكان منفيا إذ ذاك فى جبل طارق بعد أن كان مع صحبه فى جزيرة سيشل .

(١)
أَقبلتَ والأيامُ حولكَ مُثَّلٌ * صفَّين تخطرُ خطرةَ المَيّاحِ
(٢)
وخرجتَ من حُجُبِ الغيوبِ مُحجَّلاً * فى كلِّ لحظٍ منكَ ألفُ صباحِ

لو صحَّ فى هذا الوجودِ تناسخٌ * لرأيتُ فيكَ تناسخَ الأرواحِ
(٣)
ولكُنتَ يومَ (اللابرنت) بعينِه * فى عزةٍ وجلالةٍ وسماحِ
(٤)
يومٌ يُريكَ جلالُه ورُواؤه * فى الحُسنِ قُدرةَ فالقِ الإصباحِ
(٥)
خلعتْ عليه الشمسُ حُلَّةَ عسجدٍ * وحباهُ (آذارٌ) أرقَّ وِشاحِ
(٦)
اللهُ أثبتَه لنا فى لَوحِه * أبدَ الأبيدِ فما له من ماحِ
(٧)
حيِّيه عنّا يا أزاهرُ وامْلئى * أرجاءَه بأريجِكِ الفوّاحِ
(٨)
وانفحْهُ عنّا يا ربيعُ بكلِّ ما * أطلعتَ من رَنْدٍ ونَورِ أقاحِ
(٩)
لِلّهِ يا (فؤادُ) حولَ عرشِكَ أُمَّةٌ * عقدتْ خناصرَها على الإصلاحِ
(١٠)
أبناؤنا ـ وهُمُ أحاديثُ الندى ـ * ليسوا على أوطانِهم بشِحاحِ

صبروا على مُرِّ الخطوبِ فأدركوا * حُلوَ المُنى معسولةَ الأقداحِ

---

(١) المياح : المتبختر فى مشيته ، وهو ضرب حسن من المشى . (٢) محجلا : مضيئا . وأصله من التحجيل فى الخيل ، وهو بياض فى قوائمها . (٣) اللابرنت : قصر أمنمحتب الثانى الذى اشتهر فى قديم الزمان بعظمته ، وكان مقرا للحكومة . ويريد « بيومه » : أيام أمنمحتب التى كانت كلها خيرا وبركة على مصر . (٤) فالق الإصباح ، هو الله تعالى . (٥) العسجد : الذهب . وآذار : شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، تكثر فيه الأزهار . (٦) أبد الأبيد : كناية عن الدوام . (٧) أريج الزهر : رائحته . (٨) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والأقاحى : جمع أقحوان ، وهو نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره صغيرة مفلجة ؛ وتشبه به الثغور . (٩) عقد الخناصر على الأمر : كناية عن الإجماع على القيام به . (١٠) الندى : الجود . وشحاح : بخلاء .

شاكى سلاحَ الصبرِ ليس بأعزلٍ (١) * يغـزوه ربُّ عـواملٍ وصِـفاحِ

الصبرُ ـ إنْ فكّرتَ ـ أعظمُ عدّةٍ * والحقُّ ـ لو يدرون ـ خيرُ سلاحِ

قد أنكروا حقَّ الضعيفِ فهل أتى * إنكارُ ذاكَ الحقِّ فى إصحاحِ ؟ (٢)

كم خدّرتْ أعصابَ مصرَ نوافِحٌ * لـوُعودِهم كنوافحِ التفّاحِ (٣)

فتعلّلَ المصرىُّ مغتبِطًا بها * أرأيتَ طفـلًا عُلّلوه بِـداحِ ؟ (٤)

وتأنّقوا فى الخُلفِ حتى أصبحتْ * أقوالُهـم تُـذرى بغـيرِ رياحِ (٥)

لمّا تنبّـه بالكنانةِ نائمٌ * وأصاتَ بالشكوى الأليمةِ صاحِ (٦)

وتكشّفتْ تلك الغياهبُ وانطوتْ * وبدتْ شموسُ الحقِّ وهى ضَواحِ (٧)

علِمـوا بحمـدِ اللهِ أنّ قـرارَنا * فى ظِـلِّ غـيرِ اللهِ غـيرُ متـاحِ (٨)

فاليـومَ قَرّى يا كنانةُ واهـدئى * حَـرَمُ الكنانةِ لم يكن بمُباحِ

مَنْ ذا يُغـيرُ على الأسـودِ بغابِها * أو مَنْ يعومُ بمسْبَحِ التمساحِ ؟

---

(١) شاكى سلاح الصبر، أى المتسلح به . والعوامل : هى صدور الرماح مما يلى أسنتها ؛ الواحد عامل وعاملة . والصفاح : السيوف . يقول : إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطمع فيه ذوالرمح والسيف .

(٢) الإصحاح : من الأقسام التى تنقسم اليها أسفار التوراة والانجيل . يقول : هل أحل لكم إنكار حق الضعيف فى كتاب سماوى ؟

(٣) نوافح التفاح : روائحه . وكان الشاعر يعتقد أن نفحة التفاح منوّمة ، فكان لهذا يكثر من شمه وأكله ، نقل ذلك عنه أحد من آتصلوا به .

(٤) الداح : نقش يلوح به للصبيان يعللون به .

(٥) تأنقوا فى الخلف ، أى أتقنوه . وتذرى : تطير وتنثر. (٦) أصات : صوت وصاح.

(٧) الغياهب : الظلمات ؛ الواحد غيهب . والضواحى : المشرقة . (٨) غير متاح : غير ممكن.

للنيلِ مَجْدٌ في الزمانِ مُؤثَّلٌ * مِنْ عهدِ (آمونٍ) وعهدِ (فتاحِ) (١)

فَسَلِ العصورَ به وسلْ آثارَه * في (مِصْرَ) كَمْ شَهِدَتْ مِنَ السُّيَّاحِ

يا صاحبَ القُطْرَيْنِ غيرَ مُدافَعٍ * ما مثْلُ ساحِكَ في العُلا مِنْ ساحِ (٢)

لَمْ يَبْدُ نُورٌ فَوْقَ نُورٍ يُجْتَلَى * كالتاجِ فَوْقَ جَبِينِكَ الوَضّاحِ (٣)

ذَكَّرْتَ بِعَرْشِكَ (مِصْرَ) يومَ وَلِيتَه * عَرْشَ (المُعِزِّ) بِها وعَرْشَ (صَلاحِ) (٤)

في كُلِّ قُطْرٍ مِنْ جَلالِكَ رَوْعَةٌ * ولِكُلِّ قُطْرٍ منكَ ظِلُّ جَناحِ (٥)

لَكَ (مِصْرُ) و(السُّودانُ) والنَّهْرُ الذي * يَخْتالُ بينَ رُبًى وبينَ بِطاحِ

وبَواسِقُ (السُّودانِ) تَشْهَدُ أنَّها * غُرِسَتْ بِعَهْدِ جُدودِكَ الفُتّاحِ (٦)

لا غَرْوَ إنْ غَنَّى بِمَدْحِكَ صائحٌ * أو مُسْجِحٌ في حَلْبَةِ المُدّاحِ (٧)

حُسْنُ الغِناءِ مع الصِّياحِ كَحُسْنِهِ * عندَ الخَبِيرِ به مع الإسْجاحِ (٨)

---

(١) المؤثل: الموصل الثابت. وآمون: كان أجل معبود لقدماء المصريين حتى عهد اخناتون، وكان اسمه يدمج في أسماء الملوك، فيقال: أمينحتب. وفتاح: يريد به منفتاح بن رمسيس الثاني.

(٢) صاحب القطرين: ملك مصر والسودان. (٣) يجتلى: يرى.

(٤) يريد «بالمعز»: المعز لدين الله الخليفة الفاطمي المعروف. و«بصلاح»: السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب.

(٥) يشير بهذا البيت الى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق.

(٦) البواسق: الأشجار المرتفعة؛ الواحدة: باسقة.

(٧) مسجح، الصواب فيها: ساجع، أي ساجع في غنائه كما تسجع الحمامة، اذ المستعمل في هذا المعنى «سجع» لا «أسجح». يقول: سيان من رفع صوته بمدحك، أو من أرسله في هدوء ولين.

(٨) يريد بالإسجاح: السجع بالغناء؛ وقد تقدم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال في الحاشية التي قبل هذه.

أَوَلَمْ يكن لكَ مُلْكُ مِصْرَ ونيلُها * يَنْسابُ بين مُرُوجِها الأَفْياحِ؟ (١)

مَنْضُورَةَ الجَنَاتِ حالِيَةَ الرُّبَا * مَطْلُولَةَ السَّرَحاتِ والأَرْواحِ (٢)

قد قال (عَمْرٌو) فى ثَراها آيَةً * مأْثُورةً نُقِشَتْ على الأَلْواحِ: (٣)

بيْنَا تَراهُ لآلِئًا وكأنّما * نُثِرتْ بتُربتِه عُقُودُ مِلاحِ

وإِذا به للنّاظِرِين زُمُرُّدٌ * يَشْفِيكَ أَخْضَرُه مِن الأَتْراحِ

وإِذا به مِسْكٌ تَشُقُّ سَوادَه * شَقَّ الأَدِيمِ مَحارِثُ الفَلّاحِ (٤)

البَرْلَمانُ تَهَيَّأَتْ أَسْبابُهُ * لم يبقَ مِن سَبَبٍ سِوَى المِفْتاحِ

هُوَ فى يَدَيْكَ وَدِيعَةٌ لِرَعِيّةٍ * تُثْنِى بأَلْسِنَةٍ عليكَ فِصاحِ

رُدَّ الوَدِيعَةَ يا (فُؤادُ) فإِنّما * رَدُّ الوَدِيعَةِ شِيمَةُ المِسْماحِ (٥)

وٱنْهَضْ بشَعْبِكَ يا (فُؤادُ) إلى العُلا * وإلى مَكانٍ فى الوُجُودِ بَرَاحِ (٦)

---

(١) المروج : الأراضى الواسعة فيها نبت كثير. والأفياح، أى الواسعة.

(٢) منضورة : حسنة بهيجة. وحالية الربا ، أى مكسوة المرتفعات بانواع الزهر والنبات. ومطلولة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف. والسرحات : جمع سرحة ، وهى الشجرة العظيمة. والأرواح : الرياح.

(٣) يريد "بعمرو" : عمرو بن العاص فاتح مصر. ويشير "بالآية" : الى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا جاء منه هذه المعانى التى يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد.

(٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله الى أحوال ثلاث : حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يغمرها ، ثم حالها وقد تكشفت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشبهها فى الحالة الأولى باللؤلؤ فى بياضه ، وفى الثانية بالزمرد فى خضرته ، وفى الثالثة بالمسك فى سواده. وقد وردت هذه المعانى فى وصف عمرو لمصر.

(٥) المسماح : الكثير السماح.

(٦) البراح : المكان الذى لا سترة فيه من شجر وغيره ؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم.

فاللهُ يَشهدُ والخلائقُ أنّنا * طُلّابُ حَقٍّ في الحياةِ صِراحِ (١)

هذا منارُ البرلمانِ أمامكم * لهُدى السّبيلِ كإبرةِ الملّاحِ (٢)

فتيمّموه مُخلِصين فما لكم * مِنْ دُونِه مِنْ غِبطةٍ وفلاحِ (٣)

الفضلُ للشّورى وتلك هي الّتي * تَزَعُ الهوى وترُدُّ كلَّ جِماحِ (٤)

هي لا تَضِلُّ سبيلَها فكأنّما * خُلِقَ السّبيلُ لها بغيرِ نَواحِي

هيَ - لا بَراحَ - تَرُدُّ كَيْدَ عدوِّكم * وتَفُلُّ غَرْبَ الغاصبِ المُجتاحِ (٥)

فتكنّفوا الشّورى على استقلالِكم * في الرأيِ لا تُوحِيهِ نَزْعةُ واحِي (٦)

ويدُ الإلهِ مع الجماعةِ فاضرِبوا * بعصا الجماعةِ تَظْفَروا بنجاحِ

كونوا رِجالًا عامِلين وكذّبوا * والصُّبحُ أبلجُ ، حامِلَ المِصباحِ (٧)

ودَعُوا التّخاذُلَ في الأمورِ فإنّما * شَبَحُ التّخاذُلِ أنكرُ الأشباحِ

---

(١) الصراح (بالكسر) وهو أفصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذى لا شائبة فيه .

(٢) إبرة الملاح : هى التى يتبين بها الجهات ويهتدى بها فى السير .

(٣) تيمموه ، أى اقصدوا إليه .

(٤) تزع الهوى : تكفه وتزجره .

(٥) لا براح ، أى لا ريب . وتفل : تثلم وتكسر . والغرب : الحد .

(٦) تكنفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توحيه نزعة واحى » ، أى اصدروا عن رأيكم ولا تلقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .

(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما فى رائعة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتد به ويعتمد عليه .

والله ما بلغ الشقاء بنا المدى * بسوى خلاف بيننا وتلاحى (١)

قم يابن (مصر) فأنت حر واستعذ * بحجا الجدود ولا تعد لمراح (٢)

شمر وكافح فى الحياة فهذه * دنياك دار تناحر وكفاح

وانهل مع النهال من عذب الحيا * فإذا رقا فامتح مع المتاح (٣)

وإذا ألح عليك خطب لا تهن * واضرب على الإلحاح بالإلحاح (٤)

وخض الحياة وإن تلاطم موجها * خوض البحار رياضة السباح

واجعل عيانك قبل خطوك رائدا * لا تحسبن الغمر كالضحضاح (٥)

وإذا اجتوتك محلة وتنكرت * لك فاعدها وانزح مع النزاح (٦)

فى البحر لا تثنيك نار بوارج * فى البر لا يلويك غاب رماح

وانظر إلى الغربى كيف سمت به * بين الشعوب طبيعة الكداح (٧)

والله ما بلغت بنو الغرب المنى * إلا بثبات هناك صحاح

ركبوا البحار وقد تجهد ماؤها * والجو بين تناوح الأرواح (٨)

---

(١) التلاحى : التخاصم . (٢) يريد «بالمراح» : الأخذ فى أسباب الفرح واللهو .

(٣) انهل : اشرب، من النهل (بالتحريك)، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . ورقا (مسهل من رقأ بالهمز)، بمعنى جف وانقطع . والمتح : نزح الماء من البئر . ينصح المصرى بأن يرد موارد الحياة سهلها وصعبها . (٤) لا تهن، أى لا تذل ولا تضعف . (٥) الغمر : الماء الكثير . والضحضاح : الماء القريب الغور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا نبا بك منزل، وتعذرت عليك الإقامة به فاهجره إلى غيره وارتحل عنه مع المرتحلين . (٧) الكداح : الجاد المجتهد فى العمل .

(٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

(١)
والبَرّ مَصْهُورَ الحَصَى مُتَأَجِّجًا * يَرْمِى بِنَزّاعِ الشَّوَى لَوّاحِ
(٢)
يَلْقَى فَتِيهُمُ الزَّمانَ بِهِمَّةٍ * عَجَبٍ ووَجْهٍ فى الخُطُوبِ وَقاحِ
(٣)
ويَشُقُّ أَجْوازَ القِفارِ مُغامِرًا * وَعْرُ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كالصَّحْصاحِ
(٤)
وابْنُ الكِنانَةِ فى الكِنانَةِ راكِدٌ * يَرْنُو بِعَيْنٍ غيرِ ذاتِ طِماحِ
(٥)
لا يَسْتَغِلُّ — كما عَلِمْتَ — ذَكاءَه * وذَكاؤُه كالخاطِفِ اللَّمّاحِ
(٦)
أَمْسَى كَماءِ النَّهْرِ ضاعَ فُراتُه * فى البَحْرِ بَيْنَ أُجاجِهِ المُنْداحِ
(٧)
فانْهَضْ ودَعْ شَكْوَى الزَّمانِ ولا تَنُحْ * فى فادِحِ البُؤْسَى مع الأَنْواحِ
(٨)
وارْبَحْ لِمِصْرَ بِرَأْسِ مالِكَ عِزَّةً * إنّ الذَّكاءَ حُبالَةُ الأَرْباحِ
(٩)
وإذا رُزِقْتَ رَآسَةً فانْسِجْ لها * بُرْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ ومِنْ إِسْجاحِ
(١٠)
واشْرَبْ من الماءِ القَراحِ مُنَعَّمًا * فلَكَمْ وَرَدْتَ الماءَ غيرَ قَراحِ

---

(١) المصهور : الذى أصابه الحر وحمى عليه . والمتأجج : الملتهب . والشوى : اليدان والرجلان وقحف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بحر شديد ينزع الشوى . وفى القرآن فى وصف النار : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) . ولواح ، أى حر مغير للألوان .   (٢) وقاح : مجترئ .

(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .

(٤) يرنو : ينظر . والطماح : الطموح والتطلع إلى المجد .

(٥) الخاطف اللماح : البرق .

(٦) الفرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المنبسط المتسع .

(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواح : النائحات .

(٨) حبالة الصائد : الشرك الذى يصيد به .

(٩) الإسجاح : حسن العفو .

(١٠) الماء القراح : الصافى الخالص . يريد العيش الصافى من الأكدار .

من قصيدة فى شؤون مصر السياسية

قالها فى عهد وزارة إسماعيل صدقى باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالته الى المعاش فى سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتى بيت

لم نعثر منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عامٌ يا سُعادُ وعامُ * وآبنُ الكِنانةِ فى حِماهُ يُضامُ

صَبُّوا البَلاءَ على العِبادِ فنِصفُهُمْ * يَجْبِى البِلادَ ونِصفُهُمْ حُكّامُ

أَشْكُو الى (قَصْرِ الدُّبارَةِ) ما جَنَى * (صِدْقِى الوَزِيرُ) وما جَنَى (عَلّامُ)(1)

ومنها فى الإنجليز :

قُلْ للُمحايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِماءَنا * تَجرِى وهَلْ بَعْدَ الدِّماءِ سَلامُ؟(2)

سُفِكَتْ مَوَدَّتُنا لَكُمْ وبَدَا لَنا * أنَّ الحِيادَ على الخِصامِ لِثامُ

إنّ المَراجِلَ شَرُّها لا يُتَّقَى * حَتّى يُنَفِّسَ كَرْبَهُنَّ صِمامُ(3)

لَمْ يَبْقَ فِينا مَنْ يُمَنِّى نَفْسَهُ * بِوِدادِكُمْ فَوِدادُكُمْ أَحْلامُ

أَمِنَ السِّياسَةِ والمُرُوءَةِ أَنّنا * نَشْقَى بكُمْ فى أَرْضِنا ونُضامُ؟

إنّا جَمَعْنا لِلجِهادِ صُفُوفَنا * سَنَمُوتُ أو نَحْيا ونَحْنُ كِرامُ

ومنها فى مخاطبة إسماعيل صدقى باشا :

ودَعَا عليكَ اللهَ فى مِحْرابِهِ * الشَّيْخُ والقِسِّيسُ والحاخامُ

لا هُمَّ أَحْيِ ضَمِيرَهُ لِيَذُوقَها * غُصَصًا وتَنْسِفَ نَفْسَهُ الآلامُ

(1) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله «وما جنى علام» : الى ما كانوا يجبونه من الأموال إعانة لحزب الشعب . (2) أشار بقوله «المحايد» : إلى أن الانجليز فى هذه الفترة التى قيلت فيها هذه الأبيات كانوا يدّعون الحياد فى الشؤون المصرية . (3) المراجل : القدور .

إلى الإنجليز :

[نشرت فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

بَنَيتُمْ على الأخلاقِ آساسَ مُلكِكُمْ * فكانَ لكُمْ بينَ الشُّعوبِ ذِمامُ (١)

فمالِي أرَى الأخلاقَ قد شابَ قَرنُها * وحَلَّ بها ضَعفٌ ودَبَّ سَقامُ (٢)

أخافُ عليكُمْ عَثرةً بعدَ نَهضةٍ * فليسَ لمُلكِ الظالمينَ دَوامُ

أضَعتُمْ وِدادًا لو رَعَيتُمْ عُهودَه * لمَا قامَ بينَ الأُمّتَينِ خِصامُ

أبَعدَ حِيادٍ لا رَعَى اللهُ عَهدَه * وبَعدَ الجُروحِ الناغِراتِ وِئامُ (٣)

اذا كانَ فى حُسنِ التَّفاهُمِ مَوتُنا * فليسَ على باغِي الحَياةِ مَلامُ (٤)

الى المندوب السامى

[نشرت فى ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

ألَمْ تَرَ فى الطَّريقِ الى (كِيادٍ) * تَصيدُ البَطَّ بُؤسَ العالَمِينا؟ (٥)

ألَمْ تَلمَحْ دُموعَ الناسِ تَجرِي * مِنَ البَلوَى ألَمْ تَسمَعْ أنِينا؟

ألَمْ تُخبِرْ بَنِي التامِيزِ عَنّا * وقد بَعثُوكَ مَندُوبًا أمِينا

بأنّا قد لَمَسنا الغَدرَ لَمسًا * وأصبَحَ ظَنُّنا فيكُمْ يَقِينا؟

(١) الذمام : الحق والحرمة . (٢) القرن : الذؤابة من الشعر .

(٣) الناغرات : الداميات . (٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم يجلب لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بإقليم الشرقية اعتاد أن يذهب اليها المندوب السامى وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

أو لم يكن لكَ مُلْكُ مِصْرَ ونيلُها * يَنْسابُ بين مُرُوجِها الأفْياحِ؟ (١)

مَنْضُورَةَ الجَنّاتِ حالِيَةَ الرُّبا * مَطْلُولةَ السَّرحاتِ والأرْواحِ (٢)

قد قال (عَمْرٌو) فى ثَراها آيةً * مأثُورةً نُقِشَتْ على الألْواحِ: (٣)

بَيْنا تَراهُ لآلِئًا وكأنّما * نُثِرتْ بتُرْبَتِهِ عُقُودُ مِلاحِ

وإذا به للنّاظِرينَ زُمُرُّدٌ * يَشْفيكَ أخْضَرُهُ مِنَ الأتْراحِ

وإذا به مِسْكٌ تَشُقُّ سَوادَهُ * شَقَّ الأديمِ مَحارِثُ الفَلّاحِ (٤)

البَرْلَمانُ تَهَيّأَتْ أسْبابُهُ * لم يَبْقَ مِنْ سَبَبٍ سِوَى المِفْتاحِ

هُوَ فى يَدَيْكَ وَدِيعَةٌ لِرَعِيّةٍ * تُثْنى بألْسِنَةٍ عليكَ فِصاحِ

رُدَّ الوَديعَةَ يا (فُؤادُ) فإنّما * رَدُّ الوَديعَةِ شِيمَةُ المِسْماحِ (٥)

وانْهَضْ بِشَعْبِكَ يا (فُؤادُ) إلى العُلا * وإلى مَكانٍ فى الوُجُودِ بَراحِ (٦)

---

(١) المروج : الأراضى الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح ، أى الواسعة .

(٢) منضورة : حسنة بهيجة . وحالية الربا ، أى مكسوة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات . ومطلولة ، أى أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسرحات : جمع سرحة ، وهى الشجرة العظيمة . والأرواح : الرياح . (٣) يريد "بعمرو" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير "بالآية" : الى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا ممتعا معروفا جاء منه هذه المعانى التى يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد . (٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله الى أحوال ثلاث : حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يغمرها ، ثم حالها وقد تكشفت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشبهها فى الحالة الأولى باللؤلؤ فى بياضه ، وفى الثانية بالزمرد فى خضرته ، وفى الثالثة بالمسك فى سواده . وقد وردت هذه المعانى فى وصف عمرو لمصر . (٥) المسماح : الكثير السماح . (٦) البراح : المكان الذى لا سترة فيه من شجر وغيره ؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

فالله يشهد والخلائق أننا * طلاب حق في الحياة صراح (١)

هذا منار البرلمان أمامكم * لهدى السبيل كإبرة الملاح (٢)

فتيمموه مخلصين فما لكم * من دونه من غبطة وفلاح (٣)

الفصل للشورى وتلك هي التي * تزع الهوى وترد كل جماح (٤)

هي لا تضل سبيلها فكأنما * خلق السبيل لها بغير نواحي

هي لا براح ترد كيد عدوكم * وتفل غرب الغاصب المجتاح (٥)

فتكنفوا الشورى على استقلالكم * في الرأي لا توحيه نزعة واحي (٦)

ويد الإله مع الجماعة فاضربوا * بعصا الجماعة تظفروا بنجاح

كونوا رجالا عاملين وكذبوا * والصبح أبلج، حامل المصباح (٧)

ودعوا التخاذل في الأمور فإنما * شبح التخاذل أنكر الأشباح

---

(١) الصراح (بالكسر) وهو أفصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذي لا شائبة فيه .

(٢) إبرة الملاح : هي التي يتبين بها الجهات ويهتدى بها في السير .

(٣) تيمموه ، أي اقصدوا إليه .

(٤) تزع الهوى : تكفه وتزجره .

(٥) لا براح ، أي لا ريب . وتفل : تثلم وتكسر . والغرب : الحد .

(٦) تكنفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توحيه نزعة واحي » ، أي اصدروا عن رأيكم ولا تلقوا الأمر عن غيركم . والواحي : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .

(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليوناني ديوچينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما في رائعة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا الفيلسوف الذي ينكر وجود رجل يعتد به ويعتمد عليه .

والله ما بلغ الشقاء بنا المدى * بسوى خلاف بيننا وتلاحي (١)

قم يا بن (مصر) فأنت حر واستعد * مجد الجدود ولا تعد لمراح (٢)

شمر وكافح في الحياة فهذه * دنياك دار تناحر وكفاح

وانهل مع النهال من عذب الحيا * فإذا رقا فامتح مع المتاح (٣)

وإذا ألح عليك خطب لا تهن * واضرب على الإلحاح بالإلحاح (٤)

وخض الحياة وإن تلاطم موجها * خوض البحار رياضة السباح

واجعل عيانك قبل خطوك رائدا * لا تحسبن الغمر كالضحضاح (٥)

وإذا اجتوتك محلة وتنكرت * لك فاعدها وانزح مع النزاح (٦)

في البحر لا تثنيك نار بوارج * في البر لا يلويك غاب رماح

وانظر إلى الغربي كيف سمت به * بين الشعوب طبيعة الكداح (٧)

والله ما بلغت بنو الغرب المنى * إلا بيبات هناك صحاح

ركبوا البحار وقد تجهم ماؤها * والجو بين تناوح الأرواح (٨) .

---

(١) التلاحي : التخاصم . (٢) يريد «بالمراح» : الأخذ في أسباب الفرح واللهو .

(٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . ورقا (مسهل من رقأ بالهمز) ، بمعنى جف وانقطع . والمتح : نزح الماء من البئر . ينصح المصري بأن يرد موارد الحياة سهلها وصعبها . (٤) لا تهن ، أي لا تذل ولا تضعف . (٥) الغمر : الماء الكثير . والضحضاح : الماء القريب الغور . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا نبا بك منزل ، وتعذرت عليك الإقامة به فاهجره إلى غيره وارتحل عنه مع المرتحلين . (٧) الكداح : الجاد المجتهد في العمل .

(٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

(١)
والبَرّ مَصْهُورَ الحَصَى مُتأجِّجًا * يَرْمِي بِنَزّاعِ الشَّوَى لَوّاحِ
(٢)
يَلْقَى فَتيهُمُ الزَّمانَ بِهمّةٍ * عَجَبٍ ووَجْهٍ في الخُطُوبِ وَقاحِ
(٣)
ويَشُقُّ أَجْوازَ القِفارِ مُغامِرًا * وَعْرُ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كالصَّحْصاحِ
(٤)
وابْنُ الكِنانَةِ في الكِنانَةِ راكِدٌ * يَرْنُو بعَيْنٍ غيرِ ذاتِ طِماحِ
(٥)
لا يَشْتَغِلْ - كما عَلِمْتَ - ذَكاؤُه * وذَكاؤُه كالخاطِفِ اللَّمّاحِ
(٦)
أَمْسَى كماءِ النَّهْرِ ضاعَ فُراتُه * في البَحْرِ بَيْنَ أُجاجِهِ المُنْداحِ
(٧)
فانْهَضْ ودَعْ شَكْوَى الزَّمانِ ولا تَنُحْ * في فادِحِ البُؤْسَى مع الأَنْواحِ
(٨)
وارْبَحْ لِمِصْرَ برأسِ مالِكَ عِزَّةً * إنَّ الذَّكاءَ حُبالَةُ الأَرْباحِ
(٩)
وإذا رُزِقْتَ رآسةً فانْسُجْ لها * بُرْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ ومِنْ إِسْجاحِ
(١٠)
واشْرَبْ من الماءِ القَراحِ مُنَعَّمًا * فلَكَمْ وَرَدْتَ الماءَ غيرَ قَراحِ

---

(١) المصهور : الذى أصابه الحر وحمى عليه . والمتأجج : الملتهب . والشوى : اليدان والرجلان وقحف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بحر شديد ينزع الشوى . وفى القرآن فى وصف النار : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) . ولواح ، أى حر مغير للألوان .

(٢) وقاح : مجترئ .

(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .

(٤) يرنو : ينظر . والطماح : الطموح والتطلع إلى المجد .

(٥) الخاطف اللماح : البرق .

(٦) الفرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المنبسط المتسع .

(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواح : النائحات .

(٨) حبالة الصائد : الشرك الذى يصيد به .

(٩) الإسجاح : حسن العفو .

(١٠) الماء القراح : الصافى الخالص . يريد العيش الصافى من الأكدار .

من قصيدة فى شؤون مصر السياسية

قالها فى عهد وزارة إسماعيل صدقى باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالته الى المعاش فى سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتى بيت لم نعثر منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عامٌ يا سُعادُ وعامُ * وابنُ الكِنانَةِ فى حِماهُ يُضامُ

صَبُّوا البَلاءَ على العِبادِ فنِصْفُهُمْ * يَجْبِى البِلادَ ونِصْفُهُمْ حُكّامُ

أَشْكُو الى (قَصْرِ الدُّبارَةِ) ما جَنَى * (صِدْقِى الوَزِيرُ) وما جَنَى (عَلّامُ)[1]

ومنها فى الإنجليز:

قُلْ لِلْمُحايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِماءَنا * تَجْرِى وهَلْ بَعْدَ الدِّماءِ سَلامُ؟[2]

سُفِكَتْ مَوَدَّتُنا لَكُمْ وبَدَا لَنا * أَنَّ الحِيادَ على الخِصامِ لِثامُ

إِنَّ المَراجِلَ شَرُّها لا يُتَّقَى * حَتَّى يُنَفِّسَ كَرْبَهُنَّ صِمامُ[3]

لَمْ يَبْقَ فِينا مَنْ يُمَنِّى نَفْسَهُ * بِوِدادِكُمْ فَوِدادُكُمْ أَحْلامُ

أَمِنَ السِّياسَةِ والمُرُوءَةِ أَنَّنا * نَشْقَى بِكُمْ فى أَرْضِنا ونُضامُ؟

إِنّا جَمَعْنا لِلْجِهادِ صُفُوفَنا * سَنَمُوتُ أَو نَحْيا ونَحْنُ كِرامُ

ومنها فى مخاطَبة إسماعيل صدقى باشا:

ودَعا عليكَ اللهَ فى مِحْرابِهِ * الشَّيْخُ والقِسِّيسُ والحاخامُ

لا هُمَّ أَحْيِ ضَمِيرَهُ لِيَذُوقَها * غُصَصًا وتَنْسِفَ نَفْسَهُ الآلامُ

---

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب. ويشير بقوله «وما جنى علام»: الى ما كانوا يجبونه من الأموال إعانة لحزب الشعب. (٢) أشار بقوله «المحايد»: إلى أن الانجليز فى هذه الفترة التى قيلت فيها هذه الأبيات كانوا يدعون الحياد فى الشؤون المصرية. (٣) المراجل: القدور.

إلى الإنجليز :

[نشرت فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

بَنَيْتُمْ على الأخلاقِ آساسَ مُلْكِكُمْ * فكانَ لكُمْ بينَ الشعوبِ ذِمامُ (١)

فمالي أرى الأخلاقَ قد شابَ قَرْنُها * وحَلَّ بها ضَعْفٌ ودَبَّ سَقامُ (٢)

أخافُ عليكُمْ عَثْرةً بعدَ نَهْضةٍ * فليسَ لمُلْكِ الظالمينَ دَوامُ

أضَعْتُمْ وِدادًا لو رَعَيْتُمْ عُهودَهُ * لمَا قامَ بينَ الأُمَّتَيْنِ خِصامُ

أبَعْدَ حِيادٍ لا رَعَى اللهُ عَهْدَهُ * وبَعْدَ الجُروحِ الناغِراتِ وِئامُ (٣)

اذا كانَ فى حُسْنِ التَّفاهُمِ مَوْتُنا * فليسَ على باغِى الحياةِ مَلامُ (٤)

الى المندوب السامى

[نشرت فى ١٠ مارس سنة ١٩٣٢ م]

أَلَمْ تَرَ فى الطَّريقِ الى (كِيادٍ) * تَصِيدُ البَطَّ بُؤْسَ العالَمِينا؟ (٥)

أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ الناسِ تجْرِى * مِنَ البَلْوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أَنِينا؟

أَلَمْ تُخْبِرْ بَنِى التَّامِيزِ عَنَّا * وقد بَعَثُوكَ مَنْدُوبًا أَمِينا

بأنَّا قد لَمَسْنا الغَدْرَ لَمْسًا * وأَصْبَحَ ظَنُّنا فيكُمْ يَقِينا؟

---

(١) الذمام : الحق والحرمة . (٢) القرن : الذؤابة من الشعر .

(٣) الناغرات : الداميات . (٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا و بينكم يجلب لنا الموت بالذل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا . (٥) كياد : بركة بإقليم الشرقية اعتاد أن يذهب اليها المندوب السامى وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمْ فَلَسْتُمْ * وَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ مُحَايِدِينَا (١)

سَنَجْمَعُ أَمْرَنَا وَتَرَوْنَ مِنَّا * لَدَى الْجُلَّى كِرَامًا صَابِرِينَا (٢)

وَنَأْخُذُ حَقَّنَا رَغْمَ الْعَوَادِي * تُطِيفُ بِنَا وَرَغْمَ الْقَاسِطِينَا (٣)

ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قَادَتِنَا نِطَاقًا * مِنَ النِّيرَانِ يَمْشِي الدَّارِعِينَا (٤)

عَلَى رَغْمِ الْمُرُوءَةِ قَدْ ظَفِرْتُمْ * وَلَكِنْ بِالْأُسُودِ مُصَفَّدِينَا (٥)

الأخلاق والحياد

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدّعون الحياد فى الشؤون المصرية

[نشرا فى ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لَا تَذْكُرُوا الْأَخْلَاقَ بَعْدَ حِيَادِكُمْ * فَمُصَابُكُمْ وَمُصَابُنَا سِيَّانِ (٦)

حَارَبْتُمُ أَخْلَاقَكُمْ لِتُحَارِبُوا * أَخْلَاقَنَا فَتَأَلَّمَ الشَّعْبَانِ (٧)

(١) لم نجد فى كتب اللغة (النوايا) جمع نية ، كما استعمله الشاعر هنا ، وهو جمع شائع فى كلام أهل العصر ، وهو من غلطاتهم ؛ والقياس : نيات . وبرح الخفاء ، أى وضح الأمر وتبين . (٢) الجلى : النازلة الشديدة . (٣) القاسطون : الظالمون . (٤) الدارعون : لابسو الدروع . يشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من سجن ونفى واعتقال ومحاصرة بيوتهم بالجنود . (٥) المصفد : المقيد .

(٦) يخاطب الإنجليز فى هذا البيت ويقول : إنكم بهذا الحياد المكذوب تضيعون ما عرفتم به من الأخلاق الفاضلة ، فلا تدعوها لكم بعد ، فصابكم فى الأخلاق بهذا الطمع والظلم كمصابنا باحتلالكم .

(٧) يشير (بالأخلاق) المضافة إلى الإنجليز فى هذا البيت إلى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف . وبالأخلاق المضافة الينا ، الى ما أظهرناه فى نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمساك بحقوق البلاد . يقول . إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر فى سبيل محاربة أخلاقنا ، فكلا الشعبين متألم ، لأنه يحارب فيما طبع عليه .

ثمن الحياد

[نشرت فى ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لقد طَالَ الحيادُ ولَمْ تكُفُّوا * أمَا أرْضاكُمُ ثمنُ الحيادِ ؟

أخَذْتُمْ كلَّ ما تبْغُون منَّا * فما هٰذا التَّحكُّمُ فى العبادِ ؟

بَلَوْنَا شدَّةً منكم ولينًا * فكان كلاهُما ذَرَّ الرَّمادِ

وسالَمْتُمْ وعادَيْتُمْ زمانًا * فلَمْ يُغْنِ المُسالِمُ والمُعادِى

فلَيْسَ وراءَكُمْ غيرُ التَّجنِّى * وليْسَ أمامَنَا غيرُ الجهادِ

إلى الإنجليز

[نشرت فى ٢٨ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

حوِّلُوا النِّيلَ واحْجُبوا الضَّوءَ عنَّا * واطمِسُوا النَّجمَ واحرِمُونا النَّسِيمَا

واملَئُوا البحرَ إنْ أرَدْتُمْ سَفِينًا * واملَئُوا الجوَّ إنْ أردْتُمْ رُجُومَا

وأقيمُوا لِلعَسْفِ فى كلِّ شِبْرٍ * (كُنْسْتَبْلًا) بالسَّوْطِ يفْرِى الأدِيما (١)

إنَّنا لَنْ نحُولَ عن عَهْدِ مِصْرٍ * أو ترَوْنَا فى التُّرْبِ عَظْمًا رَميمًا

عاصِفٌ صانَ مُلْكَكُمْ وحَماكُمْ * وكفاكُمْ بالأمْسِ خَطْبًا جَسِيمَا

---

(١) العسف : الظلم والأخذ بالقوة . و يفرى الأديم : يشق الجلد .

غالَ (أرمادةَ) العَدُوُّ فَفُزْتُم * وبَلَغْتُمْ في الشَّرقِ شأْوًا عظيما[1]

فَعَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وبَغَيْتُمْ * وتَرَكْتُمْ في النِّيلِ عَهْدًا ذَميما

فشَهِدْنا ظُلْمًا يُقالُ له العَدْ * لُ ووُدًّا يَسْقِي الحَمِيمَ الحَمِيما[2]

فاتَّقُوا غَضْبَةَ العَواصِفِ إنِّي * قد رأيتُ المَصِيرَ أمسَى وَخِيما

الحياد الكاذب

[نشرت في سنة ١٩٣٢ م]

(قصرَ الدُّبارَةِ) قد نقضْ * تَ العَهْدَ نَقْضَ الغاصِبِ

أخفيتَ ما أضمرتَه * وأبنْتَ وُدَّ الصاحِبِ

الحَرْبُ أرْوَحُ للنُّفو * سِ مِنَ الحِيادِ الكاذِبِ

جلاء الإنجليز عن مصر

قالها تنديدا بكاتب فرنسي كان قد زعم أن جلاء الانجليز عن مصر سيكون في أكتوبر

كم حدَّدُوا يومَ الجَلاءِ الذي * أصْبَحَ في الإبهامِ كالمَحْشَرِ

وسَنَّ قَوْمُ الطَّيْشِ مِنْ جَهْلِهِمْ * كِذْبَةَ (إبريلَ لأكْتُوبَرِ)

---

(١) غال : أهلك . وأرمادة : هي الأسطول الأسباني الذي كان يريد مهاجمة الأسطول الانجليزي في القرن السادس عشر ، فتحطم بعاصفة شديدة حالت بينه وبين مهاجمته . وإلى هذه القصة يشير الشاعر بهذا البيت والذي قبله . ويشير بقوله « وبلغتم في الشرق » : إلى كثرة مستعمرات الانجليز فيه .

(٢) يريد «بالحميم» الأول : الصديق . و«بالحميم» الثاني : الشراب الشديد الحرارة .

الامتيازات الأجنبية

سَكَتُّ فأَصْغَرُوا أَدَبِي * وقُلْتُ فأَكْبَرُوا أَرَبِي (١)

وما أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ * به ضاقَ الرَّجاءُ وَبِي؟

وهل (في مِصْرَ) مَفْخَرَةٌ * سِوَى الألقابِ والرُّتَبِ؟

وذِي إرْثٍ يُكاثِرُنا * بمالٍ غيرِ مُكْتَسَبِ (٢)

وفي الرُّومِيِّ مَوْعِظَةٌ * لشَعْبٍ جَدَّ في اللَّعِبِ (٣)

يُقَتِّلُنا بلا قَوَدٍ * ولا دِيَةٍ ولا رَهَبِ (٤)

ويَمْشِي نَحْوَ رايَتِهِ * فتَحْمِيهِ من العَطَبِ (٥)

فقُلْ للفاخِرِينَ: أَمَا * لِهٰذا الفَخْرِ مِنْ سَبَبِ؟

أَرُونِي بَيْنَكُمْ رَجُلًا * رَكِينًا واضِحَ الحَسَبِ (٦)

أَرُونِي نِصْفَ مُخْتَرِعٍ * أَرُونِي رُبْعَ مُحْتَسِبِ؟ (٧)

أَرُونِي نادِيًا حَفَلًا * بأَهْلِ الفَضْلِ والأَدَبِ؟

وماذا في مَدارِسِكُمْ * مِنَ التَّعْلِيمِ والكُتُبِ؟

---

(١) الأرب: العقل. (٢) كاثره بماله: فاخره بكثرته.

(٣) يريد «بالشعب»: الشعب المصري. وجدّ في اللعب: أي استمر عليه وواظب.

(٤) القود: القصاص. والرهب (بالتحريك): الخوف. (٥) العطب: الهلاك.

(٦) الركين: الرزين. (٧) يريد «بالمحتسب»: العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها على أحسن وجه؛ ومنه قولهم: «فلان محتسب البلد».

وماذا فى مَساجِدِكُمْ * مِنَ التِّبيانِ والخُطَبِ؟

وماذا فى صَحائِفِكُمْ * سِوَى التَّمْويهِ والكَذِبِ؟

حَصائِدُ أَلْسُنٍ جَرَّتْ (١) * إلى الوَيْلاتِ والحَرَبِ

فَهُبُّوا مِنْ مَراقِدِكُمْ * فإنَّ الوَقْتَ مِنْ ذَهَبِ

فَهٰذِى أُمَّةُ (اليابا * نِ) جازَتْ دارَةَ (٢) الشُّهُبِ

فَهامَتْ بالعُلا شَغَفًا * وهِمْنا بابْنَةِ (٣) العِنَبِ

---

(١) حصائد الألسنة : ما تقتطعه من الكلام الذى لا خير فيه ، الواحدة حصيدة ، تشبيها له بما يحصد من الزرع إذا جذ . وفى حديث معاذ : « وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم » . والحرب (بالتحريك) : الهلاك .

(٢) الدارة : المنزل .

(٣) ابنة العنب : الخمر .

الشكوى

الى محمد الشيمى بك المحامى بطنطا

قال حافظ هذين البيتين وكان يعمل بمكتبه فى أول شبابه قبل انتظامه فى سلك المدرسة الحربية ، ثم تركه لخلاف وقع بينهما

جرابُ حَظِّىَ قد أفرغتُهُ طَمَعاً * بباب أستاذِنا (الشِّيمى) ولا عَجَبا

فعادَ لى وهو مملوءٌ فقلتُ له : * مِمَّا؟ فقال مِن الحَسْراتِ والحَرَبا (1)

الى آدم أبى البَشَر

سَلِيلَ الطِّينِ كم نِلْنا شَقاءً * وكَمْ خَطَّتْ أنامِلُنا ضَريحا (2)

وكم أزْرَتْ بنا الأيَّامُ حتَّى * فَدَتْ بالكَبْشِ (إسْحاقَ) الذَّبيحا (3)

(1) سكن السين فى « الحسرات » لضرورة الوزن ، والحرب بالتحريك : الهلاك .

(2) سليل الطين ، يريد آدم أبا البشر عليه السلام . وخط القبر : حفره . يقول لآدم : تركت بنيك يعبث بهم الشقاء والفناء . (3) أزرت بنا الأيام ، أى تهاونت بنا ، ووضعت من شأننا . وإسحاق الذبيح ، هو نبى الله إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ؛ وقد اختلف العلماء فى الذبيح من ولدى إبراهيم ، فقيل : هو إسحاق كما هنا ، وقيل : هو إسماعيل . وقصة هذا الذبح والفداء مشهورة ؛ وقد قصها الله تعالى فى القرآن ، إذ قال تعالى فى سورة الصافات : (فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) الآيات .

وباعت (يوسفًا)(١) بيع الموالى * وألقت فى يد القوم (المسيحا)

ويا(نوحًا)(٢) جنيت على البرايا * ولم تمنحهم الود الصحيحا

علام حملتهم فى الفلك هلا * تركتهم فكنت لهم مريحا

أصاب رفاق القدح المعلى * وصادف سهمى القدح المنيحا(٣)

فلو ساق القضاء إلى نفعا * لقام أخوه(٤) معترضًا شحيحا

(١) يوسف، هو ابن يعقوب عليهما السلام، وأمره مع إخوته من إلقائه فى الجب، والتقاط بعض السيارة له، وبيعهم إياه بيع العبيد مشهور، وقد قص الله ذلك فى القرآن فى سورة يوسف. والموالى: العبيد؛ الواحد مولى. ويريد «بالقوم»: جماعة اليهود الذين أرادوا صلب عيسى عليه السلام؛ وقد قص الله تعالى ذلك فى القرآن.

(٢) يشير الى قصة نبى الله نوح عليه السلام، وأمره مع قومه والطوفان الذى أرسله الله عليهم ونجاته بمن معه فى السفينة مشهور، وقد قص الله تعالى ذلك فى القرآن.

(٣) القدح (بكسر القاف وسكون الدال): واحد القداح، وهى سهام الميسر. والقدح المعلى، هو السهم السابع منها، وهو أفضلها، لأنه اذا خرج حاز سبعة أنصباء. والمنيح: سهم من سهام الميسر لا نصيب له ولا فرض، وهو الثالث من القداح الغفل التى ليس لها فرض ولا أنصباء.

(٤) أخوه، أى أخو القضاء، وهو القدر.

النفس الحزينـــة

بيتان مترجمان عن (جان جاك روسو)(١)

[نشرا فى ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

خَلَقْتَ لى نَفْسًا فأَرْصَدْتَها * لِلحُزْنِ والبَلْوَى وهٰذا الشَّقاءْ(٢)

فأَمْنُنْ بنَفْسٍ لمْ يَشُبْها الأَسَى * لَعَلَّها تَعْـرِفُ طَعْمَ الهَنَـاءْ(٣)

سعىٌ بلا جدوى

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإباءه ، ويتمنى الراحة من ذلك بالموت

[نشرت فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠ م]

سَعَيْتُ إلى أنْ كِدْتُ أَنْتَعِلُ الدَّما * وعُدْتُ وما أَعْقَبْتُ إلا التَّنَـدُّما(٤)

لَحَى اللهُ عَهْدَ القاسِطِينَ الَّذى به * تَهَـدَّمَ مِنْ بُنْيانِنا ما تَهَـدَّمَا(٥)

إذا شِئْتَ أنْ تَلْقَى السَّـعادَةَ بينهمْ * فلا تَكُ مِصْرِيًّا ولا تَكُ مُسْلِمـا

سَـلامٌ على الدُّنيا سَـلامَ مُوَدِّعٍ * رَأَى فى ظَـلامِ القَـبْرِ أُنْسًا ومَغْنَما

---

(١) روسو ، هو الكاتب الفرنسى المعروف ، بطل الحرية وزعيم المساواة . ولد سنة ١٧١٢ م ، وكانت وفاته فى ٣ يوليه سنة ١٧٧٠ م . وله عدة تآليف ، منها كتاب الاتفاق الجمهورى ، وكتاب إميل ، وقاموس فى الموسيقى ، وآخر فى علم النبات ، وغيرها .

(٢) أرصدتها للحزن : حبستها عليه .

(٣) لم يشبها : لم يخالطها . أى امنن على بنفس أخرى لم تخالطها الأحزان .

(٤) يقول : إنه تقرحت قدماه من كثرة السعى على الرزق حتى صار دم قدميه أشبه بالنعل لهما ، وما عاد بعد كل هذا إلا بالندم .

(٥) القاسطون : الجائرون المائلون عن الحق ؛ ويريد بهم المحتلين وصنائعهم .

أَضَــرَّتْ به الأولى فهامَ بأختها * فإنْ ساءَت الأخرى فوَيْلاهُ منهما (١)

فهُبِّى رِياحَ المـوتِ نُكْبًا وأطفِئِى * سِراجَ حَياتى قَبْلَ أنْ يتحطَّما (٢)

فما عَصَمَتْنى مِنْ زمانى فَضـائِلى * ولكنْ رأيتُ الموتَ للحُـرِّ أعصَما (٣)

فياقلبُ لاتجزَعْ إذا عضَّكَ الأسَى * فإنَّكَ بَعْــدَ اليَوْمِ لن تتألَّما (٤)

ويا عَيْنُ قد آنَ الجُمُودُ لمَدْمَعى * فلا سَيْلَ دَمْعٍ تَسْكُبِين ولا دَمَا (٥)

ويا يَدُ ماكَلَّفْتُـكِ البَسْـطَ مَرَّةً * لِذِى مِنَّــةٍ أَوْلَى الجَميــلَ وأنْعَمَا

فلِلّهِ ما أحْـلاكِ فى أَنْمُـلِ البِـلَى * وإنْ كنتِ أحْلَى فى الطُّرُوسِ وأكْرَمَا (٦)

ويا قَــدَمِى ما سِـرْتِ بى لمَــذَلَّةٍ * ولَمْ تَرْتَقِى إلّا إلى العِــزِّ سُلَّمَا

فلا تُبْطِئِى سَيْرًا الى الموتِ واعلَمِى * بأنَّ كَرِيمَ القَــومِ مَن مات مُكْرَمَا

ويانفسُ كم جَشَّمْتُكِ الصبرَ والرضا * وجَشَّمْتِنِى أن أَلْبَسَ المَجْـدَ مُعْلَمَا (٧)

فما آستَطَعْتِ أنْ تَسْتَمْرِئى مُرَّ طَعْمِه * وما آستَطعتُ بينَ القومِ أنْ أتقَدَّما (٨)

---

(١) يريد «بالأولى» : الدنيا . و «بالأخرى» : الآخرة ؛ فإن شق فيها كما شق فى دنياه فويلاه .

(٢) النكب : جمع نكباء ؛ وهى الريح اذا انحرفت عن وجهها ووقعت بين ريحين ؛ وهى ريح مهلكة للزرع والمواشى ، حابسة للقطر . ويتحطم : يتكسر .

(٣) عصمتنى : حفظتنى .

(٤) يشير بقوله «بعد اليوم» : إلى الموت .

(٥) جمود الدمع : انقطاعه أو قلته . قدّر الشاعر فى هذا البيت أن ماتمناه من الموت قد وقع ، وانقطعت عنه أسباب الحزن المجرية للدموع .

(٦) فى أنمل البلى ، أى فى يد الفنـاء . والطروس : جمع طرس (بكسر الطاء وسكون الراء) ، وهو الصحيفة يكتب فيها .

(٧) جشمتك : كلفتك . والمعلم من الثياب : الذى فيه أعلام من طراز أو غيره . شبه المجد به فى وضوحه وظهوره .

(٨) استمرأ الطعام : استطابه واستساغه . ويشير بالشطر الأول من هذا البيت إلى الصبر والرضا الواردين فى البيت السابق . وبقوله «وما استطعت بين القوم ... الخ» إلى المجد ، فى البيت السابق أيضا . يقول لنفسه : إن كلينا لم يستطع القيام بما كلف به .

فهذا فِراقٌ بيننا فتجمّلي * فإنّ الرّدى أحلى مذاقاً ومَطْعَما (١)

ويا صدرُ كم حلّت بذاتك ضيقةٌ * وكم جال في أنحائك الهمّ وارتمى

فهلّا ترى في ضيقة القبرِ فُسحةً * تُنَفِّسُ عنكَ الكربَ إن بِتَّ مُبْرَما؟ (٢)

ويا قبرُ لا تبخل بردّ تحيّة * على صاحبٍ أوفى علينا وسلّما (٣)

وهيهات يأتي الحيُّ للميتِ زائراً * فإنّي رأيتُ الوُدَّ في الحيِّ أسْقَما

ويأيّها النجمُ الذي طال سُهْدُه * وقد أخذتْ منه السُّرى أين يمّما (٤)

لعلّك لا تنسى عهودَ منادمٍ * تعلّمَ منك السُّهْدَ والأينَ كلّما (٥)

الإخفاق بعد الكدّ

وفيها ينعى مجد الترك والعرب ، ويشير الى معان أخرى فى الشكوى

[نشرت سنة ١٣١٨ هـ — سنة ١٩٠٠ م]

ماذا أصبتَ من الأسفارِ والنَّصَبِ * وطيِّكَ العُمْرَ بين الوَخْدِ والخَبَبِ؟ (٦)

تراكَ تطلبُ لا هَوْناً ولا كَثَباً * ولا ترى لكَ من مالٍ ولا نَشَبِ (٧)

---

(١) تجملى : لا تظهرى الجزع . (٢) المبرم : المتضجر . (٣) أوفى ، أى أشرف علينا زائرا . (٤) السرى (بضم السين) : السير ليلا . ويمم : قصد . (٥) الأين : التعب والإعياء . وفى هذا البيت والذى قبله ينادى الشاعر النجم الذى أخذ منه السهر والسرى كل مأخذ ، ويطلب إليه أن يذكر عهود أليف له فى سهره وسيره . وقوله « كلما » ، أى كلما سهرت أيها النجم وتعبت من السرى .

(٦) النصب (بالتحريك) : التعب . والوخد : الإسراع فى المشى . والخبب (بالتحريك) : أن ينقل الفرس أيامنه جميعا وأياسره جميعا إذا عدا . (٧) الهون : الهين . والكثب (بالتحريك) : القرب . والهون والكثب : صفتان لموصوف محذوف ، أى لا طلبا هينا ولا قريبا . والنشب : المال الأصيل .

(١)
لا تُطْمِعانِى أنيابَ المَلامِ على * هٰذا العِثارِ فإنّى مَهْبِطُ العَجَبِ
(٢)
وَدِدْتُ لو طَرَحُوا بِى يومَ جِئْتُهُمُ * فى مَسْبَحِ الحُوتِ أوفى مَسْرَحِ العَطَبِ
(٣)
لعلّ (مانِىَ) لاقَى ما أكابِدُه * فوَدَّ تَعْجِيلَنا من عالَمِ الشَّجَبِ
(٤)
إنّى احتَسَبْتُ شَبابًا بِتُّ أُنْفِقُه * وعَزْمَةً شابَتِ الدنيا ولم تَشِبِ
(٥)
كم هِمْتُ فى البِيدِ والآرامُ قائِلَةٌ * والشَّمْسُ تَرْمِى أديمَ الأرضِ باللَّهَبِ
(٦)
وكم لَبِسْتُ الدُّجَى والتُّرْبُ ناعِسَةٌ * واللَّيْلُ أهْدَأُ مِنْ جأْشِى لَدَى النُّوَبِ
(٧)
والنجمُ يَعْجَبُ مِن أمرِى ويَحْسَبُنِى * لَدَى السُّرَى ثامِنًا للسَّبْعَةِ الشُّهُبِ
(٨)
لكنّنى غيرُ مَجْدُودٍ وما فَتِئَتْ * يَدُ المَقادِيرِ تُقْصِينِى عن الأَرَبِ

(١) «لا تطمعانى ... الخ» ، أى لاتجعلانى طعمة . وقد شبه الملام ، بالاسد ذى الأنياب ؛ وتفسه بالفريسة . (٢) تمنى لوطرحه أهله يوم ولادته فى قاع البحر أو فى أى طريق من طرق الهلاك .

(٣) مانى ، هو مانى الثنوى صاحب مذهب المانوية المشهور. ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كان يراه مانى من وجوب تعجيل الفناء للبشر بقطع النسل ، وقد ظهر مانى فى أيام سابور بن أردشير ، وقتل فى زمن بهرام بن سابور . والشجب : الحزن والعنت يصيب الإنسان من مرض ونحوه . (٤) يريد أنه لم يستفد من شبابه ولا عزمه فى أيام الحياة شيئا ، فاحتسبهما عند الله وعدهما فيما يدخره له من أجر وثواب .

(٥) هام : ذهب على وجهه حائرا لا يدرى أين يتوجه . والآرام : الظباء ؛ الواحد : رئم ، وهو فى الأصل مخصوص بالظبى الخالص البياض . والقائلة : المستكنة وقت الظهيرة لشدة الحر ؛ ويقال : إن الظباء لاتقيل إلا إذا اشتد القيظ . وأديم الأرض : وجهها وظاهرها . (٦) الترب (بضم فسكون) : جمع ترباء ، بمعنى التراب ؛ وهذا الجمع مطرد فى (فعلاء) مؤنث (أفعل) ويريد بكونها ناعسة ، أنها مستقرة فى مكانها لقلة من يثيرها من المارة بالمشى عليها . والجأش : النفس . وقيل : القلب . يصف فى الشطر الأخير الليل بأنه أشد هدوءا من هدوء نفسه واطمئنانها عند نوائب الدهر . (٧) الشهب السبعة ، هى السيارة ، وهى : زحل ، والمشترى ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر . يقول : إنه مستمر على السرى استمرار هذه الكواكب ، حتى كأنه واحد منها . (٨) المجدود : المحظوظ .

وقد غدوتُ وآمالي مُطَّرَحَةٌ * وفي أُموريَ ما لِلضَّبِّ في الذَّنَبِ (١)

فإنْ تَكُنْ نِسبتي للشَّرقِ ماتعني * حَقًّا فَوَاهًا لِمَجدِ التُّركِ والعربِ

وقاضباتٍ لهم كانت إذا اخترِطَتْ * تَدَثَّرَ الغربُ في ثوبٍ مِنَ الرَّهَبِ (٢)

وجَمرةٍ لهمُ في الشَّرقِ ما هَمَدَتْ * ولا عَلاها رَمادُ الخَتْلِ والكَذِبِ (٣)

متى أرى (النِّيلَ) لا تَحْلُو مَوارِدُه * لِغَيرِ مُرتَهِبٍ لِلّهِ مُرتَقِبِ

فقد غَدَتْ (مِصرُ) في حالٍ إذا ذُكِرَتْ * جادَتْ جُفُوني لها باللُّؤلُؤِ الرَّطِبِ (٤)

كأنَّني عِندَ ذِكرى ما أَلَمَّ بها * قَرْمٌ تَرَدَّدَ بينَ المَوتِ والهَرَبِ (٥)

إذا نَطَقْتُ فَقاعُ السِّجنِ مُتَّكَأٌ * وإنْ سَكَتُّ فإنَّ النَّفسَ لم تَطِبِ (٦)

أَيَشتكي الفَقرَ غادينا ورائحُنا * ونحنُ نَمشي على أرضٍ مِنَ الذَّهَبِ

والقومُ في (مِصرَ) كالإسفَنجِ قد ظَفِرَتْ * بالماءِ لم يَترُكوا ضَرعًا لِمُحتَلِبِ (٧)

---

(١) مطرحة ، ملقاة منبوذة . ويريد بقوله « وفي أموري ... الخ » : أن أموره معقدة متعذرة الحل ، كأنها ذنب الضب الذي يضرب به المثل في التعقيد .

(٢) القاضبات : السيوف القواطع . واخترط السيف : استله من غمده . وتدثر : التف . والرهب (بالتحريك) : الخوف والرعب . يتحسر على زمان كانت فيه للترك والعرب سطوة يخشى بأسها الغرب .

(٣) استعار «الجمرة» في هذا البيت للقوة الدولة وشوكتها وعزها . والختل : الخداع . يصف سياستهم بالصراحة وأنها لم يغشها كذب ولا خداع كما غشى غيرها من سياسات دول الغرب .

(٤) الرطب (بسكون الطاء) معروف ، وتحريكها هنا لضرورة الوزن ؛ ويلاحظ أننا لم نجد ذلك في شعر آخر فيما راجعنا .

(٥) القرم : السيد العظيم والبطل الشجاع .

(٦) يقول : إنه إذا ذكر مصر اضطرب أمره بين إقدام عاقبته العقاب ، وإحجام يعقبه لذع الضمير .

(٧) يريد « بالقوم » : الأجانب . يقول : إن هؤلاء الأجانب في مصر امتصوا كل خيرها كالإسفنج يمتص ما في الوعاء من ماء . والضرع للبهائم بمنزلة الثدي للمرأة ؛ جمعه ضروع .

(يا آلَ عُثمانَ) ما هٰذا الجفاءُ لنا * ونحنُ فى اللهِ إخوانٌ وفى الكُتُبِ (١)

تركتُمونا لأقوامٍ تُخالِفُنا * فى الدِّينِ والفَضْلِ والأخلاقِ والأَدَبِ

حسرة على فائت

[نشرت فى يونيه سنة ١٩٠٢ م]

لم يَبْقَ شىءٌ من الدُّنيا بأَيْدِينا * إلَّا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فى مَآقِينا (٢)

كُنَّا قِلادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فانفرَطَتْ * وفى يَمِينِ العُلا كُنَّا رَياحِينا

كانت مَنازِلُنا فى العِزِّ شامِخَةً * لا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إلَّا فى مَغانِينا (٣)

وكان أَقْصَى مُنَى نَهْرِ (المَجَرَّة) لو * مِن مائِه مُزِجَتْ أَقْداحُ ساقِينا (٤)

والشُّهْبُ لو أنَّها كانت مُسَخَّرَةً * لِرَجْمِ مَن كانَ يَبْدُو مِن أَعادِينا

فلَمْ نَزَلْ وصُرُوفُ الدَّهْرِ تَرْمُقُنا * شَزْرًا وتَخْدَعُنا الدُّنيا وتُلْهِينا (٥)

حتَّى غَدَوْنا ولا جاهٌ ولا نَشَبٌ * ولا صَدِيقٌ ولا خِلٌّ يُواسِينا (٦)

---

(١) آل عثمان : الترك .

(٢) المآقى : جمع مؤق ومأق ، وهو مجرى الدمع من العين .

(٣) المغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل الذى غنى به أهله ، أى أقاموا .

(٤) المجرة : نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء ؛ وتشبهها الشعراء بالنهر ، كما فى هذا البيت .

(٥) صروف الدهر : غيره ونوائبه . والنظر الشزر : أن تنظر إلى غيرك بجانب عينك ولا تستقبله بوجهك معرضا عنه ، أو غاضبا عليه .

(٦) النشب : المال والعقار .

وداع الشباب

قال هذه القصيدة فى دار وسط مزارع فى الجيزة قضى فيها بعض أيام شبابه، ثم مر بها بعد عهد طويل من تحوّله عنها فتحركت فى نفسه ذكريات، وجاش صدره بهذه الأبيات

[نشرت فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢ م]

كم مرّ بى فيك عيشٌ لستُ أذكرُه * ومرّ بى فيك عيشٌ لستُ أنساهُ (١)

ودّعتُ فيك بقايا ما علقتُ به * من الشباب وما ودّعتُ ذكراهُ

أهفو إليه على ما أقرحتْ كبدى * من التباريح أولاهُ وأُخراهُ (٢)

لبستُه ودموعُ العينِ طيّعةٌ * والنفسُ جيّاشةٌ والقلبُ أوّاهُ (٣)

فكان عونى على وجدٍ أكابدُه * ومرّ عيشٍ على العلاّتِ ألقاهُ

إنْ خانَ ودّى صديقٌ كنتُ أصحبُه * أو خانَ عهدى حبيبٌ كنتُ أهواهُ

قد أرخصَ الدمعَ ينبوعُ الغناءِ به * وا لهفتى ونضوبُ الشيبِ أغلاهُ (٤)

كم روّحَ الدمعُ عن قلبى وكم غسلتْ * منه السوابقُ حزناً فى حناياهُ (٥)

---

(١) يقول: إنه مرت به فى هذا البيت شؤون وأحوال نسى بعضها وذكر بعضها .

(٢) أهفو، أى أميل . والتباريح : ما يعانيه المحب من شدة الشوق .

(٣) جياشة : مضطربة بمختلف العواطف . والأوّاه : الحزين .

(٤) أرخصه : جعله رخيصا . والضمير فى «به» يعود على الشباب . ونضوب الشيب، أى ذبول العود وجفافه فى المشيب . يقول فى الشطر الأول : إن غزارة الدمع فى عهد الشباب قد جعلته رخيصا يفيض لأقل الأشياء؛ ويتلهف فى الشطر الثانى على قلة هذا الدمع فى عهد المشيب حتى غلا وعزّ، فلا يجيبه اذا دعاه .

(٥) روح الدمع عن قلبى، أى خفف من حزنه ونفس من لوعته . وسوابق الدموع : ما أسرع منها .

لَمْ أَدْرِ ما يَدُه (١) حتّى تَرَشَّفَه * فَمُ المَشِيبِ على رَغْمِي فأَفْنَاهُ

قالوا تَحَرَّرْتَ مِنْ قَيْدِ المِلاحِ فعِشْ * حُرًّا فَفِي الأَسْرِ ذُلٌّ كُنْتَ تَأْبَاهُ

فقُلْتُ يا لَيْتَه (٢) دامَتْ صَرامَتُه * ما كانَ أَرْفَقَه عندي وأَحْنَاهُ

بُدِّلْتُ منه بقَيْدٍ (٣) لَسْتُ أُفْلِتُه * وكيف أُفْلِتُ قَيْدًا صاغَهُ اللهُ

أَسْرَى الصَّبابَةِ أَحْياءٌ وإنْ جَهِدُوا * أَمّا المَشِيبُ فَفِي الأَمْواتِ أَسْراهُ .

وقال :

كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظه و يتشوّق إلى مصر

رَمَيْتُ بها (٤) على هٰذا التَّبابِ * وما أَوْرَدْتُها غيرَ السَّرابِ

وما حَمَّلْتُها إلّا شَقاءً * تُقاضِيني (٥) به يومَ الحِسابِ

جَنَيْتُ عليكِ يا نَفْسِي وقَبْلِي * عليكِ جَنَى أَبِي (٦) فدَعِي عِتابِي

فلَوْلا أَنّهم وَأَدُوا (٧) بَيانِي * بَلَغْتُ بكِ المُنَى وشَفَيْتُ ما بِي

---

(١) يده ، أى نعمة الدمع عندى ؛ و يقال : ترشفه ، أى شربه قليلا قليلا .

(٢) ياليته ، أى ياليت هذا القيد السابق ذكره . وصرامته : شدّته و إحكامه وتعذر الإفلات منه .

(٣) المعروف أن الباء تدخل على المتروك عكس ما استعمله الشاعر هنا ؛ ولكن ورد فى عبارة بعض اللغويين ما يفيد صحة دخول الباء على المأخوذ كاستعمال الشاعر . قال أبو العباس ثعلب : يقال « بدّلت الخاتم بالحلقة » : اذا أذبته وسوّيته حلقة ؛ وبدّلت الحلقة بالخاتم : اذا أذبتها وجعلتها خاتما . والمراد بالقيد هنا : قيد المشيب .   (٤) بها ، أى بالنفس . والتباب : الخسران والنقص . والسراب : هو ماتراه نصف النهار من اشتداد الحرّ كالماء عن بعد ؛ و يشبه به الخداع .   (٥) تقاضينى : تحاسبنى عليه .

(٦) جناية أبيه عليه أنه كان سببا فى ولادته ، إشارة الى قول المعرّى :

هـٰذا جناه أبي عليّ * وما جنيت على أحد

(٧) وأده : دفنه حيا .

سَعَيْتُ وكم سَعَى قَبلى أديبٌ * فآبَ بخيبةٍ بعدَ اغترابِ

(١)
وما أَعذرتُ حتى كان نعلى * دَمًا ووِسادتى وَجْهَ الترابِ

(٢)
وحتى صيّرتنى الشمسُ عبدًا * صبيغًا بعدَ ما دبغتْ إهابى

(٣)
وحتى قَلَّمَ الإملاقُ ظُفْرِى * وحتى حطّم المقدارُ نابى

(٤)
متى أنا بالغٌ يا (مصرُ) أرضًا * أَشُمُّ بتُربِها رِيحَ المَلابِ

(٥)
رأيتُ ابنَ البُخارِ على رُباها * يَمُرُّ كأنّه شرخُ الشبابِ

كأنّ بجوفِه أحشاءَ صَبٍّ * يُؤَجِّجُ نارَها شوقُ الإيابِ

(٦)
إذا ما لاحَ ساءَلَنا الدياجى * أَبَرقُ الأرضِ أم برقُ السحابِ

وقال :

ما لهذا النجمِ فى السَّحَرِ * قد سها مِن شِدّةِ السَّهَرِ؟

(٧)
خِلْتُه يا قومُ يُؤْنِسُنى * إنْ جفانى مُؤْنِسُ السَّحَرِ

يا لِقَومِى إنّنى رجلٌ * أَفْنَتِ الأيامُ مُصْطَبَرِى

(٨)
أَسْهَرَتْنِى الحادثاتُ وقد * نامَ حتى هاتِفُ الشَّجَرِ

---

(١) ما أعذرت : ما قصرت . ويريد «بكون نعله دما» : كثرة السعى الى أن تقرحت قدماه فصار الدم لها كالنعل . (٢) الصبيغ : المصبوغ . وإهاب الانسان : جلده . (٣) قلمه : قطعه . والإملاق : الفقر المدقع . ويريد «بالظفر والناب» فى هذا البيت : أسباب قوته . (٤) الملاب : لفظ فارسى ، وهو كل عطر سائل . (٥) ابن البخار : القطار . والربا : ما ارتفع من الأرض . وشرخ الشباب : أوله وريعانه ، شبه به القطار فى السرعة . (٦) الدياجى : الظلمات ، جمع داجية . (٧) مؤنس السحر : حبيبه أو نديمه . (٨) هاتف الشجر : الطائر المغرد .

والدُّجى يَخْطُو على مَهَلٍ * خَطْوَ ذى عِزٍّ وذى خَفَرِ (١)

فيه شَخَصُ اليأسِ عانَقَنِي * كَحَبِيبٍ آبَ مِن سَفَرِ

وأثارَتْ بى فَوادِحُه * كامِناتِ الهَمِّ والكَدَرِ (٢)

وكأنَّ اللَّيلَ أَقْسَمَ لا * يَنْقَضِي أو يَنْقَضِي عُمُرِى

أيُّها الزِّنْجِيُّ ما لَكَ لَمْ * تَخْشَ فينا خالِقَ البَشَرِ؟ (٣)

لِي حَبيبٌ هاجِرٌ ولَهُ * صُورَةٌ مِن أَبْدَعِ الصُّوَرِ

أتَلاشَى فى مَحَبَّتِهِ * كَتَلاشِى الظِّلِّ فى القَمَرِ

شكوى الظلم

لَقَدْ كانَتِ الأمْثالُ تُضْرَبُ بَيْنَنا * بِجَوْرِ (سَدُومٍ) وهوَ مِنْ أَظْلَمِ البَشَرْ (٤)

فلمَّا بَدَتْ فى الكَوْنِ آياتُ ظُلْمِهِمْ * إذا (بِسَدُومٍ) فى حُكُومَتِهِ (عُمَرْ). (٥)

---

(١) الخفر : شدة الحياء . وقد كنى «بتمهل الدجى فى خطوه» عن طول الليل .

(٢) الفوادح : ما يثقل حمله من النوائب .

(٣) يريد «بالزنجى» : الليل ، لسواده .

(٤) سدوم (بالدال المهملة ؛ وقيل بالذال المعجمة) : إحدى مدائن قوم لوط الخمس التى دمرها الله لجور أهلها وكفرهم ، وكان لها قاض يضرب به المثل فى الظلم ، يقال له : (سدوم) أيضا ، فقيل : «أظلم من قاضى سدوم» .

(٥) الحكومة : الحكم . وعمر ، هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ ضرب به المثل فى العدل . ويريد الشاعر بهذا البيت : أن ظلم سدوم يتضاءل حتى يصير عدلا اذا قيس بظلم حكام هذا العصر .

وقال فى مرض له :

مَرِضْنا فما عادَنا عائدٌ * ولا قيلَ: أينَ الفتى الألْمَعِى؟ (١)

ولا حنَّ طِرْسٌ إلى كاتبٍ * ولا خفَّ لَفْظٌ على مِسْمَعِ (٢)

سَكَتْنا فعَزَّ علينا السُّكوتُ * وهانَ الكلامُ على المُدَّعِى

فيا دولةً آذنَتْ بالزوال * رَجَعْنا لعهدِ الهوى فارْجِعِى (٣)

ولا تحسبينا سَلَوْنا النَّسيبَ * وبينَ الضُّلوعِ فؤادٌ يَعِى (٤)

سجن الفضائل

نَعِمْنَ بنفسى وأشقَيْنَنِى * فيا ليتَهُنَّ ويا ليتَنِى (٥)

خِلالٌ نَزَلْنَ بخِصْبِ النُّفوس * فرَوَّيْنَهُنَّ وأظْمأنَنِى

تَعَوَّدْنَ منِّى إباءَ الكريم * وصبرَ الحليمِ وتيهَ الغَنِى

وعَوَّدْتُهُنَّ نِزالَ الخُطوب * فما يَنْثَنِينَ وما أنْثَنِى

إذا ما الموتُ بليلِ الشَّباب * أهِبْنَ بعَزْمِى فنبَّهْنَنِى (٦)

(١) الألمعى : الذكى المتوقد ذكاء . (٢) الطرس : الصحيفة يكتب فيها . والمسمع (بكسر الميم الأولى) : الأذن . (وبفتحها) : السمع . (٣) يريد دولة الأدب .

(٤) النسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . ويعى : يحفظ .

(٥) نعمن ، أى الخلال المذكورة فى البيت الآتى . فياليتهن وياليتنى ، أى ياليتهن ما نعمن وياليتنى ما شقيت . (٦) أهاب به : دعاه .

فما زلتُ أمرحُ فى قِدِّهنّ (١) * ويمرحن منّى بروض جنى

إلى أنْ تولّى زمانُ الشّباب * وأوشكَ عودى أنْ ينحنى

فيا نفسُ إنْ كنتِ لا توقنين * بمعقودِ أمرِكِ (٢) فاستيقنى

فهذى الفضيلةُ سِجنُ النفوس * وأنتِ الجديرةُ أنْ تُسجنى

فلا تسألينى متى تنقضى * ليالى الإسار؟ ولا تحزنى

كتاب الى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده

كتب به اليه من السودان

كتابى إلى سيّدى، وأنا منْ وعْدِه بين الجنّة والسّلسبيل (٣)، ومنْ تِيهى به فوق النّثرة (٤) والإكليل؛ وقد تعجّلتُ السّرور، وتسلّفتُ الحبُورَ (٥)؛

* وقطّعتُ ما بينى وبين النّوائب *

وبشّرتُ أهلى بالّذى قد سمعتُه * فما حَنّتى إلّا ليالٍ قلائلُ

وقلتُ لهم للشّيخ فينا مشيئةٌ * فليسَ لنا منْ دهْرِنا ما نُنازِلُ (٦)

---

(١) القدّ (بالكسر) : السير يقدّ من جلد يقيد به الأسير؛ والضمير يعود على الخلال. وروض جنى (بتشديد الياء وخففت للشعر)، أى أدرك ثمره وصلح للجنى. يقول: إنى فى ضيق من هذه الخلال الجيدة، وهن فى سعة من نفسى. (٢) بمعقود أمرك، أى بما هو حتم عليك من مصيرك وما لا بد لك منه، وهو الموت. (٣) السلسبيل : اسم عين ماء فى الجنة؛ قال تعالى : «عينا فيها تسمى سلسبيلا». (٤) النثرة : اسم كوكب تسميه العرب «نثرة الأسد»، وهى من منازل القمر. والإكليل: منزل من منازل القمر (أيضا)، وهو أربعة أنجم مصطفة. (٥) تسلفت الحبور : طلبته مقدما قبل أوانه. (٦) ننازل : نقاتل.

وجمعتُ فيه بين ثقة الزَّبيدىّ(١) بالصمصامة، والحارث بالنعامة(٢)، فلم أقل ما قال الهُذَلى(٣) لصاحبه حين نسِىَ وعده، وحجب رِفْده(٤):

* يا دارَ عاتكةَ التى أتعزَّل(٥) *

---

(١) الزبيدى، هو عمرو بن معد يكرب الفارس المشهور، وهو من بنى زبيد، وقد أدرك الجاهلية والإسلام، وله بلاء حسن فى المعارك التى شهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى غيرها . والصمصامة : اسم سيفه .

(٢) الحارث، هو ابن عباد التغلبى، وهو من شيوخ العرب ورؤسائهم . والنعامة : اسم فرسه .

(٣) يريد « بالهذلى » أبا بكر . و« بصاحبه » : أبا جعفر المنصور الخليفة العباسى المعروف . ويشير الكاتب بهذا الكلام إلى ما حدث بينهما، وكان أبو بكر الهذلى هذا من جلساء المنصور وصحابته، وكان قد تعوّد ألا يكلم المنصور إلا جوابا على سؤال إجلالا له، ورهبة منه، وقد وعده المنصور ذات يوم بجائزة، ثم تثاقل عن الوفاء بوعده، فبينما هما يسيران ذات يوم إذ مرا بدار عاتكة التى يشبب بها الأحوص، فقال الهذلى للمنصور : يا أمير المؤمنين، هذا بيت عاتكة التى يقول فيه الشاعر .

* يا دار عاتكة التى أتعزل *

فعجب المنصور من صاحبه كيف بدأه بالكلام على غير عادته، وفطن إلى ما يريد الهذلى بذكر هذه الأبيات، وهو قول الشاعر فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل

وتذكّر وعده، فقام بوفائه لساعته . والشعر للأحوص بن محمد بن عبد الله الأنصارى من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز، وأولها :

يا دار عاتكة التى أتعزل * حذر العدا وبك الفؤاد موكل

إنى لأمنحك الصدود وإننى * قسما إليك مع الصدود لأميل

ويريد الكاتب بهذا الكلام : انه لا يذكر الأستاذ الإمام بوعده كما فعل الهذلى مع المنصور .

(٤) الرفد : العطاء والصلة .

(٥) أتعزل : أتجنب .

بل أناديه نِداءَ الأَخيذَةِ في عَمُّورِيَّةَ[1]، شُجاعَ الدَّوْلَةِ العبّاسيّة، وأَمُدُّ صَوتي بذِكْرِ إحسانِه، مَدَّ المُؤَذِّنِ صَوتَهُ في أَذانِه، وأَعْتَمِدُ عليه في البُعْدِ والقُرْبِ، اعتمادَ المَلّاحِ على نَجْمَةِ القُطْب .

وقالَ أُصَيْحابي وقد هالَني النَّوَى * وهالَهُمُ أَمْرِي: مَتى أَنْتَ قافِلُ؟[2]

فقلتُ: إذا شاءَ الإمامُ فأَوْبتي * قَريبٌ[3] ورَبْعي بالسَّعادَةِ آهِلُ

وهأنا مُتَماسِكٌ حتّى تَنْحَسِرَ هذه الغَمْرَةُ[4]، ويَنْطَوِيَ أَجَلُ تلك الفَتْرَة، ويَنْظُرَ لي سَيِّدي نَظْرَةً تَرْفَعُني مِنْ ذاتِ الصَّدْعِ[5]، إلى ذاتِ الرَّجْع، وتَرُدُّني إلى وَكْرِي[6] الّذي فيه دَرَجْتُ رَدَّ الشَّمسِ قَطْرَةَ المُزْنِ إلى أَصْلِها، ورَدَّ الوَفِيِّ الأَماناتِ إلى أَهْلِها .

---

(1) الأخيذة : الأسيرة، فعيلة بمعنى مفعولة . وعمورية : بلد من بلاد الروم فتحه المعتصم بالله ثامن خلفاء بني العباس في سنة ٢٢٣ هـ . ويريد «بشجاع الدولة العباسية» : المعتصم بالله السابق ذكره . ويشير بهذا الكلام الى امرأة من نساء المسلمين أسرها الروم في عمورية في عهد المعتصم، وكان الروم يعذبونها، فصاحت : وامعتصماه، فقال لها بعض الحراس ساخرا بها : سيأتيك المعتصم على جواد أبلق وخلفه خيول بلق فينقذك من أيدينا . فنمى خبر هذا الكلام إلى الخليفة المعتصم، فأقسم أن يفتح بلاد الروم، ويعود بالأسيرة؛ ثم جرّد لوقته على بلاد الروم جيشا كثيفا كله خيول بلق، وتقدمه هو على جواد أبلق . فنكل بالروم وفتح عمورية، ودخل على الأسيرة في سجنها واستخلصها وأعادها الى بلادها .

(2) النوى : البعد . وقافل : راجع . (3) قال : «قريب» ولم يقل : «قريبة» لأنه يستعمل في المذكر والمؤنث كما قال الله تعالى : «إن رحمة الله قريب من المحسنين» . وآهل بالسعادة : عامر بها .

(4) تحسر هذه الغمرة، أي تنكشف هذه المصيبة . (5) الصدع : الشق . ويريد «بذات الصدع» : الأرض . والرجع : المطر بعد المطر . وذات الرجع، أي السماء . قال تعالى : (والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع) . (6) الوكر : عش الطائر؛ والمراد به هنا : وطنه . ودرجت : مشيت . والمزن (بضم فسكون) : السحاب . ويشير بهذه العبارة الى ماء المطر الذي يسقط من السماء، فتحوّله الشمس بحرّها إلى بخار، ثم يعود الى أصله سحابا .

فإنْ شاءَ فالقُرْبُ الّذى قد رَجَوْتُه * وإنْ شاءَ فالعِزُّ الّذى أنا آمُلُ

وإلّا فإنّى قافُ (رُؤْبَةَ)(١) لَم أزَلْ * بقَيْدِ النّوى حتّى تَغُولَ الغَوائِلُ

فلقد حَلَلْتُ السُّودانَ حُلولَ الكَليمِ(٢) فى التّابُوت، والمُغَاضِبِ(٣) فى جَوْفِ الحُوت، بين الضِّيقِ والشِّدّة، والوَحْشَةِ والوُحْدة(٤). لا، بل حُلول الوَزيرِ(٥) فى تَنُّورِ العَذاب والكافِرِ فى مَوْقِفِ يومِ الحِساب، بين نارَين: نارِ القَيْظ، ونارِ الغَيْظ.

فنادَيْتُ باسمِ الشّيخِ والقَيْظُ جَمْرُه * يُذِيبُ دِماغَ الضَّبِّ(٦) والعَقْلُ ذاهِلُ

فصِرتُ كأنّى بين رَوْضٍ ومَنْهَلٍ * تَدِبُّ الصَّبا(٧) فيه وتَشْدُو البَلابِلُ

(١) رؤبة، هو ابن العجاج بن رؤبة، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية. وكان هو وأبوه من رجاز الإسلام وفصحائهم المذكورين المقدّمين منهم. ومات رؤبة فى أيام المنصور، وكان يصنع أكثر أراجيزه على روى القاف الساكنة، فضرب بقافه المثل فى السكون وعدم الحركة؛ والمراد هنا: إن لم يدركنى الأستاذ الإمام بمساعيه، فإنى مستقر فى هذه البلاد البعيدة لا أبرحها، كقاف رؤبة فى سكونها، حتى يأتى الأجل. وفى قاف رؤبة هذه يقول أبو العلاء:

مالى غدوت كقاف رؤبة قيدت * فى الدهر لم يقدر له إجراؤها

والغوائل: الدواهى التى تأخذ الإنسان من حيث لا يدرى. (٢) الكليم: نبى الله موسى عليه السلام؛ وقصة وضعه فى التابوت وإلقائه فى اليم وهو وليد مشهورة، وقد قصها الله تعالى فى القرآن فى غير موضع. (٣) يريد «بالمغاضب»: نبى الله يونس عليه السلام، قال تعالى فى سورة الأنبياء: (وذا النون إذ ذهب مغاضبا) الآية. وقصة التقام الحوت إياه وخروجه من جوفه مشهورة؛ وقد ذكرها الله تعالى فى القرآن. (٤) كذا ورد ضبط هذا اللفظ بضم الواو فى شرح القاموس ضبطا بالعبارة.

(٥) يريد «بالوزير»: أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات، وزير الخليفتين، المعتصم بالله، وابنه الواثق بالله. ويشير بهذه العبارة إلى ما يروى من أن هذا الوزير كان لشدة ظلمه قد صنع تنورا يدخل فيه من أمر بقتله مبالغة فى تعذيبه، فأراد الله أن يكون هو أوّل من يعذب فيه حتى يموت، وذلك بأمر الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٣٣ هـ. (٦) يذيب دماغ الضب: كناية عن شدّة الحر. والضب: حيوان قصير الذنب، معقده، خشن الجلد، ولونه إلى غبرة مشربة بالسواد. (٧) الصبا: ريح الشمال. وتشدو، أى تغرد.

واليومَ أكتُبُ إليه وقد قعدتْ هِمّةُ النَّجْمَيْن(١)، وقَصُرتْ يدُ الجَدِيدَين(٢)؛ عن إزالةِ ما فى نَفْسِ ذلكَ الجبّارِ العنيد(٣)، فلقد نَمَى(٤) ضِبُّ(٥) ضِغْنِه علَيّ، وبَدَرتْ(٦) بَوادِرُ السُّوءِ منه إلىّ؛ فأَصْبَحْتُ كما سَرّ العَدُوَّ وساءَ الحَمِيم(٧)، وآلامِى كأنّها جُلودُ أَهْلِ الجحيم، كلّما نَضِجَ منها أَدِيمٌ تَجَدّد أَدِيم(٨)؛ وأَمْسَيْتُ ومُلْكُ آمالِى إلى الزّوال أَسْرَعُ مِنْ أَثَرِ الشِّهابِ فى السّماء، ودوْلةُ صَبْرِى إلى الاضْمِحْلال أَحَثُّ(٩) مِنْ حَبابِ الماء؛ فنَظَرْتُ فى وُجوهِ تلك العِباد، وإنّى لَفارِسُ(١٠) العَيْنِ والفُؤاد؛ فلَمْ تَقِفْ فِراسَتِى على غيرِ بابِك .

---

(١) يريد «بالنجمين» : المشترى والزهرة؛ وكان القدماء يعتقدون أن لهما تأثيرا فى نفوس البشر يؤلفان منها ما فترق . ويقال : قعدت همته عن كذا، أى عجزت .

(٢) الجديدان : الليل والنهار .

(٣) يريد «بالجبار العنيد» : كتشنر باشا سردار الجيش المصرى إذ ذاك؛ وكان بينه وبين حافظ نفور وجفوة، حتى يقال : إنه لغضبه على حافظ كتب أمام اسمه : لا يرقى ولا يرفت .

(٤) نمى ينمى وينمو : زاد .

(٥) الضب : الغيظ والحقد الخفىّ .

(٦) بدرت : أسرعت . والبوادر : جمع بادرة، وهى ما يبدو من الإنسان عند حدّته من خطأ وسقطات، والمراد «ببوادر السوء» : أوائله .

(٧) الحميم : الصديق .

(٨) الأديم : الجلد . ويشير بهذه العبارة الى قوله تعالى فى صفة عذاب أهل النار : (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) .

(٩) أحث : أشد سرعة . وحباب الماء : فقاقيعه التى تكون على سطحه .

(١٠) فارس : اسم فاعل من الفراسة، وهى الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية .

وإنى أُهديكَ[1] سلاما لو آمتزجَ بالسحاب، وآختلطَ منه باللُّعاب[2]؛ لأصبحتْ تتهادَى بقَطْرِه[3] الأكاسرَه، وأمستْ تدّخرُه منه الرُّهبانُ فى الأدْيِرَه[4]؛ ولأغنَى ذاتَ الحِجاب، عن الغالية[5] والمَلاب؛ ولا بِدْعَ[6] إذا جادَ السيّدُ بالردّ، فقد يُرى وجهُ المَليك فى المِرآة، وخيالُ القمر فى الأضَاة[7]؛ وإن حال حائل، دون أُمنيّة هذا السائل، فهو لا يَذُمّ يومَك، ولا ييأس من غدك؛ فأنتَ خيرُ ما تكونُ حين لا تَظُنّ نفسٌ بنفسٍ خيرا؛ والسلام.

---

(١) صوابه «أهدى لك» أو «إليك». (٢) لعاب السحاب: مطره. (٣) قطر السحاب: ماؤه الذى يقطر منه. والأكاسرة: ملوك فارس. (٤) لم نجد هـذا الجمع «للدير» فى مدوّنات اللغة التى بين أيدينا؛ والذى وجدناه أن جمعه: أديار، كما فى القاموس وغيره؛ وديورة، كما فى المصباح؛ وهذا الجمع المذكور هنا شائع الأستعمال فى كلام المعاصرين؛ بل لا يستعملون غيره. وقد شبه المطر الممتزج بسلامه بالخمر المعتقة عنـد الرهبان، المحفوظة فى أديارهم. (٥) الغالية: نوع من الطيب مركب من أخلاط تغلى على النار. والملاب: كل عطر مائع؛ وهو لفظ فارسى معرب. (٦) لا بدع، أى ليس غريبا ولا أول شىء حدث. (٧) الأضاة (بفتح الهمزة وتخفيف الضاد): الغدير؛ وجمعه أضوات (بالتحريك).

المراثى

رثاء عثمان السيد أباظه بك (1)

سنة ١٨٩٦ م

رُدَّا كُؤوسَكُما عن شِبْهِ مَفْؤُودِ * فليس ذلك يومَ الرَّاحِ والعُودِ (2)

ياساقِيَّ أرانى قد سَكَنْتُ إلى * ماءِ المَدامِعِ عن ماءِ العَناقِيد (3)

وبِتُّ يَرْتاحُ سَمْعِى حين يَفْتِقُه * صَوْتُ النَّوادِبِ لا صَوْتُ الأغارِيد (4)

فأَمْسِكا الرَّاحَ إنِّى لا أُخامِرُها * وبَلِّغا الغِيدَ عَنِّى سَلْوَةَ الغِيد (5)

ثم امْضِيا ودَعانى إنَّنى رَجُلٌ * قد آل أَمْرِى إلى هَمٍّ وتَسْهِيد

أَبَعْدَ (عُثْمانَ) أَبْغِى مَأْرَبًا حَسَنًا * مِنَ الحَياةِ وحَظًّا غَيْرَ مَنْكُود؟

---

(١) عثمان أباظه بك، هو ابن السيد أباظه باشا، ولد فى سنة ١٢٦٤ هـ - ١٨٤٨ م وألحقه والده بالمدرسة الخديوية، ثم مدرسة الإدارة والألسن، وهى مدرسة الحقوق فى أول عهدها؛ وتولى جملة مناصب، فكان ناظر قسم، ثم ناظر قلم قضايا مديرية الشرقية؛ واختاره المغفور له اسماعيل باشا الخديوى مفتشا لتفتيش (الزنكلون) وأنعم عليه بالرتبة الثانية، وبعد أن تقلد عدة أعمال أخرى استقال منها، وأقام ببلده (الربعماية) باقليم الشرقية؛ وكان بيته ملتقى العظماء والأدباء والشعراء، وكان حافظ ابراهيم بك كثير التردد عليه، وتوفى سنة ١٨٩٦ م. وكان أبوه السيد أباظه باشا أول من نال لقب (باشا) من المصريين العرب. (٢) المفؤود: مصاب الفؤاد. والراح: الخمر. (٣) سكن الى الشىء: استراح اليه وأنس به. ويريد بماء العناقيد: الخمر. (٤) يفتقه، أى يشقه وينفذ فيه. والأغاريد: جمع أغرودة، وهى الأغنية. (٥) لا أخامرها، أى لا أخالطها. والغيد: جمع غيداء، وهى المرأة المتثنية لينا ونعمة.

إنّي لَيَحْزُنُني أنْ جاءَ يَنْشُدُه (١) * داعي المَنُونِ وأنّي غيرُ مَنْشُودِ

أَمْسَتْ تُنافِسُ فيكَ الشُّهْبَ مِنْ شَرَفٍ (٢) * أَرْضٌ تَوارَيْتَ فيها يافَتى الجُودِ

لو لَمْ تَكُنْ سَبَقَتْكَ الأنبياءُ لها * قُلْنا بأنّكَ فيها خيرُ مَلْحُودِ

ووَدَّتِ الرِّيحُ لو كانتْ مُسَخَّرةً * لِحَمْلِ نَعْشِكَ عن هامِ الأَماجِيدِ (٣)

والشمسُ لو أنّها مِنْ أُفْقِها هَبَطَتْ * وآثَرَتْ مَعْكَ سُكْنَى القَفْرِ والبِيدِ

وقد تَمَنّى الضُّحى لو أنّهمْ دَرَجُوا * هذا الفَقِيدَ بثَوْبٍ منه مَقْدُودِ (٤)

يا راحِلًا أَكْبَرَتْكَ الحادِثاتُ وما * أَكْبَرْتَها عندَ تَلْيِينٍ وتَشْدِيدِ (٥)

أَبْكَيْتَ حتّى العُلا والمَكْرُماتِ وما * جَفَّتْ عليكَ مآقِي الخُرَّدِ الخُودِ (٦)

وباتَ آلُكَ والأصحابُ كُلُّهُمُ * عليكَ ما بَيْنَ مَحْزُونٍ ومَعْمُودِ (٧)

يَبْكُونَ فَقْدَ امْرِئٍ لِلْخَيْرِ مُنْتَسِبٍ * بالبِشْرِ مُنْتَقِبٍ في النّاسِ مَحْمُودِ (٨)

(بَنِي أَباظَةَ) لا زالتْ دِيارُكُمُ (٩) * أُفْقَ البُدُورِ وغاباً للصَّنادِيدِ

---

(١) ينشده : يطلبه . والمنون : الموت . (٢) «تنافس فيك الشهب» الخ ، أى تفاخرها بدفنك فيها . والشهب : النجوم . (٣) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة .

(٤) دربجوا : لفوا . والمقدود : المقطوع . (٥) يقول : إن حوادث الأيام قد أكبرت همة الفقيد وأعظمت خطره فلا تحل به رهبة منه ، وما كان هو يكبرها ولا يحسب لها حسابا لصغرها عن همته . (٦) يريد بالمآقى : العيون . والخرّد : جمع خريدة ، وهى البكر التى لم تمس . والخود بضم الخاء جمع خود بفتحها ، وهى الشابة الحسنة . (٧) المعمود : من أصيب فى عمود قلبه ، أى صميمه . (٨) المنتقب : لابس النقاب ، وهو البرقع ؛ شبه به ما يبدو على الوجه من بشاشة واستبشار . (٩) بنو أباظة : أسرة معروفة ينتهى نسبها إلى بنى العائذ ، بطن من طيئ (وكفر العائذ بإقليم الشرقية معروف) وقد حضرت هذه الأسرة من العراق الى مصر مع الشيخ محمد أبى مسلم ، وذلك بعد سقوط بغداد فى يد (هولاكو) ملك التتار أيام الخليفة المستعصم ، ولقبت هذه الأسرة بأباظه لأن أمهم كانت من قبيلة شركسية يقال لها : أباظه ، فنسبوا إليها .

لا قَـدَّرَ اللهُ بعـد اليـومِ تَعـرِيةً * إلّا هَنـاءً عـلى عِزٍّ وتَخْليـدِ

وعَظَّمَ اللهُ فى (عُثمانَ) أجـرَكُمُ * فى رَحْمَـةِ اللهِ أمسى خَـيْرُ مَغْمودِ

رثاء سليمان أباظه باشا (١)

[قيلت فى سـنة ١٨٩٧ م]

أيُّهـذا الثَّرَى إلامَ التَّمـادِى * بَعـدَ هٰذا أأنتَ غَرْثانُ صادِى (٢)

أنتَ تَرْوَى مِنْ مَدمعٍ كلَّ يومٍ * وتُغَـذَّى مِنْ هٰـذه الأجسـادِ

قد جَعلْتَ الأنامَ زادَكَ فى الدَّهْـ * ـرِ وقـد آذَنَ الوَرَى بالنَّفـادِ

فالْتَمِسْ بعـدَهُ المَجـرَّةَ وِردًا * وتَزَوَّدْ مِنَ النُّجـومِ بزَادِ (٣)

لَسْتُ أدْعُـوكَ بالتُّرابِ ولكنْ * بقُـدودِ المِـلاحِ والأجْيـادِ (٤)

بخُدودِ الحِسانِ ، بالأعيُنِ النُّجْـ * ـلِ ، بتلكَ القُـلوبِ والأكْبادِ (٥)

لَمْ تَلِدْنا (حَـوّاءُ) إلّا لنَشْـقَى * لَيْتَهـا عاطِلٌ مِنَ الأولادِ

أسْلَمَتْنـا إلى صُرُوفِ زمانٍ * ثمَّ لَمْ تُوصِهـا بحِفْظِ الوِدادِ (٦)

---

(١) انظر التعريف بسليمان أباظه باشا فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٣٧ من الجزء الأول .

(٢) الغرثان : الجائع . والصادى : الظمآن . يريد مداومة الثرى على مـواراة الأجساد وإبلاء الجسوم .

(٣) المجرة : نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فى السماء فترى كأنها بقعة بيضاء .

(٤) القدود : جمع قدّ ، وهو القامة . والأجياد : جمع جيد ، وهو العنق . يريد بهذا البيت والذى بعده : أن يسمى التراب بقدود الملاح وأجيادها وخدودها وعيونها ... الخ ، لأنها فنيت فيه فصارت منه .

(٥) النجل : الواسـعة .

(٦) صروف الزمان : نوائبه وتقلباته .

أيها اليمّ كم بقاعك نفس (١) * فيك أودت من عهد ذى الأوتاد

قد تحالفت والتراب علينا * وتقاسمتما فناء العباد

خبّرينا جهين لا تكذبينا (٢) * ما الذى يفعل البلى بالجواد؟

كيف أمسى وكيف أصبح فيه (٣) * ذلك المنعم الكثير الرماد

رحم الله منه لفظا شهيا * كان أحلى من رد كيد الأعادى

رحم الله منه طرفا تقيا * ويمينا تسيل سيل الغوادى (٤)

رحم الله منه شهما وفيا * كان ملء العيون فى كل نادى (٥)

ألهم الله فيك صبرا جميلا * كل من بات ناطقا بالضاد

بت فى حلة النعيم وبتنا * فى ثياب من الأسى والسهاد (٦)

وسكنت القصور فى بيت خلد * وسكنا عليك بيت الحداد

---

(١) اليم: البحر. و «نفس» (بالجر) على قول بعض النحويين، والنصب أرجح، للفصل بين «كم» وتمييزها بالجار والمجرور. وأودت: هلكت. وذو الأوتاد: لقب لفرعون ورد ذكره فى القرآن.

(٢) جهين، يريد جهينة، وهى قبيلة من قضاعة. ويشير الشاعر إلى المثل المعروف: «وعند جهينة الخبر اليقين». يضرب لمن يعرف الأمور على حقيقتها، وأصله من قول الشاعر:

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين

والجواد: الكريم.

(٣) فيه، أى فى «البلى» السابق فى البيت الذى قبله. وكنى "بكثرة الرماد" عن سعة جوده، وكثرة إطعامه للناس.

(٤) الغوادى: السحب تنشأ غدوة؛ الواحدة غادية.

(٥) ملء العيون، كناية عن هيبة الناس إياه وإعظامهم له إذا رأوه.

(٦) الأسى: الحزن.

وقال يرثيه أيضا :

لا والأَسَـــى وتَلَهُّبِ الأَحْشاءِ * ما باتَ بَعْـــدَكَ مُعْجَبٌ بوَفاءِ (١)

أَنَّى حَلَلْتُ أَرَى عليـــكَ مآتِمًا * فلِمَنْ أُوَجِّهُ فيـــكَ حُسْنَ عَزائى؟

لِبَنيكَ ، أم لِذَويكَ ، أم للكَوْنِ ، أمْ * للدَّهرِ ، أمْ لجَماعةِ الجَـــوْزاءِ؟ (٢)

أَوْدَى (سُـــلَيْمانُ) فأَوْدَى بَعْـــدَه * حُسْنُ الوَفاءِ وبَهْجَـــةُ العَلْيـاءِ (٣)

لا تَحْمِـــلُوه على الرِّقابِ فقـــد كَفَى * ما حُمِّلَتْ مِنْ مِنَّـــةٍ وعَطـاءِ

وذَرُوا على نَهْـــرِ المَدامِعِ نَعْشَـــه * يَسْرِى بـــه للرَّوْضَـــةِ الفَـــيْحاءِ (٤)

تاللهِ لو عَلِمَتْ بـــه أَعْـــوادُهُ * مُـــذْ لامَسَـــتْهُ لأَوْرَقَتْ للـرّائى (٥)

خُلُقٌ كضَوْءِ البَدْرِ، أو كالرَّوْضِ، أو * كالزَّهْرِ ، أو كالخَمْرِ ، أو كالمـاءِ

وشَمـائلٌ لو مازَجَتْ طَبْـعَ الدُّجَى * ما باتَ يَشْـــكُوه المُحِبُّ النـائى (٦)

ومَحامِـــدٌ نَسَـــجَتْ له أَكْـفانَه * مِنْ عِفَّـــةٍ ، وسَمـاحَـــةٍ ، وإباءِ

ومَنـاقِبٌ لـولا المَهـابةُ والتُّـــقَى * قُلْنـا مَنـاقِبُ صـاحِبِ الإسْراءِ (٧)

وعَزائمٌ كانت تَفُـــلُّ عَزائمَ الـ * ـأَحْـــداثِ ، والأيّامِ، والأَعْـــداءِ (٨)

---

(١) الأسى : الحزن . وقوله : «ما بات» الخ، أى لم يبق بعد موتك وفاء يعجب به أحد من الناس .

(٢) الجوزاء : برج فى السماء معروف . ويريد «بجماعة الجوزاء» : الكواكب التى يتألف منها هذا البرج.

(٣) أودى : هلك .

(٤) الفيحاء : الواسعة ؛ ويريد بها منزله فى الجنة .

(٥) أعواده : يريد أعواد نعشه .

(٦) النائى : البعيد . يريد أنه لو كان لليل أخلاقه وسجاياه ماشكا العاشق طوله عليه وسهده فيه .

(٧) صاحب الإسراء : رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٨) تفل : تثلم . والأحداث : حوادث الزمن وشدائده .

عَطَّلَتْ فَنَّ الشِّعْرِ بَعْدَكَ وانطوى * أَجَلُ القَرِيضِ ومَوْسِمُ الشُّعَرَاءِ

واللؤلؤ استعصى علينا نَظْمُه * بِسُمُوطِ مَدْحٍ أو سُمُوطِ هَناء (١)

إلا على طَرْفٍ بَكاكَ وشاعرٍ * أَحْيا عليكَ مَراثِيَ الخَنْساء (٢)

شَوَّقْتَنا للتُّرْبِ بَعْدَكَ واشتهى * فيه الإقامةَ واحِدُ العَذْراء (٣)

ثَبِّتْ فُؤادَكَ يا قليلَ تَصَبُّرِي * واشرحْ (لآلِ أَباظَةٍ) بُرَحائي (٤)

في جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ باتَ عَزِيزُهُمْ * ضَيْفًا بساحَةِ أَكْرَمِ الكُرَماءِ

رثاء الملكة فكتوريا (٥)

[نشرت في ٢٤ يناير سنة ١٩٠١ م]

أُعَزِّي القَوْمَ لَوْ سَمِعُوا عَزائِي . * وأُعْلِنُ في مَلِيكَتِهِمْ رِثائِي

وأَدْعُو الإنْجِلِيزَ إلى الرِّضاءِ * بِحُكْمِ اللهِ جَبّارِ السَّماءِ

فَكُلُّ العالَمِينَ إلى فَناءِ

---

(١) السموط : جمع سمط (بالكسر)، وهو خيط النظم ما دام فيه الحب، فاذا لم يكن فيه فهو سلك .

(٢) الخنساء، هي تماضر بنت عمرو بن الحارث، وتكنى أم عمرو . والخنساء : لقب غلب عليها؛ وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر، فضرب بها المثل في الحزن . وقد شبت في الجاهلية؛ وأدركت الإسلام وأسلمت . وتوفيت في أول خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٢٤ هـ .

(٣) واحد العذراء : عيسى المسيح عليه السلام، إشارة الى أنه في السماء، فهو يود أن يستبدل بها الأرض لشرفها بدفن الفقيد فيها .

(٤) البرحاء : شدة الحزن والعناء .

(٥) الملكة فكتوريا، هي الكسندرينا بنت ادوارد، وهو الدوق كنيت، رابع أبناء الملك جورج الثالث . ولدت سنة ١٨١٩ م، وتولت عرش انجلترا في سنة ١٨٣٧ م، وتوفيت سنة ١٩٠١ م .

أَشَمْسُ ٱلْمُلْكِ أَمْ شَمْسُ النَّهـارِ * هَوَتْ أَمْ تلك مالِكَةُ البِحارِ

فطَرْفُ الغَرْبِ بالعَبَراتِ جارِى * وعَيْنُ الـيَمِّ (١) تَنْظُر للبُخار

بنَظْـرَةِ واجِدٍ قَـلِقِ الرَّجاءِ

أَمالِكَةَ البِحارِ ولا أُبالِى * إذا قالوا تَغالَى فى ٱلْمَقـالِ

فمِثْلُ عُلاكِ لَمْ أَرَ فى ٱلْمَعـالِى * ولا تاجًا كَتاجِكِ فى ٱلْجَـلالِ

ولا قَوْمًا كقَوْمِكِ فى الدَّهاءِ

مَلَأْتِ الأَرْضَ أَعْلامًا وجُنْدَا * وشِدْتِ لأُمَّةِ (السَّكْسُونِ) (٢) مَجْدًا

وكنتِ لِفَألِها يُمْنًـا وسَـعْدَا * تَرَى فى نُورِ وَجْهِكِ إنْ تَبَدَّى (٣)

سُعُودَ البَـدْرِ فى بُرْجِ ٱلْهَناءِ

وكنتِ إذا عَمَدْتِ لأَخْذِ ثارِ * أَسَلْتِ البَرَّ (٤) بالأُسْـدِ الضَّوارِى

وسَيَّرْتِ المَدائِنَ (٥) فى البِحارِ * وأَمْطَرْتِ العَدُوَّ شُـواظَ نارِ

وذَرَّيْتِ المَعاقِلَ (٦) فى ٱلْهَـواءِ

---

(١) اليم : البحر. والواجد : الحزين . والمعنى أن البحر ينظر إلى البواخر الإنجليزية نظرة قلق على مستقبلها بعد موت الملكة فكتوريا . (٢) السكسون : صنف من الغزاة الذين وفدوا إلى بريطانيا مع الإنجل من الشرق ، من الدنمارك وشمالى ألمانيا الغربى ، بعد جلاء الرومان عنها سنة ٤١٠ م . وقد انتشروا فى الجزيرة بالتدريج ، وباد أمامهم السكان الأصليون ، ومن بقى فر إلى جبال الغالة أو إلى غيرها من الجهات القاصية ؛ وكان الإنجل والسكسون يعيشون أول الأمر فى ولايات مستقلة منفصل بعضها عن بعض ، ثم ما لبثوا أن اتحدت كلمتهم ، واعترفوا بالزعامة لأعظم ولاية من بين تلك الولايات ؛ وهى ولاية وسكس ، وتلقب ولاتها فى أوائل القرن التاسع بالملوك . (٣) تبدى ، أى بدا وظهر . (٤) «أسلت الخ» أى جعلت البر يسيل بالشجعان كما يسيل الماء . والضوارى : الجريئة التى تعوّدت الصيد ولازمته . (٥) يريد «بالمدائن» : السفن الكبيرة . وشواظ النار (بالضم وبالكسر) : حرها ولهيبها . (٦) ذريت المعاقل ، أى نسفت الحصون وفرقت أجزاءها فى الهواء .

أعزّى فيك تاجَك والسّريرَا (١) * أعزّى فيك ذا الملِكَ الكبيرَا
أعزّى فيك ذا الأسد الهَصُورا (٢) * على العلَم الّذى ملَك الدّهورَا

وظلّل تحتَــه أهلَ الوَلاءِ

أعزّى فيــك أبطالَ النّزالِ (٣) * ومَنْ قاسُوا الشّدائدَ فى القتالِ
وألْقَوا بالعَــدُوّ إلى الوَبالِ (٤) * ولم يَمنعهم فـــوقَ الجبَــالِ

لهيبُ الصّيف أو قُرُّ الشّتاءِ (٥)

بيتان كتبا على قبر السيد عبدالرحمن الكواكبى (٦)

فى ســـنة ١٩٠٢م

هُنا رجُلُ الدُّنيا، هُنا مَهبِطُ التُّقى * هُنا خَيرُ مَظْلومٍ، هُنا خَيرُ كاتِبِ
قِفُوا واقْرءوا أُمَّ الكِتابِ (٧) وسلّموا * عليه فهٰذا القبرُ قبرُ (الكوا كِبى)

---

(١) يريد « بالملك الكبير » ادوارد السابع ابن الملكة فكتوريا .

(٢) الأسد : رمز متخذ للدولة الإنجليزية . والهصور : الكاسر .

(٣) الصحيح « قاسوا » بفتح السين وسكون الواو، وضم السين فى هذا البيت لضرورة الوزن .

(٤) الوبال : الهلاك .

(٥) القر (بضم القاف) : البرد . يريد : أن الحر والبرد لم يمنعاهم من تسلق الجبال .

(٦) ولد السيد عبد الرحمن الكواكبى بحلب سنة ١٢٦٥ هـ، وتعلم على أساتذة عصره علوم الأدب والشريعة، وطالع من الكتب ما يتعلق منها بعلم الاجتماع من تاريخ وفلسفة، ثم درس بعض العلوم الطبيعية والرياضية، فنال من ذلك حظا وافرا، وساح فى بلاد العرب وشرق افريقية وبعض بلاد الهند، وألف كتابيه المشهورين (أم القرى) و(طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد)، وتوفى فى سنة ١٩٠٢ م

(٧) أم الكتاب : الفاتحة .

رثاء محمود سامى البارودى باشا (١)

[نشرت فى ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥]

رُدُّوا عَلَىَّ بَيانِى بَعْدَ (محمودِ) * إِنِّى عَيِيتُ وأَعْيا الشِّعْرُ مجهودِى (٢)

ما لِلبلاغةِ غَضْبَى لا تُطاوِعُنِى * وما لِحَبْلِ القَوافِى غيرَ مَمْدُودِ؟

ظَنَّتْ سُكُوتِىَ صَفْحًا عَنْ مَوَدَّتِه * فَأَسْلَمَتْنِى الى هَمٍّ وتَسْهِيدِ (٣)

ولو دَرَتْ أَنَّ هذا الخَطْبَ أَفْحَمَنِى * لأَطْلَقَتْ مِنْ لِسانِى كُلَّ مَعْقُودِ (٤)

لَبَّيْكَ يا مُؤْنِسَ المَوْتَى ومُوحِشَنا * يا فارِسَ الشِّعْرِ والهَيْجاءِ والجُودِ (٥)

مُلْكُ القُلوبِ ــ وأنتَ المُسْتَقِلُّ به ــ * أَبْقَى على الدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابنِ داوُدِ) (٦)

لقد نَزَحْتَ عن الدُّنيا كما نَزَحَتْ * عنها لَيالِيكَ مِنْ بِيضٍ ومِنْ سُودِ (٧)

أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عنها وازْدَرَيْتَ بها * قَبْلَ المَماتِ ولَمْ تَحْفِلْ بِمَوْجُودِ (٨)

لَبَّيْكَ يا شاعِرًا ضَنَّ الزَّمانُ به * على النُّهَى والقَوافِى والأَناشِيدِ (٩)

---

(١) انظر التعريف بالبارودى فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ج ١ (٢) ردوا على بيانى، أى أعيدوه الى بعد أن عزب عنى من هول المصاب . وعيى يعيا (من باب رضى) : كل وتعب .

(٣) أى ظنت البلاغة سكوتى عن رثاء الفقيد إعراضا عن مودته وتناسيا لصحبته فتركتنى أعذب بالهم والسهر . (٤) أفحمه : أسكته وعقد لسانه . (٥) الهيجاء : الحرب .

(٦) يريد «بابن داود» : نبى الله سليمان عليه السلام، وبه يضرب المثل فى سعة الملك .

(٧) نزحت : بعدت . والبيض والسود : إشارة إلى أيام نعم فيها البارودى بالعز والجاه، وأخرى شقى فيها بالأسر وكف البصر ومصادرة المال والنفى . (٨) يشير بقوله : «أغمضت عينيك» إلى أن الفقيد كان قد كف بصره فى آخر حياته فعاش ضريرا . وازدريت بها : احتقرتها واستخففت بها . ولم تحفل : لم تبال . (٩) النهى : العقول؛ الواحدة نهية (بالضم) .

تَجْرِى السَّلاسَةُ فى أثْناءِ مَنْطِقِه * تَحْتَ الفَصاحَةِ جَرْىَ الماءِ فى العُودِ (١)

فى كلِّ بَيْتٍ له ماءٌ يَرِفُّ بِه * تَغارُ مِنْ ذِكْرِه ماءُ العَناقِيدِ (٢)

لو حَنَّطُوكَ بِشِعْرٍ أنتَ قائِلُه * غَنِيتَ عن نَفَحاتِ المِسْكِ والعُودِ

حَلَّيْتَه بعدَ أنْ هَذَّبْتَه بِسَنًا * عِقْدٍ بِمَدْحِ رَسُولِ اللهِ مَنْضُودِ (٣)

كَفاكَ زادًا وزَيْنًا أنْ تَسِيرَ إلى * يومِ الحِسابِ وذاكَ العِقْدُ فى الجِيدِ (٤)

لَبَّيْكَ يا خَيْرَ مَنْ هَزَّ اليَراعَ، ومَنْ * هَزَّ الحُسامَ، ومَنْ لَبَّى، ومَنْ نُودِى

إنْ هُدَّ رُكْنُكَ مَنْكُوبًا فقد رَفَعَتْ * لكَ الفَضِيلَةُ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودِ (٥)

إنّ المَناصِبَ فى عَزْلٍ وتَوْلِيَةٍ * غَيْرُ المَواهِبِ فى ذِكْرٍ وتَخْلِيدِ

أَكْرِمْ بِها زَلَّةً فى العُمْرِ واحِدَةً * إنْ صَحَّ أنَّكَ فيها غَيْرُ مَحْمُودِ (٦)

سَلُوا الحِجا هَلْ قَضَتْ أرْبابُه وَطَرًا * دُونَ المَقادِيرِ أو فازَتْ بِمَقْصُودِ (٧)

---

(١) السلاسة : الرقة والانسجام .

(٢) يقال : رف النبات يرف رفيفا ، إذا كثر ماؤه من النضرة والغضاضة واهتز وتمايل . وقد شبه به أبيات البارودى فى حسن رونقها وطلاوتها . وماء العناقيد : الخمر . (٣) السنا : النور . والمنضود : المنظوم . ويشير بهذا إلى قصيدة البارودى التى عارض بها قصيدة البوصيرى فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وسماها : (كشف الغمة فى مدح خير الأمة) وأولها :

يا رائد البرق يمم دارة العلم * واحد الغمام إلى حى بذى سلم

(٤) الجيد : العنق . (٥) يشير إلى ما نكب به البارودى فى حياته من عزله من مناصب الحكومة ، ونفيه ، وغير ذلك .

(٦) يريد «بالزلة» اشتراك الفقيد فى الثورة العرابية .

(٧) الحجا : العقل . والوطر : الحاجة . أى إن العقول وإن رجح رأيها لا تملك مع المقادير شيئا .

كنتَ الوزيرَ وكنتَ المُسْتعانَ به * وكان هَمُّكَ هَمَّ القادةِ الصِّيدِ (١)

كم وَقْفةٍ لكَ والأَبْطالُ طائرةٌ * والحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيدًا بِصِنْدِيدِ (٢)

تَقُولُ للنفسِ إنْ جاشَتْ اليكَ بها * هٰذا مَجالُكِ سُودِي فيه أو بِيدِي (٣)

نَسَخْتَ (يومَ كَرِيدٍ) كلَّ ما نَقَلُوا * فى يومِ (ذِى قارَ) عن (هانِي بنِ مَسْعُودِ) (٤)

نَظَمْتَ أَعْداكَ فى سِلْكِ الفَناءِ به * على رَوِيٍّ ولٰكِنْ غيرُ مَعْهُودِ (٥)

كأنَّهم كَلِمٌ والمَوْتُ قافيةٌ * يَرْمِي به عَربِيٌّ غيرُ رِعْدِيدِ (٦)

أَوْدَى (المَعَرِّى) تَقِيُّ الشِّعْرِ مُؤْمِنُه * فكادَ صَرْحُ المَعالِي بَعْدَه يُودِي (٧)

---

(١) الصيد : جمع أصيد، وهو الرافع رأسه كبرا وزهوا . (٢) طائرة : أى مولية فى سرعة من الخوف والفزع . والصنديد : البطل الشجاع . (٣) جاشت النفس : اضطربت من الخوف . وبها، أى بالحرب . وباد يبيد : هلك . (٤) فى سنة ١٨٦٦ م انتقض أهل جزيرة كريد على الدولة العلية : فأرسلت مصر جيشا لمساعدتها على تأديبهم . وكان البارودى « رئيس ياورحرب » وقد أبدى هناك من الشجاعة والإقدام والدهاء والحزم ما أطلق الألسنة بمدحه والإعجاب به ، وقد أبلى الجيش المصرى فى إخماد تلك الثورة البلاء الحسن حتى أخمدها ، وكان قائد تلك الحملة المصرية شاهين باشا ، وعدتها خمسة آلاف مقاتل . ويوم ذى قار : يوم كان بين بكر بن وائل والفرس ، وهو من أعظم أيام العرب وأبلغها أثرا فى انتصاف العرب من العجم . وذو قار ، هو الموضع الذى وقعت فيه هذه الوقعة ، وهو بين الكوفة وواسط . وقد ذكر الشاعر هنا هانئ بن مسعود ، والمعروف فى هذه الحرب هو هانئ بن قبيصة ابن هانئ بن مسعود الشيبانى ، وكان من قواد العرب الذين اشتهروا فى هذه الموقعة ، وهو الذى أودع عنده النعمان بن المنذر ودائعه ؛ وبسبب ذلك وقعت هذه الحرب . (٥) به ، أى بيوم كريد . والروى : الحرف الذى تبنى عليه القصيدة . جعل وقوع القتلى قتيلا بجانب قتيل كأبيات القصيدة يضم فيها البيت الى مثله على روى واحد ، ولكن الفقيد قد نظم أعداءه فى سلك الموت على روى مبتدع لم يعهده الناس من قبل . (٦) الرعديد : الجبان . وشبه الموت الذى عم الأعداء بالقافية ، لاتحادها فى جميع أبيات القصيدة . (٧) أودى : هلك . والمعرى ، هو أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف المعروف ، شبه به البارودى فى شعره المشتمل على الموعظة والحكمة . والصرح : كل بناء عال . ويودى ، أى يتهدم وينقض .

وأَوحَشَ الشَّرقُ مِن فَضلٍ ومِن أَدَبٍ * وأَقفَرَ الرَّوضُ مِن شَدوٍ وتَغريدِ

وأَصبحَ الشِّعرُ والأَسماعُ تَنبِذُه * كأَنَّه دَسَمٌ في جَوفِ مَمعُودِ (١)

أَلوَى بِهِ الضَّعفُ واسترْخَتْ أَعِنَّتُهُ * فراحَ يَعثُرُ في حَشوٍ وتَعقِيدِ (٢)

وأَنكرَتْ نَسَماتُ الشَّوقِ مَربَعَه * تُثيرُها خَطَراتُ الخُرَّدِ الخُودِ (٣)

لو أَنصَفُوا أَودَعوه جَوفَ لُؤلُؤةٍ * مِن كَنزِ حِكمَتِه لا جَوفَ أُخدُودِ (٤)

وكَفَّنُوه بِدَرْجٍ مِن صَحائِفِه * أو واضِحٍ مِن قَمِيصِ الصُّبحِ مَقدُودِ (٥)

وأَنزَلُوه بأُفْقٍ مِن مَطالِعِه * فوقَ الكَواكِبِ لا تحتَ الجَلامِيدِ (٦)

وناشَدُوا الشَّمسَ أَن تَنعَى مَحاسِنَه * لِلشَّرقِ والغَربِ والأَمصارِ والبِيدِ (٧)

أَقولُ لِلمَلإِ الغادِي بمَوكِبِه * والناسُ ما بينَ مَكبُودٍ ومَفؤُودِ (٨)

غُضُّوا العُيونَ فإنَّ الرُّوحَ يَصحَبُكُم * مَعَ المَلائِكِ تَكريمًا (لِمَحمودِ) (٩)

---

(١) الممعود : الذى اعتلت معدته، فلا يستمرئ ما يأكله . (٢) ألوى به : ذهب به . والأعنة : جمع عنان (بالكسر)، وهو سير اللجام . وكنى باسترخاء أعنة الشعر عن ضعف بنائه، وركاكة ألفاظه، واضطراب نظمه . والحشو : فضول الكلام الزائدة عن الغرض .

(٣) مربعه : منزله . والأصل فى المربع : المنزل يقام فيه فى وقت الربيع . والخرد : جمع خريدة، وهى العذراء . والخود (بالضم) : جمع خود (بالفتح)، وهى الشابة الحسنة الخلقة . والمراد أن الغزل والنسيب فى الشعر قد ذهبا بذهاب البارودى .

(٤) الأخدود : الحفرة المستطيلة فى الأرض، يريد بها القبر . (٥) الدرج (بالفتح) : ما يكتب فيه . والمقدود : المشقوق . (٦) الجلاميد : الصخور، الواحد جلمود .

(٧) البيد : الفلوات، الواحدة بيداء . (٨) الملأ : الجماعة . والمكبود : المصاب فى كبده . والمفؤود : المصاب فى فؤاده . (٩) يريد «بالروح» : الروح الأمين، وهو جبريل عليه السلام .

(١) يا وَيْحَ للقَبْرِ قد أخْفَى سَنَا قَمَرٍ * مُقَسَّمِ الوَجْهِ مَحْسُودِ التَّجالِيد

(٢) يا وَيْحَهُ حَلَّ فيه ذُو قَرِيحَتِه * لَمَّا بِخِدْرِ المَعالِي ألْفُ مَوْلُود

(٣) فَرائِدٌ خُرَّدٌ لو شاءَ أوْدَعَها * مُحْصِي الجَدِيدِ سِجِلَّاتِ المَوالِيد

(٤) كأنَّها وهْيَ بالألْفاظِ كاسِيَةٌ * وحُسْنُها بَيْنَ مَشْهُودٍ ومَحْسُود

(٥) لآلِئٌ خَلْفَ بَلُّورٍ قد اتَّسَقَتْ * في بَيْتِ دُهْقانَ تَسْتَهْوِي نُهَى الغِيد

(٦) (مَحْمُودُ) إنِّي لأَسْتَحْيِيكَ في كَلِمِي * حَيًّا ومَيْتًا وإنْ أبْدَعْتُ تَقْصِيدِي

(٧) فاعْذِرْ قَرِيضِيَ واعْذِرْ فِيكَ قائِلَه * كِلاهُما بَيْنَ مَضْعُوفٍ ومَحْدُود

---

(١) سنا القمر: ضوءه . ومقسم الوجه : جميل كله ، كأن كل قسم منه أخذ قسطا من الجمال . وتجاليد الإنسان : جسمه وبدنه .

(٢) ذو (هنا) : بمعنى الذي ، في لغة طيء . والخدر (بالكسر) : البيت . ويريد بقوله : « ألف مولود » : قصائده .

(٣) الفرائد : الجواهر النفيسة ، لأنها مفردة في نوعها . والخرد : اللآلئ التي لم تثقب ، الواحدة خريدة ؛ شبه قصائده بالفرائد الخرد في نفاستها وصيانتها عن الابتذال . ومحصي الجديد : من يقيد المعاني الجديدة التي يبتكرها الشعراء . ويريد بقوله : « لو شاء » الخ ؛ أن له معاني مبتدعة جديرة أن تسجل باسمه كما تسجل المواليد .

(٤) كاسية ، أي حالية متجملة كما يتجمل الإنسان بكسائه .

(٥) الدهقان (بالكسر ويضم) : التاجر ؛ فارسي معرب . والغيد : جمع غيداء ، وهي المرأة المتثنية لينا . وقد شبه في هذا البيت المعاني في شعر الفقيد باللآلئ ، والألفاظ بالبلور في أنها تشف عما تضمنت من المعاني كما يشف البلور عما وراءه .

(٦) قصد الشاعر (بالتضعيف) : واصل عمل القصائد وأطال .

(٧) المضعوف : الضعيف . والمحدود : المحروم والممنوع من الخير . والمراد أنه حرم الإجادة في رثاء الفقيد .

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١)

[نشرت فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥ م]

سَلامٌ على الإسْلامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ * سَلامٌ على أيّامِهِ النَّضِراتِ (٢)

على الدِّينِ والدُّنْيا، على العِلْمِ والحِجا * على البِرِّ والتَّقْوَى، على الحَسَناتِ

لقد كنتُ أَخْشَى عادِىَ المَوْتِ قَبْلَه * فأَصْبحْتُ أَخْشَى أنْ تَطُولَ حياتِى

فوالَهْفِى — والقبرُ بيْنِى وبيْنَه — * على نَظْرةٍ مِنْ تِلْكُمُ النَّظَراتِ (٣)

وقَفْتُ عليه حاسِرَ الرَّأْسِ خاشِعاً * كأنِّى حِيالَ القَبْرِ فى عَرَفاتِ (٤)

لقد جَهِلُوا قَدْرَ الإمامِ فأَوْدَعُوا * تَجالِيدَه فى مُوحِشٍ بفَلاةِ (٥)

ولو ضَرَحُوا بالمَسْجِدَيْنِ لأَنْزَلُوا * بِخَيْرِ بِقاعِ الأرضِ خَيْرَ رُفاتِ (٦)

تَبارَكْتَ هذا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ * أَيُتْرَكُ فى الدُّنيا بغَيْرِ حُماةِ ؟

تَبارَكْتَ هذا عالِمُ الشَّرْقِ قد قَضَى * ولانَتْ قَناةُ الدِّينِ للغَمَزاتِ (٧)

---

(١) انظر التعريف بالشيخ محمد عبده فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٤ من الجزء الأول .

(٢) النضرات : ذوات الحسن والرونق . (٣) والهفى : كلمة يتحسر بها على مافات .

(٤) حاسر الرأس : عاريه . وحيال القبر : تلقاءه وأمامه . (٥) تجاليد الإنسان : جسمه وبدنه . والفلاة : الصحراء الواسعة . (٦) ضرح للميت : حفر له ضريحا . ويريد «بالمسجدين» : المسجد الحرام بمكة، وبيت المقدس . ورفات الميت : مابلى وتكسر من عظامه . يقول : لو أنهم حفروا بأحد المسجدين ضريحا لهذا الجسم لكان حريا بذلك، لأنه خير جسم يدفن فى خير بقعة من الأرض .

(٧) قضى : مات . والقناة : الرمح . ولين القناة : كناية عن الضعف والوهن . ويريد «بالغمزات» : المطاعن الموجهة إلى الإسلام من أعدائه .

زَرَعْتَ لنا زَرْعًا فأَخْرَجَ شَطْأَهُ (١) * وبِنْتَ ولمّا نَجْتَنِ الثَّمَراتِ

فواهًا له أَلّا يُصيبَ مُوَفَّقًا * يُشارِفُه والأَرضُ غيرُ مَواتِ (٢)

مَدَدْنا إلى الأعلامِ بَعْدَكَ راحَنا * فرُدَّتْ إلى أَعْطافِنا صَفِراتِ (٣)

وجالَت بنا تَبْغِي سِواكَ عُيونُنا * فعُدْنَ وآثَرْنَ العَمَى شَرِقاتِ (٤)

وآذَوْكَ فى ذاتِ الإلهِ وأنكَروا * مَكانَكَ حتّى سَوَّدُوا الصَّفَحاتِ (٥)

رأَيتَ الأَذَى فى جانبِ اللهِ لَذَّةً * ورُحْتَ ولَمْ تَهْمُمْ له بشَكاةِ

لقد كنتَ فيهِم كوكبًا فى غَياهِبٍ (٦) * ومَعْرِفَةً فى أَنْفُسٍ نَكِراتِ

أَبَنْتَ لنا التَّنْزيلَ حُكْمًا وحِكْمَةً (٧) * وفَرَّقْتَ بين النُّورِ والظُّلُماتِ

ووَفَّقْتَ بين الدِّينِ والعِلْمِ والحِجا * فأَطْلَعْتَ نُورًا مِن ثَلاثِ جِهاتِ

وَقَفْتَ (لهانُوتُو) و(رِينانَ) وَقْفَةً (٨) * أَمَدَّكَ فيها الرُّوحُ بالنَّفَحاتِ

---

(١) شطء الزرع : فراخه أو سنبله . وكنى بالزرع : عما قام به الفقيد من ضروب الإصلاح . وبنت : بعدت . (٢) الضمير فى «له» يرجع الى الزرع . ويشارفه : يشرف عليه . والأرض الموات : الجدبة التى لا تنبت . يخشى ألا يجد الزرع من يتعهده بعد الفقيد مع خصوبة الأرض وقبولها لما يغرس فيها . (٣) يريد « بالأعلام » : المشهورين من العلماء . والراح : جمع راحة ، وهى الكف . والأعطاف : الخواصر . وصفرات ، أى خاليات . (٤) شرقات ، أى محمرات من البكاء . (٥) يشير بهذا البيت وما بعده إلى المطاعن التى كان يوجهها أعداء الفقيد اليه ، وينشرونها فى بعض الصحف تشهيرا به ، وتحقيرا من شأنه . (٦) الغياهب : الظلمات . (٧) يشير بهذا البيت الى الدروس التى كان يلقيها الأستاذ الإمام فى تفسير القرآن . (٨) هانوتو : هو جبرائيل هانوتو السياسى المؤرخ الفرنسى . ولد فى ١٩ نوفبر سنة ١٨٥٣ م ، وقد كتب مقالات فى الطعن على الاسلام . ورينان ، هو أرنست رينان الفرنسى ، ولد فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٢٣ م ، وقد كان قسا كاثوليكيا ؛ وهو مشهور بمطاعنه فى الدين الإسلامى كصاحبه السابق ، وقد ردّ الفقيد على مطاعنهما . وتوفى رينان فى سنة ١٨٩٢ م . والروح : جبريل .

وخِفتَ مَقامَ اللهِ فى كلِّ مَوْقِفٍ (١) * فخافَكَ أهْلُ الشَّكِّ والنَّزَغاتِ

وكمْ لكَ فى إغفاءةِ الفَجْرِ يَقْظةٌ (٢) * نَفَضْتَ عليها لَذَّةَ الهَجَعاتِ

ووَلَّيْتَ شَطْرَ البيتِ وَجْهَكَ خالِيًا (٣) * تُناجى إلهَ البيتِ فى الخَلَواتِ

وكم لَيْلةٍ عانَدْتَ فى جَوْفِها الكَرَى (٤) * ونَبَّهْتَ فيها صادِقَ العَزَماتِ

وأرْصَدْتَ للباغِى على دِينِ أحْمَدٍ (٥) * شَباةَ يَراعٍ ساحِرِ النَّفَثاتِ

إذا مَسَّ خَدَّ الطِّرْسِ فاضَ جَبِينُه (٦) * بأسْطارِ نُورٍ باهِرِ اللَّمَعاتِ

كأنَّ قَرارَ الكَهْرَباءِ بشِقِّهِ (٧) * يُرِيكَ سَناهُ أيْسَرَ اللَّمَساتِ

فيا سَنَةً مَرَّتْ بأعْوادِ نَعْشِهِ * لأنْتِ علينا أشْأَمُ السَّنَواتِ

حَطَمْتِ لنا سَيْفًا، وعَطَّلْتِ مِنْبَرًا (٨) * وأذْوَيْتِ رَوْضًا ناضِرَ الزَّهَراتِ

وأطْفَأْتِ نِبْراسًا وأشْعَلْتِ أنْفُسًا (٩) * على جَمَراتِ الحُزْنِ مُنْطَوِياتِ

---

(١) النزغات : الوساوس .

(٢) الإغفاءة : النومة . « ونفضت عليها » الخ، أى أنه خلع على اليقظة لذة الهجعة فصار يتلذذ من اليقظة تلذذ الناس بالهجعة ، أى النوم .

(٣) البيت : الكعبة .

(٤) الكرى : النوم . وصادق العزمات، من إضافة الصفة الى الموصوف ، أى العزمة الصادقة .

(٥) أرصدت : أعددت وهيأت . واليراع : القلم . وشباته : سنه . ونفثات القلم : ما يفيض به من كلمات تشبيها لها بما ينفثه الساحر فى العقد .

(٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٧) سناه : ضوءه ونوره . يقول : كأن الكهرباء مستقرة فى شق هذا القلم ، لمجرد اللمس يظهر نوره .

(٨) حطمت : كسرت . وأذويت : أذبلت .

(٩) النبراس : المصباح .

رأى فى لَيـالِيك المُنجِّمُ ما رأى * فأنـذرَنا بالـوَيْلِ والعـثَراتِ (١)

ونَبّـأهُ عِـلمُ النجـومِ بحـادثٍ * تَبِيتُ لـه الأبراجُ مُضطرِباتِ

رمى السَّرطانُ اللَّيثَ واللَّيثُ خادِرٌ * ورُبَّ ضَعيفٍ نافِـذ الرَّمَيـاتِ (٢)

فأوْدَى به خَتْلاً فـالَ إلى الثرى * ومالَتْ له الأجرامُ مُنحَـرِفاتِ (٣)

وشاعَتْ تَعازِى الشُّهْبِ باللُّجِّ بينَها * عن النَّيِّرِ الهـاوِى إلى الفَـلَواتِ

مَشَى نَعْشُـه يَختـالُ عُجْبـا بربِّه * ويَخطِـرُ بين اللَّمْسِ والقُبُـلاتِ (٤)

تَكادُ الدُّموعُ الجـارِياتُ تُقِـلُّه * وتَدْفَعُـه الأنفـاسُ مُسْتَعِراتِ (٥)

بَكى الشَّرقُ فارتجَّتْ له الأرضُ رَجّةً * وضاقَتْ عُيونُ الكَوْنِ بالعَبَراتِ

فَفِى الهِنْدِ مَحْزونٌ وفى الصِّينِ جازعٌ * وفى (مِصْرَ) باكٍ دائمُ الحَسَراتِ

وفى الشَّامِ مَفْجوعٌ، وفى الفُرْسِ نادِبٌ * وفى تُونُسٍ ما شِئْتَ مِنْ زَفَراتِ

بَكى عالَمُ الإسـلامِ عالِمَ عَصْـرِه * سِراجَ الدَّياجِى هـادمَ الشُّـبُهاتِ (٦)

---

(١) يريد « بالمنجم » : أحد المنجمين ، وكان قـد تنبأ بوفاة الأستاذ الإمام فى السنة التى توفى فيها ، وكتب ذلك فى تقويمه السنوى .

(٢) رمى السرطان ... الخ ، اشارة الى أن المرحوم الإمام مات بالسرطان ، وهو هـذا الداء المعروف . والليث خادر ، أى والأسـد فى أجمته . ويطلق السرطان أيضـا على برج فى السماء يقابله برج الأسـد الذى أطلق الشاعر عليـه لفظ الليث . واستعمل الشطر الأوّل فى المعنيين ، كما يدل عليـه سياق الكلام فى الأبيات التالية .

(٣) أودى به : ذهب به . والختل : الخداع . والأجرام : الأفلاك .

(٤) ربه : صاحبه .

(٥) تقله : تحمله . ومستعرات : مشتعلات من الحزن .

(٦) الدياجى : الظلمات .

مَـلاذَ عَيـايِلٍ ثِمـالَ أرامـِلٍ * غِيـاثَ ذَوِى عُدْمٍ إمامَ هُـداةِ (١)

فلا تَنْصِبُوا للناس تِمثـالَ (عَبْدِه) * وإنْ كانَ ذِكْرَى حِكْمَةٍ وثَبـاتِ

فإِنّى لأَخْشَى أنْ يَضِـلُّوا فيُومِئُوا * الى نُورِ هـٰذا الوَجْهِ بالسَّجَداتِ (٢)

فيـاوَيْحَ للشُّورَى اذا جَدَّ جِدُّها * وطاشَتْ بهـا الآراءُ مُشْتَجِراتِ (٣)

ويا وَيْحَ للفُتْيَا .اذا قِيلَ مَنْ لَهَا؟ * ويا وَيْحَ للخَـيْراتِ والصَّـدَقاتِ

بَكَيْنا على فَـرْدٍ وإنّ بُكاءَنا * عـلى أنفُـسٍ للهِ مُنْقَطِعاتِ

تَعَهَّـدَها فَضْـلُ الإمامِ وَحاطَها * بإحْسـانِه والدَّهرُ غيرُ مُـواتِى (٤)

فيا مَنْزِلًا فى (عَيْنِ شَمْسٍ) أظَلَّنى * وأرْغَمَ حُسَّادِى وغَمَّ عُـداتِى (٥)

دَعائِمُـه التَّقْوَى وآساسُه الهُـدَى * وفيـه الأَيادِى مَوْضِـعُ اللَّبِنـاتِ (٦)

عليكَ سَـلامُ اللهِ، مالَكَ مُوحِشًا * عَبُوسَ المَغـانِى مُقْفِرَ العَرَصاتِ (٧)

---

(١) الملاذ (بالفتح) : الملجأ . وعيايل : جمع عيل (بتشديد الياء) . وعيل الرجل : من يتكفل بهم ويمونهم ويقوم عليهم . وثمال الأرامل : من يقوم بأمرهن ويعينهن . والغياث : المغيث والمعين . والعدم : الفقر . (٢) يومئوا : يشيروا . وقد رد الشاعر بهذا البيت على ما اقترحه بعضهم من إقامة تمثال للاستاذ الإمام . (٣) يريد « بالشورى » مجلس شورى القوانين وكان الفقيد عضوا به . وطاشت : انحرفت عن القصد . ومشتجرات : مشتبكات لا يتميز فيها الحق من الباطل . (٤) حاطها : صانها وحفظها . والمواتى : الموافق المساعد . (٥) عين شمس : ضاحية من ضواحى القاهرة معروفة ، وكان فيها بيت الفقيد . (٦) دعائم البيت : عمده . والأيادى : النعم . واللبنات : ما يضرب من الطين للبناء ، الواحدة لبنة .

(٧) الموحش : الخالى الذى ليس به ساكن . ومغانيه : منازله التى كان ينزل بها ساكنوه ، الواحد مغنى . وعرصاته : ساحاته .

لقد كنتَ مَقصُودَ الجَوانبِ آهِلاً[1] * تَطُوفُ بِكَ الآمالُ مُبْتَهِــلاتِ

مَثــابةَ أرزاقٍ[2]، ومَهْبِــطَ حِكْمَةٍ * ومَطْلَعَ أنوارٍ، وكَنْزَ عِظاتِ

رثاء مصطفى كامل باشا[3]

[نشرت فى ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨]

أيا قَبْرُ هَــذا الضَّــيفُ آمالُ أُمَّةٍ * فَكَبِّرْ وهَلِّلْ والْقَ ضَيفَكَ جاثِيــا[4]

عَزِيزٌ علينا أنْ نَرَى فيكَ (مُصْطَفَى) * شَهِيدَ العُــلاَ فى زَهْرَةِ العُمْرِ ذاوِيا[5]

أيا قَــبْرُ لو أنّا فَقَــدْناهُ وَحْدَه * لَكانَ التأسِّى[6] مِنْ جَوَى الحُزْنِ شافِيا

ولكنْ فَقَــدْنا كلَّ شَيْءٍ بفَقْــدِه * وهَيْهَــاتَ أَنْ يَأتِى به الدَّهْرُ ثانيــا

فيــا سائِلِى أينَ المُرُوءةُ والوَفا * وأينَ الحِجَا والرَّأْىُ؟ وَيْحَكَ هاهِيــا

هَنِيئًا لَهُــمْ[7] فَلْيَأْمَنُوا كلَّ صائِحٍ * فقد أُسْكِتَ الصَّوْتُ الذى كانَ عالِيا

---

(١) منزل آهل : عامر بأهــله . ومبتهلات : داعية متضرعة .

(٢) المثابة : المرجع . أى إن الناس كانوا يرجعون الى هذا البيت فى طلب أرزاقهم .

(٣) ولد المرحوم مصطفى كامل باشا صاحب اللواء بمدينة القاهرة فى ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤م. وبعد أن نال شهادة الدراسة الثانوية دخل مدرسة الحقوق الخديوية والحقوق الفرنسية فى وقت واحد، ثم ذهب الى فرنسا ، ومنها أخذ شهادة الحقوق ، وبدأ حياته السياسية فى سنة ١٨٩٥م. وكانت باكورة أعماله كتابه الذى رفعه الى رئيس مجلس النواب الفرنسى فى ٤ يونية سنة ١٨٩٥ م ؛ ثم كان زعيم النهضة الوطنية فى مصر ، إلى أن توفى فى سنة ١٩٠٨ م بعد أن ألف الحزب الوطنى .

(٤) جثا الرجل يجثو : جلس على ركبتيه ؛ والمراد هنا : الخضوع .

(٥) الذاوى : الذابل .

(٦) التأسى : اقتداؤك بمن سواك فى الصبر على المصائب . وجوى الحزن : حرقته .

(٧) الضمير فى « لهم » : للإنجليز .

ومات الّذى أحيا الشّعور وساقه * الى المجد فاستحيا النّفوس البواليا (١)

مدحتك لمّا كنت حيًّا فلم أجد * وإنّى أجيد اليوم فيك المراثيا

عليك، وإلّا ما لذا الحزن شاملًا * وفيك، وإلّا ما لذا الشّعب باكيا (٢)

يموت المداوى للنّفوس ولا يرى * لما فيه من داء النّفوس مداويا

وكنّا نيامًا حينما كنت ساهدًا * فأسهدتنا حزنًا وأمسيت غافيا (٣)

شهيد العلا، لا زال صوتك بيننا * يرنّ كما قد كان بالأمس داويا (٤)

يهيب بنا : هذا بناءٌ أقمته * فلا تهدموا بالله ما كنت بانيا (٥)

يصيح بنا : لا تشعروا الناس أنّنى * قضيت وأنّ الحىّ قد بات خاليا (٦)

يناشدنا بالله ألّا تفرّقوا * وكونوا رجالًا لا تسرّوا الأعاديا

فروحى من هذا المقام مطلّةٌ * تشارفكم عنّى وإن كنت باليا (٧)

فلا تحزنوها بالخلاف فإنّنى * أخاف عليكم فى الخلاف الدّواهيا

أجل، أيّها الداعى الى الخير إنّنا * على العهد ما دمنا فنم أنت هانيا (٨)

بناؤك محفوظٌ، وطيفك ماثلٌ * وصوتك مسموعٌ، وإن كنت نائيا

---

(١) استحيا، أى أحيا . والاستحياء (لغة) : الاستبقاء؛ يقال : استحيا فلان فلانا ، إذا أبقاه حيا .

(٢) عليك، أى عليك الحزن . وفيك، أى فيك البكاء .

(٣) الساهد : الساهر . والغافى : النائم .   (٤) المعروف (دوّى) بتشديد الواو، واسم الفاعل منه : مدوّ . وأما (دوى) بالتخفيف، فهو استعمال شائع فى كلام أهل العصر .

(٥) أهاب به : صاح به ودعاه .   (٦) قضى : مات .

(٧) شارفه : نظر إليه من علو .   (٨) أجل، كلمة تقال فى الجواب بمعنى «نعم» .

عهِدْناكَ لا تَبْكى وتُنْكِر أَنْ يُرَى * أَخُو البَأْسِ فى بَعْضِ المَوَاطِنِ باكِيا
فَرَخِّص لنا اليومَ البُكاء وفى غَدٍ (١) * تَرانا كما تَهْوَى جِبالًا رَواسِيا
فيا نِيلُ إنْ لَمْ تَجْرِ بَعْدَ وفاته * دَمًا أَحْمَرًا لا كنتَ يا نِيلُ جارِيا
ويا (مِصْرُ) إنْ لم تَحْفَظِى ذِكْرَ عَهْدِه * إلى الحَشْرِ لا زالَ انْحِلالُكِ باقِيا
ويأَهْلَ (مِصْرٍ) إنْ جَهِلْتُمْ مُصابَكُمْ * ثِقُوا أنّ نَجْمَ السَّعْدِ قد غارَ هاوِيا
ثلاثُون عاما بَلْ ثلاثُون دُرَّةً (٢) * بِجِيدِ اللَّيالِى ساطِعاتٍ زَواهِيا
سَتَشْهَدُ فى التاريخ أَنَّكَ لَم تَكُنْ (٣) * فَتًى مُفْرَدًا بل كنتَ جَيْشًا مُغازِيا

رثاء مصطفى كامل باشا أيضا

أنشدها فى حفل الأربعين فى ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨ م

نَثَرُوا عَلَيْكَ نَوادِىَ الأَزْهارِ (٤) * وأَتَيْتُ أَنْثُرُ بينهم أَشْعارِى
زَيْنَ الشَّبابِ وزَيْنَ طُلّابِ العُلا * هَلْ أنتَ بالمُهَجِ الحَزِينَةِ دارِى؟
غادَرْتَنا والحادِثاتُ بِمَرْصَدٍ (٥) * والعَيْشُ عَيْشُ مَذَلَّةٍ وإِسارِ

---

(١) الذى وجدناه أنه يقال: «رخصت له» ورخصته فى كذا «أى أذنت له فيه» بعد النهى عنه. ولم نجد فى كتب اللغة أنه يقال: رخصت له كذا بحذف «فى» كما استعمله الشاعر فى هذا البيت، إلا أن يقال: إنه ضمن الترخيص معنى التسهيل والتيسير، فحذف الفاء. والرواسى: الرواسخ.

(٢) توفى مصطفى كامل باشا عن اثنتين وثلاثين سنة، فالثلاثون فى هذا البيت عدد تقريبى.

(٣) تشهد، أى الثلاثون عاما.

(٤) نوادى الأزهار: الرطبة المبتلة بالندى.

(٥) بمرصد، أى أن الحوادث ترقبنا وتتحين الفرص لمداهمتنا. والمرصد، هو مكان الرصد، أى المراقبة.

ماكانَ أحوجَنا إليكَ اذا عَدَا * عادٍ وصاحَ الصائحون : بَدَارِ (١)

أينَ الخطيبُ وأينَ خلابُ النُّهَى؟ * طالَ انتظارُ السمعِ والأبصارِ

باللهِ ما لَكَ لا تُجيبُ مُناديًا * ما ذا أصابَكَ يا أبَا المِغْوارِ (٢)

قُمْ وامْحُ ما خطَّتْ يمينُ (كُرُومَرٍ) * جَهْلًا بدِينِ الواحِدِ القَهَّارِ (٣)

قد كُنتَ تَغْضَبُ للكِنانةِ كلَّما * همَّتْ وهَمَّ رجاؤها بعِثارِ (٤)

غَضَبَ التَّقِيِّ لربِّه وكتابِه * أو غضبةَ (الفارُوقِ للمُختارِ) (٥)

قد ضاقَ جِسْمُكَ عن مَداكَ فلم يُطِقْ * صَبرًا عليكَ وأنتَ شُعْلةُ نارِ (٦)

أودَى به ذاكَ الجِهادُ وهَدَّه * عزمٌ يُهَدُّ جلائلَ الأخطارِ (٧)

لَعِبَتْ يمينُكَ بالْيَراعِ فأعجَزَتْ * لَعِبَ الفوارسِ بالقَنا الخَطَّارِ (٨)

وجَرَيْتَ للعلياءِ تَبْغِي شأوَها * بجَرى القضاءِ وأنتَ في المِضمارِ (٩)

---

(١) بدار : اسم فعل أمر بمعنى بادر، أى أسرع . (٢) المغوار : الكثير الغارات على الأعداء . ويشير بهذه الكنية إلى قول الشاعر :

وداع دعا : يا من يجيب إلى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة * لعل أبى المغوار منك قريب

(٣) يشير بهذا البيت إلى ما كتبه اللورد كرومر عميد الدولة الانجليزية فى مصر من طعن على الدين الإسلامى . (٤) العثار : الكبو والتعس . (٥) الفاروق : عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . والمختار : النبى صلى الله عليه وسلم .

(٦) مداك، أى غاية ما تطمح إليه من المعالى . (٧) أودى به : ذهب . « وهدّه عزم» الخ، أى أن عزمه الذى يذهب بالشدائد قد ذهب بجسمه وأفناه . (٨) القنا : الرماح . والخطار : من صفات الرمح ، لاضطرابه واهتزازه . (٩) الشأو : الغاية . ويريد « بالقضاء » : الموت .

أَوَ كلما هَزَّ الرجاءُ مُهنَّدًا * بَدَرَتْ إليه غوائلُ الأقدارِ (١)

عزَّ القرارُ عليَّ ليلةَ نعيِه * وشهدتُ موكبَه فقرَّ قرارِي (٢)

وتسابقَتْ فيه النعاةُ فطائرٌ * بالكهرباءِ، وطائرٌ ببخارِ (٣)

شاهدتُ يومَ الحشرِ يومَ وفاته * وعلمتُ منه مراتبَ الأقدارِ (٤)

ورأيتُ كيف تفي الشعوبُ رجالَها * حقَّ الولاءِ وواجبَ الإكبارِ

تسعونَ ألفًا حولَ نعشِكَ خُشَّعٌ * يمشون تحتَ (لوائِكَ) السيَّارِ (٥)

خطُّوا بأدمُعِهِم على وجهِ الثرى * للحزنِ أسطارًا على أسطارِ

آنًا يُوالُون الضجيجَ كأنهم * رَكْبُ الحجيجِ بكعبةِ الزوَّارِ

وتخالُهُم آنًا لفرطِ خشوعِهِم * عند المصلَّى يُنصِتُون لقارِي

غلبَ الخشوعُ عليهمُ فدموعُهُمْ * تجري بلا كَلَحٍ ولا استنثارِ (٦)

قد كنتُ تحتَ دموعِهِم وزفيرِهِم * ما بين سَيْلٍ دافقٍ وشرارِ

أسعى فيأخذُني اللهيبُ فأنثني * فيصدُّني متدفقُ التيارِ

---

(١) المهند : السيف. وغوائل الأقدار، أى المهلكات منها . (٢) يريد بقوله : «وشهدت» الخ : أنه لما رأى وفاء الأمة للفقيد فى جنازته هدأت نفسه . (٣) يريد «بالطائر بالكهرباء» : الرسائل البرقية . «وبالطائر بالبخار» : القطار . (٤) وعلمت منه مراتب الأقدار، أى كيف تنزل الأمة عظماءها منازلهم التى يستحقونها . (٥) اللواء : العلم . ويشير إلى جريدة اللواء التى كان يصدرها الفقيد .

(٦) بلا كلح، أى بلا عبوس ولا تقطب . والمسموع : كلاح وكلوح (بالضم فيهما) . والاستنثار من الأنف معروف . ويريد «يجرى بلا كلح ولا استنثار» : أن الدموع تجرى بطبيعتها بلا عبوس ولا غيره مما يصحب الدموع عادة .

لو لم ألذ بالنعش أو بظلاله (١) * لقضيت بين مراجل وبحار

كم ذات خدر يوم طاف بك الردى * هتكت عليك حرائر الأستار

سفرت تودع أمة محمولة * فى النعش لا خبراً من الأخبار

أمنت عيون الناظرين فمزقت (٢) * وجه الخمار فلم تلذ بخمار

قد قام ما بين العيون وبينها * ستر من الأحزان والأكدار

أدرجت فى العلم الذى أصفيته (٣) * منك الوداد فكان خير شعار

علمان من فوق الرءوس كلاهما (٤) * فى طيه سر من الأسرار

ناداهما داعى الفراق فأمسيا (٥) * يتعانقان على شفير هارى

تالله ما جزع المحب ولا بكى (٦) * لنوى مروعة وبعد مزار

جزع (الهلال) عليك يوم تركته (٧) * ما بين حر أسى وحر أوار

متلفتا متحيرا متخيرا * رجلا يناضل عنه يوم نفار

(١) قضى : هلك ومات . والمراجل : القدور ؛ الواحد مرجل (بكسر فسكون) . ويريد «بالمراجل والبحار» : ما أشار اليه فى البيت الأسبق من الزفرات والدموع .

(٢) الخمار : ما تغطى به المرأة وجهها .

(٣) يقال : أدرجه فى الثوب : إذا لفه فيه وطواه . ويريد « بالعلم » : علم مصر .

(٤) يريد « بالعلمين » : الفقيد، تشبيها له بالعلم فى ارتفاعه وشهرته، وعلم مصر الذى لف فيه النعش .

(٥) شفير كل شىء : حرفه . والهارى : المنهار .

(٦) النوى : البعد .

(٧) الهلال : شعار الدولة العثمانية والولايات التابعة لها التى كانت منها مصر إذ ذاك . والأسى : الحزن . والأوار : الظمأ، ويريد به ما تركه فراقه فى النفوس من تعطش إليه .

إنّ الثلاثينَ الّتِى بكَ فاخَرتْ * بانَتْ تُقـاسُ بأطْوَلِ الأعْمـارِ (١)

ضَمّتْ الى التاريخِ بِضعَ صَحائِفٍ * بَيْضـاءَ مِثـلَ صَحـائِفِ الأبْرارِ

شبّهتُهنّ بنقْطَـةٍ عِطـرِيّةٍ * وَسِعَتْ مُحصّـلَ رَوْضَـةٍ مِعْطارِ (٢)

خَلّفْتَها كالمَشـقِ يَحْـذو حَـذْوَها * راجى الوُصـولِ ومُقتَـفِى الآثارِ

ماذا على السّارِى ـ وهُنّ مَنائِرٌ ـ * لو سـارَ بيْنَ مَجاهِـلٍ وقِفارِ (٣)

ما زِلتَ تَخْتـارُ المَواقِفَ وَعْرَةً * حـتّى وَقَفْتَ لذلِكَ الجَبّـارِ (٤)

وهَدَمْتَ سُـورًا قد أجادَ بِنـاءَه * فِرْعَوْنُ ذو الأوْتادِ والأنْهـارِ (٥)

ووَصَلْتَ بين شَـكاتِنا ومَشايِخٍ * فى (البَرْلَمـانِ) أعِزّةٍ أخْيـارِ (٦)

كَشَفُوا الغِطاءَ عن العُيونِ فأبْصَروا * ما فى الكِنانَةِ مِنْ أذًى وضِرارِ (٧)

نَبَـذُوا كَلامَ (اللّوْرِدِ) حِينَ تَبيّنُوا * حَنَـقَ المَغِيـظِ ولَهْجَـةَ الثّرْثارِ (٨)

ورَماهُــمْ بِمُجَــلّدِينِ رَمَــوْهُمَا * فى رُتْبَــةِ الأصْفارِ لا الأسْـفارِ (٩)

---

(١) يريد الثلاثين سنة التى ذكرها فى مرثيته السابقة فى قوله "ثلاثون عاما ... الخ" . وقد قدمنا أن الفقيد قد توفى عن اثنتين وثلاثين سنة ؛ فالثلاثون عدد تقريبى . (٢) الروضة المعطار : الكثيرة الزهور والرياحين . ومحصلها : ما يحصل من رياحينها وأزهارها . (٣) وهن ، أى الثلاثون عاما . والمنائر : جمع منارة ، وهى ما يهتدى به . يريد أن سارى الظلمات لا يضل وهو يهتدى بهذه الأعلام الواضحة . (٤) يريد «بالجبار» اللورد كرومر ؛ ويشير إلى مواقفه معه فى حادثة دنشواى وغيرها .

(٥) الأوتاد : الجبال . ويضرب بفرعون المثل فى الجبروت والبغى ؛ شبه اللورد كرومر به .

(٦) الشكاة : الشكوى . ويريد «بالبرلمان» : البرلمان الإنجليزى .

(٧) كشفوا ، أى مشايخ البرلمان . (٨) الحنق : الغيظ . والثرثار : الذى يكثر الكلام تكلفا وخروجا عن الحق . (٩) يشير «بالمجلدين» : ما كتبه اللورد كرومر لحكومته عن مصر . والأسفار : الكتب ؛ والواحد سفر (بالكسر) .

وإمّا علَى تلكَ المَواقِفِ إنّها * كانتْ مَواقِفَ لَيْثِ غابٍ ضارِى (١)

لَم يَثْنِهِ عنها الوَعيدُ ولا ثَنَى * مِنْ عَزْمِهِ قَوْلُ المُرِيبِ : حَذارِ (٢)

فاهنَأْ بمَنْزِلِكَ الجديدِ ونَمْ به * فى غِبْطَةٍ وانْعَمْ بخَيْرِ جِوارِ

وآستَقْبِلِ الأَجْرَ الكَبيرَ جَزاءَ ما * ضَحَّيْتَ للأَوْطانِ مِنْ أَوْطارِ (٣)

نِعْمَ الجَزاءُ ونِعْمَ ما بَلَّغْتَهُ * فى مَنْزِلَيْكَ ونِعْمَ عُقْبَى الدّارِ (٤)

رثاء قاسم أمين بك (٥)

[نشرت فى ٦ يونية سنة ١٩٠٨ م]

لِلّهِ دَرُّكَ كُنْتَ مِنْ رَجُلٍ * لَوْ أَمْهَلَتْكَ غَوائِلُ الأَجَلِ (٦)

خُلُقٌ كأنفاسِ الرِّياضِ إذا * أَسْحَرْنَ غِبَّ العارِضِ الهَطِلِ (٧)

---

(١) الضارى : الجرىء المعوّد على الصيد . (٢) لم يثنه : لم يصرفه . والمريب : ذو الريبة . يريد به هنا : المتهم فى وطنيته ، المشكوك فى إخلاصه لبلاده . (٣) الأوطار : جمع وطر، وهو البغية والحاجة . (٤) فى منزليك ، أى الدنيا والآخرة .

(٥) ولد قاسم أمين سنة ١٨٦٥ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر سافر الى فرنسا حيث درس الحقوق ، وعاد فى سنة ١٨٨٥ ، ثم تدرج فى المناصب القضائية حتى صار قاضيا بمحكمة الاستئناف الأهلية ؛ وهو أول من نادى بتحرير المرأة المصرية ، وله فى ذلك كتابان : (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) . واشترك أيضا فى الدعوة الى إنشاء الجامعة مع صديقه المرحوم سعد زغلول باشا ؛ وتوفى رحمه الله فى ٢٢ أبريل سنة ١٩٠٨ م عن ثلاث وأربعين سنة .

(٦) الغوائل : الدواهى المهلكة ، الواحدة غائلة .

(٧) أسحر : صار فى السحر . والعارض : السحاب المعترض فى الأفق . والهطل : المتتابع المطر، العظيم القطر . والنسيم المنبعث عن الرياض أنق ما يكون عقب المطر وفى السحر .

وشمائـلٌ لـو أنها مُزِجَتْ * بطبائِـعِ الأيّـام لم تَحُـلِ (١)

جَـمُّ المحامِـدِ غيرُ مُتَّهَـمٍ * جَـمُّ التَّواضُـعِ غيرُ مُبتَـذَلِ (٢)

يا دَوْلَةَ الأخـلاقِ رافِـلَةً * مِنْ (قاسِمٍ) فى أبْهجِ الحُلَلِ (٣)

كيف انطَوَيْتِ به على عَجَلٍ * أكذا تكونُ مصارِعُ الدُّوَلِ؟

يا طالِعًا للشَّـرْقِ لَجَّ بـه * نحْسُ النُّحوسِ فقَـرَّ فى (زُحَلِ) (٤)

هـلّا وَصَلْتَ سُـراكَ مُنتقِلًا * عَلَّ السُّعودَ تكونُ فى النُّقَلِ

مالى أرَى الأجْـداثَ حالِيَـةً * وأرَى رُبُوعَ النِّيـلِ فى عَطَـلِ (٥)

فاذا الكِنانَةُ أطْلَعَتْ رَجُـلًا * طاحَ القَضاءُ بذلك الرَّجُـلِ (٦)

أوَ كلّما أرسَلْتُ مَرْثِيَـةً * مِنْ أدْمُعِى فى إثْرِ مُرْتَحِـلِ

هاجَتْ بِىَ الأخْرَى دَفِـينَ أسًى * فوَصَلْتُ بين مَدامِعِ المُقَـلِ (٧)

إنْ خانَنِى فـيما بَخِعْتُ به * شِعْرِى فهـذا الدمعُ يَشْفَعُ لِى

ولقَـدْ أقـولُ وما يُطاوِلُنِى * عنـدَ البَدِيهَةِ قَـوْلُ مُرْتَجِـلِ: (٨)

يا مُرْسِـلَ الأمْثـالِ يَضْرِبُها * قـد عَزَّ بعدَكَ مُرْسَـلُ المَثَلِ

---

(١) لم تحل، أى لم تحول ولم تتغير. والمعنى أن شمائله من الثبات على الخير بحيث لو مزجت بطبائع الأيام المتقلبة لأكسبتها ثباتا على ما يحب الناس. (٢) المبتذل: الممتهن.

(٣) رافلة: تجر الذيل متبخترة. (٤) لج به: ألح عليه. وزحل: كوكب معروف من الخنس، وهو عنـد المنجمين كوكب نحس. (٥) الأجداث: القبور؛ الواحد جدث (بالتحريك). وحالية: مزدانة. والعطل: التجرد عن الزينة. (٦) طاح به: ذهب به.

(٧) «هاجت بى الأخرى» الخ، أى أثارت المرثية الأخرى ما خفى من حزنى. (٨) طاوله: غالبه.

(١)
يا رائشَ الآراءِ صائبَةً * يرمي بِهنّ مَقاتِلَ الخَطَلِ
(٢)
للهِ آراءٌ شأَوْتَ بها * في الخالدِينَ نوابغَ الأُوَلِ
(٣)
قد كنتَ أشقانا بنا وكذا * يَشقَى الأبِيُّ بصُحْبَةِ الوَكَلِ
(٤)
لَهفي عليكَ قضَيْتَ مُرْتَجِلًا * لم تَشْكُ ، لم تَسْتَوْصِ ، لم تَقُلِ
(٥)
غَلَّ القضاءُ يدَ القضاءِ فذا * يَبكي عليكَ وذاكَ في جَذَلِ

شَغَلَتْكَ عن دُنياكَ أربعةٌ * والمرءُ من دُنياهُ في شُغُلِ:
(٦)
حقٌّ تُناصِرُه ومفخَرَةٌ * تَمْشي إليها غيرَ مُنتَحِلِ
(٧)
وحقائقٌ للعِلْمِ تَنْشُدُها * ما لِلحكيمِ بهنّ مِن قِبَلِ
(٨)
وفضيلةٌ أعيَتْ سِواكَ فلَمْ * تَمْدُدْ إليه يدًا ولم يَصِلِ
(٩)
إنْ رَيْتَ رأيًا في الحِجابِ ولَمْ * تُعْصَمْ ، فتِلْكَ مَراتبُ الرُّسُلِ

---

(١) الرائش : الذي يلزق الريش على السهم ليكون أسرع في مضيه إلى الغرض . والخطل (بالتحريك) : الخطأ والفساد . (٢) شأوت : سبقت . (٣) الوكل (بالتحريك) : الضعيف العاجز الذي يكل أمره الى غيره . ويشير بهذا البيت الى ما لقيه الفقيد من ضروب النقد الشديد والطعن الجارح حين أخرج كتابيه : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) . (٤) قضيت مرتجلا ، أي مت من غير علة ظاهرة . وتستوصى ، أي توصى . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة استوصيت بمعنى أوصيت .

(٥) القضاء (الأول) ، بمعنى الموت (والثاني) بمعنى الفصل في الخصومات . والجذل (بالتحريك) : الفرح . (٦) المنتحل : الذي يدعى لنفسه ما لغيره . (٧) تنشدها : تطلبها . والقبل : الطاقة . (٨) أعيت : أعجزت ، ولم تمدد ... الخ ، أي لم تمدد الفضيلة الى سواك يدا ولم يصل إلى نوالها . (٩) ريت : رأيت ، لحذف الهمزة للوزن . ويشير بهذا البيت الى دعوة الفقيد إلى سفور المرأة . وتلك ، أي العصمة .

الحُكْمُ للأيّامِ مَرْجِعُــه * فِــيما رأيْتَ فــنَمْ ولا تَسَــلِ

وكذا طُهاةُ الرأى تَتْرُكه (١) * للدَّهرِ يُنْضِجُه عــلى مَهَــلِ

فاذا أصَبْتَ فأنتَ خــيرُ فَــتًى * وَضَــعَ الدَّواءَ مَواضِعَ العِــلَلِ

أوْلا ، فَحَسْبُكَ ما شَرُفْتَ بــه * وتَرَكْتَ فى دُنْيـاكَ مِنْ عَمَلِ

واهًا عــلى دارٍ مَرَرْتُ بهــا (٢) * قَفْــرًا وكانت مُلْتَقَى السُّبُلِ

أَرْخَصْتُ فيهـا كلَّ غالِيَــةٍ (٣) * وذَكَرْتُ فيهـا وَقْفَةَ الطَّلَلِ

ساءَلْتُها عن (قاسِمٍ) فأبَتْ * رَدَّ الجَــوابِ فرُحْتُ فى خَبَلِ (٤)

مُتَعَــثِّرًا يَنْتابُنِى وَهَنٌ (٥) * مُتَرَنِّحًــا كالشَّارِبِ الثَّمِــلِ

مُتَذَكِّرا يــومَ (الإمامِ) بــه (٦) * يــومَ انْتُــوِيتُ بذلكَ البَطَــلِ

يومَ احْتَسَبْتُ (٧) وكنتُ ذا أمَلٍ * تحتَ الــتُّرابِ بقيّــةَ الأمَــلِ

جاوِرْ أحِبّتَــكَ الأُلَى ذَهَبــوا * بالعَــزْمِ والإقْــدامِ والعَمَــلِ

واذْكُرْ لهــم حاجَ (٨) البِــلادِ إلى * تــلكَ النُّهَى فى الحـادِثِ الجَلَلِ

---

(١) شبه فى هــذا البيت صاحب الرأى يرسله فى النــاس ويتركه ينفذ الى عقولهم شــيئا فشيئا حتى يثبت ، بطاهى الطعام الذى يضعه على النــار تنضجه شيئا فشيئا حتى يتم نضجه ، ويصــير صالحا لتناوله .

(٢) يريد «بالدار» دار الفقيد . وملتقى السبل ، أى مجمع الوافدين من كل طريق . ونصب «قفرا» على الحال .

(٣) الغالية ، أى الدمعة الغالية التى لا تسيل إلا فى أشدّ المصائب . والطلل (بالتحريك) : الشاخص من آثار الدار .

(٤) الخبل : الجنون .

(٥) الوهن : الضعف . والمترنح : المتمايل سكرا . والثمل : النشوان .

(٦) الإمام ، هو المرحوم الشيخ محمد عبده . ويوم انتويت به ، أى يوم رمانى فيه الزمان وقصدنى بمكروهه .

(٧) احتسبه : قدّمه واعتدّه فيما يدخر عند الله .

(٨) الحاج : جمع حاجة .

قُلْ (للإمامِ) إذا الْتَقَيْتَ بِـهِ * فى الجَنَّتَيْنِ بأكْرَمِ النُّزُلِ:

إنّ الحَقِيقَةَ أصْبَحَتْ هَدَفًا * للرّاكبِينَ مَراكِبَ الزَّلَلِ

للهِ آثارٌ لكم خَلَدَتْ * صاحَ الزّوالُ بها فلم تَزُلِ

للهِ أيّامٌ لكم دَرَجَتْ (١) * طالَتْ عَوارِفُها ولم تَطُلِ

نِعْمَ الظِّلالُ لوَ انّها بَقِيَتْ * أو أنّ ظِلًّا غيرُ مُنْتَقِلِ

ذكرى مصطفى كامل باشا

أنشدها فى المحفل الذى أقيم عند قبره لإحياء ذكراه الأولى

[نشرت فى ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩ م]

طُوفُوا بأرْكانِ هٰذا القَبْرِ واسْتَلِمُوا (٢) * واقْضُوا هُنالِكَ ما تَقْضِى به الذِّمَمُ

هُنا جَنانٌ تَعالَى اللهُ بارِئُه * ضاقَتْ بآمالِه الأقْدارُ والهِمَمُ

هُنا فَمٌ وبَنانٌ لاحَ بَيْنَهُما * فى الشّرْقِ فَجْرٌ تَمَشَّى ضَوْءُهُ الأُمَمُ

هُنا فَمٌ وبَنانٌ طالَما نَثَرَا * نَثْرًا تَسِيرُ به الأمْثالُ والحِكَمُ

هنا الكَمِيُّ (٣) الّذى شادَتْ عَزائمُه * لِطالِبِ الحَقِّ رُكْنًا لَيسَ يَنْهَدِمُ

هُنا الشّهِيدُ، هُنا رَبُّ اللّواءِ (٤)، هُنا * حامِى الذِّمارِ، هُنا الشَّهْمُ الّذى عَلِمُوا

---

(١) درجت : مضت وذهبت . والعوارف : جمع عارفة ، وهى العطية والمعروف ، فاعلة بمعنى مفعولة .

(٢) استلم القبر : لمسه أو لمسه بيده . (٣) الكمى : الشجاع . (٤) اللواء : الصحيفة التى كان يصدرها الفقيد . والذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته والدفاع عنه .

يأيها النائم الهانى بمضجعه * ليهنك النوم لا همّ ولا سقم

باتت تسائلنا فى كل نازلة * عنك المنابر والقرطاس والقلم

تركت فينا فراغاً ليس يشغله (١) * إلا أبىّ ذكىّ القلب مضطرم

منفّر النوم (٢) سبّاق لغايته * آثاره عمم آماله أمم

إنى أرى وفؤادى ليس يكذبنى * روحاً يحفّ بها الإكبار والعظم

أرى جلالا، أرى نوراً، أرى ملكا * أرى محيّا (٣) يحيينا ويبتسم

الله أكبر، هذا الوجه أعرفه * هذا فتى النيل هذا المفرد العلم

غضّوا العيون وحيّوه تحيته * من القلوب إذا لم تسعد (٤) الكلم

وأقسموا أن تذودوا (٥) عن مبادئه * فنحن فى موقف يحلو به القسم

لبيك نحن الألى حركت أنفسهم * لما سكنت ولما غالك (٦) العدم

جئنا نؤدى حساباً عن مواقفنا * ونستمد ونستعدى (٧) ونحتكم

قيل اسكتوا فسكتنا ثم أنطقنا * عسف (٨) الجفاة وأعلى صوتنا الألم

قد اتّهمنا ولما نطلب (٩) جللا * إن الضعيف على الحالين متّهم

(١) مضطرم، أى مشتعل غيرة وحمية . (٢) منفر النوم : مسهد . وعمم، أى عامة شاملة .

(٣) المحيا : الوجه . (٤) أسعده : أعانه .

(٥) تذودوا : تدفعوا . (٦) غاله : أهلكه .

(٧) نستمد : نطلب المدد، أى المعونة . ونستعدى : نستنصر .

(٨) العسف : الظلم . ويريد «بالجفاة» : المحتلين . (٩) اطلب : طلب . والجلل : الأمر العظيم .

قالوا: لقد ظلموا بالحقّ أنفسَهم * واللهُ يعلمُ أنّ الظالمين هُمُ

إذا سكتنا تناجَوْا، تلك عادتُهم * وإنْ نطقنا تنادَوْا: فتنةٌ عَمَمُ (١)

قد مرَّ عامٌ بنا والأمرُ يحزُبنا * آنًا وآونةً تنتابُنا النِّقَمُ (٢)

فالناسُ في شدّةٍ والدهرُ في كَلَبٍ * والعيشُ قد حارَ فيه الحاذقُ الفَهِمُ (٣)

ولِلسِّياسةِ فينا كلَّ آونةٍ * لونٌ جديدٌ وعهدٌ ليس يُحترَمُ

بينا نرى جمرَها تُخشى ملامسُه * إذا به عند لمسِ المُصطلي فَحَمُ (٤)

تُصغي لأصواتنا طورًا لتخدعَنا * وتارةً يزدهيها الكِبْرُ والصَّمَمُ

فمن مُلاينةٍ أستارُها خُدَعٌ * إلى مُصالَبةٍ أستارُها وَهَمُ (٥)

ماذا يريدون؟ لا قرّتْ عيونُهمُ * إنّ الكِنانةَ لا يُطْوَى لها عَلَمُ

كم أمّةٍ رغبتْ فيها فما رسختْ * لها — على حَوْلِها — في أرضِها قَدَمُ (٦)

ما كان ربُّك ربُّ البيتِ تاركَها * وهيَ التي بحبالٍ منه تعتصمُ (٧)

لبّيكَ إنّا على ما كنتَ تعهدُه * حتّى نسودَ وحتّى تشهدَ الأُمَمُ

فيعلمَ النيلُ أنّا خيرُ مَنْ وردُوا * ويستطيلَ اختيالًا ذلك الهَرَمُ

---

(١) تناجوا: تساروا.

(٢) حزبه الأمر: اشتدّ عليه وضغطه.

(٣) كلب الدهر (بالتحريك) شدّته و إلحاحه بما يسوء.

(٤) يريد بهذا البيت: أن للسياسة أحوالا مختلفة فحينا تكون نارا حامية، وحينا فحمة باردة.

(٥) الوهم (بسكون الهاء)، معروف. وحركه الشاعر للضرورة.

(٦) رسخت: ثبتت. والحول: القوة.

(٧) البيت: الكعبة.

هــذا الغِراسُ الّذى والَيْتَ مَنْبِتَه * بخَيْرِ ما والَت الأضْـواءُ والنَّسَمُ (١)

أَمْسَى وأَضْحَى وعَيْنُ اللهِ تَحْرُسُـه * حتّى نَمَا وحَلاهُ المَجْـدُ والشَّمَمُ

فانْظُرْ إليه وقد طالَتْ بَواسِـقُه * تَهْنَأْ به ولأنْفِ الحاسِـدِ الرَّغَمُ (٢)

يأَيُّها النَّشْءُ سِـيرُوا فى طَرِيقَتِه * وثابِرُوا، رَضِىَ الأعْداءُ أو نَقِمُوا

فكلُّكُم (مُصْطَفى) لو سارَ سِيرَتَه * وكُلُّكُمْ (كامِلٌ) لو جازَه السَّأَمُ (٣)

قد كان لا وانِيـًا يوماً ولا وَكِلاً * يَسْتَقْبِلُ الخَطْبَ بسّـامًا ويقْتَحِمُ (٤)

وأنتَ ياقَـبْرُ قَـد جِئْنا على ظَمَإٍ * فجُـدْ لنا بجَـوابٍ، جادَكَ الدِّيَمُ (٥)

أينَ الشَّبابُ الّذى أَوْدعْتَ نَضْرَتَه * أينَ الخِلالُ ــ رَعاكَ اللهُ ــ والشِّيَمُ؟ (٦)

وما صَـنَعْتَ بآمالٍ لنـا طُوِيَتْ * ياقَبْرُ فيكَ وعَفَّى رَسْمَهـا القِـدَمُ؟ (٧)

أَلَا جَوابٌ يُرَوِّى مِنْ جَوانِحنـا * ما لِلقُبُـورِ اذا ما نُودِيَتْ تَجِـمُ؟ (٨)

نَمْ أنتَ، يَكْفِيكَ ماعانَيْتَ مِنْ تَعَبٍ * فنحن فى يَقْظَةٍ والشَّـمْلُ مُلْتَئِمُ

هــذا (لِواؤُكَ) خَفّاقٌ يُظَلِّلُنـا * وذاكَ شَخْصُكَ فى الأَكْبادِ مُرْتَسِمُ

---

(١) واليت منبته، أى لم تنقطع عن تعهـده . والنسم (محركة) والنسيم : (كلاهما) نفس الريح؛ وقيل : النسم أوّل هبوبها . «وبخير ما والت» الخ، أى بأحسن ما تمدّ الشمس والنسيم حياة النبات .
(٢) البواسق : ماطال وارتفع من الأشجار . والرغم (بالسكون، وحرك وسطه للضرورة) : التراب . ولأنفه الرغم : كناية عن الذلة والمهانة . (٣) جازه : جاوزه . (٤) الوكل (محركة) : العاجز الذى يكل أمره إلى غيره . (٥) الديم : جمع ديمة، وهى السحابة التى يدوم مطرها فى سكون بلا رعد ولا برق؛ ويقال : جادته الديم، إذا أصابته بغزير مائها . وهو كناية عن الدعاء بالخير والنعيم .
(٦) الخلال : الخصال . (٧) الرسم : مابقى من آثار الديار . وعفاه القدم : محاه وطمس آثاره
(٨) وجم يجم : سكت عن الكلام وعجز من كثرة الغم .

رثاء تولستوى (١)

[نشرت فى نوفبر سنة ١٩١٠ م]

رَثاكَ أَميرُ الشِّعْرِ فى الشَّرْقِ وانْبَرى (٢) * لِمَدْحِكَ مِنْ كُتَّابِ مِصْرَ كَبِيرُ

ولَسْتُ أُبالِى حِينَ أَرْثِيكَ بَعْدَه * إذا قِيلَ عَنِّى قَدْ رَثاهُ صَغِيرُ

فقد كنتَ عَوْنا للضَّعِيفِ وإنَّنى * ضَعِيفٌ ومالِى فى الحَياةِ نَصِيرُ

ولَسْتُ أُبالِى حِينَ أَبْكِيكَ لِلْوَرَى * حَوَتْكَ جِنانٌ أمْ حَواكَ سَعِيرُ (٣)

فإنِّى أُحِبُّ النابِغِينَ لِعِلْمِهِمْ * وأَعْشَقُ رَوْضَ الفِكْرِ وهو نَضِيرُ

دَعَوْتَ الى عِيسَى فضَجَّتْ كَنائِسٌ * وهُزَّ لها عَرْشٌ ومادَ سَرِيرُ (٤)

وقال أُناسٌ إنَّهُ قَوْلُ مُلْحِدٍ * وقال أُناسٌ إنَّه لَبَشِيرُ

---

(١) ولد تولستوى الفيلسوف الروسى المشهور فى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٨ م . وقد عاش فى أملاكه يزرعها ويقسم ماتغله بينه وبين فلاحيه ، ثم وزعها بينهم على الرغم من معارضة ذويه له . ومن كتبه : (الحرب والسلام) و(أين المخرج) . وله من الروايات المشهورة : (البعث) و(القيامة) . واتهم فى آخر حياته بالخروج على الكنيسة ، فحكمت بكفره ، وكانت وفاته فى ٢١ نوفبر سنة ١٩١٠ م .

(٢) يريد « بأمير الشعر » : المرحوم أحمد شوقى بك ، وله فى رثاء تولستوى قصيدة مطلعها :

«تلستو» تجرى آية العلم دمعها * عليك ويبكى بائس وفقير

ويريد « بالكاتب الكبير » : الأستاذ أحمد لطفى السيد وقد رثى تولستوى بكلمة صدر بها الجريدة ، وعنوانها : (مات الرجل) نشرت فى ٢٤ نوفبر سنة ١٩١٠ م .

(٣) «حوتك جنان» الخ ، أى أنه لا يبالى حين يرثيه أكان الفقيد مؤمنا أم كافرا .

(٤) ماد : اضطرب .

وَلَوْلَا حُطامٌ رَدَّ عنكَ كِيادَهُم (١) * لَضِقْتَ بِهِ ذَرْعًا وساءَ مَصِيرُ

ولكنْ حَماكَ العِلْمُ والرأْىُ والحِجا * ومالٌ ــ اذا جَدَّ النِّزالُ ــ وَفِيرُ

إذا زُرْتَ رَهْنَ المَحْبَسَيْنِ بحُفْرَةٍ (٢) * بها الزُّهْدُ ثاوٍ والذَّكاءُ سَتِيرُ

وأَبْصَرْتَ أُنْسَ الزُّهْدِ فى وَحْشَةِ البِلَى * وشاهَدْتَ وَجْهَ الشَّيْخِ (٣) وهو مُنِيرُ

وأَيْقَنْتَ أَنَّ الدِّينَ لِلّهِ وَحْدَهُ * وانّ قُبُورَ الزاهِدِينَ قُصُورُ

فقِفْ ثمَّ سَلِّمْ واحْتَشِمْ (٤) إنَّ شَيْخَنا * مَهِيبٌ على رَغْمِ الفَناءِ وَقُورُ

وسائِلْهُ عمّا غابَ عَنْكَ فإنّه * عَلِيمٌ بأَسْرارِ الحَياةِ بَصِيرُ

يُخَبِّرُكَ الأَعْمَى وإنْ كُنْتَ مُبْصِرًا * بما لَمْ تُخَبِّرْ أَحْرُفٌ وسُطُورُ

كأَنِّى بِسَمْعِ الغَيْبِ أَسْمَعُ كُلَّ ما * يُجِيبُ بِهِ أُسْتاذُنا ويُحِيرُ (٥)

يُنادِيكَ : أَهْلًا بالّذى عاشَ عَيْشَنا (٦) * وماتَ ولَمْ يَدْرُجْ إليهِ غُرُورُ

قَضَيْتَ حَياةً مِلْؤُها البِرُّ والتُّقَى * فأَنْتَ بأَجْرِ المُتَّقِينَ جَدِيرُ

وسَمَّوْكَ فيهم فَيْلَسُوفًا وأَمْسَكُوا * وما أَنْتَ إلا مُحْسِنٌ ومُجِيرُ

وما أَنْتَ إلّا زاهِدٌ صاحَ صَيْحَةً * يَرِنُّ صَداها ساعَةً ويَطِيرُ

---

(١) الحطام : المال . والكياد : المكايدة . يشير الى ثروة تولستوى التى كان يملكها ثم نزل عنها بعد وفرقها بين الفقراء . وقد ذكر ذلك فى ترجمته . (٢) رهن المحبسين ، هو أبو العلاء المعرى ، سمى نفسه به ، وكان لزم بيته فلم يخرج منه مطلقا ، فأراد بأحد المحبسين : البيت . وبالآخر : العمى . وثاو : مقيم . وستير ، يريد أنه مستور ، بمعنى مدفون . (٣) يريد «بالشيخ» : أبا العلاء .

(٤) الاحتشام : الحياء . (٥) أحار الجواب يحيره : ردّه .

(٦) عيشنا ، أى عيش الزاهدين . ويدرج : يمشى .

سَلَوْتَ عن الدُّنيا ولكنّهم صَبَوْا * إليها بما تُعْطِيهِمُ وتَمِيرُ (١)

حياةُ الوَرَى حَرْبٌ وأنتَ تُريدها * سَلامًا وأسبابُ الكِفاحِ كَثِيرُ

أبَتْ سُنّةُ العُمْرانِ إلّا تَناحُرًا * وكَدْحًا ولو أنّ البَقاءَ يَسِيرُ

تُحاوِلُ رَفْعَ الشَّرِّ والشَّرُّ واقِعٌ * وتَطْلُبُ مَحْضَ الخَيْرِ وهوَ عَسِيرُ

ولولا امْتِزاجُ الشَّرِّ بالخَيْرِ لم يَقُمْ * دَلِيلٌ على أنّ الإلٰهَ قَدِيرُ

ولم يَبْعَثِ اللهُ النَّبِيِّينَ للهُدَى * ولَمْ يَتَطَلَّعْ للسَّرِيرِ أَمِيرُ

ولَمْ يَعْشَقِ العَلْياءَ حُرٌّ ولَمْ يَسُدْ * كَرِيمٌ ولَمْ يَرْجُ الثَّراءَ فَقِيرُ

ولو كانَ فِينا الخَيْرُ مَحْضًا لَمَا دَعَا * الى اللهِ داعٍ أو تَبَلَّجَ نُورُ (٢)

ولا قِيلَ هٰذا فَيْلَسُوفٌ مُوَفَّقٌ * ولا قِيلَ هٰذا عالِمٌ وخَبِيرُ

فكَمْ فِي طَرِيقِ الشَّرِّ خَيرٌ ونِعْمَةٌ * وكم في طَرِيقِ الطَّيِّباتِ شُرُورُ (٣)

ألَمْ تَرَ أنّي قُمْتُ قَبْلَكَ داعِيًا * الى الزُّهْدِ لا يَأْوِي الىَّ ظَهِيرُ (٤)

أطاعُوا (أَبِيقُورًا) و(سُقْراطَ) قَبْلَه * وخُولِفْتُ فِيما أرْتَئِي وأُشِيرُ (٥)

---

(١) صبا : مال وحن . وتميرهم : تأتيهم بالميرة ، وهى الطعام .

(٢) تبلج : أشرق . (٣) يلاحظ أن الرفع فى قوله «شرور» آخر البيت لضرورة حركة الروى ، وإلا فالوجه نصبه على الأرجح ، للفصل بينه وبين « كم » الخبرية بجار ومجرور : أو جره ، على مذهب بعض النحويين . (٤) الظهير : المعين . (٥) ولد ابيقور الفيلسوف الإغريقى سنة ٣٤٢ ق م فى جزيرة ساموس ، وأسس فى أثينا مدرسة فى حديقة منزله . وتوفى سنة ٢٧٠ ق م . واشتهر دعوته إلى طلب اللذات فى الحياة ، وأخطأ الناس ففهموا من فلسفته الإباحية المطلقة . وسقراط : فيلسوف يونانى معروف ، عاش من سنة ٤٦٨ ق م الى سنة ٤٠٠ ق م . ولم يعرف مذهبه فى اللذة بالضبط ؛ من أجل ذلك وجدت مذاهب مختلفة بعده تنسب اليه ، منها مذهب اللذة .

ومتُّ ماتد ...ع طامعٍ * عليها ولا أَلْقَى القِيادَ ضمير (١)

إذا هـ...تْ للظُّلم ...رٌ تَشَيَّدَتْ * له فوقَ أَكْتافِ الكَواكِبِ دُور

أفاضَ ...نا فى النَّصِيحةِ جاهِدًا * وماتَ كِلانا والقُلُوبُ صُخُور

فكَمْ قِيلَ عَنْ كَهْفِ المَساكِينِ باطِلٌ * وكَمْ قِيلَ عنْ شَيْخِ (المَعَرَّةِ) زُور (٢)

وما صَدَّ عَنْ فِعْلِ الأَذَى قَوْلُ مُرْسَلٍ * وما راعَ مَفْتُونَ الحَياةِ نَذِير (٣)

رثاء رياض باشا (٤)

أنشدها على قبره فى حفل الأربعين

[نشرت فى ٢٩ يوليه سنة ١٩١١ م]

(رِياضُ) أَفِقْ مِنْ غَمْرَةِ المَوْتِ واسْتَمِعْ (٥) * حَدِيثَ الوَرَى عَنْ طِيبِ ما كُنْتَ تَصْنَعُ

أَفِقْ واسْتَمِعْ مِنِّى رِثاءً جَمَعْتُهُ * تُشارِكُنى فيهِ البَرِيَّةُ أَجْمَعُ

لِتَعْلَمَ ما تَطْوِى الصُّدُورُ مِنَ الأَسَى * وتَنْظُرَ مَقْرُوحَ الحَشا كَيْفَ يَجْزَعُ

(١) عليها ، أى على الأرض . وإلقاء القياد : كناية عن الإذعان والطاعة . والقياد بالكسر : الحبل يقاد به .

(٢) كهف المساكين : ملجؤهم . ويريد به هنا : تولستوى . وشيخ المعرة ، هو أبو العلاء المعرى السابق ذكره . ويريد بهذا البيت . أن كلا الرجلين قد اتهم بما ليس فيه ، ورماه الناس فى عقيدته ومذهبه بما هو برىء منه .

(٣) راعه : أفزعه . والمفتون : المخدوع .

(٤) كان رياض باشا من رجال عباس باشا الأول ، وتولى عدة مناصب عالية فى عهد إسماعيل وتوفيق وعباس الثانى ، وأسندت اليه رآسة مجلس النظار ثلاث مرات ، وترك الحكم فى ١٤ أبريل سنة ١٨٩٤ م ، وتوفى بالأسكندرية فى ١٧ يونيه سنة ١٩١١ وكان معروفا بالعدل والشدة فى تنفيذ الأحكام ، وكانت له أياد بيضاء فى تنظيم شؤون الداخلية .

(٥) الغمرة : الشدة .

لئن تكُ قد عُمِّرتَ دهرًا لقد بكى * عليكَ مع الباكى خلائقُ أربعُ:

مَضاءٌ وإقدامٌ وحزمٌ وعزمةٌ * منَ الصّارمِ المصقولِ أمضى وأقطعُ (١)

رُحمتَ ، فما جاهٌ ينوّه فى العلا * بصاحبِه إلّا وجاهُكَ أوسعُ (٢)

ولا قامَ فى أيامكَ البيضِ ماجدٌ * يُنازِعك البابَ الّذى كنتَ تقرعُ

إذا قيلَ : مَنْ للرّأى فى الشّرقِ أومأتْ * إلى رأيكَ الأعلى منَ الغربِ أصبعُ (٣)

وإنْ طلعتْ فى (مصرَ) شمسُ نباهةٍ * فمِنْ بيتِكَ المعمورِ تبدو وتطلُعُ

حكمتَ فما حكّمتَ فى قصدِكَ الهوى * طريقُكَ فى الإنصافِ والعدلِ مهيَعُ (٤)

وقد كنتَ ذا بطشٍ ولكنّ تحتَه * نزاهةَ نفسٍ فى سبيلِكَ تشفعُ (٥)

وقفتَ (لإسماعيلَ) والأمرُ أمرُه * وفى كفِّه سيفٌ منَ البطشِ يلمعُ (٦)

إذا صاحَ لبّاهُ القضاءُ وأسرعتْ * إلى بابِه الأيّامُ ، والناسُ خُشّعُ

يُذِلُّ — إذا شاءَ — العزيزَ وترتقى * إرادتُه رفعَ الذليلِ فيرفَعُ

ففى كرّةٍ منْ لحظِه وهو عابسٌ * تُدَكُّ جبالٌ لم تكنْ تتزعزعُ (٧)

---

(١) الصارم المصقول : السيف المجلو . (٢) نوّه به : رفع ذكره .

(٣) أومأت : أشارت . (٤) المهيع من الطريق : البين الواضح .

(٥) يقول : إن ابتعاد الفقيد عما يدنس أرباب الحكم من المظالم كان يشفع له عند الناس اذا أخذهم بالقسوة والعنف فى تنفيذ الأحكام . (٦) يشير الى معارضته (اسماعيل باشا) الخديوى عند ما أراد نفى (اسماعيل باشا صديق) ، وكان رياض باشا الرجل الوحيد الذى عارض فى هذا النفى ، وطلب محاكمته علنا ليعلم جرمه .

(٧) تدك : تهدم .

وفى كَرّة مِنْ لَحْظِه وهـو باسِمٌ * تَسِيلُ بحارٌ بالعطاءِ فتَمْرَعُ (١)

فما أَغْلَبٌ شاكِى العَـزِيمَةِ أَرْوَعٌ * يُصارِعُه فِى الغابِ أَغْلَبُ أَرْوعُ (٢)

بأَجْرأَ مِنْ ذاكَ الوَزِيرِ مُصادِمًا * إرادةَ (إسْماعيلَ) والموتُ يَسْمعُ (٣)

وفى الثَّوْرَةِ الكُبْرَى وقد أَحْدَقَتْ بِنا * صُرُوفُ اللَّيالِى والمَنِيَّةُ مَشْرَعُ (٤)

نَظَرْتَ الى (مِصْر) فساءَكَ أَنْ تَرَى * حُلاهَا بأَيْدِى المُسْتَطِيلِينَ تُنْزَعُ (٥)

ولَمْ تَسْتَطِعْ صَبْرًا على هَتْكِ خِدْرِها * ففارَقْتَها أَسْوانَ والقَلْبُ مُوجَعُ (٦)

وعُدْتَ اليها حِينَ ناداكَ نِيلُها : * أَقِلْ عَثْرَتِى فالقَوْمُ فى الظُّلْمِ أَبْدَعُوا (٧)

فكنتَ (أبا مَحْمُودَ) غَوْثًا وعِصْمَةً * اليكَ دُعاةُ الحَقِّ تأوِى وتَفْزَعُ (٨)

وكم نابِغٍ فى أَرْضِ (مِصْرَ) حَمَيْتَه * ومِثْلُكَ مَن يَحْمِى الكَرِيمَ ويَمْنَعُ (٩)

---

(١) تمرع ، أى تفيض بالخصب والخير . (٢) الأغلب : الأسد ، لغلظ رقبته . وشاكى العزيمة ، أى ذو شوكة وحدّة فى عزيمته . والأروع : من يعجبك بشجاعته . (٣) والموت يسمع : كناية عن قربه .

(٤) أحدقت بنا : أحاطت . وصروف الليالى : نوائبها . والمشرع : المورد .

(٥) المستطيلون : المتجبرون . (٦) الأسوان : الحزين .

(٧) العثرة : الكبوة والزلة . وإقالتها : إنهاض صاحبها والأخذ بيده . يشير بهذا البيت والأبيات الثلاثة قبله : إلى هجرة الفقيد من مصر إلى أوربا ، عند ما ثار الضباط فى عهد إسماعيل فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ م ، لأن ناظر المالية إذ ذاك السير (ريفريس ولس) رأى أن يرفت ٢٥٠٠ ضابط على سبيل الاقتصاد من غير أن يدفع لهم المتأخر من مرتباتهم ، فتظاهروا أمام نظارة المالية ، وأوسعوا نوبار باشا رئيس النظار و (ولس) لكما وضربا ، وكادوا ينالون من الفقيد ، وكان وزيرا للداخلية فى هذه الوزارة ؛ وقد بقى الفقيد فى أوربا حتى دعاه المغفور له توفيق باشا لتولى رآسة النظار ، فعاد إلى مصر فى ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ م . (٨) منع الشاعر (محمودا) من الصرف لضرورة الشعر . (٩) يشير بقوله « وكم نابغ » والأبيات الأربعة الآتية بعد : إلى ترحيب الفقيد وتعضيده للسيد جمال الدين الأفغانى حينما ترك الآستانة إلى مصر سنة ١٨٧١ وإلى ما كانت تمدّه به حكومة رياض من مساعدة مالية ، ذلك إلى أنها رخصت له فى إلقاء محاضرات فى الأزهر لينشر آراءه ويستفيد الناس من علمه .

رَعَيتَ (جَمالَ الدِّينِ) ثُمّ اصْطَفَيْتَه * فَأَصْبَحَ فى أَفْياءِ جاهِكَ يَرْتَعُ (١)

وقد كانَ فى دارِ الخلافةِ ثاوِيًا * وفى صَدْرِه كَنْزٌ مِنَ العِلْمِ مُودَعُ (٢)

فَجِئتَ به والنّاسُ قد طالَ شَوقُهم * إلى أَلْمَعِىٍّ بالبَراهِينِ يَصْدَعُ (٣)

فَحَرّكَ مِن أَفهامِهم وعُقُولِهم * وعاوَدَهُم ذاكَ الذَّكاءُ المُضَيَّعُ

ووَلَّيتَ تَحرِيرَ الوَقائِعِ (عَبْدَهُ) * فَجاءَ بما يَشْفِى الغَلِيلَ ويَنْقَعُ (٤)

وكانتْ لِرَبِّ الناسِ فيه مَشِيئةٌ * فأَمْسَتْ إليه الناسُ فى الحَقِّ تَرْجِعُ (٥)

وجاءُوا (بإبراهيمَ) فى القَيْدِ راسِفًا * عليه مِنَ الإمْلاقِ ثَوبٌ مُرَقَّعُ (٦)

فأَلْفَيتَ مِلْءَ الثَّوبِ نَفْسًا طَمُوحةً * الى المَجْدِ مِنْ أَطْمارِها تَتَطَلَّعُ (٧)

فأَطْلَقْتَه مِنْ قَيْدِه وأَقَلْتَه * وما كانَ فى تِلكَ السَّعادةِ يَطْمَعُ

وكَمْ لك فى (مِصْرٍ) وفى (الشّامِ) مِنْ يَدٍ * لها أَينَ حَلَّتْ نَفْحَةٌ تَتَضَوَّعُ (٨)

---

(١) الأفياء : الظلال ؛ الواحد فىء .

(٢) ثاويا : مقيما .

(٣) الألمعى ، الذكى المتوقد . ويصدع بالبراهين : يجهر بها . (٤) عبده ، أى الشيخ محمد عبده ، وكان رياض باشا قد عهد إليه فى سنة ١٨٨٠ م بالإشراف على تحرير الوقائع المصرية حيث خصص فيها قسم للحركة الأدبية والعمرانية . والغليل : شدة العطش . ونقعه : إرواؤه .

(٥) أى وكانت لله مشيئة فى أن يكون الشيخ محمد عبده عظيم القدر ، موئلا للحق .

(٦) يريد بإبراهيم : ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى ما كان من طعن الهلباوى على الحكومة والمجىء به متهما أمام رياض باشا ، فأنس منه رياض ما سر به فعفا عنه ، وتولاه برعايته . (٧) نفسا طموحة ، أى مستشرفة إلى معالى الأمور ، متطلعة إليها . والمسموع ، طموح ، بلا تاء فى آخره ، للذكر والمؤنث . والأطمار : الخلق من الثياب ؛ الواحد طمر (بالكسر) . (٨) تتضوع : تنتشر رائحتها .

رَفَعْتَ عن الفلّاحِ عِبْءَ ضَرِيبَةٍ (١) * يَنُوءُ بها أَيّامَ لا غَوْثَ يَنْفَعُ

وأَرْهَبْتَ حُكّامَ الأقاليمِ فأَرْعَوُوْا (٢) * وكانوا أُناسًا فى الجَهالَةِ أَوْضَعُوا

تخافُوكَ حتّى لو تَناجَوْا بنَجْوَةٍ (٣) * لخالُوا (رِياضًا) فوقَهُمْ يَتَسَمَّعُ

أَقَمْتَ عليهمْ زاجِرًا مِنْ نُفوسِهِمْ * اذا سَوَّلَتْ أَمْرًا لهمْ قامَ يَردَعُ (٤)

سَلِ النّاسَ أَيّامَ الرُّشا مُسْتَفِيضَةٌ (٥) * وأَيّامَ لا تُجْنَى الّذى أنتَ تَزْرَعُ

أَكانَ (رِياضٌ) عنهمُ غيرَ غافِلٍ * يَرُدُّ الأَذَى عن أهلِ (مِصْرَ) ويَدْفَعُ

(أَمُؤْتَمَرَ الإصلاحِ) والعُرْفِ، قد مَضَى (٦) * (رِياضٌ) وأَوْدَى الوازِعُ المُتَوَرِّعُ

وكان علَى كُرْسِيِّهِ خيرَ جالِسٍ (٧) * لِهَيْبَتِهِ تَعْنُو الوُجُوهُ وتَخْشَعُ

فيا وَيْلَنا إنْ لَمْ تَسُدُّوا مَكانَهُ (٨) * بِذِى مِرَّةٍ فى الخَطْبِ لا يَتَضَعْضَعُ

(١) العبء : الحمل . وينوء بها : لم يستطع حملها والنهوض بها . والغوث : المعين والناصر . ويشير إلى الغاء رياض باشا بعض الضرائب ، وكان مجموع ما ألغى منها أربعا وعشرين ضريبة ، منها عوائد الجمارك الداخلية التى كان يتضجر منها الفلاحون ، والضريبة الشخصية ، وضريبة الوزن .

(٢) ارعوى : كف وانتهى . وأوضعوا فى الجهالة ، أى انغمسوا فيها واسترسلوا .

(٣) تناجوا : تساروا . والنجوة : ما ارتفع من الأرض . يريد المكان البعيد عن الرقباء .

(٤) يردع : يزجر .

(٥) الرشا : جمع رشوة (بتثليث الراء) ، وهى معروفة « وأيام لا تجنى » الخ ، أى أيام كان يحرم العامل ثمرة عمله .

(٦) يشير الى أثر الفقيد فى مؤتمر الإصلاح الذى انعقد فى سنة ١٩١١م ، وتوالت جلساته خمسة أيام . وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما النظر فى حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية . والثانى الرد على مطالب الأقباط التى طلبوها فى مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك فى ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان الفقيد رئيسا لهذا المؤتمر الإسلامى ، أو المؤتمر المصرى . وأودى : هلك . والوازع : الزاجر . والمتورع : المتحرج .

(٧) تعنو : تذل وتخضع .

(٨) المرة : القوة والعزيمة .

بَعيدِ مَرامِ الفِكرِ أمّا جَنانُه * فَرَحْبٌ ، وأمّا عِزُّه فمُمَنَّعُ (١)

فيا ناصِرَ المُستَضعَفينَ إذا عَدا * عليهم زَمانٌ بالعَداوَةِ مُولَعُ (٢)

عليكَ سَلامُ اللهِ ما قامَ بَيْنَنا * وَزِيرٌ على دَسْتِ العُلا يَتَرَبَّعُ (٣)

رثاء الشيخ على يوسف صاحب المؤيد (٤)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه بمنزل السادات

[نشرت فى ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ م]

صُونُوا يَراعَ (علِيٍّ) فى مَتاحِفِكُمْ * وشاوِرُوه لَدَى الأَرْزاءِ والنُّوَبِ

وآستَلْهِمُوه إذا ما الرَّأْىُ أخطأَكُمْ * يومَ النِّضالِ عن الأَوْطانِ والنَّشَبِ (٥)

قد كانَ سَلْوَةَ (مِصْرٍ) فى مَكارِهِها * وكانَ جَمْرَةَ (مِصْرٍ) ساعةَ الغَضَبِ

فى شِقِّه ومَرامِيهِ وريقَتِه * ما فى الأَساطِيلِ مِنْ بَطْشٍ ومِنْ عَطَبِ (٦)

كم رَدَّ عَنّا وعَيْنُ الغَرْبِ طامِحَةٌ * مِنَ الرَّزايا وكَمْ جَلَّى مِنَ الكُرَبِ (٧)

---

(١) الجنان : القلب . (٢) مولع : مغرم . (٣) الدست : المجلس .

(٤) ولد الشيخ على يوسف الكاتب المعروف صاحب المؤيد فى بلصفورة من أعمال مديرية جرجا ، وحفظ القرآن ، وتلق مبادئ العلوم فى بلدة بنى عدى من أعمال منفلوط ، ثم أرسل الى الأزهر فتعلم فيه بعض علوم اللغة والدين ، وأنشأ جريدة المؤيد ، ظهر أول عدد منها فى ديسمبر سنة ١٨٨٩ م ، وكان المرحومان رياض باشا وسعد زغلول باشا من أكبر أنصاره على القيام بعبء هذه الصحيفة ؛ وتوفى فى سنة ١٩١٣ م ، وكان كاتبا معروفا بالجدل وقوة الحجة ، وتولى مشيخة سجادة الوفائية .

(٥) النشب : المال . (٦) ريقة القلم : مداده . والعطب : الهلاك .

(٧) جلى : كشف .

له صَـــريرٌ اذا جَـــدَّ الـــنِّزالُ به * يُنْسِى الكُماةَ صَليلَ البِيضِ والقُضُبِ (١)

ما ضَرَّ مَنْ كان هــذا فى أنامِلِه * أنْ يَشْهَدَ الحَرْبَ لم يَسْكُنْ الى يَلَبِ (٢)

فـلو رآه (ابنُ أوْسٍ) ما قرأتَ له : * (السَّيْفُ أصْدَقُ أنْباءً مِن الكُتُبِ) (٣)

ألَا فَـــتًى عَرَبِىٌّ يَســـتَقِلُّ بـــه * بعــدَ الفقيد ويَحْمِى حَــوْزَةَ الأَدَبِ

ويَمْنَــعُ الحَقَّ أَنْ يُغْشِى تَبَلُّجَه * ما فى السِّياسةِ مِنْ زُورٍ ومِنْ كَذِبِ (٤)

أَوْدَى فَتَى الشَّرْقِ، بل شَيْخُ الصَّحافَةِ بَلْ * شَـيْخُ الوَفائِيَّـةِ الوَضّاحَةِ الحَسَبِ

أقامَ فِينَا عِصامِيًّا فعَلَّمَنَا * مَعْنَى الثَّبـاتِ ومَعْنَى الجِدِّ والدَّأَبِ (٥)

وراحَ عَنَّا ولم تَبْلُــغ عَزائِمُنـا * مَدَى مُنَـاها ولم تَقْرُبْ مِنَ الأَرَبِ

قالوا عَجِبْنـا لِمِصْرٍ يومَ مَصْـرَعِهِ * وقد عَجِبْتُ لهم مِنْ ذلك العَجَبِ (٦)

---

(١) صرير القلم : صوته فى الكتابة . وصليل البيض والقضب : أصوات السيوف . والكماة : الشجعان ؛ الواحد كمى . (٢) اليلب : الدروع من الجلود . يريد أن من كان هذا القلم من أسلحته شهد الحروب بغير درع يقيه أسلحة الأبطال ، وحسبه هذا القلم وقاية له . (٣) يريد حبيب بن أوس الطائى المعروف بأبى تمـام . والشطر الثانى من هذا البيت هو صدر بيت له من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله الخليفة العباسى حين فتح عمورية ، وعجز البيت :

* فى حده الحد بين الجد واللعب *

لحافظ يقول : إن أبا تمام لو رأى هذا القلم لعرف فضله على السيف .

(٤) يغشى تبلجه ، أى يحجب إشراقه . (٥) العصامى : الذى ساد بنفسه لا بآبائه ، نسبة الى عصام الذى يقول فيه الشاعر :

* نفس عصام سوّدت عصاما *

والدأب فى العمل : الاستمرار عليه والاجتهاد فيه . (٦) قالوا عجبنا ... الخ ، أى عجبنا لأهل مصر فى تلقيهم نعى الفقيد فى فتور وقلة اكتراث .

إنّ الأُلَى حَسِبُوها غيرَ جازِعةٍ * لا ينظُرونَ إلى الأشياءِ مِنْ كَثَبِ (١)

تاللهِ ما جَهِلَت فيه مُصيبَتَها * ولا الّذى فَقَدَتْ مِنْ كاتِبِ العَرَبِ

لكنّها أَلِفَتْ والأمرُ يَحْزُبُها * فَقْدَ الرِّجالِ ومَوْتَ السّادةِ النُّجُبِ (٢)

وعلّمتْها اللّيالى أَنْ تُصابِرَها * فى الحادِثاتِ وإنْ أَمْعَنَّ فى الحَرَبِ (٣)

كم أَرْجَفُوا بعدَ موتِ الشّيخِ وارتقبُوا * موتَ (المُؤيَّدِ) فينا شَرَّ مُرْتَقَبِ (٤)

وإنْ يَمُتْ تَمُتِ الآمالُ فى بَلَدٍ * لولا (المُؤيَّدُ) لم يَنْشَطْ إلى طَلَبِ

صُبابةٌ مِنْ رَجاءٍ بينَ أَضْلُعِنا * قد باتَ يَرْشُفُ منها كلُّ مُغتَصِبِ (٥)

ألم يَكُنْ لبَنِى (مِصْرٍ) وقد دُهِمُوا * مِنْ ساسَةِ الغَرْبِ مِثْلَ المَعْقِلِ الأَشِبِ (٦)

كم أنبَرَتْ فيه أقلامٌ وكم رُفِعَتْ * فيه مَنابِرُ مِنْ نَظْمٍ ومِنْ خُطَبِ

وكان مَيْدانَ سَبْقٍ للأُلَى غَضِبُوا * للدِّينِ والحَقِّ مِنْ داعٍ ومُحْتَسِبِ

فكم يَراعِ حَكيمٍ فى مَشارِعِه * قد التَقَى بيَراعِ الكاتِبِ الأَرِبِ (٧)

(١) الكثب (بالتحريك) : القرب . أى لا ينظرون الأمور على حقائقها .

(٢) حزبه الأمر : اشتد عليه وضغطه .

(٣) الحرب (بالتحريك) : اشتداد الغضب . (٤) أرجف القوم : خاضوا فى الأخبار السيئة على أن يوقعوا بين الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شىء . (٥) الصبابة : البقية . يقول : ان المؤيد بقية من رجاء وعزاء يلوذ بها كل مغصوب الحق . (٦) الضمير فى « يكن » للمؤيد . والمعقل : الحصن . والأشب : الممتنع بما حوله من السياج والسلاح ، وهو من قولهم : شجر أشب ، أى ذو شوك مشتبك بعضه ببعض .

(٧) المشارع : المناهل ، الواحد مشرع (بفتح الميم والراء) . والأرب : البصير الفطن .

أىُّ الصحائفِ فى القُطْرَيْنِ قد وَسِعتْ * ردَّ (الإمامِ) مُزِيلِ الشكِّ والرِّيَبِ (١)

أيامَ يَحْصِبُ (هانُوتُو) بفِرْيَتِه * وَجْهَ الحقيقةِ والإسلامُ فى نَحَبِ (٢)

مالى أُعَدِّدُ آثارَ الفقيدِ لكُمْ * والشرقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ والغَلَبِ

لولا (المُؤَيَّدُ) ظلَّ المسلمون على * تَناكُرٍ بينهم فى ظُلْمةِ الحُجُبِ

تَعارَفُوا فيه أرواحًا وضمَّهمُ * رَغْمَ التنائى زِمامٌ غيرُ مُنْقَضِبِ (٣)

فى مِصْرَ فى تُونُسٍ فى الهندِ فى عَدَنٍ * فى الرُّوسِ فى الفُرْسِ فى البَحْرَيْنِ فى حَلَبِ

هٰذا يَحِنُّ إلى هٰذا وقد عُقِدَتْ * مَوَدَّةٌ بينهم مَوْصُولةُ السَّبَبِ

(أبا بُثَيْنَةَ) نَمْ يَكْفِيكَ ما تَرَكَتْ * فينا يَداكَ وما عانَيْتَ مِنْ تَعَبِ

جاهَدْتَ فى اللهِ والأوطانِ مُحْتَسِبا * فارجِعْ إلى اللهِ مأجُورًا وفُزْ وطِبِ

واحمِلْ بيُمْناكَ يومَ النَّشْرِ ما نَشَرَتْ * تلك الصحيفةُ فى دُنْياكَ وانْتَسِبِ (٤)

---

(١) يريد «بالإمام» : الشيخ محمد عبده . ويشير إلى ردّه على هانوتو الذى نشره فى صحيفة المؤيد .

(٢) يحصب : يرمى . والفرية : الكذبة . والنحب (بسكون الحاء، وفتحها هنا لضرورة الوزن) : أشد البكاء .

(٣) التنائى : التباعد . ومنقضب : منقطع .

(٤) وانتسب ، أى انتسب إلى تلك الصحيفة فهى حسبك من نسب .

رثاء على أبى الفتوح باشا (١)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه فى الجامعة

[نشرت فى ٩ فبراير سنة ١٩١٤ م]

جَلَّ الأَسَى فَتَجَمَّلِي (٢) * وإذا أَبَيْتِ فأَجْمِلِي

يامِصْرُ قد أَوْدَى فَتَا * كِ ولا فَتًى إلّا (عَلِي)

قد ماتَ نابِغَةُ القَضا * ءِ وغابَ بَدْرُ المَحْفِلِ

وعَدَا القَضاءُ على القَضا (٣) * ءِ فصابَه فى المَقْتَلِ

حَلّالُ عَقْدِ المُعْضِلا * تِ قَضَى بِداءٍ مُعْضِلِ

وَيْحَ الكِنانَةِ مالَها * فى غَمْرَةٍ لا تَنْجَلِي (٤)

باتَتْ وكارِثَةٌ تَمُرُّ بِها وكارِثَةٌ تَلِي

يازَهْرَةَ الماضِى ويا * رَيْحانَةَ المُسْتَقْبَلِ

كُنّا نُعِدُّكَ للشَّدا * ئِدِ فى الزَّمانِ المُقْبِلِ

---

(١) على أبو الفتوح باشا، هو ابن أحمد أبو الفتوح باشا. ولد ببلقاس من أعمال الغربية فى سنة ١٨٧٣م وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر سافر الى أوربا لتلقى علوم القانون بكلية مونبليه بفرنسا، ولبث فيها ثلاث سنوات نال بعدها شهادة الليسانس، وقد شهد له أساتذته فى تقريراتهم الرسمية بأنه يكتب اللغة الفرنسية كأحد أبنائها. وكان ينشر بعض المباحث فى المجلات الفرنسية، وعاد الى مصر فى سنة ١٨٩٥ م. وآخر منصب تولاه فى الحكومة المصرية وكالة المعارف فى ٥ أبريل سنة ١٩١٠ م، وتوفى فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٣ م.

(٢) تجملى، أى لا تظهرى الجزع. وأجملى، أى ارفقى، يخاطب مصر.

(٣) يريد « بالقضاء » الأول: الموت، وبالثانى: الفصل فى الخصومات.

(٤) الغمرة: ما يغمر الناس، أى يشملهم من الخطوب والأرزاء.

يا لابسَ الخُلُقِ الكَرِيـ * ـمِ المُطَمْئِنِّ الأَمْثَلِ

فارَقْتَنا فى حِينِ حا * جَتِنا ولَم تَتَمَهَّلِ

يا رامِيًا صَدْرَ الصِّعا * بِ رَماكَ رامِى الأَجْدَلِ (١)

يا حافِظًا غَيْبَ الصَّدِيـ * ـقِ ويا كَرِيمَ المِقْوَلِ (٢)

أَىُّ المَحامِدِ غَضَّةً (٣) * بِحُلاكَ لَم تَتَجَمَّلِ

تَلْهُو لِداتُكَ (٤) بالصِّبا * لَهْوًا وأَنتَ بِمَعْزِلِ

تَسْعَى وَراءَ الباقِيا * تِ الصالِحاتِ وتَعْتَلِى

بينَ المَحابِرِ والدَّفا * تِرِ دائِبًا لا تَأْتَلِى (٥)

أَدْرَكْتَ عِلْمَ الآخِرِيـ * ـنَ وحُزْتَ فَضْلَ الأَوَّلِ

أَدْنَى مَرامِكَ هِمَّةً * فَوقَ السِّماكِ الأَعْزَلِ (٦)

وأَجَلُّ قَصْدِكَ أَنْ تَرَى * (مِصْرًا) تَسُودُ وتَعْتَلِى

دَرَجَ الأَحِبَّةُ (٧) بَعْدَ ما * تَرَكُوا الأَسَى والحُزْنَ لِى

لَم يَحْلُ لى مِن بَعْدِهِم * عَيْشٌ ولَـمْ أَتَعَلَّلِ (٨)

---

(١) الأجدل : الصقر ، وهو معروف بالحذر والحرص . يقول : أصابك الموت الذى يصيب أشد المخلوقات حذرا وحرصا . (٢) المقول : اللسان . (٣) الغضة : الناضرة . (٤) لداتك : من ولدوا معك . (٥) لا تأتلى : لا تقصر . (٦) السماك : اسم يطلق على نجمين نيرين ، وهما الأعزل والرامح ، وسمى أعزل ، لأنه لا شىء بين يديه من الكواكب ؛ وهو من منازل القمر ؛ والرامح ليس من منازله . (٧) درج الأحبة : ذهبوا ومضوا .

(٨) أتعلل : أتشاغل وأتلهى .

لى كلّ عامٍ وقفــةٌ * حرّى على مُــتَرَحّلِ
أبكى بكاءَ الثّاكلا * تِ وأصطلِى ما أَصْطَلِى (١)

لم يُبقِ لى يــومُ الفقيـ * ـدِ عزيمــةً لم تُفْــلَلِ
يومٌ عبوسٌ قــد مضى * بفــتًى أغرَّ مُحجَّــلِ (٢)

مَنْ لم يُشاهدْ هولَه * عنــد القضــاءِ المُنْزَلِ
لم يَدْرِ ما قَصمُ الظُّهــو * رِ ولا انْخِزالُ المَفْصِلِ (٣)

يا قبرُ وَيْحَكَ ما صَنَعْـ * ـتَ بوجْهِــه المُتَهلّــلِ
عَبَسَتْ منــه نَضْرةٌ * كانتْ رِياضَ المُجْتَلِى (٤)
وعَبَثْتَ منــه بطُــرّةٍ * سَــوْداءَ لمّـا تَنْصُــلِ (٥)

يا قبرُ هــل لَعِبَ البِلَى * بلِطــافِ تلك الأَنْمُــلِ؟
لَهْفِى عليهــا فى الطُّرو * سِ تَسيلُ سَيْلَ الجَدْوَلِ (٦)
لَهْفِى عليهــا فى الجِدَا * لِ تَحُــلُّ عقْدَ المُشْكِلِ
لَهْفِى عليهــا للــرَّجا * ءِ وللعُفــاةِ السُّــؤَّلِ (٧)

---

(١) اصطلى النار : قاسى حرها .

(٢) أغر محجل ، أى مشهور المكانة معروف المنزلة . والأغر والمحجل : أصلهما من صفات الخيل .

(٣) انخزال المفصل : انفصاله . (٤) المجتلى : الناظر المستوضح للأشياء .

(٥) لما تنصل ، أى لم تخرج من لونها بعد ، وهو السواد . يريد أنها لم يدركها الشيب .

(٦) الجدول : النهر الصغير .

(٧) العفاة : طلاب المعروف ؛ الواحد عاف (كقاض) .

يا قبرُ ضيفُك بيننا * قد كانَ خيرَ مؤمَّلِ

لم ينقبِض كبْراً بنا * ديه ولم يتبذَّلِ

إنى حللتُ رحابه * فنزلتُ أكرم منزِلِ

ونهلتُ(١) من أخلاقه * فوردتُ أعذبَ منهلِ

رثاء فتحى وصادق

قالها فى رثاء الطيارين العثمانيين فتحى بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطيارة قرب دمشق، وكانا يعتزمان الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر، و يؤمل فيها وصول الطيار الآخر نورى بك سالما

[نشرت فى أوّل أبريل سنة ١٩١٤ م]

أختَ الكواكبِ(٢) ما رما * كِ وأنتِ راميةُ النسورِ؟

ماذا دهاكِ وفوقَ ظهـ * ـرِكِ مَربِضُ(٣) الأسدِ الهَصورِ؟

خضعتْ لإمْرتهِ الريا * حُ من الصبا(٤) ومن الدَّبورِ

فغدا يُصرِّفُ من أعنَّتِها تصاريفَ القديرِ

(فتحى) وهل لى إن سألـ * ـتُ عن المصيبةِ من مُجيرِ(٥)؟

ويلاهُ هل جُزتَ الحدو(٦) * دَ وأنتَ مخترقُ الستورِ؟

---

(١) نهلت : شربت .   (٢) أخت الكواكب، يخاطب الطائرة .

(٣) مربض الأسد : موضع ربوضه، أى بروكه . والهصور : الذى يهصر فريسته، أى يكسرها .

(٤) الصبا : ريح الشمال . والدبور : الريح التى تقابلها .   (٥) المجير : المجيب .

(٦) جزت الحدود ... الخ . يقول : هل جاوزت الحدود التى تفصل بين العالمين : عالم السماء وعالم الأرض، واخترقت الحجب التى بينهما ؟

فرماكَ حُرّاسُ السّما * ءِ وتلكَ قاصمةُ الظُّهورِ (١)

أمْ غارَ منكَ السابحا * تُ وأنتَ تَسْبَحُ فى الأثيرِ (٢)

حَسَدَتْكَ حينَ رأتْكَ وحْـ * ـدَكَ ثَمَّ كالفَلكِ المُنيرِ

والعينُ مثلُ السّهمِ تنْـ * ـفُذُ فى التّرائبِ والنُّحورِ (٣)

حاولْتَ أنْ تَرِدَ المجرَّةَ * والورودُ منَ العسيرِ

فوردْتَ يا (فَتْحى) الحما * مَ وأنتَ مُنْقطِعُ النَّظيرِ

وهَويْتَ منْ كبِدِ السّما * ءِ وهكذا مَهْوَى البُدورِ

إنْ كانَ أعياكَ الصُّعو * دُ بذلكَ الجسدِ الطَّهورِ

فاسْبَحْ بروحِكَ وحْدَها * واصْعَدْ إلى المَلكِ الكبيرِ

إنْ راعَنا صوتُ النَّعيِّ * وفاتَنا نَبأُ البَشيرِ (٤)

فلعَلَّ مَنْ ضَنَّتْ يدا * هُ على الكِنانةِ بالسُّرورِ

أنْ يَسْتَجيبَ دُعاءَها * فى حِفْظِ صاحِبكَ الأخيرِ

باتَتْ تُراقِبُ فى المَشا * رِقِ والمَغارِبِ وجْهَ (نُوري)

---

(١) يريد بهذا البيت تشبيهه بالجن الذين كانوا يسترقون السمع من السماء فتحرقهم بشهبها المرسلة عليهم .

(٢) السابحات : الكواكب . قال تعالى : (والسابحات سبحا) . (٣) يجارى فى هذا البيت ما هو شائع بين الناس من اعتقادهم فى تأثير العين ، وأنها تصيب كما يصيب السهم .

(٤) راعنا : أفزعنا .

رثاء الدكتور شبلى شميل (١)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى نادى جمعية الاتحاد السورى فى مساء الأحد

٩ فبراير سنة ١٩١٧ م

سَكَنَ الفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرابِ * إنّ ذاكَ السُّكُونَ فَصْلُ الخِطابِ

لَقِيَ اللهَ رَبَّه فاترُكُوا المَرْ * ءَ لدَيَّانِه فَسِيحِ الرِّحابِ

حَزِنَ العِلْمُ يومَ مِتَّ ولكنْ * أَمِنَ الدِّينُ صَيْحَةَ المُرْتابِ (٢)

كنتَ تَبْغِي بَرْدَ اليَقِينِ على الأَرْ * ضِ وتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ اللُّبابِ

فاسْتَرِحْ أيُّها المُجاهِدُ واهْدَأْ * قد بَلَغْتَ المُرادَ تحتَ التُّرابِ

وعَرَفْتَ اليَقِينَ وانْبَلَجَ (٣) الحَقُّ * لعَيْنَيْكَ ساطِعًا كالشِّهابِ

لَيْتَ شِعْرِي وقد قَضَيْتَ حَياةً * بينَ شَكٍّ وحَيْرَةٍ وارْتِيابِ

هل أتاكَ اليَقِينُ مِنْ طُرُقِ الشَّكِّ * فشَكُّ الحَكِيمِ بَدْءُ الصَّوابِ

كم سَمِعْنا مُسائِلًا قَبْلَ (شِبْلِي) * عاشَ فى البَحْثِ طارِقًا كُلَّ بابِ

أَطْلَقَ الفِكْرَ فى العَوالِمِ حُرًّا * مُسْتَطِيرًا يُرِيغُ (٤) هَتْكَ الحِجابِ

---

(١) الدكتور شبلى شميل، هو الطبيب اللبنانى نزيل مصر، وكان من أشهر الأطباء. ولد فى نحو سنة ١٨٥٠ م، فى قرية كفر شيما من قرى ساحل لبنان، وهى القرية التى ولد فيها الشيخ ناصيف اليازجى. وتعلم العلوم الطبيعية والطب فى كلية الأمريكان ببيروت وأتم علومه فى أوربا. وهو مشهور بمباحثه الطبيعية والاجتماعية العميقة، وله من الآراء المتعلقة بالعقيدة الدينية ما أنكره الناس عليه، وإلى هـذا يشير حافظ فى قصيدته تلك. ومن أشهر كتبه: كتاب (النشوء والارتقاء). وتوفى سنة ١٩١٧ م.

(٢) المرتاب: الشاك فى العقيدة. (٣) انبلج: أضاء وأشرق. (٤) يريغ: يطلب.

يقرعُ النّجمَ سائلاً ثم يرتدُّ * الى الأرض باحثاً عن جوابِ

أعجزته من قدرة الله أسبا * بٌ طواها مسبِّبُ الأسباب

وقفت دونها العقولُ حيارى * وانثنى هبرزيُّها وهو كابى (١)

لم يكن مُلحداً ولكن تصدّى * لشؤون المهيمن الوهّاب

رام إدراك كُنهه ما أعجز النا * سَ قديماً فلم يفز بالطّلاب

إيهِ شبلي قد أكثر الناسُ فيك الـ * قولَ حتّى تفنّنوا فى عتابى

قيلَ : ترثى ذاك الذى ينكرُ النو * رَ ولا يهتدى بهدى الكتاب؟

قلتُ : كُفّوا فإنّما قمتُ أرثى * منه خِلّاً أمسى طويلَ الغياب

أنا والله لا أحابيه فى القو * لِ فقد كان صاحبى لا يحابى

أنا أرثى شمائلاً منه عندى * كنّ أحلى من الشِّهاد المذاب (٢)

كان حُرَّ الآراء لا يعرف الختـ * ـلَ ولا يستبيح غيبَ الصحاب (٣)

مُفضلاً مُحسناً على العسر واليسـ * ـرِ جميعَ الفؤاد رحبَ الجناب (٤)

عاش ما عاش لا يُليقُ على الأيّام مالاً ولم يلِن للصعاب (٥)

كان فى الودِّ موضعَ الثقة الكبـ * ـرى وفى العلم موضعَ الإعجاب

---

(١) الهبرزى : المقدام . والكابى : العاثر المنكب على وجهه .

(٢) الشهاد والشهد ، كلاهما بمعنى واحد . (٣) الختل : الخداع . (٤) المفضل : المنعم . وجميع الفؤاد ، أى مجتمعه لا تفرق قلبه النوائب . (٥) يقال : فلان لا يليق درهما لسخائه ، أى لا يمسكه .

نُكِبَ الطِّبُّ فِيــهِ يــومَ تَــوَلّى * وأُصِــيبَتْ رَوائِــعُ الآدابِ

وخَــلا ذلكَ النَّــدِىُّ (١) مِنَ الأُنْـ * ـسِ وقــدكانَ مَرْتَــعَ الكُتّابِ

وبَكَتْ فَقْــدَهُ الشّــآمُ وناءَتْ (٢) * فــوقَ ماناءَها بِهَــذا المُصابِ

كُلَّ يَوْمٍ يُهَــدُّ رُكْنٌ مِنَ الشّا * مِ، لقَــد آذَنَتْ (٣) إذاً بالخَــرابِ

فهىَ (باليازِجِى) و(جُرجِى) و(شِبْلٍ) (٤) * فُجِعَتْ بالثَّــلاثــةِ الأَقْطــابِ

فعَــلَى الرّاحِــلِ الكريمِ سَــلامٌ * كُلَّما غَيَّبَ الــثَّرَى لَيْثَ غابِ

رثاء جــورجى زيدان (٥)

ســنة ١٩١٤

دَهانِي رِفاقِي والقَوافِي مَرِيضَةٌ (٦) * وقدعَقَدَتْ هُوجُالخُطوبِ لِسانِي

بَحَثْتُ وبِي ما يَعْلَمُ اللهُ مِنْ أَسًى * ومِنْ كَمَدٍ قد شَفَّنِي وبَرانِي

---

(١) الندى : مجتمع القوم . (٢) ناء بالحمل : نهض به مع جهد ومشقة وتثاقل .

(٣) آذنت : أعلمت . (٤) يريد الشيخ ابراهيم اليازجى الشاعر اللبنانى المعروف . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٦ من صفحة ١٨٤ من هذا الجزء) . وجرجى ، هو جرجى زيدان (وسيأتى التعريف به فى الحاشية الآتية بعدها) . (٥) ولد جورجى زيدان فى بيروت عاصمة لبنان فى سنة ١٨٦١ م ، وتلقى بعض العلوم فى مدارسها الابتدائية ، ثم ترك التعليم وهو لم يبلغ الثانية عشرة من عمره ، غير أن ميله الى العلم والأدب جعله لايدع فرصة يستفيد منها إلا انتهزها ، إما بمطالعة ماتصل اليه يده من الكتب ، وإما بتقربه من رجال العلم حتى صار من أعلام التاريخ والأدب المشهورين ؛ وهو منشئ مجلة الهلال المعروفة . وكانت وفاته فى أغسطس سنة ١٩١٤م ، وتآليفه كثيرة ، منها : كتاب (تاريخ مصر الحديث) ، و(تاريخ التمدن الإسلامى) ، و(تاريخ الماسونية) ، وغيرها من الكتب . (٦) مرض القوافى : كناية عن قلة مواتاتها إياه وعصيانها عند إرادته لها . وشبه الخطوب والمصائب فى ثورانها وتقلبها واشتداد وقعها بالرياح الهوج ، وهى التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع الخيام ؛ الواحدة هوجاء .

مَلِلْتُ وُقوفِي بينَكم مُتَلَهِّفاً * على راحِلٍ فارَقْتُه فَشَجاني (١)

أَفِي كلِّ يومٍ يَبْضَعُ الحُزْنُ بَضْعَةً؟ * مِن القَلْبِ إنِّي قد فَقَدْتُ جَنانِي (٢)

كَفانِيَ ما لُقِّيتُ مِنْ لَوْعَةِ الأَسَى * وما نابَنِي يومَ (الإمامِ) كَفانِي

تَفَرَّقَ أَحْبابِي وأَهْلِي وأُخِّرَتْ * يَدُ اللهِ يَوْمِي فانْتَظَرْتُ أَوانِي (٣)

ومالِي صَدِيقٌ إنْ عَثَرْتُ أَقالَنِي * ومالِي قَرِيبٌ إنْ قَضَيْتُ بَكانِي

أَرانِيَ قد قَصَّرْتُ فى حَقِّ صُحْبَتِي * وتَقْصِيرُ أَمْثالِي جِنايَةُ جانِي (٤)

فلا تَعْذُرُونِي يومَ (فَتْحِي) فإنَّنِي * لَأَعْلَمُ ما لا يَجْهَلُ الثَّقَلانِ (٥)

فقد غابَ عنَّا يومَ غابَ ولَمْ يَكُنْ * له بَيْنَ هالاتِ النَّوابِغِ ثانِي (٦)

وفى ذِمَّتِي (لليازِجِيِّ) وَدِيعَةٌ * وأُخْرَى (لِزَيْدانٍ) وقد سَبَقانِي

---

(١) يبضع : يقطع . والبضعة (بالفتح) : القطعة . والجنان : القلب .

(٢) يريد «بالإمام» : الشيخ محمد عبده . (٣) أقلت فلانا عثرته : صفحت عنها ودفعت عنه ما يتوقع من شرها . وقضيت : مت . (٤) الثقلان : الإنس والجن . ويريد «بفتحى» : أحمد فتحى زغلول باشا العالم القانونى المعروف ، ولد فى سنة ١٨٦٣ م بابيانة من أعمال مركز فوة ؛ وآخر منصب تولاه وكالته لنظارة الحقانية . وتوفى فى سنة ١٩١٣ م ، وله كثير من الكتب النافعة المترجمة عن اللغات الأجنبية ، وشرح للقانون المدنى . وقد مات فتحى ولم يرثه الشاعر ، وهو لهذا يعترف بتقصيره ، ويطلب الى الناس ألا يعذروه فى ذلك .

(٥) الهالة : دارة القمر التى تحيط به . (٦) يريد «باليازجى» : الشيخ ابراهيم اليازجى الشاعر اللبنانى المعروف ، وهو ابن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف ؛ ولد ببيروت سنة ١٨٤٧ م وكان شاعرا ناثرا متصرفا فى أنواع أخرى من العلوم . وتوفى سنة ١٩٠٨ م . وهو منشئ مجلة البيان ومجلة الضياء ؛ الأولى فى سنة ١٨٩٧ م والثانية فى سنة ١٨٩٨ م . وآل اليازجى معروفون بكثرة من تخرج منهم من العلماء والأدباء والشعراء .

فيالَيْتَ شِعْرِى ما يقُولانِ فى الثَّرَى * إذا الْتقيَا يوماً وقَـدْ ذَكَرانِى

وقد رَمَيَـا بالطَّرْفِ بين جُمُوعِكُمْ * ولَمْ يَشْهَـدا فى المَشْهَدَيْنِ مَكانِى

أيَجْمُـلُ بى هٰـذا العُقوقُ وإنّمـا * على غيرِ هٰـذا العَهْدِ قد عَرَفانى

دَعانى وَفائى يومَ ذاكَ فَلَمْ أكُنْ * ضَـنِيناً ولكنّ القَرِيضَ عَصانِى

وقد تُخْرِسُ الأحْزانُ كلَّ مُفَوَّهٍ[1] * يُصَرِّفُ فى الإنْشادِ كلَّ عِنانِ

أأنْساهُمَا والعِـلْمُ فَـوقَ ثَرَاهُمـا * تَنَكَّسَ مِنْ أعْـلامِه عَلَمـانِ

وكَمْ فُزْتُ مِنْ رَبِّ (الهِلالِ) بِحِكْمَةٍ[2] * وكَمْ زِنْتُ مِنْ رَبِّ (الضِّياءِ) بَيانِى

(أزَيْدانُ) لا تَبْعَـدْ وتِلْكَ عُلالَةٌ[3] * يُنادِى بهـا النَّاعُونَ كلَّ حُسانِ

لكَ الأَثَرُ الباقِى وإنْ كنتَ نائِيًا * فأنتَ على رَغْـمِ المَنِيَّـةِ دانِى

ويا قبرَ (زَيْدانٍ) طَوَيْتَ مُؤَرِّخًا * تَجَـلَّى[4] له ما أضْمَـرَ الفَتَيـانِ

وعَقْـلًا ولُوعًا بالكُنُوزِ فإنّه * على الدُّرِّ غَوَّاصٌ بِبَحْـرِ (عُمَانِ)[5]

وعَزْمًا شَآمِيًّـا له أيْنَمـا مَضَى * شَبَا هِنْـدُوانِيٍّ[6] وحَدُّ يَمـانِى

---

(١) المفوه : المنطيق . والعنان : سير اللجام . ويريد بقوله « يصرف فى الإنشاد... الخ » : أنه يذهب فيه كل مذهب . (٢) رب الهلال : جورجى زيدان ، ورب الضياء : الشيخ إبراهيم اليازجى . والهلال والضياء : صحيفتان معروفتان .

(٣) العلالة : ما يتعلل به الإنسان ، أى يتلهى به عن مراده اذا لم يظفر به . والحسان من الرجال (بضم الحاء وتخفيف السين) : الحسن منهم . (٤) تجلى : تكشف . والفتيان : الليل والنهار .

(٥) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة بمغاص اللؤلؤ . (٦) شبا هندوانى ، أى سن رمح منسوب الى الهند . وحدّ يمانى ، أى حدّ سيف مصنوع باليمن .

وكفّا إذا جالت على الطِّرس جولةً * تمايل إعجاباً بها البلدان (١)

أشادت بذكر الرّاشدين كأنّما * فتى (القدس) ممّا ينبت الحرمان (٢)

سألتُ حماة النّثر عدّ خلاله * فمالى بما أعيا القريض يدان (٣)

رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكرى باشا (٤)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينهما فى مدرسة القصر العينى فى ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧ م

لا مرحباً بك أيّهذا العامُ * لم يرع عندك للأساة ذمام (٥)

فى مستهلّك رُعتنا بمآتمٍ * للنافعين من الرّجال تُقام

عَلمان من أعلام (مصر) طواهما * فيك الرّدى فبكتهما (الأهرام)

غيّبت (شكرى) وهو نابه عصره * وأصبت (إبراهيم) وهو إمام

(١) البلدان : مصر والشام . (٢) أشاد بذكره : رفعه بالثناء عليه . ويريد «بالراشدين» : خلفاء الإسلام ؛ و «فتى القدس» : الفقيد . والحرمان : مكة والمدينة . يقول : إن الفقيد أثنى على الخلفاء الراشدين ورفع ذكرهم فى كتبه ؛ فكأنه من أهل الحجاز مع أنه فلسطينى . (٣) تقول : مالى يد بهذا الأمر ؛ اذا عجزت عنه . وأعيا القريض ؛ أى أعجز الشعر .

(٤) الدكتور ابراهيم حسن باشا ؛ هو ابن حسن رفعت مدير إحدى مديريات مصر ، ولد بالقاهرة فى ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٤ م ، وبعد أن أخذ حظه من تعلم الطب فى مصر وأوربا تولى بعض مناصب طبية كان آخرها رآسة مدرسة الطب سنة ١٨٩٨ م ؛ وبعد إحالته الى المعاش كان يقضى الصيف فى أوربا والشتاء فى مصر ، وقد حالت الحرب العظمى وهو فى أوربا دون عودته الى وطنه ، فقضى السنين الأخيرة بعيداً عنه إلى أن توفى فى ٤ يناير سنة ١٩١٧ م . وأما الدكتور محمد شكرى باشا فقد كان طبيباً خاصا بأمراض النساء ، وله فى هذا الفرع من الطب شهرة واسعة ، وتولى تدريسه فى مدرسة الطب . وكانت ولادته فى نحو سنة ١٨٥٢ م ، ووفاته فى مستهل سنة ١٩١٧ م . (٥) الأساة : الأطباء ؛ الواحد آس (كقاض) .

خَدَمَا رُبُوعَ النِّيـلِ فِى عَهْدَيْهِمَا * والطِّبُّ نَبْتٌ لَمْ يَجُـدْه غَمَـامُ (١)

والنـاسُ بالغَـرْبِىِّ فى تَطْبِيبِـه * وَلِعُـوا على بُعْـدِ المَـزارِ وهاموا

حتى أَنبرَى (شُكرِى) فأَثْبَتَ سَبْقَه * أَنَّ ٱبْنَ (مِصْرَ) مُجَـرَّبٌ مِقْـدام

وأَقامَ (إبراهِـيمُ) أَبْلَغَ حُجَّـةٍ * أَنَّ العَرِيـنَ يَحُـلُّه ضِرْغَام (٢)

وتَرَسَّـمَ المُتَعَلِّمُون خُطاهُـما * فَٱنْشَـقَّ مِنْ عَلَمَيْهِـما أَعْـلام (٣)

قد أَقْسَمُوا للطِّبِّ أَنْ يَسْمُوا به * فَـوقَ السِّماكِ فَـبَرَّتِ الأَقْسـام (٤)

وغَدَتْ رُبُوعُ الطِّبِّ تَحكِى جَنَّةً * فيهـا (لِبُقْـراطَ) الحَكِيمِ مقـام

ورأَى عليـلُ النيـلِ أَنَّ أُسـاتَه * بَذُّوا الأُسـاةَ فَـلَمْ يَرُعْهُ سَـقام (٥)

يا (مِصْرُ) حَسْبُكِ ما بَلَغْتِ مِن المُنَى * صَـدَقَ الرَّجاءُ وصَحَّتِ الأَحْلَامُ

ومَشَى بَنُوكِ كما اشْتَهَيْتِ إلى العُلا * وعلى الوَلاءِ ـ كما عَلِمْتِ ـ أَقَامُوا

ومَدَدْتِ صَوْتَكِ بَعْدَ طُولِ خُفُوتِه * فَـدَعَا بعافِيَـةٍ لكِ الإِسْـلام

ورفَعْتِ رَأْسَكِ عند مُفْتَخَرِ النُّهى * بين المَمَـالِكِ حيثُ تُحْنَى الهـام (٦)

كم فيـكِ جَرّاحٍ كأَنَّ يَمِينَـهُ * عنـد الجِـراحَةِ بَلْسَمٌ وَسَـلَام (٧)

---

(١) جاده الغمام : أمطره . (٢) العرين : مأوى الأسد . والضرغام : الأسد .

(٣) فانشق من علميهما أعلام ، أى تخرج عليهما فى الطب أمثالهما فى النبوغ . (٤) السماك : اسم لكوكبين تقدم الكلام عليهما فى حواشى هذا الديوان . (٥) بذوا الأساة : غلبوهم وفاقوهم فى الطب . (٦) الهام : الرءوس . وإحناء الهام : كناية عن التصاغر والانكسار والتسليم للخصم .

(٧) يلاحظ أن الأرجح فى قوله « جراح » النصب ، للفصل بينه وبين « كم » بالجار والمجرور ، ولكن الشاعر جرى على مذهب بعض النحويين فى جر تمييز « كم » مع الفصل ، ومنه قول الشاعر :

* كم بجود مقرف نال الغنى *

والبلسم : دواء تضمد به الجراح .

قد صِيغَ مِبْضَعُه وإنْ أجرَى دَمًا * مِنْ رَحْمَـةٍ بِفَرِيحِه بَسَّام (١)

ومُوَفَّقٍ جَمِّ الصَّوابِ اذا الْتَوَى * داءُ العَلِيلِ وحارَتِ الأفْهام

يُلْقِي بسَمْعٍ لا يَخُونُ اذا هَفَتْ * أُذُنٌ وخَانَ المِسْمَعَيْنِ صِمام (٢)

واذا عُضالُ الدّاء أبْهَمَ أمْرُه * عَرَفَتْ خَفِيَّ دَبِيبِه الإبْهام (٣)

يَسْتَنْطِقُ الآلامَ وهيَ دَفِينَةٌ * خَرْساءُ حتّى تَنْطِق الآلام

كَمْ سَلَّ مِنْ أيْدِي المَنايَا أنْفُسًا * وثَنَى عِنانَ المَوْتِ وهْوَ زُؤام (٤)

ومطَبِّبٍ للعَيْنِ يَجْعَلُ مِيلَهُ * نُورًا اذا غَشَّى العُيُونَ قَتام (٥)

وكأنَّ إثْمِدَه ضِياءٌ ذَرَّه * (عِيسَى بنُ مَرْيَمَ) فانْجَلَى الإظْلام (٦)

ومُطَبِّبٍ للطِّفْلِ لَمْ تَنْبُتْ له * سِنٌّ ولَمْ يَدْرُجْ اليه فِطام (٧)

يَشْكُو السَّقامَ بناظِرَيْه ومالَه * غيرُ التَّقَـزُّزِ والأنِينِ كَلام

فكَمْ اسْتَشَفَّ وكَمْ أصابَ كأنّما * فى نَظْرَتَيْه الوَحْىُ والإلْهام (٨)

ومُوَلِّدٍ عَرَفَ الأجِنَّةُ فَضْلَه * إنْ أعْسَرَتْ بِوِلادِها الأرْحام

كَمْ قد أنارَ لها بحالِكَةِ الحَشا * سُبُلًا تَضِلُّ سُلُوكَها الأوْهام

---

(١) المبضع : المشرط . (٢) المسمعان : الأذنان . (٣) إنما ذكر الإبهام لأن الطبيب يلمس بيده موضع الداء من جسم المريض ، فكنى بالإبهام عن اليد . (٤) الزؤام : الكريه المجهز على صاحبه . (٥) الميل : المرود الذى تكحل به العين . والقتام : الظلام .

(٦) الإثمد : الكحل . ويشير « بعيسى بن مريم » عليه السلام : إلى إبرائه الله على يده من إبراء الأكمه . قال تعالى حكاية عنه : (وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله) .

(٧) يدرج : يمشى . (٨) الضمير فى (استشف) للطبيب ، السابق ذكره .

لـولا يَـداهُ سَـطَا على أبدانِهـا * كَرْبُ المَخاض وشَـفَّها الإيلامُ (١)

فبهـؤلاءِ الغُرِّ يا (مِصْـر) اهنَـئِى * فبمِثْلِهِـمْ تتَفَاخَـرُ الأيَّامُ

وعـلى طَبِيبَيْـكِ اللّذَيْنِ رَماهُمـا * رامِى المَنُـونِ تَحِيَّـةٌ وسَــلامُ

رثاء المغفور له الشيخ سليم البشرى (٢)

أنشـدها عنـد دفنـه

[نشرت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٧ م]

أيَدْرِى المُسْـلِمُونَ بمَنْ أُصِـيبُوا * وقـد وارَوْا (سَـلِيمًا) فى التُّرابِ

هَوَى رُكْنُ الحَـدِيثِ فأىُّ قُطْبٍ * لطُـلّابِ الحَقِيقَـةِ والصَّـوابِ (٣)

(مُوَطَّأُ مالكٍ) عَزِّ (البُخارِى) * ودَعْ لِلّهِ تَعْـزِيَةَ (الكِتَابِ) (٤)

فَمـا فى النّاطِقِينَ فَـمٌ يُوَفِّى * عَزاءَ الدِّينِ فى هـذا المُصـابِ

قَضَى الشَّيخُ المُحَـدِّثُ وهْوَ يُمْـلِى * على طُـلّابِهِ فَصْـلَ الخِطـابِ (٥)

---

(١) شفها : هزلها . (٢) ولد الشيخ سليم البشرى فى سنة ١٢٤٨ هـ فى محلة بشر من أعمال مركز شبراخيت من مديرية البحيرة ، ولما بلغ التاسعة حضر إلى مصر ، وكان قد أتم حفظ القرآن؛ وبعد أن أتم تعلمه فى الأزهر تولى التدريس فيـه ، ثم عين شيخا لمسجد السـيدة زينب ، وبعد ذلك ببضعة أعوام عين شيخا ونقيبا للسادة المالكية ، ثم اختير عضوا فى مجلس إدارة الأزهر؛ وتولى مشيخة الأزهر مرتين ، ومات رحمـه الله فى سنة ١٣٣٥ هـ بعد أن عمر ما يقرب من تسعين سنة .

(٣) كان الفقيد مشهورا بتبحره فى علوم الحديث ، وإلى هذا يشير الشاعر . (٤) موطأ مالك ، كتاب لمالك بن أنس فى الحديث مرتب على أبواب الفقه . ويريد «بالبخارى» : كتاب الجامع الصحيح الذى وضعه الإمام البخارى محمد بن إسماعيل . ويشير الشاعر إلى حرمان هذه العلوم الثلاثة : فقه مالك ، والحديث ، والتفسير التى كان يدرسها الفقيد مضطلعا بها . (٥) قضى : مات .

وَلَمْ تَنْقُصْ له التِّسْعُونَ عَزْمًا * ولا صَدَّتْهُ عَنْ دَرْكِ الطِّلابِ (١)

وما غَالَتْ قَرِيحَتَهُ اللَّيالِي * ولا خَانَتْهُ ذاكِرَةُ الشَّبابِ

أَشَيْخَ المُسْلِمِينَ نَأَيْتَ عَنَّا * عَظِيمَ الأَجْرِ مَوْفُورَ الثَّوابِ

لقد سَبَقَتْ لك الحُسْنَى فطُوبَى * لمَوْقِفِ شَيْخِنا يَوْمَ الحِسابِ

إذا أَلْقَى السُّؤالَ عَلَيْكَ مُلْقٍ * تَصَدَّى عَنْكَ بِرُّكَ بالجَوابِ (٢)

ونادَى العَدْلُ والإِحْسانُ إِنَّا * نُزَكِّي ما يَقُولُ ولا نُحابِي (٣)

قِفُوا يأيُّها العُلَماءُ وابْكُوا * ورَوُّوا لَحْدَهُ قَبْلَ الحِسابِ

فهذا يَوْمُنا ولَنَحْنُ أَوْلَى * بِبَذْلِ الدَّمْعِ مِنْ ذاتِ الخِضابِ (٤)

عليكَ تَحِيَّةُ الإِسْلامِ وَقْفًا * وأَهْلِيهِ إلى يَوْمِ المَآبِ

رثاء المغفور له السلطان حسين كامل (٥)

[نشرت فى أول نوفمبر سنة ١٩١٧ م]

دُكَّ ما بَيْنَ صَخْوَةٍ وعَشِيٍّ * شامِخٌ مِنْ صُرُوحِ (آلِ عَلِيٍّ) (٦)

وهَوَى عن سَماوَةِ العَرْشِ مَلْكٌ * لَمْ يُمَتَّعْ بعَهْدِهِ الذَّهَبِيِّ (٧)

---

(١) درك الطلاب : إدراك الطلب والحاجة .

(٢) يريد «بالملق» : الملك الذى يتولى حساب الميت على ما عمل .

(٣) كان الفقيد معروفا بالإحسان الى الفقراء ، وكان لهم من مرتبه قدر معلوم كل شهر .

(٤) ذات الخضاب : المرأة .

(٥) انظر الحاشية رقم ٧ من صفحة ٦٧ من الجزء الأوّل .

(٦) دك : هدم . و«آل على» أى آل محمد على جدّ الأسرة المالكة .

(٧) يريد «بسماوة العرش» : أعلاه . والملك (بسكون اللام) لغة فى الملك (بكسرها) .

قــد تساءلتُ يوم ماتَ (حُسَيْنٌ) * أفقــدْنا بفقــدِه كلَّ شئٍ؟

أمْ ترى يُسْــعِدُ الكِنانَة بارِيـ * ـها ويَقْضى لهـا بلُطْفٍ خَفىِّ؟

لم تَكَدْ تُدْرِكُ النفوسُ مُرادًا * فى زمانِ المتوَّجِ العَـلَوِى

لم تَكَدْ تَبْلُغ البِـلادُ مُناها * تحتَ أفْياءِ عَـدْلِه الكِسْرَوِى (١)

لم يَكَدْ يَنْعَمُ الفقـيرُ بعَيْشٍ * مِنْ نَداهُ وفَيْضِـه الحاتِمِى (٢)

تَجِبَ الموتُ مَطْلَعَ الجُودِ يا (مَصْـ * ـرُ) فجُـودِى له بدَمْـعٍ سَخِى

ومَضَى واهِبُ الألوفِ فـولَّتْ * يــومَ وَلَّى بَشاشــةُ الأرْيَحِى (٣)

وقضَى كافِلُ اليتامَى فـوَيْلٌ * لليتـامَى مِنَ الزمانِ العَــتِى (٤)

كم تَمَنَّى لو عاشَ حتَّى يرانا * أمَّـــةً ذاتَ مَنْعَــةٍ ورُقِى

غالَه الضَّعْفُ حِينَ شَمَّـرَ للإصْـ * ـلاحِ فى مُلْكِه بعَــزْمٍ فَــتِى

حَبَسَ الخَطْبُ فيــكَ ألْسِنَةَ القَوْ * لِ وأعْيـا قَريحــةَ العَبْقَـرِى

وإذا جَلَّتِ الخُطـوبُ وطَمَّتْ * أعْجزَتْ فى القَرِيضِ طَوْقَ الرَّوِى (٥)

إنَّ شَرَّ المُصـابِ ما أطْلَقَ الدَّمْـ * ـعَ وراعَ المُفَوَّهينَ بِــعِى (٦)

---

(١) الأفياء : الظلال . وكسروى : نسبة الى كسرى من ملوك الفرس ، وكان يقال له : الملك العادل .

(٢) الحاتمى : نسبة إلى حاتم الطائى المعروف بالجود . والفيض : العطاء .

(٣) الأريحى : الواسع الخلق الذى يرتاح للعروف .

(٤) العتى : الظالم المتجبر .

(٥) الطوق : الطاقة والجهد . وكنى بالروى عن الشعر ، كما يكنى عنه بالقافية أيضا .

(٦) المفوه : المنطيق . والعى : عدم القدرة على الكلام .

لَهْفَ نَفْسِي على انبساطِكَ للضَّيْـ * ـفِ وذَيّالِكَ الحَـديثِ الشَّهِيِّ
يَحْسَبُ الدارَ دارَه وهـو يمشي * فوقَ زاهي بِساطِكَ الأَحْمَـدِيِّ (١)
خُلُقٌ مِثْلَما تَنَشَّقْتَ أَرِيجَ الـ * ـزَّهْـرِ جادَتْـه زَوْرَةُ الوَسْمِيِّ (٢)
واهتزازٌ للعُرْفِ مِثْلُ اهتزازِ الـ * ـسَّيْفِ في قَبْضَـةِ الشُّـجاعِ الكَمِيِّ (٣)
وحَيـاءٌ عنـد العَطِيَّـةِ يَنْـفِي * خَجَـلَ السائلِ الكَـريمِ الأَبِيِّ
واختبارٌ يَثْنِي عِنانَ العَـوادِي * ووَقارٌ يَزِيـنُ صَـدْرَ النَّدِيِّ (٤)
رَحِـمَ اللهُ (يا حُسَيْنُ) خِلالًا * فيـكَ لم يَجْتَمِعْنَ في نَفْسِ حَيِّ
يا كَـرِيمًا حَلَلْتَ ساحَ كَرِيمٍ * وضَـعِيفًا حَلَلْتَ ساحَ القَـوِيِّ
قد كَفاكَ السُّهادُ في العَيْشِ فاهنأْ * يا أَلِيفَ الضَّـنَى بنَـوْمٍ هَـنِيِّ (٥)
وَيْحَ (مِصْـرٍ) فأيُّ خَيْـطِ رَجاءٍ * قَطَعَتْه رَنّاتُ صَـوْتِ النَّـعِيِّ

---

(١) البساط الأحمدى، يكنى به عن سهولة الجانب وسماحته وعدم الكلفة .

(٢) تنشقت : شممت . وأريج الزهر : ريحه . والوسمى : مطر أول الربيع .

(٣) الاهتزاز للعرف : كناية عن الانبساط للبذل والارتياح للعطاء . والكمى : الشجاع .

(٤) يثنى عنان العوادى، أى يصرف حوادث الأيام و يردها عن قصدها . والندى : مجتمع القوم .

(٥) يشير بقوله «يا أليف الضنى» : الى ما كان يعانيه الفقيد فى آخر أيامه من مرض وأرق .

رثاء باحثـــة البـادية [1]

[نشرت فى ســـنة ١٩١٨ م]

(مَلَكَ) النُّهى لا تَبْعَـدِى * فالخَـلْقُ فى الدنيـا سِـيَرْ

إنِّى أرَى لَكِ سِـيرَةً * كالرَّوْضِ أرَّجَهُ الزَّهَـــر [2]

رَبَّى أبُــوكِ النـاشِئِيـ * ـنَ فعاشَ مَحْمـودَ الأَثَرْ

وسَلَكْتِ أنتِ سَبِيلَه * فى الناشئاتِ مِنَ الصِّغَر

رَبَّيْتِهِنَّ على الفَضِيـ * ـلةِ والطَّهـارَةِ والخَفَـــر [3]

وعــلى اتِّبـاعِ شَرِيعَــةٍ * نَزَلَتْ بهـا آىُ السُّـــوَر

فلبِنْتِكُمْ فَضْـلٌ عـلى الـ * ـأحيـاءِ أُنْثَى أو ذَكَر

للهِ دَرُّكِ إنْ نَــثَرْ * تِ ودَرُّ (حفْـنِى) إنْ نَـثَرَ

قــد كنتِ زَوْجًا طَبَّـةً * فى البَـدْوِ عاشَتْ والحَضَر [4]

---

(١) باحثـــة البادية ، هى الســـيدة ملك ناصف بنت المرحوم حفنى ناصف بك ، ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م وتلقت مبادئ العـــلوم فى مدارس أولية مختلفة ، ثم دخلت المدرسة السنية فنالت الشهادة الابتدائية فى سنة ١٩٠٠ م ، ثم نالت إجازة التدريس من قسم المعلمات ، ومارست التعليم فى مدارس البنات الأميرية ، وتوفيت فى سنة ١٩١٨ م . وكانت من فضليات الكاتبات والباحثات ، بذلت جهـــدا كبيرا فى الدعاية الى نهضة المرأة المصرية بعد المرحوم قاسم أمين بك ، وكانت تفضل السفور على الحجاب ، ولها مقالات كثيرة طبعت كلها فى كتاب سمته (النسائيات) وسلسلة محاضرات ألقتها فى إدارة الجريدة التى كان يصدرها حزب الأمة ، وإلى هذه المقالات وتلك المحاضرات يشير حافظ فى هذه القصيدة .

(٢) أرجه : طيبه . (٣) الخفر : شدّة الحياء . (٤) يشير بقوله : «فى البدو الخ» : الى أنها كانت زوجا لعبد الستار الباسل بك أحد مشايخ عرب الفيوم . والطبة : الماهرة الحاذقة بعملها .

سادَتْ على أَهْلِ القُصو * رِ وسَوَّدَتْ أَهْلَ الوَبَرْ (١)

غَرْبِيَّةٌ فى عِلْمِها * مَرْمُوقَةٌ بينَ الأُسَر

شَرْقِيَّةٌ فى طَبْعِها * مَحْذُورَةٌ بينَ الحُجَر

بَيْنَا تَراهَا فى الطُّرُو * سِ تَخُطُّ آياتِ العِبَرْ (٢)

وتُرِيكَ حِكْمَةَ نابِهٍ * عَرَكَ الحَوادِثَ واخْتَبَرْ

فإذا بِها فى مَطْبَخٍ * تَطْهُو الطَّعامَ على قَدَرْ (٣)

وإذا بِها قَعَدَتْ تَخِيـ * ـطُ وتَرْتَضِى وَخْزَ الإِبَرْ

فَخَرتْ بوالِدِها ووا * لِدِها بحِلْيَتِها افْتَخَر

بالعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَها * لا باللآلِئِ والدُّرَر

فانْظُرْ شَمائِلَ فِكْرِها * باللهِ يَوْمَ (المُؤْتَمَر) (٤)

واقْرأْ (مُحاضَرَةَ الجَرِيـ * ـدَةِ) والمَقالاتِ الغُرَر

وارْجِعْ إلى ما أَوْدَعَتْ * عِنْدَ المَجَلَّاتِ الكُبَرْ

---

(١) أهل الوبر : هم أهل البادية ، لأن بيوتهم من الوبر .

(٢) الطروس : الصحائف التى يكتب فيها . (٣) على قدر ، أى بحساب .

(٤) يريد المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى سنة ١٩١١ م وتوالت جلساته خمسة أيام ؛ وكان لهذا المؤتمر غرضان : أولهما ، النظر فى حال المسلمين الاقتصادية والاجتماعية والأدبية ؛ والثانى ، الرد على مطالب الأقباط التى طلبوها فى مؤتمرهم المنعقد بأسيوط قبل ذلك فى ٦ مارس من السنة المذكورة . وكان رئيس المؤتمر الإسلامى المرحوم رياض باشا ، وقد ألقت الفقيدة محاضرة فى هذا المؤتمر تتعلق بشؤون المرأة .

تعلم بأنا قد فقد * نا خير ربات الفكر
ذنب المنية فى اغتيا * ل شبابها لا يغتفر
يا ليتها عاشت (لمصـ * ـر) ولم تغيبها الحفر
كانت مثالا صالحا * يزجى وكنزا يدخر
إنى رأيت الجاهلا * ت السافرات على خطر
ورأيت فيهن الصيا * نة والعفاف على سفر
لا وازع — وقد انطوت * (ملك) يقيهن الضرر (١)
لا كان يومك يوم لا * ح الحزن مختلف الصور
علمت هاتفة القصو * ر نواح هاتفة الشجر (٢)
وتركت أتراب الصبا * حزنا يقطعن الشعر (٣)
يبكين عهدك فى الصبا * ح وفى المساء وفى السحر
وتركت شيخك لا يعى * هل غاب زيد أو حضر (٤)
ثملا ترنحه الهمو * م إذا تحامل أو خطر (٥)
كالفرع هزته العوا * صف فالتوى ثم انكسر

(١) الوازع : الزاجر. (٢) يريد «بهاتفة القصور» : الباكية من النساء ، و «بهاتفة الشجر» : النائحة من الطير . (٣) أتراب الإنسان : لداته ؛ الواحد ترب (بكسر التاء وسكون الراء) .

(٤) يريد «بالشيخ» : أباها . ويشير بقوله «هل غاب زيد» ... الخ الى ما كان أبوها مشتهرا به من علم النحو واللغة وما اليهما من علوم العربية ؛ وذلك لأن مدار الأمثلة فى النحو على «زيد» .

(٥) ترنحه : تميله هنا وهنا .

أو كالبناءِ يُرِيدُ أنْ * يَنْقَضَّ مِنْ وَقْعِ ٱلخَوَرْ [(١)]

قد زَعْزَعَتْهُ يَدُ القضا * ءِ وزَلْزَلَتْه يَدُ ٱلقَدَر

أَنا لَمْ أَذُقْ فَقْدَ البَنِيـ * نَ ولا البَناتِ على ٱلكِبَر

لٰكِنَّنِى لَمَّا رَأَيْـ * ـتُ فُؤادَه وقد ٱنفَطَر [(٢)]

ورأيتُه قد كادَ يُحْـ * ـرِقُ زائِرِيه إذا زَفَر

وشَهِدْتُه أَنَّى خَطَا * خَطَوَا تَخَبَّلَ أو عَثَر

أَدْرَكْتُ مَعْنَى الحُزْنِ حُزْ * نِ الوالِدَيْنِ ، فما أَمَرّ

وشَهِدْتُ زَوْجَكِ مُطْرِقًا * مُسْتَوْحِشًا بينَ السَّمَر [(٣)]

كالمُدْلِجِ الحَيْرانِ فى الـ * ـبَيْداءِ أَخْطَأَهُ القَمَر [(٤)]

فعَلِمْتُ أنَّكِ كُنْتِ عِقْـ * ـدَ هَنائِه وقد ٱنتَثَر

*

صَبْرًا أبا (مَلَكٍ) فإنّ * ـنَ الباقِياتِ لِمَنْ صَبَر

وبِقَدْرِ صَبْرِ المُبْتَلَى * طُولُ المُصِيبةِ والقِصَر

كُنْ أنتَ أنتَ إذا تُسا * ءُ كأنتَ أنتَ إذا تُسَرّ

يا بَرَّةً بالوالِدَيْـ * ـنِ أَبُوكِ بَعْدَكِ لا يَقَرّ

فَسَلِى المَلِيكَ سُلُوَّةً * لأَبِيكِ فَهْوَ بهِ أَبَرّ

ولْيَهْنِكِ الخُلْدُ الجَدِيـ * ـدُ فذاكَ دارُ المُسْتَقَرّ

---

(١) من وقع الخور، أى من وقوع الضعف به .
(٢) انفطر : انشق .
(٣) السمر : مجلس السمار بالليل .
(٤) المدلج : السارى بالليل .

رثاء محمد فـــريد بك [1]

[في سنة ١٩١٩ م]

مَنْ لِيَوْمٍ نحنُ فِيــه مَنْ لِغَــدْ * ماتَ ذُو العَزْمَةِ والرَّأيِ الأَسَدّ [2]

حَلَّ (بالجُمْعَــةِ) حُزْنٌ وأَسًى * ومَشَى الوَجْدُ الى يومِ (الأَحَد) [3]

وبَدَا شِـعْرِى على قِرْطاسِـهِ * لَوْعةً سالَتْ على دَمْعٍ جَمَـــد

أيُّهـا النِّيلُ لقــد جَلَّ الأَسَى * كُنْ مِداداً لى إذا الدَّمْعُ نَفِــد

واذْبُلِى يا زَهْـــرَةَ الرَّوْضِ ولا * تَبْسِمِى للطَّــلِّ فالعَيْشُ نَكِد [4]

والزَمِ النَّــوْحَ أيا طَـــيْرُ ولا * تَبْتَهِجْ بالشَّــدْوِ فالشَّدْوُ حَدَد [5]

---

(١) المرحوم محمــد فريد بك ، هو ابن فريد باشا ناظر الدائرة السنية . ولد فى مدينــة القاهرة فى رمضان سنة ١٢٨٤ هـ ، يناير سنة ١٨٦٧ م . وبيته من أكبر بيوت مصر وأمجدها ، ونال شهادة الحقوق فى مايو ســنة ١٨٨٧ ثم اشتغل بالدائرة السنية ، ثم انتقل الى النيابة العموميــة ، ثم الى نيابة الاستئناف . وقــد أنعم عليه بالرتبة الثانيــة فى أغسطس ســنة ١٨٩١ م وكان من أقوى دعاة النهضة الوطنية ، والآخذين بيد الوطنيين من الكتّاب وأصحاب الصحف ، واستقال من منصبه وقيــد اسمه فى جدول المحامين أمام المحاكم الأهلية فى أوّل يونيه سنة ١٨٩٧ م ، وظل مشتغلا بالمحاماة سبع سنين ثم ترك كل عمــل ليفرغ لخدمة الأمة من الناحية السياسية ، فكان خير عون للرحوم مصطفى كامــل باشا وقد صحبه فى كثير من رحلاته الى أوربا ، واختاره مصطفى كامل لرآسة الحزب الوطنى فى فبراير سنة ١٩٠٨م وتوفى فى برلين عاصمة المـانيا فى ١١ نوفبر سنة ١٩١٩ م وأحضرت جثته الى مصر ، ودفنت قرب مسجد السيدة نفيسة .

(٢) يريد « باليوم والغد » : الحاضر والمستقبل . والأسدّ : الأصوب .

(٣) الأسى : الحزن . وكنى « بيومى الجمعة والأحد » عن مسلمى مصر وقبطها .

(٤) الطل : الندى ، أو أخف المطر وأضعفه .

(٥) شدو الطير : ترنمه وتغريده . والحدد : الحرام الذى لا يحل أن يرتكب .

فلقد ولّى (فريدٌ) وانطوى * رُكنُ (مصر) وفتاها والسَّنَدْ

خالدَ الآثارِ لا تخشَ البِلَى * ليس يَبْلَى مَنْ له ذِكْرٌ خَلَدْ

زُرْتَ (برلينَ) فنادى سمتُها : * نَزَلَتْ شمسُ الضُّحى بُرجَ الأسدْ (١)

واختفتْ شمسُكَ فيها وكذا * تختفي في الغربِ أقمارُ الأبدْ

يا غريبَ الدارِ والقبرِ ويا * سُلْوةَ (النيلِ) اذا ما الخطبُ جدّ

وحساماً فَلَّ حَدَّيْه الرَّدَى * وشهاباً ضاءَ وَهْناً وخمدْ (٢)

قُلْ لصبِّ (النيلِ) إنْ لاقيتَه * في جوارِ الدائمِ الفردِ الصمدْ (٣)

إنّ (مصرًا) لا تَنِي عنْ قصدِها * رَغْمَ ما تلقَى وإنْ طالَ الأمدْ

جئتُ عنها أحملُ البُشْرى إلى * أوّلِ البانينَ في هذا البلدْ

فاسترحْ واهنأْ ونمْ في غِبطةٍ * قد بذرتَ الحبَّ والشعبُ حصدْ

آثرَ (النيلَ) على أموالِه * وقُواهُ وهَواهُ والولدْ (٤)

يطلبُ الخيرَ (لمصر) وهْوَ في * شِقوةٍ أحلَى من العيشِ الرَّغَدْ (٥)

---

(١) يحتمل هذا البيت معنيين : أحدهما أنه يريد وصف الفقيد بالقوّة وجلال الشأن ، فشبهه حين نزل برلين مدينة القوّة بالشمس حين تنزل برج الأسد ؛ والثانى ما يقوله قدماء المنجمين من أن نزول الشمس فى برج الأسد دليل على وقوع الموت ؛ و يكون هذا البيت بالمعنى الثانى ترشيحا للبيت الذى بعده .

(٢) فل حدّيه : ثلمهما . والوهن : نحو من نصف الليل .

(٣) صب النيل : عاشقه . ويريد به (المرحوم مصطفى كامل باشا) .

(٤) آثر النيل : فضله . يشير بهذا البيت الى هجرة الفقيد الى أوربا فى سبيل بلاده وتركه ماله وأهله وولده .

(٥) العيش الرغد : الطيب الواسع . ويشير بهذا البيت الى ما تجرعه الفقيد فى غربته من بؤس وشقاء ، وإيثاره هذا البؤس على العودة الى وطنه المحتل .

ضَارِبٌ فى الأَرضِ يَبْغى مَأْرَبًا * كلَّما قارَبَه ، عنه ابْتَعَدْ (١)

لم يَعِبْه أَنْ تَجَنَّى دَهْرُه * رُبَّ جِدٍّ حادَ عن مَجْراه جَدّ (٢)

يَسْتَجِمُّ العَزْمَ حتّى إنْ بَدَتْ * فُرصةٌ شَدَّ اليها وصَمَد (٣)

فهو لا يَثْنِى عِنانا عن مُنًى * وهو هِجِّيراه (مَنْ جَدَّ وَجَد) (٤)

فأَيادِيه إذا ما أُنْكِرَتْ * إنَّما تُنْكِرُها عَيْنُ الحَسَد (٥)

فقَدَتْ (مِصْرُ فريدا) وهىَ فى * مَوْطِنٍ يُعْوِزُها فيه المَدَد

فقَدَتْ (مصرُ فريدا) وهىَ فى * لَهْوَةِ المَيْدانِ والموتُ رَصَد (٦)

فقَدَتْ منه خَبيرا حُوَّلًا * وهىَ والأَيّامُ فى أَخْذٍ ورَدّ (٧)

لم يَكَدْ يُمْتِعُها الدَّهْرُ به * فى رُبُوعِ (النِّيل) حيًّا لم يَكَد

لَيْتَه عاشَ قليلا فَتَرى * شَعْبَ (مِصْرٍ) عَيْنُه كيفَ اتَّحَد (٨)

وَيْحَ (مِصرٍ) بَلْ فوَيْحًا للثَّرَى * إنّه أَبْلَغُ حُزْنًا وأَشَدّ

كم تَمَنَّى وتَمَنَّى أَهْلُه * لو يُوارَى فيه ذَيّاكَ الجَسَد (٩)

(١) ضرب فى الأرض : ذهب فيها ساعيا .

(٢) الجد (بالكسر) : الاجتهاد . (وبالفتح) : الحظ . ومجراه ، أى طريقه . يقول : رب اجتهاد أخطأه الحظ فلم يفد صاحبه ولم يثمر . (٣) يستجم العزم ، أى يريحه ؛ يقال : إنى لأستجم قلبى بشىء من اللهو حتى أقوى على الحق ، أى إنى لأجعل قلبى يتفكه بشىء من اللهو ليستجمع قوته . وصمد : قصد . (٤) هجيراه ، أى دأبه وشأنه وعادته . (٥) الأيادى : النعم .

(٦) شبه مصر فى ميدان الجهاد بلهوة الرحى ، وهى بفتح اللام وضمها ، ما يلقى فى فمها للطحن .

(٧) الحوّل : الحاذق البصير بتحويل الأمور . (٨) يشير بهذا البيت الى اتحاد مسلمى مصر وقبطها فى سنة ١٩١٩م ، تحت رآسة المرحوم سعد زغلول باشا . (٩) يوارى : يدفن .

لَهْفَ نَفْسِي هل (بِبَرْلِينَ) امْرُؤٌ * فوق ذاكَ القبرِ صلّى وسجدْ؟
هل بكَتْ عينٌ فروّتْ تُربَه * هل على أحجارِه خطَّ أحدْ؟ (1)
هاهُنَا قبرُ شهيدٍ في هوى * أمّةٍ أيقظها ، ثمّ رقدْ

رثاء عبد الله أباظه بك (2)

[أنشد هذين البيتين على قبره في سنة ١٩١٩ م]

يا عابدَ اللهِ نَمْ في القبرِ مُغتبِطًا * ما كنتَ عنْ ذِكرِ ربِّ العرشِ باللاهي
يا رحمةَ اللهِ هٰذا قبرُه فقِفِي * وآنِسِي روحَه يا رحمةَ اللهِ

رثاء عبد الحميد رمزى

قالها على لسان ابراهيم رمزى بك في حفل تأبين ابنه عبد الحميد، وكان طالبا بالمدارس الثانوية ، ولم يقو أبوه على الكلام في هذا الحفل، فناب عنه حافظ وقال هذه القصيدة :

[نشرت في ٦ مارس سنة ١٩٢٠ م]

وَلَدِي ، قد طالَ سُهْدِي ونَحِيبِي * جِئْتُ أدعُوكَ فهلْ أنتَ مُجِيبِي؟
جِئْتُ أَرْوِي بدُمُوعِي مَضجَعًا * فيه أودَعْتُ مِنَ الدُّنيا نَصِيبِي

---

(١) خط أحد ، أى كتب على أحجار هذا القبر البيت الآتى بعده .

(٢) عبد الله أباظه بك ، هو ابن السيد أباظه باشا ، كان عضوا بالجمعية التشريعية ، وتقلد عدة مناصب ، وتوفى في سنة ١٩١٩ م .

لا تخف من وحشة القبر ولا * تبتئس إنى موافٍ عن قريب
(١)
أنا لا أترك شبلى وحده * فى جديب موحش غير رحيب
(٢)
أو حين ابتز دهرى قوتى * وذوى عودى ووافانى مشيبى
واكتسى غصنك من أوراقه * تحت شمس العز والجاه الخصيب
ورجونا فيك ما لم يرجه * منجب الأشبال فى الشبل النجيب
(٣)
ينتويك الموت فى شرخ الصبا * والشباب الغض فى البرد القشيب
(٤)
لم يدع آسيك جهدًا إنما * غاب علم الله عن علم الطبيب
(٥)
ايه يا (عبد الحميد) انظر إلى * والدٍ جم الأسى بادى الشحوب
ذاهل من فرط ما حل به * بين أترابك يمشى كالغريب
كلما أبصر منهم واحدًا * هزه الشوق إلى وجه الحبيب
يسأل الأغصان فى إزهارها * عن أخيها ذلك الغصن الرطيب
(٦)
يسأل الأقمار فى إشراقها * عن محيا غاب من قبل المغيب
(٧)
غمر الحزن نواحى نفسه * وأذابت لبه سود الخطوب
فهو لا ينفعه العيش وهل * تصلح الأبدان من غير قلوب؟

(١) الشبل: ولد الأسد. ويعنى «بالجديب الموحش»: القبر. (٢) ابتز: سلب. وذوى عوده: ذبل وجف. (٣) ينتويك: يقصدك. وشرخ الصبا: ريعانه. والقشيب: الجديد (٤) الآسى: الطبيب. (٥) الأسى: الحزن. والشحوب: تغير اللون من حزن أو نحوه. (٦) محيا الإنسان: وجهه (٧) غمر الحزن نواحى نفسه، أى شملها.

طالِعِي ياشَمْسُ قَبْرًا ضَمَّهُ * بالتَّحايا فى شُروقٍ وغُروبِ
واسكُنِي يا رَحْمَةَ اللهِ بِهِ * واجْعَلِي فَيْضَكِ مُنْهَلَّ السُّكُوبِ

رثاء عبد الحليم المصرى الشاعر المعروف

[نشرت فى ٨ يوليه سنة ١٩٢٢ م]

لَكَ اللهُ قد أَسْرَعْتَ فى السَّيْرِ قَبْلَنا * وآثَرْتَ يا "مِصْرِيُّ" سُكْنَى المَقابِرِ
وقد كنتَ فِينا ياقَتَى الشِّعْرِ زَهْرَةً * تَفَتَّحُ للأَذْهانِ قَبْلَ النَّواظِرِ
فَلَهْفِي على تلكَ الأَنامِلِ فى البِلَى * فَكَمْ نَسَجَتْ قَبْلَ البِلَى مِنْ مَفاخِرِ
ويا وَيْحَ للأَشْعارِ بَعْدَ نَجِيِّها (١) * ووَيْحَ القَوافى ساقَها غيرُ شاعِرِ
تَزَوَّدْتَ مِنْ دُنْياكَ ذِكْرًا مُخَلَّدًا * وذاكَ لَعَمْرِى نِعْمَ زادُ المُسافِرِ
وأَوْرَثْتَنا حُزْنًا عليكَ وحَسْرَةً * على فَقْدِ سَبَّاقٍ كَرِيمِ المَحاضِرِ (٢)
فلَمْ تَثْوِ يا (عَبْدَ الحَلِيمِ) بِحُفْرَةٍ (٣) * ولكنْ بِرَوْضٍ مِنْ قَرِيضِكَ ناضِرِ
فَدِيوانُكَ الرَّيَّانُ يُغْنِيكَ طِيبُهُ * عَنِ الزَّهْرِ مَطْلُولًا بِجَوْدِ المَواطِرِ (٤)
فَسامِرْ (أبا بَكْرٍ) هُناكَ فإِنَّهُ (٥) * سَيَظْفَرُ فى عَدْنٍ بِخَيْرِ مُسامِرِ

---

(١) نجيها ، أى من يناجيها . (٢) المحاضر : المجالس . (٣) ثوى بالمنزل : أقام به . (٤) الزهر المطلول : المبلل بالطل . والجود : المطر الكثير . والمواطر : السحب .

(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لعبد الحليم المصرى فى سيرة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأولها :

أفضنى أبا بكر عليهم قوافيا * وأمطر لسانى حكمة ومعانيا

هَنِيئًا لَكَ الدَّارُ الَّتِى قـد حَلَلْتَهـا * وأَعْظِـمْ بِمَنْ جَاوَرْتَه مِنْ مُجَـاوِرِ
عليـكَ سَـلامٌ ما تَرَنَّمَ مُنْشِـدٌ * وقامَ خَطِيبٌ فَـوْقَ هامِ المَنَـابِرِ (١)

ذكرى الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بالجامعة المصرية فى يوم الثلاثاء ١١ يوليه سنة ١٩٢٢ م

وقد ضمنها رثاء المرحوم حفنى ناصف بك

آذَنَتْ شَمْـسُ حَيـاتِى بمَغِيـبِ * ودَنَا المَنْهَـلُ يا نَفْسُ فطِيـبِى (٣)
إنَّ مَنْ سارَ إليـه سَـيْرَنا * وَرَدَ الراحةَ مِنْ بَعْـدِ اللُّغُوبِ (٤)
قـد مَضَى (حِفْنِى) وهٰـذا يَوْمُنا * يَتَـدانَى فَاسْـتَثِيبِى وأَنِيـبِى (٥)
وارْقُبِيـهِ كُلَّ يَـوْمٍ إنَّمـا * نَحْـنُ فى قَبْضَةِ عَلَّامِ الغُيُوبِ
اُذْكُرِى المـوتَ لَدَى النَّوْمِ ولا * تَغْفُـلِى ذِكْرَتَه عنـد الهُبُـوبِ
واذْكُرِى الوَحْشَةَ فى القَبْرِ فلا * مُؤْنِسٌ فيه سِوَى تَقْوَى القُلُوبِ
قَدِّمِى الخَيْرَ احتِسـاباً فكَفَى * بعضُ ما قَدَّمْتِ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ
راعَـنِى فَقْـدُ شَـبابِى وأنَا * لا أُراعُ اليَـوْمَ مِنْ فَقْـدِ مَشِيبِى
حَنَّ جَنْبـايَ الى بَرْدِ الـثَّرَى * حَيْثُ أَنْسَى مِنْ عَـدُوٍّ وحَبِيبِ

---

(١) هام المنابر: رءوسها؛ الواحدة هامة. (٢) انظر الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء الأول.
(٣) آذنه بالأمر: أعلمه بقربه. والمنهل: المورد؛ يريد به الموت. (٤) اللغوب: التعب.
(٥) استثيبى: اطلبى الثواب من الله. وأنيبى: ارجعى اليه بالطاعة.

مَضجَعٌ لا يَشتَكِي صاحِبُه * شِدَّةَ الدَّهرِ ولا شَدَّ الخُطُوبِ (١)

لا ولا يُسئِمُه ذاكَ الَّذي * يُسئِمُ الأَحياءَ مِن عَيشٍ رَتِيبِ (٢)

قد وَقَفنا سِتَّةً نَبكِي على * عالِمِ المَشرِقِ في يَومٍ عَصِيبِ (٣)

وَقَفَ الخَمسَةُ قَبلِي فَمَضَوا * هكذا قَبلِي وإِنِّي عن قَرِيبِ

وَرَدُوا الحَوضَ تِباعاً فَقَضَوا * بِاتِّفاقٍ في مَناياهُم عَجِيبِ

أَنا مُذ بانُوا وَوَلَّى عَهدُهُم * حاضِرُ اللَّوعَةِ مَوصُولُ النَّحِيبِ (٤)

هَدَأَت نِيرانُ حُزني هَدأَةً * وَانطَوى (حِفنِي) فَعادَت لِلشُّبُوبِ

فَتَذَكَّرتُ بِه يَومَ انطَوى * صادِقُ العَزمَةِ كَشّافُ الكُرُوبِ (٥)

---

(١) شدّ الخطوب، أي حملها عليه . (٢) يريد «بالرتيب» : العيش الثابت المتكرر بحال واحدة لا تتغير، والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى : الراتب لا الرتيب . (٣) يشير بهذا البيت وما بعده الى قصة عجيبة ، وهي أنه لما توفي المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر ستة من الخطباء والشعراء، أولهم الشيخ أحمد أبو خطوة ، ثم حسن عاصم باشا ، ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير ، ثم قاسم أمين بك ، ثم حفني ناصف بك ، ثم حافظ ابراهيم بك . واتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم في الرثاء ، فلاحظ ذلك المرحوم حفني بك ناصف ، فبعث الى حافظ بهذه الأبيات :

أتذكر اذ كنا على القبر ستة * نعدد آثار الإمام وننـدب
وقفنا بترتيب وقد دب بيننا * ممات على وفق الرثاء مرتب
أبو خطوة ولى وقفاه عاصم * وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبى وغابت بعده شمس قاسم * وعما قليل نجم محياي يغرب
فلا تخش هلكا ما حييت وإن أمت * فما أنت الا خائف تترقب
فخاطر وقع تحت القطار ولا تخف * ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب
وخض بلجج الهيجاء أعزل آمنا * فإن المنايا عنك تنأى وتهرب

فلما توفي حفني بعد ذلك نظم حافظ مرثيته تلك . (٤) بانوا : بعدوا .

(٥) يريد «بصادق العزمة» : المرحوم الشيخ محمد عبده .

يـــومَ كَفّنّـاه فى آمالِنـا * وذَكَرْنا عِنْـدَه قَـوْلَ (حَبِيب)[(١)] :

عَرَفُوا مَنْ غَيَّبُوه وكذا * تُعرَفُ الأقْمَارُ مِنْ بَعْدِ المَغِيب[(٢)]

وفُجِعْنـا بإمامٍ مُصْــلِحٍ * عامِــرِ القَلْبِ وأوّابٍ مُنِيـب[(٣)]

كَمْ له من باقِياتٍ فى الهُدَى * والنَّـدَى بين شُرُوقٍ وغُرُوب

يَبْـذُلُ المَعْرُوفَ فى السِّــرِّ كما * يَرْقُبُ العاشِــقُ إغْفـاءَ الرَّقِيب[(٤)]

يُحْسِنُ الظَّنَّ به أعــداؤُه * حِينَ لا يَحْسُنُ ظَنٌّ بقَــرِيب

تَنْزِلُ الأضْيافُ منـه والمُــنَى * والخِلالُ الغُرُّ فى مَرْعًى خَصِيب

قد مَضَتْ عَشْرٌ وسَـبْعٌ والنُّهَى * فى ذُبُـولٍ والأمانِى فى نُضُـوب[(٥)]

نَرْقُبُ الأُفْــقَ فلا يَبْــدُو به * لامِــعٌ مِنْ نُــورِ هادٍ مُسْتَثِيب[(٦)]

ونُنـادِى كُلَّ مَأْمُــولٍ وما * غيرُ أصْـداءِ المُنـادِى مِنْ مُجِيب

دَوِىَ الجُــرْحُ ولَمْ يُقْــدَرْ له * بعْدَ ثاوِى (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَبِيب[(٧)]

أجْدَبَ العِــلْمُ وأمسَى بعْــدَه * رائِــدُ العِرْفانِ فى وادٍ جَدِيب[(٨)]

---

(١) حبيب ، هو ابن أوس الطائى ، المكنّى أبا تمام ، الشاعر المعروف .

(٢) يلاحظ أن هذا البيت قد ورد فى شعر حبيب بن أوس بمعناه قال يرثى إسحاق بن أبى ربعى :

قـــد علمت مارزئت إنما * يعرف فقد الشمس عند المغيب

ولم يرد بلفظه كما توهمه عبارة حافظ فى البيت الذى قبله . (٣) الأوّاب : كثير الرجوع إلى الله . والمنيب : من أناب ، بمعنى رجع . (٤) الإغفاء : النوم . (٥) النضوب : الجفاف . (٦) مستثيب ، أى يطلب ممن ضل طريق الهدى أن يثوب إليه ، أى يرجع . (٧) دوى : صار ذا داء . والثاوى : المقيم . وعين شمس : البلد الذى كان يسكنه الفقيد ، وهى ضاحيـة من ضواحى القاهرة معروفة . (٨) الرائد : الطالب .

رَحْمَةُ الدِّينِ عليه كلّما * خَرَجَ التفسيرُ عن طَوْقِ الأَرِيبِ (١)

رَحْمَةُ الرأيِ عليه كلّما * طاشَ سَهْمُ الرأيِ فى كَفِّ المُصِيبِ

رَحْمَةُ الفَهْمِ عليه كلّما * دَقَّتِ الأَشْياءُ عن ذِهْنِ اللَّبِيبِ

رَحْمَةُ الحِلْمِ عليه كلّما * ضاقَ بالحِدْثانِ ذو الصَّدْرِ الرَّحِيبِ

ليسَ فى مَيْدانِ (مِصْرٍ) فارِسٌ * يَرْكَبُ الأَخْطارَ فى يَوْمِ الرُّكُوبِ

كلّما شارَفَه مِنّا فَتًى * غالَهُ المِقْدارُ مِنْ قَبْلِ الوُثُوبِ (٢)

ما تَرَى كيفَ تَوَلَّى (قاسِمٌ) * وهو فى المَيْعَةِ والبُرْدِ القَشِيبِ (٣)

أَنْسِيَ الأَحْياءُ ذِكْرَى (عَبْدِه) * وهىَ لِلْمُسْتافِ مِنْ مِسْكٍ وطِيبِ (٤)

إِنّهم لو أَنْصَفُوها لَبَنَوْا * مَعْهَدًا تَمْتادُهُ كَفُّ الوَهُوبِ (٥)

مَعْهَدًا للدِّينِ يُسْقَى غَرْسُه * مِنْ نَمِيرٍ فاضَ مِنْ ذاكَ القَلِيبِ (٦)

ونَسِينا ذِكْرَ (حِفْنِي) بَعْدَه * ودَفَنّا فَضْلَه دَفْنَ الغَرِيبِ

لَمْ تَسِلْ مِنّا عليه دَمْعَةٌ * وهو أَوْلَى الناسِ بالدَّمْعِ الصَّبِيبِ (٧)

---

(١) الطوق : الجهد والطاقة . والأريب : العاقل البصير . ويريد « بالتفسير » : تفسير القرآن الكريم ، وكان الفقيد يتولى تدريسه بالأزهر .

(٢) شارفه : أشرف عليه ودنا منه .

(٣) ميعة الشباب : أوّله . والقشيب : الجديد . وقاسم ، هو المرحوم قاسم بك أمين .

(٤) استاف الطيب : شمه .

(٥) تمتاده ، أى تتعوّد الإنفاق عليه وتتعهده بالبذل .

(٦) الماء النمير : الناجع فى الرى . والقليب : البئر . ويريد به الفقيد .

(٧) الصبيب : المنصبّ .

سَكَنَتْ أَنفاسُ (حفْنِى) بعْـدَ ما * طَيَّبَتْ فى الشَّرْقِ أَنفاسَ الأَدِيبِ (١)

عاشَ خِصْبَ العُمْرِ مَوْفُورَ الحِجَا * صادِقَ العِشْرَةِ مأْمُونَ المَغِيبِ

تأبين حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدى بك (٢)

قالها فى الحفل الذى أقامه الأحرار الدستوريون لتأبين الفقيدين

[يوم الأربعين ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ م]

عَلَمـانِ مِنْ أَعْلامِ مِصْـ * ـرَ عَدَا الرَّدَى فَطَواهُمَـا

(حَسَنٌ) و(زُهْدِى) لَمْ يُمَـ * ـتَّـعْ بالشَّبـابِ كِلاهُمـا

سَلَكا سَبِيلَ الحَـقِّ ما * عاشَـا وما أَوْلاهُمَـا!

دَاسَ الأَثِيـمُ حِمـاهُما * تَحْتَ الدُّجَى ودَهاهُمـا

فرَمَى النُّهَى والفَضْلَ يُحْـ * ـتَمِعَيْنِ حِيـنَ رَماهُمـا

إِنْ تَذْكُرُوا هِمَمَ الرِّجا * لِ فقَدِّمُوا ذِكْراهُمـا

أَوْ تَسْأَلُونِى عَنْ شَهِيـ * ـدَىْ مَبْـدَإٍ فَهُمَا هُمـا

---

(١) سكون الأنفاس : كناية عن الموت . ويريد بقوله « طيبت فى الشرق أنفاس الأديب » : أن أدباء الشرق قد تخرجوا عليه ، وأخذوا من أدبه وفضله ما طابت به منشآتهم وارتفع به أدبهم .

(٢) فى مساء الخميس ١٦ نوفبر سنة ١٩٢٢ م ، اعتدى معتد على عضوين من أعضاء حزب الأحرار الدستوريين ، هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا واسماعيل زهدى بك ، فرماهما بالرصاص ولم يمهلهما الأجل إلا أياما ، فتوفى اسماعيل بك أولا ، وتوفى حسن باشا بعده ، وكان مبعث هذا الاعتداء الخلاف السياسى بين الأحزاب .

رثاء إسماعيل صبرى باشا (١)

أنشدها فى حفل التأبين الذى أقيم فى فناء مدرسة المعلمين بالمنيرة فى مايو سنة ١٩٢٣ م، وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة أكثر المجتمعون التصفيق ترحيبا به، فقال مرتجلا :

أَكْثَرْتُمُ التَّصفيقَ فى مَوْطِنٍ * كان البُكَا فيه بِنَا أَلْيَقَا

فَأَكْرِمُوا (صَبْرِى) بإنْصَاتِكُمْ * ولْيُعْذَرِ الدَّمْعُ إذا صَفَّقَا

ثم ابتدأ فى إنشاد قصيدته :

نَعَاكَ النُّعَاةُ وحُمَّ القَدَرْ * ولَمْ يُغْنِ عَنَّا وعَنْكَ الحَذَرْ (٢)

طَوَتْ ذَبْحَةُ الصَّدْرِ صَدْرَ النَّدِىِّ * فَلَمْ تَطْوِ إلَّا بِجِلِّ العِبَرْ (٣)

فأَمْسَيْتَ تُذْكَرُ فى الغابِرِين * وإنْ قَلَّ مِثْلُكَ فِيمَنْ غَبَرْ (٤)

إذا ذُكِرَتْ سِيَرُ النَّابِهِين * فَسِيرَةُ (صَبْرِى) تَجُبُّ السِّيَرْ (٥)

لقد كنتَ بَرًّا بِظِلِّ الشَّبابِ * فلمَّا تَقَلَّصَ كُنْتَ الأَبَرّ (٦)

---

(١) ولد المرحوم إسماعيل صبرى باشا فى سنة ١٨٥٤ م، وبعد أن أخذ حظه من التعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق، سافر إلى أوربا فأتم علومه القانونية هناك، ونال الشهادة من كلية اكس، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية، وآخر منصب تولاه وكالة الحقانية، واعتزاله فى سنة ١٩٠٧، وكانت وفاته فى ربيع سنة ١٩٢٣ م. وشعره معروف بالرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب، كما اشتهر بالإجادة فى المقطعات الصغيرة، وإلى هذا يشير حافظ فى مرثيته . (٢) حم القدر : قضى (بالبناء للمجهول فيهما) . ويريد «بالقدر» : الموت . (٣) يشير إلى أن الفقيد توفى بالذبحة الصدرية، وقد عاش مصابا بها رحمه الله أعواما طويلة . والندى : مجلس القوم ومتتداهم . (٤) الغابرون : الماضون . (٥) تجب السير : تقطعها وتذهب بها . يقول : إنه إذا ذكر الفقيد لم يذكر سواه فى النابهين من الرجال . (٦) تقلص الظل : تقبض . يريد أنه قد بعد عن الإثم فى شبابه، فلما ذهب شبابه كان بعده عن الإثم أشد .

فَلَمْ تَسْتَبِقْ نَزْوَةً فى الصِّبا * وَلَمْ تَسْتَبِحْ هَفْوَةً فى الكِبَرْ

أَهَنِّى الثَّرَى أم أُعَزِّى الوَرَى * لقد فازَ هٰذا وهٰذا خَسِرْ

أَأَوَّلَ يومٍ لِعَهْدِ الرَّبيعِ * تَجِفُّ الرِّياضُ ويَذْوِى الزَّهَرْ (١) ؟

ويَذْبُلُ زَهْرُ القَرِيضِ الثَّرِىّ (٢) * ويُقْفِرُ رَوْضُ القوافى الغُرَرْ

لِيَهْدَأْ (عُمانُ) فَغَوَّاصُهُ (٣) * أُصِيبَ وأَمْسَى رَهِينَ الحُفَرْ

فقد كانَ يَعْتادُهُ دائبًا (٤) * بُكُورًا رَوُوحًا لِنَهْبِ الدُّرَرْ

يَقُولُ فَيُرْخِصُ دُرَّ النُّحُورِ * ويُغْلِى جُمانَ (٥) بَناتِ الفِكَرْ

يَسُوقُ القِصارَ فيَأْبَى العِثارَ (٦) * وَكَمْ مِنْ مُطِيلٍ مُمِلٍّ عَثَرْ

قِصارٌ وحَسْبُ النُّهَى أَنَّها * لَها مُعْجِزاتُ قِصارِ السُّوَرْ

رُحِمْتَ، فقد كُنْتَ حُلْوَ اللِّسانِ * جَلِىَّ البَيانِ صَدُوقَ الخَبَرْ

قليلَ التَّعَجُّبِ جَمَّ الأَناةِ (٧) * حَكِيمَ الوُرُودِ حَكِيمَ الصَّدَرْ

شَمائِلُكَ الغُرُّ هُنَّ الرِّياضُ * رَوَى عن شَذاها (٨) نَسِيمُ السَّحَرْ

---

(١) ذوى الزهر : ذبل . ويشير بهذا الى أن وفاة الفقيد كانت فى فصل الربيع .

(٢) القريض الثرى : الغنى بمعانيه وألفاظه . (٣) عمان : كورة من بلاد العرب معروفة باللؤلؤ المستخرج من بحرها . ويريد الشاعر بهذا البيت تشبيه شعر الفقيد باللؤلؤ الذى يؤتى به من بحر عمان .

(٤) يعتاده دائبا ، أى يواظب على استخراج اللآلئ منه ليرصع بها شعره . (٥) الجمان : اللؤلؤ ، الواحدة جمانة . ويريد « ببنات الفكر » : معانى الشعر . (٦) يشير الى أن الفقيد كان أجود ما يكون شعره فى المقطوعات القصيرة . (٧) الأناة : التأنى . ويريد « بحكيم الورود ... » الخ : أنه بصير بمواقع الأمور يحسن الدخول اليها والخروج منها . (٨) الشذا : الرائحة الطيبة .

لها مِثْلُ رَوْحِ الدُّعاءِ ٱستُجيب * فعـافَ وآوَى وأغْنَى وسَـتَرْ (١)

إذا ما وَرَدْتَ لهـا مَنْهـلًا * وَرَدْتَ نَمِـيرًا لَذيذَ الخَصَر (٢)

وفِكْرُكَ فى خِصْبِه ثَرْوةٌ * لِفكْرِ الأَدِيبِ إذا ما افْتَقَـر (٣)

وشِـعْرُكَ كالمـاء فى صَفْوِه * على صَـفْحَتَيْه تَراءَى الصُّـوَر (٤)

عُيونُ القصائِدِ مِثـل العُيون * وشِـعْرُك فيهنّ مِثْـل الحَوَر (٥)

وكم لَكَ شَكْوَى هَوًى أو أَسًى * لهـا نَفَثـاتٌ تُذيبُ الحَجَـر

هَتَفْتَ بهـا مَرّةً فى الهَجِيـر * فكادَ يَدِبُّ إليـكَ الشَّـجَر (٦)

وكم كنتَ تُشْعِلُ فَحْمَ الدُّجَى * بأنفـاسِ صَبٍّ طَوِيلِ السَّهَر (٧)

فيـاوَيْحَ قَلْبِـكَ ماذا أَلَـحّ * عليـه مِن الدّاء حتّى انفطَـر

أيَخْفِقُ تحتَ الدُّجَى وَحْـدَه * لِذِكْرَى أليفٍ سَـلا أو هَجَر (٨)

---

(١) الروح : الراحة .

(٢) النمير : الماء الناجع فى الرى . وخصر الماء (بالتحريك) : برودته .

(٣) يريد بهذا البيت أن الأدباء يستمدّون من معانيه إذا أعوزتهم المعانى .

(٤) تراءى ، تتراءى ، أى تبين وتظهر . (٥) عيون القصائد : نفائسها وكرائمها . والحور فى العين : اشتداد البياض والسواد فى بياضها وسوادها ، واستدارة حدقتها ، ورقة جفونها .

(٦) الهجير : شدّة الحر . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للرحوم اسماعيل صبرى باشا ، أوّلها :

يا سرحة بجـوار الماء ناضرة * سقاك دمعى اذا لم يوف ساقيك

عار عليك وهـذا الظـل منتشر * فتـك الهجير بمثـلى فى نواحيك

(٧) يشير بهذا البيت الى مقطوعات الفقيد فى النسيب والشوق ، وهى من أنفس شعره .

(٨) يشير بهذا البيت الى قول الفقيد يخاطب فؤاده :

سـلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا * حمل الصبابة فأخفق وحدك الآنا

إذا قيل (صبرى) ذكرت (الوليد) * ومرت بنفسى ذكرى (عمر)[١]

يزين تواضعه نفسه * كما زان حسن الملاح الخفر[٢]

زكى المشاعر عف الهوى * شهى الأحاديث حلو السمر[٣]

لقد كنت أغشاه فى داره * وناديه فيها زها وازدهر

وأعرض شعرى على مسمع * لطيف يحس نبو الوتر[٤]

على سمع باقعة حاضر * يميز القديم من المبتكر[٥]

فيصقل لفظى صقل الجمان * ويكسوه رقة أهل الحضر[٦]

يرقرق فيه عبير الجنان * فتستاف منه النهى والفكر[٧]

كذلك كان — عليه السلام — * إماما لكل أديب شعر

فكنا الجداول نروى الظماء * ظماء العقول وكان النهر[٨]

زهدت على شهرة طبقت * وجاه أظل وفضل بهر[٩]

---

(١) يريد «بالوليد وعمر» : أبا عبادة البحترى وعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة القرشى المخزومى ، الشاعرين المعروفين . شبه بهما الفقيد فى رقة الأسلوب ، وعذوبة الألفاظ ، وطرافة المعانى ، وحسن النسيب . وكان اسماعيل صبرى رحمه الله ، يعجب كثيرا بشعر البحترى و يفضله على غيره من الشعر .

(٢) الخفر : شدة الحياء . (٣) زكى المشاعر : طاهرها . وعف الهوى : عفيفه فلا يدعوه حبه الى ارتكاب مأثم . (٤) يريد بقوله «يحس نبو الوتر» : أنه كان يدرك بلطف حسه ودقة ذوقه مانبا من الألفاظ والعبارات ، ونذ عما جاوره ولم ينسجم معه فى البيت أو القصيدة .

(٥) الباقعة : الذكى العارف الذى لا يفوته شىء . (٦) يصقل لفظى ، أى يجلوه و يحسنه .

(٧) العبير : الرائحة الطيبة . وتستاف : تشم . والنهى : العقول .

(٨) الجداول : الأنهار الصغيرة من النهر الكبير . (٩) أظل : أى امتد ظله واتسع .

خَلَعْتَ الشَّبابَ فَلَمْ تَبْكِه * وساءَكَ أنـك لَمْ تُحْتَضَـر (١)

وقد ذُقْتَ طَعْمَ الرَّدَى عِنْدَ ما * أُصيبَ قِطارُكَ يومَ السَّفَر (٢)

فأقْسَمْتَ أنَّكَ أَلْفَيْتَـه * لَذِيذَ المَـذاقَة إذْ تُحْتَضَـر (٣)

تَمَنَّيْتَ أنْ لَمْ تَعُدْ لِلحَياة * ولكنْ أباها عليكَ القَـدَر

وكم ساعةٍ بين ساعِ الحَياة * سَقَتْكَ المُرارَ بكأسِ الضَّجَر (٤)

فَرُحْتَ الى أُخْتِها شاكِيًا * أذاقَتْكَ منها فكانَتْ أَمَر (٥)

فَفَتَّشْتَ أَثْناءَها جاهِدًا * بعَيْنَيْ بَصيرٍ بَعيدِ النَّظَر

فَلَمْ تَرَ فيها على طُولِها * هُنَيْهَةَ صَفْوٍ خَلَتْ مِنْ كَدَر (٦)

---

(١) احتضر فلان بالبناء للمجهول : مات غضا شابا . (٢) يشير بهذا البيت والذين بعده الى ما حدث للفقيد أيام كان محافظا لمدينة الاسكندرية ، وذلك أنه بينما كان راكبا قطار الرمل عائدا الى منزله من زيارة صاحب السمو الخديوى عباس الثانى اذ اصطدم القطار الذى كان يقله مع قطار آخر ، وقد أصيب فى هذه الحادثة كثيرون من الركاب باصابات مختلفة ، وتوفى بعضهم ، وقد أغمى على الفقيد إغماء طويلا ، وأصيب بارتجاج فى مخه ، حتى إنه كان بعد ذلك كثير النسيان من أثر ذلك ، كما أصيب برضوض فى كتفه الأيسر ، وكان يحدث الى جلسائه بأنه قد ذاق طعم الموت فى هذا الحادث فوجده لذيذ المذاق ، وكان يتمنى أن لم تعد اليه الحياة ثانية . (٣) احتضر فلان (بالبناء للمجهول) : حضره الموت .

(٤) الساع : جمع ساعة . والمرار بالضم : شجر شديد المرارة . شبه الأحزان والهموم بعصارة هذا النبات . ويشير بهذا البيت الى مقطوعة للفقيد فى الساعة ، أولها :

كم ساعة آلمنى مسها * وأزعجتنى يدها القاسيه

(٥) يشير بهذا : الى قول الفقيد فى مقطوعة الساعة التى سبقت الإشارة اليها :

وكم سقتنى المر أخت لها * فرحت أشكوها الى التاليه

فأسلمتنى هـذه عنوة * لساعة أخرى وبى ما بيه

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى قول الفقيد فى مقطوعة الساعة أيضا :

فتشت فيها جاهدا لم أجد * هنيهـة واحدة صافيـه

وما زِلتَ تشكو الى أنْ أتتْ * كما تشتهى ساعةٌ لم تذر (١)

فلا صدَّ تخشاه بعدَ الوِصال * ولا ضعفَ تشكوه بعدَ الأشَر (٢)

أريحَ فؤادُكَ مما ضناه * وصدرُكَ مما عليه انكدر (٣)

تمنَّيتَها خطوةً للممات * تُفرِّجُ عنكَ كُروبَ الغِيَر (٤)

وها قد خطاها ونلتَ المُنَى * فهل فى المماتِ بلوغُ الوطَر (٥)

صدقتَ ففي الموتِ نصرُ الأبىّ * على الدهرِ إنْ هو يوماً غدَر

مللتَ الثَّواءَ بدارِ الزَّوال * فماذا رأيتَ بدارِ المَقرّ (٦)

أتحتَ التُّرابِ يُضامُ الكريم * ويَشقَى الحليمُ ويخفَى القمر؟

ويُهضَمُ حقُّ الأديبِ الأريب * ويُطمَسُ فضلُ النَّبيه الأغرّ؟ (٧)

أتحتَ التُّرابِ تُساقُ الشُّعوب * بسوطِ العُبودةِ سَوقَ البقَر؟

ويُعقَدُ مؤتمرٌ للسَّلام * فنخرجُ منه إلى مؤتمر؟

(١) ساعة لم تذر : يريد ساعة الموت ؛ ويشير بهذا البيت الى قول الفقيد فى آخر مقطوعة الساعة :

ياشاكى الساعات أسمع عسى * تنبيك منها الساعة القاضيه

(٢) الأشر : البطر ؛ وقابله بالضعف لأن الأشر انما يكون مع القوة والقدرة .

(٣) مما عليه انكدر ؛ أى مما انصبَّ عليه من الهموم .

(٤) الغير : تغيرات الزمان ونوائبه . ويشير بهذا البيت والذى بعده إلى قول الفقيد :

ياموت هأنذا فخذ * ما أبقت الأيام منى

بينى وبينك خطوة * إن تخطها فرجت عنى

(٥) الوطر : الحاجة . (٦) الثواء : الإقامة .

(٧) الأريب : العاقل الفطن .

فإنْ كانَ ما عِنْدَنا عِنْدَكُمْ * فليسَ لنا مِنْ شَقاءٍ مَفَرْ

خِضَمُّ الحَياةِ بَعيدُ النَّجاةِ * فطُوبَى لراكِبِه إنْ عَبَرْ (١)

فَعُدْ سالِمًا غانِمًا للتُّرابِ * كرَأْيِكَ في الموتِ وآهنأْ وقِرْ

رثاء سعيد زغلول (٢)

أنشدها على قبر الفقيد بعد دفنه

[نشرت فى ٢١ يوليه سنة ١٩٢٣ م]

ما أنتَ أوّلَ كوكَبٍ * في الغَرْبِ أدرَكَه المَغيبْ

فهُناكَ أقمارُ المَشا * رِقِ قد أُتيحَ لها الغُروبْ

داسَ الحِمامُ عَرينَ خا * لِكَ، وهو مَرْهوبٌ مَهيبْ (٣)

لم يَثْنِه عنكَ الرَّئِيـ * ـسُ ولا رَمَى عنكَ الخُطوبْ (٤)

يا(سعدُ) كيفَ قضَى (سعيـ * ـدٌ) وهْوَ مِنْ (سعْدٍ) قريبْ؟

---

(١) الخضم : البحر .

(٢) نشأ سعيد زغلول فى ظل خاله المغفور له سعد زغلول باشا ، وبعد أن تخرج فى مدرسة الحقوق عين مساعدا للنيابة ، ثم انتقل الى الديوان السلطانى فى أيام المغفور له السلطان حسين كامل ، ثم عاد إلى النيابة ثانية ، ثم عين قاضيا فى محكمة الزقازيق . ولما سئم خاله الوحدة ، وكان إذ ذاك منفيا بجبل طارق ، استدعاه إليه فكان معه فى جبل طارق ، وصحبه فى سفره بعد ذلك إلى أوربا ، وقد أصيب بمرض لم يمهله إلا أياما ؛ وكانت وفاته فى ١٠ يوليه سنة ١٩٢٣ م ، ثم نقل جثمانه من أوربا الى مصر .

(٣) العرين : مأوى الأسد .

(٤) لم يثنه : لم يصرفه . ويريد « بالرئيس » رئيس الوفد المصرى المرحوم سعد زغلول باشا .

عَجَــبًا ! أتَحْــمِى أُمَّـــةً * وتخــافُ جانبَكَ الخُطُوبْ (١)

ويُغَالُ ضَـيْفُكَ وابنُ أُخْـ * ـتِكَ وهوعَنْ (مِصْرٍ) غَرِيب؟

نُبِّئْتُ أنَّكَ قـــد بَكَيْـ * ـتَ وهالَكَ اليَوْمُ العَصِيب

وإذا بَكَى (سَـعْدٌ) بَكَتْ * لِبُكائِهِ مِنَّـا القُــلُوب

يا (آلَ زُغْــلُولٍ) ذَوَى * مِنْ رَوْضِكُمْ غُصْنٌ رَطِيب (٢)

فَقَـدَتْ بهِ (مِصْرٌ) فَتًى * أَخْلاقُــه مِسْـكٌ وطِيب

يا (آلَ زُغْــلُولٍ) وَعُو * دُكُمُ عـلى الجُــلَّى صَلِيب (٣)

إنِّى لأَخْجَــلُ أَنْ أُعَــزِّيَكُمْ وكُلُّكُــمُ أَرِيــب (٤)

شاكِى سِـــلاحِ الصَّبرِ مُمْ * ـتَحَنٌ لِدُنْيَاهُ لَبِيب (٥)

خَطْبُ الكِنَانَةِ فى فَقِيـ * ـدِكُمُ لِخَطْبِكُمُ يَشِيب (٦)

لَمْ يَبْـــقَ مِنَّــا واحِـــدٌ * إلّا لــه مِنْــه نَصِيب

---

(١) يلاحظ أن فى هذا الشعر إيطاء، لتكرر لفظ «الخطوب» فى بيتين ليس بينهما غير بيت واحد .

(٢) ذوى : ذبل .

(٣) الجلى : المصيبة العظمى . وصليب ، أى صلب .

(٤) الأريب : ذو العقل والرأى .

(٥) شاكى سلاح الصبر، أى متسلح بالصبر، قوى به على مواجهة الخطوب .

(٦) «لخطبكم» ... الخ، أى خطب مصر لأجل الخطب الذى أصبتم به يشيب الرأس لعظم هوله .

رثاء محمد سليمان أباظه بك (١)

[في سنة ١٩٢٣ م]

مَنْ لَمْ يَذُقْ فَقْدَ أَلِيفِ الصِّبَا * لَمْ يَدْرِ ما أَبْدِى وما أُضْمِرُ

أَفْقَدَنِى المَوْتُ به وافِيًا * لا يَعْرِفُ الخَتْلَ ولا يَغْدِر (٢)

تَقْرَأُ فى عَيْنَيْهِ كُلَّ الذى * فى نَفْسِهِ عن نَفْسِهِ يَسْتُرُ

ثلاثةٌ لم تَعْرُ عَنْ عِفَّةٍ : * لِسانُهُ والذَّيْلُ والمِئْزَر (٣)

قد كانَ مِتْلافًا لأَمْوالِهِ * وكانَ نَهّاضًا بِمَنْ يَعْثُرُ

أَوْشَكَ أَنْ يُفْقِرَه جُودُهُ * ومِنْ صُنُوفِ الجُودِ ما يُفْقِر

أُصِيبَ فيه المَجْدُ يَوْمَ انْطَوَى * والعُرْفُ والسائلُ والمُعْسِر (٤)

* * *

كُنَّا على عَهْدِ الصِّبا سَبْعَةً * بِمُسْتَطابِ اللَّهْوِ نَسْتَأْثِر

(البابِلِى) صَفْوَةُ فِتْيانِنا * و(ابن المُوَيْلِحِى) الكاتبُ الأَشْهَر (٥)

و(صادِقٌ) خيرُ بَنِى (سَيِّدٍ) * و(بَيْرَمٌ) إِذْ عُودُهُ أَخْضَر

وكانَ (عَبْدُ اللهِ) أُنْسًا لَنا * وأُنْسُ (عَبْدِ اللهِ) لا يُنْكَر

لَهْوٌ كَرِيمٌ لَمْ يَشُبْ صَفْوَه * رِجْسٌ ولَمْ يَشْهَدْهُ مُسْتَهْتِر (٦)

---

(١) محمد سليمان أباظه بك ، هو ابن سليمان أباظه باشا ولد سنة ١٨٧٢ وتعلم فى مدرسة البوليس ثم كان ضابطا الى سنة ١٨٩٧ م ثم تولى عدة أعمال أخرى آخرها وكالته لمصلحة الأملاك وتوفى سنه ١٩٢٣ م .

(٢) الختل : الخداع .   (٣) المئزر : الازار . وعفة المئزر : كناية عن عفة ماتحته .   (٤) العرف : المعروف .   (٥) انظر التعريف بالبابلى والمويلحى (فى الحاشية رقم ٥ صفحة ١٦٦ والحاشية رقم ٣ من صفحة ١٥٠ من الجزء الأول على الترتيب) .   (٦) لم يشب : لم يخالط . والرجس : النجس .

فكم لنا مِنْ مَجْلِسٍ طَيِّبٍ * يَشْتَاقُه (هارُون) أو (جَعْفَرُ) (١)

نَلْعَبُ باللَّفْظِ كما نَشْتَهِى * ونُضمِر المَعْنَى فما يَظْهَرُ

ونُرْسِلُ النُّكْتَةَ مَحْبُوكَةً * عَنْ غَيْرِنا فى الحُسْنِ لا تَصْدُرُ

ثم انطَوَى هٰذا وهٰذا وما * يُطْوَى مِن الأيَّام لا يُنْشَرُ

كم دَوْحَةٍ أَوْدَى بها عاصِفٌ * والنَّجْمُ مِنْ مَأْمَنِهِ يَنْظُرُ (٢)

ذكرى المرحوم محمد أبى شادى بك (٣)

عَجِبْتُ أَنْ جَعَلُوا يَوْمًا لِذِكْرَاكَا * كأنَّنا قد نَسِينا يومَ مَنْعَاكا

إذا سَلَتْ (يا أبا شَادِى) مُطَوَّقَةٌ * ذِكْرَ الهَدِيلِ فثِقْ أَنَّا سَلَوْنَاكَا (٤)

فى مُهْجَةِ (النِّيلِ) والوادِى وساكِنِهِ * رَجْعٌ لِصَوْتِكَ مَوْصُولٌ بِذِكْرَاكا (٥)

قد عِشْتَ فِينَا نَمِيرًا طابَ مَوْرِدُه * أَسْمَى سَجَايَا الفَتَى أَدْنَى سَجَايَاكَا (٦)

---

(١) يريد هارون الرشيد، وجعفر بن يحيى البرمكى وزيره، وقد توفى جعفر مقتولا بأمر الرشيد سنة ١٨٧ هـ . (٢) الدوحة : الشجرة العظيمة . (٣) كان المرحوم محمد أبو شادى بك علما من أعلام المحاماة وإليه انتهت رآسة نقابة المحامين حينا من الزمن كما كان صحفيا مبرزا وأنشأ صحيفة يومية سماها « الظاهر » وانتخب عضوا فى مجلس النواب وتوفى فى ٣٠ يونية سنة ١٩٢٥ م .

(٤) المطوقة : الحمامة، لما يحيط بعنقها من لون يخالف سائر لونها . والهديل : زعم بعض الأعراب أنه فرخ من الحمام قديم مات ضيعة وعطشا، فيقولون : ما من حمامة إلا وهى تبكى عليه .

(٥) رجع الصوت : صداه . (٦) النمير : الماء الناجع فى الرى . ويريد بقوله «أسمى سجايا» : أن أعلى ما يحلى به الناس من صفات فاضلة هو أقل ما تحلى به من شيم ومكارم .

فما كأولاكَ فى بِرٍّ وفى كرمٍ * أولى كريمٍ، ولا عُقْبى كعُقْباكا

قضيةُ الوطنِ المغبونِ،قد ملأتْ * أنحاءَ نفسِكَ شُغْلاً عن قضاياكا

أبليتَ فيها بلاءَ المخلصين لها * وكان سهمُكَ أنّى رِشتَ (١) قتّاكا

أجملتَ ما فصّلوه فى قصائدهمْ * حتّى لقد نضَّروا (٢) بالحمْد مثواكا

لم يُبْقِ لى قيدَ شبرٍ صاحباى ولم * يفسحْ لىَ القولَ لا هذا ولا ذاكا

يا مُدمنَ الذّكرِ والتّسبيحِ مُحتسباً * ها أنتَ فى الخلدِ قد جاورتَ مولاكا

لو لم يكنْ لكَ فى دُنياكَ مفخرةٌ * سوى (زكىٍّ) (٣) لقد جمّلتَ دُنياكا

رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبين الفقيد فى ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ م

إيهِ يا ليلُ هلْ شهدتَ المُصابا * كيف ينصبُّ فى النفوسِ انصبابا؟

بلِّغ المشرقَيْنِ قبلَ انبلاجِ الصُّبحِ (٤) أنَّ الرئيسَ ولَّى وغابا

وانعَ للنيِّراتِ (سعداً) فـ (سعدٌ) * كان أمضَى فى الأرض منها شهابا

قُدَّ (٥) يا ليلُ من سوادِكَ ثوباً * للدَّرارِى وللضُّحى جلبابا

(١) راش السهم يريشه، اذا ألصق به الريش ليكون أسرع فى مضيه .

(٢) نضروا، من النضرة، وهى الحسن والبهجة . ومثواك : قبرك .

(٣) المراد « بزكى » : الدكتور أحمد زكى أبو شادى، ابن الفقيد .

(٤) انبلاج الصبح : إشراقه . (٥) قد : اقطع . والدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الكواكب المضيئة الصافية الشعاع .

أنسُجِ الحالكاتِ منكَ نِقاباً (١) * وأحبُ شمسَ النهارِ ذاكَ النقابا

قُل لها: غابَ كوكبُ الارضِ فى الأر * ضِ فغيبى عن السماءِ احتجابا

والبَسِينى عليه ثوبَ حِدادٍ * وآجلسى للعزاءِ فالحزنُ طابا

أين (سعدٌ) ؟ فذاكَ أولُ حفلٍ * غابَ عَنْ صدرِه وعافَ (٢) الخطابا

لم يَعوِّدْ جُنودَه يومَ خطبٍ * أنْ يُنادَى فلا يَرُدُّ الجوابا

عَلَّ أمرًا قد عاقَه ، عَلَّ سُقْمًا * قد عَراهُ (٣) ، لقد أطالَ الغيابا

أىْ جُنودَ الرئيسِ نادوا جِهارًا * فإذا لم يُجِبْ فشُقُّوا الثيابا

إنها النكبةُ التى كنتُ أخشَى * إنها الساعةُ التى كنتُ آبَى (٤)

إنها اللفظةُ (٥) التى تَنسِفُ الأنْ * فُسَ نَسْفًا وتَفقُرُ الأصلابا

ماتَ (سعدٌ)، لا كنتِ يا (ماتَ سعدٌ) * أسِهامًا مَسْمُومةً أمْ حِرابا

كيف أقصدْتِ (٦) كلَّ حَىٍّ على الأرْ * ضِ وأحدثْتِ فى الوُجودِ انقلابا؟

حَسْرةٌ عند أنَّةٍ عند آهٍ * تحتَها زفرةٌ تُذيبُ الصِّلابا (٧)

قُل لِمَنْ باتَ فى (فلَسْطِينَ) يبكى * إنَّ زلزالَنا (٨) أجلُّ مُصابا

---

(١) يقال : حباه كذا وبكذا يحبوه ، إذا أعطاه إياه . (٢) عاف الشىء : كرهه وزهد فيه . (٣) عراه : أصابه . (٤) آبى ، أى أكره . (٥) يريد باللفظة : (مات سعد) الواردة فى البيت التالى . والأصلاب : عظام فى الظهر ذات فقار من لدن الكاهل الى العجب . وتفقرها ، أى تصيب هذه الفقار فتكسرها . (٦) أقصده : أصاب مقتله . (٧) الصلاب ، أى الحجارة الصلبة . (٨) يشير الى زلزال فلسطين الذى حدث فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٧ م ، والذى عم خطبه كثيرا من البلاد الفلسطينية ، فدمر كثيرا من الدور ، وأهلك عددا ليس بقليل من الأنفس ، وقد تبرع الفقيد لمنكوبى هذا الزلزال بمئة جنيه .

قَـدْ دُهِيتُمْ فى دُورِكُمْ ودُهِينا * فى نُفُوسٍ أَبَيْنَ إلَّا ٱحتِسابا (١)

فَفَقَدْتُمْ على الحَوادِثِ جَفْنًا * وفَقَدْنا المُهَنَّدَ القِرْضابا (٢)

سَلَّهُ رَبُّه زَمانًا فأَبْلَى * ثُمَّ ناداهُ رَبُّه فأَجابا (٣)

قَدَرٌ شاءَ أَنْ يُزَلْزِلَ (مصرًا) * فتَعالَى فزَلْزَلَ الأَلْبابا

طاحَ بالرَّأْسِ مِنْ رِجالاتِ (مِصْرٍ) * وتَخَطَّى التُّحُوتَ والأَوْشابا (٤)

والمَقادِيرُ إنْ رَمَتْ لا تُبالِى * أَرُءوسًا تُصِيبُ أَمْ أَذْنابا

خَرَجَتْ أُمَّةٌ تُشَيِّعُ نَعْشًا * قد حَوَى أُمَّةً وبَحْرًا عُبابا

حَمَلُوه على المَدافِعِ لَمَّا * أَعْجَزَ الهامَ حَمْلُه والرِّقابا

حالَ لَوْنُ الأَصِيلِ والدَّمْعُ يَجْرِى * شَفَقًا سائِلًا وصُبْحًا مُذابا (٥)

وسَها النِّيلُ عَنْ سُراهُ ذُهُولًا * حِينَ أَلْفَى الجُمُوعَ تَبْكِى ٱنتِحابا

ظَنَّ يا (سَعْدُ) أَنْ يَرَى مِهْرَجانًا * فَرَأَى مَأْتَمًا وحَشْدًا عُجابا

لَمْ تَسُقْ مِثْلَه فَراعِينُ (مِصْرٍ) * يَومَ كانوا لأَهْلِها أَرْبابا (٦)

---

(١) احتسابا ، أى إن هذه النفوس جعلت هذا المصاب وآحتملته فيما يدّخر لها عند الله .

(٢) الجفن : الغمد . والمهند : السيف . والقرضاب : القطاع . يقول : إن ما ضاع من الفلسطينيين بالزلزال بالقياس الى ما ضاع منا كالغمد اذا قيس بالسيف .

(٣) سله : شهره .

(٤) طاح به : ذهب به . والتحوت : السفلة . والأوشاب : الأخلاط من الناس ؛ الواحد وشب (بالكسر) .

(٥) يقول : إن لون الأصيل قد غيرته الدموع التى كانت تجرى دما ، فكانت كأنها شفق سائل ، أو صبح مذاب ؛ وفى لون الشفق والصبح حمرة وصفرة تشبهان حمرة الدم وصفرته .

(٦) مثله ، أى مثل هذا الحشد .

خَضَبَ الشَّيبُ شَيبَهُـــم بسَـــوادٍ * ومَحَا البِيضُ يومَ مِتَّ الخضابا (١)

واستَهَلَّت سُحْبُ البُكاءِ على الوا * دى فغَطَّتْ خَضْـــراءَهُ واليَبَابا (٢)

ساقَت (التَّيمسُ) العَـــزاءَ إلينا * وتَوَخَّتْ فى مَـــدْحِكَ الإسْهابا (٣)

لَم يَنُـــحْ جازِعٌ عليكَ كما نا * حَتْ ولا أَطْنَبَ المُحِبُّ وحابَى

وٱعترافُ (التَّاميزِ) يا (سَعْدُ) مِقيَا * سٌ لِما نالَ نيـــلَنا وأصابا (٤)

يا كبيرَ الفُـــؤادِ والنفسِ والآ * مالِ أينَ ٱعـــتَزَمْتَ عنَّا الذَّهابا؟

كيفَ نَنْسَى مَواقِفًا لكَ فِينا * كنتَ فيها المَهِيبَ لا ٱلْمَيَّابا؟

كنتَ فى مَيْعَـــةِ الشَّـــبابِ حُسَامًا * زادَ صَـــقْلًا فِرِنْدُهُ حـــينَ شابا (٥)

لَم يُنـــازِلْكَ قارِحُ القَـــومِ إلَّا * كنتَ أَقْـــوَى يَدًا وأعْلَى جَنابا (٦)

عِظَـــمٌ لو حَـــواهُ (كِسْرَى أنُوشر * وانَ) يوما لَضَـــاقَ عنـــه إهابا (٧)

*

ومَضَـــاءٌ يُرِيـــكَ حَـــدَّ قَضَاءِ الله يَفْـــرِى مَتْنًا ويَحْطِـــمُ نابـــا (٨)

---

(١) يريد أن الشيوخ قد خضبوا شعورهم البيضاء بسواد الحداد، وترك النساء الخضاب حدادا على الفقيد . (٢) يقال : استهل المطر، اذا انهل واشتد انصبابه . واليباب : القفر .

(٣) التيمس : جريدة انجليزية معروفة . (٤) التاميز : نهر فى جنوب انجلترا، ويريد بالتاميز والنيل : أهليهما . (٥) ميعة الشباب : أوّله . وفرند السيف : وشيه وجوهره .

(٦) يريد « بالقارح » (هنا) : المكتمل القوّة، المستحكم العقل والتجربة من الرجال . والقارح فى الأصل من الأفراس : ما تمت أسنانه، وإنما تم فى خمس سنين .

(٧) كسرى أنو شروان : ملك من ملوك الفرس معروف . والإهاب : الجلد . أى إن بدن كسرى لا يتسع لمثل هذا السمو والعظم .

(٨) يفرى المتن، أى يقصم الظهر . ويحطم الناب : يكسره .

قد تحدّيتَ قوّةً تملأ المعـ * ـمورَ من هول بطشها إرهابا (١)

تملك البرَّ والبحارَ وتمشي * فوقَ هام الورى وتجبي السحابا (٢)

لم ينهنهْ من عزمك السجنُ والنفـ * ـيُ وساجلتها (بمصرَ) الضرابا (٣)

سائلوا (سيشلّا) أأوجس خوفًا * وسلوا (طارقًا) أرامَ انسحابا؟ (٤)

عزمةٌ لا يصدُّها عن مداها * ما يصدُّ السيولَ تغشى الهضابا

ليتَ (سعدًا) أقام حتّى يرانا * كيف نُعلي على الأساسِ القبابا

قد كشفنا بهديه كلَّ خافٍ * وحسبنا لكلّ شيءٍ حسابا

حجج المبطلين تمضي سراعًا * مثلما تُطلع الكؤوسُ الحبابا

حينَ قال: (انتهيتُ) قلنا بدأنا * نحمل العبءَ وحدنا والصعابا (٥)

فاحجبوا الشمسَ واحبسوا الروحَ عنّا * وامنعونا طعامنا والشرابا (٦)

واستشفّوا يقيننا رغمَ ما نلـ * ـقى فهل تلمحون فيه ارتيابا؟ (٧)

---

(١) يريد «بالقوة»: قوة الإنجليز . (٢) هام الورى: رءوسهم، الواحدة هامة . ويريد بقوله «وتجبي السحابا» أن هذه الدولة لها ملك واسع، فحيث أمطر السحاب وأخرج زرعا كان ما يجبى من هذا الزرع لدولة الانجليز؛ وهو اشارة الى ما يروى من أن بعض الخلفاء رأى سحابة فى الأفق فقال: امطرى حيث تمطرين فان ما تخرجينه من الزرع تجبى ثمراته الينا . (٣) لم ينهنهه، أى لم يثنه عن مطلبه ولم يصرفه . وساجلتها الضرابا، أى حاربت هذه القوة كما حاربتك . (٤) سيشل: جزيرة انجليزية فى المحيط الهندى تقع الى الشمال من جزيرة مدغشقر، وقد نفى اليها سعد زغلول باشا هو وبعض أصحابه سنة ١٩٢١م ثم نقل من سيشل الى جبل طارق، لأن جوّ سيشل أضر به . (٥) حين حضرت سعد الوفاة، سئل: كيف أنت؟ فقال: «أنا انتهيت»، والى هذا يشير الشاعر . (٦) الروح: نسيم الريح .

(٧) استشف الشىء: تبينه من وراء حجاب . يقول فى هذا البيت والذى قبله مخاطبا الانجليز: إننا على الرغم مما تصبونه علينا من ألوان العذاب ثابتون على مبدئنا لا ارتياب فيه ولا يزحزحنا عنه مزحزح .

قـد مَلَكْتُمْ فَـمَ السَّبِيلِ عَلَيْنا * وفَتَحْـتُمْ لِـكُلِّ شَـعْواءَ بابَا (١)

وأَتَيْـتُمْ بالحـائِمـاتِ تَـرامَى * تَحْمِـلُ المَوْتَ جاثِمًا والخَـرابا (٢)

ومَلأْتُمْ جَـوانِبَ النِّيـلِ وَعْـدًا * ووَعِيـدًا ورَحْمَـةً وعَـذابا

هـل ظَفِـرْتُمْ مِنّا بقَلْبٍ أَبِيٍّ * أو رأَيْـتُمْ مِنّا إليـكُمْ مَثابا (٣)

لا تَقُـولوا خَـلا العَرِينُ فَفِيـه * أَلْفُ لَيْثٍ إذا العَرِينُ أَهابا (٤)

فاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ورُوعُوا حِماها * إنّ عِنـدَ العَرِينِ أُسْـدًا غِضابا (٥)

جَـزِعَ الشَّـرْقُ كلُّـه لعَظِيـمٍ * مَـلأَ الشَّـرْقَ كلَّـه إعْجابا

عَـلَّمَ (الشّامَ) و(العِراقَ) و(نَجْدًا) * كيف يُحْمَى الحِمَى إذا الخَطْبُ نابا

جَمَعَ الحـقَّ كلَّـه فى كِتابٍ * واسْـتَثارَ الأُسُـودَ غابًا فَغابا (٦)

ومَشَى يَحْمِـلُ اللِّـواءَ إلى الحَـقِّ * ويَتْـلُو فى النّاسِ ذاكَ الكِتابا

كلَّما أَسْـدَلُوا عليـه حِجابًا * مِنْ ظَـلامٍ أَزالَ ذاكَ الحِجابا

واقِفٌ فى سَبِيلِهِـمْ أَيْنَ سارُوا * عالِـمٌ بآحتِيالِهِمْ أَيْنَ جابا (٧)

---

(١) الشعواء : الغارة المنتشرة .   (٢) يريد «بالحائمات» : الطائرات .

(٣) المثاب : الرجوع . يقول : إنكم بالغتم فى تعذيبنا ، فهل استطعتم أن تميلوا إليكم قلبا أبيا من قلوبنا ، أو أن تجدوا منا استسلاما لكم .

(٤) العرين : بيت الأسد ومأواه . وأهاب : دعا .

(٥) راعه يروعه : أزعجه وخوّفه . والضمير فى «حماها» لمصر .

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى اقتفاء الممالك الشرقية أثر مصر واقتدائها بها فى نهضتها والذود عن الأوطان .

(٧) أين جاب ، أى أين تنقل .

أىُّ مَكْرٍ يَدِقُّ عَنْ ذِهْنِ (سَعْدٍ) (١) * أىُّ خَتْلٍ يُرِيغُ مِنْهُ اضْطِرَابا؟

شاعَ فى نَفْسِهِ اليَقِينُ فَوقّا (٢) * هُ بِهِ اللّهُ عَثْرَةً أوْ تَبابا

عَجَزَتْ حِيلَةُ الشِّباكِ وكانَ الشَّـ * ـرْقُ للصَّيْدِ مَغْنَمًا مُسْتَطابا

كُلَّما أحْكَمُوا بأرْضِكَ نَفْقًا * مِنْ فِخاخِ الدَّهاءِ خابُوا وخابا

أوأطارُوا الحَمامَ يومًا لِزَجْلٍ (٣) * قابَلُوا مِنْكَ فى السَّماءِ عُقابا

تَقْتُلُ الدَّسَّ بالصَّراحَةِ قَتْلًا (٤) * وتُسَقِّى مُنافِقَ القَوْمِ صابا

وتَرَى الصِّدْقَ والصَّراحَةَ دِينًا * لا يَراهُ المُخالِفُونَ صَوابا

تَعْشَقُ الجَوَّ صافِىَ اللَّوْنِ صَحْوًا (٥) * والمُضِلُّونَ يَعْشَقُونَ الضَّبابا

أنتَ أوْرَدْتَنا مِنَ الماءِ عَذْبًا * وأراهُمْ قَدْ أوْرَدُونا السَّرابا

قد جَمَعْتَ الأحْزابَ حَوْلَكَ صَفًّا * ونَظَمْتَ الشُّيُوخَ والنُّوّابا

ومَلَكْتَ الزِّمامَ واحْتَطْتَ للغَيْـ (٦) * ـبِ وأدْرَكْتَ بالأناةِ الطِّلابا

ثُمَّ خَلَّفْتَ بالكِنانَةِ أبْطا * لًا كُهُولًا أعِزَّةً وشَبابا

---

(١) يدق : يغمض ويخفى . والختل : الخداع . ويريغ منه : يريده على الاضطراب والخوف . (٢) وقاه : حفظه . والتباب : الخسران .

(٣) الحمام الزاجل : حمام كان يستعمل لنقل الرسائل . ويريد « بإرساله للزجل » هنا : السعى لبث أخبار السوء وإضرام الفتنة . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب بالكاسر .

(٤) تسق (بالتشديد) : تسق (بالتخفيف) ، وشدد للمبالغة . والصاب : عصارة شجر مر .

(٥) شبه فى هذا البيت الصراحة فى القول بصحو الجو وصفائه ، والنفاق بظلمة الغيم والضباب .

(٦) الأناة : التأنى .

قد مشى جمعهم إلى المقصد الأسـ * ـمى يغذون للوصول الركابا (١)

يبتنون العلا يشيدون مجدا * يسعدون البنين والأعقابا

قد بلوناك قاضيا ووزيرا * ورئيسا ومدرها خلابا (٢)

فوجدناك من جميع نواحيـ * ـك عظيما موفقا غلابا

لم ينل حاسدوك منك مناهم * لا ولم يلصقوا بعلياك عابا (٣)

نم هنيئا فقد سهدت طويلا * وسئمت السقام والأوصابا (٤)

كم شكوت السهاد لى يوم كنا * بالبساتين نستعيد الشبابا (٥)

ننهب اللهو غافلين وكنا * نحسب الدهر قد أناب وتابا

فإذا الرزء كان منا بمرمى * وإذا حائم الردى كان قابا (٦)

حرمتنا المنون ذيالك الوجـ * ـه وذاك الحمى وتلك الرحابا

وسجايا لهن فى النفس روح * يعدل الفوز والدعاء المجابا

كم وردنا موارد الأنس منها * ورشفنا سلافها والرضابا (٧)

ومرحنا فى ساحها فنسينا الـ * ـأهل والأصدقاء والأحبابا

(١) يقال : أغذ فلان السير وفى السير ، إذا أسرع . (٢) بلوناك ، أى اختبرناك .
والمدره : خطيب القوم ولسانهم ؛ ويطلق فى هذا العصر على المحامى : (٣) العاب : العيب .
(٤) الأوصاب : الأمراض والأوجاع الدائمة . (٥) يريد «بالبساتين» : بساتين فتح الله بركات باشا التى تقع قريبة من مدينة بلبيس من أعمال الشرقية ، وقد كان الشاعر بها مع الفقيد .
(٦) قابا ، أى قريبا . (٧) السلاف : ما تحلب وسال قبل العصر ، وهو أجود الخمر .
والرضاب : لعاب العسل .

ثم وَلَّت بَشاشَةُ العَيْش عنّا * حِينَ سارُوا فوَسَّدُوكَ التُّرابا

خِفْتَ فينا مَقامَ رَبِّكَ حَيّا * فَتَنَظَّرْ بِجَنَّتَيْهِ الثَّوابا (١)

رثاء أمين (٢) الرافعي بك

أنشدها فى الحفل الذى أقامه الحزب الوطنى لذكرى الشهداء فى ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨ م

أمّا (أمينُ) فقد ذُقْنا لمَصْرَعِه * وخَطْبِه مِنْ صُنُوفِ الحُزْنِ ألْوانا

لم تُنْسِنا ذِكْرَه الدُّنيا وإنْ نَسجَتْ * للرّاحلينَ مِنَ النِّسْيانِ أكفانا

مَضَى تَقِيّا عَفِيفَ النَّفسِ مُحْتَسِبا (٣) * فَهَدَّ مِنْ دَوْلَةِ الأَخْلاقِ أَرْكانا

جَرَتْ على سَنَنِ (٤) التَّوحِيدِ نَشْأتُه * فى اللهِ والرَّأيِ إخْلاصًا وإيمانا

لم يَلْوِهِ (٥) المالُ عَنْ رَأيٍ يَدِينُ به * (ولو حَمَلْتَ اليه الدَّهْرَ مَلآنا)

ولَم يَلِنْ عُودُه (٦) للخَطْبِ يُرْهِقُه * قَسا عليه شَديدُ العَيْشِ أَمْ لانا

ظُلْمٌ مِنَ القَبْرِ أن تَبْلَى أنامِلُهُ * فكم رَمَتْ فى سبيلِ اللهِ مَنْ خانا

---

(١) تنظر : انتظر . ويشير بهذا البيت الى قوله تعالى : «ولمن خاف مقام ربه جنتان» .

(٢) ولد المرحوم أمين الرافعى بك فى ديسمبر سنة ١٨٨٦ م ، وتوفى فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ م ، وهو الكاتب السياسى المعروف ، صاحب جريدة الأخبار ، وكانت له فى النهضة القومية مواقف مشهودة .

(٣) محتسبا ، أى مدخرا عند الله ما قدمه من عمل صالح . (٤) السنن : الطريقة .

(٥) لم يلوه ، أى لم يصرفه . والشطر الثانى عجز بيت للمتنبى من قصيدة يمدح بها أبا سهل سعيد بن عبد الله ، وصدره : «ولا أسر بما غيرى الحميد به» ومطلعها :

قد علم البين منا البين أجفانا * تدمى وألف فى ذا القلب أحزانا

(٦) لان عوده : ضعف . ويرهقه : يحمله ما لا يطيق .

كانت مطيّــة سـبّاقٍ جوانبُــه * يُرويك فيّاضُها صِــدْقًا وعِرْفانا (١)

عِشرونَ عامًا على الطِّرسِ الطَّهورِ جَرَى * ما خَطَّ فاحِشَــةً أو خطَّ بُهتــانا

يجُولُ بينَ رِياضِ الفِــكْرِ مُقتطِفا * مِنْ طِيبِ مغْرِسِها وَرْدًا وَرَيحانا

فينْشَقُ الذِّهْنُ مِنْ أسْطارِه أرَجًا * وتُبْصِرُ العينُ فوقَ الطِّرسِ بُسْتانا (٢)

(أمينُ) فارَقْتَنا في حِينِ حاجَتِنا * الى فَتًى لا يَرَى لِلْـمالِ سُـلْطانا

الى أمِينٍ عــلى أوْطانه يَقِــظٍ * ذِى مِرَّةٍ يَتلَقّ الخَطْبَ جَـذْلانا (٣)

أيَلْبَسُ الخَــزَّ مَنْ لانَتْ مَهزَّته * وأنتَ تَخْــرُجُ مِنْ دُنياكَ عُرْيانا؟ (٤)

إنّ القَناعَةَ كَنْزٌ كنتَ حارِسَه * تَرَى به القُوتَ ياقُــوتًا ومَرْجانا (٥)

فما سَعَيْتَ لغَــيْرِ الحَمْــدِ تَكْسِبُه * ولا رَضِيتَ لغَــيرِ الحَــقّ إذْعانا

أوْدَى بكَ (السُّكَّرُ) المُضْنِي ولا عَجَبٌ * أنْ يُورِثَ الحُلْوُ مُرَّ العَيْشِ أحْيانا (٦)

ما هانَ خَطْبُكَ والأخْلاقُ والِهَةٌ * تَبْكِي عليكَ إذا خَطْبُ امرِئٍ هانا (٧)

(أمينُ) حَسْبُكَ ما قدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ * فأنتَ أرْجَحُنا في الحَشْرِ مِــيزانا

---

(١) يريد «بالسباق» : القلم . ويريد «بجوانبه» شقيه . وفياضها ، أي التي تفيض بالمعاني والأفكار .

(٢) أرج الزهر : نفحته وطيب ريحه . والطرس : الصحيفة يكتب فيها .

(٣) المرّة : القوّة والشدّة . والجذلان : الفرح (بكسر الراء) . (٤) الخز : الحرير . ومن لانت مهزته ، أي من كان ضعيفا في طلب الحق والدفاع عنه ، وكان لينا لغاصب وطنه .

(٥) يريد بقوله : «ترى به القوت...» الخ : أنه يكتفى من حطام الدنيا بالقوت ، ويرى أنه يعدل الياقوت والمرجان في نفاستهما ، فلا يمتدّ طمعه الى عرض الدنيا قناعة منه . (٦) أودى به : ذهب به وأهلكه . والسكر ، هو ذلك المرض المعروف ، وبه مات الفقيد . (٧) والهة : حزينة .

أبشر فإنك فى أخراك أسعدنا * حظًا وإن كنت فى دنياك أشقانا

بلغ ثلاثتكم عنا تحيتنا (١) * واذكر لهم ما يعانى قومنا الآنا

واضرع الى الله فى الفردوس مبتهلا * أن يحرس النيل ممن رام طغيانا

رثاء الدكتور يعقوب صروف (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية فى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨ م

أبكى وعين الشرق تبكى معى * على الأريب الكاتب الألمعى (٣)

جرى عصى الدمع من أجله * فزاد فى الجود على الطيع (٤)

نقص من الشرق ومن زهوه * فقد اليراع المعجز المبدع (٥)

ليس لمصر فى رجالاتها * حظ ولا للشام فى أروع (٦)

مصاب (صروف) مصاب النهى * فليبكه كل فؤاد يعى (٧)

كرم بالأمس وأكفانه * تنسجها الأقدار للمصرع (٨)

يا صائغ الدر لتكريمه * صغه لمنعاه من الأدمع

(١) يريد «بالثلاثة» : المرحومين : مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وعلى فهمى كامل .

(٢) انظر التعريف بالدكتور يعقوب صروف (فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ١٥٤ من الجزء الأول) .

(٣) الأريب : العاقل . والألمعى : الذكى المتوقد . (٤) يريد «بعصى الدمع» : الدمع الذى يمتنع عند نزول المصائب عزة وأنفة من البكاء . (٥) الزهو : الكبر والفخر . (٦) الأروع : الشهم الذكى الفؤاد . (٧) يعى : يحفظ . (٨) يشير بقوله «كرم بالأمس» : الى الاحتفال باليوبيل الذهبى لمجلة المقتطف الذى أقيم فى سنة ١٩٢٧ م ، وأنشد فيه حافظ قصيدة نشرت فى هذا الديوان .

قـــد زَيَّنَ العِـــلْمَ بأَخْـــلاقِه * فعـــاشَ مِـــلْءَ العَيْنِ والمِسْـــمَعِ

تَواضُـــعٌ والكِبْرُ دَأْبُ ٱلفَـــتَى * خَلَا مِنَ الفَضْـــلِ فلَمْ يَنْفَـــعِ

تَواضُـــعُ العِـــلْمِ له رَوْعَـــةٌ * يَنْهَـــارُ منهـــا صَلَفُ المُـــدَّعِى (١)

وحُـــلَّةُ الفَضْـــلِ لهـــا شارَةٌ * أَزْهَى مِنَ السَّـــيْفَيْنِ والمِـــدْفَعِ

يُشْبِـــعُ مَنْ حَصَّـــلَ مِنْ عِلْمِـــهِ * وهـــوَ مِنَ التَّحْصِـــيلِ لَمْ يَشْـــبَعِ

مُبَـــكِّرٌ تَحْسَـــبُهُ طالِبًـــا * يُسَـــابِقُ الفَجْـــرَ إلى المَطْلَـــعِ

قـــد غَالَتِ الأَسْـــقامُ أَضْـــلاعَهُ * والرَّأْسُ فى شُـــغْلٍ عن الأَضْلُـــعِ

ماتَ وفى أَنْمُـــلِهِ صـــارِمٌ * لَمْ يَنْبُ فى الضَّرْبِ عن المَقْطَعِ

صاحَبَـــهُ خَمْسِينَ عامًا فـــلَمْ * يَخُنْ له عَهْـــدًا ولَمْ يَخْـــدَعِ

مُوَفَّقًـــا أَنَّى جَـــرَى مُلْهَمًـــا * ما ضَلَّ فى الوِرْدِ عن المَشْرَعِ (٣)

لَمْ يَـــبْرِهِ بارٍ سِـــوَى رَبِّـــهِ * ولَمْ يَحُـــزْهُ جاهِـــلٌ أَو دَعِى (٤)

فى النَّقْـــلِ والتَّصْنِيفِ أَرْبَى على * مَدَى (آبنِ بَحْرٍ) ومَدَى (الأَصْمَعِى) (٥)

---

(١) الصلف : الكبر. (٢) شبه القلم بالصارم ، وهو السيف . ونبا السيف عن الضريبة ينبو : كل وارتد عنها . (٣) المشرع : المورد الذى يستقى منه . (٤) خفف الياء فى «دعى» لضرورة القافية .

(٥) يريد «بالنقل» : ترجمة الكتب والمباحث من اللغات الأجنبية ، وكان الدكتور صروف من أمهر العلماء فى هذا الباب . وابن بحر ، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى بالفالج النصفى سنة ٢٥٥ هـ . ولد بالبصرة ونشأ بها ، وأخذ العلم عن جهابذة اللغويين والرواة ، وتخرج فى علم الكلام على أبى إسحاق النظام ، ونصر مذهب الاعتزال . ومؤلفاته كثيرة لا يتسع لها المقام . والأصمعى ، هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، ولد سنة ١٢٣ هـ ونشأ بالبصرة ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمتها ، وأكثر الخروج الى البادية ، وشافه الأعراب وساكنهم ، وكان من ندماء الخليفة الرشيد ، وتوفى فى سنة ٢١٦ هـ ، وأكثر مؤلفاته فى اللغة .

أَىُّ سَبِيلٍ لِلْهُدَى لَمْ يَرِدْ * وأَىُّ بابٍ منه لَمْ يَقْرَعِ

يَقْتَطِفُ الزَّهْرَ ويَخْتارُه * كالنَّحلِ لا يَعْفُو عَنِ الأَيْنَعِ (١)

فتَحْسَبُ القُرّاءَ فى جَنَّةٍ * عُقولُهُمْ فى رَوْضِها تَرْتَعِى

(صَرُّوفُ) لا تَبْعَدْ فلَسْتَ الّذى * يَطْوِيه طاوِى ذلِكَ المَضْجَعِ

أَسْكَتَكَ المَوْتُ ولكِنَّه * لَمْ يُسْكِتِ الآثارَ فى المَجْمَعِ

ذِكْراكَ لا تَنْفَكُّ مَوْصُولَةً * فى مَعْهَدِ العِلْمِ وفى المَصْنَعِ

رثاء عبد الخالق ثروت باشا (٢)

أنشدها فى الحفل الذى أقيم بالأوبرا الملكية لتأبينه فى يوم السبت ١٠ نوفبر سنة ١٩٢٨ م

لَعِبَ البِلَى بِمَلاعِبِ الأَلْبابِ (٣) * ومَحا بَشاشَةَ فَمِّكَ الخَلّابِ

وطَوَى الرَّدَى (عَمْرَو) الكِنانَةِ غافِلًا (٤) * ورَمَى شِهابَ دَهائِهِ بِشِهابِ

---

(١) لا يعفو عن الأينع، أى لا يترك الناضر من الزهر إلا أصاب منه طعامه .

(٢) عبد الخالق ثروت باشا، هو ابن اسماعيل عبد الخالق باشا، من كبار رجال مصر فى عصره . ولد ثروت باشا فى سنة ١٨٧٣ م، وبعد أن تعلم فى مصر ونال شهادة الحقوق تقلد عدة مناصب قضائية وإدارية، وهو أوّل مصرى تولى منصب النيابة العمومية، وتولى رآسة الوزارة فى سنة ١٩٢٢ م، وتم فى عهد وزارته حصول البلاد على تصريح ٢٨ فبراير المعترف فيه من بريطانيا باستقلال مصر وسيادتها . ثم رأس الوزارة مرة أخرى أيام تآلف الأحزاب المصرية، ثم اعتزل السياسة أخيرا، وسافر الى باريس للاستشفاء بها، فتوفى فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م . وكان من سوّاس مصر المعترف بحذقهم وبصرهم بشؤون السياسة والحكم . (٣) يريد «بملاعب الألباب» : وصف الفقيد بسحر المنطق . وفى كتب اللغة أن ميم الفم تشدّد فى الشعر كما هنا . (٤) يريد بقوله «عمرو الكنانة» : تشبيه الفقيد بعمرو بن العاص المخزومى أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم، وكان معروفا بالدهاء والكياسة والخروج من مآزق الأمور، والقوّة على مكايدة الخصوم، وهو فاتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب، وكان أميرا عليها حتى عزله عنها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه، وتوفى فى خلافة معاوية سنة ٤٣ هـ .

مَنْ كانَ يَدْرِى يَوْمَ سافَرَ أنّه * سَفَرٌ مِنَ الدُّنْيا بغيرِ إيابِ

حَزِنَتْ عليه عُقولُنا وقُلوبُنا * وبَكَتْ، وحُزْنُ العَقلِ شَرُّ مُصابِ

القَلْبُ يُنْسِيهِ الغِيابُ أليفَه * والعَقْلُ لا يُنْسيه طُولُ غِيابِ

بالأمسِ ماتَ أجَلُّنا وأعَزُّنا (١) * جاهًا وأبقانا على الأحْقابِ

واليومَ قد غالَ الحِمامُ أسَدَّنا (٢) * رَأيًا فطاحَ بحِكمةٍ وصَوابِ

رَأسٌ يُدبِّرُ فى الخَفاءِ كأنّه * قَدَرٌ يُدبِّرُ مِنْ وَراءِ حِجابِ

حتّى اذا أرضَى النُّهَى وتَناسَقَتْ (٣) * آياتُه راعَ الوَرَى بعُجابِ

يَمْشِى على سَنَنِ الحِجا (٤) مُتمهِّلًا * بَيْنَ العُداةِ الكُثْرِ والأحْبابِ

تَتناثَرُ الأقوالُ عَنْ جَنَباتِه * مِنْ شانِئٍ (٥) ومُناصِرٍ ومُحابِى

لا المَدْحُ يُغْرِيهِ ولا يُلْوِى بِهِ (٦) * عَنْ نَجْدِه المَرْسُومِ وَقْعُ سِبابِ

حُلْوُ التَّواضُعِ لم يُخالِطْ نَفْسَه * زَهْوُ (٧) المُدِلِّ يُحاطُ بالإعْجابِ

حُلْوُ الأناةِ (٨) اذا يَسُوسُ وعِنْدَه * أنّ التَّعجُّلَ آفةُ الأقطابِ

حُلْوُ السُّكوتِ كَكَوْكَبٍ مُتألِّقٍ (٩) * والليلُ ساجٍ أسْوَدُ الجِلْبابِ

---

(١) يريد بقوله : «أجلنا» الخ المرحوم سعد زغلول باشا زعيم الأمة . والأحقاب : الدهور .
(٢) غال : أهلك . والحمام (بكسر الحاء) : الموت .
(٣) تناسقت، أى توافقت وتتابعت على نسق ونظام واحد .
(٤) السنن (بالتحريك) : الطريق . والحجا : العقل . والكثر : الكثيرة .
(٥) الشانئ : المبغض .
(٦) ألوى به عن الطريق . حاد به عنه . والنجد : الطريق البين الواضح؛ قال تعالى : (وهديناه النجدين) .
(٧) الزهو : الكبر .
(٨) الأناة : التأنى فى الأمر .
(٩) المتألق : المشرق . وسجا الليل يسجو : ركد ظلامه ودام .

يَهْدِى السَّبِيلَ لِسالِكِيه ولَمْ يُرِدْ * شُكْرًا ولَمْ يَعْمَلْ لِنَيْلِ ثَوابِ

مُتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَعْرُه * قَلَقُ الضَّعِيفِ وحَيْرَةُ المُرْتابِ (١)

يَزِنُ الأُمُورَ كَأَنَّما هُوَ صَيْرَفٌ * يَزِنُ النُّضارَ بِدِقَّةٍ وحِسابِ

وَيَحُلُّ غامِضَها بِثاقِبِ ذِهْنِهِ * حَلَّ الطَّبِيبِ عَناصِرَ الأَعْشابِ

وَيَقِيسُ شُقَّتَها بِمِقْياسِ النُّهَى * فَتَرَى صَحِيحَ قِياسِ (الأَصْطُرْلابِ) (٢)

مُتَبَسِّمٌ وعلى مَعارِفِ وَجْهِهِ * آياتُ ما يَلْقَى مِنَ الأَوْصابِ (٣)

شِيَمٌ تَرُدُّ النّاقِمِينَ لِوُدِّهِ * وشَمائِلٌ تَسْتَلُّ حِقْدَ النّابِي (٤)

يُرْضِى المُرَتِّلَ فى الكَنِيسَةِ صُنْعُهُ * كَيْسًا ويُرْضِى ساكِنَ المِحْرابِ (٥)

يَرْتاحُ لِلْمَعْرُوفِ لا مُتَرَبِّحًا * فِيهِ ولا هُوَ فى الجَمِيلِ مُرابِى (٦)

يُرْوِى الصَّدِيقَ مِنَ الوَفاءِ ولَمْ يَكُنْ * بِالحاسِدِ النِّعْمَى ولا المُغْتابِ

لَمْ يَبْدُ فِينا جازِعًا أو غاضِبًا * لا هُمَّ إلّا غَضْبَةَ النُّوّابِ (٧)

وبُكاؤُه فى يَوْمِ (سَعْدٍ) زادَنِى * عِلْمًا بِأَنَّ اليَوْمَ يَوْمُ تَبابِ (٨)

(١) لم يعره، أى لم يصبه .

(٢) الشقة : المسافة . والاصطرلاب : آلة تعرف بها المسافات بين النجوم، وهى كلمة يونانية الأصل .

(٣) معارف الوجه : ملامحه وما يعرف به . والأوصاب : الأمراض؛ الواحد وصب (بالتحريك) .

(٤) يريد أن هذه الشمائل تستخرج حقد العدو المعرض عنه وترده الى مودته . والنابى : المنصرف عنه .

(٥) الكيس : العقل . يقول فى هذا البيت : إنه بسياسته وعقله ينال رضا المسلمين والنصارى .

(٦) لا متربحا ، أى لا طالبا ربحا .

(٧) لاهم، أى اللهم . ويريد بهذا البيت أنه لا يغضب لشخصه ولا يحزن لمنفعة فاتته، وإنما يغضب غضبة النائب عن الأمة فى سبيل المصلحة العامة .

(٨) التباب، الخسران .

قامَتْ صِحابٌ فى مَسالِكِ سَعْيِه * مِنْ بَعْدِ (سَعْدٍ) دُعِّمَتْ بِصِحابِ (١)

فظَهِيرُه عند النِّضالِ ورُكْنُه * أَمْسَى حَدِيثَ جَنادِلٍ وتُرابِ (٢)

لِلّٰهِ سِرٌّ فى بِنايَةِ (ثَرْوَتٍ) * سُبْحانَ بانِى هٰذه الأَعْصابِ (٣)

إِنِّى سَأَلْتُ العارِفِين فلَمْ أَفُزْ * مِنْهُمْ على عِرْفانِهِمْ بِجَوابِ

هو مُسْتَقِيمٌ مُلْتَوٍ، هو لَيِّنٌ * صُلْبٌ، هو الواعِى، هُوَ المُتَغابِى (٤)

هو حُوَّلٌ، هو قُلَّبٌ، هو واضِحٌ * هو غامِضٌ، هو قاطِعٌ، هو نابِى (٥)

هو ذٰلِكَ الطِّلَّسْمُ مَنْ أَعْيا الحِجا * حَلًّا وماتَ ولَمْ يَفُزْ بِطِلابِ (٦)

هو ما تَراهُ مُفاوِضًا كيفَ انْبَرَى * لِكَبِيرِهِمْ بِذَكائِه الوَثّابِ (٧)

لَمْ يَأْتِ مِنْ بابٍ لِصَيْدِ دَهائِه * إلّا نَجا بِدَهائِه مِنْ بابِ (٨)

ويَظَلُّ يَرْقُبُه ويَغْزُو كِبْرَه * بِلُيُونَةٍ ولَباقَةٍ وخِلابِ (٩)

---

(١) دعمت بصحاب، أى صحاب فوق صحاب . والتدعيم: التقوية . يشير بهذا البيت والذى بعده الى أن الفقيد كان يفاوض الإنجليز فى القضية المصرية سنة ١٩٢٧ م قبل موت سعد فى وزارة الائتلاف، فلما مات سعد فى أثناء تلك المفاوضة، أمن البريطانيون ذلك الجانب المخوف، وتشددوا فيما كانوا يريدون منحه لمصر قبل ذلك، وعاد ثروت بمشروع للمعاهدة لم يقبل .

(٢) الظهير: المعين . ويريد به سعدا . والجنادل: الحجارة .

(٣) بناية ثروت، أى تكوينه وخلقه (بفتح فسكون) . (٤) الواعى: الحافظ . والمتغابى: مدّعى الغباوة . (٥) الحوّل القلب: الحاذق البصير بتقليب الأمور وتحويلها، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى غيرها . (٦) الضمير فى «مات»، للفقيد، وفى «يفز»: للحجا .

(٧) كبيرهم، أى كبير الإنجليز، ويريد به المستر أوستن تشمبرلين وزير خارجية انجلترا، وهو الذى كان يفاوض الفقيد إذ ذاك . (٨) الضمير فى «يأتى»: لكبير الإنجليز . وفى «نجا»: لثروت .

(٩) الخلاب: المخاتلة والدهاء .

وَيَرُوضُــه حَتَّى يَرَى أَسْــطُولَه * خَشَبًا تَنَاثَرَ فَوْقَ ظَهْــرِ عُبَــابِ (١)

وَيَرَى صُنُوفًا مِنْ ذَكَاءٍ صُفِّفَتْ * دُونَ الْحِمَى تَحْمِي أُسُــودَ الْغَــابِ (٢)

وَأَتَى بِأَقْصَى مَا يَنَــالُ مُفَــاوِضٌ * يَسْمُو بِغَــيْرِ كَتَائِبٍ وَحِرَابِ (٣)

وَاسْتَلَّ مِنْ أَشْدَاقِ آسَادِ الشَّرَى * عَلَمًا عَضَضْنَ عَلَيْــهِ بِالْأَنْيَــابِ (٤)

خَلَقًا خَبَا ضَــوْءُ الْهِــلَالِ لِطَيِّــهِ * جَمَّ التَّوَجُّــعِ دَامِيَ الْأَهْــدَابِ (٥)

فَاخْضَرَّ فَــوْقَ رُبُوعِ مِصْرَ عُودُه * فِي مَنْبِتٍ خِصْبٍ وَرَحْبِ جَنَابِ

إِنْ فَاتَه بَعْضُ الْأَمَانِي فَاذْكُرُوا * أَنَّا أَمَامَ مُحَنَّكِيــنَ صِــلَابِ (٦)

قَدْ جَازَ تَيْهَاءَ الْأُمُورِ وَلَمْ يَكُنْ * فِي وَعْرِهَا وَكَؤُودِهَا بِالْكَابِي (٧)

رَجُــلٌ يُفَاوِضُ وَحْدَه عَنْ أُمَّــةٍ * إِنْ لَمْ يَفُزْ فَوْزًا فَلَيْسَ بِعَــابِ (٨)

رَفَعَ الْحِمَــايَةَ بَعْدَ مَا بُسِطَتْ عَلَى * أَبْنَــاءِ (مِصْــرَ) وَأُيِّدَتْ بِكِتَابِ (٩)

---

(١) يروضه ، أى يسوسه ؛ وأصله من رياضة الدواب ، أى تذليلها وتيسير ماصعب منها . والعباب : لجة البحر . (٢) الحمى ، أى مصر ؛ يريد بهذا البيت : أن ذكاء الفقيد كان حصنا للبلاد وقوة لها .

(٣) الكتائب : فرق الجيش . (٤) يشير بهذا البيت إلى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م الذى رفع الحماية عن مصر ، واعترف الإنجليز فيه باستقلالها . والفضل فى ذلك لثروت باشا الذى كان رئيسا للوزارة إذ ذاك . ويريد « بآساد الشرى » الإنجليز . (٥) يصف هذا العلم المصرى بأنه رث بال من طول ما عانى من أذى المستعمرين ، وأن ضوء الهلال قد خبا حزنا لطيه بأيدى الغاصبين . وخص الهلال بالذكر ، لأنه شعار هذا العلم . (٦) يريد « بالمحنكين الصلاب » : الإنجليز . والمحنك : الذى أحكمته التجارب .

(٧) التيهاء : الصحراء التى يضل فيها السائر . والكؤود من العقبات : الصعبة الشاقة على من صعدها . والكابى : العاثر . (٨) فوزا ، أى فوزا كاملا . والعاب : العيب . (٩) يريد الكتاب الذى أرسلته حكومة الإنجليز إلى المغفور له السلطان حسين كامل على يد الجنرال مكسويل قائد الجيوش البريطانية فى مصر إذ ذاك بوضع مصر تحت الحماية البريطانية ، وذلك فى ديسمبر سنة ١٩١٤ م .

وأنى (لمصر) وأهلها بسيادة * مرفوعة الأعلام والأطناب

عفوا فلست ببالغ فيك المدى * إنى غذذت إلى مداك ركابى (١)

كم موقف لك فى الجهاد مسجل * بشهادة الأعداء والأصحاب

فى خطب مصر (لبطرس) أخمدتها * مشبوبة كانت على الأبواب (٢)

ألفت بين العنصرين فأصبحا * رتقا، وكنت موفق الأسباب (٣)

خالفت فيك الجازعين فلم أنح * حزنا عليك وأنت من أترابى

النوح فى الجلل اجتهاد مقصر * ألفى دعاء الصبر غير مجاب (٤)

فأنا الذى يبكى بشعر خالد * يبقى على الأجيال للأعقاب

قد كنت تحسن بى وترقب جولتى * فى حلبة الشعراء والكتاب

وتهش إن لاقيتنى وتخصنى * بالبشر فى ناديك والترحاب

فاذهب كما ذهب الربيع بنوره * تأسى الرياض عليه غب ذهاب (٥)

---

(١) غذذت : أسرعت . يقول : إنه قد حث مطايا الشعر واجتهد فى أن يبلغ مدى وصف الفقيد فلم يستطع . والذى فى كتب اللغة : «أغذذت» بالهمز فى أوله .

(٢) يشير بهذا البيت والذى بعده إلى الفتنة التى كادت تشتعل نارها بين الأقباط والمسلمين حين قتل بطرس غالى باشا ، وكان الفضل فى إخماد هذه الفتنة ، ورجوع الطائفتين الى ما تقضى به الحكمة ومصلحة الوطن ، لمرافعة الفقيد فى هذه القضية ضد الوردانى ، قاتل بطرس باشا ؛ وكان اذ ذاك نائبا عموميا .

(٣) رتقا : ملتئمين . (٤) الجلى : ما جل وعظم من النوائب .

(٥) النور (بفتح النون) : زهر النبات . و« تأسى الرياض » ... الخ ، أى تحزن لذهابه ، ويذوى نباتها لغيابه .

رثاء محمود سليمان باشا (١)

[نشرت فى ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩ م]

مُسْدِى الجَمِيلِ بِلَا مَنٍّ يُكَدِّرُه * ومُكْرِمُ الضَّيْفِ أَمْسَى ضَيْفَ (رِضْوانِ) (٢)

تَجْتازُنا عَبْقَةٌ مِنْ رَوْضَةٍ أُنُفٍ * اذا أَلَمَّتْ بنا ذِكْرَى (سُلَيْمانِ) (٣)

فقُلْ (لآلِ سُلَيْمانٍ) إذا جَزِعُوا * رُدُّوا النُّفُوسَ إلى صَبْرٍ وسُلْوانِ

ما إنْ رَأَيْتُ دَفِينًا قبلَ شَيْخِكُمُ * تَحْتَ التُّرابِ وفَوْقَ النَّجْمِ فى آنِ

قَضَيْتَها مِئَةً فى كُلِّ واحِدَةٍ * تُعَدُّ زادَكَ مِنْ بِرٍّ وإحْسانِ (٤)

فكَمْ صَفَحْتَ عَنِ الجانِي ولَمْ تَرَهُ * وكَمْ غَرَسْتَ وكانَ المُعْوِزُ الجانِي (٥)

وكم أَقَلْتَ كَرِيمًا عند عَثْرَتِه * وكَمْ مَشَيْتَ بصُلْحٍ بَيْنَ إخْوانِ (٦)

إنِّى رَأَيْتُكَ قَبْلَ المَوْتِ فى فَلَكٍ * مِنَ الجَلالِ على جَنْبَيْهِ نُورانِ

نُورُ اليَقِينِ ونُورُ الشَّيْبِ بَيْنَهُما * سَكِينَةٌ حَرَّكَتْ نَفْسِى ووِجْدانِى

على جَبِينِكَ آياتُ الرِّضَا ارْتَسَمَتْ * وبَيْنَ جَنْبَيْكَ قَلْبٌ غَيْرُ وَسْنانِ (٧)

---

(١) محمود سليمان باشا ، كان عميد الأسرة السليمانية المعروفة بالصعيد ، ومن كبار رجال النهضة الوطنية ، ورئيسا لجنة الوفد المركزية ، وهو والد صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس الوزارة سابقا ، وكانت وفاته فى ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩ م ، وقد نيف على التسعين ... .

(٢) مسدى الجميل : معطيه . والمن : عدّ النعم والصنائع تعييرا بها .

(٣) «تجتازنا عبقة» الخ ... ، أى تمرّ بنا نفحة من طيب روضة مصونة لم تبتذل ، شبه ذكراه بطيب الرياض المصونة .

(٤) هذا العدد الذى ذكره الشاعر لعمر الفقيد انما هو على وجه التقريب .

(٥) المعوز : الفقير السيئ الحال . ويريد « بالجانى » الأوّل فى هذا البيت : مقترف الجناية ؛ و(بالثانى) : مجتنى الثمار .

(٦) يقال : أقلت فلانا عثرته ، اذا صفحت عنه ودفعت ما نزل به من مكروه .

(٧) الوسنان : النائم .

قَسَمْتَ ما جَمَعَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ * على بَنِيكَ فكنتَ الوالدَ الحانى [1]

مالٌ حلالٌ مُزَكَّى ما خَلَطْتَ به * مِلْءَ سُحْتٍ ولا حقًّا لإنسانِ [2]

زَهِدْتَ فيها وهَامَ العابِدُونَ لها * بجمعِ فانٍ يُعانِي جمعَه فانِي

بِكِسْرَةٍ وكِساءٍ عِشْتَ مُغْتَبِطًا * تُسَبِّحُ اللهَ فى سِرٍّ وإعلانِ

أَقَرَّ عَيْنَيْكَ فى دُنْياكَ أَنْ رَأَتا * (مُحَمَّدًا) يتراءى فوقَ (كيوانِ) [3]

قَضَيْتَ فى الأَوْجِ مِنْ عِزَّيْكُما وكذا * يَقْضِي (سُلَيْمانُ) فى عِزٍّ وسُلْطانِ [4]

أَنْجَبْتَ أَرْبَعَةً سادُوا بأَرْبَعَةٍ: * فَضْلٍ ونُبْلٍ وإحسانٍ وعِرْفانِ [5]

أَوْرَثْتَهُمْ شَمَمًا هَشَّ الإِباءُ لَهُ * وأَوْرَقَتْ فى ذُراهُ عِزَّةُ الشانِ [6]

يَذْكُرْنَ بَرًّا رَحِيمًا قد أَقامَ لَهُمْ * صَرْحًا مِنَ المَجْدِ أَعْلَى رُكْنَهُ البانى [7]

كم نِعْمَةٍ لَكَ يا (مَحْمُودُ) عِنْدَ أَبِي * بِشُكْرِها لَكَ عِنْدَ المَوْتِ أَوْصانى [8]

---

(١) النشب : المال . (٢) السحت : ما خبث من المكاسب ولزم عنه العار .

(٣) يريد محمد محمود باشا ، وكان رئيسا للوزارة حين موت والده . وكيوان : اسم كوكب زحل ويضرب مثلا فى علو المنزلة . (٤) قضيت : مت . والأوج : العلو . ويريد «بسليمان» : نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام . (٥) يريد أولاده الأربعة ، وهم محمد محمود ، وحفنى محمود ، وعبد الرحمن محمود ، وعلى محمود . (٦) الشمم : كناية عن الرفعة وشرف النفس ، وهى فى الأصل ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة . وهش : ارتاح . وذراه : أعاليه .

(٧) الضمير فى قوله « يذكرن » : للصفات السابق ذكرها فى البيت السابق ، وهى الشمم والإباء وعزة الشأن . إذ ليس فيما سبق ما يصلح جعله مرجعا لهذا الضمير غيرها . (٨) يشير الشاعر بهذا البيت الى أن أباه ابراهيم أفندى فهمى مهندس قناطر ديروط كان له اتصال بالفقيد ، وكان للفقيد عليه كثير من الأيادى والمنن .

تأبين محمد المويلحي بك (١)

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

[نشرت فى ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠ م]

غابَ الأديبُ أديبُ (مِصْرٍ) وٱختفَى * فلْتَبْكِهِ الأقلامُ أو تتقصَّفَا

لَهْفِي على تلكَ الأناملِ فى البِلَى * كم سَطَّرتْ حِكَمًا وهَزَّتْ مُرْهَفَا

ماتَ (المُوَيْلِحِيُّ) الحُسَّانُ ولَمْ يَمُتْ * حَتَّى غزَا «عِيسَى» العُقُولَ وثَقَّفَا (٢)

وقال يرثيه أيضاً :

أنشد هذه القصيدة فى حفل التأبين الذى أقيم فى مسرح حديقة الأزبكية فى ١٣ يونيه ١٩٣٠ م

دَمْعَةٌ مِنْ دُمُوعِ عَهْدِ الشَّبابِ * كُنْتُ خَبَّأْتُها لِيَوْمِ المُصابِ (٣)

لَبَّتِ اليَوْمَ يا (مُحَمَّدُ) لَمَّا * راعَنِي نَعْيُ أكْتَبِ الكُتَّابِ (٤)

هَدَّأَتْ لَوْعَتِي وسَرَّتْ قَلِيلًا * عَنْ فُؤادِي ولَطَّفَتْ بَعْضَ ما بِي (٥)

مَوْكِبُ الدَّفْنِ خَلْفَ نَعْشِكَ يَمْشِي * فى ٱحتِسابٍ وحَسْرَةٍ وٱنتِحابِ (٦)

لَمْ يُجاوِزْ مَنازِلَ البَدْرِ عَدًّا * مِنْ بَقايا الصَّدِيقِ والأَحْبابِ (٧)

---

(١) انظر التعريف بمحمد المويلحى بك (فى الحاشيه رقم ٣ صفحة ١٥٠ من الجزء الأول) .

(٢) الحسان : الحسن من الرجال . ويريد «بعيسى» : كتاب الفقيد ، وهو حديث عيسى بن هشام المعروف .

(٣) خص عهد الشباب لأنه عهد الفتوة ، وفيه يجد الإنسان معينا من الدمع ، قوة على البكاء .

(٤) راعنى : أفزعنى .

(٥) سرت عن فؤادى : أى كشفت عنه الهم والحزن .

(٦) فى ٱحتساب ، أى فى طلب الثواب .

(٧) منازل البدر : مواضعه التى ينزل فيها فى دورانه ، وهى ٱثنا عشر منزلا . يقول : إن عدد الذين شيعوه قد بلغ مبلغ هذه المنازل فى القلة وعلو المنزلة .

لَمْ يَسِرْ فيه مَنْ يُحَاوِلُ أَجْرًا * عِنْدَ حَيٍّ مُؤَمِّلٍ أو يُحَابِى

مَوْكِبٌ ماجَ جانباهُ بِحَفْلٍ * مِنْ وُفُودِ الأَخْلاقِ والأَحْسَابِ (١)

شاعَ فيه الوَفَاءُ والحُزْنُ حَتَّى * ضاقَ عَنْ حَشْدِهِ فَسِيحُ الرِّحَابِ

فكأَنَّ السَّماءَ والأَرْضَ تَمْشِى * فيه مِنْ هَيْبَةٍ وعِزِّ جَنَابِ

تَتَمَنَّى قَيَاصِرُ الأَرْضِ لَوْ فَا * زَتْ لَدَى مَوْتِها بِهذا الرِّكَابِ

رُبَّ نَعْشٍ قَدْ شَيَّعَتْهُ الْوُفُ * مِنْ سَوادٍ تَعْلُوهُ سُودُ الثِّيَابِ (٢)

ليس فِيهِمْ مِنْ جازِعٍ أو حَزِينٍ * صادِقِ السَّعْيِ أو أَلِيفٍ مُصابِ

كُنْتَ لا تَرْتَضِى النُّجُومَ مَحَلًّا * فلماذا رَضِيتَ سُكْنَى التُّرَابِ!

كُنْتَ راحَ النُّفُوسِ فى مَجْلِسِ الأُنْـ * ـسِ وراحَ العُقُولِ عِنْدَ الْخِطَابِ (٣)

كُنْتَ لا تُرْهِقُ الصَّدِيقَ بِلَوْمٍ * لا ولا تَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصِّحَابِ (٤)

ولَئِنْ بِتَّ عاتِبًا أو غَضُوبًا * لَقَرِيبُ الرِّضا كَرِيمُ العِتَابِ

جُزْتَ سَبْعِينَ حِجَّةً لا تُبَالِى * بِشِهادٍ تَعَاقَبَتْ أَم بِصابِ (٥)

وسَوَاءٌ لَدَيْكَ والرَّأْىُ حُرٌّ * رَوْحُ (نَيْسانَ) أو لَوافِحُ (آبِ) (٦)

---

(١) ماج : اضطرب . (٢) سواد الناس : عامتهم . (٣) الراح : الخمر

(٤) ترهق الصديق ، أى تؤذيه وتحمله ما يسىء و يؤلم . (٥) الشهاد : عسل النحل .

والصاب : عصارة شجر شديد المرارة . يريد حلو الزمان ومره . (٦) الروح : الريح . ونيسان ، شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله ابريل حيث يكون الربيع . واللوافح من الرياح : الحارّة . وآب ، شهر من شهور السنة المسيحية ، ويقابله أغسطس ، حيث يشتدّ القيظ . يقول : إنه سواء لديه فى سبيل رأيه الحر ما يلاقيه من نعيم الزمان وشقائه .

يا شجاعاً وما الشجاعة إلا الـ * ـصبر لا الخوض فى صدور الصعاب

(١)
كنت نعم الصبور إن حزب الأمـ * ـر وسدت مسارح الأسباب

(٢)
كم تجملت والأماني صرعى * وتماسكت والحظوظ كوابى

(٣)
عشت ماعشت كالجبال الرواسى * فوق نار تذيب صم الصلاب

مؤثر البؤس والشقاء على الشكـ * ـوى وإن عضك الزمان بناب

(٤)
كنت تخلو بالنفس والنفس تشوى * من كؤوس الهموم والأوصاب

(٥)
فتسرى بالذكر عنها وتنفى * ما عراها من غصة واكتئاب

وترى وحشة انفرادك أنسا * بحديث النفوس والألباب

(٦)
بنت عنها وما جنيت وقد كا * بدت بأساءها على الأحقاب

(٧)
ونبذت الثراء تبذل فيه * من إباء فى بذله شر عاب

(٨)
لو شهدتم (محمدا) وهو يملى * آى "عيسى" ومعجزات الكتاب

وقفت حوله صفوف المعانى * وصفوف الألفاظ من كل باب

---

(١) يقال : حزبه الأمر ، إذا اشتد عليه وضغطه . وسدت مسارح الأسباب ، أى سدت مذاهب العيش والرزق . (٢) تجملت ، أى لم تظهر الجزع . وكوابى ، أى عواثر .

(٣) صم الصلاب ، أى الحجارة الشديدة الغليظة الصلبة . (٤) الأوصاب : الآلام ؛ الواحد وصب (بالتحريك) . (٥) الذكر : القرآن ، وكان الفقيد يكثر تلاوته فى آخر أيامه .

(٦) بنت : بعدت . وعنها ، أى عن الدنيا . والأحقاب : السنون .

(٧) الثراء : الغنى . والعاب : العيب . والضمير فى «بذله» : يعود على الإباء . يقول : إنك عفت الغنى الذى لا ينال إلا بالذل وفقد الإباء ، وفقد الإباء شر ما يعاب به الأبى .

(٨) آى عيسى ، أى آيات كتابه « حديث عيسى بن هشام » .

لَعلِمتُمْ بأنَّ عَهْدَ (ابنِ بَحرٍ) (١) * عاوَدَ الشَّرقَ بعدَ طُولِ احتجاب

أدبٌ مُسْتَوٍ وقلبٌ جَمِيعٌ (٢) * وذكاءٌ يُرِيكَ ضَوْءَ الشِّهاب

عِنْدَ رأيٍ مُوَفَّقٍ، عِنْدَ حَزْمٍ * عِنْدَ عِلْمٍ، يَفِيضُ فَيْضَ السَّحاب

جَلَّ أُسْلُوبُه النَّقِىُّ المُصَفَّى * عَنْ غُمُوضٍ ونَفْرَةٍ (٣) واضطِراب

وسَمَا نَقْدُه النَّزِيهُ عَنِ الهُجْـ * ـرِ (٤) فما شِيبَ مَرَّةً بالسِّباب

ذُقْتَ فى غُرْبةِ الحَيَاةِ عَنَاءً * فَذُقِ اليَومَ راحةً فى الإياب

بَلِّغِ (البابِلِيَّ) (٥) عَنِّى سَلامًا * كَعَبِيرِ الرِّياضِ أو كالمَلاب

كان تِرْبِى (٦) وكان مِنْ نِعَمِ المُبْـ * ـدِعِ — سُبْحانَه — على الأَتْراب

فارِسٌ فى النَّدَى إذا قَصَّرَ الفُرْ * سانُ عنه وفارِسٌ فى الجَواب

يُرْسِلُ النُّكْتَةَ الظَّرِيفَةَ تَمْشِى * فى رَقِيقِ الشُّعُورِ مَشْىَ الشَّراب

قد أَثارَ (المُحَمَّدانِ) (٧) دَفِينًا * فى فُؤادِى وقد أَطارا صَوابى

خَلَّفانِى بَيْنَ الرِّفاقِ وَحِيدًا * مُسْتَكِينًا وأَمْعَنا فى الغِياب

---

(١) ابن بحر، هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكاتب المتكلم المعروف .

(٢) وقلب جميع، أى مجتمع لا تفرقه الحوادث والشدائد .

(٣) يريد « بالنفرة » تنافر الألفاظ وعدم اتساق بعضها مع بعض .

(٤) الهجر (بالضم) : القبيح الفاحش من الكلام . وشيب : خلط .

(٥) يريد « بالبابلى » : محمد البابلى بك . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٦ من الجزء الأول) وعبير الرياض : طيبها . والملاب : كل عطر مائع ؛ وهو لفظ فارسى معرّب .

(٦) ترب الإنسان : نظيره فى السن .

(٧) المحمدان ، محمد المويلحى ، ومحمد البابلى .

رثاء عبد الحليم العلايلى بك (١)

[نشرت فى ٦ مايو سنة ١٩٣٢ م]

يا بنَ (عَبْدِ السَّلامِ) لا كانَ يومٌ * غِبْتَ فيـــه عن هَالَةِ الأَحْرارِ (٢)

كنتَ فيهِمْ كالرُّمْحِ بأْسًا ولِينًا * كنتَ فِيهِمْ كالكَوْكَبِ السَّيَّارِ

يا عَرِيقَ الأُصُولِ والحَسَبِ الوَضّـ * ـاحِ والنُّبْـلِ يا كَرِيمَ الجِـوارِ (٣)

كنتَ فَـرْعًا بدَوْحَةِ العِـزِّ تأْوِى * تحْتَ أَفْنانه عُفـاةُ الـدِّيارِ (٤)

قَصَـفَتْهُ المَنُـونُ وهْوَ نَضِـيرٌ * مُـورِقٌ عُـودُه جَـنِيُّ الثِّمـارِ

كنتَ تأْسُو جِراحَهُمْ وتَقِيهِمْ * وتُقِيــلُ العِثـارَ عنــدَ العِثـارِ (٥)

خانَ نُطْـقِى ولَمْ تَخُنِّى دُمُـوعِى * لَهْفَ نَفْسِى فقَصَّرَتْ أَشْعارِى

غَـيْرُ بِدْعٍ إذا نَظَمْتُ رِثائى * فى صَدِيقٍ مِنَ الدُّموعِ الجَوارِى (٦)

فَمِـنَ الحُـزْنِ ما يَـدُكُّ الرَّواسِى * ومِنَ الحُـزْنِ ما يَهُـدُّ الضَّوارِى (٧)

---

(١) عبدالحليم العلايلى بك، هو ابن عبدالسلام العلايلى بك من سراة دمياط المعروفين، وقد اشترك فى النهضة الوطنية زمنا طويلا، وكان عضوا بارزا فى حزب الأحرار الدستوريين، وانتخب (سكرتيرا) عاما لهذا الحزب، وكان عضوا فى مجلس النوّاب فى بعض السنين؛ وتوفى فى ٣ مايو سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الهالة : دارة القمر، شبه بها جماعة الأحرار الدستوريين . (٣) الحسب الوضاح : المشهور . (٤) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل . والأفنان : الأغصان . والعفاة : طلاب المعروف . (٥) تاسو جراحهم : تداويها وتبرئها . وتقيهم : تحفظهم . وأقلت فلانا عثرته، إذا وقع فى خطأ فدفعت عنه ما يتوقع من عاقبته وصفحت عن زلته .

(٦) البدع : الغريب . (٧) يدك : يهدم . والرواسى : الجبال . والضوارى : السباع المولعة بالافتراس، الواحد ضار .

وقال يرثيه أيضا :

[نشرت فى ١٦ يونيه ١٩٣٢ م]

مَضَيْتَ ونحنُ أحوجُ ما نكونُ * إليكَ ومثلُ خطبِكَ لا يهونُ

برغمِ (النيلِ) أنْ عدَتِ العوادى * عليكَ وأنتَ خادمُهُ الأمينُ

برغمِ (الثغرِ) أنْ غُيِّبتَ عنهُ (١) * وأنْ نزلتْ بساحتِكَ المنونُ

أجلُّ مُناهُ لو يحويكَ ميْتًا (٢) * ليَجْبُرَ كسْرَهُ ذاكَ الدفينُ

أسالَ مِنَ الدموعِ عليكَ بحرًا * تكادُ بلُجِّهِ تجرى السفينُ

وقامَ النادباتُ بكلِّ دارٍ (٣) * وكبّرَ فى مآذنِهِ الأذينُ

أُصيبَ بذى مضاءٍ أريحىٍّ (٤) * به عندَ الشدائدِ يستعينُ

فتى الفتيانِ فاتتكَ المنايا * وغُصْنُكَ لا تطاولُهُ غصونُ

صحبتُكَ حِقبةً فصحبتُ حُرًّا (٥) * أبيًّا لا يُهانُ ولا يَمينُ (٦)

نبيلَ الطبعِ لا يغتابُ خِلًّا * ولا يُؤذى العشيرَ ولا يَمينُ

تطوّعَ فى الجهادِ لوجهِ (مصرٍ) * لما حامتْ حواليْهِ الظنونُ

ولمْ يثْنِ الوعيدُ له عِنانًا * ولمْ تحنثْ له أبدًا يمينُ

---

(١) يريد « بالثغر » : مدينة دمياط . والمنون : الموت . (٢) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد دفن بقرافة الإمام الشافعى بمصر ولم يدفن بدمياط . (٣) الأذين : المؤذن . ويشير بقوله « وكبر ...الخ » : إلى ما كان مألوفا من أنه إذا مات عظيم قام المؤذنون ينعونه بالتكبير على المآذن فى غير أوقات الأذان . (٤) الضمير فى قوله « أصيب » : للثغر السابق ذكره . والأريحى : الذى يرتاح للمعروف . (٥) الحقبة : الدهر . (٦) مان يمين : كذب .

ولم تــنزل بعــزته الدنايا * ولم يعــلق به ذل وهون

مضى لسبيله لم يحن رأسا * ولم يــبرح سريرته اليقين

تركت أليفــة ترجـو معينـا (١) * وليس سوى الدموع لها معين

تنوح على القرين وأين منها * وقد غال الردى ذاك القرين

سمعت أنينهـا والليـل ساج (٢) * فمزق مهجتي ذاك الأنين

فقـد عانيت قـدما ما يعاني * على علاته القلب الحزين

من الخفرات قد نعمت بزوج (٣) * سما بجلاله أدب ودين

أقامت في النعيـم ولم تروع * فكل حياتهـا رغـد ولين

لقـد نسج العفاف لها رداء * وزان رداءها الخدر المصون

دهاها الموت في الإلف المفدى * وكدر صفوها الدهر الخؤون

فكاد مصابها يأتي عليها (٤) * لساعتها وتقتلها الشجون

ربيبة نعمة لم تبل حزنا (٥) * ولم تشرق بأدمعها الجفون

وفت لأليفها حيـا وميتـا * كذاك كريمة (اللوزى) تكون (٦)

ستكفيها العناية كل شر * ويحرس خدرها (الروح الأمين)

---

(١) يريد «بالأليفة» : زوجه . (٢) سجا الليل : سكن وهدأ . (٣) الخفرات : ذوات الحياء ؛ الواحدة خفرة (بفتح أوله وكسر ثانيه) . (٤) يأتي عليها : يذهب بها و يهلكها .

(٥) لم تبل حزنا ، أي لم تعرفه ولم تذق مرارته . وشرق الجفن : احمر من البكاء .

(٦) اللوزى : لقب لأسرة عريقة بثغر دمياط معروفة ، وكانت زوج الفقيد منها .

رثاء محمود الحمولى

وهو ابن المرحوم عبده الحمولى المغنى المعروف ، وكان قد مات بعد قرانه بقليل

شَوَّقْتُمانِى أَيُّها ٱلفَرْقَدانِ * لِبَدْرِ تَمٍّ غابَ قَبْلَ الأَوانِ (١)

وكُلَّما أَشْرَقْتُما مَرَّةً * عَلَّمْتُما عَيْنَىَّ نَظْمَ الجُمانِ (٢)

على عَزيزٍ قد تَوَلَّى ولَنْ * يَؤُوبَ حَتَّى يَرْجِعَ القارِظانِ (٣)

عَجِلْتَ يا (محمود) فى رِحْلَةٍ * قَرَّتْ بها أَعْيُنُ حُورِ الجِنانِ

كأنَّما آخِرُ عَهْدِ الهَنا * قد كانَ مِنَّا ليلةَ المِهْرَجانِ (٤)

رثاء حبيب المطران باشا (٥)

أُعَزِّى فيكَ أَهْلَكَ ، أَمْ أُعَزِّى * عُفاةَ النَّاسِ، أَمْ هِمَمَ الكِرامِ؟ (٦)

وما أَدْرِى أَرُكْنُ الجاهِ أَوْدَى * وقد أَوْدَيْتَ أَمْ رُكْنُ الشَّآمِ؟ (٧)

---

(١) يريد : أنه كلما رأى الفرقدين تذكر ذلك البدر فاشتاق إليه .

(٢) الجمان : اللؤلؤ؛ الواحدة جمانة؛ شبه بها الدموع . (٣) القارظان : رجلان من عنزة خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ، ولا عرف لهما خبر؛ فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيابه .

(٤) المهرجان : عيد للفرس ؛ ويطلق الآن على كل حفل وعيد؛ ويريد به هنا حفل العرس .

(٥) كان حبيب المطران باشا سريا من سراة الشام ، وكان قصره فى بعلبك مقصد الوزراء والوجهاء ، وقد نزل به المرحوم الأستاذ الشيخ محمد عبده فى بعض أيام إقامته بالشام حين كان منفيا بها بعد الثورة العرابية . (٦) العفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . (٧) أودى : هلك .

رثاء المرحوم أحمد البابلى

بَدَأَ المَماتُ يَدِبُّ فى أترابى * وبَدَأْتُ أعرِفُ وَحْشةَ الأحبابِ

يا بابِلِىُّ فِداكَ إلْفُكَ فى الصِّبا * وفِدا شَبابِكَ فى التُّرابِ شَبابى

قد كُنْتَ خُلْصانِى(1) ومَوْضِعَ حاجَتى * ومَقَرَّ آمالِى وخَيْرَ صِحابى

فاذْهَبْ كما ذَهَبَ الكِرامُ مُشَيَّعاً * بالمَجْدِ مُبْكِيًا مِنَ الأحبابِ

تعزية المرحوم محمود سامى البارودى باشا فى ابنته

وَدِيعَةٌ رُدَّتْ إلى رَبِّها * ومالِكُ الأرواحِ أوْلَى بِها

ألَمْ يَكُنْ صَبْرُكَ فى بُعْدِها * يَرْبُو(2) على شُكْرِكَ فى قُرْبِها ؟

وقال يرثيها أيضا :

بَيْنَ السَّرائِرِ(3) ضِنَّةً دَفَنُوكِ * أَمْ فى المَحاجِرِ خُلْسَةً خَبَئُوكِ؟

ما أنتِ مِمَّنْ يَرْتَضِى هذا الثَّرَى * نُزُلاً(4) فَهَلْ أرْضَوْكِ أمْ غَبَنُوكِ؟

---

(١) الخلصان (بالضم) : الخالص من الأخدان، يستوى فيه الواحد كما هنا، والجماعة أيضا . يقال : هو خلصانى، وهم خلصانى .

(٢) يربو : يزيد؛ والمستعمل فى هذا المعنى : أربى يربى .

(٣) السرائر : جمع سريرة، وهى السر؛ والمراد هنا : موضعه . وضنة، أى بخلا بها . والمحاجر : جمع محجر (بوزان مجلس)، وهو ما دار بالعين . «يريد» أن حرصهم على الفقيدة وبخلهم بها جعله يظن أنهم دفنوها فى ضمائرهم أو فى عيونهم، فهو يستفهم عن أيهما دفنت فيه .

(٤) النزل : المكان المهيأ للنزول به .

يا بِنتَ (محمودٍ) يعزُّ على الورَى * لَمْسُ التُّرابِ لجسمِكِ المنهُوكِ (١)

تركُوا شبابَكِ فيه نَهبًا للبِلَى * واهًا لغَضِّ شبابِكِ المتروكِ (٢)

وحثَوْه فوقَ سَناكِ ياشمسَ الضُّحَى * فبكَى له بدرُ السَّماءِ أخُوكِ (٣)

داسَ الحِمامُ عرينَ آسادِ الشَّرَى * يا ليتَ شِعرِى أينَ كانَ أبُوكِ؟ (٤)

عَهدِى به يلْقَى الرَّدَى بمهنَّدٍ * يعلُوه غِمْدٌ مِنْ دَمٍ مسفُوكِ (٥)

يا نفسَ (محمودٍ) وأنتِ عليمةٌ * بطَريقِ هـذا العالَمِ المسلُوكِ

عَهدُوكِ لا تتصدَّعِينَ لحادثٍ * أوَ أنتِ باقيةٌ كما عهِدُوكِ (٦)

هذا التُّرابُ ـــ وأنتِ أعلمُ ـــ ملتقَى * هـذا الورَى مِنْ سُوقةٍ ومُلُوكِ (٧)

هل أنتِ إلَّا بينَ جنبَيْ ماجدٍ * صَعْبِ الشَّكيمةِ للخُطُوبِ ضَحُوكِ (٨)

يُغضِى بحضرتِه الزَّمانُ فيلتقِى * عِزُّ المَلِيكِ وذِلَّةُ المَمْلُوكِ (٩)

---

(١) المنهوك : المجهود المضنى .

(٢) الغض : الطرى الناعم .

(٣) حثا التراب على الميت يحثوه : هاله عليه . والسنا : الضوء .

(٤) الحمام (بالكسر) : الموت . وعرين الأسد : مأواه . والشرى : مأسدة بجانب الفرات يضرب بآسادها المثل . ويريد «بعرين الأسد» : بيت أبيها .

(٥) المهند : السيف .

(٦) التصدع : التشقق . (٧) أنت : يخاطب نفس البارودى .

(٨) صعب الشكيمة ، أى أنوف أبى لا ينقاد .

(٩) يغضى الزمان ، أى يستحي منه ويهابه .

ملاحظة ـــ أشير فى نهاية هـذه القصيدة فى طبعة هذا الديوان السابقة الى أنهـا قصيدة طويلة ، وأنه لم يعثر منها إلا على هذه الأبيات ، وقد بحثنا نحن أيضا عن بقيتها فلم نجدها .

"من مرثية وهمية"

بلغ حافظا أن چورج الخامس ملك انجلترا قد توفى، فلم يكد يسمع هـذا النبأ حتى بدأ ينظم قصيدة فى رثائه، ثم تبين له بعد عدم صحة هـذا الخبر وقد وقفنا على بيتين من هذه المرثية، وهما :

إنّ الّذى كانت الدّنيـا بقَبْضَـتِهِ * أَمْسَى مِن الأَرْضِ يحْوِيهِ ذِراعانِ

وغابَ عن مُلْكِه من لَمْ تَغِبْ أبَدًا * عن مُلْكِهِ الشَّمس من عِزٍّ وسُلْطانِ

✦✦✦

قصائد لم تنشر فى الطبعة الأولى



من شعر حافظ فى ثورة سنة ١٩١٩

وَلّت بَشاشةُ دُنيانا ودُنياكِ * وفارقَ الأنسُ مَغنانا ومَغناكِ

حماكِ دونى أُسُودٌ لا يُطاولها * شاكى السلاحِ فكيفَ الأعزلُ الشاكى

وجشّمونى على ضعفى وقوّتهم * أن أُمسكَ القولَ حتى عن تحاياكِ

وأرصدوا لى رقيبا ليس يُخطئه * همسُ الفؤادِ إذا حاولتُ ذِكراكِ

يُحصى تردّدَ أنفاسى ويمنعنى * نفحَ الشمائلِ إن جازت بريّاكِ

مُنعتُ حتى من النجوى وسلوتِها * وكم تعلّلتُ فى البلوى بنجواكِ

ما كادَ يأتى على نفسى ويوردُنى * مواردَ الحتفِ إلا حبُّكِ الزاكى

تناولتْ ما وراءَ النفسِ غايتُه * وقرّ فى خلجاتِ القلبِ مثواكِ

وظنّ أهلُكِ بى سوءًا وأرمضنى * قولُ الوشاةِ ودعوى كلِّ أفّاكِ

قالوا سلا عنكِ غدرًا وابتغى بدلًا * وكانَ بالأمسِ مِنْ أوفى رعاياكِ

كم لى أحاديثُ شوقٍ لا تُنافِحها * زهرُ الرياضِ ولا يسمو بها الحاكى

إن تُنكريها فكم طارَ الرواةُ بها * إلى حماكِ وكم قد عطّرتْ فاكِ

ستعلمين إذا ما الغمرةُ انحسرتْ * مَن صدّ عنكِ ومَن بالنفسِ فدّاكِ

رُميتُ عنكِ إلى أن خانَنى وترى * ولم أخُن فى إسارى عهدَ نُعماكِ

برقية من حافظ إلى الخديو عباس

جاءت الأنباء بسقوط مدينة أدرنة التابعة لدولة الخلافة العثمانية يوم الاحتفال بزفاف كريمة الخديو إلى نجل الصدر الأعظم جلال باشا ، فأرسل حافظ هذه البرقية إلى الخديو :

عِيدٌ هنا ، وهناك قامَ المأتمُ * مُلكٌ يَنُوحُ ، وتابعٌ يترنَّمُ
عَجَبًا أرى تلك الدماءَ فها هنا * دَمُ فرحةٍ ، وهناك للقتلَى دَمُ

فأمر الخديو بإزالة معالم الزينات مشاركة للخليفة وللعالم الإسلامى فى تلك النكبة .

قصر الدوبارة وقصر عابدين

قصر الدوبارة هو القصر الذى يقيم فيه المعتمد البريطانى ممثل الاحتلال وصاحب السلطة الفعلية فى البلاد .

وقصر عابدين هو قصر الخديو صاحب السلطة الشرعية والخاضع للسلطان الإنجليزى .

وفى هذين البيتين يعقد حافظ مقارنة بين كلا الحاكمين .

قصرَ الدوبارةِ ما لليثِ رابضًا * والذئبُ فى قصرِ الامارةِ يَخجلُ
إنى سمعتُ بعابدينَ عُواءَهُ * فعجبتُ كيف يَسودُ مَن لا يعقلُ

من حافظ شاعر مصر إلى فؤاد ملك مصر

يا مليكًا برَغمِهِ يلْبَسُ التا * جَ ويَرقَى لعرشِهِ مملوكا
إن أتَمَّتْ يَداكَ تخريبَ مصرٍ * فلقد مَهَّدَ الخرابَ أبوكا (١)
أبقِ شيئًا — إذا مضيت ذميمًا * عن قريبٍ — يأتى عليه بنوكا (٢)

(١) يشير إلى الخديو إسماعيل الذى أفلس مصر وأدانها بتبذيره وإسرافه حتى سقطت فى براثن الاحتلال والديون الأجنبية .

(٢) يقول الشاعر للملك فؤاد لا ترتكب المفاسد كلها ، حتى يجد أبناؤك من بعدك شيئا يفسدونه ، فالفساد متأصل فيهم أصولا وفروعا .

إلى بانى الهرم

من شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم إلى فرعون مصر العظيم ، بانى الهرم ومسخر الملايين .

من الشاعر فى عهد الحرية الشخصية وحكم الديمقراطية ، إلى فرعون فى عهد الملوك الآلهة والرعايا العبيد .

من ابن مصر فى القرن العشرين بعد الميلاد ، إلى سيد مصر فى القرن العشرين قبل الميلاد .

البلاغ الأسبوعى

سَخَّرَ العَلَمَ لِبَنْيِ آيَةً * فوق شطِّ النيلِ تبدو كالعَلَمْ (١)

هى ذكرٌ خالدٌ لكنّه * عابسَ الوجهِ إذا الذِّكرُ ابتسمْ

كلُّ ما فيها على إعجازها * أنها قبرٌ لجبّارٍ حَطَمْ (٢)

ليتَه سَخَّرَ ما فى عهدِه * من قُوىً فى غيرِ تقديسِ الرِّمَمْ

من فنونٍ أعجزتْ أطواقَنا * وعلومٍ عندها الفكرُ وَجَمْ

وبَنانٍ مبدعاتٍ صَوَّرتْ * أَوْجُهَ العُذرِ لعُبّادِ الصنمْ (٣)

أبدعتْ ما أبدعتْ ثم انطوتْ * وعلى أسرارِها الدهرُ خَتَمْ

---

(١) العلم : الجبل .

(٢) الحطم : البالى — وحطام الشىء بقاياه .

(٣) يريد الشاعر أن يقول إن الأيدى الماهرة التى صنعت تلك التماثيل جعلت للناس العذر فى عبادتها لدقة الصنع وجمال التصوير .

من شاعر مصر إلى أبناء مصر

قيلت بعد ائتلاف حزبى الوفد والأحرار الدستوريين

البلاغ الأسبوعى ٢٦ نوفبر سنة ١٩٢٦

قد غفَونا وانتبهنا فإذا * نحن غرقى ، وإذا الموتُ أَمَمْ (١)

ثم كانت فترةٌ مقدورةٌ * غرّ فينا الدهرَ ضعفٌ فهجَمْ

فتماسكنا فكانت قوّةٌ * زلزلت ركنَ الليالى فانهدمْ (٢)

كان فى الأنفسِ جرحٌ من هوىً * نظرَ اللهُ إليه فالتأمْ

فنشدْنا العيشَ حرًّا طَلَقاً * تحت ظلّ اللهِ لا ظلّ الأمَمْ

وحقيقٌ أن يوفّى حقّهُ * مَن بحبلِ اللهِ والصبرِ اعتصم

آفةُ المرءِ إذا المرءُ ونَى * آفةُ الشعبِ إذا الشعبُ انقسم

ليس منّا من بنى أو ينثنى * أو يعقّ النيلَ فى رعي الذمم

نشءَ مصر ، نبّئوا مصرًا : بِكَمْ * تشترون المقصدَ الأسمى ، بِكَمْ ؟

بنضالٍ يصقُلُ العزمُ به * وسهادٍ فى العلا حلوِ الألم

أنا لا أفخرُ بالماضى ، ولا * أحسَبُ الحاضرَ يُطرى أو يُذَمّ

كلُّ همّى أن أراكم فى غدٍ * مثلَ ما كنتم أسودًا فى أجَمْ

(١) أمم — قريب .

(٢) المعنى أن فى تماسكنا قوة قهرت الليالى ونكباتها التى سلطتها علينا .

فالفتى كلُّ الفتى من لو رأى * فى اقتحام النارِ عزًا لا قتحم

لا تظنُّوا العيشَ أحلامَ المنى * ذاك عهدٌ قد تولّى وانصرم

هو حربٌ بين فقرٍ وغنًى * وصراعٌ بين بُرءٍ وسَقَم

هو نارٌ ووَقودٌ فإذا * غفَلَ الموقدُ فالنارُ حمم (١)

فانفضُوا النومَ وجِدُّوا للعلا * فالعُلا وقفٌ على مَن لم ينم

ليس يجني من تمنَّى وصلَها * وانياً أو وادعًا غيرَ الندم

والأماني شرُّ ما تُمنَى به * همةُ المرءِ إذا المرءُ اعتزم

تُجمِدُ العزمَ وتثني حدَّه * فهى كالماءِ لإخمادِ الضَّرم (٢)

وانظروا اليابانَ فى الشرقِ وقد * ركَّزَتْ أعلامَها فوقَ القِمَم

حارَبوا الجهلَ وكانوا قبلَنا * فى دُجَى عَمْيائه حتى انهزم

فاسألوا عنها الثريَّا لا الثرى * إنها تحتلُّ أبراجَ الهِمَم

هِمَمٌ يَمْشِي بها العِلْمُ إلى * أنبلِ الغاياتِ لا تدرى السَّأمَ

فهى أنَّى حاولَتْ أمرًا مشَتْ * خلفَها الأيامُ فى صفِّ الخدم

لا تُبالى زُلزِلَتْ مِن تحتِها * أم عليها النجمُ بالنجم اصطدم

تخذَتْ شمسَ الضُّحى رَمْزًا لها * وكفى بالشمسِ رَمْزًا للعِظَمْ

فهى لا تألو صُعودا تبتغى * جانبَ الشمسِ مكانًا لم يُرَم

---

(١) الحمم – الرماد .

(٢) الضرم – النار .

التبرع للتعليم

أقامت نقابة المعلمين حفلة فى دار الجامعة المصرية مساء الجمعة ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٢٠ تكريما لمحسنى المنوفية: حسنين عبد الغفار وعبد العزيز حبيب ومحمود السيد أبو حسين لتبرعهم بسبعين فدانا من أطيانهم فى المنوفية أوقفوها على التعليم .

ودعى حافظ للاشتراك فى تكريمهم ، فألقى هذه القصيدة :

ثَلاثَةٌ من سَراةِ النيلِ قد حَبَسوا * على مدارسنا سبعين فدانا

أَحْيَوا بها أملاً قد كان يخنقه * بُخْلُ الغَنِىِّ وَجَهْلٌ قد تَفَشَّانا

وخالَفوا سُنَّةً فى مصر شائعةً * جَرَّتْ على العلمِ والآدابِ خُسرانا

فإن هُمُ سراةِ النيلِ أن يَقِفوا * على القبورِ وإن لم تَحْوِ إنسانا

فكم ضريحٍ خلاءٍ لا رُفاتَ به * ترى له فى مناحى النيلِ «أطيانا»

وكم حبوسٍ على الموتى وغلَّتُها * يشرى الجُباةُ به خوصا وريحانا

والعلمُ فى حسرةٍ، والعقلُ فى أسفٍ * والدينُ فى خجلٍ مما تولانا

ما كان ضَرَّ سراةَ النيلِ لو فعلوا * شَرْوَاكُم ، فَبَنَوا للعلمِ أركانا (١)

تَقْذَى عيونُ بنى مصرٍ بمظهرِهم * فى «الرملِ» حينا، وفى «حلوانَ» أحيانا (٢)

---

(١) شرواكم أى مثل فعلكم وصنيعكم .

(٢) تقذى أى تؤذى — ويعيب الشاعر على الأثرياء بخلهم فى الانفاق على العلم وتمتعهم بمباهج الحياة مابين رمل الإسكندرية صيفا وحلوان شتاء .

يبغون أن تحتوى الدنيا خزائنهم * ويزرعوا فلواتِ الله أقطانا (١)

وليس فيهم أخو نفعٍ وصالحةٍ * ولا ترى لهمُ برًّا وإحسانا

يا مصرُ حتّامَ يشكو الفضلُ فى زمنٍ * يجنى عليه ويمسى فيك أسوانا (٢)

قد سالَ واديك خصبًا مُمتعًا لفتى * تسيلُ أرجاؤه علمًا وعرفانا

إلى الدكتور طه حسين

عند ما أصدر الدكتور طه حسين مؤلفه « فى الشعر الجاهلى » شنّ عليه جامدو الفكر حملة بتكفيره وبخروجه على الإسلام، وتغالى بعضهم فطالبوا باهدار دمه ، وكان منهم المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الذى كان عضوا بمجلس النواب ورئيسا لجمعية الشبان المسلمين وقتئذ فقال حافظ :

إن صحّ ما قالوا ، وما أرجفوا * وألصقوا زورًا بدين العميدْ

فكفرُ « طه » عند ديّانه * أحبُّ من إسلامِ عبدِ الحميد

من حافظ إلى الشيخ عبد الرحيم الدمرداشى

لما ترجم حافظ كتاب البؤساء لفيكتور هوجو، أقبل الفضلاء على تعضيده بالاشتراك فى أعداد من نسخ الكتاب ، عدا شيخ الطريقة الدمرداشية وكان من أغنى أغنياء البلاد .

فلما انتهى طبع الكتاب ، أرسل إليه حافظ نسخة هدية ، وكتب عليها إهداءه :

(١) الفلوات جمع الفلاة وهى الصحراء الواسعة .

(٢) حتام أى حتى متى — أسوان أى حزين .

هَديةٌ من شاعرٍ بائسٍ * إلى الدمرداشي وَلِيِّ النِّعَمْ

يُشْرِكُ باللهِ ولا يَشْتَرِكْ * في نسخةٍ فيها ضروبُ الحِكَمْ

مداعبة لحافظ

كان حافظ مدعوا لإلقاء قصيدة فى حفل جمعية رعاية الأطفال بحديقة الأزبكية . وعند دخوله أراد المشرف أن يداعبه ، فطلب منه التذكرة ، فقال له إنه حافظ إبراهيم وجاء للمشاركة فى الاحتفال السنوى كعادته بقصيدة ، فزعم المشرف أنه لايعرفه ، وعليه أن يثبت شخصيته ببيتين يرتجلهما .

فضحك حافظ وقال له : لم أر أخبث منك مشرفا .. وارتجل هذين البيتين :

رياضُ الأزبكيةِ قد تحلَّتْ * بأنجابٍ كِرَامٍ أنت مِنْهُمْ

فَهَبْهَا جَنَّةً فُتِحَتْ لِخيرٍ * وَأَدْخِلْنَا مَعَ المَعْفُوِّ عنهم

وضحك المشرف وقال : تفضل ياحافظ بك ...

شهـــداء العـــلم

جريدة السفور — ١٥ ابريل سنة ١٩٢٠

فى ســنة ١٩٢٠ أوفدت مصر أول بعثة دراسية من شبابها النابه إلى أوربا لاستكمال دراساتهم العليا فى جامعاتها وقــد ذهبوا جميعا ضحية حادث أليم وقــع للقطار الذى كان يقلهم عبر إيطاليا فى أكبر كارثة للسكك الحديدية شهدتها أوربا .

وكان وقع المصاب الفادح بالغ الألم والأثر فى مصر وفى سائر البلاد العربيــة والأجنبية . وقــد رثاهم شاعر النيل بهــذه القصيدة التى ألقيت فى حفل جريدة السفور التى أقيمت مساء ١٤ من أبريل سنة ١٩٢٠ .

عَلَّمونا الصَّبرَ يُطفِى ما استَعَرْ * إنمــا الأجرُ لمفجوعٍ صَــبَرْ
صَدْمَةٌ فى الغربِ أمسَى وَقْعُها * فى ربوعِ الشرقِ مشئومَ الأثر
زَلزلت فى أرضِ مصرٍ أنفسًا * لم يُزَلزِلْهَــا قــرارُ المؤتمـــر (١)
ما اصطدامُ النجمِ بالنجمِ على * ساكنى الأرضِ بأدهَى وَأَمَرّ
قَطَفَ الموتُ بَواكيرَ النُّهى * فجَنَى أجملَ طاقاتِ الزَّهَر
وغَـــدَا الموتُ على أقمــارِنا * فتهاوَوْا قمــرًا بعد قمـــر
فى سبيل النيــلِ والعــلمِ وفى * ذمـــةِ الله قضى الإثنا عشر
أَيْ بدورَ الشرقِ ماذا نابَكُمْ * فى مَسَارِ الغربِ من صَرْفِ الغِيَر
نبأٌ قطَّـعَ أوصــالَ المــنى * وأصَمَّ السمعَ منــا والبصـــر
كم بمصرٍ زَفــرَةٌ من حَرِّها * كُنِسَ الأعفرُ، والطيرُ وكر (٢)

(١) المؤتمر هو مؤتمر الصلح بباريس الذى عقـــد عقب الحرب العالمية الأولى وحاول زعماء مصر حضوره للطالبة بجلاء الإنجليز عن مصر ، ولكن منع الزعماء من حضوره وأصدر المؤتمر قراره بالابقاء على الأوضاع فى مستعمرات الدول المنتصرة ومنها انجلترا .

(٢) وكر الطير أى لزم وكره — والمعنى أن الزفرات الحارة على شهدائنا كانت من القسوة والشدة كالريح السموم التى تكنس التراب وتلزم الطير وكره من حرارتها وهجيرها .

كم أبٍ أسوانَ دامٍ قلبُهُ * مستطيرِ اللبِّ مفقورِ الظَّهَرْ

بَساهِمَ الوجهِ لما حلَّ به * سادِرَ النظرةِ مِن وَقْعِ الخبر

كم بها والدةٍ والهةٍ * عضَّها الثُّكلُ بنابٍ فعَقَر

ذاتِ نَوْحٍ تحت أذيالِ الدُّجى * علَّمَ الأشجانَ سُكانَ الشجر[1]

تَسْألُ الأطيارَ عن مؤنِسِها * كلما صفَّقَ طيرٌ واصْطَحَر

تسأل الأنجمَ عن واحِدِها * كلما غُوِّرَ نجمٌ أو ظَهَر

تَهَبُ العمرَ لمن يُنبِئُها * أنه أفْلَتَ مِن كفِّ القَدَر

*
* *

ويحَ مصرٍ ، كلَّ يومٍ حادثٌ * وبلاءٌ ما لما منه مَفَر

هانَ ما تلقاهُ إلا خَطْبُها * في تُراثٍ من بنيها مُدَّخَر

قد ظلمتم مجدَهُم في نَقْلِهم * إنما نقلتُهم إحدى الكُبَر[2]

فسواءٌ في ترابِ الشرقِ أم * في ترابِ الغربِ كان المستقر

أأبيتم أن نرى يوما لنا * في ربوعِ العلمِ شِبرًا فنُسَر

أضَنِنْتُم ان تُقيموا بينهم * شاهِدًا منّا لكُتّابِ السِّيَر

ومَزارًا كلما يَمَّمَهُ * ناشيءٌ حيًّا ثراه وادَّكر

ودليلًا لابنِ مصرٍ كلما * قامَ في الغربِ بمصرٍ فافتخر

كم مِسَلّاتٍ لنا في أرضِهم * صَوَّرَتْ مُعجِزَةً بين الصُّوَر

---

(١) سكان الشجر هم الطير .

(٢) لم يرض حافظ عن نقل جثثهم إلى مصر ليدفنوا فيها ، بل آثر أن يدفنوا حيث ماتوا كرمز لجد مصر وكفاحها في سبيل العلم .

فَمَن رَمْزاً لعصـورٍ قـد خَلَتْ * أَشْرَقَ العِـلْمُ عليهـا وازدهَرْ
فاجعـلوا أمواتَنـا اليومَ بهـا * خـيرَ رمزٍ لرجاءٍ منتظـر

* * *

أمـــةَ الطليانِ خَفَّفْتِ الأسىَ * بصنيعٍ من أياديك الغُــرَر
جَمَعتْ كَفَّـاكِ عِقـداً زاهيا * من بنينا فـوقَ واديك انتـَثَر
ومَشَى فِي مَوْكِبِ الدَّفنِ لهُـمْ * مِن بَنِيــكمْ كُلُّ مِسْماحٍ أَغَر
وَسَـعَى كُلُّ بَرِئٍ مُفْضِــلٍ * باديَ الأحزانِ مَخْفُوضَ النظر
وَبَكَتْ أَفــلاذُكُمْ أَفــلاذَنا * بِدموعٍ رَوَّضَتْ تلك الحُفَــر (١)
وصَنَعتُمْ — صَـنَعَ اللهُ لَكُمْ — * فــوقَ ما يَصْنَعهُ الخِــلُّ الأَبَر
قَــدْ بَكَيْنَا لَكُمْ مِن رحمــةٍ * يومَ "مِسينا" فأرخصنا الدُّرر (٢)
فَحَفِظْـتُمْ وَشَــكَرْتُمْ صُـنْعَنَا * وبنو الرومانِ أَوْلَى مَن شَــكَر

* * *

أَيْ شبابَ النيـلِ لا تَقْعُـدْ بكم * عن خطـيرِ المجـدِ أخطارُ السَّفَر
إِنَّ مَنْ يَعْشَقُ أسبابَ العُــلا * يَطْرحُ الإحجامَ عنـه والحـذر
فاطلبوا العِـلْمَ ولو جَشَّمَكُمْ * فوقَ ما تَحمِـلُ أطْـوَاقُ البَشَر
نَحْنُ في عَهْـدِ جِهـادٍ قائمٍ * بينَ مَوْتٍ وحيـاةٍ لم تَقِــر

---

(١) روضت الحفر ، أى جعلت قبور أبنائنا روضة من الرياض لكثرة ما سقيت من الدموع .

(٢) مسينا مدينة إيطالية دمرها زلزال مروع وسارعت مصر بمساعدة إيطاليا بالتبرعات ، وكان حافظ ممن اشتركوا فى الدعوة لنجدتها بقصيدة من روائع شعره الإنسانى ، وهى منشورة فى الديوان بعنوان زلزال مسينا .

رثاء فقيد العلم والوطن

محمد عاطف بركات باشا (*)

ألقيت فى حفل تأبينه

المقطم فى ١٣ سبتمبر ١٩٢٤

ثَمَنُ المجدِ والمحامدِ غالى * آلَ زغلولَ فاصبِروا لليالى

قد هوَى منكمُ ثلاثةُ أقما * رٍ خَلَتْ منهمُ بروجُ المعالى

مات «فتحى»، ومَنْ لنا بحِجاهُ * وأفانينِ فكرِهِ الجَوّالِ

كان أعجوبةَ الزمانِ ذكاءً * ومَضاءً فى كلِّ أمرٍ عُضالِ

و «سعيدٌ» وكان غصنًا نَديًّا * فُتِّحتْ فيه زهرةُ الآمالِ

وقضَى «عاطفٌ» وكان عظيمًا * صادقَ العزمِ مُطْمَئِنَّ الخِلالِ

يهزِلُ الناسُ والزمانُ، ويأبى * غيرَ جِدٍّ مُواصِلٍ ونضالِ

ساهدُ الرأىِ، نائمُ الحقدِ، لاهٍ * عن ملاهِى الورَى، عفيفُ المقالِ

قد جلَا سيفَ عزمِهِ صَيْقَلُ الـ * ـمنفَى (١)، فأَرْبَى على السيوفِ الصِّقالِ

ونمَتْ رأيَه التجاربُ حتى * باتَ أمضَى من نافذاتِ النِّبالِ

يا شهيدَ الإصلاحِ غادرتَ مصرًا * وهى تجتازُ هَوْلَ دَوْرِ انتقالِ

(*) محمد عاطف بركات باشا أحد رجالات مصر الذين اشتغلوا بالتعليم، ورأس حينا مدرسة القضاء الشرعى، وظل يعمل فى خدمة الحكومة حتى رقى إلى منصب وكيل وزارة المعارف العمومية، وكان له الأثر الكبير فى تطوير التعليم فى مصر، وكان يمت بصلة القرابة للزعيم سعد زغلول، حيث كان الزعيم فى منزلة خاله .

(١) يشير الشاعر إلى سبق نفى الإنجليز لعاطف بركات مع الزعيم سعد زغلول .

لو تَرَيَّثتَ لاستطالَ بك النيـ * ـلُ على هذه الخُطوبِ التوالى
غيرَ أن الردى ، وإن كَثُرَ النا * سُ ، حريصٌ على البعيدِ المَنال
كلّما قامَ مُصلِحٌ أعجَلَتْهُ * عن مُناهُ غوائلُ الآجالِ
يُخطَفُ النابغُ النبيهُ ويَبقى * خاملُ الذكرِ فى نعيمٍ وخالِ
أيعيشُ الرئبالُ فى الغاب جيلاً * ويمُر الغرابُ بالأجيالِ

*
* *

كنتَ فوق الفراشِ والسقمُ بادٍ * لهفَ نفسى عليك والجسمُ بالِ
لم يُزحزِحك عن نهوضك بالأعبا * ءِ داءٌ يهُدُّ أُسْدَ الدِّحالِ
شَغَلَتكَ الجهودُ والداء يمشى * فيك مَشْىَ المحاذرِ المُغْتالَ
لم يَدَعْ منك غير قوة نفسٍ * تتجلّى فى هيكلٍ من خيالِ
عجِزَ السُّقمُ عن بلوغِ مَداها * فَمَضَتْ فى سبيلها لا تبالى
لم تَزَلْ فى بِناءةِ النشءِ حتى * هدَمَ الموتُ عُمْرَ بانى الرجالِ
عَجِبَ الناسُ أنْ رَأَوْا سَرطانَ الـ * ـبحرِ قد دَبَّ فى رؤوسِ الجبال
مَنْ رأى «عاطفاً» وقد وَصَلَ الأشـ * ـغالَ بعدَ الهُدُوِّ بالأشغال
ظَنَّ ، أو كادَ ، أنّ أوّلَ نومٍ * نامَه كانَ تحتَ تلكَ الرمال
أو رأى قوةَ العزيمةِ فيه * وهو فوقَ الفراشِ بادى الهُزال
ظَنَّ بأسَ الحديدِ فارقَ مَثوا * هُ اجتواءً وحَلَّ عودَ الخِلال

*
* *

قد تبيَّنتَ كلَّ معنًى فأنكر * تَ على السالفين معنى المحال

رُمْتَ فى أشهرٍ صلاحَ أمورٍ * دمّرتها يدُ العصورِ الخوالى

رُمْتَ إصلاحَ ما جنَت يدُ «دنلو * بَ» على العلم السنين الطوالِ

وقليلٌ عندى لها نصفُ جيلٍ * لمجدٍّ مُوفَّقٍ فعَّالِ

لم تكن مصرُ بالعقيم ولكن * قد رمَاهَا أعداؤها بالحَيالِ (١)

أَفسِحُوا للجيادِ فيها مجالاً * قد أضرَّ الجيادَ ضيقُ المجالِ

أصبحَتْ فى القيودِ تمشى الهُوَيْنَا * كسفينٍ يَعْبُرْنَ مجرى القنالِ

فاصدَعُوا هذهِ القيودَ وخلّو * ها تبارى فى السَّبْقِ ريحَ الشمالِ

عرَفَ الغربُ كيف يَستثمرُ الجد * فيَبْنِى بفضلِهِ كُلَّ عالِ

ودَرَى الشرقُ كيف يَسْتَمْرِئُ اللهـ * ـو فيُفْضِى بهِ إلى شَرِّ حالِ

فاتركوا اللهوَ فى الحياةِ وَجِدُّوا * إنَّ فى اسم الرئيس أيمنَ فالِ

فاصنعوا صُنْعَ عاطف واذكروه * آيةَ المجد — ذِكرةَ الأبطالِ

* * *

يامُحِبَّ الجدالِ نَمْ مستريحا * ليس فى الموتِ مَنْفَذٌ لجدالِ

صامتٌ يُسكتُ المفوّهَ فاعجب * وبطىءٌ يَبُزُّ خَطْوَ العجالِ

كلُّ شىءٍ إلا التحيةَ يُرْجَى * فهى لله ، والدنا للزوالِ (٢)

إن بكت غيرَك النساءُ وأذرفـ * ـن عليه الدموعَ مثلَ اللآلى

فَعَلى المصلحين مثلِكَ تبكى * ثم تبكى جلائلُ الأعمالِ

---

(١) الحيال : العقم.

(٢) التحية : الخلود.

رثاء الأديب مصطفى لطفى المنفلوطى

مجلة النيل — ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٤

رَحِمَ اللهُ صاحبَ النظراتِ * غابَ عنا فى أحرجِ الأوقاتِ

يا أميرَ البيانِ والأدبِ النضـ * ـرِ لقد كنتَ فخرَ أمِّ اللغاتِ

كيف غادرْتَنا سريعًا وعهدى * بك يا مصطفى كثيرَ الأناة

أقفرتْ بعدَك الأساليبُ واستر * خى عنانُ الرسائلِ الممتعاتِ

جمحتْ بعدَك المعانى وكانت * سلِساتِ القيادِ مُبتدَراتِ

وأقامَ البيانُ فى كلِّ نادٍ * مأتمًا للبدائعِ الرائعاتِ

لطمت «مجدلينُ» بعدَك خدَّيْـ * ـها وقامتْ قيامةُ «العبرات» (١)

وانطوتْ رقةُ الشعورِ وكانت * سلوةَ البائسين والبائساتِ

كنتَ فى مصرَ شاعرًا يبهرُ الألـ * ـبابَ بآياتِ شعرهِ البيناتِ

فهجرتَ الشعرَ السرىَّ إلى النثـ * ـرِ فجئتَ الكُتَّابَ بالمعجزاتِ

مُتَّ والناسُ عن مُصابِك فى شُغْـ * ـلٍ بجرحِ الرئيسِ حامى الحماةِ (٢)

شُغلوا عن أديبِهم بمُنجِّيـ * ـهِمْ فلم يسمعوا نداءَ النعاةِ

وأفاقوا بعدَ النجاةِ فألفَوْا * منزلَ الفضلِ مُقفرَ العرصاتِ

قد بكاكَ الرئيسُ وهو جريحٌ * ودموعُ الرئيسِ كالرحماتِ

---

(١) «مجدلين» و «العبرات» و «النظرات» من الروايات التى ترجمها المرحوم المنفلوطى .

(٢) توفى المرحوم المنفلوطى يوم الاعتداء على الزعيم سعد زغلول فى محطة مصر وهو متوجه إلى إنجلترا لمفاوضة الإنجليز .

لم تُبَقِّ يافتى المحامدِ مالًا * فلقد كنتَ مُغْرَماً بالهِبَاتِ
كم أَسَالَتْ لك اليراعةُ سَيْلًا * من نُضَارٍ يفيضُ فَيْضَ الفُراتِ[1]
لم تُؤثِّلْ مما كَسَبْتَ ولم تَحْـ * ـسِبْ على ما أرى حِسابَ المماتِ
مِتَّ عن يافعٍ وخمسِ بناتٍ * لم تُخَلِّفْ لها سِوَى الذِّكْرَيَاتِ
وتُرَاثُ الأديبِ فى الشرقِ حُزْنٌ * لِبنِيهِ ، وثروةٌ للرواة
لا تَخَفْ عَثْرَةَ الزمانِ عليهم * لا ، ولا صولَةَ الليالى العَوَاتى
عينُ سَعْدٍ تَرْعَاهُمُ بعدَ عيـ * ـنِ اللهِ فاهْدَأْ فقد وَجَدْتَ المُواتى

رثاء أحمد حشمت باشا

كان أحمد حشمت باشا من رجالات مصر فى العصر السابق ، ولى مناصب القضاء والإدارة ثم وزيرا للمعارف « التربية والتعليم الآن » .

وقد ناصر الأدب واللغة العربيـة فى عصر اشتدت حملة الاستعمار والمبشرين عليها شنة مسعورة ، وكانت له رغم منصبه الوزارى و وجود مستشار المعارف الإنجليزى ، مواقف مشهودة ، خرجت بفضلها اللغة العربية سليمة خالصة لأهلها ، وحفظت عليهم لسانهم العربى المبين .

وكان من الطبيعى أن تقوم الصلة قوية متينة بين حشمت باشا وشاعر النيل ، وأن يقربه الوزير اليـه ، ويعينه رئيسا للقسم الأدبى بدار الكتب المصرية . فكان عملا جريئا من الوزير أن يعين فى وظيفة حكومية ، أديبا يطارد الاستعمار ويطارده الاستعمار فى عصر الاستعمار ...

---

(١) النضار : الذهب — الفرات : الماء العذب .

ولقد رثاه الشاعر سـنة ١٩٢٦ بهذه المرثية المنبعثة من ضمير ووجدان الشاعر الوطنى الوفى الكليم .

حَبَسَ اللسانَ وأَطْلَقَ الدَّمْعَا * ناعٍ أَصَمَّ بِنَعْيِـكَ السَّمْعَا
لكَ مِنَّـةٌ قـد طَوَّقَتْ عُنُقِى * مَا إِنْ أُرِيدُ لِطَوْقِهَا نَزْعَا
مَاتَ الإمامُ(١) وكانَ لِى كَنَفًا * وقَضَيْتَ أنتَ وكنتَ لِى دِرْعَا
فَلْيَشْمَتِ الحُسَّادُ فى رَجُلٍ * أَمْسَتْ مُنَاهُ وأَصْبَحَتْ صَرْعَى
وَلْتَحْمِـلِ الأيامُ حَمْلَتَهَا * غَاضَ المَعِينُ وأَجْدَبَ المَـرْعَى
إِنِّى أَرَى مِنْ بَعْـدِهِ شَـلَلًا * بِيَـدِ العُـلَا وبِأَنْفِهَا جَـدْعَا
وأَرَى النَّـدَى مُسْتَوْحِشًا قَلِقًا * وأَرَى المُـرُوءةَ أَقْفَرَتْ رَبْعَا
قَـدْ كَانَ فِى الدُّنيا أَبُو حَسَنٍ * يُولِى الجَمِيـلَ ويُحْسِنُ الصُّنْعَا
إِنْ جاءَ ذو جاهٍ بِمَحْمَـدَةٍ * وَتْرًا شَـآهُ بِمِثْلِهَا شَفْعَا(٢)
فَإِذَا نَظَـرْتَ إلى أَنَامِلِهِ * تَنْـدَى ، حَسِبْتَ بِكَفِّهِ نَبْعَا
سَلْنِى فإنِّى مِنْ صَـنَائِعِهِ * وَسَلِ «المعارفَ» كَمْ جَنَتْ نَفْعَا
قـد أَخْصَبَتْ أُمُّ اللغـاتِ بِهِ * خِصْبًا أَدَرَّ لأَهْلِهَا الضَّرْعَا
تاللهِ لَوْلَا أَنْ يُقَـالَ أَتَى * بِدْعًا ، لَطُفْتُ بِقَـبْرِهِ سَـبْعَا
قَـدْ ضِقْتُ ذَرْعًا بالحَيَـاةِ وَمَنْ * يَفْقِـدْ أَحِبَّتَـهُ يَضِقْ ذَرْعَا

(١) الإمام هو الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية سابقا وقد رثاه الشاعر بقصيدة فى هذا الديوان .

(٢) شآه أى زاد عليه ، والوتر الواحد والشفع الاثنان ، ومنها صلاة الوتر ذات الركعة الواحدة ، وصلاة الشفع ذات الركعتين .

وَغَدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكَنَّفُنِي * فيهِ الشُّرُورُ ولا أَرَى دَفْعا

كَمْ مِنْ صديقٍ لى يُحاسِنُنِي * وَكَأَنَّ تحتَ ثيابِهِ أَفْعَى

يَسْعَى فيُخْفِي لِينُ مَلْمَسِهِ * عَنِّي مَسارِبَ حَيَّةٍ تَسْعَى

كَمْ حاوَلَتْ هَدْمِي مَعاوِلُهم * وَأَبَى الإلهُ فَزادَنِي رَفْعا

أصبحتُ فَرْداً لا يُناصِرُني * غيرُ البيانِ ، وأَصْبَحُوا جَمْعا

وَمُناهُمُ أَنْ يَحْطِمُوا بِيَدِي * قَلَماً أثارَ عليهمُ النَّقْعا

وَلَرُبَّ حُرٍّ عابَهُ نَفَرٌ * لا يَصْلُحُونَ لِنَعْلِهِ شِسْعا

مَنْ ذَا يُواسِينِي وَيَكْلأُنِي * في هذه الدنيا ومَنْ يَرْعَى

لا جاهَ يَحْمِينِي ، وَلا مَدَدٌ * عَنِّي يَرُدُّ الكيدَ والقَذْعا

بكَ كنتُ أدفعُ كُلَّ عادِيَةٍ * وأجيبُ في الجُلَّى إذا أُدعى

وأقيلُ عَثْرَةَ كُلِّ مبتئسٍ * وأفى الحقوقَ وأُنجحُ المسعى

حتى نَعَى الناعِى أبا حَسَنٍ * فوددتُ لو كنتُ الذى يُنْعى

غيظُ العداةِ فحاولوا سَفَهاً * منهم لحبلِ وِدادِنا قَطْعا

رامُوا له بَتّاً — وقد حَمَلُوا * ظلماً — فكان لوصلِهِ أَدْعى

*
* *

يا دوحةً للبِرِّ قد نَشَرَتْ * فى كُلِّ صالحةٍ لها فرعا

ومنارةً للفضلِ قد رُفِعَتْ * فوقَ الكنانةِ نورُها شَعّا

وَمَثابةً للرزقِ أحمدُها * ما ردَّ مسكيناً ولا دَعّا

إنى رثيتُك والأسى جَلَلٌ * والحزنُ يَصْدَعُ مهجتى صَدْعا

لا غَرْوَ إن قَصَّرتُ فيكَ فقد * جَلَّ المصابُ وجاوز الوُسْعا

سأفيكَ حقَّكَ فى الرثاءِ كما * ترضَى ، إذا لم تُقْدَرِ الرُّجْعَى

فهرس

القصائد



(حرف الهمزة)

(حرف الألف)

(حرف الباء)

صفحة

(حرف الـــراء)

(حرف السين)

صفحة

(حرف العين)

(حرف الفـاء)

(حرف القـاف)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الياء)

فهرس

قصائد لم تنشر فى الطبعة الأولى

صفحة

(حرف التـاء)

(حرف الدال)

(حرف الـــراء)

(حرف العين)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف المـــيم)

(حرف النون)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٧٣٨٥

ISBN ٩٧ - ٠١ - ١٥٣٦ - ٣



